منطقة الباحة

دراسات ، وإضافات ، وتعليقات

(ق ١ - ق ١٥هـ / ق ٧ - ق ٢١ م)

الجزء الأول

إعداد

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

السعودية - أبها

الطبعة الأولى

(١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي

منطقة الباحة (دراسات واضافات وتعليقات) ، (الجزء الأول) ./ غيثان بن علي جريس -. الرياض ، ١٤٤٠هـ

٥٣٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٦- ٧٨٧٥ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الباحة (السعودية) - تاريخ — أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥٦ — ١٤٤٠/٤٢٣

رقم الإيداع ١٤٤٠/٤٢٣

ردمك:٦- ٧٨٧٥ - ٠٢-٦٠٣ - ٩٧٨

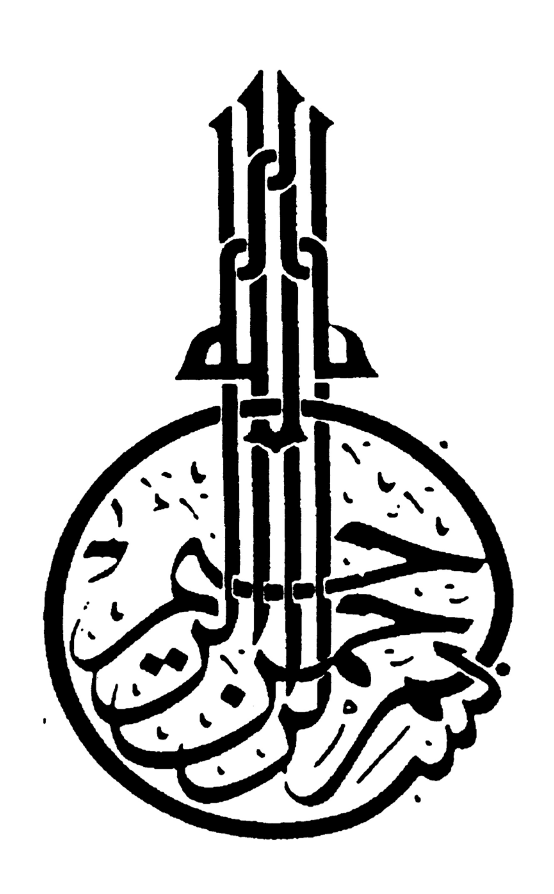
الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الرياض: مطابع الحميضي

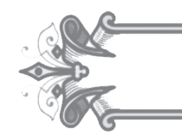
Email:Jrais 2009 @hotmail.com

(المملكة العربية السعودية-أبها-ص.ب: ٩٠٥٠)


بسم الله الرحمن الرحيم



الفهرس العام لمحتويات الكتاب



أولاً : المقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصـلاة والسلام على أشـرف خلقه أجمعين ، عبده ورسـوله نبينا محمد وعلى آله وصـحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد :

تتوسط منطقةٍ الباحة بلاد تهامة والسراة الممتدة من منطقة عسير جنوباً إلى بلاد الطائف ومكة المكرمة شمالاً ، وتتنوع تضاريسها من جبال متفاوتة في الارتفاع ، وهضاب ، وأودية، وحرات، وغابات . وتتميزِ سرواتها باعتدال الجو في الصيف والبرودة في الشتاء ، بعكس أجزائها التهامية فهي حارة صيفاً معتدلة شتاء . وتتنوع مواردها الطبيعية من زروع ، وأشجار برية ، ومياه جوفية، كما لا تخلو من ثروات حيوانية أليفة ووحشية ، وطيور وزواحف متنوعة .[(١)]

ويغلب على تركيبة منطقة الباحة البشرية النمط القبلي ، فتتكون من ثلاث قبائل رئيسية هي : غامد ، زهران ، وبني عمر ، والأشـهر في معظم المصـادر والمراجع أنها قبيلتان رئيسيتان هما (غامد ، وزهران) ، وهناك من يدرج قبيلة بني عمر ضمن قبيلة زهران ، وبعض بلدانها تعـود بالحلف والولاء إلى قبيلة غامد [(٢)] . وهذه القبائل الثلاث تتكونِ من عشـِرات العشـائر، والفخوذ والأسـر ، والأسـتاذ علي بن صـالح السـلوك صـنف معجماً جغرافياً وذكر فيه مئات القرى والمواضع التي يستوطنها الكثير من أسر وعشائر زهران ، وغامد ، وبني عمر . [(٣)] .

والحديث عن تاريخ منطقة الباحة (غامد وزهران) يحتاج إلى آلاف الصفحات، ولهذه البـلاد وسـكانها تاريخ قديم يعود إلى عصـور ما قبل الإسـلام بآلاف السـنين ، وعند ظهور

---

(١) للمزيد عن جغرافية المنطقة انظر، عبد الرحمن صـادق الشـريف ، جغرافية المملكة العربية السـعودية (الجزء الثـاني) (إقليـم جنـوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريـخ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، حـ ٢ ، ص ٣٥٠ – ٣٧٤ ، ٤٥٣ ، علي بن صالح السلوك الزهراني . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) (الطبعة الثانية) (٣١٢ صـفحة) – وهناك العديد من الرسـائل العلمية والبحوث المحكمة المنشورة في بعض المجلات الأكاديمية المحفوظة في عدد من المكتبات الجامعية المركزية في المملكة العربية السعودية .

(٢) الحديث عن هذه القبائل الثلاث (غامد ، وزهران ، وبني عمر) يشوبها نوع من الغموض ، وبخاصة صلة قبيلة بني عمر بقبائل غامد وزهران ، فهناك من يدعي أنها فرع من زهران ، وآخرون ينكرون هذا القول ، ويوجد العديد من البحوث والدراسات المنشورة وغير المنشورة التي ناقشت هذه القضية . واليوم هي ثلاث قبائل : بني عمر في تهامة، وغامد وزهران في السـراة وتهامة وبعض البوادي الشـرقية . هذا ما عرفته وشـاهدته أثناء تجوالي في بلادهم في بداية ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ / ٢١م) .

(٣) نشـكر الأسـتاذ علي السـلوك على هذه الريـادة في عمله المعجمي عن بـلاد غامد وزهران ، وأقـول إن هذا الكتاب ما زال يحتاج إلى دراسـة وإضـافات ، ونأمل من أسـاتذة التاريخ والجغرافيا في جامعة الباحة أن يولوه أهمية في بحوثهم ودراسـاتهم العلمية . للمزيد انظر المعجم نفسـه ، (٣١٢ صـفحة) وانظر ، غيثان بن علي بن جريس (رواد التأليف المعجمي الجغرافي الحديث في جنوبي البلاد السعودية (جازان، الباحة، عسير) بحث منشور في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث عشر) (- الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ /٢٠١٨م) ، ص ٢٠٩-٢٢٥ .

الإسـلام استمر تاريخهم السياسـي والحضـاري داخل بلادهم وخارجها ، والباحث في كتب التراث الإسلامي المبكرة يجد أسماء عشرات الأعلام الذين خرجوا من سروات تهامة ومنطقة الباحة وساهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها . كما لا تخلو مصـادر التاريخ والحضارة الإسلامية الأولى من شذرات تشير إلى حياة الناس في بلاد غامد وزهران قبيل الإسـلام ، وعبر أطوار التاريخ الإسـلامي المبكر والوسيط . وهناك بعض المخطوطات والوثائق المحلية والخارجية تشـتمل على صـور من تاريخ وحضارة منطقة الباحة خلال العصر الحديث وبخاصة منذ القرن (١١-١٥هـ/١٧-٢١م) [١] .

والسـائح في منطقة الباحة اليوم يشـاهد الكثير من تاريخها المادي المتمثل في آثارها المدفونة في بعض الحواضـر والمراكز الحضـارية القديمة ، وأيضاً آثارها السطحية الماثلة في نقوشـها ورسـوماتها الصـخرية ، ناهيك عن قراها ، وآبارها . ومقابرها ، وكهوفها ، ومدرجاتها الزراعية ، وأحميتها ، وأسـواقها الشـعبية الأسـبوعية ، وسـدودها . وسككها وطرقاتهـا القديمـة . كمـا يوجد الكثير مـن تراثها وتاريخهـا المعنوي المتمثـل في أعراف وتقاليد وفنون ولهجات سكانها ، وكل هذه الميادين تستحق الاهتمام [٢]

وهذا الكتاب : **منطقة الباحة (دراسات ، وإضافات ، وتعليقات)** في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس (ق١ - ق١٥هـ / ق٧ - ق ٢١م) (الجزء الأول) ، حصيلة دراسة وأعمال علمية خلال الخمس عشـرة سنة الماضية قدمنا بعضـها في مؤتمرات أو ندوات علمية ، ثم نشرناها جميعاً في أوعية علمية متفرقة ، وقد حظي كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، من الجزء الخامس إلى الجزء الثاني عشر بالنصيب الأوفر من هذه الدراسات [٣] . وقد ارتأينا جمعها في كتاب واحد ، وذلك خدمة للبحث والباحثين . ومن الأسـباب التي دفعتنا إلى إعادة نشرها في مكان واحد ما يأتي :

١. اقتراح بعض الزملاء الأكاديميين في الجامعات السعودية المحلية إلى جمع أبحاث كل منطقة من مناطق الجنوب السـعودي في كتب مسـتقلة [٤] . ثم عقب على هذا

---

(١) لقد اطلعت على شـيء من هذه المصـادر والوثائق والمخطوطات خلال رحلتي العلمية داخل المملكة العربية السـعودية وخارجها منـذ عـام (١٣٩٦هـ - ١٤٤٠هـ/ ١٩٧٦م - ٢٠١٨م) وأقول أن منطقـة الباحة جديرة بالاهتمام بحثيا ، ومن يسـعى إلى جمع تاريخها وتوثيقه منذ عصـور ما قبل الإسـلام إلى وقتنا الحاضر فإنه سيجد مصادر ومراجع تخدمه في هذا الباب . ونأمل من جامعة الباحة أن تقوم بهذا الأمر وذلك بإنشاء مركز بحوث متخصصة ، وجلب باحثين وكوادر علمية جيدة تتولى هذه المهمة .

(٢) ما ذكرته أعلاه شـاهدته ووقفت على بعضـه في جبال وأودية وقرى بمنطقة الباحة (تهامة وسـراة) خلال العشـر سـنوات الماضـية وأقول أن على أمارة منطقة الباحة ، وجامعاتها ، ومؤسساتها التعليمية والفكرية والثقافية ، وعلى معاشر الباحثين مسؤولية كبيرة تجاه موروثهم الحضاري يقومون إلى حمايته ، والحفاظ عليه ، ثم دراسته وتوثيقه.

(٣) بعض هذه الدراسـات نشـرت في أوعية علمية أكاديمية مثل موسـوعة المملكة العربية السعودية ، وغيرها ثم أعدنا نشـرها في أوقات متفرقة وفي عدد من بعض مؤلفاتنا التي صـدرت خلال العشر سنوات الماضية المتأخرة ، ومن ثم أصبحت مشتتة في أوعية نشر عديدة ، يصعب أحياناً على الباحث أو الدارس الحصول عليها .

(٤) هنـاك أكاديميـون كثـيرون قالوا لي هذا الرأي ، وبعضـهم دون طلبـه في خطابات موجهة إلينا ، وآخرون سـجلوا اقتراحاتهم في مقالات صحفية . ولم تكن أقوالهم مقصوره على منطقة الباحة ، وإنما يقصدون مناطق الجنوب السعودي (القنفذة ، وجازان ، ونجران ، وعسير ، والسروات الممتدة من الباحة إلى الطائف) ، وفي مؤلفاتنا الكثير من الدراسات المتناثرة عن هذه النواحي ، وأمل أن استطيع تحقيق ذلك ، والآن بدأت مع منطقة الباحة في هذا السفر .

الطلب بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا ، وقد استحسنت قولهم لما في ذلك من منفعة وخدمة لطلاب العلم .

٢. عندما تكون الدراسات الخاصة بكل منطقة مجموعة في كتاب أو كتب معلومة ، فقد تسهل على بعض الباحثين والمهتمين من أبناء المنطقة المعنية في كل كتاب إلى تصويب ، أو دراسة ، أو نقد ، أو إضافة بعض الشروحات أو المعلومات التي تصب في خدمة البحث المدروس أو المقصود [١] .

٣. لا ندعي الكمال فيما تم دراسته ونشره ، والذي نصبو إليه هو خدمة ديننا وبلادنا وأهلنا وبخاصة بلاد تهامة والسراة ، التي مازالت بحاجة كبيرة في ميدان البحوث العلمية الرصينة ، وقد ذكرت هذا الكلام في أكثر من مكان من الدراسات المنشورة في هذا السفر وغيره من المؤلفات الأخرى ، ونرجو أن يثمر هذا النداء ، ونرى من أبنائنا المؤرخين والباحثين من يعمل ويجتهد في تحقيق ما ننادي به ونتطلع إليه .

٤. الناظر في هذه البحوث المنشورة في هذا الكتاب يجدها شملت جزئيات كثيرة من تاريخ وحضارة بلدان الباحة منذ عصر ما قبل الإسلام ، وعبر عهود التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط ، والحديث ، والمعاصر . وهذا مما يدعم قولنا بأهمية دراسة البلاد النائية والمعزولة ، مثل منطقة الباحة ، فهي ذات تاريخ وحضارة عريقة حتى وإن كانت قليلة الذكر في مصادر التاريخ والتراث الإسلامي القديم .

وفي الختام : أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب ، من مشاركين أساسيين في إنجاز بعض البحوث المنشورة ، أو من كان له رأي ، أو اقتراح ، أو وجهة نظر حول جمع هذه الدراسات ونشرها في مؤلف مستقل ، وأيضاً من ساعد في طباعته الأولية وصفه على الكمبيوتر ، أو من راجعه وصوبه إملائياً ، وبلاغياً ، ونحوياً ، وكذلك من عمل على تنسيقه وتجليده حتى أصبح جاهزاً للاطلاع . ونسأل الله عز وجل أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم . وأن يسخرنا لفعل الخير في القول والعمل . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين .

جمعه وكتب مقدمته العبد الفقير إلى رحمة الله عز وجل
غيثان بن علي بن عبد الله جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي
في مدينة أبها الهادئة
(في غرة شهر المحرم ١٤٤٠هـ الموافق ١١ / سبتمبر / ٢٠١٨م)

---

(١) هذا ما عرفته وجرى مع بعض مؤلفاتي المخصصة لناحية أو منطقة معينة ، مثل كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ /١٩-٢٠م) وكتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (من ١٠-١٥هـ/من١٦-٢١م) . وكتاب : نجران ، دراسة تاريخية حضارية (من١-٤هـ/من٧-١٠م) ، (الجزء الأول) .



منطقة الباحة

دراسات ، وإضافات ، وتعليقات

(ق ١ - ق ١٥ هـ / ق ٧ - ق ٢١ م)

الدراسة الأولى

صفحات من تاريخ الباحة (غامد وزهران) السياسي والحضاري عبر عصور التاريخ الإسلامي

(ق١هـ-ق ١٥هـ/ق٧م-ق٢١م) :

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير، ونجران) ، ط١
(١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م) - (الجزء السابع)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ١١١ - ١٨٦

الدراسة الأولى : صفحات من تاريخ الباحة (غامد وزهران) السياسي والحضاري عبر عصور التاريخ الإسلامي (ق١هـ-ق ١٥هـ/ ق٧م-ق٢١م) :

أولاً : مدخل :

المقصود بمصطلح (الباحة) في العنوان الرئيسي[١]، أي منطقة الباحة في عصرنا الحاضر[٢]، والاسم الحقيقي التاريخي لهذه الناحية هو (بلاد غامد وزهران) [٣]، وهاتان القبيلتان أزديتان ويعود نسبهما إلى القبائل اليمانية القحطانية[٤] .

والدارس تاريخ وحضارة ديار غامد وزهران في عصور ما قبل الإسلام، يجد صعوبة كبيرة في الخروج بصورة شبه واضحة عن هذه الأوطان التهامية والسروية، ومن خلال تجوالنا في هذه البلاد لفترة تزيد على ثلاثة عقود [٥]،ثم قراءتنا ودراستنا عنها استطعنا الخروج ببعض اللمحات عن أراضي غامد وزهران قبل الإسلام، وهي على النحو التالي :

١. الاستيطان البشري في بلاد غامد وزهران قديم جداً ويعود إلى العصور الحجرية القديمة والحديثة، واستمر عبر التاريخ القديم حتى ظهور الإسلام، والدليل على

---

(١) الباحة : اسم حديث أطلق على منطقة الباحة في العصر الحديث والمعاصر . ومدينة الباحة هي حاضرة منطقة الباحة الرئيسية. للمزيد انظر تفصيلات أكثر، غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ق١٠هـ/ ق٧م-١٦م) (الرياض: مطابع الحميضي، ٣١-١٤٣٢هـ /١٠-٢٠١١م) ،ج٢، ص ١٣٣ وما بعدها، انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (المحور التاريخي) (الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)مج(١٦) ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٢) منطقة الباحة: إحدى مناطق المملكة العربية السعودية، بل ربما تكون أصغرها مساحة، وتقع ضمن المناطق الجنوبية السعودية، وسط بلاد تهامة والسراة، ويحدها من الشرق محافظتا بيشة وبلقرن التابعتان إدارياً لإمارة منطقة عسير، وأيضاً أجزاء من محافظة رنية التابعة إدارياً لإمارة منطقة مكة المكرمة، ومن الغرب محافظات الطائف والليث والقنفذة، وجميعها تتبع إدارياً لإمارة منطقة مكة المكرمة، ومن الجنوب أجزاء من محافظات بلقرن، والعرضيات، والقنفذة ومن الشمال أجزاء من محافظات الطائف وتربة ورنية. وامتدادها من الشرق إلى الغرب حوالي (١٢٠-١٥٠كم) ، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي (١٤٠- ١٧٠كم) ، وتضاريسها تتكون من مرتفعات السروات التي يصل ارتفاع بعضها إلى (٣٠٠٠م) فوق سطح البحر وربما أكثر، وغرب هذه المرتفعات المنحدرات الغربية المعروفة باسم (الأصدار) ، وغربها أراض سهلية تتصل بالخبت التهامي الواقع إلى الشرق من ساحل البحر الأحمر، ومن الجهات الشرقية لهذه المنطقة تأخذ في الانحدار التدريجي نحو الشرق حتى تتصل بالصحراء. المصدر: مشاهدات الباحث وتجواله في منطقة الباحث في الفترة الممتدة (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ج٥، ص ٢١ - ٩١، ٩٣ - ٣١٥ .

(٣) قبائل غامد وزهران من القبائل العربية العريقة، ولها إسهامات تاريخية وحضارية قبل الإسلام وبعده . والذاهب في منطقة الباحة اليوم يجد من يقول إن هذه المنطقة تشتمل على ثلاث قبائل رئيسية هي : (غامد، وزهران، وبني عمر) ، وهناك من يقتصر المنطقة على قبيلتي (غامد وزهران) ويدرج قبيلة بني عمر ضمن قبيلة زهران . وليس هذا مجال حديثنا، لكن في اعتقادنا أن هناك ثلاث قبائل كبرى تعيش في المنطقة، وهي (زهران، وغامد، وبني عمر) . للمزيد انظر: الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد علي الأكوع (صنعاء : مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص٢٦٠ وما بعدها، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران (الرياض : دار اليمامة للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ص ٢٠٦ وما بعدها، انظر أيضاً موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦) ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) المصادر والمراجع نفسها، وللمزيد انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ٢١ وما بعدها.

(٥) تجوالنا خلال هذه العقود شمل جميع منطقة تهامة والسراة الممتدة من جازان ونجران جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً .

ذلك أن بعض الدراسات الأثرية من نقوش ورسومات صخرية أثبتت ما ذهبنا إليه[١]، ثم إن تنوع تضاريس ومناخ هذه الأوطان، وجودة موقعها الجغرافي في جزيرة العرب، وتحديداً بين الحجاز واليمن تعد مؤهلات جيدة لاستيطانها والعيش فيها[٢].

٢. ظهور ممالك اليمن الرئيسية قبل الإسلام مثل: سبأ وحمير وغيرها ومد نفوذها إلى نواح عديدة في بلاد تهامة والسراة، وكذلك هيمنة القبيلة على أرض غامد وزهران، فكانت صاحبة الحل والعقد في أوطانها، ثم اتصال الديار الغامدية والزهرانية بأرض الحجاز وبخاصة مكة المكرمة، كل هذه أيضاً مؤهلات تاريخية وحضارية تؤكد وجود تاريخ وتعايش سكاني في هذه البلاد المعنية.

٣. من خلال جولاتنا في تهامة والسراة وقفنا على آثار قديمة جداً وأغلبها يعود إلى عصور ما قبل الإسلام مثل: أجزاء من طريق البخور[٣]، وبعض أماكن المعادن والتعدين ونماذج من الآبار والكهوف والمدرجات الزراعية، بالإضافة إلى رسومات صخرية ونقوش وآثار متناثرة في نواحٍ عديدة من المنطقة الباحوية[٤].

٤. في أثناء اطلاعنا على عشرات المصادر الإسلامية المبكرة، وجدنا أنها تحوي بعض التفصيلات العلمية عن تاريخ وحضارة الغامديين والزهرانيين قبل الإسلام، مثل الإشارة إلى أنسابهم، وبعض من صراعاتهم وحروبهم مع بعضهم البعض، أو مع جيرانهم، أو مع بعض القوى أو القبائل العربية القديمة، مثل: قريش، وثقيف، وخثعم، وبجيلة، ومذحج، وتميم وغيرهم[٥]. كما أن هناك معلومات لا بأس بها عن عقائدهم وبعض أصنامهم[٦]، وشعرائهم[٧]، وأحياناً صلاتهم الاجتماعية والاقتصادية فيما

---

(١) انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦)، ص ١١٣-١٣٢، ١٧٣-١٨٦.

(٢) المرجع نفسه، بالإضافة إلى مشاهدات الباحث في منطقة الباحة في نهاية عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

(٣) طريق البخور من الطرق الرئيسية في جزيرة العرب قبل الإسلام، ومازالت أجزاء منه ماثلة للعيان في بعض أجزاء من منطقة الباحة الشرقية، وقد سلكه الحجاج والتجار والجنود وغيرهم في عصور الدولة الإسلامية. مشاهدات الباحث لأجزاء من هذا الطريق في نهاية عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

(٤) نأمل من جامعة وإمارة الباحة أن تتعاونا فيما بينهما وتؤسسا كلية أو قسماً أو مركزاً للبحث العلمي يتخصص بدراسة التاريخ القديم والآثار والنقوش والرسومات الصخرية الخاصة ببلاد غامد وزهران أو بلاد تهامة والسراة، ومن يقوم بدعم وخدمة هذا المشروع فسوف يسدي لأهل البلاد بل لطلاب العلم معروفاً كبيراً.

(٥) اطلعنا على عدد من كتب التراث التي تذكر دور غامد وزهران في بعض الأيام أو الحروب السابقة للإسلام. وقبائل تهامة والسراة تستحق أن يخرج عنها دراسات علمية في هذا الباب.

(٦) من الأصنام التي كانت مشهورة في بلاد غامد وزهران أو قريبة منها أوثان: ذو الخلصة، وذو الكفين وغيرهما.

(٧) من أعلام وشعراء غامد وزهران قبل الإسلام، الطفيل بن عمرو الدوسي، وسواد بن قارب الدوسي، والحارث بن الطفيل الدوسي، والشنفرى، وهناك من قال إنه ينتسب في رجال الحجر، وأبوأزيهر الدوسي، وحممة بن الحارث الدوسي، وعمرو بن حممة الدوسي. ونقول إن دراسة الحياة الأدبية وشعراء وأعلام غامد وزهران قبل الإسلام موضوع جيد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو كتاب علمي.

بينهم بين أو مع بعض القبائل الأخرى في الحجاز واليمن وتهامة وغيرها[١].

وفي المحاور التالية سوف نشير إلى بعض الصفحات التاريخية والحضارية لبلاد غامد وزهران (منطقة الباحة) خلال العصور الإسلامية المختلفة منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر، ومن هذه الصفحات ما يركز على التاريخ السياسي، وأخرى على بعض الصور الحضارية في العصر الحديث [٢].

ثانياً : صفحات من تاريخ الباحة (غامد وزهران)السياسي (ق ١هـ- ق١٥هـ/ ق ٧م-ق٢١م). :

١-وقفة مع تاريخ الباحة (غامد وزهران (ق١ -ق١٠هـ /ق٧هـ -ق ١٦ م) .

بلاد الباحة (غامد وزهران) جزء بسيط من بلاد تهامة والسراة[٣]، وهذه النواحي يشوب تاريخها القديم والإسلامي المبكر والوسيط الكثير من الغموض لعدم وجود مصادر موثوقة تشرح لنا أحداثها السياسية وتطورها الحضاري، وهذا لا يعني أنه ليس لها تاريخ، فأرضها عامرة بخيراتها، مأهولة بسكانها، لكن المؤرخين الأوائل لم يرصدوا تاريخها، كما فعلوا مع بعض الحواضر الإسلامية في الجزيرة العربية، أو الأمصار الإسلامية الأخرى[٤]. ووعورة جغرافيتها، وصعوبة وشدة بأس أهلها من الأسباب الرئيسية التي جعلتها في منأى عن المؤرخين والرحالة وأصحاب القلم فلم يرتادوها ولم يسجلوا تاريخها لعدم وصولهم إليها، وإن ذُكرت في بعض المدونات التاريخية المبكرة، فذلك عن طريق الرواة أو بعض السرويين والتهاميين الذين خرجوا من أوطانهم إلى أصقاع العالم الإسلامي، ومن ثم رووا ونقلوا بعض الأحداث والأنساب والأخبار عن بلادهم إلى بعض المصنفين ومدوني التراث الإسلامي، ومن ثم وصلتنا بعض الشذرات المختصرة والمنوعة عن هذه البلاد العربية الأصيلة[٥].

---

(١) دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في غامد وزهران، وصلاتهم الاجتماعية والاقتصادية مع الحجاز من العناوين الجديدة في بابها والجديرة بالبحث والدراسة من قبل المؤرخين والآثاريين، وهذه مسؤوليات الجامعات وأقسامها العلمية والأكاديمية المتخصصة .

(٢) لا ندعي الكمال فيما سوف ندون، ولكن نرجو أن نلفت الأنظار إلى بعض القضايا العلمية المهمة، ونفتح أبواباً يدخل من خلالها الباحثات والباحثون الجادون الذين يصوبون ما أخطأنا فيه، أو يستكملون ما لم نستطيع أن نأتي به .ونسأل الله أن يصلح قلوبنا ويوفقنا جميعاً إلى كل خير .

(٣) بلاد تهامة والسراة، الديار الواقعة بين اليمن والحجاز، وقد أخرجنا عنها العديد من الدراسات المختلفة في عناوينها وأزمانها.

(٤) مثل مدن الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة في الحجاز، وصنعاء و زبيد وصعدة في اليمن . أما الحواضر الإسلامية خارج الجزيرة العربية فهي كثيرة في الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب والأندلس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي .

(٥) لنا بحث نعمل عليه منذ زمن، وعنوانه تقريباً : بلاد تهامة والسراة في كتب التراث الإسلامي، ونأمل أن يرى النور قريباً (بإذن الله تعالى) .

وحديثنا عن تاريخ وحضارة الباحة (غامد وزهران) منذ القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) لن يكون جديداً أو مطولاً بقدر ما هو ذكر لعدد من بحوثنا أو تحقيقاتنا المطبوعة عن تاريخ منطقة الباحة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط[1]، التي نشرت خلال العقدين الماضيين وهي على النحو التالي:

١. بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " دراسة منشورة في المجلة التاريخية المصرية، مج (٣٨) السنة (١٩٩١-١٩٩٥م)، ص ٩١-٩٥، ثم أضيف عليها معلومات جديدة وأعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٣١) (رمضان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ١٧-٤٧، وأخيراً نشر هذا البحث أيضاً في كتابنا الموسوم بـ : دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ /ق٧-ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) . الجزء الأول، ص ٢١-٥٤ .

٢. " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " . قدمت هذه الدراسة محاضرة على مسرح كلية التربية - فرع جامعة الملك سعود بأبها، ضمن أنشطة الجامعة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) يوم الاثنين الموافق (١٩/١٠/١٤١٥هـ)، ثم نشرت كاملة في كتابنا الآنف الذكر، والموسوم بـ : دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الأول، ص ٥٥ - ٩١ .

٣. " بلاد السراة من خلال كتاب : صفة جزيرة العرب للهمداني " . دراسة منشورة في مجلة الدارة)، العدد (٣) السنة (١٩) (ربيع الآخر، الجمادان / ١٤١٤هـ)، ص ٧٦ - ١١١، ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة عن نادي أبها الأدبي، العدد (٢٧) جمادى الأولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص ١٤-٤٤، ثم نشرت أيضاً في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الأول، ص ١٢٧ - ١٦٤ .

٤. " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق ٣هـ-٨ هـ) " دراسة منشورة في مجلة المؤرخ العربي (القاهرة، مارس / ١٩٩٤م) . العدد (٢) المجلد الأول، ص ٧٣ - ١٠٠، ثم أعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة عن نادي أبها الأدبي . عدد (٢٩) (المحرم /١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٦٣-٩٤، ثم نشرت أخيراً في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الأول، ص ١٦٥-١٦٩.

٥. " الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وبين أهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية) " دراسة منشورة ضمن مداولات اللقاء العلمي السادس بجمعية التاريخ والآثار بدول

---

(١) جميع البحوث والكتب المذكورة في هذه الصفحات منشورة اليكترونيا على موقعنا (الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور / غيثان بن جريس)

مجلس التعاون لدول الخليج العربية، والذي عقد في دول الكويت الشقيقة من (١١-١٢/ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠-١١/ أبريل، ٢٠٠٥م)، ص ١٥٧ - ٢١١، وقد أعيد نشرها في كتابيّ: (١) دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ١٣- ٦٤. (٢) دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ق١٠هـ/ق٧- ق١٦م). المسمى تاريخ الجنوب (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ٣١ - ١٤٣٢هـ/١٠-٢٠١١م)، الجزء الثاني، ص ٢٧ - ٩٨.

٦. " بلاد السراة في العصر الأموي: دراسة لبعض مظاهر الحضارة". بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدارسات تاريخ الجزيرة العربية. الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد-الثلاثاء ٧-٩/١١/١٤٢٠هـ/١٣-١٥/نوفمبر/٢٠٠٠م)، جامعة الملك سعود، كلية الآداب. ونشر في الكتاب الرابع من دراسات الجزيرة العربية الخاص بالعصر الأموي، ص ١٤٩- ١٦٤، ثم أعيد نشره أيضاً في كتاب، دراسات في تاريخ تهامة والسراة. الجزء الثاني، ص ٩٩- ١٣٢.

٧. " تاريخ منطقة الباحة خلال العصورالإسلامية المبكرة والوسيطة". بحث منشور في موسوعة المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ). المجلد السادس عشر، ص ١٣٣ - ١٥١، ثم أعيد نشره تحت مسمى " التطور التاريخي لمنطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة" في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الثاني، ص١٣٣-١٩٠.

٨. " تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة للدكتور جمعان عبد الكريم الغامدي" بحث منشور في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة. الجزء الثاني، ص ١٩١ - ٢٥٠.

٩. " الباحة (بلاد غامد وزهران) في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين. بحث منشور في كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، الجزء الخامس، ص٢١- ٩١.

١٠. " صور من تاريخ منطقة الباحة الحضاري خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. للدكتور جمعان عبد الكريم الغامدي" دارسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير)، الجزء الخامس، ص ٩٢ - ١٥٨.

١١. " قراءة وتصوويبات في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ /ق٧-١٦م). الجزء الثاني (تحديداً منطقة الباحة) للأستاذ علي بن محمد بن سدران الزهراني. دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الخامس، ص ٢٦٩ - ٢٨٦.

١٢. إيضاحات، وإضافات، وانتقادات، وتعليقات على جزئيات منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزءان " الثالث ، والخامس " . للأستاذ علي بن محمد بن سدران الزهراني . وهي دراسة منشورة في القسم الثالث من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الجزء السابع، ص ١٩٠ – ٢٤١ .

وربما يقول قائل، ما هي الفائدة من إدراج عناوين هذه البحوث والدراسات تحت مبحث : **الباحة (غامد وزهران) (ق١ . ق١٠هـ/ق٧ . ق ١٦م)**، ويتراءى للقارئ أنه سوف يجد تحت هذا العنوان تفصيلات تاريخية عن منطقة الباحة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وإجابتنا عن هذا التساؤل، هي على النحو التالي :

١. إن جميع هذه الدراسات، وعددها (١٢) دراسة مطبوعة ومنشورة في أكثر من وعاء علمي تصب في تاريخ تهامة والسراة بشكل عام، وتاريخ بلاد غامد وزهران (منطقة الباحة) خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة بشكل خاص .

٢. الدراسات الست الأولى (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) تدرس جوانب تاريخية وحضارية لبلاد تهامة والسراة، ومنطقة الباحة جزء منها، خلال العشرة قرون الإسلامية الأولى [١] .

٣. الدراسات الست الأخيرة (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) تدور بنسبة كبيرة جداً في فلك تاريخ وحضارة منطقة الباحة (غامد وزهران) منذ فجر الإسلام إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

٤. ذكر هذه الدراسات وتبيان أماكن وسنوات نشرها مهم جداً لمن أراد معرفة بعض التفصيلات التاريخية والحضارية المتعلقة بمنطقة الباحة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وللإنصاف لا ندعي إعطاء صورة كاملة وواضحة وتفصيلية عن تاريخ هذه البلاد في الزمن المذكور آنفاً، ولكننا نقول إنها تحتوي على معلومات حسنة لمن أراد الدراسة والبحث عن هذه البلاد التي تعاني غموضاً ونقصاً كبيرين في تاريخها المكتوب .

٥. وحتى نسهل على الطالب أو القارئ أو الباحث نقول إن جميع الدراسات المذكورة أعلاه أشارت إلى جزئيات من تاريخ بلاد غامد وزهران في عهد الرسول ﷺ وعصور الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) ، وبني أمية وبني العباس، وإذا نظرنا إلى

---

(١) مازال هناك دراسات أخرى عديدة مطبوعة ومنشورة عن أوطان تهامة والسراة، ولم نوردها في هذا القسم، ويوجد فيها بعض التفصيلات عن بلاد غامد وزهران في القرون الإسلامية المبكرة . للمزيد، انظر: غيثان ابن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزءان الأول والثاني، ومجموع صفحات هذين الجزئين تزيد عن الألف صفحة .

نسبة حضور ذكر أهل وتاريخ بلاد غامد وزهران في الأبحاث السابقة فإن عصر الرسول (ﷺ) فاز بالنصيب الأكبر، يليه عصر الخلفاء الراشدين . أما العصران الأموي والعباسي والقرون الإسلامية الوسيطة (الثامن، والتاسع، والعاشر) للهجرة فهي أقل حظاً ونصيباً مما سبقها، بل إن تاريخ المنطقة الباحوية منذ القرن الثاني إلى العاشر الهجري يكاد يكون مغيباً في معظم كتب التراث الإسلامي. وحتى نهون على الباحث أو نساعده إذا رغب في البحث في تاريخ منطقة الباحة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، فإننا نذكر بعض التوجيهات أو النصائح التي قد تعينه في بحثه، وتدله على الأماكن أو المصادر الرئيسية، أو الموضوعات الجديرة بالدراسة التي قد تعكس بعض الصور التاريخية لهذه الأوطان التهامية والسروية .

أ- يجب على الباحث في تاريخ هذه البلاد أن لا يحصر نفسه في فرع واحد من كتب التراث الإسلامي، فمثلاً يسعى إلى الاطلاع فقط على الكتب التاريخية البحتة العامة أو المقتصرة على موضوع محدد [1]، وإنما الواجب البحث في معظم كتب التراث مثل: المصادر الشرعية كالقرآن وعلومه، وكتب السنن، وكتب الفقه والأموال . والمصادر اللغوية كالمعاجم اللغوية، وكتب اللغة والأدب بجميع فروعها . والمصادر التاريخية الحولية، وتواريخ البلدان، والسير والتراجم والطبقات . والمصادر الجغرافية ومعاجم البلدان وكتب الرحلات والمشاهدات. والكتب الموسوعية مثل: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي، ومسالك الممالك للعمري وغيرها، كما يجب الاطلاع على مصادر أخرى متنوعة مثل: كتب المعادن، والنباتات، والحيوانات، والفلك والنجوم، والأنواء وغيرها . ومن يجتهد في الحصول على معلومات من هذه المصادر فإنه بدون شك سوف يعثر على قدر لابأس به عن تاريخ هذه الأوطان . وقد أصبحت الكثير من مصادر التراث الإسلامي مطبوعة ومحققة ومنشورة، لكن مازال هناك جزء مخطوط وربما مفقود وإذا عثر على قدر من هذه المصادر فقد يجد الباحث أحياناً ضالته المنشودة.

ب- ربما كان تاريخ منطقة الباحة من القرن الثاني إلى العاشر الهجري قليل في المصادر الآنف ذكرها ولكن بالاطلاع على تواريخ اليمن أو السروات أو الحجاز في الكتب الإسلامية التراثية فقد نجد إشارات أو مقاربات أو تشابهات إلى

---

(١) كتب التاريخ العامة مثل: تاريخ الأمم و الملوك للطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وتواريخ ابن كثير وابن خلدون وغيرهما . أما الكتب المتخصصة فمثل : تاريخ المدن والنواحي، أو تاريخ الرجال، أو التاريخ السياسي و الحضاري المحدد بالزمان والمكان .

بعض الصور التاريخية الباحوية، والدارس لسكان هذه البلاد يجدهم يعيشون في أوطانهم منذ العصور القديمة وعبر عصور التاريخ الإسلامي، ومن ثم فهم أصحاب تاريخ وفكر وحضارة، وإن لم يدون في المصادر الإسلامية الأولية، والتعويل على الدراسات الأثرية مهم جداً ويجب الحرص على هذا المصدر المهم الذي يكشف لنا عن صفحات تاريخية قيمة يصعب أن نجدها في أي مصدر أو مكان آخر .

ج- هناك الكثير من الصلات النسبية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين سكان منطقة الباحة مع بعضهم البعض، ومع بعض المراكز الحضارية في بلاد تهامة والسراة، ومع أهل الحجاز وبخاصة سكان الطائف ومكة المكرمة وما حولها، وبالتالي فالباحث في تاريخ الباحة يجب عليه الاطلاع على مصادر تاريخ تلك البلدان المجاورة لعله يجد ما يوضح له بعض الجزئيات المجهولة أو الغامضة. ومن خلال اطلاعنا على بعض مصادر تاريخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمة وجدنا أن هناك صلات سياسية وحضارية قديمة وعميقة بين الحجازيين والغامديين والزهرانيين، بل وجدنا مواطن عديدة في بلاد غامد وزهران سكانها من الحجازيين ومواقع إدارية وتجارية وغيرها في حاضرتي الطائف ومكة المكرمة وأصحابها من أهل السراة كالغامديين والزهرانيين وغيرهم .

ومن الموضوعات والعناوين الجديرة بالبحث في تاريخ منطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ما يلي :

١. سروات غامد وزهران وتهامتها قبيل الإسلام مباشرة تستحق العديد من الدراسات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والأدبية .
٢. دور غامد وزهران في استقبال الدعوة الإسلامية، ثم إسهاماتهم التاريخية والحضارية في بلادهم وخارجها في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين .
٣. بلاد غامد وزهران في عصر الدولة الأموية، وموقف أهلها من الأحداث السياسية التي وقعت في نهاية عصر الخلفاء الراشدين وخلال العهد الأموي (٦٠-١٣٢هـ/ ٦٧٩-٧٤٩ م) .
٤. تاريخ غامد وزهران خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٤٩-١٢٥٨م). وهذا التاريخ يشمل حياة الزهرانيين والغامديين في أوطانهم، وإسهاماتهم السياسية والحضارية في أرجاء الدولة العباسية، أو أرجاء العالم الإسلامي آنذاك .
٥. أعلام غامد وزهران منذ فجر الدولة الإسلامية إلى نهاية العصر العباسي عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .
٦. غامد وزهران (منطقة الباحة) منذ القرن (٧-١٠هـ/ ١٣-١٦م) (دراسة تاريخية حضارية).

٧. الصـلات التاريخية بين الحجاز وبلاد غامد وزهران خلال عشـرة قرون (ق١ـ١٠هـ/ ٧ـ١٦م) .
٨. العلاقـات التاريخيـة والحضـارية بـين غامـد وزهـران وأهـل اليمن خـلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .
٩. مشـاهير غامد وزهران في الطائف، أو مكة المكرمة، أو المدينة المنورة خلال العصـر الإسلامية المبكر (ق١-٣هـ / ٧ - ٩م) أو الوسيط (ق٤-١٠هـ/ ١٠-١٦م) .
١٠. دراسـة لغـة الغامديـين والزهرانيين وفصـاحتهم خـلال القرون الإسـلامية الأولى (ق٢- ٨هـ/ ق٨-١٤م).

٢ـ خلاصة تاريخ الباحة الحديث (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) :

أ ـ تاريخ الباحة (ق١٠هـ حتى أوائل القرن ١٣هـ/١٦ـ ١٩م) .

كانـت منطقـة الباحـة (غامد وزهران) عبر عصـور التاريخ الإسـلامي الوسـيط والحديث تخضـع لنفوذ شيوخها وأعيانها، ولم تكن فعلاً تأتمر بأمر غيرهم [١]، ونجد في بعض المصـادر الحجازية أن قبائل غامد وزهران كانت على صـلات جيدة بأهل الحجاز وبخاصة إمارة الأشراف في مكة المكرمة [٢]، ففي عام (٨١٢هـ/١٤٠٩م) نرى شريف مكة حسـن بن عجلان (ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م) يطلب العون والمدد من قبائل السـراة مثل: غامد وزهران وغيرها لصد بعض الاعتداءات المملوكية على الحجاز[٣].

---

(١) هنـاك بعض المصـادر الإسـلامية المبكـرة مثـل : تاريـخ المستبصـر لابـن المجـاور، وناصـر خسـرو في كتابـه (سـفرنامة)، والمقدسـي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تؤكد هيمنة القبيلة على البلاد التهامية والسروية خلال عصور إسلامية مختلفة، وهناك أيضاً مئات الوثائق الحديثة التي تذكر سطوة قبائل أهل السراة وكيـف كانت صـاحبة الحل والعقد في بلادهـا ومع جيرانها . حبذا أن يقـوم أحد الباحثين فيدرس أوضـاع قبائل السراة السياسية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة المبكرة، وكيف كانت علاقاتها مع بعضها البعض أو مع جيرانها من القبائل والقوى السياسية الأخرى. للمزيد انظر: ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ / ق٧ـ ق١٦م)، ج٢، ص ١٧٥ وما بعدها .

(٢) أهل تهامة والسـراة ومنهم غامد وزهران يرتادون مكة المكرمة باسـتمرار، وذلك لأداء الحج والعمرة، والمتاجرة، وبعضهم استوطنوا الحجاز واختلطوا بأهلها سياسياً وإدارياً واجتماعياً وثقافياً . للمزيد عن أشراف مكة سياسياً وحضـارياً، وعن أهل السـراة واتصـالهم بالحجـاز انظر رحلتي ابن جبـير وابن بطوطة، وتاريخ المستبصـر لابن المجاور وأيضـاً أحمد السـباعي . تاريخ مكـة (الرياض : مطبعة العبيكان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، ج١، ص ٣٣٠ وما بعدها، انظر أيضاً موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦) ، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) كانت الحجاز تحت نفوذ دولة المماليك في مصـر، فهي تعين من تريد من الأشـراف وتعزل من تريد، وفي كثير من الأحيان يحدث صـدام بين أمراء الأشراف على السـلطة في الحجاز، ونتيجة لتلك الصراعات كانت قبائل السراة (غامد وزهران وما جاورهما) تتورط في تلك الحروب وذلك بتأييد أمير ضد آخر أو قوة ضد أخرى . ونقول : إن دور قبائل السراة الحربي والسياسي في الحجاز خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (ق٤ـ ق١٣هـ / ق١٠ ـ ق ١٩م) موضوع يستحق أن يكون رسالة دكتوراه أو عنواناً لكتاب علمي أكاديمي .

وفي القرن العاشر الهجري دخلت الحجاز تحت نفوذ الإمبراطورية العثمانية، وبقي الأشراف الحكام المحليين لمكة المكرمة والمدينة المنورة وما جاورهما[١]، ولا نجد مصادر موثوقة تصور لنا تاريخ بلاد السراة بشكل عام أو بلاد غامد وزهران بشكل خاص، لكننا نعثر على بعض الشذرات التي تذكر أن أمراء الأشراف في مكة المكرمة كانوا في حروب أهلية مستمرة من أجل السلطة والفوز بالإمارة، وكان بعضهم على صلات دائمة ببعض الزهرانيين والغامديين وغيرهم من أهل السراة ليقدموا لهم المساعدات الحربية، ويمدونهم ببعض المنتوجات الزراعية والحيوانية، وأحياناً كان بعض أمراء الأشراف يخرجون من مدن الحجاز الرئيسية متوجهين إلى سروات غامد وزهران وما جاورها، وذلك من أجل الإقامة بين أهلها أو الاستعداد وطلب المدد ثم مهاجمة إخوانهم وأبناء عمومتهم من أشراف مكة بهدف السيطرة عليها، وطرد من كان في إمارتها[٢].

وقد يسأل سائل، ماهي أوضاع منطقة الباحة (غامد وزهران) التاريخية خلال القرون الثلاثة الأولى في العصر الحديث، وتحديداً من عام (٩٢٣- ١٢١٨هـ / ١٥١٦- ١٨٠٣م) ؟، وإجاباتنا حسب قراءتنا في كثير من المصادر والوثائق المتعلقة بتواريخ اليمن والحجاز وتهامة والسراة، وتواريخ الدولة العثمانية وغيرها من الإمارات والحكومات والقوى المعاصرة، هي على النحو التالي :

١. هناك الكثير من المؤرخين العرب والمسلمين وغيرهم تحدثوا عن تاريخ دولة بني عثمان، فمنهم من ظلمها ولم يعطها حقها وإنما سعى إلى تعقب سقطاتها وعيوبها، وآخرون بالغوا في مدحها والثناء عليها وتجاهلوا ما وقعت فيه من أخطاء، وفريق ثالث وهم قلة وبخاصة من العرب والمسلمين كانوا منصفين إلى حد ما فيما دونوا عن هذه الإمبراطورية المسلمة، ونحن لا ننزه هذه الدولة الإسلامية من العيب خصوصاً فيما يتعلق بتاريخ العرب والمسلمين، لكنها كانت دولة إسلامية سنية استطاعت أن

---

(١) دخلت الحجاز تحت نفوذ الدولة العثمانية منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وبقيت على هذا الحال خلال عصر بني عثمان الأول حوالي ثلاثة قرون (٩٢٣-١٢١٨هـ/١٥١٦-١٨٠٣م) وبقي الأشرافٍ هم أمراءٍ الحجاز من قبل العثمانيين، ومعهم بعض القوى العثمانية التي تشارك في حكم الديار الحجازية سياسياً وعسكرياً.

(٢) الدارس أحوال الحجاز السياسية منذ القرن العاشر الهجري إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري (١٦-١٩م)، يجد أن الحروب الأهلية بين الأشراف كانت هي الطاغية في أنحاء البلاد، والعثمانيون وإن كانوا أصحاب النفوذ العام على الحجاز وغيرها كانوا مشغولين بحروب ومشاكل عديدة في العالم، وتركوا أرض الحجاز بل الجزيرة العربية في صراعات وحروب دامية، وذلك مما أثر في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية وغيرها . ونقول إن دراسة أحوال الناس الحضارية في الحجاز وما جاورها في القرون (١٠-١٣هـ/١٦-١٩م) موضوع يستحق أن يخرج عنه عدد من الدراسات العلمية الأكاديمية، مع الحرص على دراسة الأحوال السياسية وأثرها في الجوانب الحضارية الأخرى، ونأمل أن نرى بعض طالباتنا وطلابنا في برامج الماجستير والدكتوراه بأقسام التاريخ في الجامعات السعودية يتولون هذه الحقب وهذه الموضوعات بالبحث والدراسة الأكاديمية الرصينة.

تحمي المقدسات الإسلامية وديار العرب والمسلمين لقرون عديدة، في الوقت الذي كان يتربص بهذه البلاد الكثير من الأعداء وعلى رأسهم الدولة الصفوية الشيعية الرافضية، ناهيك عن قوى الغرب بدءاً بالبرتغاليين في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، ومن جاء بعدهم من أعداء المسلمين الذين كانوا يسعون إلى القضاء على كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين، وهذه الإمبراطورية العثمانية كانت صاحبة الفضل بعد الله في الذب عن حياض العرب والمسلمين في تلك العهود الصعبة والحرجة [١].

٢. كانت جزيرة العرب ترزح تحت قوى وإمارات محلية تعترف بالولاء الفعلي وأحياناً بالولاء الاسمي للإمبراطورية العثمانية، إلا إنها في واقع الأمر في حروب وصراعات داخلية من أجل السيطرة على مقاليد الحكم، أو الفوز ببعض المكاسب السياسية والإدارية والمادية، وإذا نظرنا في أحوال الناس العامة في ظل تلك القوى المتصارعة فلا أمن أو حياة مستقرة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وإنما عموم الناس يعيشون حياة الكفاف وغالباً كان الجهل والفقر والجوع والمرض والخوف هو السائد في أرجاء البلاد[٢].

٣. لم تكن بلاد الباحة (غامد وزهران) تخضع لسلطة سياسية مباشرة، وإن كان بعض أعيانها وشيوخها على صلات بالأمراء الأشراف في الحجاز، أو ببعض القادة أو القوى العثمانية في الحجاز أواليمن وما بينهما[٣]، وفي اعتقادي الجازم أنهم كانوا على منهاجهم الذي عرفوه وعاشوه خلال القرون الإسلامية الوسيطة، وذلك كما

(١) من يدرس تاريخ دولة بني عثمان سياسياً وحضارياً، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي، سوف يجد لها سلبيات عديدة وبخاصة تجاه العرب، لكن إيجابياتها أيضاً كثيرة تجاه المسلمين وأحياناً العرب، ونأمل أن نرى من الباحثين المنصفين من يقوم بدراسة ما على هذه الدولة ومالها، مع الحرص على الإنصاف والمصداقية في الرصد والتدوين . والناظر اليوم في سياسة الدولة الصفوية الإيرانية وعلاقاتها بالقوى الغربية الصليبية والشرقية الملحدة يجد أن التاريخ يعيد نفسه تجاه العرب والمسلمين . ونأمل من الله عز وجل أن يقيض لبلاد العرب والمسلمين في يومنا هذا أمثال الإمبراطورية العثمانية فتدحر الظلم، وتجمع بلاد الإسلام والمسلمين، وليس ذلك على الله بعزيز .

(٢) كانت هناك حواضر رئيسية في الجزيرة العربية، وكانت حياة الناس فيها أحسن حالاً من عموم طبقات المجتمع، في أنحاء البلاد، وهذا ما قرأنا عنه في بعض المصادر أو الوثائق التاريخية السياسية والحضارية. ونقول إن دراسة تاريخ عامة الناس سياسياً وحضارياً في نواح عديدة من جزيرة العرب خلال ثلاثة قرون (٩٠٠-١٢٠٠هـ/ ١٤٩٤-١٧٨٥م)، موضوع مهم وجديد في بابه ويستحق أن يخرج عنه عشرات الرسائل والكتب والبحوث العلمية، ونأمل من المؤرخين الباحثين الجادين أن يلتفتوا إلى دراسة هذه القرون الإسلامية الحديثة .

(٣) في اعتقادي أن ما بين اليمن والحجاز، والمعروفة بـ (تهامة والسراة)، كانت خاضعة لأعيان وشيوخ القبائل، وأحياناً كانت القبائل تتحالف فيما بينها، وتكتب بينها عقود واتفاقيات من أجل الدفاع عن بلادها ضد من يعاديها أو يهاجمها . لقد اطلع الباحث على عشرات الوثائق والاتفاقيات التي تذكر تحالف عدد من القبائل في حلف واحد يطلق عليه اسم القبائل المتحالفة، أو بعض الأسماء الدالة على تحالفهم، ومعظم بنود تلك العقود تؤكد التآزر والتعاون والبقاء يد واحدة ضد أي عدو أو خطر يداهمهم .

وصفهم بعض الرحالين المتقدمين، فابن المجاور في القرن (السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) يقول " أنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشائخ منهم ... "[١]. ويورد تفصيلات أكثر عنهم فيقول: " .. ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ... وبهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعضهم، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طوال الدهر على هذا الفن، وجميع زروعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل، وهم في دعة الله وأمانه ... "[٢].

وهذه المعلومات التي حفظها لنا ابن المجاور تقرب لنا الصورة نوعاً ما عن حياة الغامديين والزهرانيين السياسية وشذرات من أحوالهم الإدارية والاقتصادية والأمنية[٣]، وفي اعتقادي أن هذه فعلاً الحياة التي عاشوها ثم استمروا عليها حتى ظهور الدولة السعودية الحديثة[٤].

٤. من يدرس مصادر تاريخ اليمن والحجاز سوف يجد شذرات متفرقة عن التاريخ السياسي والحضاري لبلاد غامد وزهران وما جاورها [٥]، ومن يتجول في أرجاء منطقة الباحة (غامد وزهران) فسوف يلحظ الكثير من النماذج الحضارية التي

---

(١) انظر : جمال الدين ابن المجاور . تاريخ المستبصر (ليدن : بريل، ١٩٥١-١٩٥٤م)، ج١، ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧ . للمزيد انظر: غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢، ص ١٧٧-١٧٨، المؤلف نفسه، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦)، ص ١٤٧ .

(٣) للمزيد عن الحياة السياسية والحضارية لسكان بلاد غامد وزهران وغيرهم من أهل تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وأوائل الحديثة . انظر، ناصر خسرو، كتابه سفرنامة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٣م)، ص ١٤١، وغيره من الجغرافيين والرحالة المسلمين مثل: ابن خرداذبة، كتاب المسالك، والمقدسي، أحسن التقاسيم، وابن جبير، الرحلة، وابن المجاور، تاريخ المستبصر، وابن بطوطة، الرحلة وغيرها .

(٤) من خلال اطلاعنا على آلاف الوثائق التاريخية في القرون (٩-١٤هـ/١٥-٢٠م) وجدنا أن عموم بلاد تهامة والسراة بما فيها غامد وزهران كانت تدين بالولاء الكامل لشيوخها وأعيانها، وإذا رغبت في المشاركة الحربية أو الاجتماعية وغيرها فلا يخرج أفراد العشيرة أو القبيلة الواحدة عن رأي شيوخهم وأعيانهم . وأثناء قراءتنا في بعض تلك الوثائق وجدنا أحياناً الجور والظلم قد يحل من شيوخ القبيلة على بعض أفرادها، كما أن العقوبات والحل والعقد هو في يد أولئك الشيوخ ومعهم من يساندهم وأحياناً يداهنهم أو يشجعهم من أبناء القبيلة نفسها على اتخاذ قراراتهم وتطبيقها . ونقول إن دراسة وثائق تلك الفترة ومعرفة أصحاب النفوذ والقوى في القبيلة، وما ينتج عن إداراتهم لقبائلهم من سلب وإيجاب موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه أو كتاب علمي أكاديمي.

(٥) نعم تلك المصادر لا تخلو من جزئيات تعكس تاريخ السروات بشكل عام وغامد وزهران بشكل خاص. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برامج الماجستير والدكتوراة، فيدرس تلك المصادر ويستخرج ما ذكرت من تفصيلات عن بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الهجري (ق٧ - ٢٠م) .

تعطي صوراً تقريبية لتاريخ هذه البلاد[١]، ومن تلك النماذج ما يلي :

أ. بعض قرى ومنازل وقصور الشيوخ أو الأسر العريقة في منطقة الباحة، وتلك الأنماط المعمارية يعود تاريخها إلى الوراء مئات السنين، وهذا ما يؤكد أن أصحاب هذه البلاد أصحاب بناء وحضارة[٢] .

ب. بعض العقود والصكوك والوثائق التي تصور بعض العادات والتقاليد والأعراف عند أهل البلاد، أو تذكر بعض العقار والأملاك وبها العديد من أسماء الأماكن والأعلام، ناهيك عن ماذكر فيها من معلومات، أو صياغات علمية وثقافية [٣].

ج. وجود بعض الطرق والأسواق القديمة، وكذلك بعض الألبسة وأدوات الزينة والطعام التي عرفها أهل البلاد منذ مئات السنوات، وربما بعضها عرف عند أهل البلاد من العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة[٤] .

د. بعض القصص والروايات والأشعار الشعبية والأخبار والمفردات اللغوية التي تناقلتها الأجيال عبر العصور الإسلامية، ومثل هذا النوع من المصادر يجب التعامل معه تاريخياً بحذر، لكنه لا يخلو من ومضات حضارية تعكس حياة الناس في منطقة الباحة خلال القرون الإسلامية الماضية[٥] .

---

(١) تجول الباحث في أرجاء هذه البلاد مرات عديدة، وكان آخرها في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) شاهدنا في سروات غامد وزهران، وكذلك في أجزائها التهامية العديد من القرى والطرق القديمة والحصون الأثرية التي يعود تاريخها إلى ثلاثمائة وربما خمسمائة عام تقريباً . ومثل هذه المصادر الأثرية جديرة بالاهتمام من قبل مؤسسات التعليم والسياحة، كما أنها أيضاً تستحق البحث والدراسة من قبل الباحثين والمؤرخين الجادين.

(٣) استطاع الباحث أن يحصل أو يطلع على بعض الوثائق والعقود والصكوك الغامدية والزهرانية التي يعود تاريخها إلى القرون (٩، ١٠، ١١هـ/١٥، ١٦، ١٧ م) . وهذه الوثائق تحوي بعض التفصيلات الاجتماعية والاقتصادية . وأحيانا العلمية الخاصة بأهل البلاد، كما يغلب على معظم تلك الوثائق الوضوح في خطها مع ضعف في لغتها وصياغتها . نأمل أن نرى أحد الباحثين من بلاد غامد وزهران يجمع الوثائق المحلية المختلفة ثم دراستها من شتى الجوانب . كما نأمل أن تسعى جامعة الباحة وإمارتها على إنشاء متحف علمي يجمع فيه وثائق المنطقة المحلية وبعض الموروثات الأثرية .

(٤) التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في منطقة الباحة منذ فجر الإسلام إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالبحث والدراسة . نعم إنها موضوعات صعبة جداً، لكن من يعمل ويقارب ويقارن ويجتهد فقد يخرج لنا مادة علمية ذات فائدة .

(٥) عند ذهابي إلى بلاد غامد وزهران مرات عديدة، ثم التجول في أرجائها والسماع من بعض رواتها وشعرائها، وأيضاً التوقف مع بعض ألفاظ أهلها ولهجاتهم اتضح لي أنهم أصحاب حضارة وفكر وثقافة، بل إن بعضاً من الأخبار التي سمعتها تعود إلى القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث . ونأمل أن نرى من باحثي جامعة الباحة أو من أهل التاريخ واللغة في منطقة الباحة من يسعى إلى جمع ذلك الموروث الشعبي والأخبار واللهجات ثم دراستها دراسة علمية أكاديمية . كما نأمل من أقسام الاجتماع والتاريخ والفلكلور واللغة وآدبها في جامعة الباحة وغيرها من جامعات المملكة من يهتم بهذا الباب المهم في معلوماته وتراثه وحضارته .

ب. تاريخ الباحة منذ أوائل القرن (١٣هـ / ١٩م) حتى عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م):

حتى مطلع القرن (١٣هـ/١٩م) نلحظ أن الأوضاع السياسية في الحجاز وما والاها جنوباً كان يسودها الاضطراب والفوضى وعدم الأمن[١]، وفي تلك الظروف كانت الدعوة السلفية الإصلاحية قد ظهرت في نجد على يد الإمامين: الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب[٢]، وامتدت آثارها الإيجابية إلى مناطق الباحة وعسير وجازان والقنفذة ونجران، وبعض أجزاء من بلاد اليمن[٣].

ولن نفصل الحديث عن وصول الدعوة السلفية إلى جنوبي البلاد السعودية، ولن نسهب في الشرح عن امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى جازان وعسير ونجران والقنفذة والباحة، وذلك لأنه صدر عن تلك الفترة عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية[٤]، ولكن لابد من الإشارة إلى بعض المحطات الرئيسية، وهي على النحو التالي:

١. أن الدعوة السلفية أرسلت بعض دعاتها والموالين لها من بعض النواحي في جنوب البلاد السعودية كي ينشروا مبادئ هذه الدعوة بين أهليهم وعشائرهم، وقد نجح محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب (أبو نقطة) في عسير، وأحمد بن حسين الفلقي، وعرار بن شار الشعبي في بعض نواحي جازان[٥]، وهؤلاء الرسل يعدون

---

(١) الدارس أحوال البلاد الممتدة من مكة والطائف شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً خلال القرنين (١١-١٢هـ / ١٧-١٨م)، وكذلك العقود الأولى من القرن (١٣هـ/١٩م) يجد أن القبائل في تلك النواحي كانت هي المسيطرة على تلك الديار، بل كانت الصراعات والغارات القبلية هي السائدة والفائزة بالنصيب الأكبر في جميع أرجاء الجزيرة العربية.

(٢) الدعوة الإصلاحية أو السلفية في نجد مرتبطة بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/١٧٠٣-١٧٩١م)، وهو من أبرز الشخصيات الإصلاحية في العصر الحديث، وقد صدر عنه وعن دعوته مئات البحوث والكتب العلمية.

(٣) الدعوة الإصلاحية ظهرت في نجد في منتصف القرن (١٢هـ/١٨م)، ونمت وترعرت في أحضان أئمة آل سعود الأوائل، ثم امتدت هذه الدعوى تحت مظلة الدولة السعودية الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ / ١٧٤٥-١٨١٨م) حتى وصلت إلى جميع أصقاع الجزيرة العربية، وبلدان اخرى عديدة خارج الجزيرة العربية. للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الدولة السعودية الأولى والدعوة الإصلاحية، انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. الدولة السعودية الأولى (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦م)، ص٧٢، وما بعدها. وللمزيد انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض: د.ت)، ج١، ص١٤ وما بعدها، أحمد عطية الزهراني. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٢٨ وما بعدها.

(٤) انظر قائمة المكتبات المركزية في الجامعات والمراكز البحثية المحلية والإقليمية والعالمية وسوف تجد مصادر ومراجع كثيرة جداً تصب في تاريخ الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى بشكل عام ومناطق جنوب الجزيرة العربية بشكل خاص.

(٥) للمزيد انظر محمد أحمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني (الرياض: مطابع الرياض، ١٣٧٨هـ)، ج٢، ٤٨٢ وما بعدها، عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٢٤ وما بعدها، أحمد آل فائع. دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها (١٢١٥-١٢٣٣هـ/١٨٠٠-١٨١٨م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٣ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٤٤ وما بعدها.

من أوائل المؤسسين للدعوة السلفية في الجنوب، ولم يأت نهاية العقد الثاني في القرن (١٣هـ/١٩م) إلا ومعظم بلدان الجنوب أصبحت موالية وحامية ومدافعة عن الدعوة السلفية في أوطانها[(١)] .

٢. ظهر عدد من المناوئين للدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى مثل: بعض الأشراف في منطقة جازان وبخاصة الشريف حمود أبو مسمار في أبي عريش[(٢)]، وبعض أشراف الحجاز كالشريف غالب بن مساعد [(٣)]، الذي تصدى للقوات السعودية جنوب الطائف وجرى بينه وبينها حروب عديدة أدت في نهاية المطاف إلى هزيمته ودخول الجيوش السعودية إلى مكة المكرمة في عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) [(٤)] .

وفي العقدين الثاني والثالث من القرن (١٣هـ/١٩م)، كانت الدولة السعودية الأولى قد مدت نفوذها على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية، بل أصبحت الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) التي يتولى أمرها الأمراء الأشراف للعثمانيين تحت سيطرة أئمة آل سعود الأوائل، ناهيك عن بلاد تهامة والسراة التي يسوس أمرها لحكام آل سعود إمارة آل المتحمي في عسير (١٢١٥-١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠-١٨١٨م) [(٥)] .

وفي ظل تلك الظروف السياسية لم يكن على الدولة العثمانية إلا أن تتصدى لهذه الدولة السعودية الناشئة، وقد حاولت عن طريق بعض الموالين لها في الحجاز، وولاتها

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) استطاع حمود أبو مسمار أن يمد نفوذه على مناطق عديدة في منطقة جازان، بل تصدى للقوات السعودية ومعظمها من بلاد عسير تحت قيادة الأمير محمد أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب، وأخيراً دخل في صلح مع الدولة السعودية وأصبح أحد رجالها في المخلاف السليماني (منطقة جازان) . للمزيد انظر: عبد الرحمن أحمد البهكلي ، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود . تحقيق محمد أحمد العقيلي (جازان : مطابع جازان، ١٤٠٦هـ، ص ٢١١ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن إمارة الشريف غالب بن مساعد على مكة المكرمة وتصديه لقوات الدولة السعودية الأولى في الطائف ومكة المكرمة انظر، أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٥٥٨ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه، وللمزيد انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٢١ وما بعدها . والدارس لتاريخ الأشراف في تهامة والسراة خلال العصر الحديث يجد أن بعضهم كانوا معادين للدول السعودية الثلاث، وآخرين موالين لأئمة آل سعود وغير متفقين مع أخوانهم وأبناء عمومتهم، وتلك الموالاة والعداوة كانت خاضعة لأسباب وظروف سياسية متعددة . ونقول إن دراسة تاريخ الأشراف السياسي والحضاري وبخاصة في بلاد السراة وتهامة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة موضوع جدير بالبحث والدراسة .

(٥) للمزيد عن إمارة آل المتحمي في عسير انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص٢٨ وما بعدها، أحمد آل فائع، دور آل المتحمي، ص١٧ وما بعدها . لا نجد مصادر ووثائق واضحة تبين تاريخ بلاد غامد وزهران في تلك الفترة، ولكن من خلال استقراء أوضاع الحجاز وجازان وعسير ندرك أن منطقة الباحة قد رحبت بالدعوة السلفية منذ أوائل القرن (١٣هـ/١٩م)، وربما سمعوا بها من قبل ذلك، كما أن الغامديين والزهرانيين كانوا مؤيدين وموالين لحكام الدولة السعودية الأولى مثلهم مثل بعض الحجازيين، وأهل جازان وعسير الذين حاربوا ونافحوا من أجل ترسيخ مبادئ الدعوة السلفية في أوطانهم، وأكبر مثال على ذلك إمارة المتاحمة التي حكمت معظم أجزاء الجنوب لائمة الدولة السعودية الأولى .

في الشام والعراق، ولكنها لم تستطع إلى ذلك سبيلاً، وعندئذ كلفت واليها على مصر، محمد علي باشا، التصدي لهذه القوة الجديدة في الجزيرة العربية، وفي منتصف العقد الثالث من القرن (١٣هـ/١٩م) خرج محمد علي مع ابنيه طوسون وإبراهيم للقضاء على القوة السعودية في نجد وغيرها من أجزاء الجزيرة [١]، وكانت أول محطاته مدن الحجاز الرئيسية التي استولى عليها في الفترة الممتدة من (١٢٢٦ـ١٢٢٨هـ/١٨١١-١٨١٣م) [٢]، وفي أثناء تلك الحروب مع السعوديين في أرض الحجاز اتضح لمحمد علي أن أكبر مدد يأتيهم من الرجال والعتاد كان من بلاد غامد وزهران وعسير وما جاورها، ولهذا أرجأ القضاء على الدولة السعودية وعاصمتها الدرعية في نجد، وأرسل قواته ثم ذهب بنفسه نحو البلاد الواقعة جنوب الطائف [٣]، ودارت بينه وبين القوات السعودية التي معظمها من أهل الجنوب معارك عديدة من أشهرها وأعنفها معركة بسل جنوب الطائف عام (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)، وقد أحرز محمد علي نصراً حاسماً في تلك المعركة، وفتح له الباب تجاه مناطق الباحة وبيشة وعسير، وكان الأمير طامي بن شعيب، أمير عسير، (١٢٢٤-١٢٣٠هـ/١٨٠٩-١٨١٤م) هو القائد العام لجيوش عسير وما جاورها بعد معركة بسل [٤]، واستطاع الباشا محمد علي أن يواصل زحفه على أجزاء من بلاد السراة حتى دخل مدينة أبها وسيطر عليها وأخيراً تم القبض على الأمير طامي بن شعيب وأرسل إلى مصر ثم الاستانة حيث تم إعدامه هناك عام (١٢٣٢هـ/١٨١٦م) [٥].

وفي رحلة محمد علي باشا العسكرية إلى بلاد عسير واجهت جيوشه العديد من العقبات مع قبائل السراة ومنهم قبائل غامد وزهران التي تصدت لتلك القوى الغازية، وكان على مقدمة القوات السروية الأمير بخروش بن علاس الزهراني، الذي ألحق خسائر

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر: عبد الرحمن الجبرتي. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (بيروت، د.ت) ج٣، ص ٢٢٨ وما بعدها، عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) المصادر والمراجع نفسها، وللمزيد انظر: محمود شاكر، عسير (بيروت، المكتب الإسلامي، د. ت)، ١٦٢ وما بعدها.

(٣) جرت حروب بين جيوش محمد علي باشا والقوات السعودية وكانت الحرب في بداية الأمر سجالاً، ولكن عتاد محمد علي وجيوشه كانت أكثر وأقوى، وبالتالي استطاع أن يدحر الجيوش السعودية ويهزمها في أماكن عديدة.

(٤) الأمير طامي بن شعيب أحد أمراء إمارة المتاحمة، وأحد الرجال المشاهير في الدولة السعودية الأولى، وكان على قدر كبير من الشجاعة والتقى والصلاح، وهو جدير بأن يكتب عنه كتاب أو رسالة علمية أكاديمية، ونأمل من أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية أن يتخذ من هذا العلم وما قدمه من إسهامات عسكرية وحضارية موضوعاً لأطروحه ماجستير أو دكتوراه، وهو فعلاً يستحق ذلك.

(٥) للمزيد انظر، عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٢٠، مازال هناك غموض في هزيمة طامي بن شعيب والقبض عليه ثم ترحيله إلى بلاط الدولة العثمانية، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يكشف لنا بعض المصادر والوثائق الجديدة الخاصة بهذه الفترة وهذا الموضوع، ومن المؤكد أنه مازال في أراشيف تركيا الكثير من الوثائق التي تستحق البحث والتحليل والدراسة.

فادحة بجيوش محمد علي، لكنهم في نهاية الأمر قبضوا عليه وقتلوه[١]، والمعروف عن رجال السروات أنهم أصحاب شجاعة وإقدام، لكن جودة سلاح محمد علي وتطوره جعلته ينتصر عليهم في معارك عديدة[٢].

وبعد انتصار محمد علي باشا على أهل الجنوب كونهم القوة الرئيسية في جيوش الدولة السعودية الأولى[٣]، ركز جهوده تجاه عاصمة السعوديين الأوائل في الدرعية، ومن ثم أوكل تلك المهمة إلى ابنه إبراهيم باشا وسانده بالرجال والعتاد حتى أسقط الدولة السعودية الأولى، ودمر عاصمتها الدرعية عام (١٢٣٣هـ/١٨١٨م)، وبالتالي تحقق للدولة العثمانية هدفها، وهو القضاء على هذه الدولة العربية السعودية من خلال واليها على مصر محمد علي باشا[٤].

ترك محمد علي باشا فرقاً من جيشه في عسير لتحكم البلاد باسمه، ولكن أهل عسير لم يقبلوا ذلك، وإنما ثاروا على تلك الحامية وطردوها، وعندما انتهى إبراهيم باشا من القضاء على الدرعية كلفه والده التوجه إلى بلاد السراة وصولاً إلى عسير من أجل معاقبة الثائرين المتمردين على نفوذه، فخرج إبراهيم من مكة والطائف ومعه الشريف محمد بن عون قائداً عاماً لجيشه فوصلوا إلى بلاد غامد وزهران ورجال الحجر حتى شمال مدينة أبها، وهناك دارت معارك قوية بين العسيريين وقوات إبراهيم باشا والشريف محمد بن عون[٥]، وفي النهاية هُزم العسيريون وألقي القبض على أميرهم محمد المتحمي، وتم إخضاع عسير مرة ثانية للجيوش العثمانية[٦].

---

(١) الأمير بخروش قائد بارع قاد رجاله ضد العثمانيين وانتصر عليهم في مواقع عديدة، وهو جدير بأن يفرد له بحث أو رسالة علمية أكاديمية ترصد إسهاماته المختلفة، كما أن هناك أعلاماً آخرين معاصرين لبخروش مثل: ابن رقوش الزهراني، وابن شكبان في بيشة وغيرهما كثيرون في بلاد تهامة والسراة.

(٢) التاريخ العثماني العسكري في الحجاز وبلاد تهامة والسراة موضوع يستحق بأن يفرد له كتاب أو رسالة علمية أكاديمية، وفي أراشيف الحكومة التركية اليوم الكثير من الوثائق التاريخية الجديدة وغير منشورة وتحوي الكثير من التفصيلات السياسية والحضارية لتاريخ العثمانيين في عسير وجازان والباحة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) وبدايات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) بذل أهل تهامة والسراة جهوداً جبارة في التصدي للجيوش العثمانية خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، ومن المؤكد أن هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة في هذا الباب. ونأمل أن نرى مؤرخاً جاداً يتولى هذه الفترة بالبحث والدراسة العلمية الموثقة.

(٤) انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦) ص ١٦٠. وللمزيد عن توسع محمد علي في الجزيرة العربية، انظر، عائض الروقي، حروب محمد علي في شبه الجزيرة العربية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ)، ص ٢٥ وما بعدها..

(٥) هناك بحوث وكتب عديدة ناقشت هذه التفصيلات مثل: تاريخ عسير لهاشم النعمي، وعسير لمحمود شاكر وأخبار عسير لعبد الله بن مسفر. وربما مازال في أراشيف تركيا وثائق جديدة لم تنشر عن هذه الفترة. أما أشراف الحجاز وعلاقاتهم السياسية والحربية ببلاد السراة وخاصة منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) فهو موضوع يستحق العديد من الدراسات الأكاديمية، وحتى هذه اللحظة لم يخدم بطريقة علمية جيدة.

(٦) انظر المراجع السابق ذكرها في الحاشية السابقة. وللمزيد انظر عائض الروقي، حروب محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٨ وما بعدها.

لكـن العسـيريين لم يسـتكينوا لهـذا الاحتـلال، وإنما قام الأمير سـعيد بن مسـلط العسـيري واسـتولى علـى البلاد عـام (١٢٣٦هـ/١٨٢٠م)، وطـرد القـوى الموالية لمحمد علي باشـا في عسـير، ومن ثم دخلت بلاد السـراة الممتدة من أبها إلى الطائف في حروب متتاليـة بـين العسـيريين في عسـير والأشـراف، وجيوش محمد علـي باشـا في الحجاز، وكانـت بـلاد الحجر (بللحمر، وبللسـمر، وبنو شـهر، وبنـو عمر) وبـلاد غامد وزهران هي الميادين الحربية لتلك القوى المتصـارعة، وعند وفاة أمير عسـير، سـعيد بن مسلط، تـولى أمر البلاد العسـيرية بعده ابن عمه علي بن مجثل عـام (١٢٤٢هـ /١٨٢٦م)، وبقي في حكـم البلاد حتـى وفاته عام (١٢٤٩هـــ/١٨٣٣م)، وجاء بعده أحـد قادته وهو الأمير عائـض بن مرعـي (١٢٤٩-١٢٧٣هـ/١٨٣٣-١٨٥٦م)، ثم ابنـه محمد بن عائض بن مرعي (١٢٧٣-١٢٨٩هـ/١٨٥٦-١٨٧٢م) [(١)] .

وفي الفـترة الممتدة من سـقوط الدرعية عـام (١٢٣٣هـ/١٨١٨م) حتـى نهاية حكم الأمـير محمد بن عائض بن مرعي على عسـير عام (١٢٨٩هــ/١٨٧٢م) نجد بلاد غامد وزهران يسـودها العديد من الاضـطرابات السياسية والحربية، وذلك بسبب ما حدث في نجد أو الحجاز أو عسير، **ونجمل تلك الأوضاع في النقاط التالية** :

١. استمرت جيوش محمد علي باشا وأشراف الحجاز تواصل حروبها ضد غامد وزهران وما والاها جنوباً حتى بلاد عسـير، ومن ثم حدث الكثير من الصـدامات بين جيوشه وأهـالي البـلاد السـروية بقيادة بعض أفراد عسـير مثـل: ابن مسـلط، وابن مجثل، وعائض بن مرعي، وكانت أوطان غامد وزهران في مد وجزر بين تلك القوى المتصارعة في عسـير وفي الحجاز، فأحياناً تنضـوي أو تهادن جيوش محمد علي والأشراف، وفي أوقات أخرى تنضـم إلى جيوش عسـير ضـد أعدائهم، وفي عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) عقد مؤتمر لندن ومن ضـمن قراراته انسحاب محمد علي باشا وجيوشه في الجزيرة العربية، وقد تم هذا الانسحاب فعلاً [(٢)] .

٢. في الفـترة الممتدة من (١٢٥٦-١٢٨٩هـ/١٨٤٠-١٨٧٢م) تكاتفت قوات الدولة العثمانية والأشـراف في الحجاز ضـد أمراء عسـير، وبخاصـة في عهدي الأميريـن عائض بن مرعي وابنه محمد بن عائض (١٢٤٩- ١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م) وجرت حروب دامية

---

(١) لمزيد من التفصـيلات عن تاريخ تهامة والسـراة وبخاصـة بلاد عسـير وما جاورها خلال القـرن (١٣هـ/١٩م)، انظـر : الروقـي، حـروب محمـد علـي في شـبه الجزيـرة العربيـة، علـي أحمـد عسـيري . عسـير (١٢٤٩هــ / ١٨٣٣-١٢٨٩هــ/١٨٨٧م) (دراسـة تاريخيـة) (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هــ /١٩٨٧م)، ص٧٣ وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) انظر الروقي، حروب محمد علي في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٣ وما بعدها .

بين الطرفين في بلاد غامد وزهران وبيشة ورجال الحجر وأجزاء أخرى من بلاد عسير، وهدف كل هذه القوى مد نفوذها وسيطرتها على بلاد تهامة والسراة [١]، والدارس لأحوال القبائل الرئيسية في هذه البلاد يجد أنها متقلبة في سياساتها، فهي مرة تهادن أو تساند العسيريين ضد العثمانيين والأشراف، وأحياناً تكون مع قوات الحجاز ضد أهل عسير [٢]، مع أن الغلبة في معظم الأحيان كانت للأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد اللذين كانا يمدان نفوذهما شمالاً إلى مناطق غامد وزهران وربما تجاوزوها في بعض الأوقات نحو الشمال [٣].

٣. في عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) كانت نهاية إمارة آل عائض في عسير، ومجيء العثمانيين إلى جازان وعسير والباحة والقنفذة والسيطرة عليها سياسياً وعسكرياً، وقد استمروا في حكم هذه البلاد حوالي نصف قرن[٤].

٤. نال منطقة الباحة (غامد وزهران) الكثير من الأذى نتيجة للصراعات والحروب التي وقعت بين الإمارات العسيرية وقوات الأشراف والعثمانيين في الحجاز (١٢٣٣-١٢٨٩هـ/ ١٨١٨-١٨٧٢م). ومن تلك الأضرار: (أ) تدمير قراهم ومزارعهم، وأحياناً قتل رجالهم أو إجبارهم على دفع ضرائب وإتاوات غير شرعية. (ب) نشر الرعب في بلادهم، وذلك مما جعل الأمن مفقوداً، وهذا هو الذي جعلهم مذبذبين في ولائهم إلى تلك القوى الخارجية، وذلك التذبذب لم يكن مقصوراً على أعيانهم وشيوخهم وإنما شمل شرائح كبيرة من المجتمع الغامدي والزهراني[٥]. (ج) من المعروف أن بلاد غامد وزهران ثرية بخيراتها الزراعية والحيوانية، ولهذا حرص الأشراف والعثمانيون في الحجاز على السيطرة عليها. وهناك الكثير من الوثائق والمراسلات بين أمراء وقادة الحجاز وبين الحكومة العثمانية في الآستانة ومصر،

---

(١) للمزيد انظر علي عسيري، عسير، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢) دراسة أحوال بلاد تهامة والسراة السياسية والإدارية خلال القرن (١٣هـ/١٩م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراة . نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، يتولاه بالبحث والدراسة في رسالة علمية أكاديمية .

(٣) دراسة علي أحمد عسيري، عسير (١٢٤٩-١٢٨٩هـ)، وبخاصة إمارة آل عائض جيدة في محتواها وتحليلها، ولكن هذه الفترة مازالت بحاجة إلى دراسة أعمق وأوسع خصوصاً عن الجوانب الحضارية في عصري هذين الأميرين العسيريين . ونأمل أن نرى أحد المؤرخين أو الباحثين الجادين يتولى هذا الموضوع بمزيد من البحث والدراسة العلمية الأكاديمية الموثقة .

(٤) دراسة تاريخ العثمانيين السياسي والحضاري وبخاصة في بلاد تهامة والسراة منذ نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق أن يخرج عنه العديد من البحوث والدراسات العلمية الأكاديمية .

(٥) دراسة تاريخ بلاد غامد وزهران السياسي والحضاري وصلاتها مع جيرانها في الحجاز وعسير خلال العقود السبعة الأولى من القرن (١٣هـ/١٩م) موضوع مهم وجيد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو كتاب علمي موثق .

وهي تذكر صراحة أهمية غامد وزهران اقتصادياً وضرورة العمل على دخولها في حوزة القوى العثمانية في الحجاز . (د) العسيريون لم يألوا جهداً في الاستيلاء على بلاد غامد وزهران، وذلك لأهميتها الاقتصادية والجغرافية فهي قريبة الشبه لمنطقة عسير في التضاريس والمناخ وكذلك العادات والتقاليد والأعراف[١] .

ج- تاريخ الباحة منذ عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) :

امتد نفوذ آل عائض شمالاً إلى بلاد غامد وزهران والقنفذة، وسارت بعض الجيوش العسيرية من أبها جنوباً حتى وصلت الحديدة، وهذا التوسع العسيري أقلق الدولة العثمانية وعندئذ جهزت جيشاً بقيادة رديف باشا وأحمد مختار باشا وأرسلته إلى بلاد عسير في نهاية عام (١٢٨٨هـ/١٨٧٢م) من أجل القضاء على إمارة آل عائض، واستطاعت تلك الجيوش العثمانية القضاء على أمير عسير، محمد بن عائض، والسيطرة على منطقة عسير[٢] .

في هذه المرة قررت الدولة العثمانية السيطرة على بلاد عسير عسكرياً وإدارياً، ومن ثم جعلت مدينة أبها المقر الرئيسي لحكمهم، ثم مدوا نفوذهم إلى القنفذة والباحة شمالاً، وجازان وقحطان وبلاد وادعة جنوباً، وقسمت هذه المنطقة إلى سبعة أقسام:، الإدارة الرئيسية (المتصرفية) في أبها، وست مناطق أخرى هي : (١) نواحي القنفذة ومركزها مدينة القفنذة . (٢) بلاد غامد وزهران ومركزها رغدان. (٣) محائل وبارق وقنا ومركزها محائل . (٤) بلاد رجال ألمع ومركزها الشعبين . (٥) بلاد رجال الحجر ومركزها النماص . (٦) جازان وصبيا وأبو عريش ومركزها صبيا[٣]، وجعلت في كل

---

(١) المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف متشابهه ومتقاربة في تضاريسها ومناخها وطبيعة أهلها، وفي عقائدهم وأعرافهم ولهجاتهم وثرواتهم الاقتصادية، بل إنهم مشتركون في الكثير من حروبهم وتواريخهم السياسية . ونقول إن دراسة هذا التشابه والتقارب جدير بالبحث والدراسة، ونأمل من الجامعات السعودية في هذا الجزء السعودي أن تولي هذه البلاد (أرضاً وسكاناً) الكثير في بحوثها ودراساتها العلمية والثقافية والفكرية والأدبية .

(٢) تاريخ العثمانيين السياسي والحضاري في بلاد تهامة والسروات (القنفذة، جازان، الباحة، عسير) جدير بالاهتمام، بل يستحق بأن يصدر عنه عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة .

(٣) هذه الإدارات العثمانية وتلك الفترة الزمنية (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) لم تخدم بحثياً، وهناك آلاف الوثائق الجديدة وغير المنشورة في هذا الباب وهي متناثرة في أراشيف تركيا ومصر وربما عند بعض أعيان وشيوخ بلاد تهامة والسراة . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يقوم بدراسة هذه الحقبة التاريخية المهمة . وللأسف فقد رأيت خلال الثلاثين عاماً الماضية بعض الشيوخ والأعيان في مناطق الجنوب السعودي ولديهم وثائق ومراسلات عديدة تعود إلى ذلك العصر، لكنهم لا يظهرونها وهم بذلك يحبسون علوماً ومعارف تخص هذه الديار التهامية والسروية، وربما يرون أنهم في عصر وحكم يختلف عن ذلك الزمن، ولا يرغبون في إخراجها خوفاً من المساءلة، أو أن يقال إنهم مصدر تلك الوثائق، وهذه فعلاً نظرية خاطئة ونأمل أن يتعقلوا ولا يضنون بهذا الموروث التاريخي والثقافي والحضاري لهذه البلاد العربية الماجدة .

ناحية من هذه البلاد التهامية والسروية حاكماً عثمانياً يدير شؤون الحكم فيها ويرتبط بالمتصرف العام في أبها [١] .

وأصبحت بلاد غامد وزهران ناحية إدارية تتبع متصرف عسير، لكن المصادر وبعض الوثائق تشير إلى أن الأشراف والنفوذ العثماني في الحجاز كانوا يمدون نفوذهم إلى منطقة الباحة من أجل قمع المتمردين والثورات المحلية هناك، ففي عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) أرسلت حملة من مكة إلى الباحة بقيادة علي باشا ورفعت بك من أجل إخضاع ومعاقبة بعض الشيوخ والأعيان الغامديين والزهرانيين[٢]، وفي عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) أرسلت قوات للإشراف والعثمانيين من الحجاز عبر منطقة الباحة وذلك من أجل قمع بعض الثورات المحلية في بلاد بني شهر وبني عمرو وبلقرن وما جاورها[٣] .

وفي عام (١٣٢٠، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٢، ١٩٠٣م) أرسلت متصرفية عسير بعض الجيوش العثمانية إلى بلاد غامد وزهران، ودارت معارك بين أهل البلاد الأصليين وتلك الجيوش الغازية، وكانت الغلبة في معظم الأوقات للغامديين والزهرانيين، بل تطورت تلك المعارك إلى قتل قادة الجيش العثماني مثل أحمد باشا ومساعده وكثير من العساكر العثمانيين[٤]، وفي عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) أصبحت القوات العثمانية في الباحة غير قادرة على ضبط البلاد، بل صارت عاجزة عن حماية نفسها، ومن ثم انحسروا على أنفسهم، وتحول اتصال الأعيان والمشايخ من غامد وزهران مع الشريف في مكة المكرمة[٥] .

---

(١) لقد تولى المتصرفية العثمانية في أبها (عسير) ستة عشر متصرفاً هم: (١) رديف باشا (٢) أحمد مختار باشا. (٣) عثمان بك (٤) حيدر بك (٥) أحمد فيضي باشا .(٦) تحسين باشا. (٧) رفعت باشا. (٨) محمد أمين باشا. (٩) يوسف باشا .(١٠) أمين باشا. (١١) موسى كاظم باشا . (١٢) إسماعيل حقي باشا. (١٣) كاظم باشا .(١٤) سليمان شفيق باشا . (١٥) علي حيدر بك . (١٦) محي الدين باشا. للمزيد انظر غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٥٤. وإيجاد تراجم مطولة لهؤلاء الحكام وما قاموا به من جهود وأعمال سلبية وإيجابية في كثير من بلاد تهامة والسراة موضوع يستحق أن يفرد له العديد من البحوث والدراسات، ونحن على يقين أن في أراشيف مصر وتركيا الكثير من الوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٢) استطاعت تلك الحملة العثمانية القبض على بعض شيوخ غامد وزهران وحبسهم، بل فرضوا عليهم ضرائب وخدمات أخرى عديدة يقدمونها للجيش العثماني . للمزيد انظر علي السلوك. غامد وزهران، السكان والمكان، ص ٢١٧ .

(٣) المرجع نفسه، ٢١٧، ٢١٨ . انظر أيضاً : موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦)، ص ١٦٥ .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) المراجع نفسها . وللمزيد انظر، إبراهيم أحمد الحسيل. غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان (جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص٣٠٤ وما بعدها . والواضح أن بلاد غامد وزهران في عهد النفوذ العثماني الأخير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) كانت متأرجحة فأحياناً تقمع الثورات فيها من قبل الحجاز وربما ذلك لقربها من مكة والطائف، وأحياناً من عسير، والملاحظ أن القوات العثمانية في الحجاز كانت أفضل من عسير في ضبط البلاد الغامدية والزهرانية للقوات العثمانية، وموقع منطقة الباحة السياسي والإداري في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) غير ثابت فأحياناً يتبعون للحجاز وأخرى لعسير، وهذا التأرجح لحقهم إدارياً في عصر الدولة السعودية الحديثة فتارة يتبعون للطائف أو مكة أو بيشة أو أبها أو الرياض أو جدة، وربما في الثلاثين سنة الأخيرة بدأ وضعهم الإداري يستقر أكثر مما كان عليه من قبل . وذلك بفتح مؤسسات إدارية رئيسية في بلادهم تقوم على خدمة البلاد والعباد.

وفي عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) ظهر السيد محمد بن علي الإدريسي في صبيا بمنطقة جازان[(١)]، ومد نفوذه إلى نواح عديدة في بلاد تهامة والسراة، وقد وصلت دعوته إلى بلاد غامد وزهران، فلم يكن على بعض شيوخها الرئيسين مثل: عبد العزيز الغامدي، وراشد بن جمعان بن رقوش إلا الذهاب عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) مع وفود قبائل سروية وتهامية أخرى حتى قدموا على الإدريسي في صبيا، وقدموا له الولاء والطاعة[(٢)]، وفي العام نفسه أرسل السيد الإدريسي عامله وقائد جيشه السيد مصطفى بن محمد النعمي إلى بلجرشي في بلاد غامد[(٣)]، فأقام بينهم بعض الوقت، ثم عاد إلى أبها من أجل المشاركة في محاصرة الإدريسي لأبها، ولكن ذلك الحصارلم يستمر لأن الشريف حسين بن علي خرج من الحجاز بأمر من العثمانيين وفك حصار الإدريسي عن أبها عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م[(٤)]، وبالتالي عادت بلاد غامد وزهران إلى ولاية الشريف حسين في مكة[(٥)].

ومنذ عام (٣٧-١٣٣٨هـ/١٩-١٩٢٠م) مدت الدولة السعودية الحديثة نفوذها إلى أجزاء من بلاد تهامة والسراة مثل: عسير وما جاورها، وتاريخ ضم عسير إلى الدولة السعودية مكتوب في كثير من البحوث والرسائل والدراسات[(٦)]، أما بلاد الباحة فالوصول إليها كان عن طريق قادة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في بيشة وتربه والخرمة ورنية أمثال: سلطان بن بجاد، والشريف خالد بن لؤي[(٧)]، اللذين اتصلا ببعض

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن السيد محمد الإدريسي ودعوته في جازان وانتشارها في أصقاع عديدة من البلاد التهامية والسروية، انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٦٢٦ وما بعدها، أميرة علي المداح. المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة. رسالة دكتوراة من قسم التاريخ. جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ص ١١ وما بعدها.

(٢) انظر :السلوك، غامد وزهران، ص ٢٢٢. للمزيد انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٦٢٦ وما بعدها.

(٣) المراجع نفسها.

(٤) للمزيد عن حصار الإدريسي لأبها انظر: يوسف حسن العارف. أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير) (١٣٢٦-١٣٣٠هـ/١٩٠٨-١٩١٢م) (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٧٠وما بعدها. ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٦٣.

(٥) من يتابع تطور تاريخ مكة السياسي والحضاري منذ فجر الإسلام حتى العصر الحديث يجد أنها على صلات قوية ومتينة مع حواضر الحجاز الكبرى مثل: الطائف وجدة والمدينة المنورة. ومقارنة أوضاع هذه البلاد وصلاتها مع ما يليها جنوباً مثل: الباحة، وعسير، وجازان، ونجران يجدها محدودة وأحياناً نادرة بعكس علاقاتها مع بلاد الحجاز القديمة والقوية. وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة، نأمل أن نرى من يتصدى له ويخرجه في كتاب أو رسالة علمية أكاديمية، مع أنه يستحق دراسات وبحوث عديدة.

(٦) من خلال الاطلاع على قوائم المكتبات المركزية والعامة في البلاد السعودية، وفي عدد من مراكز البحوث والمكتبات العلمية المحلية والإقليمية والدولية نجد عشرات بل مئات الدراسات التي ذكرت دخول منطقة عسير تحت لواء الملك عبد العزيز، ومن المؤكد أنه لازال هناك وثائق وروايات جديدة لم تنشر وربما لم توجد ونأمل أن نرى من يجمعها ويدرسها.

(٧) سلطان بن بجاد والشريف خالد بن لؤي يستحقان دراستين أكاديميتين توضح سجلهما التاريخي قبل انضمامهما إلى الملك عبد العزيز وبعده. كما أن خالد بن لؤي يستحق أن يفرد له دراسات عديدة توضح أعماله عندما كان يعمل مع الشريف الحسين بن علي، وما هي الأسباب التي جعلته يترك الشريف ويلتحق بابن سعود؟ ثم أعماله في محاربة أهل غامد وزهران وكيف تم حرق بعض قرى غامد مثل بلجرشي وغيرها. وهذه موضوعات مازالت تستحق البحث والدراسة، ونأمل أن يظهر في المستقبل من يدرسها دراسة علمية أكاديمية.

شيوخ زهران وغامد يدعونهم إلى الدخول في حكم ابن سعود، بل إن الإمام عبد العزيز نفسه أرسل العديد من الرسائل إلى شيوخ غامد وزهران يحثهم على مراجعة القائد خالد بن لؤي في جميع أمورهم، وفي آخر عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) خرج وفدان من زهران وغامد وقابلا خالد بن لؤي في تربه وأعطوه البيعة للملك عبد العزيز[١] .

ومن بعد عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) ساهمت غامد وزهران في توحيد البلاد السعودية، فقد شاركوا مع الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل عندما ذهب إلى عسير وسيطر عليها[٢]، كما شاركوا في حصار جدة عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، واشتركوا أيضاً في القضاء على تمرد عبد الله بن فاضل شيخ بني مالك جنوب الطائف عام (١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، وشاركوا أيضاً في قمع الحسن الإدريسي في جازان عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) [٣]، كما أنهم لم يتوانوا في دفع زكواتهم لجباة الدولة السعودية، وكذلك الالتزام بدفع حصصهم في الجهاد في أثناء توحيد البلاد[٤] .

وكانت بلاد غامد مرتبطة إدارياً عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) ببيشة، وقبل ذلك التاريخ كانت مرتبطة بإمارة تربه[٥]، أما سراة زهران فقد ربطت بالطائف منذ عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، وكانت من قبل مرتبطة بإمارة تربة[٦]، أما الأجزاء التهامية من غامد وزهران فكانت منذ عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) حتى أوائل الخمسينيات من القرن الهجري الماضي مرتبطة بإمارتي القنفذة والليث[٧]، وفي عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) أنشئت إمارة مستقلة في زهران، تراجعها عموم قبائل غامد وزهران، وأول أمير لها هو الأمير تركي بن

---

(١) مازالت هناك مئات الوثائق الجديدة وغير المنشورة التي تصب في تاريخ بلاد غامد وزهران في أثناء دخولهم تحت نفوذ الملك عبد العزيز، وكيف كانت صلاتهم مع الشريف الحسين بن علي في الحجاز

(٢) عشرات الكتب والرسائل العلمية دونت تاريخ عسير الحديث وبخاصة في بداية الحكم السعودي الحالي كما فصلت الحديث عن حملات ابن سعود على بلاد عسير وجازان حتى دخلت في حكمه .

(٣) تاريخ منطقة الباحة السياسي في بدايات الدولة السعودية الحديثة يستحق إلى أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية أكاديمية، ونأمل من مؤرخي بلاد غامد وزهران أن يتولوا هذا الموضوع بالبحث والدراسة .

(٤) حسب علمنا أن تاريخ منطقة الباحة المالي والإداري والحضاري في عصر الملك عبد العزيز (١٣٣٨- ١٣٧٣هـ /١٩٢٠-١٩٥٣م) لم يخدم ولم يُدرس بطريقة علمية أكاديمية، ونأمل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات أم القرى، والباحة، والملك خالد أن يتولوا هذا الموضوع بالبحث العلمي الجاد .

(٥) بلاد بيشة وتربه وما بينهما تستحق دراسات تاريخية وحضارية متعددة، وذلك لقدمهما التاريخي، وما جرى فيهما من أحداث تاريخية وحضارية عبر عصور التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث. وهاتان البلدتان جديرتان بأن يصدر عنهما عدداً من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

(٦) التاريخ الإداري والمالي الحديث لبلاد الباحة وتربه ورنية والخرمة والطائف وصلاتهم مع بعضهم البعض تستحق إلى أن يصدر عنها دراسات أكاديمية موثقة .

(٧) القنفذة والليث من حواضر بلاد تهامة، ولها سجل تاريخي جيد في المجالين السياسي والحضاري عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث . وهاتان البلدتان لم تخدما بحثياً، ونأمل أن نرى مؤرخين جادين منصفين يخرجوا عنها بعض الدراسات الأكاديمية الرصينة .

محمد الماضـي، واسـتمرت في مقرها في قرية الظفير حتى عـام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ثم نقلت إلى بلجرشـي وبقيت هناك إلى عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ثم نقلت من بلجرشي إلى مدينة الباحة لتوسـطها بين غامد وزهران، ومازالت موجودة بها حتى الآن تحت مسـمى (إمارة منطقة الباحة)[١].

وقد تعاقب على إمارة منطقة الباحة منذ نشـأتها عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) حتى الآن أربعة عشـر أميراً هم : (١) تركي بن محمد الماضـي. (٢) فهد بن فيصـل آل سـعود .(٣) ناصـر بن موينـع. (٤) عبد الرحمن بن أحمد السـديري.(٥) فهد بن بـاز .(٦) إبراهيم بن عبد الله بن عرفج . (٧) محمد بن صـالح العذل . (٨) عبد الله بن سـعيد بن جريد. (٩) عبد العزيز بن سـويلم. (١٠) سـعود بـن عبد الرحمن السـديري. (١١) إبراهيم بن عبد العزيز . (١٢) إبراهيم محمد الزيد .(١٣) محمد بن سعود بن عبد العزيز آل سعود. (١٤) مشاري بن سعود بن عبد العزيز آل سعود[٢].

ثالثاً: صفحات من تاريخ الباحة الحضاري (ق١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م):

تم جمع مادة هذا المحور من مصادر عديدة مثل: (١) أوراق ومذكرات ووثائق محلية جمعت خلال العقود الثلاثة الماضـية، وأصولها أو صـورها توجد ضمن مكتبة الباحث[٣]. (٢) بعض بحـوث التخرج لطلاب قسـم التاريخ في كلية التربية، فرع جامعة الملك سـعود خـلال العقـد الثاني من القـرن (١٤هـ/٢٠م)[٤]. (٣) روايات وأقوال بعض المسـنين في

---

(١) التاريخ الإداري لمنطقة الباحة في عصـر الدولة السـعودية الحديثة جدير بالبحث وهذا الموضـوع يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية . للمزيد انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير)، ج٥، ص١١٨ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفصـيلات عن هؤلاء الأمراء انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١١٨-١١٩، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٦)، ص ١٦٩. وكل واحد من هؤلاء الأمراء يحتاج إلى ترجمة مطولة تذكر فيها إسـهاماته الحضـارية في منطقة الباحة خلال فترة إمارته، ومن المؤكد أن أرشيف الإمارة يحوي الكثير من الوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع، كما أن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والتعليمي والتنموي لمنطقة الباحة منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٩هـ/ ١٩٣٠-٢٠١٨م) يسـتحق أن يصـدر عنه عشرات البحوث والدراسات العلميـة والأكاديميـة. وهذا من مسـؤوليات جامعة الباحة التي يجب عليها إنشـاء مراكز بحثية متخصصـة بهذا الجانب،كما يجب عليها أيضـاً تشجيع الأكاديميين والباحثين العاملين فيها ليخدموا الأوطان الغامدية والزهرانية علمياً وهذه من واجباتها الرئيسية التي يجب العمل على تحقيقها .

(٣) يوجد ضـمن مكتبة الباحث مئات الوثائق أو المذكرات الخاصـة بتاريخ بلاد تهامة والسراة خلال القرون الهجرية الماضية، ولبلاد الباحة نصيب لا بأس به من هذه المصادر المحلية .

(٤) هناك بحوث عديدة غير منشـورة عن منطقة الباحة ومن أهمها: منطقة الباحة (بلاد بني عمر وغامد وزهران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، لعبد الله بن علي بن سالم العُمري . وهو بحث تخرج من قسم التاريـخ بفرع جامعة الملك سـعود بأبها عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، تحت إشـراف أ. د./ غيثان بن علي بن جريس. ورقمـه في مكتبـة الباحـث (٣٣). (٢) محافظـة المخواة خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م)، من إعـداد محمد درويش الغشام الغامدي، وحمدي عامر موسى العماري، وعلي محمد علي الغامدي . بحث تخرج من قسم التاريخ. جامعة الملك سعود بأبها عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). تحت إشراف أ . د . غيثان بن جريس ورقمه في مكتبة الباحث (١٦٨).

منطقـة الباحة، بالإضـافة إلى بعض الكتب المطبوعة والمنشـورة عن نواح عديدة في بلاد تهامة والسـراة خـلال العقدين الهجريين الماضـيين. **وفي الصفحات التالّيـة نورد بعض التفصيلات عن العناصر التالية:**

١ـ صور من الحياة الاجتماعية :

(*) اتضـح لنـا أن الجنس العربي القحطـاني اليماني هو الغالب على أصول قبائل غامد وزهران، ويوجد بينهم بعض الأجناس العربية العدنانية[١]، والفاحص للتاريخ السياسي والحضاري الغامدي والزهراني خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه وفد إلى هذه البلاد بعض العناصـر غير العربية مثـل: الأفارقة، والأتراك وغيرهم من بلدان العالم الإسـلامي وغير الإسـلامي[٢]، ومنهم من أقام في هذه البلاد لفترات قصـيرة ثم غادروها[٣]، وآخرون وهم قلة مكثوا فيها ومع مرور الزمن صاروا من شرائح المجتمع الباحوي الرئيسية[٤] .

(*) ومجتمع منطقة الباحة يتكون من أسر وفخوذ وقرى والسائح في هذه البلاد يـرى القـرى القديمـة متناثرة في كل مـكان، والدارس لطبوغرافية تلـك القرى يلاحظ حصـانة مواقعها، وتقارب أزقتها ومنازلها، وبسـاطة مرافقها، وهـذا يعكس لنا عدد من الأمور التي نجملها في النقاط التالية :

أ. فقدان الأمن في السـابق جعل أهل البلاد يتعاونون ويتقاربون ويتآلفون في نظام حياتهم وكسب أرزاقهم .

ب. بسـاطة الحياة وقلة ذات اليد دفعت الناس إلى الرضـا بالقليل، فلا مبالغة في بناء دورهم، ولا رغبة في الذهاب بعيداً عن أهلهم وقراهم[٥] .

---

(١) هذا ما عثرنا عليه في كتب بعض الأنسـاب المبكرة وبعض المذكرات والوثائق الموجودة في مكتبتنا العلمية. وقد يأتي يوم (بإذن الله) فنخرج جميع هذه المصادر التاريخية في كتاب مطبوع ومنشور .

(٢) نلحظ أن بلاد الحجاز كانت على علاقات سياسـية وحضـارية مسـتمرة مع بلاد غامدوزهران، ومن ثم فإن بعض القوى العسـكرية في الحجاز كانت تمد نفوذها إلى بلاد غامد وزهران، وبعض من أفراد تلك الجيوش من عناصر تركية وإفريقية وغيرها . كما أن التجارة كانت نشطة بين موانئ البحر الأحمر والحجاز، وكان يرتاد أسواق غامد وزهران بعض التجار وهم من عناصر غير عربية . وللمزيد من التفصيلات عن طبقات المجتمع في منطقة الباحة انظر : غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٦٨ ـ ١٧٣

(٣) للمزيد انظر: المرجع نفسه .

(٤) الذاهـب الآيـب في بـلاد غامد وزهران اليـوم (تهامة وسـراة) يلاحظ بعض العناصـر وهم قلة مـن فئات غير عربية، وبخاصة في الأجزاء التهامية،كما أن المتأمل في بعض المصادر والوثائق الخاصة بمنطقة الباحة منذ القرن (١٢ـ١٤هـ/١٨ـ ٢٠م) يجد معلومات متناثرة تؤكد مجيء بعض العناصر غير العربية إلى هذه البلاد واستقرارهم بها حتى صاروا ضمن نسيج مجتمع الباحة العام . .

(٥) مقارنـة مواطـن الاسـتيطان اليوم مع أوضـاع الناس قديماً يجد مبالغـة الناس في وقتنا الحاضـر في بناء المنازل ومرافقها، بل صـار الكثير منهم يحرص على الاسـتقلال في مسكنه ومطعمه ومشـربه وشؤون حياته. وهذا نتيجة للأمن السـائد في الأوطان والمال والخير الكثير الموجود في أيدي الناس . للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

ج ـ أفـراد القريـة الواحدة وأحياناً القرى المتقاربة ينتسـبون في جد واحد وربما في جديـن أو ثلاثة فقط، ومن ثم فهم أسـر متقاربة في النسـب وفي الموطن، وكان لهـم من الأعراف والنظم والتقاليد ما يجعلهم متكاملين متوافقين متكاتفين في شؤون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية(١) .

(*) والعمـران في منطقـة الباحـة متنـوع من القـرى المكونة من منـازل وحصون حجريـة وغالبيـة هذه القرى في الأجزاء السـروية (٢) ،ولا تخلو بعض القرى التهامية من منازل مبنية بالقش والأخشاب، ويطلق عليها عشش ومفردها عشة(٣)، وهناك أبنية اخرى مثل: القصـور والحصون في القرى أو على رؤوس الجبال أو في بعض الأودية والهضاب(٤) ، وكذلك المسـاجد، والأسواق، والمقابر، والكهوف، والآبار، والمدرجات الزراعية، والعيون، والأحمية، والسدود والمصدات الزراعية وغيرها(٥) .

والحديـث عن العمران، وأدواته والوسـائل المسـتخدمة في البناء، والثقافة السـائدة بين الغامديين والزهرانيين في ميدان العمارة والتشـييد موضوع كبير ويستحق العديد من الدراسات العلمية (٦)، ومن يقارن بين أنواع العمارة قديماً وحديثاً فسوف يجد فروقاً كبيرة

---

(١) يوجد في مكتبة الباحث العديد من الوثائق والاتفاقيات التي يعود تاريخ بعضها إلى القرنين (١٢ـ ١٣هـ/١٨ـ١٩م)، وبها الكثير من البنود والعقود والاتفاقات التي تنظم سير حياة الناس في القرية الواحدة أو في القرى المتعددة التي تعود في نسـبها إلى فخذ أو عشـيرة واحدة . ومثل هذه الاتفاقات أو القواعد الاجتماعية جديرة بالبحث والدراسة. نأمـل مـن مؤرخي منطقة الباحة أن يجمعوا مثل هذه الوثائق التاريخية الحضـارية ثم يقوموا بدراسـتها وتحليلها وتوثيقها .

(٢) السـائح في سـروات الباحـة يلحظ عدداً مـن القرى القديمـة التي تتكون منازلهـا من دور ودورين وربما بعضهـا يرتفـع إلى أكـثر مـن ذلك، ويوجـد في بعض هذه القرى قصـور أو حصـون قديمة يصـل ارتفاعهـا إلى أربعة أو خمسـة طوابق، وبعضـاً من هذه الحصـون والقرى يعود تاريخها إلى القرون الإسلامية الوسـيطة، أو إلى القرنين (١٢ـ١٣هـ/١٨ـ١٩م) . كمـا يوجـد في حوزة الباحث صـور من بعض الصـكوك أو الوثائق لبعض حصـون ومنازل منطقة الباحة وتواريخها منذ قرنين أو ثلاثة .

(٣) للمزيد عن أنواع المنازل في منطقة الباحة انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٧٥ ـ ١٨٠ ، وانظر عبد الله بن سالم العُمري . منطقة الباحة .. خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/ ١٩ـ٢٠م) . بحث تاريخي غير منشـور، قسـم التاريخ، جامعة الملك سعود ـ فرع أبها (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص ٣٣ـ٣٦ .وفي هذا البحث تفصيلات عن أنواع المنازل وأحجامها، وطريقة بنائها، وطرق اسـتخدامها، والأيدي العاملة التي عمرتها، واختلاف أشكالها وموادها في البوادي والسروات وتهامة.

(٤) تم تدوين تفصيلات حول هذه الأبنية في كتاب:القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٧٥ ـ ١٨٠ .

(٥) المرجع نفسـه، ج٥، ص ١٨٠ ـ ١٨٧ . وتاريخ العمارة القديمة في منطقة الباحة ومقارنته مع أنواع العمارة الجديدة اليوم موضـوع جديد ويسـتحق أن يخرج عنه عدد من الدراسـات، ونأمل من جامعة الباحة، أن تنشئ كلية للعمارة ضـمن منظومتها الأكاديمية حتى تقوم بدراسـة أنواع العمارة في منطقة الباحة بل في عموم بلاد تهامة والسـراة . كما نأمل من المؤرخين الغامديين والزهرانيين أن يؤرخوا لأنواع العمارة في بلادهم .

(٦) إجـراء دراسـات مقارنـة بين أنـواع العمارة قديماً وحديثاً موضـوع يسـتحق أن يتصـدى له العديد مـن الباحثين المتخصصـين الجيدين، بل إن الجامعات المحلية في عسير والباحة ونجران وجازان عليها مسؤولية كبرى لدارسة العمران وأنواعه وتاريخه في عموم بلاد تهامة والسراة .

وجوهرية بين الماضي والحاضر، بل إن الأبنية والعمارة اليوم تختلف في كل شيء منذ البداية حتى النهاية، ناهيك عن أنواع العمران وأشكاله، وأدواته، والأيدي العاملة، وأثاث المنازل فكل ذلك يختلف تماماً عما كان يعيشه الأوائل في القرون الماضية المتأخرة[١] .

وفي الصفحات التالية نشير إلى نماذج من أدوات المنازل وأثاثها في القرون السابقة، التي انقرض معظمها، وأصبحنا لا نراه إلا في بعض المتاحف الشعبية الموجودة في عدد من مدن وقرى بلاد تهامة والسراة. وهذه الأدوات على النحو التالي. (١) **السرير (القعادة)**: وهي مصنوعة من الخشب على شكل مستطيل ويتم تحبيلها بالحبال المصنوعة من السعف والطفي، وهذه الحبال تسمى بـ(الحديرة) حيث تصنعها بعض النساء بالمنطقة وتتخذ منها وسيلة لتأمين معيشتها، وهذه الحداير تصبغ بعدد من الألوان تكسب السرير منظراً جميلاً ،ولم تكن هذه السرر تتسع لأكثر من نفر واحد، ولا تكفي لسد حاجة جميع أفراد الأسرة بل كان معظمهم ينام على الأرض، والبعض ينام مع أخيه على الكرسي إن كانوا من الأطفال، (٢) **المنبر (المقعد)**: مصنوع من نفس مادة الصنع للسرير، وليس هناك اختلاف إلا في الحجم والمساحة، حيث يكون على شكل مربع ويستخدم للجلوس من قبل الضيوف وكبار السن في المنزل، ولاسيما عند تناول الوجبة الغذائية، ويستخدم في حفلات الزواج فتجلس عليه العروس ليلة زفافها[٢] . (٣) **الحصير**: بساط كبير وجمعه : (حُصر) يضعه الأهالي كفرش للغرف والسطوح عند قدوم الضيوف، ويصنع من السعف وشجر الدوم. (٤) **البسطة (المفتة)** : السفرة المستخدمة للطعام، وتصنع من نفس مادة الطفي، وشكلها دائري وربما مستطيلة أومربعة .(٥) **التفال** : أشبه ما تكون بالمبسطة وتوضع تحت المطحنة لتلقي الحب المطحون وحجزه عن التراب.(٦) **القفة**: وعاء كبير تستخدم لحفظ الحبوب عند الحصاد، وحفظ اللحم في الولائم، وتستخدم أيضاً لنقل الأغراض من السوق إلى المنزل وغيرها، ويصنع من الطفي . (٧) **المنسف (الطبق)** : أشبه ما يكون بالصحن غير انه مقعر يستخدم لتقديم الخبز وبعض الأغراض الأخرى، وهناك أصغر منه في الحجم يسمى المحصل، وتصنع جميعها من مادة الطفي. (٨) **الحفص(المخرجة)** وعاء كبير بشكل مستطيل أشبه ما يكون بحفرة القبر، يصنع من الطفي ويستخدم في نقل السماد الحيواني والطين وغيره من الأغراض الأخرى .(٩) **الزنبيل** : وعاء صغير نسبياً يستخدم لنقل بعض الأغراض الشخصية، وربما استخدم لنقل المحاصيل الزراعية والطين أيضاً

(١) أما تاريخ وطريقة أنواع العمران الحديث فهو باب واسع جداً ويستحق إلى إنشاء أقسام أو كليات علمية أكاديمية تتولى دراسة عمران المناطق الجنوبية السعودية . والأمل في الجامعات المحلية أن تقوم بهذا العمل فهو يعد من واجباتها .

(٢) انظر : الكثير من هذه الأدوات موجودة عند بعض الأسر الزهرانية والغامدية، وأصبحت جزءاً من الموروث الشعبي لديهم .

.(١٠) **الجونة**: أشبه ما تكون بالقدر الصغير، ولها غطاء خاص بها، وتستخدم لحفظ الأغراض الشخصية كالحلي والنقود . (١١) **السجادة (المصلاة)** : مصنوعة من الطفي وتستخدم لغرض أداء الصلاة عليها. (١٢) **المروحة (المشوفة)**: تستخدم للتهوية عند اشتداد الحر، وفي الأماكن المكتظة بالناس لجلب الهواء البارد وتسمى في بعض القرى بـ (المهفة) . (١٣) **التورة**: وعاء للطبخ وهي مصنوعة من الطين.(١٤) **المصب** : بمنزلة القدر ويصب منه المرق والحليب ويصنع من الطين. (١٥) **المروب** : ويستخدم لحفظ الحليب ومشتقاته ويصنع من الطين. (١٦) **الزير**: لحفظ الماء بارداً ويصنع من الطين . (١٧) **الصحفة**: صحن خشبي يصنع من شجر الغرب ويكون عليه نقوش جميلة ويستخدم للأكل، عندما يوضع فيه الطعام (العيش)، أو ما يعرف بـ (المشغوثة) [1] .(١٨) **القدح** : أشبه ما يكون بالقدر الصغير، ويصنع من الخشب، ويستخدم للماء والحليب ومشتقاته .(١٩) **المهراس**: ويستخدم لطحن البن والهيل والزنجبيل وما شابه ذلك، ويكون بعضها كبير الحجم، ويستخدم لطحن البارود، ومعه ما يعرف بـ (الودي) وهي اليد التي يطحن بها .(٢٠) **الشبكة** : أداة لتعليق الأشياء التي يُخشى عليها من الحشرات إذا تركت على الأرض كالسمن وغيره.(٢١) **القربة**: تصنع من جلد الغنم والضأن، وتستخدم لجلب الماء من البئر إلى المنزل، وهي تساعد على بقاء الماء بارداً . (٢١) **الشكوة**: تصنع من جلود الغنم الصغيرة، وتستخدم لمخض اللبن. (٢٣) **العكة** : تصنع من جلود البهم (صغار الغنم) وتستخدم لحفظ العسل والسمن، وقد يلجأ البعض لصناعتها من جلود القطط، وذلك لعدم استطاعة الفئران قرض هذا النوع من الجلد، بينما يسهل على الفأر قرض جلود الأغنام والتغذي على ما بداخلها من عسل وسمن . (٢٤) **الدلو** : يصنع من الجلد، ويستخدم لاستخراج الماء من البئر.(٢٥) **الحبال** : عدة أنواع منها ما يُصنع من الطفي، وبعضها يصنع من ليف الأشجار، مثل شجر السلب، وحبال أخرى من جلود الجمال وغيرها، وتختلف في متانتها حسب نوعيتها وجودة الصناعة . (٢٦) **الخرج** : يصنع من الطفي، وربما من الصوف أو الجلد لوضع الأغراض به، ويوضع غالباً على ظهور الحمير . (٢٧) **الشربة** : **(الدلة)** : مصنوعة من الطين، وتستخدم للقهوة، وتغطى فوهتها ببعض الألياف النباتية . (٢٨) **المحقن**: (القمع) : مصنوع من الطفي، ويستخدم لصب السمن في العكاك، وصب الماء في القربة . (٢٩) **المشهف** : يستخدم لتحميص القهوة على النار. (٣٠) **المعشرة (الطاولة)**: تصنع من الخشب، وتستخدم لوضع القهوة والطعام عليها، عند قدوم بعض الضيوف . وتسمى في بعض الأماكن بـ (التختة) أو (الطربيزة) . (٣١)

---

(١) هذا الوعاء ما زال مستخدماً في بعض المناسبات كالزواج وغيره، ويطلق عليه في بلاد بني شهر وبني عمرو (الصحفة)، وهي أحجام، والحجم الكبير يوضع فيه العيش المعروف بـ (المشغوثة) .

المطحنة : نوع صغير من الحجارة، يصل طولها إلى (٦٠) سم في عرض يتراوح بين (٣٠-٤٠) سم، ولها يد تُعرف بـ (الودي)، وتستخدم لطحن الحبوب، وتصنع في بعض القرى بمنطقة الباحة وقد تستورد من بعض مدن جازان والقنفذة وغيرها[١] . (٣٢) **الرحى** : اسم مشهور من قديم الزمن، تستخدم لطحن الحبوب، وهي قرص حجري دائري يصل قطره إلى أكثر من متر، ومثقوب من المنتصف، ويرفع على أربع قواعد حجرية، وعليه صخرة دائرية أخرى صغيرة يصل قطرها إلى (٣٥) سم أو (٤٠) سم وبها ثقب في المنتصف، وتوضع عصا في ثقبي الحجرين وتحرك بشكل دائري لطحن الحب[٢]، ويصنع هذا النوع في بعض قرى منطقة الباحة مثل قرية دار الرمادة .(٣٣) : **المقشة** : (**المكنسة**): تصنع من الطفي وربما من بعض أغصان الشجر، وتستخدم لتنظيف المنزل. (٣٤) **السفود** (**المخطافة**): مصنوعة من الحديد، وتستخدم لاستخراج ما يقع في الآبار من الدلاء أو الملابس وما شابهها، وتعرف أيضاً بـ (القشاشة) في بعض قرى منطقة عسير.

وهناك بعض الأثاث الذي كان مستخدماً في الماضي في المنازل، ويختلف في نوعه وجودته وعدده من منزل لآخر حسب الحالة الاقتصادية عند الناس آنذاك، ولاشك أن الظروف في الماضي كانت صعبة على أصحابها، إلا أنهم لم يستسلموا، بل بذلوا كل الجهود للتكيف مع بيئاتهم، ففي الأجزاء السروية لم يكن هناك حاجة لآلات التبريد، لأن الجو كان بارداً، بل الحاجة إلى أدوات التدفئة، فتجدهم يستخدمون النار بالإضافة إلى الملابس الثقيلة التي يُصنع بعضها من جلود الأنعام . أما في الأجزاء المنخفضة من المنطقة (تهامة)، ذات الجو الحار صيفاً، فليس هناك حاجة لوسائل التدفئة، بل حاجة الناس إلى البرد فكانوا يقومون برش جدران المنزل وأرضيته بالماء، ليحصلوا على جو بارد، بل يقوم البعض برش ملابسه والجلوس أمام الباب أو الشباك ليحظى بتيار هوائي بارد، ونجد من يقوم برش قطعة من القماش ثم يضعها على الشباك لتلطف من حرارة الهواء الداخل، وهكذا كانت حياة الناس قاسية، فهم يستخدمون الماء في التكييف، على الرغم مما يواجهون من صعوبة رفعه وحمله من البئر إلى المنزل على ظهورهم أو ظهور الدواب[٣] .

---

(١) كثير من هذه الأدوات موجود في بعض المتاحف الشعبية الموجود في بعض مدن وقرى منطقة الباحة. المصدر: مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) الرحى : أداة معروفة عند العرب من قبل الإسلام، وقد أشارت إليها كثير من كتب التراث الإسلامي، بل وجد بعضها في بعض المواقع الأثرية في نجران وعسير والقنفذة، وهي تتفاوت في أحجامها بين الكبير والصغير . شاهد الباحث عدداً من هذه الأرحية في مواقع أثرية ومتاحف عديدة في نجران وجازان وعسير.

(٣) لا ندعي ذكر كل شيء عن العمران في منطقة الباحة قديماً . وقد التقيت ببعض المسنين في غامد وزهران ورووا لنا تفصيلات عن بعض العادات والأعراف المعروفة في عالم البناء قديماً، كما وجدنا بعض الوثائق التي تذكر تفصيلات عن مواقع تم البناء عليها، وفيها ما وصل إلى أصحابها بالإرث، وأخرى بالشراء . وللمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن جريس القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥ ص ١٧٥-١٧٨، عبد الله بن علي بن سالم العُمري، منطقة الباحة، ص٣٧-٤٠.، محمد درويش الغامدي وآخرون، محافظة المخواة، بحث تاريخي غير منشور، كلية التربية، جامعة الملك سعود - فرع أبها (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ص ١٦-٢٨ .

(*) **أماأطعمة وأشربةالغامديين والزهرانيين فكانت من ناتج مزارعهم وحيواناتهم**[١]، وربما جلبوا بعض الأطعمة عن طريق الصيد أو الشراء من الأسواق الأسبوعية[٢]، وكان لديهم بساتين تُزرع فيها بعض الفواكه والخضروات مثل: التفاح، واللوز، والفركس، والتين، والطماطم، والخيار، والكوسة، والجزر، والخس، والجرجير وغيرها من المزروعات المحلية[٣]، ولم تكن أنواع الأطعمة والأشربة متوفرة عند كل الناس، وإنما الفقر والجوع هما المسيطران على حياة السكان، وتتفاوت أوضاع الناس الاقتصادية، فالأغنياء ميسورو الحال في وضع أحسن من الفقراء الذين لا يملكون شيئاً من حطام الدنيا[٤].

ومن عادات أهل المنطقة أن كل أسرة لها سفرة واحدة من الطعام، حيث تصنعه النساء في المنزل، ريثما يحضر أفراد الأسرة من أعمالهم المتمثلة في الرعي والزراعة وغيرها، وعندما تجتمع الأسرة يوضع الطعام على سفرة واحدة (المبسطة) ويلتف حوله جميع أفراد الأسرة ابتداءً بالجد وانتهاء بالحفيد، ويأكلون ما لديهم، وقد يكون الطعام قليلاً، بحيث لو وضع على المبسطة لأكل البعض وبقي البعض الآخر دون نصيب، ومن ثم تلجأ الأم الكبرى، أو رب الأسرة إلى تقسيم الطعام بينهم، ولاسيما الخبز واللحم، وينال كل واحد نصيبه، ويكون النصيب الأوفر لكبير الأسرة، وللابن المجتهد في عمله، أو المريض[٥]. أما في حالة قدوم ضيف على الأسرة، فإنه ينادى من ساحة المنزل باسم

---

(١) من الأطعمة القديمة في منطقة الباحة الخبز (الأقراص، أو القرصان) وتصنع من حبوب الذرة والحنطة والشعير والدخن، والعصيدة، والدغابيس: وهي من أطعمة غامد وزهران الرئيسية، والمعروفة بهذا الاسم في منطقة الباحة، وكذلك اللحوم. والأشربة مثل: اللبن والحليب، والمرق، والقهوة، والشاهي، والسنوت، والزنجبيل. انظر: عبد الله بن علي بن سالم العُمرى، ص ٤١-٤٣، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) في حوزتنا بعض الوثائق التي تذكر بعض الأطعمة الموجودة في أسواق منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ)، مع ذكر أحجامها وأسعارها، وأماكن استيرادها، وأغلبها يصدر من الحجاز.

(٣) يوجد في منطقة الباحة، بل عموم بلاد تهامة والسراة الكثير من المزروعات والفواكه والخضروات. وهناك بعض الوثائق التي تشرح حماية بعض البساتين من اللصوص والطيور والحيوانات، وتفصيلات أخرى حول طريقة ري تلك المزروعات أو البساتين، وأنواع الفواكه والخضروات والمحاصيل الموجودة فيها. ونقول إن دراسة تاريخ الطعام والشراب في بلاد غامد وزهران خلال القرون (١١-١٤هـ/١٧-٢٠م) موضوع يستحق بأن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية، والجميل أن هناك كثيراً من الوثائق والقصص والروايات التي تصب في خدمة مثل هذا الموضوع. ونأمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً يتولى هذا الموضوع بالبحث العلمي الموثق.

(٤) أطعمة الناس وأشربتهم في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أفضل في الكمية والنوع والجودة، من العقود السابقة لعام (١٣٥٠هـ/١٩٣٠م)، لأن أحوال البلاد بدأت تسير نحو الاستقرار بعد دخولها في دولة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وقبل ذلك التاريخ كان الناس في حروب وصراعات وغارات، وذلك مما أثر في مزروعاتهم ومواردهم الاقتصادية، ومن ثم فالمستوى المعيشي كان متواضعاً جداً عما عرفه الناس في الفترة الممتدة من (١٣٥٠-١٤٠٠هـ/١٩٣٠-١٩٨٠م). المصدر: تم الاطلاع على عدد من الوثائق التي تعكس معيشة الناس منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، ومعظمها يصور ما أشرنا إليها.

(٥) هذه العادات عاصرناها في محافظة النماص خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) بل وسمعنا من آبائنا نتفاً من هذه الروايات التي عاشها آباؤهم وأجدادهم.

صـاحب المنـزل (يا فـلان) فيواجهه الرجل بالترحيـب، ثم يخرج من المنزل ليسـتقبله ويهيئ له المتكأ والمجلس المناسب، ويفرش له الفراش الذي يُدخر للضيوف وغالباً ما يكون من الخصـف، (الهدم أو الهتلة) ، ثم يأخذ الأخبار من الضـيف [١]، وتقوم المرأة بتجهيز الوجبة للضـيف، وتقدم له فيأكل بمفرده، وربما شـاركه رب الأسـرة في ذلك الطعام، وما بقي من الأكل يقدم لأفراد الأسـرة الموجودة داخل المنزل، ويتصـور الإنسان عندما نذكر كلمـة وجبـة أنها من الوجبات المعروفة في هذا الزمـن، أو أنها كمية كبيرة من الزاد، على حين أنها في حقيقة الأمر لا تعدو عن كونها وجبة قليلة إلى حد كبير، فقد تتمثل في كسـرة خبز مصحوبة بالقهوة أو السمن، وربما تكون قليلاً من الحب أو السمسم أو غيرها .

(*) لا تختلف الألبسـة والزينة في بلاد غامد وزهران عن عموم الألبسـة في جنوب الجزيرة العربية، لأن معظمها يُجلب من الأسـواق المجاورة وربما البعيدة كأسـواق عسـير أو جـازان أو الطائـف أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة وغيرها [٢]، وتتنوع الملابس حسـب القدرة المادية، فالأغنياء يجلبون لأسـرهم الملابس ذات الجودة الحسنة، ثم تتدرج نوعية اللباس حسـب أحـوال الناس، حتى نجد أن الفقـراء يكتفون بما يسـد حاجتهم وإن قل، بحيث لا يتعدى سـتر العورة، ونظراً لعدم وفرة الألبسـة في الأسـواق بالشكل الذي يضمن وجودها باسـتمرار فقد يلجأ كثير من أهل تهامة والسـراة إلى اسـتخدام جلود مواشيهم وأصوافها في صنع بعض الملابس التي تقيهم شدة البرد في السراة وتخفف من شدة الحر في تهامة [٣]، مع العلم أن أغلب هذه المصنوعات الجلدية تستخدم في السراة لحاجتهم إلى ذلك بسبب برودة الجو، ومنتوجات الأصواف والجلود في تهامة تباع لأهل السراة ويُشترى بها مواد غذائية أخرى، ومما أشـار إليه بعض المؤلفين الأوائل أن سـكان البلاد السـروية

---

(١) هذه عادة عرفها العرب منذ القدم مازالت معروفة عند كبار السـن في جنوبي البلاد السـعودية، وهي أن القادم أو المسافر أو الضيف يروي سيرته القريبة أي من أين جاء ؟ وماذا يريد من زيارته أو قدومه ؟ وماذا واجه في طريقه ؟ وغير ذلك من الأخبار . للمزيد عن تاريخ الطعام والشراب في منطقة الباحة، انظر: ابن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٨٧ ـ ١٩٠، محمد درويش الغشام الغامدي وآخرون، محافظة المخواة، ص ٢٩ ـ ٣٦، عبد الله علي سـالم العُمري، منطقة الباحة، ص ٤١ـ٤٥ . وموضـوع الطعام والشـراب في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراة .

(٢) الدارس لتاريخ التجارة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أن الأسواق الأسبوعية المختلفة في هذه الأوطان تتبادل التجارات فيما بينها، وكانت الألبسـة والأقمشـة من السـلع الرئيسية والمتبادلة. يوجد لدى الباحث عشـرات الوثائق التي تذكر سـلعاً متنوعة متبادلة بين أسـواق الحجاز وعسير وجازان والقنفذة مع أسواق منطقـة الباحة. ونقول إن دراسـة تاريـخ التجارة في تهامة والسـراة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٠ـ٢٠م) موضـوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٣) للمزيد انظر غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص ٦٥ وما بعدها . كما شـاهدنا قبل أربعة عقود الألبسـة المسـتخدمة في تهامة والسـراة، وبعضـها من الصـوف والجلود .

الممتدة من الطائف إلى بلاد اليمن كانوا يصدرون إلى أسواق مكة والمدينة المنورة الحبوب المتنوعة، وذلك لبيعها أو مقايضتها مع سلع أخرى كالألبسة والأقمشة [١]، كما يذكر بعض كبار السن بالمنطقة الباحوية أنهم كانوا يذهبون بأحمال الجمال من تهامة والسراة إلى الطائف ثم مكة فيبيعونها هناك، ثم يعودون بأحمال أخرى من الملابس والسكر وبعض الأغراض الأخرى[٢]، وتتنوع الملابس المستخدمة في منطقة الباحة حسب الجنس والعمر وهي على النحو التالي :

أ- لباس الرأس : اشتهرت المنطقة كغيرها من المناطق الأخرى بتغطية الرأس وهذا اللباس على ثلاثة أنواع (١) العمامة: ويلبسها الرجال منذ العصر الجاهلي، وهي قطعة من القماش وتكون- غالباً- ذات لون أبيض، وتلبس بطرق مختلفة حسب رغبة صاحبها، فالبعض يلفها حول رأسه، والبعض الآخر يطلقها على أكتافه ويثبتها بقطعة أخرى على رأسه، ومنهم من يضعها على رأسه ويلف أطرافها حول رقبته، ونظراً لأنها تظهر مكانة الرجل في جماعته، وتزيد من وقاره، فلا ترى رجلاً إلا هو لابسها، بالإضافة إلى أنها تقي الرأس من حرارة الشمس وشدة البرد، وتضفي على لابسها المنظر الحسن، وينتشر لبسها بين الفقراء والأغنياء، ولا تزال العمامة من أفضل الهدايا التي تهدى إلى كبار السن في منطقة الباحة وما جاورها[٣]، (٢) القبع: يلبسه غالباً الأطفال ذكوراً وإناثاً ليقيهم شدة البرد وحرارة الشمس، وهو مصنوع من القماش أو الصوف ويوضع تحت العمامة ويسمى (القبعة) أو الطاقية، كما أن بعض الرجال يستخدمون ما يسمى بالعقال، ويوضع على العمامة لتثبيتها على الرأس، ونظراً لندرته في الماضي كان البعض منهم يستخدم قطعة من القماش بدلاً من العقال[٤]،(٣) العصابة (المعصبة) : وتستخدم في صفوف النساء لتغطية الرأس كنوع من الحجاب الإسلامي، ويكون بألوان متعدده فمنه الأسود، والأحمر، ومنها ما يجمع ألواناً متعددة والغالب استعمال اللون الأسود، ويسمى (قناعاً)، ومنها ما هو بألوان زاهية، ويسمى(شرشفاً) ويلبس على الرأس ويسدل على الأكتاف والصدر والظهر، أما العصابة فتوضع على الرأس وهي أشبه ما تكون بالغترة (العمامة) الحديثة التي يلبسها الرجال، ومن القناع الأسود ما يقطع كقطع متوسطة المساحة وتستخدم كغطاء

---

(١) انظر أبا الوليد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها (مكة المكرمة، ١٤٢٣ه،/١٩٨٣م) . وللمزيد انظر: رحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة، والمقدسي في كتابه : أحسن التقاسيم، وابن المجاور .

(٢) مقابلة الباحث مع بعض المسنين في منطقة الباحة خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) للمزيد عن تاريخ العمامة، انظر: غيثان بن جريس " العمائم تيجان العرب " مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي، العدد (٨) (المحرم، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٦٦ وما بعدها، المؤلف نفسه . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعة الثالثة) ص ١٢٩ وما بعدها.

(٤) المراجع نفسها . للمزيد انظر: عبد الله علي سالم العُمري، منطقة الباحة، ص ٤٦-٤٧، محمد درويش الغامدي وآخرون، محافظة المخواة، ص ٤٢ وما بعدها .

للوجه، وقد تطور هذا الغطاء فأصبح منه ما يسمى بـ (الشيلة) أو البرقع ويغطي معظم الوجه ما عدا العينين، وهناك نوع آخر يسمى بـ (النقاب) ويغطي ما تحت العينين، وقد يلبس القبع المصنوع من الطفي خاصة عند مزاولة مهنة الرعي(١) .

ب- لباس البدن الداخلي: لم تكن الألبسة الداخلية متوفرة بالشكل الذي يتيح للجميع لبسها، ومع ذلك فالقليل من الناس يملكها وبالأخص الأغنياء وميسورو الحال، فالبعض منهم يلبس ألبسة داخلية مثل السروال والإزار، والغالبية لا يملكون السراويل، وإنما يكتفون بالإزار وهو الجزء الذي يغطي نصف الجسم الأسفل، ومن يملك سروالاً فإنه يلبسه في الولائم والأسفار وعند نزول الأسواق فإذا عاد إلى منزله خلعه وعلقه لمثل هذه المناسبات واكتفى بلبس الإزار، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من النساء، بل إذا عزمت إحداهن على السفر ترسل أحد أبنائها إلى إحدى جاراتها أو قريباتها فتستعير منها سروالاً حتى تعود من رحلتها، وتجدر الإشارة إلى أن بعض النساء في تهامة كن يلبسن الملابس الخفيفة من نفس القماش الذي تصنع منه الأقنعة السوداء حالياً، ونظراً لكونه خفيفاً وشفافاً يظهر ما تحته عندما يخاط على شكل (مدرعة)، فإن النساء وبخاصة الشابات يلبسن تحته ما يسمى بـ (صديرية) أو فنيلة ذات ألوان زاهية تغطي نصف الجسم الأعلى وتستر ما تحت المدرعة، وهذه الفنايل مازالت تفصل في منطقة الباحة وتلبسها كبيرات السن من النساء في المناسبات كالأعياد والأعراس والولائم وغيرها(٢) .

ج- الملابس الخارجية : كان الغالب والمنتشر في بلاد الباحة لبس الإزار كالإحرام والفوطة الجاوية والمصنف والثوب المطرز وغيرها من الأزر الأخرى، كالحوكة التي تصنع من القماش الأبيض وتستخدمها نساء السراة لتغطية مفاتن المرأة، ومازال بعض المسنات في السراة يستخدمنها إلى يومنا هذا، مع وجود ما يغطى به الجذع لدى الرجال كالفنيلة، وهذا منتشر بين الرجال في تهامة، أما الرجال في السراة فقد كانت أحوالهم أحسن من أهل تهامة، فتراهم يمتلكون بعض الثياب الثقيلة، وبعض الفرو والجباب المصنوعة من الصوف أو الجلد، وبعض السراويل، اما الرجل الذي عنده ثوب من أهل تهامة فلا يستخدمه إلا في حضور الأفراح والمناسبات والولائم، ويكتفي فيما عدا ذلك بلبس الإزار، وكذلك النساء في تهامة فلا يعرف عندهن إلا الأزر المعروفة بـ (المدرعة) المصنوعة من القماش الأسود الخفيف، أما النساء في السراة فيلبسن الملابس الثقيلة والمشغولة بالحرير

---

(١) المراجع نفسها، بالإضافة إلى جولات الباحث في منطقة الباحة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص١٣٠ وما بعدها، للمؤلف نفسه، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص٦٧ - ٧١ .

والسلك الذهبي أو المدار، وهو عبارة عن جبة من الصوف الملون [١] . أما القدمان فلم يكن معروفاً لديهم لباس خاص سوى ذلك النعل الذي كان يصنع من جلود الأنعام أو القماش القديم لتغطية الأقدام[٢] .

أما أدوات الزينة عند الرجال فتتمثل في أنواع السلاح كالسيوف والجنابي والخناجر والسكاكين ذات السبتة والمشاعيب (العصي) [٣]، وبعض البنادق القديمة، بالإضافة إلى الأدوات الشخصية، كالطيب الذي يستخرجونه من الريحان والكادي، مع العلم أن بعض الرجال قد (يتختن) يتغرز بالريحان والكادي على رأسه، والبعض يستخدم الحناء في اليدين والقدمين خاصة حديثي الزواج، وبعض كبار السن يخضبون لحاهم بالحناء، وتكحل عيونهم بالكحل، ولبس بعض الخواتم الفضية[٤] .

أما النساء فكان لهن من الزينة أوفر نصيب، حيث تبدأ المرأة بالاغتسال قبل الخروج للمكان المقصود، ثم تستخدم بعض البخور خاصة ما يسمى بـ (**السُعدى**) وهو نبات يزرع في المزارع، وكذلك يختضبن بالحناء ويستخدمن الكحل، ثم تضفر المرأة شعرها مستخدمة الطيب المخلوط من (**زر ومحلب وغيره**)، حيث يسحق ممزوجاً بالماء ويوضع على الرأس، وتستخدم النساء الريحان والبرك والكادي، يجمع ويحزم ثم يوضع على الرأس ويلف عليه بعصابة أو ما شابهها فتظهر تلك الحزمة من وراء الملابس وكأنها مخدة تكسبها رائحة جميلة، وتسمى هذه الحزمة بـ (**العكرة**) . وكان النساء يستخدمن ألبسة من الفضة مثل الأحزمة والعصائب والتيجان والعقود المنظومة من الفضة وتسمى بـ (**المثامين**) ومفردها (**مثمنة**)، وكذلك ما يوضع في الأيدي مثل (**الشمالي**) ومفردها (**شميلية**)، و (**الأوضاح**) ومفردها (**وضح**)، و(**المسك**) ومفردها (**مسكه**) وجميعها فضية، وبعض النساء يلبسن الحجول ومفردها (**حجل**) وتوضع في الأرجل، وخزام من الذهب في الأنف، والخرصان ومفردها خرص، وتلبس العقود المنظومة من الخرز المسمى بـ (**الظفار**) نسبة إلى مدينة ظفار اليمنية، ويلبسن ما يسمى بـ (**لبة**) وجمعها (**لبات**) في عنق المرأة، ومنها (**البتوت**) ولونها أصفر وتكون مزدوجة ومفردها (**بتّ**)، وتوضع في اليد، ويصحب ذلك الخواتم والدبل الفضية، ولا يملك كل النساء هذه الأنواع، بل وجودها

---

(١) المراجع نفسها، انظر أيضاً: محمد درويش الغشام الغامدي وآخرون، ص ٤٣ وما بعدها.

(٢) المراجع نفسها، للمزيد انظر، عبد الله بن علي سالم العُمرى، ص٤٨،٤٩ .

(٣) المشاعيب، ومفردها مشعاب، وهو العصا أو الهراوة التي يحملها الرجل في أسفاره وأحياناً في الاتكاء عليها إذا كان مريضاً أو كبيراً في السن .

(٤) بعض أدوات الزينة القديمة عند النساء أو الرجال توجد في بعض المتاحف الشعبية في بلاد غامد وزهران وعند بعض المناطق الأخرى المجاورة مثل: عسير، وجازان، والقنفذة .مشاهدات الباحث وجولاته في هذه المناطق خلال الماضية المتأخرة .

حسب الحالة المادية للأسرة، وقد تستعير المرأة من إحدى قريباتها شيئاً من ذلك، وربما تكون معها منذ زواجها[(١)]، ومن المعلوم أن لبس هذه الأدوات والزينة غالباً في المناسبات والأفراح ومن أهمها الأعياد والزواج والختان[(٢)] .

(*) **الزواج من عادات أهل الباحة، فهو يزيد الترابط الأسري بين الأفراد والجماعات**، ولكن هذه العادات تختلف من مكان لآخر سواءً في طريقة الخطبة أو الزواج[(٣)] ، وسوف نوضح ذلك في الصفحات التالية:

(أ) **الخطبة :** في بعض الأماكن تتم الخطبة عن طريق النساء، وذلك عندما تخرج المرأة في زواج أو في زيارة مهما كان نوعها، فتقابل بعض النساء اللاتي يصطحبن معهن بعض بناتهن، فعندما ترى أم الولد أو أخته أو قريبته تلك البنت وترى أن فيها من الأدب والجمال ما يناسب أن تكون زوجة لذلك الشاب[(٤)] ، فإنها تقترب من أم الفتاة فتسأل عما إذا كانت ابنتها متزوجة أو مخطوبة، فإذا علمت أنها ليست مخطوبة أخذت في محاورتها حتى يحصل الاتفاق بين النساء، ثم تذهب كل واحدة منهن إلى محارمها، فأم البنت أو قريبتها تخبر ولي تلك البنت بأن ابن فلان له رغبة في الزواج من ابنتنا، وكذلك تعود أم الولد أو قريبته إلى الولد ووالده فتخبرهما أنها وجدت امرأة من آل فلان وتعدد محاسن البنت التي اختارتها، وأحياناً تبالغ في مدح الفتاة لكي تشجع الولد على الإقدام، وبعد ذلك تأتي الخطوة الثانية من الولد وأبيه حيث يذهبان لإكمال ما بقي من التقاليد [(٥)] .

وفي أماكن أخرى يقوم الرجل الراغب في الزواج بالتحدث مع بعض أصدقائه، وهم يرشدونه إلى الأسرة الصالحة التي يرون أنها تصلح لأن يتزوج منها، فإما أن يقوم هو بالتقدم لتلك الأسرة أو يوسط أصحابه أولئك الذين نصحوه ليكونوا هم الجسر بينه وبين تلك الأسر، وقد يرسل بعض جماعته أو عائلته لبحث ذلك الأمر[(٦)] . وهناك طريق

---

(١) الناظر في كثير من الوثائق المحلية في منطقة الباحة وما جاورها من مناطق الجنوب يجد أن المرأة عند زواجها لابد أن يشتري لها زوجها وأهلها بعض أدوات الزينة مثل الخواتم والأخراص والعصائب والألبسة وغيرها . وهذه الأدوات تتفاوت من مكان لآخر ومن زواج إلى زواج، إلا أن اتفاقيات القبائل والعشائر تنص على عدم المبالغة في مهور النساء وما يتعلق من مصروفات في الزواجات . حبذا جمع مثل هذه الوثائق ودراستها دراسة تاريخية حضارية أكاديمية .

(٢) دراسة تاريخ الألبسة والزينة أو عادات الزواج والختان والأعياد وما يجري فيها من تقاليد اجتماعية موضوعات جيدة وتستحق أن يفرد لها دراسات علمية موثقة .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ الزواج في بلاد تهامة والسراة (عسير، وجازان، والباحة وغيرها) انظر ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٧٨ - ٨٥ . للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٩٦ وما بعدها .

(٤) هذه العادة وغيرها تغيرت في زمننا الحاضر، وأصبحت المقارنة صعبة بين الماضي والحاضر، لانفتاح العالم بعضه على بعض، وكذلك دخول التقنية في بيوت جميع الناس .

(٥) مازالت بعض هذه العادات عند كثير من سكان تهامة والسراة، مع تبدل في بعض الإجراءات أو الاتصالات.

(٦) أيضاً هذه العادة مازال معمولاً بها وبخاصة بين الراشدين وأحياناً كبار السن.

ثالثة: وهي الذهاب إلى خاطبة، تقوم بالتوفيق بين الناس، فيذهب إليها من يريد الزواج، ويطلب منها أن تبحث له عن فتاة يرغب الزواج منها ويملي عليها الشروط التي يرغب فيها، وأحياناً تذهب أم الفتاة إلى تلك الخاطبة وتطلب منها أن تبحث لها عن زوج لابنتها بشروط معينة، وقد تكون الخاطبة ممن يأخذ مالاً مقابل ذلك، وقد يكون هناك خاطبات يقمن بهذا العمل ويطلبن الثواب من الله عز وجل [١].

وفي أي حالة من الحالات السابقة، تتم معرفة رأي ولي أمر الفتاة، وعندما يحصل القبول، يحدد موعد الخطبة الرسمية، ويلتقي الخاطب وبعض أقربائه مع ولي أمر الزوجة ويناقشون عدة أمور منها:

(١) **المهر:** يحدد المهر الذي سيتم دفعه كصداق للمرأة المخطوبة، وهذا الصداق شكلاً وأمام أعين الناس هو للمخطوبة، ولكن في كثير من الأحيان لا تعلم المخطوبة عنه شيئاً، ولا تراه بعينها، وإنما يأخذه وليها ليقضي لها منه ما شاء ويستبد بالباقي لنفسه، ويختلف الصداق من مكان لآخر[٢]، ففي القرن (١٣هـ/١٩م) وبداية القرن (١٤هـ/٢٠م) وصل مهر البكر في تهامة إلى خمسة أوعشرة ريالات فرانسة ولبتين ظفار، ووضحين، وحجلين، وخاتم ودبلة، وخرصان من الفضة، ويشترط عليه أن يكسيها من المدارع والفوط والمعاصب والصداري (الفنايل). أما في السراة فالمهر يراوح بين (١٠-٥٠) ريالاً عربياً، والشروط السابق ذكرها، باستثناء الملابس، فيشترط فيها الثوب المشتغل (المشغول يدوياً بالحرير)، والصمادة المكتلة بالحرير، وبعض الحلي مثل التاج الفضي والخرصان (أقراط فضة تلبس في الأذن)، أما مهر الثيب في تهامة والسراة فحسب الاتفاق بين الطرفين[٣].

ومنذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠) بدأت المهور تتزايد مع التحسن الملموس في أحوال السكان، فزاد المهر في تهامة والسراة حتى وصل خمسمائة وربما ألف ريال، وكانت الشروط تتزايد وتتنوع حسب الوضع المادي لأهل البلاد، وهكذا استمرت هذه الزيادة

---

(١) اليوم كثير من العوانس في المنازل، بل تزايد أعداد الشباب العازفين عن الزواج، وعلى الجامعات والمحاكم والمؤسسات المعنية أن تبذل جهوداً في خدمة الشباب والشابات على الزواج، بل التوعية على إيجابيات الزواج وسلبيات العزوف عنه.

(٢) كان هذا الظلم والجور في حق الزوجة منتشراً على نطاق واسع قديماً، ومازال موجوداً حتى اليوم، بل إن بعض أولياء الأمور يسعون إلى عضل بناتهم وأخواتهم وبخاصة إذا كن موظفات فلا يوافقون على من يتقدم للزواج منهن، بل يضعون العراقيل من أجل الاستيلاء على أموالهن، ودون أن يفكروا في إنسانية وعواطف الواحدة منهن (والله المستعان).

(٣) ما تم ذكره ليس قاعدة وإنما اطلعنا على مئات الوثائق الاجتماعية الخاصة بمهور النساء خلال القرون الثلاثة الماضية فوجدناها تختلف حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنها كانت في الماضي قليلة مقارنة بالستين عاماً الأخيرة (١٣٧٠-١٤٣٥هـ/١٩٥٠-٢٠١٤م) فقد ارتفعت وبالغ الناس فيها. وتاريخ الزواج في بلاد تهامة والسراة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

مع الزمن حتى وصلت في بعض المناطق مع مطلع هذا القرن البحري الحالي إلى مئتين وثلاثمائة ألف ريال، وأصبح الجشع يسيطر على بعض الناس فصاروا يسومون بناتهم وكأنهن في سوق الرقيق، ويزوجوهن إلى أولئك الذين يدفعون أكثر سواءً كانوا من ذوي الدين أو غيرهم، والأهم عندهم المال، ونسوا قول الرسول ﷺ : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض "، فيدفع المتزوج نصفها والباقي يتم على شكل أقساط يكتب بها سنداً على أنها قرضة حسنة، وهي أساسا باقي مهر تلك الفتاة المسكينة التي ليس لها من ذلك شيء، ولم تكن سوى سلعة بيد ذلك الإنسان (ولي الأمر) الجشع، وإذا حضر الشاب ليتم زواجه ويعقد قرانه اشترط عليه ولي أمر الفتاة ألا يكتب المهر كاملاً في العقد، ثم يقول أحياناً أمام الناس الحاضرين لعقد القرآن " نحن لا نريد إلا الإنسان الطيب الذي يقدر بنتنا ويحشمها، وإلا فالفلوس ما هي شيء تروح وتجي، ونحن ما نريد أننا نشق عليه لأننا ودنا الذي يراحمنا يكون مرتاح، ما نبغاه يتورط بالدين" [(١)]، وهو لا يقول الصدق، ويذكر من المهر شيئاً قليلاً، كأن يقول المهر عشرين أو ثلاثين أو ستين ألف ريال، والمهر الحقيقي مئة أو مئتين أو ثلاثمائة ألف ريال تزيد أو تنقص، ومع هذا وذاك فإن الزوج المسكين ضحية للتهديد بين كل حين وآخر، إما أن يكمل سداد ما عليه من دين، أو يدخل السجن بذلك السند، أو تسترد منه الزوجة حتى يتم السداد ويبقى فقيراً طوال عمره، مثقلاً بالديون لا يجد حلاوة لزواجة، ولا يشعر بلذته، بل رزق بعض الناس أولاداً ستة أو سبعة أو أكثر من ذلك ولم يكملوا سداد الدين الذي عليهم في زواجهم [(٢)].

والواقع أن الخير والصلاح باق في هذه الأمة إذ إن كثيراً من الناس زوجوا ومازالوا يزوجون بناتهم بأقل القليل من المال، وإذا لم يدفعوا من جيوبهم على زواج بناتهم فإنهم لا يكسبون شيئاً من وراء ذلك كله، ومن فترة بسيطة قامت بعض القبائل بتحديد المهور بينهم فمنهم من حددها بـ (٣٠ ألفاً) كبعض قبائل السراة، ومنهم من حددها بـ (٦٠ألفا) للبكر و (٣٥) ألفاً للثيب، مع العلم أن الذهب والكسوة تدخل ضمن هذه المبالغ، وقد تم العمل بهذه المهور مدة بسيطة من الزمن، فمنهم من التزم بذلك، وآخرون احتالوا عليه فطلبوا زيادة على المهر المطلوب وأحياناً يُكنى عن هذه الزيادة بقولهم (**من تحت الفراش**)، أو يقول للزوج لن أطلب منك زيادة ولكن عليك أن تقوم بشراء الذهب لزوجتك،

---

(١) دراسة مثل هذه الأقوال في عادات وأعراف وأحوال الناس في جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، والقنفذة) ومقارنتها بأقوال عصرنا الحاضر، وكذلك اختلافها وتفاوتها من ناحية لأخرى، وأيضاً الجانب الأدبي واللغوي فيها موضوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراسة .

(٢) هذا ما لمسته في أثناء تجوالي في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية، وعلى أولياء الأمور ومن يتصفون بهذه الصفات أن يتقوا الله في بناتهم وأرحامهم فيسهلوا عليهم ويعينونهم على ظروف الحياة .

وتكسو أمها ومن يدخل بيتك، وتتراوح كسوة الأم بين خمسة آلاف وعشرين ألف ريال، وفي أثناء العقد يقول ولي أمر الزوجة المهر كذا وكذا، وهناك من يحلف على ذلك زوراً وبهتاناً [(١)] .

(٢) **الخطبة الرسمية** : عندما يتفق الأرحام فيما بينهم على التفاصيل الجارية في الزواج، فإنهم يحددون يوماً معيناً يذهب فيه الزوج وقرابته لزيارة أهل الزوجة ويأخذون معهم مبلغاً من المال، وهو جزء من المهر، وأحياناً المهر كله، ويكون أهل الزوجة وأقرباؤها في استقبالهم فيرحبون بهم وينزلونهم في مجلس الضيافة، ثم يأتي دور (**المعالمة**) [(٢)]، حيث يعطون العلم، فيبدأ أهل الزوج وعنهم أكبرهم سناً أو الشيخ فيقول: " **القصد ماشي إلا سلامتكم وصلاة على النبي، نحن لفينا عندكم يا أرحامنا ونعطيكم أعلامنا، إما بخصوص الديرة، فالديرة والسيرة واحدة من عندنا لا عندكم، سوقنا وسوقكم واحد، ولا شيء جديد عليكم ونخبركم به، أما الأمطار فعند الله خير كثير، مثلما شفتم الأيام التي مضت علينا حرّة وشرّة، يبس فيها الزرع وجف منها الضرع، وعود الحلال على الشعير، ما عاد يسرح ولا يروح، وإن شاء الله أن الفرج قرب، للعباد والبلاد، ولا نسأل إلا الله أن يرحمنا برحمة من عنده، وسلامتكم، وصلى الله على محمد** ". ثم يتحدث عن أولياء الزوجة أكبرهم سناً أو شيخهم قائلاً:ـ "**حياكم الله وحيا علمكم، ويكرر نفس الكلام السابق مع اختلاف بسيط في السجع، وحسب القبيلة، حيث لكل قبيلة طريقة، والمعالمة تختلف حسب المواقف**، ثم يقوم الموكل عن أهل الزوج فيوجه كلامه لولي الزوجة قائلاً " **يا فلان حنا لفينا على لازمة لولدنا فلان عندكم، وهذا مبلغ (كذا وكذا من المال) والباقي يلحق**" [(٣)]، فيقوم ولي الزوجة أو الموكل عنه ويكرر التراحيب، وربما يكون إتمام العقد في تلك الليلة، أو يحدد له وقتاً آخر ويتعشى الضيوف من الذبائح التي أعدت لهم ثم يعودون إلى منازلهم، ومن ثم تمت الخطبة، يلي ذلك تحديد موعد العقد (الملكة) إن لم تتم ليلة الخطبة، ثم يحدد وقت الزواج، مع العلم أن الزوج يرسل كسوة لزوجته في كل عيد، وجرت العادة لدى بعض القبائل أن ترافق الرجال والدة الزوج أو أخته الكبرى ومعها بعض النساء، ويصطحبن معهن بعض الهدايا للعروس مثل الأقمشة والملابس وبعض العطور والبخور والقهوة والهيل والزنجبيل، وأحياناً حلي للبس والزينة

---

(١) الخيرون مازالوا الأكثر لكن ما تم الإشارة إليه في المتن مازال أيضاً موجوداً وبخاصة الادعاء بأن المهر حسب المتفق عليه في قواعد واتفاقيات القبيلة أو العشيرة، لكن الواقع عند البعض غير ذلك .

(٢) المعالمة : أي سرد الأخبار، وهذه عادة مازالت سائدة عند بعض كبار السن في تهامة والسراة إلى الآن، إذ على القادم أن يروي سيرته والسبب الذي جعله يزور المتحدث إليه. ومثل هذه العادة جديرة بالبحث والدراسة.

(٣) دراسة مثل هذا الموروث اللغوي والثقافي والاجتماعي جدير بالاهتمام والدراسة، وعلى أقسام اللغة العربية في جامعات الجنوب الاهتمام بمثل هذا الصنف من الثقافة التي انقرض أكثرها اليوم . للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص ٧٨ وما بعدها، للمؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ١٣٢ وما بعدها، عبد الله بن علي سالم العُمرى، منطقة الباحة، ص ٥٢ ـ ٥٤ .

وبعض الأقمشة والشراشف والأحذية وغيرها[١]، و يقوم العريس ـ غالباً ـ بعد انتهاء العشاء بالسلام على والدة العروس ويعطيها هدية حسب حالته المادية .

ب ـ ليلة الزفاف(الزواج) : يقوم الزوج وأهله بإحضار الذبائح لهذه المناسبة، وتختلف عادات ليلة الزفاف من مكان لآخر، ففي بعض الأماكن تزف الزوجة من قبل أهلها إلى بيت زوجها قبل صلاة المغرب، ويتعشون عند الزوج مع الضيوف، وفي أماكن أخرى يذهب الزوج ببعض النساء من أقاربه إلى بيت الزوجه فيعشيهم ولي الزوجة في منزله ويقضون الليل كاملاً في الرقص ومدح العروسة وأهلها والزوج وأهله، إلى أن يتم موعد الزفة، وفي أغلب الأوقات تصل العروس لبيت زوجها قبل صلاة الفجر، والمألوف في الماضي أن العروس تزف إلى بيت زوجها على جمل فتوضع في هودج، ويقوم أحد أفراد القرية أو العبيد أي عبيد عائلة أهل الزوجة إن وجد، ويأخذ بخطام الجمل مع المسيرة إلى بيت الزوج سواءً في قرية الزوجة أو غيرها، وأحياناً يقوم الزوج أو أحد أفراد عائلته بدفع مبلغ معين يسمى كسوة لعبيد أرحامهم (أهل الزوجة) وهي ما يسمى عرفاً بـ (القادية)، وربما يشترط مقدار المبلغ الذي يجب دفعه للعبد أو من قاد الجمل إلى منزل الزوج[٢]، وأحياناً يكون أهل الزوجة قد سبقوها في أول الليل وتعشوا عند الزوج مع الضيوف، وربما يتأخرون إلى اليوم الثاني ثم يذهبون ليباركوا للزوج فيولم لهم ويفضل بعض أولياء الزوجات أن يباركوا للزوج بمبلغ من المال، والبعض الآخر يتعشى ويذهب دون أن يدفع أي عطاء، وفي السراة وبعض قرى تهامة تزف العروس قبيل أذان المغرب[٣] .

وفي ليلة الزفاف يحضر أصدقاء الزوج وأقاربه ليشاركوا في الحفل، ويتعشون ويباركون بمبلغ من المال كل حسب مقدرته المالية، وتقوم بعض الأسر بعمل حفلة للزواج يشارك فيها بعض الشعراء الشعبيين، ومن الألعاب التي تمارس في مناسبات الزواج العرضة والمهشوش والمسحباني وغيرها ابتهاجاً بزواج ابنهم، وفي ختام الحفل الذي تمدح فيه الأسرة والزوج وأرحامه يقوم الزوج أو والده بتوزيع مبلغ من المال يُسمى كسوة الشعراء ويختلف مقدارها من أسرة لأخرى[٤] .

---

(١) لقد قمنا بجولات في السنوات الماضية المتأخرة في القنفذة، وجازان والباحة، وعسير، ونجران فوجدنا تبايناً كبيراً في نظام الزواجات في هذه المناطق، وإجراء دراسة مقارنة في عادة الزواج خلال القرنين الماضيين موضوع جيد وجديد ويستحق العناية والبحث والدراسة .

(٢) منطقة الباحة وما جاورها من بلاد تهامة والسراة تحوي الكثير من الموروث اللغوي والاجتماعي والثقافي، ونأمل أن تنشأ مراكز بحثية في جامعات تهامة والسراة تقوم بدراسة مثل هذا الفلكلور والثقافة المحلية المهمة .

(٣) حضرنا زواجات في قرىٍ ومدنٍ ببلاد تهامة والسراة منذ تسعينيات القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م)، وهناك تغيرات كبيرة جداً في عادات الناس قديما وحديثا وبخاصة في أعراف ومراسيم زواجاتهم . وهذا الموضوع المقارن جدير بالبحث والدراسة .

(٤) لمزيد من التفصيلات عن الفنون الشعبية في بلاد غامد وزهران انظر: علي صالح السلوك . الموروثات الشعبية لغامد وزهران (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) . خمسة أجزاء، ومازال هناك أشعار نبطية وأحاج وألغاز ومفردات لغوية كثيرة في منطقة الباحة جديرة بالبحث والدراسة، وهذه مسؤوليات الأكاديميين المتخصصين في جامعة الباحة .

وبعد انصراف الناس من الحفل يعود الرجل إلى بيته فيجده ـ غالباً ـ ممتلئاً بالنساء من أقاربه وأقارب الزوجة، عندئذ يقوم بتوزيع بعض الكسوة على قريبات الزوجة، وقد تكسى الأم من ريالين إلى خمسة ريالات ومصنف مطرز بخيوط ذهبية، ويكسي النساء الباقيات بالمصانف فيرقصن بها ويضعنها على رؤوسهن تعبيراً عن شكرهن للزوج وأسرته[(١)] .

ومن المساوئ في مرحلة الخطبة أن العريس ـ أحياناً ـ لا يرى مخطوبته ولا يعرفها، وهذا خلاف السنة النبوية، ومع ذلك فالزوج يكون في حالة من التوتر والقلق نظراً لما قد يكون فيها من عيوب ، وكذلك الزوجة، وقديماً لا تملك العروس أن تعلن عن رغبتها في ذلك الزوج أو عدمها نظراً لكون الأهل قد وافقوا عليه، بل عليها لزوم الصمت سرها ذلك أم ساءها، وغالباً لا تتكلم في ذلك إلا لأمها أو لأخواتها أو لبعض صديقاتها وبخاصة من تثق بهن[(٢)] .

أما الوقت الحاضر فلم يعد للمصانف ذكر، إلا في النادر، بل تحولت إلى مبالغ مالية فتكسى الأم بـ (٥ أو ١٠ أو ٢٠ ألف ريال) ، وتكسى أقل واحدة من النساء بـ (ألف ريال) ، ثم يرحل أهل الزوجة إلى منازلهم وتبقى الزوجة في بيت زوجها، وأحياناً يتم الاتفاق على موعد محدد ومتعارف عليه لزيارة أهل الزوجة من أجل إكرامهم والفرحة بهم، وعادات الزواج قديماً في تهامة والسراة متقاربة، إلا أن قبائل غامد لا يبالغون كثيراً في المهور، فكانوا ولا يزالون أيسر وأقل تكلفة من غيرهم[(٣)] .

اطلعنا على العديد من الكتب والدراسات المنشورة وغير منشورة، وعشرات الوثائق المختلفة في موضوعاتها ومحاورها، فوجدنا العديد من التقاليد والنظم التي عرفها أهل تهامة والسراة، ومنطقة الباحة جزء من هذه الأراضي الواسعة، ومن تلك الأعراف ما يلي:

أ ـ الأعياد، والختان، والسماوة، والمآتم: جميعها عادات مرتبطة بمواسم وأعراف عرفها ومارسها الناس منذ قديم الزمن، وفيها جميعاً يتم التعاون بين أفراد الأسرة أو

---

(١) المصنف : وجمعه مصانف، نوع ثقيل من الأقمشة ذات الألوان الزاهية، ويصنع أحياناً في بلاد الهند .

(٢) دخول التقنيات إلى منازل الناس اليوم، وكذلك الانفتاح الاجتماعي الذي تعيشه جميع مدن المملكة العربية السعودية جعلت الزواج يتنوع في آلياته وطرقه ومراسيمه، ومنها ما هو مخالف للسنة والمنهج الشرعي، ومنها ما يتوافق معه، وللأسف زادت السلبيات بشكل كبير في أعراف وتقاليد الناس الاجتماعية، ومثل هذه الموضوعات جديرة بالدراسة مع وضع الحلول المناسبة لمحاربتها ومعالجتها .

(٣) هذا ما سمعته من كثير من كبار السن في منطقة الباحة، مع أنني على يقين أن عموم منطقة تهامة والسراة من الأسر والعشائر والقبائل تحارب المغالاة في المهور، وتسعى إلى التيسير في كل ما يساعد في زواج وتزويج بناتهم وأبنائهم .

القرية أو العشيرة الواحدة على ممارستها وأداء مراسيمها الاجتماعية سواءً كانت سعيدة كالأعياد والسماية وأحياناً الختان، أو محزنة مثل المآتم[١] . وفي جميع هذه العادات يتم إطعام الطعام، واستقبال وتوديع الضيوف أو المشاركين فيها، وقد شاهدنا عشرات المناسبات خلال العقود الثلاثة الماضية، ثم قرأنا عنها في بعض الكتب والوثائق التي أشارت إلى حياة أجيال سابقة في القرنين الهجريين الماضيين فوجدناها في الماضي والحاضر تسير على وتيرة متقاربة ومتشابهة في كثير من تقاليدها، وإذا كان هناك اختلافات يسيرة في العقود المتأخرة، فذاك أمر طبيعي لأن الناس تطوروا في أوضاعهم التعليمية والاقتصادية [٢]، وهذا جعلهم يتأثرون سلباً مثل المبالغات في بعض الولائم والنفقات، أو إيجابياً مثل تركهم بعض العادات السيئة المخالفة للشريعة كالتجمع في أيام عديدة في مناسبات العزاء (المآتم)، أو المبالغة في عادة الطهار (الختان) التي كان يجريها الآباء والأجداد لأبنائهم[٣] .

ب. ومن تقاليد سكان منطقة الباحة بشكل خاص وعموم بلاد تهامة والسراة :

الشجاعة والكرم، واستقبال الضيوف، ودور المرأة في المجتمع، والإصلاح بين الناس وحل المشاكل السائدة بينهم، وإعطاء الحقوق، وإغاثة الملهوف، وإعطاء الوجه، وقبول الجوار، ووضع شيخ القبيلة في قبيلته، وعلاقة الأسر أو العشائر بعضها مع بعض، وحماية البلاد من أي اعتداء داخل أو خارج القبيلة الواحدة[٤]،كل هذه الأعراف عرفها ومارسها التهاميون والسرويون، ووضعوا لها القواعد والنظم المكتوبة وغير المكتوبة ، لكنها معروفة ومتفق عليها[٥]، والدارس لتاريخ مناطق الباحة والقنفذة وعسير الاجتماعي خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أن أهلها يعيشون تبعاً لما تعارفوا واتفقوا عليه شفاهة أو كتابة [٦] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه الأعراف الوارد ذكرها أعلاه، انظر ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص٧٤ ـ٩٠، المؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ١٣٢ـ ١٣٩، والمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ١٩٧ـ١٩٨، محمد درويش الغامدي، محافظة المخواة، ص ٤٢ ـ ٥٦ .

(٢) يمتلك الباحث عشرات الوثائق غير المنشورة التي تحوي بعض التفصيلات عن النظم والعادات والاتفاقيات بين أفراد بعض القرى والعشائر وما يجب عليهم في أثناء ممارسة بعض عاداتهم وأعرافهم مثل: السماوة، والختان، والعزاء . ومثل هذا النوع من الوثائق جدير بالبحث والدراسة، لأنه يصور التاريخ الحضاري لبعض النواحي في بلاد تهامة والسراة .

(٣) إجراء دراسة مقارنة بين أعراف الناس قديماً وحديثاً موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة علمية أكاديمية .

(٤) كل محور من هذه الموضوعات يستحق أن يكون عنواناً لبحث أو كتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٥) يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق الاجتماعية المختلفة عن مناطق جنوبي البلاد السعودية، ومعظمها يدور في فلك بعض المحاور المذكورة أعلاه خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٦) للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص ٩٠ـ ١٠١، المؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ)، ص ١٣٨ ـ ١٤٦ . لدينا وثائق عديدة تصب في هذه الأبواب ونأمل أن نخرجها في دراسة مستقلة، وليس لدينا أي مانع أن نتعاون مع بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية ونقدم لهم ما يفيدهم في بحوثهم ورسائلهم العلمية

٢ـ صور من الحياة الاقتصادية :

سار الاقتصاد بمنطقة الباحة في مجالات عدة منها: الرعي، وتربية الماشية، والزراعة، والحرف اليدوية والصناعات التقليدية، والتجارة . والرعي من المهن الرئيسية عند سكان غامد وزهران منذ قديم الزمان، وغالبية تربية المواشي والجمال وأحيانا الماعز والحمير عند سكان البادية من المنطقة(١)،أما الأجزاء السروية والتهامية فكانوا يمارسون رعي الماشية إلى جانب ممارسة الزراعة وبعض المهن الأخرى(٢)، والرعاة نشيطون في عموم بلاد الباحة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، بل كانت مهنة الرعي من المهن التي تعتمد عليها شريحة كبيرة من المجتمع الباحوي، وهناك من الأعراف والأحمية في كل ناحية أو عشيرة، وتستخدم بهدف تنظيم الرعي(٣)، وقد ناقشنا موضوع الرعي في بعض دراساتنا السابقة عن نواح عديدة في بلاد تهامة والسراة، وهذه المهنة متقاربة في أنظمتها وطرقها عند عموم التهاميين والسرويين(٤).

(*) تنقسم الزراعة في منطقة الباحة إلى نوعين، هما :

(أ) : **المسقوي** : وهي الأراضي التي تعتمد في ريها على مياه الآبار، وتنتشر في السراة، وكل مجموعة من الناس في القرية يملكون بئراً خاصة بهم تسمى بئر الشرابة أو بئر الشراكة، ويتقاسمون السقيا منها بالأيام حسب الاتفاق وحسب مساحة المزرعة لكل شريك في هذا البئر، ويعتمد استخراج الماء قديماً على المواشي (البقر ـ الجمال ـ الحمير)، وليس لأي إنسان من خارج الشراكة الحق في أن يسقي من تلك البئر إلا بإذن أصحابها، أما في تهامة فلم تكن زراعة المسقوي منتشرة بكثرة في القدم، وقد انتشرت إلى حد ما في السنوات القليلة الماضية، ويشترط في الأراضي التي تسقى من البئر بالمواشي أن تكون على مستوى البئر أو أقل حتى يجري الماء إليها بسهولة، أما الآن فأصبحت تضخ المياه إليها عن طريق الآلات والمكائن المخصصة للري(٥).

---

(١) لقد تجولت في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) في بعض نواحي بلاد غامد وزهران الشرقية فلم أجد أثراً كبيراً لمهنة الرعي، بل عموم تلك البلاد تحولت إلى مواطن استيطان، مع أنها في السابق كانت أماكن البدو والرعاة من أهل المنطقة .

(٢) شاهدنا مهنة الرعي في أجزاء من بلاد السروات خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان معظم أهل السراة يقتنون بعض البهائم والحيوانات إلى جانب ممارستهم الزراعة وغيرها.

(٣) أثناء سيرنا في منطقة الباحة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) استطعنا مقابلة بعض المسنين، وعثرنا على بعض الوثائق التي تذكر أسماء بعض الأحمية في سروات غامد وزهران . والسائح في هذه البلاد يجدها ذات غطاء نباتي جيد، وكانت في الماضي أحسن مما هي عليه اليوم . للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ .

(٤) للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، جزءان، وعسير ١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ص ١٢١، وبلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ)، ص١٤٧ .

(٥) نظام الري في تهامة والسراة القديم يشبه نظام الري في اليمن، وهناك الكثير من الكتب والمراجع تحدثت عن الزراعة وريها عند العرب منذ قديم الزمن حتى يومنا الحاضر، كما أن هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تدور في فلك مسميات المزارع وأطوالها وملاكها وطريقة زراعتها ودرس محاصيلها، وموضوع تاريخ الزراعة في الباحة أو أي ناحية من نواحي جنوب البلاد السعودية خلال القرنين الهجريين الماضيين باب جديد ويستحق العناية من المؤرخين والباحثين الجادين .

ب ـ العثري: وهي الأراضي التي تسقى بمياه الأمطار، وفي الفصول المختلفة التي يعرفها كبار السن، فلكل ركيب (مزرعة) فلج يمتد حتى يلتقي مع مجرى الماء الذي يصب من الشعاب أو الأودية، ويسمى ذلك الفلج (ساقية)، ويجري منها الماء إلى المزرعة، وعندما ترتوي يتسرب الباقي عبر فتحة في أحد جوانب المزرعة تسمى (المغيض)، وتبنى من الحجر لحماية الطين من الانجراف في الماء، وعندما تجف الأراضي يقوم صاحبها أو من ينوب عنه بحرثها وبذرها ثم دمسها بالمدمس لتسوية التراب، وتترك عدة أيام لينبت الحب، وطريقة البذر لا تختلف في العثري عنها في المسقوي(١) .

كانت عملية الحرث تعتمد على الثيران والجمال وبعض الحمير القوية، وأصبحت حالياً تعتمد كثيراً على آلات الحرث والزراعة (الحراثات)، والمرأة في القديم تقوم بدور كبير في الزراعة فتشارك في جلب البذور إلى البلاد، وصنع الطعام للعاملين في الزراعة من العائلة، وبعض الأعمال الأخرى مثل تسوية الأرض، والسقاية وحماية الزرع من الحيوانات والطيور، والعمل في الحصاد (**الحشوش، أو الصرام**)، وتخزين الأعلاف والحبوب وغيرها(٢) .

وتنقسم مرحلة الزراعة إلى الحرث والبذر، ثم الإنبات وتبدأ من اليوم الثالث أو الرابع من بذر الحبوب، ثم تستمر في النمو لعدة شهور حسب عمر النبات المزروع ودورته في الحياة. أما مرحلة الحصاد، فتمر بمرحلتين هما : (١) قبل ظهور الثمر، ويلجأ إليها بعض الناس عندما تنقطع المياه، وتقل الأمطار عن المزرعة ويخشى أن يموت الزرع، عندئذ يحصد ويكون علفاً للبهائم وهذه العملية تنطبق على الذرة والدخن وبعض المزروعات الأخرى. (٢) بعد ظهور الثمر والسنابل يترك المحصول فترة من الزمن حتى ينضج، وفي هذا الوقت يلاقي المزارع كثيراً من المتاعب، بسبب اعتداء الطيور على الحبوب والحشرات التي تتسبب في إتلاف المحصول، وبعد مرحلة النضج يقوم المزارع بالصرام (قطف السنابل)، ثم الحشوش (حصاد الزرع)، ويترك الزرع في وسط الركيب (المزرعة) حتى يجف، ثم يلف على شكل حزم وتربط برباط من نفس نوع النبات، وأحياناً تستخدم الحبال وبعض الأقمشة لربط تلك الحزم، ثم تنقل وتخزن في المنازل، أو تردم فيما يسمى بـ (مراديم) جمع مردام، ويسند العلف مع بعضه البعض على شكل هرم،

---

(١) عاصرنا الحياة الزراعية في أجزاء من بلاد السراة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت نشيطة حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم بدأت تتدهور، لأن سكان البلاد صاروا يستبدلون مهن الزراعة بمهن أخرى أسهل وأكثر ربحية .

(٢) تاريخ المرأة في الباحة وعسير وجازان خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع جيد، ونأمل من طالباتنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، أن يلتفتن إلى دراسة مثل هذا الموضوع الذي يستحق أن يصدر عنه عدد من رسائل الماجستير أو الدكتوراه .

ويستفاد منه لتغذية المواشي وبناء العشش والعرشان التي يسكنها بعض البدو والفقراء وبخاصة في الأجزاء التهامية[١]، أما السنابل فتجمع في أكياس، وتنشر على سطوح المنازل لتجففها الشمس، ثم توضع فيما يسمى (جرين) فتضرب بالعصا حتى تنفصل الحبوب عن السنابل، وقد تداس بأرجل البقر والحمير، وتقسم إلى أقسام[٢] : الحب ويستفاد منه للتغذية، والقصرة أو العزمة وهي فتات السنابل ويستفاد منها لتغذية المواشي، وعند الحصول على الحبوب فإنها تصرف في تغذية الأسرة، وذلك بعد إخراج نصيب العمال الذين قاموا بعملية فصل الحب عن التبن (القصرة، العزمة)، أما الفائض عن حاجة الأسرة فيسعر (يباع) ويشترى من ثمنه حاجات الأسرة الأخرى من مواد غذائية وملابس وغيرها، وكذلك جذوع الزرع تخرج منه حصة الحشاشة (الذين يحصدونه)، والباقي من نصيب صاحب المزرعة. والنشاط الزراعي يعتمد على التعاون المستمر سواءً بين أفراد الأسرة الواحدة، أو بين أفراد الأسر الأخرى المتجاورة، وتلجأ بعض الأسر إلى الخبر(المخابرة)، وهو أن يأتي فلان من الناس ويأخذ المزرعة على أن يزرعها ويتكفل بها مقابل إنتاجها، ويعطي جزءاً من ذلك المحصول إلى أصحاب المزرعة [٣] .

والزراعة في منطقة الباحة لا تقتصر على زراعة الحبوب، بل تمتد إلى زراعة الخضروات والفواكه المختلفة، والحبوب التي كانت تزرع هي: (١) **الدخن**، وقد اشتهرت به تهامة لكثرة إنتاجها له، ويعتبر أكثر الحبوب غلاءً في سعره وجودته ، ويزرع في المناطق الحارة، ويقسم إلى قسمين : دخن الصيف، ودخن الخريف . (٢) **الذرة**، وهي محصول شتوي يأتي في المرتبة الثانية بعد الدخن، وتصنف إلى ذرة بيضاء، وصفراء، وصميماء، ومقتصرة، وحميراء (القذافة) . (٣) الخرمان:[٤] وهو أشبه ما يكون بالذرة، إلا أن لون حبته يميل إلى السواد ويكون الخبز المصنوع منه أسود اللون. (٤) **الدقسة** : وهي محصول شتوي ويتكون من نوعين: (أ) **المجدولة** : وحبتها صغيرة جداً ذات لون أبيض

---

(١) لقد عاصرنا ومارسنا الزراعة والحصاد في محافظة النماص منذ عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، وشاهدنا التطور والتدهور الذي حل بمهنة الزراعة في عموم بلاد تهامة والسراة . وتاريخ مقارنة الزراعة بين الماضي والحاضر موضوع جيد ويستحق البحث والدراسة .

(٢) والسائح في عموم بلاد غامد وزهران وما جاورها اليوم لا يجد إلا آثاراً يسيرة لأماكن الزراعة مثل (الجرين) وغيره، بل إن ثقافة الزراعة والمزارعين القديمة تلاشت، وأصبح الجيل الصاعد لا يعرف من تلك الأنماط الحضارية أي شيء .

(٣) المخابرة، أو المزارعة، أو الشراكة وغيرها من النشاطات الزراعية التي عرفها أهل تهامة والسراة، ولهذه الأنواع من الزراعة تفصيلات في كتب الفقه والسنن وغيرها من كتب التراث الإسلامي . ومفردات ومعاملات وثقافات التهاميين والسرويين الزراعية في الماضي موضوعات تستحق أن يكتب عنها، وجديرة بأن تكون عناوين لبحوث أو رسائل علمية أكاديمية .

(٤) الخرمان : يطلق عليه أيضاً (الخرمد) في بعض أجزاء من بلاد السراة الممتدة من الباحة إلى عسير . والمصطلحات المحلية الخاصة بالزراعة والمزارعة في أنحاء تهامة والسراة موضوع جيد ويستحق الدراسة.

وتزرع بعد فصل الربيع. (ب) **السيال**: وحبتها صغيرة ولونها أصفر مشوب بحمرة وتزرع أيضاً بعد فصل الربيع. (٥) **الحنطة** : وتزرع في سروات المنطقة فقط، ويعد هذا النوع من أجود الحبوب . (٦)**الشعير**: وينقسم إلى ثلاثة أقسام، ويزرع عادة في المرتفعات مثل جبال الشدوين وفي عموم سروات الباحة وما جاورها، وأنواعه (أ) **الشعير العربي**: ذو سنبلة كبيرة وحبته مستطيلة وهو أجود الأنواع وتستغرق زراعته خمسة أشهر . (ب) **الشعير العجلانة** : وواضح من اسمه أنه سريع النضج وتستغرق زراعته ثلاثة أشهر. (ج) **الشعير المصري** : ذو سنبلة طويلة ذات شكل رباعي وسداسي أحياناً . ومن الحبوب التي تزرع في السروات ولها أسماء متعددة مثل: النعيسية، والقريطة، والبسيسة، والحطمة، والقحطانية، والدفين، والقشاشة، والبلس، وغيرها[١] .

أما الخضروات والفواكه فكانت ومازالت تنتشر بكثرة في المرتفعات السروية وشدوين في محافظة المخواة، ومن أشهرها (١) **البن** : وهو عدة أنواع البن الشدوي نسبة إلى جبل شدا، واليمني (الخولاني)نسبة إلى خولان باليمن، ويزرع البن في الصدر ببلاد بالشهم ووادي الخلي ببني ظبيان بكميات قليلة . (٢) **الموز**: مثل موز ذي عين نسبة إلى قرية ذي عين الأثربة التي تقع أسفل عقبة الباحة، والشدوي، وموز الصدر[٢] . (٣) **الليم والليمون** : ويمتاز الليم بصغر حبته، والليمون بكبر حبته، واشتهرت به جبال شدا وسراة المنطقة، وبدأت تنتشر زراعته حالياً في تهامة. (٤) **الخوخ، والمشمش، والرمان** وغيره وتنتشر زراعة هذه الفواكه في السراة نظراً لاعتدال الجو فيها صيفاً، ومن الخضروات أيضاً الملوخية، والبامية، والكوسة، والباذنجان، والدباء، والفجل، والبصل، والجرجير، والكراث (الشخاميت)، والرجلة، والقراص، والثفلة، والسبانخ، والسلك، والدجر، والبقدونس، والقضب (البرسيم)، والفاصوليا، والملفوف وغيرها [٣] .

وهناك مواقع تشتهر أكثر من غيرها بزراعة الخضروات والفواكه مثل: صدر لوبة في حوالة بالشهم، وصدر الجنش مما يلي الحمران ببلجرشي، وصدر مطيّب التابع لحزنة ببلجرشي، وصدر مخشوش ويقع قسم منها في حزنة وقسم آخر تابع المدان ببلجرشي،

---

(١) لقد عشت (والحمد لله) جزءاً من نهاية القرن الماضي فرأيت النشاط الزراعي الذي مارسه أهل تهامة والسراة، بل شاهدت كثرة المزروعات في أنحاء البلاد، ومعظم القائمين عليها آنذاك هم أهل البلاد أنفسهم، ومع توسع العمران وقدوم الوافدين من بلدان عربية وغير عربية صارت الزراعة في الانحدار وحل محلها العمل في الوظائف الحكومية والمهنية والتجارية وغيرها .

(٢) لقد زرت قرية ذي عين والشدوين في محافظة المخواة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ورأيت كثير من المزروعات في هذه النواحي، ومنها الموز وبعض الفواكه والخضروات الأخرى .

(٣) السائح في أسواق تهامة والسراة اليوم يلحظ امتلاءها بالخضروات والفواكه المحلية، والعاملون عليها من عناصر غير سعودية مثل المصريين والسودانيين وبعض سكان شرق آسيا مثل الهنود والباكستانيين والبنجاليين.

وصدر مالحة، وصدر حميدة مما يلي بلجرشي . ووادي الخلي التابع لبني ظبيان، ومن المحاصيل التي تزرع في هذا الأصدار الموز، والليمون، والحناء، والكادي، والريحان، والبعيثران، والعطر، والشار، والبن، والخضار . وبعض من هذه النباتات العطرية تزرع قريبا من المنازل في الأجزاء التهامية والسروية[١] .

أما البراري والغابات والأودية فتزخر بالعديد من الأشجار المختلفة التي تكتسي بالخضرة والجمال[٢]، ففي فصل الربيع هناك عدد من الأودية والغابات الخضراء مثل: غابة رغدان بالباحة، وغابة الزرقاء، ووادي مليل، ووادي ناوان، ووادي الأحسبة، وغابة الظفير ببني عبد الله، وغاباة النقبات، وغابة ريع المحامي ببني ظبيان، وغابة الرهوة المطلة على وادي فيق، وغابة الغير المشرفة على وادي الحمى، وغابة أم غيث ومالحة ببللجرشي، وغابة حزنة وغابة المصنعة، وغابة القريع، وغابة شكران ببلجرشي، وغابة العطفين، وغابة السكران، وغابة طاحية، وغابة حوالة، وغابة الملتقى، وغابة موطف وجميعها في بلاد بالشهم ببلجرشي، وكذلك بعض المتنزهات مثل وادي ناوان التابع لنيرا، ووادي حنف المشهور بالآثار وبخاصة المكان المسمى بالحجرين، وبعض الأودية المنتشرة في مدينة قلوة والشعراء وما جاورها[٣] .

ومن الأشجار المنتشرة في المنطقة: الظهيان، والسرح، والضبر، والشقب، والقرض، والسري، والعصر، والغزر، والمض، والمقل، والعتم، والعيد، وشار القرود، والدبيل، والعيفقان، والضيمران، والوزاب، والسكب، والجنع، والمرخ، والأثل، والأراك، والبشام، والسدر، والسمر، والسلم، والقطف، والريحان، والبرك، والكادي، والغلف، والسلع، والحناء، والحنظل، والأثب، والعشر وغيرها [٤] .

أما مواسم الزراعة في بلاد غامد وزهران وأوقاتها فهي على النحو التالي (١) نجم الجبهة: مكون من أربعة أنجم، ويوافق طلوعها طلوع نجم سهيل وفيه يقطف التمر . (٢) نجم الذراع: طلوعه يؤذن ببداية زراعة الذرة البيضاء والصميماء .(٣) نجم الثريا: وبطلوعها

---

(١) شاهدت بعضاً من هذه الأصدار، وكذلك بعض المدن والقرى في منطقة الباحة التي تزرع أصنافاً مختلفة من الفواكه والخضروات . مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) معظم بلاد السروات والأصدار الممتدة من جازان ونجران إلى الطائف يغلب عليها كثرة الأشجار وتعدد الغابات، وأبو حنيفة الدينوري من أهل القرن (٣هـ/٩م) ذكر كثيراً من أسماء الأشجار والنباتات الموجودة في هذه البلاد، انظر كتابه الموسوعي (النبات) .

(٣) وقف الباحث على كثير من هذه الغابات والمواطن السياحية أثناء تجواله في منطقة الباحة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) لمزيد من التفصيلات عن هذه الأشجار والنباتات انظر: أبو حنيفة الدينوري، كتاب النبات، أجزاء عديدة، أنظر أيضا: الجزء الأول من كتاب، صفحات من تاريخ عسير، لغيثان بن جريس .

تبدأ زراعة القمح والشعير (وهذا النجم يفيد في تحديد وقت السحر في أيام شهر رمضان). (٤) ثريا الخريف: عنقود مفتوح في كوكبة الثور فيه مئات النجوم، لكن لا يرى منه إلا سبعة أنجم، ولذلك يسميها الأهالي بالسبع، وسميت بالثريا لكثرة نجومها، وسميت أيضاً بثريا الخريف لأن طلوعها يؤذن بالاستعداد لزراعة دخن الخريف. (٥) ويضاف إلى ذلك نجوم الكف، والنثرة والجوزاء [١].

أما الأشهر ومسمياتها لدى أهالي منطقة الباحة فأشهر السنة تسمى عندهم : (١) محرم (عاشور) .(٢) صفر (سادية) .(٣) ربيع أول وثاني، وجمادى أول وثاني ويسمونها (الأربعة) و (الأجمدة) . (٤) رجب . (٥) شعبان (قصير أو مليص) . (٦) رمضان. (٧) شوال (فطر أول) . (٨) ذو القعدة (فطر ثاني). (٩) ذو الحجة (شهر الحج) .

أما الأدوات المستخدمة في الزراعة فهي : (١) العود (المحراث) : مصنوع من الخشب يثبت من طرفه في المقرنة التي يقرن بها الثيران، والطرف الآخر تثبت به سنة حديد حادة لشق الأرض . (٢) **المقرنة (مصلبة)**: وتستخدم كضابط لمسار الثورين، فتوضع على رقبتهما، وتربط بالحبال، وهي مصنوعة من الخشب، ويربط في منتصفها العود (المحراث) ، والمدمس في حالة الدمس، وعندما يربط بها الثوران فإنهما يسيران على خطين متوازيين في اتجاه واحد. (٣) **المدمس** : وهو قطعة خشبية ثقيلة ذات سمك يصل إلى خمسة وعشرين سنتيمتراً، وذات طول يصل إلى متر وسبعين سنتيمتر، وتمسح آثار الحرث وأقدام الثيران، وتغطي الحب بالتراب، وتربط بالمقرنة عن طريق الحبال أو ما يسمى الجر، وتسمى الثيران إذا تم وضع آلات الحرث عليها وتجهيزها للحرث الضمد [٢] . أما السماد فيعتمد على مخلفات المواشي وفضلاتها، فتجمع حتى تصبح أكواماً كبيرة تسمى (دمنة)، ثم تنقل على ظهور الجمال والحمير بواسطة الحفص المصنوع من الطفي وتوضع في البلاد (المزرعة)، وتنثر في أنحائها .

(*) عرف أهل الباحة الكثير من الحرف والصناعات التقليدية مثل: جمع الحطب، والصيد، وحرف الدباغة والخرازة، والنسيج والخياطة والصباغة، والنجارة، والحدادة وصياغة الذهب والفضة، وصناعة الفخار، والبناء، وصناعة الطفي، والحجامة، والحلاقة،

---

(١) للمزيد عن مواسم الزراعة عند العرب قديماً انظر كتاب (الأنواء) لابن قتيبة، ودراسة مواسم الزراعة في بلاد تهامة والسراة موضوع جيد ويستحق أن يكون عنواناً لبحوث أكاديمية عديدة .

(٢) جميع هذه الأدوات انقرضت وأصبحنا لا نشاهدها إلا في بعض المتاحف الشعبية في منطقة الباحة وغيرها من بلدان جنوبي البلاد السعودية، والموروث الزراعي القديم مهم ويجب أن ندرسه لأبنائنا وحفدتنا حتى يدركوا معاناة آبائهم وأجدادهم، ويطلعوا أيضاً على بعض من الصور الحضارية التي مارسوها وعاشوها .

ومهن أخرى عديدة في المجالات الزراعية والتجارية والصحة والتعليم وغيرها[١]. ومن خلال تجوالنا في نواح عديدة من بلاد تهامة والسراة وإنجازنا بعض البحوث الحضارية مثل: تاريخ الحرف والصناعات القديمة في عسير، وأجزاء من مناطق نجران والباحة وجازان[٢]، اتضح لنا عدة أمور نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. كان الآباء والأجداد في القرون الماضية المتأخرة يعتمدون بالدرجة الأولى على أنفسهم، فيسعون إلى توفير كل أغراضهم وأدواتهم الضرورية في كسب معاشهم، فالمزارع مثلاً يصنع معظم احتياجاته في الزراعة بنفسه، وإذا عجز عن توفير شيء ما فإنه يذهب إلى أحد أبناء قريته أو قبيلته أو منطقته، والقادر على تلبية حاجاته، يقدمها له بالإعارة أو يصنعها له إذا كان من القادرين على ذلك، وهكذا تسير الأمور في باقي الأغراض أو المهن الأخرى[٣]. وإذا بحثنا عن الحرفيين المتخصصين بمهن محددة مثل: النجارة، أو الحدادة، أو الخياطة، أو الدباغة والخرازة وغيرها، فهم قليلون، وعملهم في الغالب ممارسة مهنهم وصنع أدوات تباع للآخرين[٤].

٢. إذا وقفنا مع كل صنعة أو حرفة وجدنا مقوماتها الأساسية موجودة في البيئة التهامية والسروية، كالمواد الخام لكل صنعة، والأيدي العاملة المحلية، والمناخ، والأسواق الأسبوعية التي يوجد فيها كل احتياجات الناس منذ بداية كل صنعة حتى بيع أو شراء مخرجاتها المصنوعة. ومن ثم ترى عند الناس إلى حد ما اكتفاء

---

(١) للمزيد عن بعض الحرف والصناعات في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، انظر عبدالله بن علي بن سالم العُمري، منطقة الباحة، ص ٧٧-١٠٢، محمد درويش الغامدي، محافظة المخواة، ص ٧٤-١٠٠، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ٢٠٨-٢١٢. وفي أثناء زيارتنا لمنطقة الباحة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) شاهدنا في بعض أسواقها ومتاحفها الشعبية العديد من الأدوات القديمة، المصنوعة محلياً بأيدي حرفيين من أهل البلاد.

(٢) للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٤٧-١٦٣، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الأجزاء، (الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس)، للمؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ص ١٤٩-١٥٤.

(٣) هكذا كان ديدن المجتمع في السابق، وظاهرة التعاون والتآزر من القيم الرئيسية التي كانت سائدة بين أفراد القرية الواحدة أو القرى المتجاورة، مع أنها اليوم تدهورت بل أصبحت أحياناً مفقودة.

(٤) التقى الباحث خلال العشرين عاماً الماضية العديد من الحرفيين القدماء الذين عاصروا النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فوجد عندهم أخباراً وروايات منوعة عن مقومات صناعاتهم القديمة، وأسعار المواد المصنوعة، وتعايش الناس وتراحمهم، بل عثرنا على بعض الوثائق الخاصة ببعض المهن مثل: صناعة الخصف، والفخار، والجلد، والخشب وغيرها. ومعظم هذه الوثائق تدور حول أسماء بعض المواد الأساسية في تلك الصناعات، وأسماء الحرفيين وأماكن وجودهم في القرى الباحوية والعسيرية والجازانية. وإجراء دراسة مقارنة عن الحرف السعودية في مجال الصناعات موضوع يستحق أن يخرج عنه عشرات الدراسات، نأمل أن يلتفت الباحثون والصناعيون والاقتصاديون إلى مثل هذه الجوانب فتثرى بالبحوث والدراسات الأكاديمية.

ذاتياً محلياً، وإذا احتاجوا إلى أشياء أخرى وهي قليلة فتستورد من الأسواق المحلية، أو من بعض الأسواق الأخرى في الحجاز والقنفذة واليمن وغيرها[١] .

٣. نلحظ أن جميع أو معظم الصناعات والحرف القديمة في بلدان تهامة والسراة انقرضت، فلا يعرف أسماؤها، أو طرق صنعها، أو استخدامها إلا الأجيال السابقة، ومعظمهم ماتوا، وأصبح جيل اليوم لا يعرف من حضارة آبائه وأجداده شيئاً، ومن ثم فالمسؤولية كبيرة على مؤسسات التعليم، والثقافة، والسياحة وغيرها فتؤسس مراكز علمية وبحثية تربط الماضي بالحاضر، وتبين للناس اليوم كيف كانت حياة آبائهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية [٢] .

(*) تاريخ التجارة في بلاد الباحة خلال القرون الماضية المتأخرة:

موضوع مهم وجديد في بابه وتفصيلاته، وقد أشرنا إليه في كتابنا: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الجزء الخامس)** في صفحات عديدة[٣]، ونورد في هذا الجزء فقرات أخرى، هي على النحو التالي :

١. موقع منطقة الباحة استراتيجي فهو يربط بين مناطق وحواضر عديدة في بلاد تهامة والسراة، بل تمتد بركات هذا الموقع إلى أن تتصل ببعض موانئ البحر الأحمر، وحواضر اليمن والحجاز[٤] .

٢. تعدد الأسواق الأسبوعية القديمة في بلاد الباحة تهامة وسراة، بل إن معظم القبائل كانت تقيم أسواقاً أسبوعية عديدة في بلادها، وهذه الأسواق على صلات اجتماعية

---

(١) تاريخ الحرف والصناعات في الباحة، أو عسير، أو القنفذة والليث، أو جازان، أو نجران خلال الثلاثة قرون الماضية موضوعات تستحق أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية، ونأمل من الطالبات والطلاب في برامج الماجستير والدكتوراه بأقسام التاريخ في جامعات الجنوب ومكة وجدة أن يلتفتوا إلى مثل هذه الميادين العلمية، وهي جديرة بالاهتمام والدراسة .

(٢) في أثناء تجوالنا في مناطق السراة خلال السنوات الماضية المتأخرة، زرنا متاحف شعبية، والتقينا أعداداً كبيرة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم من (١٥ـ ٣٥) سنة، وتحدثنا معهم عن بعض الثقافات والمفردات اللغوية لكثير من الأدوات والأسماء القديمة فوجدناهم لا يعرفون عنها أي شيء، بل قال بعضهم هذه مصطلحات وثقافات غير صحيحة، وآخرون يعلقون باحتقار أو سخرية، ولا يعلمون أنها كانت جزءاً من حياة الآباء والأجداد ولهذا فربط الشاب والشابة بحضارة الآباء والأجداد مهمة، مهما كانت متواضعة، وكم عرفنا من النجارين، أو الحدادين، أو الدباغين، أو الخياطين، أو الرعاة، وغيرهم في العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، ونرى بعض أبنائهم وأحفادهم اليوم أصبحوا أدباء أو شعراء أو أطباء أو مهندسين أو علماء يشار إليهم بالبنان . هكذا هي سنة الحياة لكن ترابط تاريخ الأمم مهم، ومعرفة الأجيال اللاحقة كيف كان تاريخ آبائهم وأجدادهم وأجيالهم السابقة في غاية الأهمية .

(٣) انظر الكتاب نفسه، ص ٢١٢ ـ ٢٣١ .

(٤) منطقة الباحة متوسطة بين الحجاز وعسير والقنفذة والبرك وبعض الأجزاء النجدية، ومن ثم فهي حلقة وصل بين هذه الأوطان المتباعدة . المصدر: مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

واقتصادية وثقافية جيدة بأهل البلاد[١]، وتلك الأسواق مرتبطة بطرق برية عديدة ومتنوعة في أطوالها واتساعها وأهميتها، ومن تلك الطرق ترد أو تصدر الكثير من السلع المتنوعة في أحجامها وأعدادها وأشكالها[٢]، وكان البعض من أهل البلاد يتاجرون في بعض السلع المحلية، كالحبوب، والمواشي وأحياناً المصنوعات التقليدية المحلية، كما عرف أهل الباحة الكثير من التعاملات التجارية مثل: المقايضة، أو التعامل بالعديد من العملات التي عرفتها الجزيرة العربية خلال القرنين الماضيين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)[٣].

٣. تجارات الماضي لا تقارن مع الوضع التجاري منذ نهاية القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فالحياة التجارية السابقة كانت محدودة في أسواقها وسلعها وتجارها وطرقها بسبب ضيق الحياة الاقتصادية، وتدهور الحياة السياسية، فالأمن مفقود، ولا توجد حكومات شمولية تفرض هيمنتها على البلاد بعكس التاريخ المعاصر الذي توفر فيه الحكم السياسي القوي، والخدمات التنموية، كالطرق والمواصلات الجيدة، والأسواق المحلية والإقليمية والعالمية، إلى جانب توفر المال والرخاء في أيدي الناس وغيرها من المؤهلات الجيدة وذلك يختلف تماماً مع ظروف الناس الصعبة قديماً[٤].

٤. من خلال البحث في وثائقنا الخاصة، وفي بحوث طلابنا السابقة على مدار (٢٥) سنة، وتجوالنا في منطقة الباحة وزيارتنا لبعض الباحثين وشيوخ العشائر وأصحاب المكتبات الخاصة أو المهتمين بتراث المنطقة استطعنا أن نطلع على عشرات الوثائق،

---

(١) الأسواق القديمة ليست للبيع والشراء فقط، ولكنها حاضنات اجتماعية وثقافية وفكرية واقتصادية وإعلامية لمن يرتادها أو يقوم على حمايتها. وإجراء دراسة تاريخية حضارية على أسواق غامد وزهران خلال القرون الثلاثة الماضية موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٢) الطرق ووسائل النقل، وكذلك الصادرات والواردات من وإلى منطقة الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون بحثاً أكاديمياً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، نأمل من أحد الباحثين في أقسام التاريخ السعودية أن يتولاه بالدراسة والاهتمام.

(٣) عرفت منطقة الباحة بعض العملات الأوروبية والمصرية والعثمانية، كما وصلت إليها بعض العملات الأجنبية الأخرى وبخاصة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي النصف الثاني من القرن الهجري الماضي سادت العملات العربية السعودية. للمزيد عن التعاملات التجارية في مناطق الجنوب السعودي خلال القرنين الماضيين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م). انظر علي أحمد عسيري. عسير (١٢٤٩ـ١٢٨٩هـ)، ص ٤١٣ وما بعدها، ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ص ١٧٥ وما بعدها، للمؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ١٦٢ وما بعدها، عبدالله علي سالم العُمري، منطقة الباحة، ص ١٠٦ ومابعدها.

(٤) دراسة الحياة التجارية الحديثة منذ أربعين عاماً مهمة وتستحق أن تدرس في عدة مجلدات، أما تاريخ القرون الماضية فهذه مهمة المؤرخين والمتخصصين في أقسام التاريخ بجامعات: الباحة، والملك خالد، أو الطائف فيدرسوا أحوال التجارة والتجار في بلاد تهامة والسراة وهو موضوع جيد ويستحق أن يصدر عنه دراسات تاريخية متعددة.

ونسمع الكثير من الراويات والأخبار الاقتصادية للغامديين والزهرانيين، **ومن ثم خرجنا ببعض الانطباعات التي ندرج أهمها في البنود التالية :**

أ- أن التجارات الغامدية والزهرانية بين الباحة ومدن الحجاز الرئيسية كانت نشطة وقوية، فهناك الكثير من السلع الواردة والصادرة عن الباحة إلى الطائف ومكة وجدة والعكس صحيح، وقد اطلعنا على أسماء الكثير من التجار الغامديين الذين كانوا أصحاب محلات تجارية في تلك الحواضر الحجازية[١].

ب- بعض الوثائق ذكرت أسماء وأسعار السلع التي كانت تصدر عن الحجاز أو القنفذة أو جازان إلى الباحة، وهذه الوثائق احتوت أيضاً على أسماء تجار من منطقة الباحة وخارجها، وأشارت أيضاً إلى بعض الأسواق الأسبوعية في تهامة والسراة، وأحياناً إلى وسائل النقل مثل الجمال والحمير وأجورها مع أصحابها، أو بدونهم [٢].

ج- من الثابت أن المنطقة مرت خلال الأربعة القرون الماضية بالعديد من الصراعات الحربية والسياسية، وفي وثائق تلك الفترة ظهر لنا الكثير من المعلومات المتعلقة ببعض السلع الحربية وأسعارها، ووسائل النقل، والتعاملات التجارية بين أهل البلاد والغازين لبلادهم مثل العثمانيين وغيرهم، وما جرى من معوقات ودمار على الحياة التجارية نتيجة لتلك الصراعات السياسية [٣].

د- هناك وثائق أو مراجع أخرى أشارت إلى معوقات أخرى في الميادين الاقتصادية والتجارية مثل: الصراعات القبلية وأثرها في خراب الاقتصاد، واللصوص وما يقومون به من سلب ونهب في الأسواق أو المزارع، أو سرقة بعض البهائم والمواشي، وكذلك الأمراض والجفاف والقحط الذي كان يحل على البلاد من وقت لآخر[٤].

---

(١) تاريخ الغامديين والزهرانيين وصلاتهم مع الحجازيين وبخاصة سكان مكة والطائف قديم جداً يعود إلى ما قبل الإسلام وعبر عصور الإسلام المختلفة . وهذا الباب يستحق أن يتصدى له عدد من المؤرخين والباحثين الجادين.

(٢) يوجد في مكتبة الباحث العلمية بعض من هذه الوثائق التاريخية والحضارية، ونأمل أن يظهر لنا من أبناء منطقة الباحة مؤرخ جاد يتولاها بالبحث والدراسة، ومازال منها الكثير عند بعض الأسر والبيوتات العلمية في غامد وزهران .

(٣) تاريخ الحياة الحضارية في منطقة الباحة في ضوء الوثائق السياسية والعسكرية خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع مهم ويستحق الاهتمام .

(٤) المعوقات الاقتصادية في القرون الماضية موضوع جدير بالدراسة. ومازال هناك بعض كبار السن الذين يذكرون بعض القصص والروايات التي عاشها أهل البلاد خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

هـ- في بعض الاتفاقات والوثائق القبلية نجد ذكر بعض العقوبات التي تضعها القبيلة أو العشيرة على من يتعدى على حقوق الناس التجارية والزراعية والصناعية، ومثل تلك العقود والاتفاقيات تحد من تدهور الحياة الاقتصادية في البلاد[١] .

٣ـ صور من الحياة العلمية والثقافية :

(✻) الحديث عن التعليم موضوع كبير يستحق مئات الصفحات، وموقع منطقة الباحة الجغرافي يؤهلها إلى أن يصل إليها بعض الفقهاء والمعلمين من الحجاز أو بلدان الساحل كالقنفذة والبرك وجازان وبعض المدن اليمنية الأخرى[٢]، ولن نفصل الحديث عن تاريخ الحياة العلمية والتعليمية والثقافية في بلاد غامد وزهران خلال القرون الماضية المتأخرة . وإنما نذكر محاور رئيسية لعلها تقود بعض الباحثين والمؤرخين إلى دراسة هذه الباب الواسع، فنقول:

١. أشرنا إلى صور من تاريخ منطقة الباحة في حوالي خمسين صفحة من كتابنا: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الجزء الخامس)**[٣] .
٢. هناك بعض الكتب المطبوعة، أو الرسائل العلمية، أو البحوث المنشورة في بعض المجلات العلمية الأكاديمية أشارت إلى نتف من تاريخ التعليم في الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)[٤] .
٣. في بلاد غامد وزهران بعض الأسر والبيوتات العلمية التي كان لها دور تعليمي تنويري في القرنين الهجريين الماضيين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وقد قابلت بعض أبناء أو حفدة هذه الأسر في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ورجوتهم ألا يبخلوا بتراث آبائهم وأجدادهم من النشر وتمكين الباحثين من الاطلاع عليه[٥] .

---

(١) أثناء تجوالنا في مناطق الجنوب السعودي خلال السنوات الماضية المتأخرة استطعنا أن نجمع كثيراً من الاتفاقيات والعقود الصادرة عن بعض القرى أو العشائر، والهدف من أقرارها والتوقيع عليها هو إيجاد قواعد وأنظمة بين أفراد العشيرة أو القرية الواحدة، بهدف نشر الأمن بينهم ومنع الاعتداء ات بعضهم على بعض، وإيجاد مجتمع مترابط تسوده الرحمة والتعاون ودفع الضرر عن أهلهم وبلادهم، ومثل هذه الاتفاقيات كثيرة وبخاصة في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وهي جديرة بالجمع والدراسة والتحليل .

(٢) وصل إلى بلاد الباحة بعض المعلمين من نواح عديدة في الجزيرة العربية، بل ذهب بعض أبنائها في القرن (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) إلى الحجاز أو مصر أو اليمن وربما إلى السودان والقرن الإفريقي لطلب العلم هناك.

(٣) انظر الكتاب، ج٥، ص ١٣٨ ـ ١٤٤، ص ٢٣١ ـ ٢٦٠، ٣٠١ ـ ٣١٥ .

(٤) هذا ما وجدته في بعض المكتبات الجامعية، مثل أم القرى، والملك عبد العزيز، والإسلامية بالمدينة المنورة، والملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة .

(٥) من المؤسف أنني التقيت عدداً كثير من أبناء وحفدة الأسر والبيوتات العلمية التي ظهرت في جازان، ونجران، وعسير، والقنفذة، والباحة خلال العقود الثلاثة الماضية المتأخرة، وطلبت منهم ألا يحجروا على تراث وعلوم أسرهم وآبائهم وأجدادهم الأوائل (رحمهم الله) والذين كان لهم فضل على أهل المنطقة تعليميا وفكريا وثقافيا، وغالبية هؤلاء الأبناء والحفدة (هداهم الله) يتحججون بأعذار واهية، كأن يقولوا ليس عندنا شيء، وهم غير صادقين، لأن أجدادهم وآباءهم (غفر الله لهم) كانوا أعلاما في بلادهم، وكثير منهم كان له مدونات ومراسلات ووثائق متنوعة، وهناك من وعد بنشرها أو مساعدة الباحثين في الاطلاع عليها ودراستها، وفريق ثالث لا يتعاون ولا يعتذر ولا يعد بشيء . وقد أعالج هذه النقطة بتوسع في بحث آخر وأذكر ما عرفته وشاهدته خلال ثلاثين عاما .

٤. يوجد في منطقة الباحة الكثير من الوثائق المتناثرة في أيدي بعض الأسر أو الأفراد، ويوجد فيها مادة علمية جيدة عن تاريخ التعليم، ونأمل من أصحابها أن يدفعوها إلى من يدرسها، كما نأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية أكاديمية تهتم بمثل هذا النوع من الوثائق ثم تشجع الباحثين على دراستها وتحليلها [١] .

٥. على إدارات التعليم في المنطقة، وعلى الأدباء والمتعلمين المتأخرين والمتقدمين أن يحافظوا على السجلات والوثائق التي تؤرخ للتعليم في المنطقة، بل عليهم أيضاً أن يدونوا خبراتهم وذكرياتهم في مجال التعليم، كما نرجو أن نرى أكاديميين مؤرخين باحثين جادين من الغامديين والزهرانيين ليدرسوا الحياة الثقافية والتعليمية في هذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة [٢].

كان عند الغامديين والزهرانيين بعض العلوم والمعارف الأخرى مثل: معرفة علوم الزراعة وفصولها وأمراضها، أو الحرف والصناعات التي سبق الإشارة إلى بعضها، أو الأهازيج والفنون (الفلكور) الشعبية واللغوية والأدبية، أو الحكم والأمثال والأحاجي والفكاهة وغيرها[٣] . وهذه الموضوعات لن نناقشها، ونأمل أن نرى في المستقبل بعض الباحثين الجادين الذين يجمعون مادتها ويدرسونها، ولكن في الصفحات التالية نشير إلى :

(*) لمحات من حياة الطب والتطبيب عند أهالي الباحة [٤].

مادة هذه المحور تم جمعها قبل أكثر من عشرين عاماً عن طريق أحد طلابي في مرحلة البكالوريوس[٥]، وهو عبد الله بن علي بن سالم العُمري[٦]، الذي أعد بحث تخرجه

---

(١) على جامعة الباحة مسؤوليات كبيرة تجاه سكان وبلاد منطقة الباحة، ويجب أن تستشعر هذه المسؤولية وتسعى إلى خدمة البلاد والعباد بكل ما يفيد .

(٢) زرنا منطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) والتقينا بعض أدبائها ومعلميها، كما زرنا إدارة التعليم العامة في الباحة، وحاولنا الاطلاع على أرشيفها لكن المسؤولين فيها لم يمكنونا من ذلك، وذهبنا إلى إدارة تعليم المخواة فلم نجد تجاوباً من إدارتها أيضاً، واتصلنا بنادي الباحة الأدبي فلم نجد في مكتبته ما يفيد في تاريخ التعليم . ونقول إن تاريخ التعليم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع مهم، ومادته العلمية متوفرة مقارنة بالقرون السابقة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس هذا الموضوع، ومن يفعل ذلك فسوف يضيف إلى المكتبة العربية عملاً علمياً جيداً .

(٣) جميع هذه الموضوعات تستحق البحث والدراسة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(٤) لمزيد من حياة الطب والتطبيب في عسير وجازان، انظر: غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٠٨-١١٧، للمؤلف نفسه، أبها حاضرة عسير، ص ٣٩٢ - ٤٠٤ .

(٥) لقد أشرفنا على أكثر من (٤٠٠) بحث طلابي، وجميعها بحوث تخرج من عام (١٤١٢-١٤٢٣هـ / ١٩٩١-٢٠٠٣م)، ونسخ من تلك البحوث توجد ضمن مكتبة الباحث تحت أرقام تسلسلية، وكل بحث لا يخلو من جديد كالوثائق والصور ومادة علمية وغيرها، و (٩٨٪) من هذه الدراسات تتعلق بتاريخ وحضارة وتراث بلاد تهامة والسراة الممتدة من الحجاز شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً، وعلى وجه الخصوص في العصر الحديث (ق١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) .

(٦) عبد الله بن علي بن سالم العُمري من محافظة المخواة، كان أحد طلابنا في بداية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وتخرج عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، وحسب علمنا أنه عمل مدرساً في أبها سنوات عديدة، واشتغل إماماً في مسجد سجن أبها الرئيسي، ثم انتقل إلى مسقط رأسه في مدينة المخواة، ويعمل حالياً في مجال التربية والتعليم هناك، ولا أعلم ما مصيره الآن، إلا أنه من سكان المخواة ومن قبيلة بني عمر في منطقة الباحة .

آنذاك تحت إشرافنا عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، والموسوم بـ: **منطقة الباحة (بلاد بني عمر، وغامد، وزهران) (خلال القرنين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) (دراسة تاريخية حضارية)**[١].
وفي عشر صفحات من دراسته أورد عنواناً سماه (**الصحة واستخدام البيئة في الطب**)[٢]، ثم دون تفصيلات كثيرة، لكننا نذكرها هنا بتصرف بعد تهذيبها وتشذيبها، وأحياناً صقل أسلوبها، فنقول: بعض النباتات المستخدمة في علاج عدد من الأمراض مثل: التوابل التي ترتكز عليها آلاف الوصفات الطبية، كالكزبرة، والكمون، والقرفة، والشيح، (البابونج)، والمصطكى، والحبة السوداء، واللبان، والهيل، والنعناع، وتدخل الزهور كعناصر علاجية في بعض الوصفات كالنرجس، والورد، والحناء[٣]. ومن الفواكه السفرجل، والمشمش، والليمون، والخوخ، والرمان، والتين، والعنب، والنبق، والتوت، وهناك مجموعة أخرى من الحبوب مثل القمح، والزيوت بأنواعها، والزيتون، والجوز، واللوز، والبصل، والعدس، والقثاء، والسمن، والرجلة، والجرجير، والخس، والثوم، والجزر، والفجل، والحمص، والشعير، والتمر، والبرسيم، والملح، والقطران، واليانسون، والخل، وعسل النحل، والسنا[٤].

والحيوانات وأعضاؤها وفضلاتها تدخل في خدمة الطب والتطبيب، ولا يتسع المجال للحديث عن كل عنصر من هذه العناصر واستخداماته الطبية، ولكن نقتصر على بعض النماذج التي عرفها ومارسها سكان منطقة الباحة مثل الكحل فليس للتجميل فقط وإنما لعلاج بعض أمراض العين وجلاء البصر، ويستخدم العسل في كثير من الأمراض العضوية التي يصاب بها الإنسان، وقد ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: (**فيه شفاء للناس**)[٥]

(❊) **والكي بالنار من أبرز أساليب العلاج الطبي بعد الوصفات التقليدية الأخرى**، ولايشك أحد في مدى صعوبته وخطورته وما يتطلبه من تحمل، فهو كما يقال (آخر الدواء الكي)، ولا يلجأ إليه المريض ولا المحيطون به إلا بعد أن تعييهم الحيل وتسد أمامهم كل الأبواب للعلاج، ويستخدم الكي لعلاج أمراض الرأس، والمعدة، وألم الظهر، وعرق النسا، والروماتيزم، وليس كل إنسان يستطيع ممارسة الكي، وإنما هناك رجال ونساء معروفون

---

(١) البحث يقع في (٢٨٥) صفحة عالج فيها الكثير من القضايا التاريخية لمنطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م)، كما يحتوي على وثائق وصور جديدة في بابها. والطلاب محمد درويش الغشام الغامدي وزملاء آخرين أنجزوا بحثاً عن المخواة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) في عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، وقد استفادوا كثيراً من بحث عبد الله علي سالم العُمري.

(٢) انظر بحث عبد الله العُمري، ص ١١٩ - ١٢٨.

(٣) منطقة تهامة والسراة مليئة بالكثير من النبات والزهور والشجيرات الآنف ذكرها أعلاه.

(٤) يجب على جامعات الملك خالد والباحة وجازان أن تنشئ كليات للزراعة حتى تدرس الأوضاع الزراعية في هذه البلاد، كما أن كليات الصيدلة عليها مسؤولية دراسة الكثير من النباتات والأشجار في بلاد تهامة والسراة والاستفادة منها في الأدوية والعقاقير الطبية.

(٥) سورة النحل، الآية (٦٩).

في بعض القرى بالمنطقة، فهم مشهورون بحسن التصرف، ومعرفة مواضع الكي، وأوقاته، والأدوات المستخدمة فيه[١] ونشير إلى بعض الأمراض وطرق علاجها مثل: (١) **الواهنة** : ألم يصاب به الإنسان في مفصل الكتف ويعالج بالكي في الكتف. (٢) **الشوكة** : وتحدث غالباً عند الأطفال حيث تبدأ بكحة شديدة ومستمرة وتسبب هزالاً شديداً للجسم ويعالج بالكي في الصدر. (٣) **الملحة** : ألم يصيب الإنسان في الركبة ويعالج بالكي فوق الركبة. (٤) **الشقيقة** : وهي ألم في الرأس يسببه عرق في الجبهة ذو لون أخضر مما يسبب ألماً ودواراً وصداعاً بالرأس . ويعالج بإحدى طريقتين : (أ) توضع عليه قطعة من القماش ثم يقوم أحد الحضور بعض ذلك العرق، وفي هذه المسألة يدمن عليها المريض ويأتيه الصداع من حين لآخر. (ب) تكوى الجبهة أو في وسط الرأس فتكون سبباً للشفاء (بإذن الله) (٥) **الرياح (المغص)** : يعالج بتناول بعض المشروبات مثل شراب السنوت المغلي أو الحلبة المغلية[٢] . (٦) **العماش (الرمد)** : وهو مرض يصيب العين، ويتسبب في إقفالها حيث تظهر مقفلة بعد القيام من النوم بسبب إفرازات تخرج منها تشبه إلى حد ما الصمغ، وقد يستخدم الماء الدافئ، والبعض يستخدم البول لغسل العين. (٧) **الظفار**: مرض يصيب العين داخل الجفن ويعالج بفركه بورق الحماط (التين) الخشن حتى يدمي الجفن من الداخل . (٨) **اللقوة (اللوف)** : وهو التفاف في الفك عند الإنسان أشبه ما يكون بالشدق ويعالج بطريقتين (أ) : شده وربطه بجبارة خاصة كالكسر لمدة معينة حتى يعود إلى وضعه الطبيعي . (ب) : يعالج بالكي في أسفل الفك أو في وسط الرأس. (٩) **البداة أو الأبدة (اللشمانيا)** : مرض يحدث للإنسان وخاصة في الوجه ويعالج بعدة طرق: (أ) يكوى في الرأس فيشفى (بإذن الله) . (ب) : يفرك بالملح الصخري حتى يدمي ويذهب ما بداخله من الأوساخ. (ج) : تستخدم الحرباء حيث تسلط على البداة فتمصها حتى يخرج ما بداخلها من دم وصديد عند ذلك يشفى المريض أما الحرباء فتموت حالاً . (١٠) **المشع**: مرض يشبه الانزلاق الغضروفي في العمود الفقري ويعالج بجبارة خاصة تثبت العمود الفقري حيث لا ينثني مع حركة الجسم . (١١) **الخفع (العنك)** : وهو ألم يحصل في مفصل القدم أو اليد غالباً إما لسقوط مفاجئ في حفرة أو اختلال في حركة الجسم أثناء المشي أو ما أشبه ذلك. ويعالج بطريقتين : (أ) بالكي في موضع الألم أو قريباً منه .

---

(١) شاهدنا بعض الممارسين لعملية الكي في عسير وجازان ونواح من الباحة خلال العشرين سنة الماضية، وكان أغلبهم موفقين في علاج كثير من الأمراض، كما شاهدنا بعض آباءنا وأجدادنا، وهم غير خبراء في عملية الكي، يقومون بكي بعض أبنائهم أو أقاربهم إذا حلت بهم بعض الأمراض التي تحتاج إلى كي في عرفهم آنذاك .

(٢) دراسة مثل هذه الأمراض وطرق علاجها قديماً موضوع جيد ويستحق أن يجرى حولها بعض الدراسات التاريخية الموثقة .

(ب) يعالج في بعض الأماكن باستخدام التربة السبخة[١] حيث تسخن في ماء إلى درجة حرارة يطيقها الجسم ثم توضع على محل الإصابة لتساعد في امتصاص الورم وتخفيف الألم ثم يربط محل الخفع حتى يشفى. (١٢) **الفتاق**: ألم يصيب الإنسان في البطن بسبب تمزق في العضلات نتيجة لحمل بعض الأثقال مما يؤدي إلى بروز بعض الأجزاء الداخلية للبطن بحيث تظهر وكأنها ورم في بطن الإنسان، وتعالج بالشد للداخل حتى تلتئم أنسجة الجلد وتعود إلى طبيعتها[٢]. (١٣) **أبو غبب (أبو لحي)** : انتفاخ في الرقبة يشبه التهاب اللوزتين حالياً ويعالج بتكميده بقطعة قماش ساخنة ونحوها. (١٤) **الجير (الكدّاد)** : وهو مرض الحموضة حالياً، ويعالج بالعسل، والبعض الآخر يستخدم الرماد حيث يسف الرماد ليخفف من ألمها. (١٥) **المسيكية** : **(الزائدة الدودية)** : يتم شرب بعض المشروبات لتخفيف ألمها وفي الغالب يتوفى من يصيبه هذا المرض. (١٦) **عرق النسا** : وهو عرق يمتد من مفصل الورك إلى الكعب، ويمتد من خلف الفخذ وتضعف معه الرجل والفخذ، ويعالج بالفصد من بين أصابع القدم، وكذا يعالج بالحجامة على ظهر القدم والكي أحياناً، وهو يصيب الرجال والنساء على حد سواء. (١٧) **آلام الضرس**: وهي آلام ناتجة عن التسوس أو الالتهابات وما شابهها فيعالج بعدة طرق (أ) توضع مرارة الذبيحة عليه لتخفيف الألم. **(ب)** يعالج باستخدام الملح ووضعه على محل الألم ليساعد على تخفيفه. (ج) يكوى بسلك ساخن أو مسمار. (د) يلجأ البعض لاستخدام الدخان الأخضر لأن فيه مادة مخدرة تخدر الألم، ولكن قد يدمن الإنسان على هذا الدخان بعد فترة من استعماله، وهناك عدد كثير من الآلام التي كان يصاب بها الإنسان ولكن لا يتسع المجال لحصرها.

أما الأمراض التي تصيب الحيوانات وطرق علاجها فهي: (١) **الحمة** : مرض يصيب الغنم (الماعز) في الفم وهو على هيئة جروح، ويعالج بالكي في مؤخرة الأنف. (٢) **الدورة (الصرع)**: مرض يصيب الضأن ويسبب لها دواراً بحيث لا تستطيع الوقوف على أرجلها، وأحياناً يتسبب في موتها، وتعالج بالكي في وسط الرأس بشكل طولي. (٣) **الرامي** : مرض يصيب الماعز والضأن في هيئة إسهال ويعالج بإحدى طريقتين : (أ) تكوى في الرأس طولاً وعرضاً بشكل صليب. **(ب)** يلجأ بعض الرعاة إلى الرمي ببندق أبي فتيل أو قبسون بعد حشوها بالبارود وذلك في الصباح الباكر حيث يرمي وسط المراح (شبك الغنم) فتشم الغنم رائحة البارود فتشفى (بإذن الله)[٣]. (٤) **الحرباء (الحرة)**: مرض يصيب البقر

---

(١) السبخة : نوع من التربة سوداء شديدة الملوحة.

(٢) لدى القدماء الفطنة وحسن التدبير، فتراهم يتكيفون مع بيئاتهم ويسخرونها في خدمتهم، وليس ذلك في مجال التطبيب فقط، ولكن في جميع أمور حياتهم السياسية والحضارية.

(٣) الدارس أحوال العرب من قبل الإسلام وعبر عصور التاريخ الإسلامي يجدهم يبذلون قصارى جهودهم للاستفادة من بيئاتهم في كل ما يعود عليهم بالنفع والفائدة.

ويتسبب في سيلان لعابها، ويتمركز في فمها، ويتسبب أحياناً في موتها، ويعالج بأن تكتف البقرة وتلقى على الأرض ثم يفتح فمها ويشد لسانها ثم تستخدم أداة حادة كالإبرة مثلاً في نقر عرق أخضر من آخر اللسان حتى يظهر الدم ثم يدلك بالملح وتشفى بعد أيام قليلة (بإذن الله). (٥) **الهيام (الهياج)**: مرض يصيب الإبل فتهيم في الأرض على وجوهها، وتسير بدون توقف وتكثر من شرب الماء، ويعتقد أن الإبل التي ترعى شجر المض والقرض يكون لديها مناعة ضد هذا المرض. (٦) **أبوكتيف** : مرض يصيب الغنم والإبل والبقر ويتسبب في تساقط الشعر . (٧) **الجرب**: وتصاب الغنم والإبل ويعالج بطلائها بالمهل (القطران) . (٨) **القطبة**: تصيب الضأن في السبلة (الذيل) فيظهر مكانها بقع حمراء أشبه ما تكون بالجدري وتعالج أيضاً باستخدام القطران .

(*) **الحجامة : من الطرق التي يتم بها العلاج لقوله (ﷺ): الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار . وأنا أنهي أمتى عن الكي**"[١]، وقد ورد في الأثر عن النبي (ﷺ) أنه احتجم وأعطى الحجام أجره، وفي الصحيحين عن حميد الطويل عن أنس : أن رسول الله (ﷺ) : " حجمه أبو طيبه : فأمر له بصاعين من طعام، وكلم مواليه : فخففضوا [٢] عنه من ضريبته .

وقت الحجامة فعن أنس قال: " كان الرسول (ﷺ) يحتجم لسبعة عشر، وتسعة عشر، وفي إحدى وعشرين، وتكون في الصباح الباكر لما ورد في الأثر " الحجامة على الريق دواء " وعلى الشبع داء، وفي سبعة عشر من الشهر شفاء " أما اليوم الذي تستحب فيه الحجامة فهو يوم الاثنين لحديث نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر " **تبيغ بي الدم فابغ لي حجاماً، ولا يكن صبياً، ولا شيخاً كبيراً . فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الحجامة تزيد الحافظ حفظاً، والعاقل عقلاً، فاحتجموا على اسم الله تعالى، ولا تحتجموا الخميس والجمعة والسبت والأحد . واحتجموا الاثنين . وما كان من جذام ولا برص، إلا نزل يوم الأربعاء**" .

أما كيفية الحجامة فلها أناس يشتهرون بها في كل منطقة، ويستخدمون قرون البقر للحجامة وتكون كما يلي : - يقوم الحجام بتحديد موضع الحجامة ثم يحلق الشعر إن وجد، وبعد ذلك يضع المحجم على الموضع ويمصه مصاً حتى يلتصق المحجم بالجلد، ثم يسد فتحة المحجم بطين أو لبان حسبما توفر، ويترك المحجم على ذلك الحال فترة تتراوح بين عشر دقائق إلى عشرين دقيقة، ثم يفك المحجم فيجد مكان المحجم وقد تجمع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه .

(٢) خفضوا عنه : خففوا عنه بعض الشيء من الضرائب المطلوبة منه.

به دم شديد الزرقة، ثم يقوم بتشريط ذلك المحل بالموس بضع شرطات، ثم يقوم بمتابعة المص حيث يتوالى خروج ذلك الدم الفاسد، وعند ذلك تكون الحجامة قد انتهت عند هذه الحد، وتنتشر في صفوف كبار السن بمنطقة الباحة، فتجدهم يحتجمون بين فترة وأخرى حسب ما اعتادوا عليه، ولم يكن الحجام قريباً من كل واحد بل يذهبون إليه من مكان لآخر للاحتجام، وغالباً يقوم بها العبيد[1].

(*) **الجروح : تدفع الحاجة الإنسان إلى استخدام موارد البيئة بشتى أنواعها،** فالإنسان يعمل في الزراعة والبناء والتجارة والرعي وقطع الأخشاب وغيرها، ومن ثم فهي أعمال شاقة ويتعامل مع آلات حادة مما يجعله عرضة للإصابة بأنواع مختلفة من الإصابات بين حين وآخر، وكان على الإنسان أن يفكر في وسائل وطرق علاجية إذا وقع له بعض الإصابات، فبدأ يبحث ويجرب بعض الأشجار مثل: (١) **العثرب** : وهي شجيرة برية تجفف أوراقها ثم تدق ويضمد بها الجرح.(٢) **البدا**: نبته حولية صغيرة يستفاد من السائل الذي يستخرج منها كمطهر للجروح.(٣)**الثفا أو حب الرشاد (الحلف)**: يستخدم لعلاج الجروح فيدق ويعجن ويضمد به على الجرح فيقتل الميكروبات ويساعد على التئام الجرح، ويستخدم للكسور في العظام.(٤) **الغرب**: نوع من الشجر البري توضع أخشابه بعد قطعها في أفران ثم توقد عليها النار حتى يخرج منها مادة سوداء تعرف بـ (القطران)، يستخدم لعدد من الأمراض التي تصيب الحيوانات مثل الجرب. (٥)**الدبيل** : وهو نبات بري ينتشر في الأودية ويستفاد من ثماره فتوضع على الجرح ثم تربط لوقف النزيف . (٦) **الرين**: وهو نبات ينتشر في الأودية ويستفاد من أوراقه في وقف النزيف من الجروح، وهناك الكثير من الأشجار والنباتات التي تستخدم لعلاج الجروح، وأحياناً يستخدم بيت العنكبوت فيوضع على الجروح فيساعده على الالتئام .

(*) **السموم تكمن فيما يتناوله الإنسان من مواد سامة، وقد تتسبب في الوفاة،** وأيضاً لدغ الزواحف مثل الحية، والثعبان، والعقرب . والإنسان إذا أكل نباتاً أو شرب شراباً ساماً سواءً عن طريق الخطأ، أو عن غير علم كالأطفال فإنه يعالج بعدة طرق أهمها: الاستفراغ، حيث يدفع نفسه ويساعده الحاضرون على إخراج ما في معدته من مواد سامة، وربما يسقى بعض المشروبات مثل الحليب ليتمكن من مقاومة ذلك السم، وفي أكثر الأوقات كان المريض يقضي عدة أيام في الفراش وقد ينجو وربما يموت .

---

(١) أصبحت الحجامة تمارس اليوم في المستشفيات والمراكز الصحية، وبطرق أنظف وأجود مما كانت عليه عند الأوائل .

أما الشخص الذي يتعرض للدغات حشرات أو زواحف سامة فيعطى البصل والثوم للأكل، وقد يفرك مكان اللدغة بهذه المواد اعتقاداً بأنها تبطل أثر السم، وتنقسم اللدغات إلى عدة أقسام هي: (١) **لدغة الحية** : والحية من الزواحف الخطيرة، وأحياناً يتعرض لها الإنسان ليلاً في أثناء سيره على الأقدام، حيث تخرج عندما تحس بالبرودة والظلام للبحث عن قوتها فتهاجمه عند إحساسها بالخطر، وربما تعرض للدغتها نهاراً في أثناء مزاولته الأعمال مثل البناء والحفر والحصاد، لأنها تكون في مرحلة سبات في أثناء النهار، وعندما تحس بالخطر قريباً منها تقوم بمهاجمة من يقترب منها، وتفرز السم في جسده، وفي هذه الحالة يعالج المريض بعدة طرق: (أ) يستخدم نبات (الغاقة) وهو نبات أخضر وصغير ينبت في الأودية ويقطف ويدق ثم يخلط حتى يظهر منه جفال (جفاء) ، ويشرخ مكان اللسعة ثم يوضع عليها فيشفى (بإذن الله) ، وفي كثير من الحالات يستخدمون حليب الإبل كشراب للملدوغ . (**ب**) يلجأ البعض إلى استخدام نبات الشذاب فيدق ويوضع على صاج ساخن ثم يشرخ مكان اللسعة ويبخر ببخار ذلك الشذاب، وكذلك نبات الطباق. (ج) يذبح البعض منهم شاة حال اللدغ ويفرغ كرش الذبيحة ثم يربط الكرش على المكان الملدوغ، وفي كل الحالات السابقة يقوم جماعة المريض بمسامرته ومساهرته ثلاثة أو أربعة أيام، ويمنعوه من النوم خشية أن يحلم بها، ففي اعتقادهم أن الملدوغ إذا رآها في المنام تعود عليه مرة أخرى فينتشر السم في جسده مما يودي بحياته، والطرق العلاجية السابقة تستخدم في لدغات الأفعى والحية والثعابين.

(٢) **لسعة الأسود** : وهو يشبه الحية في الطول والظروف المعيشية، إلا أنه يتميز باللون الأسود البراق والجسم النحيل الذي قد لا يزيد سمكه عن سمك قلم الرصاص، ويتميز بسرعة وخفة الحركة، فيقال أنه يلسع من ثلاثة أماكن وهي الفم والبطن (السرة) والذنب (الذيل) ، ويرى البعض أنه يطير ويلتف حول نفسه كسلك الزنبرك، ثم يقفز لمسافات طويلة، واشتهر هذا النوع بقوة لسعته وقوة السم الذي ينفثه في الملدوغ، والمريض إذا مضى عليه عدد من الساعات ملدوغاً ولم يفارق الحياة فإن له أمل في الحياة (بإذن الله) ، وغالباً يفارق المصاب الحياة بعد اللدغة بوقت قصير، ومن المعتقدات الشائعة في المنطقة أن الأسود إذا قتل لابد من حرقه لأنهم يقولون إذا لمع البرق في السماء فإنه يحيا مرة أخرى . (٣) **لسعة العقرب** : وهي الوحيدة التي تهاجم الإنسان حيثما كان، وتلدغ من الفم أو من الذنب (الذيل) ولكن لسعة الذيل أشد من لسعة الفم، والعقارب على نوعين : الذكر: ويتميز بظهره الأسود وهو أشد لسعاً من الأنثى، والأنثى وهي أكبر حجماً من الذكر وتتميز بظهرها الأصفر وهي أقل خطورة من الذكر. ولعلاج لسعات العقارب **عدة طرق**: (١) يؤكل الثوم والبصل بكثرة ويشرخ مكان اللسعة ثم يفرك بالثوم والبصل . (٢) يقوم

البعض بكي المريض كية في الرأس. (٣) يشرخ مكان اللسعة ويمص السم حتى يخرج. (٤) كان بعض الناس يجمعون عدداً من العقارب ويضعونها في قارورة بها زيت، فتبقى بها عدة أشهر، فإذا لسع أحدهم بعقرب قاموا بشرخ مكان اللسعة ووضع شيء من ذلك الزيت على اللسعة، ويسقى المريض في جميع الحالات السابقة مرق الدجاج المذبوح حديثاً، وقد يتعرض البعض لعض الكلاب والذئاب وغيرها من الحيوانات المفترسة، وتعالج مثل هذه الإصابات بحشو الرصاص في المكان المعضوض.

(*) **الكسور: الحياة القاسية والظروف الصعبة التي مر بها الإنسان قديماً كان لها الأثر في حياته**، فكما أنه يؤثر في البيئة فهو يتأثر بتلك البيئة، وما فيها من إيجابيات وسلبيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بحياته، فالتأثيرات الإيجابية للبيئة على الإنسان هي تلك الفوائد التي يجنيها ويسير بها أمور حياته، ومن التأثيرات السلبية في حياة الإنسان الكسور وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنوعية العمل الذي يمارسه الإنسان، وأحياناً تكون عارضة بسبب ما قد يفاجأ الإنسان من حوادث أياً كان نوعها، والإنسان والحيوان معرضان للكسور، وكان على الإنسان اكتشاف طريقة لمعالجة هذه الكسور عند حدوثها، فاكتشف طريقة التجبير أو الجبارة: وهي فن مشهور له أهله ففي كل ناحية نجد أناساً يعدون على الأصابع ممن يجيدون هذا الفن، وقد يتم البحث عنهم في عدد من القرى فلا يوجد منهم سوى واحد أو اثنين، ويكون المجبر أكثر شهرة من غيره، وذلك بسبب مهارته وتجربته في هذا الفن، ومن الخبراء في التجبير بالسراة: صالح بن محسن بدار الجبل بالباحة، وسعيد بن جيلان الجبلي، والمرحوم ابن صالح من الظفير، ومن المدان حامد بن عطاره (رحمه الله) ومحمد بن جلمود، وفي تهامة الباحة محمد بن أحمد من السند، ولا في العقيلي من الخريق، وحوتان بن أحمد الغامدي من شدا الأسفل، وعلي بن عبد الله وغيرهم ممن لهم الصيت الذائع في هذا المجال[١].

أما طريقة التجبير فإنه يُشد العضو المكسور حتى يرجع العظم كما كان قبل الكسر، ثم يدلك بالسمن البلدي الدافئ، أو بشحم النمر، ثم يلف عليه بخرقة من القماش تحافظ على الجلد من أثر الجبارة، وبعد ذلك تكون الجبارة جاهزة وهي صفائح من خشب مثل السدر، أوالسيال، أوالعرعر، والقرض فتقص بما يناسب العضو المكسور من حيث الطول والسمك، ثم توضع وتربط بالقماش لكي تحافظ على استقامته ريثما يجبر، وتبقى تلك الجبارة مدة أسبوع أو أسبوعين، ثم تفك، ويتم تعاهد ذلك العضو من حين لآخر فتفك

---

(١) الكسور وطرق تجبيرها قديماً من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة. وكذلك الأعلام الذين عملوا في تجبير الكسور في الباحة والقنفذة وجازان وعسير ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع أيضاً جديد في بابه ويستحق الدراسة العلمية.

الجبارة ويدهن العضو بالسمن أو شحم النمر الدافئ، ثم تعاد مرة أخرى حتى يتم التأكد من أن الكسـر قد جبر تماماً، وبنفس الطريقة يجبر الحيوان المكسـور مع اختلاف بسيط في الجبائر والمواد المستعملة للتجبير.

رابعاً: آراء وتوصيات:

ما تم طرحه في هذا القسـم يعد مجالاً واسعاً شـمل محاور سياسية وحضارية كثيرة، وإذا أخضـعنا التفصـيلات المدونة للمعايير العلمية الأكاديمية فقد نجد ثغرات وسـلبيات عديـدة، ومن أهمها طول المدة الزمنية المعنية في هذه الصـفحات، ثم الاختصـار وأحياناً السـطحية فيما درس، وغيرها من الهنات المتنوعة، ولا ندعي الكمال، أو الإبداع، أو التميز فهذه مواصفات كبيرة، ومن رغب في الاتصاف بها أو ببعضها فلابد أن يتحمل مسؤولياتها ونتائجها . وعادتي دائماً منذ ثلاثة عقود السعي إلى الإسهام ببعض الشيء في مجال البحث والدراسات العلمية، فإذا أصبت فهذا من فضل الله وإذا أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأقـول ومازلت أؤكد القـول أن منطقة الباحة من البلاد التهامية والسـروية العريقة في أنسـابها الماجدة في تاريخها وحضـارتها، لكنها للأسف لم تُخدم علمياً وبحثياً على مر التاريخ، وإن ظهر من أبنائها من عمل ودرس وأنتج فمازال في أعمالهم خلل وقصوركبير ، وكل باحث درس بلاد غامد وزهران من أهلها أو من غيرهم فهم مشكورون على ما قدموا، لكن هناك عدد من النصائح التي أسديها لنفسي، وكل من سخر قلمه في البحث والتدوين وبخاصة في علم التاريخ والتراث وغيره .

١. أن يستشعر كل واحد منا أن كل ما يعمل ويكتب ويقدم سوف يكون حجة له أو عليه، وبمـا أننا زائلون من هـذه الدنيا الفانيـة فالفوز في الدنيا والآخـرة هو أن نقدم بحوثاً وأعمالاً علمية تكون (بإذن الله عز وجل) حجة لنا في الدنيا والآخرة.

٢. مـن خلال اطلاعـي على بعض الأعمـال العلميـة والكتابيـة والتاريخيـة وعلم الأنسـاب التي صـدرت خلال الخمسـين عاماً الماضـية عن عموم منطقة الباحة يتخللها الكثير من العيوب، ومن أكثرها العنصرية والتعصب المقيت، وهذا العلم يحتاج إلى تفصـيلات كثـيرة مع ذكر الأدلة والبراهـين، وليس هذا مجاله، لكن آمل من كل عامل يعمل ويؤلف أن يتجرد من هذه الصفة النتنة[١] ، والتفكير على

(١) الدارس تاريخ الأمم والحضارات في أي زمان ومكان عبر عصور التاريخ يجد أن العنصرية أو العصبية الفردية أو الجماعية لعبت دوراً كبيراً في قيام أقوام أو حضارات وسقوط أخرى . وقد قرأنا في كثير من كتب التراث الإسلامي بأن عامل العصبية كان ذا أثر كبير في سقوط دول إسلامية في المشرق والمغرب، ومن أمثلة ذلك بنو أمية في الشام أو الأندلس، وبنو العباس، والفاطميون وغيرهم .

نطاق ضيق، كأن يسعى فلان فيكتب عن أسرته، أو قريته، أو بلدته، أو أمجاد عشيرة أو قبيلة، أو فئة ما، وهكذا، فنقول إننا والله في البلاد العربية وبخاصة في الجزيرة العربية لم نصل إلى الترف الفكري والعلمي والبحثي الراقي أو الشامل أو الدقيق حتى نشغل أنفسنا ونخرج كتباً في مئات الصفحات عن قرية أو ناحية محدودة في تاريخها وتراثها وحضارتها، ولا نقصد في هذا القول التحقير من أحد ولا من عمله، وهذا المرض الثقافي الذي لاحظناه في منطقة الباحة نجده في عسير، وجازان، ونجران، والطائف، والأحساء، والجوف، وتبوك، وكل أنحاء ومدن وحواضر المملكة العربية السعودية[1]. إننا معشر المؤرخين والباحثين والأكاديميين نريد أعمالاً علمية تخدم العلم، ويكون العلم للعلم والعمل فقط، حتى لو أصدرنا أعمالاً يشوبها النقص أو الخطأ غير المقصود.

٣. أن نادي الباحة الأدبي، وإمارة وجامعة ومؤسسات منطقة الباحة العلمية والإدارية والثقافية يجب أن تعمل وتتضافر جهودها في خدمة البحث العلمي والأدبي والفكري والتاريخي والحضاري، وتكون هذه الخدمة، أو الخدمات مبنية على أسس رئيسية في خدمة الدين والأمة العربية الإسلامية .

٤. موضوعات ومشاريع البحوث التاريخية والأثرية والحضارية الخاصة بمنطقة الباحة كثيرة جداً، وقد أشرنا إلى بعضها في عدد من بحوثنا ودراستنا، ولكن يجب العلم أن هذا الوطن (الباحة) يستحق الكثير من أهله ومن أبنائه كل حسب مقدرته وتخصصه وعطائه (والله من وراء القصد)[2].

---

(١) في الأعوام الثلاثين الماضية اطلعنا على عشرات بل مئات الكتب التاريخية والثقافية لنواح عديدة في المملكة العربية السعودية ووجدنا بعضها هزيلة في مادتها العلمية، والأدهى والأمر من ذلك الفكر والتوجه في إصدارها، فأحياناً تكون ذات مبادئ منحرفة فلا تخدم الدين والأمة والبلاد، أو أنها مليئة بالانحياز أو التعصب لفريق أو فئة أو مكان دون آخر، وهذا ما لا نريده، ونحث كل باحث أو كاتب أو مؤلف أن يتصف بالإنصاف والاعتدال والاتزان وطلب الأجر في كل ما يدون ويكتب (والله من وراء القصد) .

(٢) ليس حديثنا هنا مقصوراً على الدراسات التاريخية فقط، وإنما البحث في شتى العلوم كل في مجال تخصصه وما يعرف، ومن فضل الله أن جامعة الباحة يوجد فيها عشرات الأكاديميين في علوم مختلفة، وعليهم واجب تجاه هذه المنطقة الغنية بمواردها الطبيعية، المأهولة بسكانها، العريقة بتاريخها وحضارتها، الجميلة بتنميتها وتطورها الحضاري الحالي .

الدراســـة الثانيـــة

التطور التاريخي لمنطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة :

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في:
(موسوعة المملكة العربية السعودية : المحور التاريخي، المجلد رقم (١٦)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ص ١٣٣ - ١٥١، ثم أعيد نشرها في كتاب : تاريخ تهامة والسراة، خلال القرن الإسلامي المبكرة الوسيطة (ق١ - ق١٠هـ / ق٧ - ق١٦م) (الجزء الثاني) ط١ (٣١ - ١٤٣٢هـ / ٢٠١ - ٢٠١١م)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ١٣٣ - ١٩١

الدراسة الثانية : التطور التاريخي لمنطقة الباحة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

أولاً- منطقة الباحة[١] : الاسم، التركيبة الجغرافية والبشرية :

١ - أصل الاسم :

عندما بحثنا في القواميس اللغوية عن كلمة (الباحة) ومصدرها والمترادفات الخاصة بها وجدناها جاءت من التبحبح، والمقصود بذلك السعة في النفقة، أو في الأرض، أو في المنزل[٢]. ويقال: القوم في ابتحاح أي في سعة وخصب من أرضهم، والبحبوحة وسط المحلة، أو وسط الدار. قال جرير:

قومي تميم هم القوم الذين هم ينفون تغلب عن بحبوحة الدارِ

وفي الحديث: أن الرسول ﷺ، قال: ((من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد))، قال أبو عبيدة: أراد ببحبوحة الجنة وسطها. قال: وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره[٣]. ويقال: قد تبحبحت في الدار إذا توسطتها وتمكنتُ منها. والتبحبح: التمكن في الحلول والمقام، وقد بحبح وتبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام، قال: ومن حديث غناء الأنصارية:

وأهدى لها كبشاً تبحبح في المربد[٤]

أي متمكنة في المربد، وهو الموضع أو المكان. وفي حديث خزيمة: ((**تفطر اللحاء وتبحبح الحياء أي اتسع الغيث وتمكن من الأرض**))[٥].

وإذا نظرنا إلى منطقة الباحة وجدناها أرضاً تحيط بها الهضاب والجبال من كل جانب، فليست هي تلك الأرض الواسعة الفسيحة، وإنما تتوسط البلاد التي تقع بها، وتحيط بها القرى والجبال والمزروعات المختلفة من كل جانب.

---

(١) استخدام كلمة (منطقة) هنا، وهو مصطلح حديث، تجاوزاً من أجل توضيح إطار البلاد المعنية في هذه الدراسة، وهي جميع نواحي بلاد غامد وزهران المعروفة اليوم باسم (إمارة الباحة) ،وهي إحدى المناطق الرئيسية في المملكة العربية السعودية التي أصبحت إمارة مستقلة، تراجع وزارة الداخلية في الرياض منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). بينما كانت قبل عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤ م) تابعة لإمارتي الطائف وبيشة،ثم فصلت عنهما، واتخذت الظفير مركزاً للإمارة حتى عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ،ثم انتقلت إلى بلجرشي، وأخيراً منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) أصبحت مدينة الباحة هي الحاضرة الرئيسية لعموم بلاد غامد وزهران . انظر: محمد بن مسفر حسين الزهراني، بلاد زهران، (الرياض:الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ،٣٩؛ صالح عون الغامدي، الباحة، (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ،٤٥.

(٢) جمال الدين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م)، جـ١،٣٢٢ – ٣٢٣ . فعل (بحح).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

٢ - التركيبة الجغرافية:

تقع منطقة الباحة في موقع إستراتيجي متميز، إذ تتصل حدودها ببلاد الحجاز شمالاً، وبلاد عسير (جرش قديماً)[١] جنوباً، يحيط بها عدد من الحواضر الرئيسية، كالطائف من الشمال، وبيشة وأبها من الشرق والجنوب، والليث والقنفذة من الغرب والجنوب الغربي على ساحل البحر الأحمر[٢]، ويحدها شمالاً بلحارث (بنو الحارث) وبنو مالك. وجنوباً بنو عيسى، وبنو زبيد، وبنو بحير، وبنو سهيم، والعوامر، وبنو ميمون، وهي من قبائل بلقرن، وبلعريان وخثعم. وشرقاً بعض بادية بني ميمون وأكلب من قبائل البقوم وشمران. ومن الشمال الشرقي سبيع، وغرباً الليث، ومن الجنوب الغربي القنفذة[٣].

وتنقسم تضاريس منطقة الباحة إلى قسمين رئيسين هما: مرتفعات جبال السروات وسهول تهامة[٤]. ومرتفعات السراة جزء من سلسلة جبال السروات الممتدة من بلاد الشام حتى قعر اليمن[٥]،وهذه المرتفعات الواقعة في بلاد الباحة، شديدة الانحدار نحو الغرب، قليلة المنافذ، صعبة المسالك، يزيد ارتفاعها على (٢٢٠٠) متر تقريباً، فوق سطح البحر[٦]. ويوجد بها عدد من الهضاب والجبال والأودية المتفاوتة الأحجام والأطوال[٧].

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن بلاد جرش (عسير الحالية)، انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. (بيروت: دار القلم، د. ت)، جـ ٤، ٢٣٣ – ٢٣٤؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ١، ٣٣٧ – ٣٣٨؛ حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، نصوص، انطباعات، مشاهدات. (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م)، ٤٢ – ٤٩؛ غيثان بن علي بن جريس، "تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى"، مجلة العصور، مج ٩، جـ ١، (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م)، ٦٣ – ٧٨.

(٢) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ١١ – ١٧.

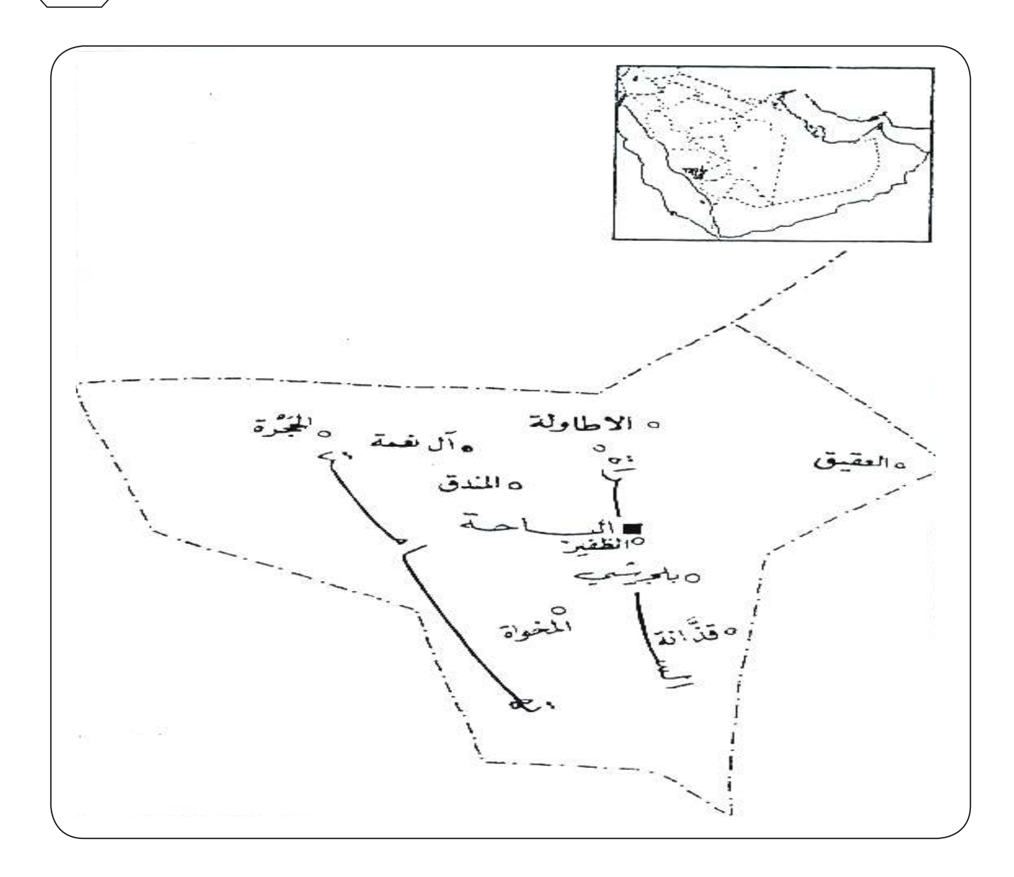
(٣) المرجع السابق، ولمزيد من الإيضاح انظر: علي بن صالح السلوك، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد غامد وزهران، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، ١١ – ١٢؛ الغامدي، ١٧ – ٢٢؛عاتق بن غيث البلادي، بين مكة واليمن، (رحلات ومشاهد)، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، ٣٨ وما بعدها.

(٤) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران،مرجع سابق، ١١، ١٤؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق،٨٣ وما بعدها، ٣٥١؛ الغامدي، صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ١٧ وما بعدها.

(٥) المراجع السابقة؛ وللمزيد عن جبال السروات المعروفة أيضاً بـ (جبال الحجاز)، انظر: صالح أحمد العلي، "تحديد الحجاز عند المتقدمين"، مجلة العرب، جـ ١، (١٣٨٨هـ/ ١٩٧٨ م)، ١ – ٩؛ عبد الله الوهيبي، "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب"، مجلة كلية الآداب، (جامعة الرياض:١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ،جـ١،٥٣ – ٧٠.

(٦) السلوك، علي بن صالح. المعجم، مرجع سابق،١١ – ١٢؛ الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران،مرجع سابق، ١١، ١٤؛ الغامدي،صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ١٧ وما بعدها؛ وللمزيد، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية. إقليم جنوب غرب المملكة، (الرياض:دار المريخ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، جـ ٢، ٢٠٥ وما بعدها؛ البلادي، عاتق بن غيث. بين مكة وحضرموت،١١٧ وما بعدها.

(٧) الزهراني،محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق. السلوك، علي بن صالح. المعجم، مرجع سابق، ١١– ١٥؛ الغامدي،صالح عون. الباحة، مرجع سابق،١٧ – ٢١؛ فؤاد حمزة، في بلاد عسير، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م)، ٩١.



خارطة إمارة منطقة الباحة المعروفة ببلاد غامد وزهران المصدر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ٨٤ .

أما سهل تهامة الباحة فهو جزء من سهل تهامة الذي يمتد من أقصى شمال الجزيرة العربية إلى أقصى جنوبها، والمنحصر بين سلسلة جبال السروات شرقاً والبحر الأحمر غرباً، ويراوح طول سهل تهامة منطقة الباحة من تهامة بني مالك شمالاً إلى خثعم وبلقرن وشمران جنوباً [١]، بين (١٥٠ و٢٥٠) كم تقريباً، ويراوح عرضه من سفوح جبال السروات شرقاً إلى بلدتي الليث والقنفذة على البحر الأحمر غرباً بين (١٠٠ و١٥٠) كم تقريباً[٢]، ويأخذ سهل تهامة منطقة الباحة في الارتفاع التدريجي، كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، ولهذا نجد سطحه يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي: تهامة الساحل في الغرب (ويطلق الأهالي على هذا الجزء من سهل تهامة "الخبت")، وكذلك تهامة العروض في الوسط، وتكثر فيها الجبال المعترضة ذات الارتفاع الشاهق. وتهامة الأصدار في الشرق[٣]، ويوجد

(١) المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة؛ البلادي، عاتق. بين مكة واليمن،مرجع سابق، ٦٧ وما بعدها.

(٣) الزهراني، محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ١٤ — ١٥.

فيها جبال شاهقة الارتفاع غزيرة المياه، خصبة التربة، آهلة بالسكان، أهمها: جبل شدا، وجبل نيس، وجبل ربا، وجبل نخرة، وتشتهر هذه الجبال بزراعة البن والموز، والليمون، وفي قممها تعيش الوحوش الكاسرة مثل: الذئاب والأسود، والنمور[١].

٣ - التركيبة البشرية :

تعيش في منطقة الباحة قبيلتان كبيرتان هما غامد وزهران الأزديتين[٢]، فإذا أطلقنا مصطلح بلاد الباحة بمفهومها الإداري الواسع فذلك يعني بلاد غامد وزهران،وسوف يرد معنا هذا المصطلح (غامد وزهران) وأحياناً (دوس) في صفحات البحث، لأن اسم الباحة بصفته مصطلحاً سياسياً إدارياً، وحاضرة رئيسية لبلاد غامد وزهران لم يعرف إلا في العصر الحديث، وفي مدة زمنية لا تزيد على القرنين تقريباً [٣].

وغامد وزهران قبيلتان أزديتان من أصول قحطانية يصل نسبهما إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٤]. وأخذت قبيلة غامد اسمها من جدها غامد، وهو عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد[٥]، وسمي غامداً لأنه كان وقع بين قومه شيء فأصلحه، وتغمدهم بذلك فقال:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأزد من القبائل العربية اليمنية المشهورة، وتنسب إلى أزد بن الغوث بن يعرب بن يشجب بن قحطان، انظر: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م)، ٣٢٩، ٤٨٤؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق: سعد عبد المقصود ظلام. (القاهرة: دار المنار، ١٩٨٦ م)، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤.

(٣) لا نجد ذكراً لاسم (الباحة) قبل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وإنما كانت تعرف قبل ذلك ببلاد غامد وزهران، وأحياناً تعرف هي وما جاورها من القبائل الأخرى في بلاد السراة ، بـ (السرو) أو (السروات) أو (السراة). انظر: الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع. (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م)، ٢٦٠؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ – ق ١٠ هـ/ ق ٧ م – ق ١٦ م) (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م)، جـ ١، ١٢٧ – ١٩٦.

(٤) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٢٩ – ٤٨٤؛ الأشعري، أحمد بن محمد بن إبراهيم. التعريف، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ترتيب: يوسف أسعد داغر (بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، مج ١، جـ ١، ١٦١ وما بعدها؛ ولمزيد من الإيضاح عن قبائل الأزد في بلاد السراة وغيرها من البلدان، انظر: عبد الملك بن قريب الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م)، ٨١ وما بعدها ؛ الهمداني، الحسن بن أحمد . صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣٧٠ – ٣٧٤.

(٥) أبو بكر محمد الحسن بن دريد، الاشتقاق،تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (القاهرة:مكتبة الخانجي،١٩٨٥م)،جـ٢، ٤٩٢؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٤٩.

تحملت للصلح الثأى عن عشيرتي فأسماني القيل الحضوري غامدا[١]

كذلك سميت زهران باسم جدها زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر الأزد[٢]،وإذا كان غامد هو عبدالله فهو شقيق لزهران، مع أن بعض كتب الأنساب تشير إلى أن غامد هوولد لعبدالله[٣]، وبالتالي فزهران يصبح عماً لغامد[٤]. وكانت قبيلتا غامد وزهران ضمن قبائل الأزد التي نزحت من اليمن على أثر انهدام سد مأرب، وتفرقت مع غيرها في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية[٥]. ويذكر أن قبائل الأزد افترقت إلى نيف وعشرين قبيلة توزعت داخل الجزيرة العربية وخارجها[٦]. ومنها قبائل غامد وزهران التي نزلت مرتفعات السروات وعرفت باسم (أزد السراة)، وأحياناً بـ (السرو)[٧]، وسار بعض أولاد دوس بن عدثان بن زهران إلى أرض تهامة فأقاموا بها[٨].

---

(١) يقال: إنه وقع بين عشيرته شر فتغمد ذنوبهم، أي غطاها وسترها، ومنه الغمد، وكان ابن الكلبي يقول: سماه بهذا الاسم قيل من أقيال حمير، وينشد بيتاً:

تلافيت شراً كان بين عشيرتي فأسماني القيل الحضوري غامداً.

ويقال: غمدت السيف وأغمدته لغتان. وبرك الغماد موضع، وكان الأصمعي يقول: اشتقاق غامد من قولهم : غمدت الركيُّ:إذا كثر ماؤها. للمزيد انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٢.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ٤٩١، ٤٩٦ – ٥١٥.

(٣) ابن حزم، ٣٧٧ – ٣٧٩.

(٤) المرجع السابق،

(٥) للمزيد، انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٨٠ وما بعدها؛ ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٨٢ وما بعدها؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣٧٠ – ٢٧٤؛ الأشعري، أحمد. التعريف، مرجع سابق، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤.

(٦) من قبائل الأزد: غسان، وجفنة، والأوس، والخزرج، وخزاعة، ومازن، وثمالة، وخثعم. فنزلت الأوس والخزرج يثرب (المدينة المنورة)، ونزلت خزاعة بطن مر الظهران بالقرب من مكة. وزهران وغامد وبعض أولاد أنمار بن أراش بن عمرو، وأولاد الحجر بن الهنو وغيرهم نزلوا بلاد السروات الواقعة بين أبها والطائف. للمزيد، انظر ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق،٣٨٢؛ وما بعدها، الأشعري، أحمد. التعريف، مرجع سابق، ١٧٣ وما بعدها؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٠٦ – ٢٢٤، غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ – ق ٤ هـ/ ق ٧ – ق ١٠ م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٣٣ – ٣٤.

(٧) أزد السراة أو (السرو): هي القبائل التي استوطنت البلاد الممتدة من شمال أبها إلى بلاد زهران. وعموم هذه القبائل نزلت في مواطنها الحالية منذ العهود السابقة لعصر الإسلام، ولا تزال تعيش فيها إلى يومنا الحالي. للمزيد عن مسميات هذه القبائل وأنسابها وتاريخها انظر: الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٢٦٠ – ٢٦٣، ٢٦٨ – ٣٧٤؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: جامعة بغداد، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م)،جـ٤، ٤٣٨ وما بعدها؛ ابن جريس، غيثان. دراسات،مرجع سابق، جـ ١، ٢٤ وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه انظر: "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ هـ–ق ٨ هـ) "، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣، مجا، (١٩٩٤ م)، ٧٣ – ١٠٠.

(٨) دوس: هو أحد أحفاد زهران بن كعب. انظر:ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٧٩؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٢٦٠ وما بعدها؛ابن دريد، الاشتقاق جـ٢، ٤٩٦؛ غيثان بن علي بن جريس،"بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة،ع٣،س ١٩، (١٤١٤هـ)،٧٦ – ١١١.

كما خرجت مجموعات من رجال غامد وزهران إلى خارج حدود منطقتهم (منطقة الباحة اليوم)، فمثلاً: بعض من قبيلة دوس من زهران التي انتشر بعض رجالها في شرقي شبه الجزيرة العربيّة حيث كونوا إمارة عربية في عمان قبل الإسلام واستمرت حتى ظهور الإسلام، ولا تزال فروع من الأزد أكثرهم من دوس يحافظون ويقيمون هناك على أنسابهم[١]. ويلاحظ في كتب التراث أن لفظ (دوس) قد طغى إلى حد كبير على لفظ زهران وأحياناً غامد في الجاهلية وصدر الإسلام. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يكتفون بذكر دوس بدلاً من زهران، بينما ظن آخرون أن دوساً قبيلة مستقلة تماماً عن غامد وزهران، وهذا خطأ. فدوس قبيلة من قبائل زهران، وجزء لا يتجزأ منها[٢]. وأفضل قول لغلبة اسم دوس هو ما ذكره أحد الباحثين المتأخرين[٣] عندما ذكر أن رجال قبيلة دوس انتشروا خارج بلادهم، وتمكن بعضهم من تأسيس إمارتين عربيتين في عمان والحيرة[٤]. كما أن بعض الدوسيين سارعوا في قبولِ الدعوة الإسلامية، كما سيأتي معنا، فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام. هذا فضلاً عما عُرف عن رجال دوس من إخلاص وصدق في تلقي الدعوة [٥]، وما أظهروه من شجاعة وإقدام في الفتوحات الإسلامية، ما زاد في رفع منزلة القبيلة واشتهارها. وعلى هذا الأساس إذا قلنا فلانٍ الدوسي، فهو في الأصل من أولاد زهران[٦]. وبالتالي فجميع سكان منطقة الباحة قديماً وحديثاً، (سراة وتهامة) هم من أصول غامدية وزهرانية أزدية قحطانية[٧].

---

(١) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٢. كما عبر قسم آخر الخليج العربي إلى بلاد فارس، وسكنوا أحد جبال كرمان ويدعى القفس. وسكن بعض الدوسيين الحيرة ونواحيها من بلاد العراق وأسسوا مملكة بها، كان من أشهر ملوكها جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الملقب بالأبرش. انظر: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م)، جـ١، ٢٠٨ – ٢٠٩؛ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، جـ ٤، ٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، ٣٧٩؛ ابن دريد، أبوبكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٦.

(٣) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٦ – ٢٦٧.

(٤) المرجع السابق، ٢٦٢، ٢٦٦ – ٢٦٧؛ للمزيد انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ١، ٢٠٨ – ٢٠٩؛ ياقوت، شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٤، ٣٨٠ – ٣٨١.

(٥) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٦٦ وما بعدها؛ وللمزيد عن أخبار قبول بعض رجال دوس لدعوة الإسلام وإخلاصهم لها، انظر: ابن هشام، أبو محمد عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢١ – ٢٥؛ جمال الدين بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي. (حلب: دار الوعي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، جـ ١، ٦٠٠ – ٦٠٤؛ عز الدين بن علي بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، جـ ٣، ٥٤ – ٥٥.

(٦) ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن، الاشتقاق، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٦؛ ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٧٩؛ للمزيد انظر: ابن جريس، غيثان. دراسات في تاريخ تهامة والسراة، مرجع سابق، جـ ١، ٥٥ – ٩١.

(٧) لمزيد من الإيضاح عن بطون وأفخاذ قبيلتي غامد وزهران اليوم التي استوطنت أمكنتها الحالية منذ عهود ما قبل الإسلام، ومدينة الباحة التي تأتي في أرض قبيلة غامد هي العاصمة الإدارية لعموم بلاد غامد وزهران في الأجزاء السروية والتهامية، وبخاصة منذ أوائل العقد التاسع للقرن الهجري الماضي، في حين أن بلدتي الظفير ثم بلجرشي كانتا مركزاً لإمارة المنطقة خلال العصر الحديث، وقبل أن تصبح الباحة إحدى الإمارات الرئيسية في المملكة

ثانياً - تاريخ الباحة في العهد النبوي:

١ - عصر الدعوة المكية :

كانت قبيلة قريش أشد القبائل عداوة وكراهية لدعوة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ، ولم تقتصر محاربة القرشيين للإسلام في حصر أنشطتهم في إطار مكة ومجتمعها، وإنما كانوا يسعون إلى الاتصال بالقبائل والشيوخ في بلدان ونواح أخرى في الجزيرة العربية، فيوصونهم ويحرضونهم على بذل ما يستطيعون لمحاربة الرسول الكريم ﷺ والدين الذي جاء به إلى مجتمع الحجاز، ثم إلى عموم المجتمعات[١].

وكان سكان قبيلتي غامد وزهران في بلاد الباحة (سراة وتهامة) من أوائل الأقوام الذين حُرضوا من القرشيين لمعاداة الرسول ﷺ والوقوف في طريق دعوته. وتذكر لنا كتب التراث الإسلامي قصة الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني الذي كان أحد شيوخ وأعيان قبيلة دوس الزهرانية، وكان على صلات تجارية واجتماعية مع بعض أعيان قريش كأبي سفيان بن حرب وغيره[٢]، لكنه كان من أوائل الداخلين في دين الإسلام. وقصة دخوله الإسلام مع بعض أهل بيته في فترة المرحلة المكية، كما يذكرها ابن هشام أن الطفيل قدم ذات يوم من بلاده إلى مكة، فقابله وجهاء مكة وشكوا إليه الرسول ﷺ وحذروه من السماع إليه[٣]، ووصفوه بالساحر الذي يفرق بين الرجل وأبيه وأخيه وزوجته، وأعربوا له عن خوفهم عند سماعه أن يدخل فيما يدعو إليه، كما حصل لبعض القرشيين الذين دخلوا في الإسلام من قبل[٤]، وقد تأثر الطفيل مما سمعه من أشراف قريش عن

العربية السعودية في عام (١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م). انظر: الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٥٤ وما بعدها؛ حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، (الرياض: مطابع الجاسر، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م)، ١٩٩، ٢٢٨؛ السلوك،علي بن صالح، المعجم، مرجع سابق، ١١ وما بعدها؛ الغامدي،صالح عون. الباحة، مرجع سابق، ٤٥ – ٤٨؛ الزهراني،محمد بن مسفر. بلاد زهرن، مرجع سابق، ٣٤ – ٤٠.

(١) لمزيد من التفصيلات عن أساليب قريش في محاربة الإسلام،انظر:اليعقوبي،أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٣٦ وما بعدها؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة،مرجع سابق، جـ٢،٩ وما بعدها؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت:دار سويدان، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، جـ٣، ٣٩٥ وما بعدها.

(٢) محمد بن حبيب البغدادي، كتاب المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ١٩٩ – ٢١١؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٧٤ – ٢٧٩؛ للمزيد، انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ١، ٨٤؛ ابن دريد،أبو بكر محمد الحسن. الاشتقاق، مرجع سابق، ٤٩٦؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٧٤ وما بعدها.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٢.

(٤) أي بعض القرشيين الأوائل الذين دخلوا الإسلام في مرحلة الدعوة المكية كأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وغيره من الصحابة الذين كانوا يجتمعون مع الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم خلال فترتي الدعوة السرية والعلنية في مكة قبل الهجرة إلى المدينة. للمزيد، انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٢٨، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٦ – ٢٧٩، ٣١١ – ٣١٢، ٣٣٦.

الرسـول ﷺ فوضـع في أذنيه كرسـفاً (قطناً) كي لا يسـمع ما يقوله ﷺ [١]، وعندما أدرك الطفيل أنه قادر على أن يميز بين الخبيث والطيب حدثته نفسه أن يسمعه فإذا كان ما يقوله ﷺ حسـناً قبله، وإن كانٍ دون ذلك تركه، وكأنه لم يسـمع شـيئاً، ثم ذهب إلى المسـجد فوجد الرسـول ﷺ قائماً يصلي فسـمع منه كلاماً ما سمعه قبل ذلك من لسان بشـر، وعندما أصـابت آيات القرآن قلب الطفيل فتحت مغاليق قلبه للإسلام، فأسرع إلى دار الرسول ﷺ وطلب منه أن يعرض عليه الإسلام، ثم ما لبث أن اطمأن قلبه للإسلام فأسـلم[٢]. وعرض الطفيل على الرسـول ﷺ أن يحمل رسـالة الإسلام إلى قومه دوس في أرض غامد وزهران، حيث إن له فيهم منزلة وهو فيهم مطاع، وطلب من الرسـول ﷺ أن يدعـو لـه، وأن يجعـل الله له عوناً في حمل الرسـالة إلى قومه، فقال الرسـول ﷺ : ((اللهم اجعل له آية))[٣]، وبدأ دعوته بالأقربين عقب عودته إلى منطقة الباحة فعرض الإسـلام على أبيه فأسـلم بعد أن قام وتطهـر، وقال: ((يا بني دينـي دينك))،ولكن أمه أنكرت الإسلام[٤]. كما وجد الطفيل زوجته تميل إلى الإسلام، فقال لها: "اذهبي إلى ذي الشرى[٥] وتطهري منه" ففعلت ذلك ثم أسلمت[٦].

---

(١) ابن هشـام،عبدالملك. السـيرة، مرجع سـابق، جـ ٢،٢١ – ٢٥؛ ابن الجوزي،جمال الدين. صـفة الصـفوة، مرجع سـابق،جـ١، ٦٠٠-٦٠٤؛ ابن الأثير، عز الدين . أسـد الغابة، مرجع سابق، جـ٣، ٥٤– ٥٥؛ أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين. (بيروت : دار الكتب العلمية،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، مج ٢، جـ٣، ١١٥ – ١٢٥.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) يشير ابن هشام إلى الآية التي جُعلت له، وهي نور بين عينيه، فسأل الله أن تكون في غير وجهه، حتى لا يقول قومه إنهـا (مُثلة) ويشـمتوا به لفراقه دينهم، فتحول النور إلى رأس سـوطه فكان يضـيء في الليـل، ولهذا لقب بـ (ذي النور). ابن هشـام،عبدالملك. السيرة، مرجع سـابق، جـ٢، ٢٣؛ للمزيد، انظر: محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ٨٥.

(٤) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٣.

(٥) ذو الشـرى: صـنم كان لدوس، وكانوا قد حموا حوله حمى يأتي إليه رجال دوس ونساؤها كي يتعبدوا عنده ويتقربوا إليه في قضاء حوائجهم. ابن هشام،عبد الملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٤. وكان في منطقة الباحة، بل في بلاد تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز، عدد من الأصنام التي كان يتعبد إليها سكان هذه البلاد قبل الإسلام، ومنها: عائم، والسـعيدة، وذو الكفين، وذو الشـرى، وذو الخلصـة وكان أشـهرها، ويقع في سـروات غامد وزهران وخثعـم وبجيلة، ويسـمى بـ (الكعبـة اليمانية) لأن معظم قبائل السـراة الواقعـة بين أبها والباحة كانـت تفد إليه وتقدسـه. وكانت قبيلة خثعم المخالطة لقبائل غامد وزهران من الجنوب والجنوب الشـرقي هي السادنة الرئيسية لصـنم ذي الخلصـة. للمزيد انظر: أبو المنذر هشام محمد بن السائب الكلبي. الأصنام، (القاهرة: د. ن، ١٣٤٣ هــ) ٣٧، ٤٣؛ ابـن هشـام، عبدالملك. السـيرة، مرجع سـابق،جـ١، ٨٨، جــ٢، ٢٤؛ أبو الوليد محمـد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشـدي الصـالح ملحس. (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، جـ١، ٣٧٤ – ٣٨٩؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٣٣٣ – ٣٥٠.

(٦) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٤.

وعلى الرغم من معارضة أمه للدعوة الإسلامية إلا أن معارضة قومه كانت أشد وأكبر، ويتضح ذلك حينما دعا قومه إلى الإسلام، فكثر رفضهم، واشتد إنكارهم له، وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه، ولكن الرسول ﷺ دعا لهم بالهداية وقال ((اللهم اهدِ دوساً))[١] وفي رواية أخرى ((اللهم اهد دوساً وارفق بها))، وقال له ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم[٢].

ويعود موقفهم المعارض من الإسلام إلى ميراثهم الوثني الذي حال بينهم وبين قبولهم الإسلام، فضلاً عن أن ميراثهم من العادات والتقاليد كان فاسداً وقدوتهم كانت على ضلال، وعاد الطفيل إلى عشيرته دوس الزهرانية يدعو قومه ومن حولهم من الزهرانيين والغامديين برفق، كما أوصاه الرسول ﷺ، وقد امتدت دعوته لهم عدداً من السنوات، لأن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة ومضت غزوات الرسول ﷺ الأولى (بدر، وأحد، والخندق)، ولم يزل أبناء دوس، ومن جاورهم من عشائر تهامة والسراة الأخرى، على حالهم من الكفر والعصيان[٣]. ويظهر أن قبيلة دوس، بل عموم قبائل منطقة الباحة ومن حولها قد تأخروا في إسلامهم إلى السنة السابعة للهجرة وما بعدها[٤].

٢ - عصر الدعوة المدنية :

بقي الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني يدعو قومه للإسلام منذ عودته من مكة في فترة الدعوة المكية حتى جاءت السنة السابعة للهجرة، ثم خرج ومعه نحو سبعين أو ثمانين رجلاً بذراريهم ونسائهم بمن فيهم أبو هريرة، وعبدالله بن أزيهر الدوسيان - رضي الله عنهما -[٥]، فقدموا المدينة كي ينضموا إلى مجتمع المسلمين فيها[٦]، لكنهم وجدوا

---

(١) المرجع السابق؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٣٦، ٢٩٣.

(٢) المرجع السابق؛ وانظر: الخطيب،محمد عجاج. أبو هريرة، مرجع سابق، ٨٥؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٩٣.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٤؛ للمزيد، انظر: ابن الجوزي، جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق،جـ١، ٦٠٢ – ٦٠٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، مرجع سابق، جـ٤، ٥٤ – ٥٥؛ الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق،٢٩٣.

(٤) للمزيد انظر: ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥ – ٣٤٨، ٣٥٢ – ٣٥٣، ٣٥٧.

(٥) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٤، محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)؛ شمس الدين محمد بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م)،جـ٣، ٦٢٤ – ٦٢٨؛و لمزيد من المعلومات عن أبي هريرة، وعبد الله بن أزيهر الدوسي، انظر: ابن حزم، علي. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٣٨١، ٣٨٢؛ الخطيب،محمد عجاج. أبو هريرة، مرجع سابق، ٨٥؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران،مرجع سابق، ٢٧٥، ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٦) الواقدي، محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ٢، ٦٨٣؛ ابن القيم، شمس الدين. زاد المعاد،مرجع سابق، جـ٣، ٦٢٤، وما بعدها؛ الجاسر،حمد.في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٩٣.

الرسول ﷺ خرج لمحاربة اليهود في خيبر فلحقوا به، وأعلنوا إسلامهم بين يديه، ثم قسم لهم الرسول ﷺ من غنيمة خيبر[١]، وجعل شعارهم مبروراً، ثم عادوا معه إلى المدينة فقال الطفيل: يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم حرة الدجاج[٢].
وقال عبدالله بن أزيهر: ((يا رسول الله إن لي في قومي سلطة ومكاناً فاجعلني عليهم، فقال رسول الله ﷺ يا أخا دوس: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فمن صدق الله نجا، ومن آل إلى غير ذلك هلك، إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً، ويوشك الحق أن يغلب الباطل))[٣] وإذا كان الإسلام تغلغل في قلوب بعض الزهرانيين قبل فتح مكة فهذا لا يعني أن مجتمع بلاد غامد وزهران أصبح مسلماً، لأننا نجد بعض الروايات تذكر أن الرسول ﷺ أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه المسلمين بعد معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد وزهران[٤]، وأوصاهم بهدم صنم عمرو بن حممة الدوسي الذي يعرف بذي الكفين[٥]، فما كان على الطفيل إلا أن أطاع أمر الرسول ﷺ وطلب النصيحة، فقال ﷺ للطفيل: ((أفش السلام، وابذل الطعام، واستح من الله كما يستحيي الرجل ذو الهيئة[٦] من أهله، إذا أسأت فأحسن إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين))[٧]، ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها، ثم هدم صنم ذي الكفين، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول:

يا ذا الكفين لستُ من عُبَّادك ميلادنا أقدم من ميلادك
أنا حشوت النار في فؤادك[٨]

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢٤ – ٢٥؛ ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٣. وحرة الدجاج إحدى نواحي المدينة في عهد الرسول ﷺ.

(٣) المرجع السابق، جـ١، ٣٥٣.

(٤) انظر: الواقدي،محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ٣، ٩٢٣؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ٢، ٢١ وما بعدها؛ ابن جريس غيثان. دراسات، مرجع سابق، جـ١، ٣٢؛ الزهراني،محمد بن مسفر. بلاد زهران، مرجع سابق، ٢١ – ٢٢.

(٥) ذو الكفين: صنم لدوس، وهو مصنوع من الخشب، كان لعمرو بن حممة،وعمرو هذا والد الصحابي الجليل الطفيل الذي أرسله الرسول ﷺ لهدم هذا الصنم وإحراقه. انظر: ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ١، ٨٤؛ ابن حزم، علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق، ٤٩٤؛ جواد علي. المفصل، مرجع سابق، جـ٦، ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٦) أي ذو الصورة والشكل الحسن، أو ذو الوقار. وتقول هيأت للأمر أُهيِّئ، هيئة، وتهيأت تهيؤاً، والهيئة: الشارة، فيقال فلان حسن الهيئة. ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١٥، ١٧٠. فعل (هيأ).

(٧) الواقدي،محمد بن عمر. كتاب المغازي، مرجع سابق، جـ٢، ٧٢٢.

(٨) المرجع السابق، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف. (بيروت:دار مكتبة الهلال،١٩٨١م)،٢٤٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق،جـ١، ٦٠٣.

وبعد ذلك رجع الطفيل وبعض قومه وعددهم أربعمئة فقابلوا الرسول ﷺ في الطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام، وكان معهم دبابة ومنجنيق[١]. ويتضح من هذه السرية التي أرسلها الرسول ﷺ مع الطفيل توطيد قدم الإسلام في بلاد غامد وزهران، والقضاء على بقايا المشركين وأوثانهم، ثم تتالت الوفود من هذه البلاد على الرسول ﷺ في المدينة. وتشير بعض المصادر إلى وفد غامد الذي قدم المدينة في شهر رمضان من السنة العاشرة، وهم عشرة نفر، فنزلوا ببقيع الغرقد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، وانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وأقروا بالإسلام، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلّمهم قرآناً، وأجازهم رسول الله ﷺ كما يجيز الوفود، ثم عادوا إلى بلادهم[٢].

ويذكر ابن سعد أن وفد سلامان الزهراني الأزدي[٣] قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة في شهر شوال من السنة العاشرة، وكانوا سبعة نفر، وعند مقابلته ﷺ كان خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها، ((فقالوا السلام عليك يا رسول الله: فقال وعليكم، من أنتم، فقالوا: نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا))[٤]، فقال: الرسول ﷺ لغلامه ثوبان: أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود، فلما صلى الظهر اجتمع بهم فعلمهم شرائع الإسلام، وأعطى كل واحد منهم خمس أواقٍ فضة، وعادوا إلى بلادهم [٥].

---

(١) للمزيد عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس وما حولها، انظر: الواقدي،محمد بن عمر. المغازي،مرجع سابق، جـ ٣، ٩٢٣؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ٢، ١٥٧؛ ابن هشام،عبدالملك. السيرة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١ – ٢٥، المسعودي، علي. التنبيه،مرجع سابق، ٢٤٩؛ ابن الجوزي،جمال الدين. صفة الصفوة، مرجع سابق، جـ ١، ٦٠٣. وعند عودة الطفيل من بلاد دوس مع قومه، قال لهم الرسول ﷺ "يا معشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية، فقال: أصبتم"، وقيل الذي كان يحملها في الجاهلية أخو النعمان بن الزرافة اللهبي، وهذا ما ذكره الواقدي، أما ابن سعد فذكر أنه النعمان بن بازية اللهبي، وذكر ابن عبد البر أنه النعمان بن الزراع عريف الأزد. انظر: الواقدي، محمد بن عمر. المغازي، مرجع سابق،جـ ٣، ٩٢٣؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ٢، ١٥٧ – ١٥٨؛ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت: دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، مج٣، جـ ٥، ١٢٣.

(٢) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٤٥؛ ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن، الاشتقاق، مرجع سابق، ٤٩٣؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٨٢. وفي رواية أخرى، انفرد بها ابن سعد، تشير إلى أن الرسول ﷺ كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ((فأجابه في نفر من قومه بمكة، منهم: مخنف، وعبد الله، وزهير بنو سليم، وعبد شمس بن عفيف بن زهير، هؤلاء بمكة، وقدم عليه بالمدينة الجحن بن المرقع، وجندب بن زهير، وجندب بن كعب، ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم بن مغفل، فأتاه بمكة أربعون رجلاً، وكتب النبي ﷺ لأبي ظبيان كتاباً، وكانت له صحبة))، انظر: ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٢٧٩ – ٢٨٠.

(٣) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٢ – ٣٣٣؛ للمزيد انظر: محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م)، ٨٧.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

وتذكر بعض الروايات أن الرسول ﷺ كان قد كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي(١) يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، لكننا لم نعثر على نص هذا المكتوب(٢). وفي كتاب آخر أرسله الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان عمير بن الحارث الأزدي الغامدي، قال فيه: ((أما بعد: فمن أسلم من غامد فله ما للمسلم، حرم ماله ودمه، ولا يعشر ولا يحشر، وله ما أسلم عليه من أرضه)) (٣).

وتذكر بعض المصادر اسم سعد بن أبي ذئاب الدوسي(٤)، الذي يقول: ((أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت فاستعملني على قومي، وجعل لهم ما أسلموا عليه من أموالهم)) (٥).

ويتضح مما سبق أن عموم قبائل غامد وزهران أسلمت ما بين السنة السابعة والعاشرة للهجرة، وتولى شؤون بلادهم بعض الولاة الدوسيين والغامديين الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في كل من مكة والمدينة، كالطفيل بن عمرو، وأبو ظبيان، وسعد بن أبي ذئاب، لكن قبل وفاة الرسول ﷺ حدث ظهور بعض الكذابين المدعين للنبوة أمثال عبهلة، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وما حولها(٦)، فاتخذ صنعاء نقطة

(١) أبو ظبيان الغامدي: هو عبد شمس بن الحارث بن كثير بن جشم، ترأس وفد غامد إلى الرسول ﷺ، وكان في جيش سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وهو القائل:

أنا أبو ظبيان غير المكذبة   أبي أبو العنقاء وخالي اللهبة
أكرم من يعلم بين ثعلبة

انظر: إسماعيل بن القاسم القالي،الأمالي، (بيروت، د. ن، د. ت)، جـ ٢، ٢٧٦؛ الجاسر،حمد . في سراة غامد وزهران، ٢٨٢.

(٢) ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٢٨٠؛ الأكوع؛ محمد. الوثائق، مرجع سابق، ٨٧؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ٢٤٠. هناك وفود ورسائل عديدة متبادلة بين الرسول ﷺ وأهل تهامة والسراة، بمن فيهم سكان منطقة الباحة (الغامديون والزهرانيون)، وفيها إعلان لسكان هذه البلاد عن إسلامهم أمام رسول الله ﷺ، أو عن طريق وفودهم، ثم إقرارهم من قبل الرسول ﷺ على بلادهم، على أن يقيموا حدود الله في أوطانهم، ومن صيغ تلك الكتب التي كان يدونها الرسول ﷺ لتلك الوفود قوله ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه: ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا من المغانم خمس الله، وسهم النبي ﷺ، وفارقوا المشركين، فإن لهم ذمة الله، وذمة محمد بن عبد الله))، انظر: الأكوع،محمد. الوثائق، مرجع سابق، ٨٦؛ حميد الله،محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٣٨ – ٢٣٩.

(٣) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٤٠؛ ويذكر الأكوع أن الرسول ﷺ كتب كتاباً لعمر بن عبد الله الأزدي من غامد وضح له فيه شرائع الإسلام، وذلك في شهر رمضان سنة عشر، ولم يرو نص الكتاب؛ الأكوع،محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٨٧.

(٤) يذكر ابن حجر أن اسم هذا الصحابي هو: سعد بن أبي ذئاب، ويذكر ابن الأثير أن اسمه (سعد بن أبي ذباب)، وفي اعتقادنا أن الاسم الصحيح ما أورده ابن حجر. للمزيد انظر: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة،(بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصورة من طبعة كلكتا، ١٨٥٣ م)، مج ٢، جـ ٣، ٨٦؛ ابن الأثير، عز الدين . أسد الغابة، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٧٦.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) لمزيد من التفصيلات عن الأسود العنسي وتحركاته السياسية بين صنعاء والطائف، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٠ وما بعدها.

انطلاقه نحو الشمال حتى سيطر على مناطق عديدة بين صنعاء والطائف، وكانت بلاد الباحة من المناطق التي نالها وما حولها الأذى من هذا المدّعي الكذاب[١]. وعند سماع الرسول ﷺ بظهور الأسود العنسي وسوء فعاله أرسل إلى عموم ولاته وجميع المسلمين في البلاد الممتدة من مكة والطائف حتى اليمن يحثهم على التمسك بدين الإسلام، والثبات في تصديهم للأسود العنسي، وحذرهم من الارتداد عن دين الله. ثم أرسل جرير بن عبدالله البجلي مع بعض صحابته،- رضوان الله عليهم- إلى سروات غامد وزهران وما جاورها كي يتصدوا للمرتدين والمؤيدين للأسود العنسي في تلك النواحي[٢]، وبعد خروج جرير من المدينة تجاه سروات الباحة، وما يقع جنوبها من السروات جاءه نبأ وفاة الرسول ﷺ فعاد إلى المدينة دون أن يواصل مهمته، وربما أن خبر وفاة الرسول ﷺ فجع جريراً ومن كان معه من المسلمين فعاد إلى المدينة كي يقف على مجريات الأحداث فيها.

ونجد أن بعض رجال غامد وزهران تألموا لموت الرسول ﷺ، وكذلك مما قام به الأسود العنسي ومن سانده من أهل الردة، فهذا سواد بن قارب الدوسي الزهراني يحث قومه على التمسك بدين الله وعدم الرجوع إلى غيره، فقال في بعض خطبه لقومه: ((يا معشر الأزد إن سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألاّ يتعظوا إلاّ بأنفسهم، وأن من لم تنفعه التجارب ضرّته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل... إلخ))[٣]. وقد سمع له قومه وتمسكوا بالإسلام فقال في ذلك:

جَلَّتْ مُصيبَتُكَ الغَداةَ سَواد ... وأَرَى المُصيبَةَ بَعْدَها تَزْدادُ
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِي مُحَمَّد ... صَلَّى الإِلَهُ عَلَيه مَا يَعْتادُ
حُزْناً لَعَمْرُكَ فِي الفُؤاد مُخَامِراً ... أو هَلْ لِمَنْ فَقَدَ النَّبِيَّ فُؤادُ
كُنَّا نَحلُّ بِه جَنَاباً مُمْرِعاً ... جَفَّ الجَنَابُ فَأَجْدَبَ الرُوَّادُ
فَبَكَتْ عَلَيه أَرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا ... وَتَصَدَّعَتْ وَجْداً بِه الأَكْبَادُ
كَانَ العَيَانُ هُوَ الطَرِيفُ وَحُزْنُه ... بَاق لَعَمْرُكَ فِي النُفُوس تلاد
إنَّ النَّبِي وَفَاتُه كَحَيَاته ... الحَقُّ حَقٌّ والجِهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ تَفْدُون النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... بُذلَتْ لَهُ الأَمْوَالُ وَالأَولادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيه النُّفُوسُ بِبَذْلِهَا ... هَذَا لَهُ الأَغْيَابُ والأَشْهَادُ
هَذَا وَهَذَا لا يَرُدُّ نَبِيَّنَا ... لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ فَدَاهُ سَوَادُ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، (بيروت : دار الفكر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، جـ ٢، ٤٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف، (القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٣٣٢ هـ)، جـ ١، ١٤٠.

إنِّي أُحَاذِرُ وَالحَوَادِثُ جَمَّةٌ — أَمْراً عاصِفاً رِيحُهُ إِرْعَادُ
إنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمُ — لِلأَرْضِ إنْ رَجَفَتْ بِنَا أَوتَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ فَوقَ مَنِيَّةِ صَاحِبٍ — زُدْتُمْ وَلَيسَ لِمَنِيَّةٍ مُزْدَادُ[1]

ثالثاً- تاريخ الباحة في العهد الراشدي:

وعند عودة جرير البجلي وصحبه إلى المدينة المنورة وجدوا المسلمين قد اجتمعوا على تنصيب أبي بكر الصديق خليفة للرسول ﷺ، ووجدوا أبا بكر غير راض عن رجوعهم من المهمة التي كلفهم بها الرسول ﷺ، فما كان منهم إلاّ الذهاب إلى أرضِ السراة لمحاربة من ارتد من عشائر وقبائل تلك البلاد، فساروا إلى بلاد بجيلة وخثعم ودوس والحجر وغيرهم فحاربوا من ارتدَّ أو عاد إلى الوثنية وتغلبوا عليهم[2].

والواقع أن المرتدين في بلاد غامد وزهران كانوا قلة، وبخاصة إذا قورنوا ببقية أجزاء شبه الجزيرة العربية[3] فالأسود العنسي- كما أشرنا- ظهر في حواضر اليمن الكبرى، ثم مدَّ نفوذه شمالاً حتى نجران وجرش وسروات غامد وزهران، ووجد بعض المؤيدين لدعوته في تلك الأجزاء بل وجد من بين أهل تلك البلاد من يتولَّى قيادات عامة ينوبون عنه في السير بحركة الارتداد في أوطانهم، فيقنعون من بقي على دين الإسلام، ويحببون إليهم الردة، أو يهاجمون من يقف في طريقهم من مسلمي البلاد أنفسهم، أو من سيأتي من قبل المدينة المنورة وما حولها ويحاربونهم. ومن أولئك المؤيدين للعنسي عمرو بن معدي كَرب الزُبيدي بأرض جنب (قحطان) وخثعم المجاورين لمنطقة الباحة من الجنوب الذي تزعم وفد زُبيد عندما قدموا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول ﷺ، وبعد ظهور العنسي ارتد عمرو وانضم إلى حزب المرتدين، فجعله العنسي نائباً عنه في البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بيشة والباحة وتربة شمالاً[4]، وبرز إلى جانب عمرو مع العنسي قيس بن عبد يغوث الأزدي المرادي الذي ولاه العنسي إمرة الجيش العامة، كما شارك مع العنسي معاوية بن قيس الجنبي، ويزيد بن الأفكل الأزدي، وجميعهم من قبائل السراة

---

(١) الزهراني، محمد. بلاد زهران، مرجع سابق،٢٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ، جـ٢، ٤٩٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢ -٣٤٢.

(٤) لتفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن معدي كرب منذ العصر الجاهلي حتى إسلامه ثم ارتداده، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٢، ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ ابن هشام، عبد الملك. السيرة، مرجع سابق،جـ٤، ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ ابن سعد،محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٢٨؛ محمد بن عبد الله بن قتيبة، الشعر والشعراء، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة وآخرين. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، جـ١، ١٢٤، ٣١٨ ـ ٣١٩.

الواقعـة بين نجران والطائـف [١]. ويورد الطبري تجمع بعض الأفراد من عشـائر بجيلة، وخثعـم، وغامـد وزهـران، وأفخاذ أخرى في تهامة والسـراة، ثم انضـوائهم تحت زعامة حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي، ثم إعلانهم ارتدادهم[٢] وربما اتحدوا مع أعوان الأسـود العنسي، ونهجوا نهج المرتدين في شـبه الجزيرة العربية، وبخاصة امتناعهم عن دفع الزكاة، وعدم التقيد ببعض أحكام الإسلام.

والسـؤال الذي يطرح نفسه هو: كم كان حجم المرتدين في منطقة الباحة؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السـؤال صـعبة؛ لأن المصـادر الأولى لا تسـعفنا بمعلومات وافرة حتى نستطيع من خلالها معرفة حجم حركة الارتداد في البلاد المعنية بالدراسة في هذا البحث، ولكـن في اعتقادنا ـ وكما أشـرنا سـابقاً ـ أن حجمها كان أقل بكثير مـن حجمها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة، بدليل أنه عندما عزم الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – على محاربة المرتدين في كل مكان، فإنه لم يرسـل جيشـاً خاصـاً إلى تلك البلاد، وإنما أرسـل جيشاً مر بمكة المكرمة ثم الطائف، ثم سلك طريقه عبر السراة حتى وصل صنعاء في اليمن، ومرور مثل ذلك الجيش بسـروات الطائف، وغامد وزهران، وجرش (عسـير) جعلـه يصـطدم ببعض المرتدين الذين يبدو أن حجمهم وخطرهم لم يصـل إلى مسـتوى خطورة وحجم جماعة مسيلمة الكذاب أو طليحة بن خويلد الأسدي أو مالك بن نويرة ومن ارتد معهم، أو غيرهم في أطراف أخرى من جزيرة العرب[٣].

ولم يكتف الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – برد جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه إلى حيث أرسـلهم الرسـول ﷺ من أرض السـروات، وإنما أصدر تعليمات أخرى إلى عماله في مكة المكرمة والطائف يأمرهم أن يرسـلوا البعوث إلى الباحة وعسـير (تهامـة وسـراة)، بل إلى أجـزاء عديدة من بـلاد اليمن ليجمعوا من بقي على الإسـلام هنـاك، ثـم يجاهدوا بهم من ارتد عن دين الله، فما كان مـن أمير مكة المكرمة عتاب بن أسيد، إلاّ الامتثال لأمر الخليفة، وأرسل أخاه خالد بن أسيد إلى الأجزاء التهامية الواقعة جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى بلاد اليمن[٤]. كذلك أرسـل والي الطائف، عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى بلاد السـروات الممتدة مـن جنوب الطائف إلى اليمن، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع بجرير بن عبدالله البجلي في وسـط السـراة ببلاد دوس وخثعم والحجر، ثم ذهبـوا جميعاً حتى التقوا بحميضـة البارقي، ومن كان معه من المرتدين في سـراة جرش

(١) الطبري،محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٠ – ٢٣٢.
(٢) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢١ – ٣٣٢.
(٣) المرجع السابق، جـ ٣، ٢٢٣ – ٣٤٢.
(٤) المرجع السابق، جـ ٣، ٣١٩ – ٣٢٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩١.

(عسـير) فحاربوهم حتـى هزموهم ومزقوهم شـر ممزق[١]، وفر قائدهم حميضـة بن النعمان البارقي[٢] فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلاً:

فضضنا جمعهم والنقع كاب	وقد تعدي على الغدر الفتوق
وأبـــرق بــارق لما التقينا	فعادت خلّبا تلك البروق[٣]

كما أدى إصرار الخليفة أبي بكر على قتال المرتدين إلى تجهيز جيوش عديدة في المدينة، ثم أرسل كل واحد منها إلى ناحية لكي يتصدى للمرتدين، فكان نصيب بلاد تهامة والسراة واليمن جيشاً أرسله تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية، فخرج ذلك الجيش متوجهاً صوب مكة المكرمة والطائف، ثم تحرك جنوباً إلى سروات الباحة وجرش (عسير) حتى اليمن. وفي سروات غامد وزهران التقى المهاجر بن أبي أمية بجرير بن عبدالله، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد جرش (عسير) السروية، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر الذي كانت له قيادة الجيوش بعبدالرحمن بن أبي العاص قائد الجيش بإمرة والي الطائف عثمان بن أبي العاص. وانضم لهذه الجيوش أيضاً عبدالله بن ثور من تهامة فواصل الجميع سيرهم عبر بلاد الحجر، وبيشة وجرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد اليمن[٤]. وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية وعودتهم إلى الإسلام، الأمر الذي أدى إلى أن صارت بلاد نجران وجرش (عسير) والباحة (سراة وتهامة) جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق[٥].

وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية في تاريخ الخليفة أبي بكر الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين، وهي مرحلة الفتوحات الإسلامية، فانخرط الكثير من التهاميين والسرويين بمنطقة الباحة في جيوش المسلمين مثل غيرهم من عرب شبه الجزيرة العربية، وأبلوا بلاء حسناً في فتح بلاد الشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وفارس وغيرها، وعمل

---

(١) الطبري،محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٠ – ٣٢٢، ٣٢٨.

(٢) كان أغلبهم من قبائل الأزد وخثعم، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه، ثم تفريق جمعهم، عاد بعضهم إلى الإسلام، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام، إذ نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمحاربة الفرس. الطبري،محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٨٤.

(٣) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢٠.

(٤) المرجع السابق، جـ ٣، ٣٢٢، ٣٢٦ – ٣٣٠.

(٥) انظر: محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م)، جـ١، ٧١ وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، (جازان: نادي جازان الأدبي،١٤١١هـ/١٩٩٠م)، جـ ١، ٢٥ وما بعدها؛ وانظر: أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية والوسيطة، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م)، ٢٥ وما بعدها، وللمؤلف نفسه، "المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق ٣-٩ هـ/ ٩-١٥ م"، مجلة كلية الآداب، ع ٧، (الكويت: جامعة الكويت، كلية الآداب،١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م)، ١-٧٧.

الكثير منهم على نشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة واستقر بعضهم في بعض الحواضر من تلك الأمصار، ثم شاركوا في كثير من الأنشطة السياسية والحضارية.

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التي وقعت في منطقة الباحة، أو ما يعرف ببلاد "غامد وزهران"، وإنما تشير فقط إلى بعض الوقائع التي حدثت في بعض أجزائها، مع أن تلك الإشارات غير دقيقة إلى حدٍّ ما، لا في تسمية الأمكنة، ولا في دور الحواضر بشكل مفصل، الأمر الذي لا يروي ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاعِ السياسية والحضارية لهذه الأجزاء من هذه البلاد، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءاً محدوداً من المنطقة الجغرافية الواسعة التي أطلقنا عليها بلاد تهامة والسراة. وفي اعتقادي أن بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة) لم تتغير في وضعها السياسي خلال القرنين الأولين ولا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة، ثم صارت من الأجزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المدينة المنورة، إذ عيّن الخليفة أبو بكر - رضي الله عنه - عليها والياً ينظم شؤون الناس، ثم سار من بعده الخلفاء الراشدون في تعيين ولاة على أهل تهامة والسراة يقومون على إدارة شؤونهم، والفصل في خصوماتهم، وجباية زكاة أموالهم[1].

وإذا حاولنا معرفة الدور الذي قامت به بلاد غامد وزهران وغيرها من بلاد تهامة والسراة في بعض الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة في الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان، والعلاقة بين الخليفة علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما- نجد أن سكان هذه البلاد أسوة بغيرها من سكان الجزيرة العربية قد انخرطوا - بالتأكيد - في هذه الفتنة، ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي -رضي الله عنهما-، ومنهم من كان ضدهما، وبخاصة الذين هاجروا من بلادهم وتوزعوا في الأمصار الإسلامية من الحجاز إلى الشام، ومصر، والعراق، وبلاد فارس[2]. أما سكان منطقة الباحة المقيمون في أوطانهم فلا تذكر لنا المصادر تفصيلات عن تفاعلهم مع أحداث تلك الحقبة الصعبة،

---

(١) صالح أحمد العلي، "إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى" مجلة أبحاث، مج ١-٤ س ٢١ (١٩٦٨م) ٣-٥٧. ويذكر أن سعد بن أبي ذئاب الدوسي الزهراني كان واليا للرسول ﷺ على قومه في بلاد زهران، وبقي في عمله إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وتشير بعض الروايات إلى أن سعداً قدم على قومه في عهد عمر، فقال: ((يا قوم أدوا زكاة العسل فإنه لا خير في مال لا تؤدى زكاته، قالوا كما ترى، قال العشر، فأخذ منهم العشر فبعث به إلى عمر فجعله في صدقات المسلمين))؛ ابن الأثير، عز الدين . أسد الغابة، مرجع سابق،جـ٢، ٢٧٦؛ ابن حجر،شهاب الدين . الإصابة، مرجع سابق، مج ٢، جـ ٣، ٧٦؛ ابن جريس،غيثان. دراسات في تاريخ تهامة والسراة،مرجع سابق، جـ ١، ٥٧ وما بعدها؛ الجاسر،حمد. في سراة غامد وزهران، مرجع سابق، ٢٨٠ وما بعدها.

(٢) أبو محمد أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة/ مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الدكن، الهند، د. ت)، جـ ٤، ٥٣ - ٦٩؛ القاضي أبو بكر محمد بن العربي، العواصم من القواصم في مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب. (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦ هـ)، ٦١ - ١١٠.

ولكننا لا نستبعد تأثيرهم وتأثرهم بالأحداث، خصوصاً أنهم يقيمون في منطقة حساسة تربط بلاد اليمن بالحجاز. وإن لم يكن تأثيرهم مباشراً فربما كان عاطفياً ونفسياً.

رابعاً- تاريخ الباحة في العهدين الأموي والعباسي وما بعدهما:

١ - الآثار السلبية على انتقال الخلافة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق.

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية عموماً ومنطقة الباحة بشكل خاص بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى الكوفة في عهد الخليفه علي بن أبي طالب، ثم إلى دمشق في بلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها:

أ- تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية فتحولت جميع أجزائها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما - مكة المكرمة والمدينة المنورة- مقراً للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقائم على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، يحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم فترتفع مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة للمقدسات الإسلامية.

ب- أصبحت أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مكة المكرمة والمدينة المنورة المقدستين، منذ عصري بني أمية وبني العباس وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة هامشية، تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية والقدر اللذان كانت عليهما في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، ويعود ذلك في رأينا إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع -أحيانا- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر في سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد السروات التي تعد بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة) جزءاً منها.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لمنطقة الباحة خلال هذه الفترة، نجد أن الأمر يزداد غموضاً لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية باستثناء بلاد الحجاز إلى حد ما، فإذا ما تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ وحضارة منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل أرض غامد وزهران وما شابهها فإننا نقابل بصمت المصادر تقريباً عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون غالباً وأبداً إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى وعليه فقد توافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس وأمرائهم ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن كانوا قد دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل البلاد المعنية في هذه الدراسة وغيرها من النواحي الصغيرة، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون تلك المصادر نادرة أو معدومة. وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التأريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث كتباً عديدة دون أن يجد نصاً واحداً يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا ما طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن منطقة الباحة في العصرين الأموي والعباسي، نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومر المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو تفصيل، فمثلاً إذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعيَّنين من قبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصِّل لَنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [١].

(١) انظر: تقي الدين محمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، جـ٢، ١٦٦ – ١٦٧؛ العلي، صالح أحمد "إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى"، مرجع سابق، ٣ – ٥٧.
Hugh. Kennedy, ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44((1981), 26 – 38. S.B. Samadi "Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids" Islamic culture, 29 (1955) ,120–150, Elie Salem, Muslim Administration Islamic Culture, 33 (1959), 19–30.

وبالنسبة إلى منطقة الباحة – موضوع هذا البحث – فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري ليشمل تاريخها السياسي أيضاً، فبدءاً من العصر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذه البلاد ودورها السياسي والحضاري، وكل ما نعثر عليه لا يزيد على شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية بعامة، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن، وتأتي أرض غامد وزهران وما يجاورها ضمنها.

٢ - بعض الفتن والحركات السياسية :

أ- ثورة أبي حمزة الخارجي:

ويدعى المختار بن عوف الأزدي السلمي الدوسي الزهراني، ومستقره في مدينة البصرة بالعراق، وكان معاصراً للخليفة الأموي مروان بن محمد الجعدي ١٢٧–١٣٢هـ (٧٤٤–٧٤٩م) وقد اعتاد أبو حمزة ارتياد مكة المكرمة في كل مواسم الحج لنشر مذهبه الخارجي وتحريض الناس على الفتنة، بغية القضاء على الخلافة الأموية، وخلع مروان بن محمد. وفي عام (١٢٨هـ/٧٤٥م) التقى (المختار) بأحد رجال حضرموت ويدعى، عبد الله بن يحيى الكندي الذي اقتنع بدعوته، ودعاه للذهاب معه إلى حضرموت لنشر دعوته بين قومه، وأشارت بعض المصادر إلى أن الكندي رغَّبه في ذلك بقوله: ((**إنني رجل مطاع في قومي فاذهب معي إلى بلادي لتجد النصرة والمنعة**))، وبالفعل استحسن أبو حمزة الرأي، وخرج بصحبة الكندي إلى بلاد حضرموت، حيث طفق أبو حمزة ينشر أفكاره، ودعا بالخلافة إلى عبدالله بن يحيى الكندي الذي تلقب بـ"طالب الحق"،ثم اجتمع من حولهما عدد كبير من بلاد حضرموت وما حولها، فتكون لهما جيش كبير توجها به إلى مدينة صنعاء فاستولوا عليها وطردوا عمال بني أمية منها، ثم امتد نفوذهما حيث خرج أبو حمزة الخارجي على رأس جيش قوامه ألف رجل فعبر بلاد صعدة ونجران وسروات عسير والباحة حتى دخلوا مكة المكرمة فاستولوا عليها وواصلوا طريقهم شمالاً إلى المدينة المنورة فاستطاعوا السيطرة عليها(١)، ووصلت أخبار تلك الحركة الخارجية واستيلائها

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٧، ٣٧٤-٣٧٦، ٣٩٣–٤٠٢؛ علي بن أبي الكرم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ٤، ٩٧؛ أبو الحسن علي الخزرجي، الكفاية والأعلام، الجزء الخاص باليمن في عهد الولاة من تحقيق: راضي دغفوس. (تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٩ م) ٧٤ – ٧٥؛ يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م)، جـ ١، ١٢٤ – ١٢٥.

علـى أغلب بلاد اليمن والسـروات والحجاز إلى مسـامع الخليفة مروان بـن محمد فأعدّ جيشـاً قوامه أربعة آلاف مقاتل وأسند قيادته إلى عبدالملك بن عطية السعدي عام ١٣٠هـ (٧٤٧م)، فخرج على رأس هذا الجيش قاصـداً المدينـة المنورة، ونجح في إلحاق الهزيمة بأبي حمزة الخارجي، الذي خرج فاراً إلى مكة المكرمة، فلحق به ابن عطية ليهزمه للمرة الثانية، ويتمكن من قتله، وتشتيت شمل أنصاره، ثم حز رأسه وأرسله إلى مروان بن محمد ومعه كتاب يبشره فيه بالنصر وقهر الخوارج[1].

أما أنصار الخارجي، فقد عاد من نجا منهم إلى صنعاء مروراً بسراة غامد وزهران، وأجـزاء من بـلاد نجران، وأخبروا طالب الحق بالهزيمة، فخـرج على رأس مجموعة من أنصاره إلى أرض نجران ثم بيشة والباحة، ومنها اتجه إلى الطائف ليأخذ بثأر أبي حمزة ورجالـه، ويمنـع زحف الجيش الأموي على اليمن، فالتقى بأبـي عطية في نواحي الطائف، حيـث ألحـق القائد الأمـوي الهزيمة بطالب الحـق وقتله مع عدد كبير مـن رجاله، ومزق الخوارج كل ممزق، ولم ينج إلا من لاذ بالفرار إلى صـنعاء، وتشـير المصادر إلى تفاصيل المعركة حيث تذكر صمود الخوارج وذودهم عن أنفسهم ببسالة إلى أن تمكن الأمويون من زعيمهم (طالب الحق) فقتلوه، عندئذ فتّ في عضدهم وهزموا [2].

لم يكتـف ابن عطية بالقضـاء علـى الخوارج في الحجـاز، وقتل أبي حمـزة، وطالب الحق بل رأى ضـرورة استئصال شـأفتهم بالكلية من بلاد اليمن، فتوجه عبر أرض غامد وزهران، وجرش (عسـير) حتى وصل نجران ثم صـنعاء فغادرها أتباع طالب الحق، وما زال ابن عطية يلاحقهم في كل صقع من أصقاع اليمن حتى قتلهم وأبادهم [3].

ب- ثورات العلويين وغيرهم :

وتتابعت الفتن وحركات المعارضـة ضـد خلافة بنـي العباس. وكانـت الحجاز وبلاد اليمـن وما بينها أرض تهامة والسـراة، مسـرحاً لعدد من هذه الثورات، ولا سـيما ثورات العلويين الذين كانوا من أكثر العناصـر شـغباً، حيث أثاروا عدداً من القلاقل في وجه بني العباس، وهددوا استقرار الخلافة وسيطرة عمالها في تلك البلاد[4].

---

(١) الطبري، محمد. تاريخ، مرجع سـابق،جـ٧، ٣٩٣؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سـابق، ٧٤؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ١٢٤-١٢٥.

(٢) الطبري محمد. تاريخ،مرجع سابق، جـ٧، ٣٩٣ – ٣٩٤؛ الخزرجي،علي. الكفاية، مرجع سابق، ٧٤ – ٧٥.

(٣) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، الهادي. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ١٢٤- ١٢٦، وللمزيد انظر: ابن الأثير، علي. الكامل،مرجع سابق، جـ٤، ٢٩٧.

(٤) للمزيد عن ثورات العلويين ضـد العباسـيين خلال القرنين (٢-٣ هـ/ ٨- ٩م)، انظـر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٧، ٥١٧ وما بعدها، جـ٨، ١٩٣ –٢٠٣، ٥٢٨ – ٥٣٣، جـ٩، ٢٧١ – ٢٧٦.

وتشير المصادر إلى أن العلويين قد انتهزوا نشوب النزاع بين الأمين والمأمون، ووجدوا في ذلك فرصة سانحة لنشر دعوتهم في البلاد، فخرج محمد بن إبراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا على المأمون بالكوفة عام ١٩٩هـ (٨١٤م)، وصار يدعو إلى آل الرضا من آل محمد، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا ابن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة، وطرد ولاة بني العباس منها [١]. وعندما توفي محمد بن إبراهيم ولى أبو السرايا بدله غلاماً من العلويين يدعى محمد بن محمد بن يزيد، ثم أرسل ولاة من العلويين إلى مكة والمدينة وبلاد السراة واليمن، وكان داود بن عيسى بن موسى والياً لأمور مكة والمدينة من قبل الخلافة العباسية، حينما وجه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس العلوي، وإلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فدخلوها دون قتال، وقد شجع ذلك بعض العلويين بزعامة إبراهيم بن موسى بن جعفر وجماعة من أهل بيته بمكة على مد الثورة إلى بلاد السراة فشملت الطائف، وامتدت حتى وصلت إلى تربة وبلاد غامد وزهران وجرش (عسير)، فيما وصلت إلى نجران وصنعاء دون مقاومة تذكر، حتى إن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عباس والي اليمن من قبل المأمون عندما سمع بقدوم إبراهيم بن موسى فرّ هارباً [٢]. وتذكر المصادر أن إبراهيم بن موسى نكل بكل من اعترض طريقه، وأسرف في القتل حتى لقب بالجزار، واستولى على كثير من الأموال والذخائر خلال الطريق من الحجاز إلى الباحة ونجران ثم صنعاء [٣].

وبعد أن تمت السيطرة للعلويين على اليمن، رغب إبراهيم بن موسى العودة إلى مكة المكرمة والمدينة لإحكام السيطرة عليهما فخرج من اليمن قاصداً الحجاز عبر بلاد نجران وجرش والباحة حتى وصل إلى مكة، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها، حيث سبقه الخليفة المأمون بإرسال جيش كبير إليها عام ٢٠٠هـ (٨١٥م) بقيادة إسحاق بن هارون الرشيد لحفظ الأمن في الحرمين، وقمع أي بادرة للفتنة والعصيان، وتصدى هذا الجيش لإبراهيم بن موسى وألحق به الهزيمة، وفرق جموعه وعاد إلى اليمن مهزوماً، وضاعت هيبته، وبخاصة بعد هزيمته، ومقتل أبي السرايا في بلاد العراق على يد جيش عباسي آخر لتنتهي أحداث هذه الثورة العلوية التي كادت تفصل بلاد الحجاز والسراة ونجران وصعدة وصنعاء عن بلاد الخلافة العباسية [٤].

---

(١) المرجع السابق، جـ٨، ٥٢٨ – ٥٣٦؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٥، ١٧٣ – ١٧٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٨، ٥٢٩ – ٥٤٠.

(٣) المرجع السابق، جـ٨، ٥٣٥ – ٣٥٦؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٥، ١٧٧؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت. (باريس: د. ن، ١٩١٦م)، جـ٦، ١٠٩.

(٤) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٨؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٨، ٥٣٥ وما بعدها؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٥، ١٧٧.

ومنذ القرن الثالث الهجري،التاسع الميلادي بدأ الضعف يدبُّ في جسم الخلافة العباسية، فقام بعض أهل السروات وتهامة وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة(١)، واستقل ابن طرف بمخلاف حكم في منطقة جازان (٢)، وقامت فتنة في بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من تهامة (٣). ولم يأت عصر الخليفة العباسي المأمون إلاّ وبعض من أجزاء مخاليف السروات، ومنها: بلاد الباحة، ونجران، واليمن، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة، وعندئذ التفت المأمون في جدّية إلى تلك المناطق الجنوبية، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة، والعكيين في تهامة، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد، وقال له: ((**أسمعني صوتهم**))، أي يقاتلهم بقوة لا هوادة فيها، فوصل ابن زياد مزوداً بالمال والرجال وأهل الرأي، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم، بل التنكيل بهم(٤). وتفرغ لسكان السروات وتهامة والمناطق الأخرى التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة، وعدم الخروج عن الجماعة، والرجوع إلى طاعة الخليفة، وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته، فوافقوا وعادوا إلى الطاعة، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر، فبعد موت محمد بن زياد، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية، فقام كل أمير أو شيخ قبيلة يستقل بناحيته، أما مخاليف تهامة والسراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف، فقد بقيت شكلياً أو إسمياً مرتبطة بعامل الحجاز (٥).

٣ - الأوضاع العامة لبلاد الباحة وما جاورها بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

وبعد القرنين: الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، لا نجد ما يوضح لنا تاريخ بلاد غامد وزهران وما حولها، وإنما أشارت بعض المصادر إلى أحداث

---

(١) العقيلي،محمد بن أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧؛ البلادي، عاتق بن غيث. بين مكة وحضرموت،مرجع سابق، ١٧٦ – ١٧٧، ٢٠٠؛ الزيلعي، أحمد. " المواقع الإسلامية المندثرة... "، مرجع سابق، ٩ وما بعدها.

(٢) للمزيد عن سليمان بن طرف الحكمي، حاكم مخلاف حكم خلال العصور الإسلامية المبكرة، انظر: العقيلي، محمد بن أحمد. تاريخ،مرجع سابق، جـ ١، ٧١، وما بعدها؛ الزيلعي، أحمد، الأوضاع السياسية،مرجع سابق، ١٢ وما بعدها.

(٣) انظر الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢٠ – ٣٢١؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا. (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)، مج ٢، جـ ٣، ٩٦٢.

(٤) عبد الله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م)، ١٠٥ –١٠٧؛ محمد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، (جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤١١هـ)، جـ ١، ١٧ – ٢٠.

(٥) الجرافي،عبدالله. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥ –١٠٧؛ العلي، صالح أحمد. " إدارة الحجاز... "، مرجع سابق، ٢٤ وما بعدها.

سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة التي اكتسبت صبغة العمومية، وأحياناً نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل: زبيد، وصعدة، وصنعاء، وهي أسماء لا تعطينا ما نريده عن تاريخ الديار الغامدية والزهرانية في العصر الإسلامي الوسيط، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر. ولعل في كتب الجغرافيا والرحلات ما يلقي بصيصاً من الضوء على بلاد غامد وزهران خلال الفترة محل البحث، حيث جرت العادة أن تذكر الكتب محل الإشارة السروات وتهامة الواقعة بين نجران وجازان جنوباً والطائف ومكة شمالاً، وفيها بلاد غامد وزهران، وبخاصة عندما تذكر الطرق التجارية المارة بها والواصلة بين حواضر اليمن والحجاز.

فابن الفقيه يقول: ((.... **سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف، وأقصاها قرب صنعاء، والسروات أرض عالية، وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق، والطائف من سراة بني ثقيف، وهو أدنى السروات إلى مكة، ومعدن البرم هي السراة الثانية، بلاد عدوان في برية العرب، وبها معدن البلور**...))[1] ويذكر ياقوت معلومات جيدة، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول "... **والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغرب وعلى نجد من الشرق، وسراة بني شبابة**... "[2]، ثم يشير إلى بعض الأجزاء الواقعة إلى الغرب من السروات فيورد الآتي ((... **وبأسفل السروات أودية تصب إلى البحر الأحمر منها: الليث، وقنونا، والأحسبة، وضنكان، وعشم، وبيش، ومركوب، وعليب**))[3]. ويتفق كل من القزويني وياقوت الحموي على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالاً حتى صعدة جنوباً من أفصح الناس لغة، وأكثر مَنْ اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول، كهذيل القاطنة بجوار الطائف، وبجيلة وثقيف وأزد السراة (غامد وزهران) وما جاورها بلاغة وبياناً[4]. وزيادة في القول يضيف المقدسي من أبناء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، معلومات أكثر تفصيلاً من سابقيه، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جنوباً والطائف شمالاً، حيث يقول:

((**القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع في أرض الأغرّ بن هيثم، ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى، ثم إلى سردد، ثم إلى ديار عنز بن وائل في بني غزية،**

---

(١) أبو بكر أحمد بن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق: أم. دي. خوية. (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤ م)، ٣١ – ٣٢.

(٢) ياقوت،شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، ٨٩؛ ياقوت، شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٥.

ثم تقع في ديار جرش، والعتل وجلاجل، ثم إلى ديار الشقرة وبها خثعم، ثم في ديار الحارث (غامد وزهران) ثم في شكر وعامر، ثم في بجيلة، ثم في فهم، ثم في بني عاصم، ثم في عدوان، ثم في بني سلول، ثم في مطار....))[١]. ويستدل ممّا ذكره المقدسي أنه ربط ما بين ذكر الأمكنة الواقعة ما بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة فيها.

ويشير ابن المجاور من مؤرخي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، إلى معلومات تختص بالنواحي السياسية والحضارية لأهل تهامة والسراة، لا نجدها عند غيره، فيقول: ((**فأمّا السرو فإنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشايخ منهم، وفيهم بطون متفرقون....))** [٢] ، وفي مكان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف، وبخاصة الأجزاء السروية الممتدة من نجران إلى غامد ودوس بن زهران فيذكر أن تلك المناطق جميعها قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر، ثم إن كل قرية مقيمة بأهلها، وكل فخذ أو بطن من البدو في قرية، ومن جورهم لا يسكن قراهم ولا ينزلها أحد سواهم، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجزاء وأهلها فيقول: ((**وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص، وكل واحد من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محيطين بالقصر من أربع ترابيعه، ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجا، ولا يسلمون قطعة وكل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طول الدهر على هذا الفن، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل، وهم في دعة الله وأمانه، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب....))** [٣].

وهكذا أورد لنا ابن المجاور من رحالة القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) نصاً يؤكد ما تحويه منطقة سروات غامد وزهران وجرش (عسير) وما جاورها من حصون ومخازن لغرض الحرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة، وما نشاهده الآن

(١) أبو عبد الله شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: أم. دي. خوية. (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٧ م)، ١٠٤.

(٢) جمال الدين يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، (ليدن: مطبعة برايل،١٩٥١– ١٩٥٤م)، جـ ١، ٢٦.

(٣) المرجع السابق، جـ ١، ٢٧.

في هذه البلاد ما هو إلا رموز تدل على صحة الروايات السابقة. وقد تبين لنا في مقابلاتنا مع كبار السن في عدد من الأمكنة من بلاد غامد وزهران التهامية والسروية حول الحصون ومهامها أن لها مهمّتين: مهمّة حربية، ومهمّة اقتصادية إذ تعد هذه الحصون مستودعات لخزن الحبوب. كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة أن البنية الاجتماعية في تلك المناطق تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الأساسية في المجتمع، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم لا ينازعه أحد في سلطان، وهو الذي يعلن الحرب، وهو الذي يطفئها مع المشايخ الآخرين، ولهذا ينعم بقية الأفراد في المجتمع القبلي بالأمن بمقدار ما يمنحه الشيخ لهم، ويصحب المعارك عادة السلب والنهب، وتسود شريعة الغاب، فالقوة هي الحق، وليس الحق هو القوة. كما يذكر ابن المجاور بعض العادات التي كانت جارية بين أهل جرش (عسير) والباحة، حيث كان الرجال يخضبون أيديهم وأرجلهم مثلهم مثل النساء في مناسبات الأعياد والزواج وغيرها[١]. كما ذكر عن السرويين بعض العادات في الجنائز فقال: ((**وأهل السراة يرثون البنت عند الموت... وللقوم عصبية عظيمة، فإذا مات أحدهم لا يحمل جنازته إلا الشبان، ومع ذلك يقولون: سلّم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي! وهم يتداولون بالنعش إلى المقبرة، وهم الذين يحفرون القبر....**))[٢]. ومن أطعمتهم اللحم، والسمن، والخبز، ومن أكثر الأسماء شيوعاً بينهم سالم، وغانم، وقاسم، ومفرج، ومفرح، وراشد، وناجي، وجابر، ولاحق، وصابر، وسعيد، ومساعد، وظافر، وفاتك، ومالك وغيرها أسماء كثيرة [٣]. ومن اهتمامهم بالضيف، أنه إذا أطعم لصّ أو قاتل طعام صاحب البيت، فإنه لا يقتل إلا بعد خروجه من البيت، وبعد مدة من الزمن حتى ينتهي مفعول الطعام الذي أكله[٤]. ويشير ابن المجاور أيضاً إلى بعض عادات السرويين الغامديين والدوسيين ومن جاورهم في الكرم، خصوصاً الذين تغلب عليهم البداوة، ومنها أنهم يؤخرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم، فإن حصل ذلك ينحر له على قدر مكانته، فقد ينحر له جمل ويقدم له رأسه، وإن كان عابر سبيل تذبح له شاة، ويقسم صاحب الدار الرغيف إلى ثلاثة أو أربعة أقسام يضعها أمام الضيف تكريماً له، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الخبز، ويهرق عليه السمن أو المرق، فيشرب بادئ الأمر المرق، ثم يوزع اللحم على الثريد، وقد يطلق أحياناً،

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، مرجع سابق، جـ١، ٧، ٢٧. ومثل هذه العادات لا تزال مألوفة بين بعض سكان مناطق الباحة وعسير في الأجزاء التهامية والسروية، وبخاصة عند كبار السن من الرجال.

(٢) المرجع السابق، جـ١، ٢٥.

(٣) المرجع السابق، ومن الأسماء الشائعة عند أهل غامد وزهران في وقتنا الحاضر: عيضة، وعطية، وجمعان، وصالح، ومعيض (الباحث).

(٤) المرجع السابق، جـ٢، ٢٣٤.

على هذا الصنف من الطعام اسم العربية[١]، ومن عادات السرويين من نجران حتى الطائف أيضاً أن يكون في مخازنهم صنفان من الحبوب، ذرة وقمح، يقدم خبز القمح للضيف، وخبز الذرة للأسرة، وينم هذا السلوك عن إيثار الضيف وتقديمه على الأهل. وما قصة الرجل الذي ينحر بعيره لضيوفه، أو يقدم لهم أفضل ما لديه وهو في حالة الفقر، إلا دليل واضح على أعلى مراتب الإيثار.

وإشارة ابن المجاور إلى أن بلاد تهامة والسراة بما فيها أرض غامد وزهران كانت تحكم بشيوخ القبائل المستقلين بسلطتهم في ديارهم قول نوافقه عليه من حيث المبدأ، ومن حيث المركز الاجتماعي الذي عرف لشيوخ القبائل العربية على مرِّ التاريخ قبل الإسلام وبعده[٢]، ولكن الذي عرف في ظل الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز إلى بلاد الشام ثم العراق في العهدين الأموي ثم العباسي أن شبه الجزيرة العربية تحولت إلى عدد من الولايات التابعة لمركز الخلافة، ومن أكبر ولايات شبه الجزيرة العربية منطقتا الحجاز واليمن، وبخاصة الأجزاء التي تشمل الحواضر الحجازية واليمنية الكبرى، فيما بقيت منطقة الباحة الواقعة بين المنطقتين السابقتين تابعة في أغلب الأحيان لوالي الحجاز الذي يتخذ مكة المكرمة أو المدينة المنورة مقراً له[٣]. ومن الواضح في بعض كتب التراث الإسلامي، خصوصاً كتب الجغرافيا والرحلات، أن منطقة تهامة والسراة كانت مقسمة إلى مناطق أو مراكز حضارية، ويطلق على كل قسم إما مخلاف أو عمل (جمعها أعمال)، أو كورة (جمعها كور). فاليعقوبي تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بذكر أجزاء عديدة تابعة من الناحية الإدارية لوالي مكة المكرمة، ومن تلك الأعمال الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف ذكر ما يلي في الأجزاء السروية: ((**تبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث بن كعب، فقد كانت منازلهم في الجاهلية، والسراة (غامد وزهران) وأهلها من الأزد**))[٤]. وفي الأجزاء التهامية أشار إلى عشم، وذكر أنها معدن الذهب، وبيش، والسرين، والأحسبة، وعثر، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالاً وجازان جنوباً[٥]. وفي موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلافاً، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى، ولكنه أورد بعض الأجزاء التي تقع

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، ٢٣٢.

(٢) للمزيد عن شيوخ القبائل وسعة نفوذهم من العصر الجاهلي، انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ٥ – ٢٧١، جـ٥، ٢٥٣ – ٣٣٣.

(٣) الفاسي، تقي الدين. شفاء الغرام، مرجع سابق، جـ٢، ٢٦٢ – ٢٦٥؛ العلي، صالح أحمد. "إدارة الحجاز..."، مرجع سابق، ٣٣ وما بعدها.

(٤) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٣١٦.

(٥) المرجع السابق، ٣١٦، ٣١٨.

ضمن مساحة دراستنا، مثل: جرش وتبالة في بلاد السراة، وبيش، وقنونا، ويبه، وضنكان، والعرش من جازان في الأجزاء التهامية[١]. ويورد ابن خرداذبة بعض الإيضاحات عن مخاليف مكة المكرمة، فيذكر أن الطائف، وعكاظ، وبيشة، وتبالة، وجرش، والسراة[٢]، ونجران في الأجزاء السروية، وضنكان، وعشم، وبيش في الأجزاء التهامية، وجميعها تابعة لإمارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام[٣]. ويخالف المقدسي اليعقوبي وابن خرداذبة في بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران، وجرش، وتربة، والسراة في الأجزاء الجبلية، وبيش، وعثر، وحلي، والسرين من مخاليف اليمن[٤]. ولكن الإدريسي يخالف المقدسي ويتفق مع اليعقوبي وابن خرداذبة فيقول عن بعض مخاليف مكة، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجران ((**ولمكة مخاليف وهي الحصون، فمنها بنجد الطائف ونجران... وتربة وبيشة وجرش والسراة**)) ثم يضيف ضنكان، والسرين، وعشم، وبيش في الأجزاء التهامية [٥]. وبهذه الأقوال نستطيع القول: إن عموم بلاد تهامة والسراة كانت في الغالب تابعة لولاية مكة المكرمة، بل وأثبتت بعض الروايات التاريخية أنَّ والي الحجاز كان في بعض الأحيان يمنح تعييناً من الخليفة يتضمن ولايته على الحجاز واليمن معاً، وأحياناً أخرى تضاف له ولاية بلاد اليمامة إلى جانب المنطقتين السابقتين[٦]. أما المنطقة التي تقع بين الحجاز واليمن، التي أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) ومنطقة الباحة (غامد وزهران) جزء منها، فمن دون شك أنها كانت تتبع إدارياً لوالي مكة المكرمة من حيث دفع الزكاة إلى بيت مال المسلمين، وبالتالي يكون الولاء للخلافة الإسلامية، لكن الذي لا شك فيه أن ما أشار إليه ابن المجاور من حيث اضطراب الأمن وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد كان أمراً واقعاً، بل إن شيوخ القبائل كانوا إلى عهد قريب، أقوى عنصر في المجتمع، فكانوا أصحاب الحل والعقد، بل وإليهم تؤول الأمور الخاصة بأبناء مجتمعاتهم، والخاصة بالعلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم.

ولم يكن سكان منطقة الباحة أو عموم التهاميين والسرويين منغلقين على أنفسهم، بل كان بعضهم يسافر إلى حواضر شبه الجزيرة العربية، وبخاصة مدن الحجاز الكبرى،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) يقصد بكلمة (السراة) هنا: أي بلاد غامد وزهران وما جاورها من السروات بين مدينتي الباحة وأبها.

(٣) أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أم. دي. خويه. (ليدن: مطبعة بريل.١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٩ م)، ١٣٣.

(٤) المقدسي،شمس الدين. أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ٦٩ – ٧٠، ٨٨.

(٥) محمد بن عبد الله الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م)، جـ١، ١٤٥.

(٦) الفاسي، تقي الدين. شفاء الغرام، مرجع سابق، جـ٢، ١٦٢ – ١٦٤.

فيعملون بالتجارة، ويؤدون الحج والعمرة، بل ويمتلك بعضهم الدور والعقار [١]. وقد حفظ لنا الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيّمة التي تؤكد ذهاب أعداد كبيرة من السرويين مثل (أهل غامد وزهران) إلى مكة المكرمة من أجل أداء واجباتهم الدينية، والمتاجرة في بعض سلعهم التي يجلبونها معهم من بلادهم إلى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة في رجب ورمضان وفي موسم الحج، وأول من شاهدهم ودون لنا ملاحظاته عنهم في أسواق مكة المكرمة، الرحالة الفارسي ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث أشار إلى كثرتهم في مكة في أول رجب من كل سنة، وفي عيد الفطر، وفي موسم الحج[٢]. وفي القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع زار مكة المكرمة رحالة أندلسي، هو محمد بن جبير، فوصف أحوال السرويين الذين يأتون من بلاد الباحة وما حولها إلى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق، والفواكه، والسّمن، مبدياً سروره وإعجابه بذلك، ووصف أولئك القوم البسطاء ـ حسب ما شاهدهم ـ بالشجاعة، والنجدة، والمروءة[٣]. ويؤكد الرحالة ابن المجاور ما ذكره كل من ناصر خسرو وابن جبير، فيشير إلى أن سرويي منطقة الباحة وما جاورها من السروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز إذا دخلوا مكة المكرمة ملؤوها من الحنطة، والشعير، والسويق، والعسل، والذرة، والدخن، والزبيب، واللوز، وما يشابه ذلك، ولذلك يقول أهل مكة: ((**حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمنا نكسب منه القوت**))[٤]. وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر الميلادي)، شاهد السرو من أهل غامد وزهران وغيرهم من بلاد تهامة والسراة في أسواقها يبيعون ويشترون، وشاهدهم يطوفون حول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة، وقد أورد في رحلته نبذاً مما شاهده في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فقال:

((.... ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق. ولولا أهل هذه البلاد. (ويقصد أهل السراة) لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم، ووقع الموت في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم. فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين.

---

(١) محمد أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار الكتب، د. ت)، ١٠٢ — ١٠٤.

(٢) أبو معين ناصر خسرو. سفر نامة، (رحلة ناصر خسرو)، ترجمها من الفارسية: أحمد خالد البدلي. (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٣ م)، ١٤١.

(٣) ابن جبير، أحمد. رحلة، مرجع سابق، ١٠٢ — ١٠٥.

(٤) ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، ج ١، ٢٧.

وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد. وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب، وتدمع العيون الجامدة فترى الناس حولها باسطي أيديهم، مؤمّنين على أدعيتهم، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطرق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم))[١].

وليس ابن بطوطة هو الذي انفرد بهذه التفصيلات، بل ذكرها بالإضافة إليه بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراتها، وعلى ما تحلّى به أهلها من الشجاعة والسلوك الجيد والقيم الطيبة[٢] ، وسكان بلاد غامد وزهران كانوا يتأثرون ويؤثرون فيما حولهم من بلاد تهامة والسراة، أو في بلاد الحجاز التي كانوا على صلات سياسية وحضارية بها منذ العهد الجاهلي وخلال العصور الإسلامية المختلفة. وربما كان موقع بلادهم الواقعة على الطريق التي تربط بين اليمن والحجاز من الأسباب الرئيسية التي جعلت سكان هذه البلاد يكونون على علم بما يدور من أحداث في الحواضر الكبرى من شبه الجزيرة العربية مثل: مكة المكرمة والمدينة المنورة وصنعاء وغيرها [٣] .

خامساً - الخاتمة : النتائج وتوصيات الدراسة :

ونخلص في نهاية هذه الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط التالية :

أ - البحث في التاريخ الإسلامي وبخاصة عن مناطق أو مواضع تفتقر إلى المادة العلمية، قد تضع الباحث في حرج شديد للإجابة على كثير من الأسئلة. وبلاد

---

(١) أبو عبد الله محمد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، جـ ١، ١٥٢.

(٢) للمزيد عن توافر الحبوب والخيرات في بلاد الباحة وما جاورها من البلاد التهامية والسروية، انظر: عرام بن الأصبغ السلمي. كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبد السلام هارون. (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م)، ٤١٧، ٤٢٠-٤٢١؛ القزويني، زكريا محمد. آثار البلاد وأخبار العباد، مرجع سابق، ٨٩؛ ابن جبير، محمد أحمد. رحلة، مرجع سابق، ١٠٤؛ ياقوت، شهاب الدين. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٠٥؛ ابن المجاور، جمال الدين. صفة بلاد اليمن، مرجع سابق. جـ ١، ٢٦ -٢٧.

(٣) وللمزيد عن بعض الكتب التي تفيد الباحث والقارئ عن بلاد تهامة والسراة، والتي منطقة الباحة جزء منها، وكذلك اليمن والحجاز وعلاقتهما بسروات غامد وزهران وما جاورها انظر، حسن بن ابراهيم الفقيه . مخلاف عشم، (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م)، ٧٩ وما بعدها، أحمد الزيلعي . نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)، ٣٠ وما بعدها، ابن جريس، غيثان . دراسات في تاريخ تهامة والسراة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٣ وما بعدها .

الباحـة من البلاد الغنية برجالهـا وخيراتها على مر التاريخ الإسـلامي المبكر والوسـيط والحديث، ولكن موقعها بين منطقتين كبيرتين هما :ـ الحجاز واليمن جعـل المؤرخين وأربـاب القلم لا يذكرونها إلا قليلاً ، وأحياناً كثيرة ترد أسـماء بعضـ مواقعهـا أو أعلامها مروراً سـريعاً بين طيـات السـطور، دون أن يخرج القاري بفائدة كبيرة لما يقرؤه عن هذه الديار .

ب – نلحـظ ذكر تاريخ سـكان منطقـة الباحة (غامد وزهـران) معلوماً إلى حد ما خلال عصـري الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، مع أن هناك جوانب كثيرة لازلنا نبحث عن إجابات لها أثناء تلك الفترة أما عصور بني أمية وبني العباس حتى بداية العصر الحديث فلا زلنا نواجه عقبات كبيرة جداً لمعرفة تاريخ هذه الأوطان . وإذا نظرنا في عموم المصـادر الإسـلامية، تاريخيـة وأدبية، ولغوية، ورحـلات، وغيرهـا فاننـا لا نجد ضـالتنا عن تاريخ بـلاد غامد وزهـران وما جاورها من أرض تهامة والسراة . وبالتالي فإنني أرى الأتي :

١ – عدم اليأس في الحصـول على صورة تاريخية شـبه واضحة عن هذه البلاد، وبإمكاننا معرفة بعض الشـيء من خلال المصـادر التـي كتبت عن الحجاز واليمن على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط، وهي كثيرة، ثم مقارنة ما ورد بها مع تركيبة المجتمع الغامدي والزهراني والاستنتاج بأن هناك الكثير من المتشابهات وبخاصة في الجوانب الحضارية المختلفة، وكذلك السياسية والفكريـة التي قد تحدث في اليمن والحجاز وتتخذ من بلاد تهامة والسـراة طريقاً لها أثناء الذهاب والإياب بين مكة وصنعاء .

٢ – لازلنا نشـاهد في منطقـة الباحة الكثير من النقوش والرسـوم القديمة التي بعضـها يعود إلى فترات سـابقة للإسـلام، وبالتالي فإن الدراسات الأثرية هي من أفضـل المصادر التي قد تفيدنا في إيضاح كثير من الصور عن تاريخ هذه الأرض ذات الموقع الإستراتيجي والتي تربط بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها . وأنادي جميع الأقسـام العلمية الأكاديمية وكذلك المقتدرين مالياً إلى تشـجيع ودعم الدراسـات الأثريـة القيمة التي تخدم تـراث هذه البلاد وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية الغنية بموادها الآثارية المختلفة .

ج ـ الغالـب على طبيعة بلاد غامد وزهران سـيادة الطابع القبلي في نظمه وأعرافه وعاداتـه وتقاليده، ولهذا فالقبيلة بعشـائرها وبطونها كانـت ولازالت إلى وقت قريـب في الجزيـرة العربية هي صـاحبة السـيادة، وشـيوخ القبائـل وأعيانها

ووجهائها هم الذين لهم الكلمة الفصل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم . وإذا كان هناك قوى خارجية في الحجاز أو اليمن أو في بلاط الخلافة الإسلامية ترغب الاتصال بأهالي الباحة (الغامديون والزهرانيون) فإن ذلك لا يتم إلا عن طريق أولئك الشيوخ والأعيان . ومن المؤسف حقاً أننا لا نجد في المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة صورة واضحة تؤكد أقوالنا، لكننا على يقين مما نقول، لأن أمراء الحجاز، أو خلفاء بني أمية وبني العباس ومن جاء بعدهم من الأمم، كانوا في بادي الأمر يبحثون في جميع ولاياتهم عن الوجهاء والشيوخ والأعيان كي يقربوهم، وبالتالي يعينونهم على تطبيق سياسة الخلافة أو الإمارة في بلادهم .

د - نقول للباحثين والمتخصصين والأقسام العلمية والأدبية ومراكز البحث العلمي وأرباب الثروات والمقتدرين أننا بحاجة إلى دراسات وأبحاث علميه جادة عن منطقة الباحة وغيرها من مناطق بلادنا الغالية، ونحن للأسف لازلنا نلمس القصور العلمي الذي يوجد في مراكزنا ومكتبتنا العلمية، ولا يمكن سد هذا النقص إلا بتضافر الجهود، وتشجيع الباحثين الجادين والمراكز العلمية البحثية الجيدة كي تعكف على دراسة تراثنا وتاريخنا وفكرنا ومعتقداتنا وثرواتنا وفلكلورنا وكل ماله فائدة علمية وثقافيه لبلادنا ومجتمعاتنا .

الدراســـة الثالثـــة

صفحات تاريخية لبعض مؤسسات الباحة الإدارية بأقلام مديريها (١٣٥٢-١٤٢٧هـ /١٩٣٢- ٢٠٠٦م)

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ١١٨ - ١٥٦

الدراسة الثالثة: صفحات تاريخية لبعض مؤسسات الباحة الإدارية بأقلام مديريها (١٣٥٢-١٤٢٧هـ / ١٩٩٣-٢٠٠٦م)

للحصول على مادة علمية لهذا المحور خاطبنا إمارة منطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وحددنا رغبتنا في نقاط محددة[١]، وتفضل وكيل الإمارة المساعد آنذاك بإرسال تعميم إلى جميع المؤسسات الإدارية في المنطقة يحثهم على التعاون معنا[٢] وفي غضون شهرين وصلنا إجابات عددها (٣٤) مذكرة لبعض المؤسسات الإدارية في المنطقة، وهانحن نورد خلاصتها في الصفحات التالية:

١- إمارة المنطقة:

أرسل لنا وكيل الإمارة المساعد أحمد المنيفي مذكرة مختصرة عن تاريخ الإمارة[٣]، بتاريخ شهر جمادى الآخرة عام (١٤٢٧هـ)، وأشار إلى أن إمارة المنطقة يتبعها ست محافظات هي: بلجرشي، والعقيق، والقرى، وقلوة، والمخواة، والمندق.[٤] وأورد جدولاً بأسماء وتواريخ الأمراء الذين تولوا منطقة الباحة منذ عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، وهم على النحو التالي:

م	الاسم	مدة العمل		مدة العمل		ملاحظات
		من	إلى	شهر	سنة	
١	تركي بن محمد بن ماضي	١٣٥٣/٤/١	١٣٥٦/١١/١هـ	٧	٣	
٢	فهد بن فيصل	١٣٥٦/١١/١	١٣٥٨/١/١هـ	٢	١	
٣	ناصر بن موينع	١٣٥٨/١/١	١٣٥٨/٦/٩هـ	٥	-	
٤	عبد الرحمن بن أحمد السديري	١٣٥٨/٦/٩	١٣٦٢/٢/٥هـ	٨	٣	تقريباً
٥	فهد بن باز	١٣٦٢/٢/٥	١٣٦٤/٢/١هـ	-	٢	تقريباً
٦	إبراهيم بن عبد الله بن عرفج	١٣٦٤/٢/١	١٣٦٥/٧/٢٧هـ	٦	١	تقريباً
٧	محمد بن صالح العذل	١٣٦٥/٧/٢٧	١٣٦٦/٣/١هـ	٧	-	
٨	عبد الله بن سعيد بن جريد	١٣٦٦/٣/١	١٣٦٧/٩/١٥هـ	٦	١	
٩	عبد العزيز بن سويلم	١٣٦٧/٩/١٥	١٣٧٩/٩/١٠هـ	-	١٢	تقريباً
١٠	سعود بن عبد الرحمن السديري	١٣٧٩/٩/١٠	١٣٩٨/٤/٢٦هـ	٧	١٨	

(١) صورة من خطابنا الذي أرسلناه لوكيل الإمارة المساعد عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) يوجد ضمن أوراق مكتبتنا.

(٢) صورة من تعميم وكيل إمارة منطقة الباحة يوجد ضمن أوراق مكتبتنا.

(٣) صورة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٤) عند زيارتنا للمنطقة عام (١٤٣٣هـ) كان عدد محافظات المنطقة سبع هي: بلجرشي، والعقيق، والقرى، وقلوة، والمخواة، والمندق، والحجرة، ويتبع هذه المحافظات العديد من المراكز.

م	الاسم	مدة العمل		مدة العمل		ملاحظات
		من	إلى	شهر	سنة	
١١	إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم	١٣٩٨/٤/٢٦	١٤٠٦/٧/٢٨هـ	٣	٨	
١٢	د . إبراهيم بن محمد الزيد	١٤٠٦/٧/٢٨هـ	١٤٠٨/١/٢٧هـ	٦	١	تقريباً
١٣	صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز	١٤٠٨/١/٢٧	حتى وقت زيارتنا الباحة (ـ/٤/١٤٢٧هـ)[1]			

وأشار المنيفي إلى إجمالي الوظائف في الإمارة ومحافظاتها فكانوا على النحو التالي:

المرتبة	عدد الوظائف			الإجمالي	ملاحظات
	الديوان	المحافظات	المراكز		
١٥	١	-	-	١	
١٤	٢	٣	-	٥	
١٣	٤	-	-	٤	
١٢	٤	٦	-	١٠	
١١	١٠	-	-	١٠	
١٠	٢٢	-	-	٢٢	
٩	١٦	-	٦	٢٢	
٨	٢٤	٥	١٥	٣٤	
٧	٢٤	٣	١	٢٨	
٦	٣٠	١٠	١١	٥١	
٥	٢٥	٩	٣	٣٧	
٤	٤١	١٤	٣٥	٩٠	
٣	٢٣	١٣	٤١	٧٧	
٢	٣	٧	٩	١٩	
مجموع	٢١٩	٧٠	١٢١	٤١٠	٤١٠

الجدول أعلاه يوضح الآتي:

- إذا قسمنا عدد السكان علىٍ عدد الموظفين (٣٧٧٧٣٩÷٤١٠) ينتج أن الموظف الواحد يخدم (٩٢١) مواطنا ومقيما .
- الوظائف القيادية (من العاشرة إلى الخامسة عشرة) عددها (٥٢) فقط وتمثل (١٣٪) تقريباً .
- مجموع الوظائف من المرتبة السادسة إلى الخامسة عشرة (١٨٧) وتمثل (٤٦٪) من مجموع الوظائف .

(١) صورة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

٢. فرع وزارة العدل[١] :

أنشأت وزارة العدل فرعاً لها بمنطقة الباحة بتاريخ (١٤١٩/١١/١٧هـ)، ويتولى الفرع إدارة الشؤون المالية والإدارية للدوائر الشرعية بالمنطقة. ويبذل الفرع جهوداً متواصلة لاستكمال مشاريع مباني المحاكم وكتابات العدل، إلى جانب تنظيم الأعمال الإدارية والمالية من خلال موظفين مختارين يجرى تدريبهم على مهارات الحاسب الآلي بغية تطوير وتحديث مجريات العمل الإداري.

جدول يوضح المسؤولين الذين تولوا إدارات الفرع سابقاً

م	الاسم	المؤهل	المرتبة	فترة العمل
١	فرحة بن عطية بن عثمان الزهراني	جامعي	١٠	١٤١٩/١٢/١٧هـ ـ ١٤٢١/١١/١٩هـ
٢	عبد العزيز أحمد الدميني	جامعي	١٠	١٤٢١/١١/١٩هـ ـ ١٤٢٢/٣/١٨هـ
٣	فرحة بن عطية بن عثمان الزهراني	جامعي	١٠	١٤٢١/٣/١٨هـ ـ ١٤٢٦/٧/١هـ
٤	عبد الخالق ناصر الغامدي	جامعي	١٠	١٤٢٦/٧/١هـ ـ حتى الآن[٢]

تقوم الوزارة بإعداد ميزانية الفرع كل عام، ويتم الصرف على جميع المشاريع والأعمال دون تأخير بالإضافة إلى أن الوزارة تخصص سلفة مستديمة سنوية يصرف منها على الأمور الطارئة، وأول سلفة كانت (٣٥٠٠٠) ريال وذلك عندما أسس الفرع، وتزايدت كل عام حتى بلغت (١٥٠٠٠٠٠) ريال عام (٢٥- ١٤٢٦هـ) .

وأشرف الفرع على تنفيذ عدد من المشاريع وكانت على النحو التالي: إنشاء مجمع الدوائر الشرعية في محافظة بلجرشي، ترميم مبنى المحكمة العامة في مدينة الباحة، تسوير أراضي الدوائر الشرعية بالمنطقة، تأسيس شبكة الحاسب الآلي بالفرع وهذا المشروع تحت التنفيذ.

جدول بالوظائف والموظفين بالفرع ومراتبهم وجميعهم سعوديون من عام (١٤١٩هـ ـ ١٤٢٦هـ)

المراتب	١٤١٩هـ	١٤٢٠هـ	١٤٢١هـ	١٤٢٢هـ	١٤٢٣هـ	١٤٢٤هـ	١٤٢٥هـ	١٤٢٦هـ
الحادية عشر	-	-	-	-	١	١	١	
العاشرة	١	١	١	١	-	-	-	-
التاسعة	-	-	-	١	١	٢	٢	١

(١) هذه النبذة وصلتنا من مدير الفرع الشيخ عبد الخالق بن ناصر الغامدي في (١٤٢٧/٨/٢٤هـ. وهي محفوظة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (الوثائق العلمية) .

(٢) يقصد بكلمة (الآن) عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

المراتب	١٤١٩هـ	١٤٢٠هـ	١٤٢١هـ	١٤٢٢هـ	١٤٢٣هـ	١٤٢٤هـ	١٤٢٥هـ	١٤٢٦هـ
الثامنة	-	-	-	-	-	-	-	-
السابعة	١	١	-	-	١	١	١	٢
السادسة	١	٣	٤	٣	٥	٦	٤	٣
الخامسة	-	١	-	١	١	١	١	١
الرابعة	١	١	٢	١	١	١	١	-
الثالثة	-	-	١	١	١	١	١	٢
الثانية	-	-	١	١	١	١	١	١
خارج الهيئة	٤	٤	٤	٥	٤	٤	٤	٥
مؤقت	-	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣
نظام الساعات	-	٢	-	-	-	-	-	-
	٨	١٦	١٦	١٧	١٩	٢١	١٩	١٩

وهناك بعض التوصيات التي يقترحها القائمون على الفرع، مثل :

البدء في إنشاء قاعدة معلومات شاملة تتضمن الآتي: جميع الموظفين ومراتبهم ومؤهلاتهم في جميع المحاكم وكتابات العدل، والقضايا المعروضة أمام كل محكمة وما أنهي منها ومازال قيد النظر، وعدد حالات الزواج والطلاق مع بعض التفاصيل عن أعمار المتزوجين والمطلقين ومستوياتهم العلمية . كما يجب تأمين أرض للفرع لإنشاء المقر الرسمي عليها .

٣ـ المحكمة الشرعية العامة :

دون لنا رئيس المحكمة العامة في المنطقة الشيخ مزهر بن محمد القرني موجزاً عن تاريخ المحكمة منذ عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) إلى عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ومن أهم ما سجل في هذه المذكرة إيراد جدول يوضح تطور **إنشاء المحاكم الشرعية بالمنطقة من عام (١٣٥٣هـ١٤١٢هـ / ١٩٣٤.١٩٩١م)، وكانت على النحو التالي:** [١]

م	اسم المحكمة	تاريخ التأسيس	ملاحظات
١	محكمة الظفير	١٣٥٣	أول محكمة
٢	محكمة المندق	١٣٧١	
٣	محكمة بلجرشي	١٣٧٢	
٤	محكمة قلوة	١٣٧٢	
٥	محكمة بيدة	١٣٧٩	

(١) هذا الجدول كان ناقصاً فلم يذكر ما تم تأسيسه من محاكم في المنطقة بعد عام (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد (برنامج الدراسات العليا) فيتخذ موضوع القضاء في الباحة عنواناً لرسالته العلمية، فهو عنوان جدير بالبحث والدراسة.

م	اسم المحكمة	تاريخ التأسيس	ملاحظات
٦	محكمة القرى	١٣٨١	
٧	محكمة المخواة	١٣٨٦	
٨	محكمة العقيق	١٣٨٦	
٩	محكمة الباحة المستعجلة	١٣٩١	تحول اسمها إلى المحكمة الجزئية
١٠	محكمة بني حسن	١٣٩٢	ضمت إلى محكمة المندق عام ١٤١٦هـ
١١	محكمة غامد الزناد	١٣٩٤	
١٢	رئاسة المحاكم بالباحة	١٣٩٤	
١٣	محكمة دوس	١٣٩٤	
١٤	محكمة الحجرة	١٤١٢	

جدول آخر ورد فيه أسماء القضاة الذين تولوا إدارة المحاكم الشرعية بالمنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) (١)

م	اسم القاضي	مدة العمل		ملاحظات
		من	إلى	
١	محمد بن صالح بن سليم	-	١٣٧٣هـ	رئيس هيئة التمييز
٢	محمد بن دحيم	١٣٧٤هـ	١٣٧٨هـ	
٣	محمد بن عبد الله الشنقيطي	١٣٧٩هـ	-	
٤	سليمان بن عثمان بن أحمد	-	١٣٨٣هـ	
٥	حسن بن جعفر العتمي	١٣٨٤هـ	-	
٦	محمد بن سعيد بن محمد العكوز	١٣٩٤هـ	١٤٠٠هـ	أول رئيس محاكم: قاضي تمييز
٧	عبد الله بن محمد بن عبيد	١٤٠٠هـ	-	قاضي تمييز

جدول تطور الوظائف والموظفين بالمحكمة العامة في الباحة في بعض الأعوام خلال الفترة (١٣٧٣هـ إلى ١٣٩٤هـ)

مسمى الوظيفة	×× ١٣٧٣هـ	٧٥هـ	٨٥هـ	٨٦-٨٧هـ	٨٩هـ	٩١هـ	٩٣هـ	٩٤هـ
رئيس محكمة	١	١						
عضو	١	١						
كاتب عدل	-	-	-	١	-	-	١	
رئيس كتاب الضبط	١	١	-	-				

(١) المعلومات التي وصلتنا من الشيخ مزهر ناقصة فلا تشمل العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م-٢١م)، وأن الخطاب الذي وجهنا إلى إمارة المنطقة يحتوي على نقاط محددة منذ نشأة كل إدارة حتى وقت زيارتنا للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

مسمى الوظيفة	×× ١٣٧٣هـ	٧٥هـ	٨٥هـ	٨٦-٨٧هـ	٨٩هـ	٩١هـ	٩٣هـ	٩٤هـ
كتاب الضبط	٣	٣	٤	٣				
عضو هيئة النظر	-	-	-	-	-	-	١	
مأمور بيت المال	١	١	١	١	١	١		
مدير إدارة	-	-	-	١	١	٢	١	
إداري	-	-	١	١٢	١١	١٧	١٨	٢٢
مستخدم	٢	٢	٥	٢	٢	-	٢	
أمين صندوق	-	-	-	١	١	١	١	
محاسب	-	-	١	١	-			
المجموع	٩	١٠	١٢	٢١	١٦	٢١	٢٤	٢٢

وفي نهاية المذكرة نجد عدداً من التوصيات التي دونها القائمون على إدارة المحكمة الشرعية في المنطقة، وهي على النحو التالي :

أ. نظراً لتشابك أمور الحياة وتنوعها وقلة أعداد القضاة فإن الحاجة تدعو إلى : (١) مزيد من المحاكم. (٢) مزيد من القضاة وكتاب العدل .

ب. دعم قاعدة المعلومات بفرع وزارة العدل بالباحة وفي كل محكمة وكل كتابة عدل حتى يسهل الوصول إلى المعلومات بسهولة وبسرعة، ويتمكن الباحثون من بناء دراساتهم على معلومات صحيحة وبخاصة عن (١) الميزانيات التي تصرف على المحاكم عموماً وعلى كل محكمة بصفة خاصة. (٢) عدد الموظفين ومؤهلاتهم ومراتبهم الوظيفية بدءاً من رئيس المحكمة وانتهاءً بموظفي خارج الهيئة وموظفي الأجر اليومي. (٣) عدد القضايا وأنواعها في كل عام بالنسبة لكل محكمة على حدة .

ج. بذل الجهود لإنهاء القضايا المعلقة، وكذلك القضايا التي تعرض من جديد على كل محكمة.

د. الجدية في مجازاة من يتمرد على مواعيد المحاكم والقضاة لأن التهاون في ذلك أدى إلى تأجيل وتطويل مدة البت في كثير من القضايا .

هـ. تفعيل الأنظمة والتعليمات التي تنص على كيفية تنفيذ وتطبيق الأحكام الشرعية، حتى لا تبقى كما هو معظمها الآن بدون تنفيذ لعدم قدرة المواطن العادي على ذلك .

و- اختيار قاض أو رئيس محكمة في كل محافظة لإلقاء دروس دينية عامة والتصدي للفتوى في احد كبار المساجد بالمحافظة ولو مرة واحدة في الأسبوع وذلك ترسيخاً للتوعية الدينية والفتاوى.

ز- المزيد من محضري الخصوم الذين يتابعون إحضار الخصوم لحضور الجلسات القضائية في أوقاتها، ومنع التمرد عن الحضور، ومساعدة المحكمة في أداء مهامها بدون تأخير.

ح- إن حاجة النساء إلى المحكمة وما تقدمه من خدمات لتحقيق العدالة يحتم فتح مكتب لاستقبال النساء. وعند ذلك يتحقق: (١) تسهيل دخول النساء إلى المحكمة وخروجهن. (٢) تسهيل مراجعة معاملاتهن ومتابعة قضاياهن. (٣) رفع الحرج عن الكثير منهن عند زيارة المحكمة. (٤) المساهمة في توظيف المرأة وتخفيف حدة البطالة.[١]

٤- فرع هيئة التحقيق والادعاء العام:

وصلنا مذكرة بتاريخ (١٤٢٧/٥/٢هـ)، وكانت موجهة إلى وكيل الإمارة المساعد، حسب التعميم المرسل إلى جميع المؤسسات الإدارية في المنطقة[٢]، وتتضمن موجزاً تاريخياً لفرع هيئة التحقيق والإدعاء في الباحة وهي من إعداد رئيس الفرع الأستاذ / سعد بن حمود آل سلطان[٣]، أشار فيها إلى بداية الفرع في عام (١٨-١٤١٩هـ/٩٧-١٩٩٨م)، وكان أول مدير لها الدكتور/ إبراهيم بن يحيى عطيف، ثم جاء بعده الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الشاردي (١٤٢١-١٤٢٤هـ/٢٠٠١-٢٠٠٣م)، ثم سعد بن حمود آل سلطان من (١٤٢٥/١٢/-هـ. حتى الآن)[٤].

---

(١) جرى على القضاء والمحاكم في المملكة العربية السعودية كثير من التعديلات والتطوير، ولكن لازالت مثلها مثل غيرها من المؤسسات الإدارية بحاجة إلى نزاهة في التعامل، ودقة في إدارة أداء العمل، وإنجاز مصالح العباد.

(٢) ورد في الخطاب المرسل إلى وكيل الإمارة المساعد قوله "إشارة إلى تعميم سعادتكم رقم (اح/١٢٠١/٥/٤٢٣) وتاريخ (١٤٢٧/٤/١٠هـ) والمشار فيه إلى عزم أ. د. غيثان بن علي بن جريس أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد إعداد كتاب يصور تاريخ منطقة الباحة في الماضي والحاضر، وأيضاً معرفة تاريخ الباحة الحديث والمعاصر وبخاصة فيما يتعلق بالنمو الحضاري والتطور الذي مرت به الأجهزة الحكومية بهذه المنطقة، وطلبكم بعض المعلومات عن الفرع عليه تجدون بطيه المطلوب.." صورة هذا الخطاب والمذكرة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة). ومعظم المؤسسات الإدارية التي وصلنا مذكرات عنها توجد أصول وصور هذه المذكرات في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٣) أصل وصورة هذه المذكرة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٤) بقصد بكلمة (الآن) عام تدوين هذه المذكرة، وزيارتنا للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

وتتكون دائرة التحقيق والادعاء العام في الباحة من خمس دوائر هي: (١) دائرة الإدعاء العام وبدأ ممارسة العمل فيها من (١٤١٩/٥/١هـ). (٢) دائرة التحقيق في قضايا المخدرات ابتداءً من (١٤٢٣/٧/٢١هـ). (٣) دائرة التحقيق في قضايا الاعتداء على العرض والأخلاق بدأ من (١٤٢٣/١/٢هـ). (٤) دائرة التحقيق في قضايا الاعتداء على النفس من (١٤٢٤/٧/٢هـ). (٥) دائرة المال والعمل جاري في افتتاح هذه الدائرة عام (١٤٢٧هـ) [١].

ويتكون الفرع في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) من (٢٥) عضواً، و (٢٩) إدارياً . وميزانية الفرع ضمن ميزانية المركز الرئيسي بالرياض، ويتبع فرع الباحة دوائر أخرى في بعض المحافظات مثل: دائرة هيئة التحقيق والادعاء العام بمحافظة بلجرشي، وكان افتتاحها عام (١٤٢٧.٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ودائرة هيئة التحقيق والادعاء العام، بمحافظة المخواة أيضاً في عام (١٤٢٧.٢٦هـ / ٢٠٠٦م) [٢].

والجدول التالي يوضح عدد الموظفين ومراتبهم في فرع هيئة التحقيق والادعاء العام بمنطقة الباحة من عام (١٤١٩-١٤٢٦هـ/١٩٩٨-٢٠٠٥م).

المرتبة	١٩هـ	٢٠هـ	٢١هـ	٢٢هـ	٢٣هـ	٢٤هـ	٢٥هـ	٢٦هـ
رئيس (ب١)	١	١	١	١	١	١	١	١
وكيل (أ)	-	-	١	-	-	-	-	٢
وكيل (ب)	-	-	-	١	-	-	-	٣
محقق أول	-	-	١	١	١	١	٢	٤
محقق ثاني	٥	٥	٤	٦	٧	٥	٨	١١
مساعد محقق	٤	٤	١	٧	٧	٦	٢	٢
ملازم تحقيق	٢٢	١٥	١٠	٣	٨	١	٢	-
مجموع الأعضاء	٣٢	٢٥	١٨	١٩	٢٤	١٤	١٥	٢٣
المرتبة التاسعة	-	-	-	-	-	-	١	-
المرتبة الثامنة	-	١	١	١	١	١	١	١
المرتبة السابعة	٢	١	٢	٢	١	١	٢	٣
المرتبة السادسة	٢	٣	٣	٣	٤	٣	٣	٧

(١) مذكرة من تدوين رئيس الفرع بالباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس التاريخ الإداري لمنطقة الباحة من عام (١٣٥٠هـ.١٤٣٤هـ / ١٩٣١.٢٠١٣م)

(٢) لم نتابع التطور الإداري لهذه المؤسسة الإدارية في الباحة بعد عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس التاريخ الإداري لمنطقة الباحة من عام (١٣٥٠. ١٤٣٤هـ/١٩٣١.٢٠١٣م) . وهو موضوع هام ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية في أحد أقسام التاريخ الأكاديمية بالجامعات السعودية .

المرتبة	١٩هـ	٢٠هـ	٢١هـ	٢٢هـ	٢٣هـ	٢٤هـ	٢٥هـ	٢٦هـ
المرتبة الخامسة	٢	٢	٣	٢	٣	٢	٦	٥
المرتبة الرابعة	٤	٥	٤	٥	٤	٥	١	٢
المرتبة الثالثة والثلاثون	١	٤	٥	٥	٥	٤	٥	٦
المرتبة الثانية والثلاثون	-	-	-	-	-	-	-	١
مجموع الإداريين	١١	١٦	١٨	١٨	١٨	١٦	١٩	٢٥
المجموع الكلي	٤٣	٤١	٣٦	٣٧	٤٢	٣٠	٣٤	٤٨

وجميع موظفي هذه المؤسسة سعوديون، كما أن معظمهم حاصلون على الشهادة الجامعية وكثير منهم خريجو كليات الشريعة في المملكة[١].

٥ـ فرع هيئة الرقابة والتحقيق:

أرسل لنا وكيل الإمارة المساعد صفحة واحدة من إعداد رئيس فرع هيئة الرقابة والتحقيق في الباحة الأستاذ/ مساعد بن عيضة الزهراني[٢]، ذكر فيها أن هيئة الرقابة أنشأت فرعاً في الباحة في (١٤/٩/١٤٠٨هـ /١٩٨٨م)، وذلك للنظر في القضايا التي تخص موظفي الدولة ومتابعة سير العمل في جميع المؤسسات الإدارية الحكومية[٣]. وقد تعاقب على إدارة الفرع منذ تأسيسه حتى عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) أربعة مديرين، هم على النحو التالي[٤].

م	الاسم	فترة إدارته	الدرجة العلمية
١	معيض بن عايض الزهراني	١٤/٩/١٤٠٨ـ٢٩/٧/١٤٠٩هـ	ليسانس شريعة
٢	وليد بن أسعد صادق	٢٩/٧/١٤٠٩ـ٢/١٢/١٤١٢هـ	بكالوريوس إدارة عامة
٣	محمد بن سعد القرني	١٨/١/١٤١٣ـ٢/١٢/١٤١٤هـ	ليسانس شريعة
٤	مساعد بن عيظة الزهراني	٢٣/٤/١٤١٤ـ حتى الآن[٥].	بكالوريوس

وفيما يلي إحصائية عامة بعدد الموظفين في الفرع (١٤٠٩-١٤٢٦هـ / ١٩٨٩-٢٠٠٥م[٦].

---

(١) هذه المؤسسة حديثة وفتحها كان ضرورة لتعدد القضايا وتزايد المشاكل الأخلاقية والاجتماعية خلال العشرين سنة الماضية.

(٢) هذه الصفحة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المقصود بكلمة (الآن)، عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

(٦) المصدر نفسه.

الفترة	العدد	الفترة	العدد
١٤٠٩ـ١٤١١	١١	١٤١١ـ١٤١٣	١٠
١٣ـ١٤١٥	٩	١٥ـ١٤١٧	١١
١٧ـ١٤١٩	١٤	١٩ـ١٤٢١	١١
١٤٢١ـ١٤٢٥	١٩	١٤٢٦هـ	١٨

بيان بمؤهلات الموظفين في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)[١].

المؤهل	عدد الموظفين	ملاحظات
البكالوريوس	١١	
الدبلوم	١	
المتوسطة	٥	
بدون	١	
المجموع	١٨	

٦ـ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ضمن الأوراق التي أرسلت لنا من إمارة منطقة الباحة تقرير مكون من أربع صفحات من إعداد رئيس فرع الهيئة في الباحة الشيخ حسن بن سعيد الربيعي[٢]، ذكر فيه أن جهاز الهيئة تأسس في الباحة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣هـ)، وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ضمت مراكز الهيئة بمنطقة الباحة إلى فرع الرئاسة العامة في المنطقة الجنوبية، وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) تم إنشاء فرع رئيسي للرئاسة بمنطقة الباحة[٣]، وتعاقب على إدارة الهيئة في عموم المنطقة عدد من الشيوخ هم: (١) سالم المرابي[٤]، وزيد بن إبراهيم الخثلان (١٣٨٠ـ١٣٩٠هـ/١٩٦٠ـ١٩٧٠م)، ومحمد بن مانع الدوسري (١٣٩٠ـ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٠ـ١٩٨٠م)، ومحمد بن يحيى الغامدي(١٤٠٠هـ ـ١٤١٠هـ/١٩٨٠ـ١٩٩٠ م)، ومحمد بن إبراهيم الغبيشي (١٤١٠ـ١٤١٥هـ / ١٩٩٠ـ١٩٩٥م)، وأحمد بن عوض الزهراني، وصالح بن عبد العزيز الحضيري (١٤١٥ـ١٤١٧هـ / ١٩٩٥ـ١٩٩٧م)[٥].

---

(١) المصدر نفسه. وهذه المؤسسة أيضاً حديثة، ودورها متابعة سير أعمال الموظفين في أعمالهم ومتابعة حضورهم وعدم تقصيرهم في أداء واجباتهم.

(٢) هذا التقرير بتاريخ (١٤٢٧/٥/٢هـ). ويوجد أصله وصورته ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) لم يذكر تاريخ رئاسة هذا الرئيس لفرع الرئاسة في الباحة، لكن كان من أوائل من تولى إدارة هذه المؤسسة.

(٥) التقرير الذي وصلنا لم يذكر من تولى إدارة هذه المؤسسة بعد عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في أحد أقسام التاريخ بجامعات الطائف، أو الباحة، أو الملك خالد فيتخذ موضوع تطور التاريخ

ومن خلال هذا التقرير اتضح لنا أنه افتتح حوالي(٢١) مركزاً للهيئة منذ نشأتها في منطقة الباحة عام (١٣٧٣حتى عام١٤٢٥هـ/١٩٥٣-٢٠٠٤م)، وهي الباحة، وعراء، ورهو البر، وبلجرشي، وبني كبير، وبالشهم، وبني ظبيان[١]، والعقيق، والقرى، والمندق، ودوس، والمخواة، وقلوة، وغامد الزناد، والحجرة، وبني حسن، وناوان، وجرب، والشعراء، وكراء الحائط، وجرد[٢].

وكان عدد موظفي مراكز الهيئة عام(٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) حوالي (١٢٢) موظفاً، ومنهم (٩٠) موظفاً على مراتب رئيسية من المرتبة الثانية حتى الثانية عشرة، و(٣٢) موظفاً على المرتبة (٣٢)، والأجر اليومي، ونظام الساعات، كما تتراوح الشهادات العلمية لهؤلاء الموظفين من شهادة الابتدائية حتى الشهادة الجامعية[٣].

٧- الشرطة :

جاء في خطاب ومذكرة بتاريخ (١٤٢٧/٤/١٩هـ) من إعداد مدير شرطة منطقة الباحة اللواء صالح بن إبراهيم العليان تفصيلات عن تطور إدارة الشرطة بالمنطقة[٤]، وقد أنشئت الشرطة عام(١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) باسم مفوضية الظفير وتتبع شرطة الطائف، وفي عام(١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) أنشئت مفوضية المندق، وفي عام(١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) نقلت مفوضية الظفير إلى بلجرشي مع الإمارة وغيرها من المؤسسات الإدارية الرئيسية، وعند إعادة الإمارة والمؤسسات الإدارية إلى الباحة تم استحداث عدد من مراكز الشرطة في القرى، وبيدة، والعقيق، ودوس، والحجرة، والمخواة، وغامد الزناد[٥]. وفي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) استحدث مخفر شرطة بلخزمر، وفي عام (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) تم تعديل أسماء مفوضيات بلجرشي، والمندق، وقلوة إلى قسم، وفي عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) تم إنشاء مركزي شرطة في كل من الشعراء وبني حسن[٦]. وفي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) تم إنشاء عدد من المخافر والأقسام مثل: مخافر شرطة بني كبير، وبالشهم، ونخال،

الإداري في الباحة من عام (١٣٥٠-١٤٣٤هـ/ ١٩٣١-٢٠١٣م) عنواناً لرسالته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه .

(١) نقل هذا المركز من بني ظبيان إلى جرد في (١٤٢٥/١١/١٦هـ) المصدر: مذكرة عن تاريخ مراكز الهيئة في منطقة الباحة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٢) معظم المراكز المذكورة أعلاه تم إنشاؤها قبل عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). المصدر نفسه.

(٣) عدد الحاصلين على شهادة البكالوريوس (٢٥) موظفاً، والثانوية العامة (٣٥) موظفاً، والمتوسطة (١١)، والابتدائية (١٨) موظفاً . المصدر: مذكرة ضمن أوراق مكتب د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٤) أصل وصورة الخطاب والمذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (الوثائق الخاصة).

(٥) المصدر : مذكرة من مدير شرطة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) محفوظة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٦) المصدر نفسه .

ومعشوقة، وبني حرير وبني عدوان، وبرحرح، وجرداء بني علي، وبطاط، وقسم الاتصالات السلكية واللاسلكية[١].

ومنذ عام (١٤٠١-١٤١٩هـ/١٩٨١- ١٩٩٨م) أجري العديد من الإنجازات والتطوير على مستوى المنطقة مثل: استئجار مبنى حديث لشرطة المنطقة في مدينة الباحة، وإحداث دوريات أمن بلجرشي، واستئجار مبنى للدوريات الأمنية، وصدور الموافقة على إنشاء مبنى مركز التجنيد والتدريب في المنطقة، وتعديل مسمى أقسام شرطة بلجرشي، والمندق، والمخواة، والعقيق إلى مراكز، كما عدل اسم مخفري شرطة العقيق والقرى إلى اسم مركز، وعدل مركز شرطة محافظة بلجرشي إلى شرطة مدينة، واستحداث شرطة مدينة الباحة، واستحدثت وحدة مراقبة المخزون، ونقطة أمن غامد وسبيع، ومخفري شرطة جرب وناوان[٢].

وخلال الأعوام (١٤٢١-١٤٢٣هـ/٢٠٠١-٢٠٠٣م) تم إنشاء غرفة العمليات المشتركة في الدوريات الأمنية في (٢٧/٦/١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، وعدل اسم مركزي شرطة المندق والعقيق إلى شرطة محافظة، وتم تعديل أسماء مخافر بني حسن، والشعراء، ودوس إلى مراكز[٣]، واستحدثت عدد من المخافر في الرهوة وبني سار، وبني ظبيان، وبني سالم، وجرد، ويبس، ونيرا، والرميضة، والجرين، وكراء الحائط، وراخ، وفي عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) عدلت أسماء مراكز المخواة، وقلوة، والقرى، وبلجرشي إلى اسم (شرطة محافظة) لكل من هذه المدن[٤].

وتولى إدارة شرطة منطقة الباحة منذ عام (١٣٦٧-١٤٢٥هـ / ١٩٤٧-٢٠٠٤م) حوالي عشرين مديراً تراوحت رتبهم من مفوض ثاني ووكيل قائد إلى مقدم وعقيد وعميد ولواء، وهم على النحو التالي: (١) عبد الله كاتب (١٣٦٧-١٣٧٠هـ / ١٩٤٧ -١٩٥٠م). (٢) أحمد حضرمي (١٣٧٠-١٣٧١هـ/ ١٩٥٠-١٩٥١م).(٣) أحمد محمد مياه (١٣٧١-١٣٧٣ هـ / ١٩٥١-١٩٥٣م) (٤) يحيى ناصر اليامي (١٣٧٣-١٣٧٥هـ / ١٩٥٣-١٩٥٥م). (٥) عبد الله درويش بلوشي (١٣٧٥ـ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٥ـ١٩٥٨م) .(٦) حسين مير عالم ١٣٧٨ـ ١٣٨١هـ / ١٩٥٨ـ١٩٦١م) .(٧) عبد الحفيظ (١٣٨١ـ ١٣٨٤هـ/١٩٦١ـ١٩٦٤م) (٨) حسن علي جنبي (١٣٨٤ـ١٣٨٦هـ / ١٩٦٤ ـ١٩٦٦م). (٩) عبد الله مفرح

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه . تاريخ الشرطة في منطقة الباحة منذ ستينيات القرن الهجري الماضي إلى اليوم موضوع يستحق البحث والدراسة، حبذا أن نراه عنواناً لرسالة ماجستير في أحد أقسام التاريخ في جامعاتنا السعودية .

الشهري (١٣٨٦-١٣٨٧هـ/١٩٦٦-١٩٦٧م) . (١٠) عبد العزيز عبد الرحمن قاده (١٣٨٧-١٣٨٩هـ/١٩٦٧-١٩٦٩م) .(١١) جودي محمد الطيب (١٣٨٩- ١٣٩١هـ / ١٩٦٩-١٩٧١م). (١٢) صالح منصورالقحطاني (١٣٩١- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ - ١٩٧٢م) .(١٣) د . أسعد خليفة (١٣٩٢-١٣٩٥هـ/ ١٩٧٢- ١٩٧٥م) . (١٤) عبد الله ناصر الشريف (١٣٩٥-١٤٠١هـ / ١٩٧٥-١٩٨١م).(١٥) عبد الرحمن محمد الشهراني (١٤٠١-١٤٠٨هـ/١٩٨١-١٩٨٨م). (١٦)أحمد سعد ياسين (١٤٠٨- ١٤١٤هـ / ١٩٨٨-١٩٩٤م). (١٧) محمد راشد البلي (١٤١٤- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٤-٢٠٠٠م) .(١٨) عبد الرحمن ناصر السنيدي (١٤٢١-١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١-٢٠٠٣م) .(١٩) عبد الرحمن علي الطويان (١٤٢٣-١٤٢٥هـ٢٠٠٣/ - ٢٠٠٥م) . (٢٠) صالح إبراهيم العليان (١٤٢٥- حتى تاريخه) [١].

٨ - إدارة سجون الباحة :

ورد في خطاب ومذكرة بتاريخ (١٤٢٧/٥/١٦هـ) من إعداد مدير إدارة سجون منطقة الباحة العقيد صالح بن محمد القحطاني بعض التفصيلات عن تاريخ سجون المنطقة، فذكر أن تأسيس هذه الإدارة كان قبل عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، والرقيب عقيل أحمد الغامدي أول مدير لهذه المؤسسة ومعه آنذاك (٤٩) عسكرياً وثلاثة موظفين وعاملتان. وكانت إدارة السجون مرتبطة بشرطة منطقة الباحة ثم فصلت بإدارة مستقلة وربطت بالمديرية العامة للسجون عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)[٢]

وتعاقب على إدارة هذه المؤسسة تسعة مدراء من عام(١٣٨٠-١٤٢٧هـ / ١٩٦٠-٢٠٠٦م)، ورتبهم العسكرية تتراوح من رقيب إلى عقيد، وهم: (١) الرقيب عقيل أحمد الغامدي (١٣٨٠-١٣٨٢هـ/٦٠-١٩٦٢م).(٢) رئيس رقباء تركي مشرف الشهري (١٣٨٢-١٣٩٤هـ/٦٢-١٩٧٤م).(٣) الملازم عبد الرحيم عيضة السفياني (١٣٩٤-١٤٠٢هـ/١٩٧٤-١٩٨٢م).(٤) الرائد خالد بن سليمان الدوسري (١٤٠٢-١٤٠٩هـ/٨٢-١٩٨٩م).(٥)المقدم عبد الرحمن محمد الحاقان (١٤٠٩- ١٤١٥هـ /٨٩-١٩٩٤م).(٦)العقيد محمد صالح العمري(١٤١٥-١٤٢١هـ /٩٤-٢٠٠١م).(٧) المقدم عثمان أحمد الغامدي (١٤٢١-١٤٢٢هـ/٢٠٠١-٢٠٠٢م) .(٨) العقيد عوض على

---

(١) يقصد بتاريخه أي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) زمن زيارتنا لمنطقة الباحة وجمع مادة تاريخية عن بعض الجوانب الحضارية فيها. وإدارات ومراكز شرطة منطقة الباحة اليوم متعددة الفروع في جميع أنحاء المنطقة، ناهيك عن نموها وتطورها في عدد العساكر والموظفين، وتوفير الإمكانات المادية من منشآت عمرانية والآلات وأجهزة مختلفة . دراسة تاريخ الشرطة خلال العهد السعودي الحديث موضوع هام ويستحق العناية من قبل الباحثين والمؤرخين في منطقة الباحة وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية .

(٢) خطاب ومذكرة من مدير سجون الباحة إلى الباحث، والأصل والصورة لهذه الأوراق ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

الشمراني (١٤٢٢-١٤٢٦هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٦م).(٩) العقيد محمد بن صالح القحطاني (١٤٢٦ـ حتى الآن)[1].

وفي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) كان عدد موظفي سجون منطقة الباحة (٢٠) ضابطاً و(٣٣٢) فرداً عسكرياً برتب مختلفة، وثلاثة عشر موظفاً وأربع عاملات. ويتبع إدارة سجون المنطقة الرئيسية أربعة فروع في المخواة، والمندق، وبلجرشي، وقلوة[2]. وفي زمن زيارتنا للباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) شاهدنا العمل جارياً في تشييد مقر السجن العام للمنطقة[3].

٩ـ إدارة المرور :

وفي مذكرة من مدير إدارة مرور الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) العقيد علي بن سلطان السلطان إشارة إلى تواجد أربعة أقسام للمرور في المنطقة هي: إدارة بلجرشي وكان تأسيسه عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، والمخواة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، والمندق، والعقيق عام(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). وتعاقب على إدارة المرور الرئيسية بالمنطقة منذ عام (٩٨-١٣٩٩هـ/ ١٤٢٧هـ/ ٧٨/١٩٧٩-٢٠٠٦م) ثمانية مدراء هم[4]. (١) الرائد عبد العزيز محمد الدهلوي (١٣٩٨- ١٤٠٢هـ /١٩٧٨-١٩٨٢م). (٢) المقدم فؤاد محمد قطان(١٤٠٢ -١٤٠٦هـ/١٩٨٢ـ١٩٨٦م) . (٣) المقدم محمود علي نعمت(١٤٠٦ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٦ـ١٩٨٩م). (٤)المقدم فيصل غالب النزهة (١٤٠٩ - ١٤١٢هـ / ٨٩ -١٩٩٢م).(٥) الرائد صالح إبراهيم العليان(١٤١٢- ١٤١٥هـ / ٩٢-١٩٩٥م).(٦) المقدم ابن عبد الخالق الغامدي (١٤١٥-١٤١٩هـ/٩٥- ١٩٩٩م)[5].(٧) المقدم حسن علي الحارثي(١٤١٩-١٤٢٥هـ/١٩٩٩ـ٢٠٠٤م). (٨) العقيد علي بن سلطان السلطان (١٤٢٥ـ حتى الآن)[6]. وكان عدد العاملين في مرور منطقة الباحة أثناء زيارتنا عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) حوالي ثمانية ضباط، و (٢٧٢) عسكرياً من جندي إلى ما دون رتبة ضابط، وموظفين مدنيين[7].

---

(١) يقصد بكلمة (الآن) عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦) وهو زمن تدوين هذه المذكرة وأثناء زيارتنا منطقة الباحة آنذاك. المصدر: مذكرة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٢) المصدر نفسه .

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) . وإدارة السجن وجميع مؤسسات الأمن العام في منطقة الباحة جديرة بالبحث والدراسة وتستحق أن تكون عنواناً لرسالة علمية منذ النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م) .

(٤) صورة الخطاب والمذكرة التي وصلتنا من مدير إدارة مرور المنطقة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (الوثائق الخاصة) .

(٥) ورد اسم ابن عبد الخالق في المذكرة التي وصلتنا وقد سقط الاسم الأول لهذا المدير أثناء تصويرها .

(٦) صورة الخطاب والمذكرة التي وصلتنا من مدير المرور ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٧) المصدر نفسه .

١٠. إدارة الجوازات :

وجاء في مذكرة من مدير الإدارة في الباحة العقيد محمد بن سعد الشهري عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) معلومات ذكر فيها أن إنشاء هذه المؤسسة كان في (١٤٠٣/٧/١هـ/١٩٨٣م)، وتتكون إدارة الجوازات في عام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م) من عدة أقسام هي: شعبة الجوازات، وإدارة الوافدين، وقيادة الدوريات، وشعبة مكافحة التزوير، وشعبة الاتصالات السلكية واللاسلكية [1]. ويتبع الإدارة الرئيسية في الباحة أربع إدارات للجوازات في محافظات بلجرشي وتأسست عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، والمندق(١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، والمخواة، وقلوة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ومكتب جوازات في مطار الباحة تم إنشاؤه عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) [2].

وتعاقب على إدارة جوازات المنطقة منذ تأسيسها عام(١٤٠٣-١٤٠٤هـ/ ٨٣-١٩٨٤م) ستة مدراء هم : (١) حسن علي حيان (١٤٠٣-١٤٠٤هـ/ ٨٣-١٩٨٤م)، وكان موظفاً مدنياً. (٢) الرائد فهد السيف (١٤٠٥-١٤٠٧هـ/٨٥-١٩٨٧م). (٣) النقيب معيض سعد الجعيد (١٤٠٧-١٤٠٨هـ / ٨٧-١٩٨٨م). (٤) العميد محمد أحمد مقابص (١٤٠٨-١٤١٩هـ / ٨٨-١٩٩٩م) . (٥) العميد عبد الحفيظ الرحيلي (١٤١٩-١٤٢١ / ٩٩-٢٠٠١م). (٦) العقيد محمد بن سعد الشهري (١٤٢١هـ- حتى الآن) [3].

١١. مكتب العمل :

في تقرير موجز من مدير مكتب العمل بالباحة الأستاذ عبد العزيز بن سعد المغرم ذكر فيها أن المكتب تم افتتاحه في (١٤٠٠/١/١هـ/١٩٨٠م)، وكان مديره آنذاك الأستاذ سالم فضيل سالم ويعمل معه موظفان وسائق وعامل [4]. وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) تولى الأستاذ عبد العزيز بن سعد المغرم إدارة المكتب ولازال فيه حتى عام (١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م) [5]. وفي وقت تدوين هذه المذكرة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) كان يعمل في المكتب (٣٦) موظفاً وعامل وسائقان. ويقع المكتب في مبنى حكومي من عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، كما أضيف له بعض الملاحق وصالات للمراجعين وصيانته وترميمه في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) [6].

---

(١) المذكرة التي وصلتنا من مدير جوازات الباحة توجد ضمن مكتبة د. ابن جريس العلمية.(الوثائق الخاصة).

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المقصود بعبارة حتى (الآن)، تاريخ تدوين هذه المعلومات عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). المصدر : مذكرة وصلت الباحث من مدير جوازات منطقة الباحة، وأصلها وصورتها ضمن مكتب د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٤) أصل وصورة المذكرة التي وصلتنا من مدير مكتب العمل بتاريخ (١٤٢٧/٤/١٧هـ) توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٥) هذا العام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) وهو التاريخ الذي زار فيه الباحث منطقة الباحة وطلب بعض التفصيلات عن تاريخ المؤسسات الإدارية في المنطقة .

(٦) أصل وصورة المذكرة المرسلة من مدير المكتب توجد ضمن مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

١٢ـ إدارة مكافحة المخدرات :

في مذكرة من مدير مكافحة المخدرات بالباحة المقدم مريع بن سليمان بن علي ابن عيسى بتاريخ (١٤٢٧/٤/٢٤هـ) أشار فيها إلى أن تأسيس هذه الإدارة كان في (١٤٠٣/٣/١هـ) [١]، وكانت من فئات (ج). وفي عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) تم إعادة هيكلة هذه الإدارة حتى أصبحت من فئات (ب) [٢]. وفي (١٤٢٤/١١/٩هـ/٢٠٠٤م) استحدثت وحدة لمكافحة المخدرات في محافظة المخواة ومديرها آنذاك رئيس رقباء علي ابن حسن الراشدي.

أما المدراء الرئيسيون في الإدارة الرئيسية بالباحة فهم: (١) ملازم أول عواض ابن سعد الجعيد (١٤٠٣/٣/١-١٤١٧/٥/١هـ). (٢) العقيد محمد بن صالح العمري من (١٤١٧/٥/١هـ-١٤٢٠/١/١٣هـ). (٣) الرائد سعد بن عبد الله العمري من (١٤٢٠/١٠/١٣هـ-١٤٢١/٩/١هـ). (٤) العقيد عبد الله بن عطية الحارثي من (١٤٢١/٩/١هـ-١٤٢٦/٧/١هـ). (٥) المقدم مريع بن سليمان بن علي عيسى من (١٤٢٦/٧/١- حتى الآن) [٣]. وعدد منسوبي الإدارة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) (١٠٤) ما بين ضابط وأفراد وموظفين.[٤] وميزانية هذه الإدارة ضمن ميزانية الإدارة العامة لمكافحة المخدرات، وهي المسؤولة عن دعم جميع الإدارات الفرعية في المملكة بالآليات والتسليح والموظفين وغيرهم [٥]

١٣ـ الأحوال المدنية :

في نبذة مختصرة من مدير الإدارة الأستاذ مساعد بن إبراهيم الضاوي ذكر فيها أن هذه الإدارة أنشئت عام (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م) [٦]، ومقر الإدارة الرئيسية في الباحة ويتبعها ثلاثة فروع هي: فرع بلجرشي وتأسس عام (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، وفرع قلوة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وفرع المندق(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) [٧]. وتعاقب على إدارة الفرع الرئيسي

---

(١) أصل وصورة هذه المذكرة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٢) فئات (ج)، و (ب) وغيرها تصنيفات إدارية في قطاع مكافحة المخدرات وغيرها من المؤسسات الإدارية.

(٣) حتى الآن أي: عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .وهو زمن تدوين هذه المذكرة .

(٤) كانوا خمسة ضباط، و (٩٦) فرداً منهم (٧٢) بالإدارة الرئيسية في الباحة، و (٢٤) بوحدة المخواة، وثلاثة موظفين . المصدر: أصل وصورة المذكرة ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) أصل وصورة هذه المذكرة في مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) . ولم يظهر عليها تاريخ تدوينها إلا أنها صدرت عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .

(٧) ورد في النبذة التي وصلتنا عدد الموظفين في بعض هذه الفروع والإدارة عام (١٤٠٦هـ/٢٠٠٥م)، فكان في الإدارة الرئيسية (١٢) موظفاً وثمانية آخرين على وظيفة عامل، و (١٦) موظفاً وعاملاً في فرع المندق، و (١٧) عاملاً وموظفاً في فرع بلجرشي . أصل وصورة المذكرة في مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

في الباحة أربعة مدراء هم: (١) حامد بن سعد الدميني (١٣٦٦-١٣٨٨هـ/١٩٤٦-١٩٦٨م). (٢) علي بن ناصر الشهري (١٣٨٩-١٣٩٤هـ/١٩٦٩-١٩٧٤م). (٣) صالح بن أحمد بن ناجي (١٣٩٤-١٤١٥هـ/ ١٩٧٤-١٩٩٥م). (٤) مساعد بن إبراهيم الضاوي (١٤١٥- حتى الآن)[١].

١٤- المركز الصحي لقوى الأمن بالباحة:

وصلنا مذكرة من مدير المركز الرائد صيدلي عتيق بن يحيى محمد الزهراني يشير إلى أن هذا المركز تأسس في (١٤٠٧/١٠/٢٥هـ)[٢]. ومقره في سجن الباحة، ويخدم منسوبي وزارة الداخلية وأفراد أسرهم بالإضافة إلى نزلاء السجن. وتعاقب على إدارة هذه المؤسسة أربعة مدراء هم:[٣]. (١) سالم عبد الله الصفيان (١٤٠٦/١٠/٢٥هـ- ١٤٠٩/٣/٤هـ). (٢) علي عبد الله الغامدي (١٤٠٩/٣/٥-١٤١١/١/٣٠م). (٣) محمد فائز البكري (١٤١١/٢/١هـ- ١٤٢٣/١/٢٣هـ). (٤) عتيق بن يحيى محمد الزهراني (١٤٢٣/١/٢٤هـ- حتى الآن)[٤]. وفي إحصائية توضح عدد الأطباء والممرضين والفنيين في عام (١٤٢٧هـ/١٩٨٧م) الذين كان عددهم (٢٥) موظفاً[٥]. أما عدد المرضى المراجعين في عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) فكانوا (١٥٩٧٢) مراجعاً، وارتفع عددهم في عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) إلى (٩٢٧٥٠) مريضاً[٦].

١٥- الإدارة العامة للتربية والتعليم (بنين)[٧].

حصلنا في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) على مذكرة من مدير إدارة التربية والتعليم في الباحة الأستاذ مطر بن أحمد رزق الله الزهراني ذكر فيها أن أول مدرسة ابتدائية حكومية أنشئت في الظفير عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٣م)[٨]، وأول مدرسة متوسطة في بلجرشي بغامد عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)[٩].، وأول مدرسة ابتدائية أهلية، ومتوسطة

---

(١) المصدر نفسه. ويقصد بعبارة (حتى الآن) عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

(٢) هذه المذكرة غير مؤرخة لكنها تعود إلى عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وأصلها وصورتها ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) حتى الآن: يقصد بذلك زمن تدوين هذه المذكرة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

(٥) تقدر نسبة الزيادة بحوالي ١٤٪.

(٦) زاد عدد المراجعين ست مرات عما كان عليه عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) وذلك بنسبة تقدر بحوالي (٥٨١٪).

(٧) تم الحصول على هذه المعلومات عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) عندما كان تعليم البنين منفصلاً عن تعليم البنات. وقد دمج التعليم (بنين وبنات في إدارة واحدة عام (١٤٢٩-١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩-٢٠١٠م). تاريخ التعليم في منطقة الباحة منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٤هـ/ ١٩٣٠-٢٠١٣م) يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية أكاديمية شاملة.

(٨) صورة المذكرة التي وصلتنا من الأستاذ مطر الزهراني توجد ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٩) تم إنشاء هذه المدرسة بقرية الريحان ببني ظبيان ثم أغلقت بعد فتحها بسنوات.

دار الفيصل الأهلية عام (١٤٢٤ـ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م)، وأول إدارة للتعليم في الباحة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، بمسمى(معتمدية المعارف)، ثم تغير الاسم إلى إدارة تعليم، وأخيراً إلى الإدارة العامة للتربية والتعليم (بنين) [١].

وتعاقب على إدارة تعليم الباحة منذ نشأتها عام (١٣٧٣ـ١٣٧٤ـ١٤٢٧هـ/ ٥٣/ ١٩٥٤ـ٢٠٠٦م) إثنى عشر مديرا، هم: (١) حسن حكيم (١٣٧٤ـ١٣٧٥هـ / ١٩٥٤ـ١٩٥٥م)[٢].(٢) علي بن محمد التويجري (١٣٧٥ـ١٣٧٧هـ/ ٥٥ـ١٩٥٧م).(٣) عبد العزيز عبد المحسن آل الشيخ(١٣٧٧ـ١٣٨٥هـ/٥٧ـ١٩٦٥م). (٤) علي بن سليمان المقوشي(١٣٨٥ـ ١٣٨٦هـ/٦٥ـ١٩٦٦م).(٥) علي بن سعد معجل (١٣٨٦ـ ١٣٩١هـ/٦٦ـ١٩٧١م).(٦) محمد بن دخيل الله الثبيتي (١٣٩١ـ١٣٩١هـ / ٧١ـ١٩٧١م).(٧) صبحي بن يحيى الحارثي (١٣٩١ـ١٣٩١هـ / ٧١ـ١٩٧١م).(٨) فهد بن جابر الحارثي (١٣٩٢ـ١٤٠٥ هـ/٧٢ـ١٩٨٥م).(٩) عبد العزيز بن عبد الرحمن البطين (١٤٠٥ـ١٤٠٧هـ/٨٥ـ١٩٨٧م).(١٠)عبد الرحمن بن أحمد الدهري (١٤٠٧ـ١٤١٩هـ/٨٧ـ١٩٩٩م).(١١) د.هجاد بن عمر الغامدي(١٤١٩ـ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٩ـ٢٠٠٣م). (١٢) مطر بن أحمد رزق الله الزهراني (١٤٢٣ـ حتى الآن)[٣].

وتشتمل المذكرة على إحصائيات عام (٢٦ـ١٤٢٧هـ/٢٠٠٥ـ٢٠٠٦م)، فكان عدد مدارس المنطقة (ابتدائي، ومتوسطة، وثانوي) (٣٧٣) مدرسة، وعدد الفصول (١٦٤٨) فصلاً، وعدد الطلاب (٢٤٧٥٣) طالباً . أما المعلمون فالعدد الإجمالي (٣٣٢٨) مدرساً جميعهم سعوديون ماعدا (١٤٥) معلماً غير سعودي[٤] . وإجمالي المكافآت والإعانات لطلاب المنطقة بلغت في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) بـ (١،٢٧٣،١٤٠٠) ريالاً[٥] .

١٦ـ إدارة التربية والتعليم بمحافظة المخواة :[٦].

أرسل إلينا تقرير من أربع صفحات تحت توقيع مدير إدارة المخواة الأستاذ/ سعيد بن

---

(١) صورة المذكرة ضمن مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) . وموضوع تاريخ التعليم في منطقة الباحة منذ عام (١٣٥٠ـ١٤٣٤هـ/١٩٣٠ـ٢٠١٣م) عنوان جيد ويستحق إلى أن يكون موضوعاً لرسالة دكتوراه، نأمل أن يسجل لأحد طلاب الدراسات العليا في أحد أقسام التاريخ بالجامعات السعودية.

(٢) حسن حكيم : تولى إدارة التعليم في منطقة الباحة تحت مسمى (معتمد المعارف)، وكان مقره مدينة بلجرشي، وهو المؤسس الأول لإدارة التعليم في المنطقة . للمزيد يتم الاطلاع على أرشيف إدارة التعليم في منطقة الباحة حيث يوجد بها الكثير من السجلات والوثائق التي تؤرخ لهذه الإدارة التربوية .

(٣) صورة من مذكرة مدير تعليم الباحة ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه . وفي نهاية التقرير العديد من التوصيات التي تحث على رفع مستوى التعليم في المنطقة، وزيادة الإمكانات التي تيسر سير العلمية التعليمية على الطالب والمعلم وإدارة التعليم.

(٦) لا يوجد بمنطقة الباحة حتى الآن إلا إدارتا تعليم . الأولى والرئيسية في الباحة، والثانية في المخواة . مشاهدات الباحث عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

محمد بن مخايش الزهراني[(١)] ، وأشار إلى أن الإدارة بدأت بمكتب للإشراف التربوي عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ثم تطور إلى إدارة تعليم عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، وكانت مرتبطة بمنطقة الليث والقنفذة، وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) أصبح اسم هذه الإدارة (إدارة التعليم بمحافظة المخواة) ، وصارت تتبع إدارياً منطقة الباحة التعليمية . وقبل نشأة الإدارة كانت أول مدرسة ابتدائية هي مدرسة قلوة الابتدائية (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وتتبع حينئذٍ منطقة الظفير، ثم افتتحت ابتدائية المخواة عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ، والحجرة الابتدائيةً عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) ، ثم تلتها عدد من المدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية ومعهد للمعلمين حتى عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) [(٢)] . وبعد فتح الإدارة عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) تزايد فتح المدارس لجميع المراحل[(٣)] .

وأشارت بعض الإحصائيات إلى أن عدد المدارس عند إنشاء الإدارة كان (٩٤) مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية، و(٧٢٠) معلماً، و(٧١٦٣) طالباً، وميزانية عام (١٤٠٣-١٤٠٤هـ/١٩٨٣-١٩٨٤م) (٩٠،٤٤٨،٤٨) ، ريالاً [(٤)] .ثم تزايدت الأعداد والمصروفات حتى أصبح عددٍ المدارس في عام (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) (١٥٨) مدرسة[(٥)]، وعدد المعلمين (١٨٧٧) معلماً، و (١٣٨٥٨) طالباً، وقد بلغ المصروف من رواتب منسوبي الإدارة من معلمين وموظفين في الشهر الواحد عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ما يقدر بـ(٢٠،٥٣٦،٧١٨) مليون ريال[(٦)] .

وتولى إدارة التعليم في المخواة عدد من المدراء هم : (١) عبد الله بن علي العبادي(١٤٠٣-١٤٠٧هـ/١٩٨٣-١٩٨٧م) .(٢) سعيد بن أحمد العمري (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م) . (٣) مطر بن أحمد رزق الله الزهراني (١٤٠٩ - ١٤٢٣هـ /١٩٨٩-٢٠٠٣م) .(٤) سعيد بن محمد مخايش الزهراني (١٤٢٣- حتى الآن) [(٧)] .

---

(١) صورة من التقرير ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . يوجد بالتقرير الكثير من التفصيلات . كما يوجد في أرشيف إدارة تعليم المخواة عدد من السجلات والوثائق التي تؤرخ لتاريخ التعليم في تهامة غامد وزهران .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) منها (٩٤) مدرسة ابتدائية، و(٤٧) مدرسة متوسطة، و(١٧) مدرسة ثانوية . المصدر: التقرير الذي وصلنا من مدير تعليم المخواة في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) . صورته ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) حتى الآن : أي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، وهو زمن زيارة الباحث منطقة الباحة لجمع مادة هذا المحور . كما أشرنا سابقاً بأن تاريخ التعليم والثقافة والفكر في منطقة الباحة موضوعٌ هام ويستحق البحث والدراسة حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية وبخاصة من عام (١٣٥٠-١٤٣٠هـ/١٩٣٠-٢٠١٠م) .

١٧ـ الإدارة العامة لكليات البنات :[(١)].

وصلنا نبذة مختصرة من مدير عام إدارة الكليات الأستاذ صالح بن أحمد بن محمد الحامد في عام (١٤٢٦هـ)، ذكر فيها أن تأسيس هذه الإدارة بدأ في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)[(٢)]، وكان يتبعهـا أربع كليات هي: كلية التربية للبنات بالباحة (الفرع الأدبي)، وفي الكلية نفسها فرع علمي، وكلية إعداد المعلمات ببلجرشي، وكلية المجتمع بالمندق، وعدد الطالبات في هذه الكليات عام (٢٥ـ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م) يقدر بـ (٦٦٦٥) طالبة، وأشار صاحب هذه المذكرة إلى إحصـائية شـاملة بأعضـاء هيئة التدريس والمعيدات والمعلمات بالكليات الأربع فكان العدد الإجمالي في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (١٣٨) عضو هيئة تدريس[(٣)].

وهـذه الإدارة العامـة تتبع آنذاك عـام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) وزارة التربية والتعليم، وكانت الوزارة تدفع سـلفة سـنوياً للإدارة من أجل الصـرف على المستلزمات الضرورية، والسلفة المدفوعة لها في عام (٢٥ـ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م) تقدر بـ (٧٤٥٠٠٠) ريالاً[(٤)]. وفي العام نفسـه يجري تنفيذ اسـتكمال المرحلة الأولى لمباني الكليات الأكاديمية في مدينة الباحة، وقد رصد لهذا المشروع حوالي (٣٠،٠٠٠،٠٠٠) ثلاثين مليون ريالاً[(٥)].

وكان مدير عام الكليات عند الافتتاح الأستاذ عبد الله بن جمعان سعيد الزهراني، واسـتمر في إدارة هذه المؤسسـة حتى (١٤٢٣/١/٣٠هـ)، ثم جاء بعده الأسـتاذ صالح بن أحمد بن محمد الحامد في (١٤٢٣/٤/٢٢هـ) وهو لازال على رأس هذه الإدارة حتى تاريخ تزويدنا بهذه المذكرة في عام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)[(٦)].

---

(١) للأسـف لم نحصـل على تاريخ تعليم البنات العام في منطقة الباحة، مع أن وكيل الإمارة المساعد مشكوراً قد أرسل تعميمـاً عامـاً إلى جميع المؤسسـات الإدارية في المنطقة، لكنه لم يصـلنا إجابـة بعض الإدارات مثـل إدارة تعليم البنات. وتاريخ التعليم العام والعالي (ذكوراً وإناثاً) موضـوع مهم ويسـتحق الدراسة حبذا أن نرى أحد أكاديمي جامعة الباحة فيتولى هذا الموضوع بالبحث والتحليل العلمي الأكاديمي .

(٢) أصل وصورة هذه النبذة ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . (الوثائق العامة والخاصة).

(٣) كلية الأقسـام الأدبية (٥١) عضـوة هيئة تدريس، منهن (٣٣) عضوة يحملن درجتي الدكتوراه والماجستير و(١٨) علـى درجـة معيدة ومعلمـة . وكلية الأقسـام العلميـة (٤٩) عضـوة هيئة تدريـس (٣٥) على درجتي الماجسـتير والدكتـوراه. و (١٤) معيـدة ومعلمة، ومعلمات بلجرشـي (٣٨) عضـو (٢٦) على درجتي الدكتوراه والماجسـتير، و(١٢) معيدة ومعلمة، أما مجتمع المندق فلم يذكر عنها أي إحصائية . أصل وصورة المذكرة التي وصلتنا من مدير إدارة الكليات ضمن أوراق الباحث (ابن جريس) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ويشـير أحد التقارير أنه سـبق وأن رصد مبلغ ستة عشـر مليون ريال لتجهيز الموقع الجديد للكليات. وجميع كليات البنات اليوم أصـبحت ضـمن منظومة التعليم العالي في المملكة، وجامعة الباحة أصبحت الآن هي المسـؤولة عن التعليم العالي في منطقة الباحة (ذكوراً وإناثاً).

(٦) تاريخ التعليم العام والعالي منذ عام (١٣٥٣هـ ـ ١٤٣٤هـ / ١٩٣٤ـ٢٠٢٣م) موضوع جدير بالبحث والاهتمام، ونأمل من أسـاتذة التربية والتاريخ في جامعة الباحة أن يلتفتوا إلى دراسـة وبحث هذا الموضـوع وما شـابهه في المنطقة الغامدية والزهرانية .

١٨ـ نادي الباحة الأدبي :

وصل إلينا خطاب من الأستاذ سعد بن عبد الله أحمد المليص رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة في (١٤٢٧/٥/٧هـ) قال فيه بعد البسملة والديباجة الأولى[١] : " إشارة إلى خطاب سعادة وكيل إمارة منطقة الباحة المساعد رقم (١ح /٥/ ١٢٠١/ ٢٢٣ . بتاريخ ١٤٢٧/٤/١٠هـ) والمتضمن تزويد سعادتكم بمعلومات عن النادي الأدبي بالباحة لتسهيل مهمتكم رغبة في إعداد كتاب يصور تاريخ منطقة الباحة في الماضي والحاضر ومعرفة تاريخ الباحة الحديث والمعاصر. عليه نبعث لكم طيه بهذه النسخة من التقرير الإداري والمالي والفني رقم (٣٧ / ٢ / ث /أ /س) الذي يمثل الهيكل الإداري عن المعلومات الخاصة بالنادي ... "[٢]، ثم أورد ملخصاً لتطور النادي في النقاط التالية :

أ. تأسيس نادي الباحة الأدبي بأمر صاحب السمو الملكي الرئيس العام لرعاية الشباب .... برقم (٤٨١٧ وتاريخ ١٤١٥/٣/٢٧هـ) . وكان الافتتاح الرسمي للنادي تحت رعاية أمير منطقة الباحة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز في صباح الثلاثاء الموافق (١٤١٦/٢/٢٧هـ) .

ب. رئيس النادي منذ الافتتاح إلى إرسال هذه المذكرة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) هو الأستاذ سعد بن عبد الله بن أحمد المليص[٣]. وكان معه عند الافتتاح سبعة أعضاء في مجلس إدارة النادي، وحوالي (٤٥) عضواً، وتزايد أعضاء النادي حتى وصلوا إلى (٢٠٠) عضو وعضوة في عام (٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م) [٤].

ج. عدد الموظفين في النادي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ستة أشخاص هم : عبد الله بن أحمد السيد، وكمال أبو الخير، وعبد الله الشاعر، وعبد الله دحمان، وصديق أحمد عبد القادر، ونصر الدين محيي الدين، بالإضافة إلى عاملين أو ثلاثة مؤقتين من أجل حراسة النادي وتنظيفه[٥] .

د. كان هناك عدد من فروع ولجان النادي في بعض المحافظات مثل: بلجرشي، وقلوة، والمندق، والأطاولة (القرى) ،والعقيق، والمخواة، وهذه الفروع لها

---

(١) أصل وصورة هذا الخطاب ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٢) المصدر نفسه .

(٣) من يقرأ ويؤرخ للنوادي الأدبية في المملكة العربية السعودية منذ افتتاح أولها في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عام (١٤٢٨.٢٧هـ/٢٠٠٧.٢٠٠٦م) يجد أنها كانت منارات فكر وأدب وثقافة فقد أثرت على الفرد والمجتمع، وكان لها مناشط ممتازة، وهذه الحقبة جديرة بالبحث والتوثيق، ونأمل أن نرى باحثين جادين فيتولوا هذا الموضوع بالرصد والبحث والتحليل، مثل هذا الموضوع يستحق إلى أن يصدر عنه عشرات الكتب والرسائل العلمية .

(٤) أصل وصورة المذكرة التي وصلتنا من الأستاذ المليص ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

(٥) المصدر نفسه .

ممثلين هم حلقة الوصل بين النادي ومجتمع المثقفين في تلك المحافظات[١].

١٩. الشؤون الصحية :

أرسل إلينا تقرير من الدكتور علي حامد الغامدي، مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ)[٢]، أشار فيه إلى أنه أنشئ طبابة في الظفير عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، ثم تزايدت عدد المستوصفات حتى بلغت (١٦) مستوصفاً عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وأنشئ مستشفى بلجرشي عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ثم افتتحت المديرية العامة للصحة بمنطقة الباحة في عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)[٣].

ويشير التقرير أيضاً إلى أن عدد المراكز الطبية في منطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) كانت (٨٦) مركزاً موزعة على مدينة الباحة ومحافظات بلجرشي، والقرى، والمندق، والمخواة، وقلوة، والعقيق، ومنها (٨٣) مركز في مبان مستأجرة، وثلاثة فقط في مبان حكومية، أما الإجمالي لعدد المراجعين لهذه المراكز في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) فقد بلغ (٩٢،٣٠٠) مريضاً، أكثرهم في مراكز مدينة الباحة، وأقلهم في محافظة القرى (الأطاولة)[٤].

وفي الجدولين التاليين نجد بياناً بالأطباء حسب وظائفهم، وإحصائية بالأطباء السعوديين في منطقة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)[٥]

بيان بالأطباء في منطقة الباحة حسب وظائفهم في عام (٢٦-١٤٢٧هـ)

الوظيفة	ذكور	إناث	مجموع	قيد التعاقد	شاغر	الإجمالي
طبيب استشاري	١١	-	١١	٧	٢٢	٤٠
طبيب أخصائي	١٥١	١٨	١٦٩	٢٦	٣٢	٢٢٧
طبيب مقيم	١٨٦	٢٥	٢١١	١	١	٢١٣
المجموع	٣٤٨	٤٣	٣٩١	٣٤	٥٧	٤٨٠

(١) عاصر الباحث بعض مناشط الأندية الأدبية في جنوبي البلاد السعودية (الطائف، والباحة، وعسير، وجازان)، فكانت أنشطتها مركزة في المدينة الرئيسية التي يوجد بها النادي، أما المحافظات والقرى والأرياف فلم تجد رعاية حقيقية من تلك الأندية، وربما كانت بعض الأندية تقوم ببعض المناشط في المحافظات والقرى الكبيرة، لكنها كانت محدودة جداً .

(٢) أصل وصورة هذا التقرير يوجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . (الوثائق الخاصة).

(٣) المصدر نفسه. دراسة تاريخ الصحة في منطقة الباحة منذ عام (١٣٥٠-١٤٠٠هـ/ ١٩٣١-١٩٨٠م) موضوع يستحق إلى أن يكون رسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل أن نرى إحدى طالباتنا أو طلابنا في أقسام التاريخ بجنوبي البلاد السعودية فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته العلمية .

(٤) كان عدد المراجعين في مدينة الباحة حوالي(٢٣٨٢٢) مريضاً، ومحافظة القرى (٨٩٩٤) مراجعاً، وباقي المحافظات يتراوح المراجعون فيها بين اثني عشر وخمسة عشر ألف مريض. مذكرة ضمن أوراق مكتبة د. ابن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٥) المصدر نفسه .

إحصائية عن الأطباء السعوديين ووظائفهم بالمنطقة[(١)]

الوظيفة	ذكور	إناث	المجموع
طبيب استشاري	٧	-	٧
طبيب أخصائي	٢	-	٢
طبيب مقيم	١٤	٢	١٦
المجموع	٢٣	٢	٢٥

وتعاقب على إدارة المديرية العامة للصحة في منطقة الباحة حوالي سبعة مديرين هم: (١) علي حمدان الغامدي (١٤٠١-١٤٠٥هـ/١٩٨١-١٩٨٥م). (٢) فؤاد عمر أزهر (١٤٠٥-١٤٠٧هـ/١٩٨٥-١٩٨٧م). (٣) سعيد ماضي الماضي (١٤٠٧-١٤١٢هـ/١٩٨٧-١٩٩٢م). (٤) محمد دايل الشمراني (١٤١٢-١٤١٧هـ / ١٩٩٢-١٩٩٧م). (٥) د. جمال عباس (١٤١٨-١٤٢١هـ/١٩٩٨-٢٠٠١م). (٦) د. صلاح العبد العالي (١٤٢١-١٤٢٢هـ/٢٠٠١-٢٠٠٢م). (٧) د. علي حامد الغامدي (١٤٢٢- حتى تدوين هذا التقرير)[(٢)].

٢٠- المعهد الصحي للبنات بالباحة:

أشارت مديرة المعهد عام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م) الدكتورة عزة عبيد القريان إلى أن المعهد تأسس عام (١٤١١هـ/١٩٩١م)، والتحق به آنذاك حوالي (١٧) طالبة، ثم توقف عن العمل في عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، وأعيد افتتاحه عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ودرس في المعهد حتى عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) حوالي (١٤٠) طالبة[(٣)].

ويعمل في المعهد عام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م) حوالي (١٢) معلمة، منهن (٤) معلمات سعوديات، ثلاث يحملن درجة البكالوريوس وواحدة حاصلة على درجة الدكتوراه، وثمان غير سعوديات (٦) حاصلة على درجة البكالوريوس، وواحدة دكتوراه وأخرى ماجستير، ومن ثم فالسعوديات يمثلن تقريباً (٣٣٪) من معلمات المعهد.

٢١- مركز التأهيل الشامل:

يتبع هذا المركز لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، افتتح في مدينة الباحة في (١٤١٣/١١/١٧هـ) ومديره منذ تأسيسه حتى زيارتنا لمنطقة الباحة الأستاذ أحمد بن

---

(١) ومن خلال هذه الإحصائية نجد أن الأطباء والطبيبات السعوديين يمثلون تقريباً (٥٪) من عدد الأطباء الكلي في المنطقة.

(٢) كان تدوين هذا التقرير من قبل د. علي حامد الغامدي في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). كما أن تاريخ الطب والتطبيب موضوع هام وجدير بالدراسة العلمية الأكاديمية. أيضاً تاريخ الشؤون الصحية في المنطقة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) موضوع يستحق البحث والدراسة.

(٣) خطاب وتقرير مختصر وصلنا من مديرة المعهد د/ عزة عبيد في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وأصل وصورة هذا التقرير ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

إبراهيم العاصمي[١] ، ويعمل بالمركز في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) اثنان وثلاثون موظفاً بالإضافة إلى خمسة على بند التأهيل العلاجي والكادر الصحي، وتوزيعهم حسب مؤهلاتهم على النحو التالي: (١٦) يحملون درجة جامعية، و(١٩) شهادة الثانوية، واثنان ابتدائية [٢] .

ويقدم المركز خدمات إيوائية وعلاجية للملتحقين به من المعاقين، ويساعد الأسر التي تفضل رعاية أبنائها في مقر إقامتها، بالإضافة إلى إعانة الأسر التي تحتضن أطفالاً يتامى، ومن ثم فالساكنون (ذكوراً وإناثا) بالمركز في عام (١٤٢٧.٢٦هـ) يقدرون بـ (٢٧٠) إنساناً، والمعاقون في رعاية أسرهم (٢٥٤٤) فرداً، وبلغت قيمة الإعانة المالية التي قدمت للأسر الراعية لأبنائها في عام (١٤٢٦.٢٥هـ) (١١،٠١٥،٥٠٠) ريالاً، وقد شاهدنا في عام (١٤٢٧.٢٦هـ) العمل جارياً في تنفيذ مقر حكومي للمركز في مدينة الباحة، ويذكر أنه رصد لذلك المشروع (٢٨،٦٣٦،٢٢٣) ريالاً [٣] .

٢٢. دار الملاحظة الاجتماعية :

أنشئت هذه الدار عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ويتولى إدارتها منذ تأسيسها حتى عام (٢٦-١٤٢٧هـ) الأستاذ سعيد عطية الزهراني[٤]، وتحتضن الدار الشباب الصغار الذين تتراوح أعمارهم من (١٢-١٨) سنة، وتقوم على تدريسهم ورعايتهم تعليمياً واجتماعياً ورياضياً وصحياً، ويعمل بالدار في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) اثنا عشر موظفاً تتراوح مراتبهم الوظيفية من المرتبة الثالثة إلى العاشرة، ومقر الدار في بناية مستأجرة، ويذكر أن وزارة الشؤون الاجتماعية تسعى إلى إقامة مقر حكومي لهذه الدار.

٢٣. بريد واتصالات الباحة :

لم يصلنا أي إجابة من إدارة الاتصالات، أما مؤسسة البريد فقد وصلنا نبذة مختصرة من مدير البريد العام في منطقة الباحة الأستاذ عبد الخالق بن شهاب الغامدي[٥]، ذكر

---

(١) الأستاذ العاصمي هو الذي أرسل لنا تقريراً مختصراً عن هذا المركز منذ التأسيس إلى عام (١٤٢٧.٢٦هـ). أصل وصورة هذا التقرير ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفس. ذكر مدير المعهد وصاحب هذا التقرير بعض التوجيهات التي يتمنى أن تحقق لصالح المركز. مثل: إنشاء فرع متكامل لوزارة الشؤون الاجتماعية بالمنطقة، وإنشاء مؤسسة للرعاية الاجتماعية للفتيات، وإنشاء مكتب للضمان الاجتماعي، ودار للرعاية الاجتماعية، وفتح مركز للتنمية بقطاع تهامة غامد وزهران .

(٤) وصلنا خطاب وتقرير مختصر من مدير الدار الأستاذ سعيد الزهراني في عام (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م)، ويوجد أصله وصورته ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

(٥) لم يذكر الغامدي المسؤولين الذين تولوا إدارة البريد في المنطقة . وقد وصلنا صفحة واحدة من الأستاذ عبد الخالق وهي توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

فيها أن إدارة البريد تأسست في مدينة الباحة عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) [(١)]، ويتبعها في عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (٢٤) فرعاً للبريد، وشعبتان اثنتان والبريد الممتاز، ويعمل في البريد في عام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م) حوالي (٢٠٨) موظفاً [(٢)].

٢٤- فرع وزارة الخدمة المدنية :

أرسل إلينا خطاب مع تقرير بتاريخ (١٤٢٧/٤/١٥هـ) من مدير فرع وزارة الخدمة المدنية بمنطقة الباحة الأستاذ عماد بن عبد الله الضويلع ذكر فيه بعد البسملة والديباجة الأولى بأن بداية المكتب في مدينة الباحة كان في عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) تحت اسم (مكتب التوظيف بالباحة) ويتبع إدارياً مكتب التوظيف بالمنطقة الغربية، ثم عدل المسمى في (١٤١٤/٦/٢٢هـ) إلى فرع الديوان العام للخدمة المدنية بمنطقة الباحة، ويراجع نائب الرئيس العام للشؤون التنفيذية[(٣)]، وبعد تعديل مسمى الديوان العام للخدمة المدنية إلى وزارة الخدمة المدنية في (١٤٢٠/٣/١هـ)، ثم تعديل فرع الديوان العام للخدمة المدنية بالباحة إلى فرع وزارة الخدمة المدنية، وأصبح مرجعه المباشر وكيل الوزارة[(٤)].

والمهمة الرئيسية لهذه الإدارة استقبال طلبات الباحثين عن وظائف حكومية وترتيبها وفرزها، وإجراء المفاضلات بين المتقدمين حسب شهاداتهم العلمية وخبراتهم الوظيفية، ثم إعلان النتائج بأسماء الفائزين في الحصول على وظائف في قطاعات حكومية مختلفة[(٥)]. وفي التقرير الذي وصلنا من مدير الفرع إحصائية بأعداد المتقدمين(ذكوراً وإناثاً) في الفترة من (١٤١٩-١٤٢٦هـ / ١٩٩٩-٢٠٠٥م) فكان عددهم (٥٦٢١٢) فرداً، والمرشحون لوظائف من هذا العدد الكلي كانوا (٨٩٠١) موظفاً وموظفة[(٦)].

أما الذين تولوا إدارة فرع الباحة فهم: (١) محمد بن عبد الله الغامدي (١٤١٠-١٤٢٠هـ/١٩٩٩-٢٠٠٠م). (٢) حاتم بن محمد علي المغامسي (١٤٢١-١٤٢٢هـ / ٢٠٠١-٢٠٠٢م). (٣) عماد بن عبد الله الضويلع(١٤٢٢هـ- حتى تاريخ هذا التقرير) [(٧)].

---

(١) مؤسسة البريد قديمة في منطقة الباحة، فهناك عشرات الوثائق التي تؤكد أن بريد الحجاز وعسير كان يصل إلى منطقة الباحة السروية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). ونستطيع القول إن دراسة تاريخ المؤسسات الإدارية في منطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالبحث والدراسة والاهتمام من المؤرخين والباحثين الجادين.

(٢) المصدر نفسه. نبذة الغامدي ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

(٣) خطاب مع مذكرة من مدير فرع وزارة الخدمة المدنية بمنطقة الباحة برقم (٥٢٩٤ وتاريخ ١٤٢٧/٤/١٥هـ).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه. وتاريخ هذا التقرير في (١٤٢٧/٤/١٥هـ). وأصل وصورة التقرير توجدان ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

وكان عدد العاملين في فرع الباحة (١٥) موظفاً وموظفة [١]. ولم يشتمل التقرير على موقع الفرع هل هو في بناية حكومية أو مستأجرة؟ ولم يذكر أي معلومة عن ميزانيته وإمكاناته المادية، وما يقدم من دورات أو خدمات تثقيفية أو تدريبية لموظفيه[٢].

٢٥ـ التأمينات الاجتماعية :

وصلنا صفحة واحدة بدون تاريخ من مدير مكتب التأمينات في الباحة الأستاذ/ علي ابن سعد الغامدي ذكر فيه افتتاح المكتب في (٢/٦/١٤١٥هـ)، وقد تولى الغامدي نفسه إدارة هذه المؤسسة من (١٠/١٠/١٤١٨هـ) [٣]، وعدد موظفي المكتب عند زيارتنا للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) أربعة وعشرون موظفاً، ستة منهم جامعيون، و(١٨) دون مرحلة الجامعة. أما المشتركون في نظام التأمينات من المؤسسات الحكومية والقطاعات الخاصة في عام (١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م) فكان عددهم (٣٣٥٦٢) شخصاً أو مؤسسة[٤]. وكانت بناية هذه المؤسسة الإدارية مستأجرة، والقائمون عليها يسعون إلى إيجاد أرض حكومية كي تنشئ عليها مقراً حكومياً لهذه الإدارة، ويوصي مدير المكتب بافتتاح مكتب خاص بطلبات النساء لتزايد الطلب والإلحاح من قبل العنصر النسوي في منطقة الباحة [٥].

٢٦ـ الإدارة العامة للمياه :

تأسست هذه الإدارة بمدينة الباحة في (٢٠/١١/١٤٢٤هـ) ويتبع لها فرعان، الأول: في تهامة غامد وزهران بمدينة المخواة، والثاني: في مدينة بلجرشي[٦]، ويتولى إدارتها منذ نشأتها إلى الآن[٧] المهندس محمد بن منصور آل عضيد، ويعمل في هذه الإدارة (١٣) موظفاً تتدرج رتبهم من المرتبة الرابعة إلى الحادية عشرة، ومنهم (٨) موظفين يحملون

---

(١) المصدر نفسه . اثنان فقط منهم يحملان شهادات جامعية والآخرون دون المرحلة الجامعية، ورتبهم تتدرج من المرتبة الثالثة إلى العاشرة .

(٢) المصدر :التقرير الذي وصلنا من مدير الفرع. وتاريخ المؤسسات الإدارية في منطقة الباحة من (١٣٥٠-١٤٣٤هـ/١٩٣١-٢٠١٣م) جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

(٣) لم يذكر تاريخاً لهذه الصفحة التي أرسلت لنا، لكن من المؤكد أنها كانت في عام (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، أي العام الذي وصلني فيه جميع الإجابات التي طلبناها من إمارة المنطقة وغيرها من المؤسسات الإدارية الأخرى. أصل وصورة الصفحة التي وصلتنا من مدير هذه المؤسسة توجد ضمن أوراق البحث (ابن جريس) .

(٤) المصدر نفسه . وكان عدد المؤسسات الحكومية والأهلية الخاصة (٢٨٣٩) مؤسسة، منها (٢٦) حكومية، و(٢٨٠٣) خاصة . أما عدد الأفراد فكان عددهم الإجمالي(٣٠٧٢٣) شخصاً، منهم (٤٨٧١) سعودياً و(٢٥٨٥٢) غير سعودي . المصدر : مذكرة وصلتنا من مدير مكتب التأمينات الاجتماعية في الباحة، وهي بدون تاريخ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) وصلنا تقرير في صفحة واحدة من مدير الإدارة المهندس محمد آل عضيد، وأصل وصورة هذا التقرير توجد ضمن مكتبة الباحث (ابن جريس) .

(٧) المقصود بكلمة (الآن) أي عام (١٤٢٧هـ) .

شـهادات جامعية، والخمسـة الباقون تتراوح شهاداتهم من المرحلة الابتدائية إلى شهادة الثانوية[١].

٢٧ـ فرع الشركة السعودية للكهرباء :

أرسـل لنا المهندس مسفر القرني مدير شـركة الكهرباء في الباحة تقريراً مختصراً جـداً أشـار فيه إلى أن افتتاح هذا الفـرع في الباحة يعود إلى تاريـخ (١٣٧٩/٧/٩هـ)[٢]، وكان عـدد الموظفـين بهـذه الإدارة في عـام (١٤٢٦هــ / ٢٠٠٥م) (٢٦) موظفـاً، وعدد المشـتركين في العام نفسـه (١٢٢،١٨٩) فـرداً، أما الذين تولوا إدارة هـذا الفرع الإداري فهم: (١) إبراهيم عبد الله عطية (١٣٩٧ـ١٤١٩هـ/١٩٧٧ـ١٩٩٩م). (٢) عبد الله فاضل الزهراني (١٤١٩ـ١٤٢٥هــ/١٩٩٩ـ ٢٠٠٤م) . (٣) علي غرم الله شـنان (١٤٢٥ ـ ١٤٢٧هـ /٢٠٠٤ـ ٢٠٠٦م) . (٤) المهندس مسفر القرني من عام (١٤٢٧هـ ـ حتى الآن)[٣].

٢٨ـ مطار الباحة ومكتب الخطوط السعودية :

افتتـح مطـار الباحـة في (١٤٠٢/١٠/٢هـ)، والعاملـون بالمطار عـام (١٤٢٦ـ٢٥هـ/ ٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م) على ملاك هيئة الطيران المدني سـتون موظفاً، والميزانية التشغيلية للمطار في العام نفسـه تقدر بـ (١٣٠،٠٦٧،٨٢٢) ريالاً سنوياً[٤]. وتعاقب على إدارة المطار عدد من المديريـن، هـم : (١) علي بن عدي الغامـدي (١٤٠٢ـ١٤١٠هــ/٨٢ـ ١٩٩٠م). (٢) أحمد محمد أبو حسـين (١٤١٠ـ١٤١٩هـ/١٩٩٠ـ ١٩٩٩م). (٣) سـعيد بن عبد الرحمن السـالمي (١٤١٩ـ١٤٢٤هـ/١٩٩٩ـ٢٠٠٤م). (٤) فهد بن عبد الله العدواني (١٤٢٤هـ حتى الآن)[٥].

كما تأسس مكتب الخطوط السعودية في الباحة عام (١٤١٠هـ/١٩٨١م)، ثم تزايدت وكالات السـفر الأهليـة في المنطقـة حتـى أصبح عددهـا حـوالي العشـر وكالات في عام

---

(١) أصل وصورة التقرير الذي وصلنا من المهندس ابن عضيد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . ولا نجد تفصيلات عن الأعمال الموكلة إلى هذه الإدارة، ولا مقرها هل هو حكومي أم مستأجر ؟ وغير ذلك من التفصيلات التي تشير إلى سير العمل في هذه المؤسسة الإدارية .

(٢) تاريـخ هـذا التقرير يعـود إلى عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) أصـل وصـورة التقرير في مكتبة د. ابـن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٣) أي عام(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وكهرباء الباحة تابعة لفرع عسـير منذ نشـأة الكهرباء في المنطقة الجنوبية . للمزيد عن شـركة الكهرباء في عسير، انظر ابن جريس، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (١٤٢٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٠٥ـ ٤١٥ .

(٤) وصـلنا تقرير مختصر جداً من مدير المطار عام (١٤٢٧ـ٢٦هـ) الأستاذ فهد بن عبد الله العدواني، وأصل وصورة هذا التقرير يوجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق العلمية) .

(٥) المصدر نفسه . المقصود بكلمة (الآن) عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وقد زرت مطار الباحة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فوجدته متواضـعاً في إمكاناته المادية وفي مسـاحته الجغرافية، وأقول أنه يحتاج إلى اهتمام أكبر فتوسع مدرجاته وتتعدد صـالاته والرحلات منه وإليه لأن منطقة الباحة مأهولة بالسـكان وتحتاج إلى مطار أكبر وأنشط من مطار الباحة الحالي.

(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، وبلغ عدد موظفي المكتب في العام نفسه حوالي خمسين موظفاً [١].

٢٩. صندوق التنمية العقاري:

تأسس الصندوق عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ويتولى إدارته منذ عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥حتى الآن) المهندس علي عبد الله أبو مغدي [٢]، ونجد أن الصندوق قد أنجز حوالي (٦٠٤٩) قرضاً على مدار ثلاثين عاماً، وفي معظم محافظات المنطقة، وكان الصرف الإجمالي لهذه القروض حوالي (١,١٧١,٨١٠,٢١٥) ريالاً [٣].

٣٠. البنك الزراعي :

أنشئ البنك الزراعي في الباحة عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وقدم البنك منذ تأسيسه حتى عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) حوالي (١٤٣٥٢) قروضاً زراعية بلغت قيمتها الإجمالية (٣٧٦،٥٣٠،٢٢٠) ريالاً [٤]. ودعم البنك ثلاثة عشر مشروعاً للنحل والدواجن بمبلغ (٢٠،٨٦٠،٥٣٨) ريالاً [٥]، وتولى إدارة البنك ثلاثة مديرين هم : (١) هشام عناني (أردني الجنسية) (١٣٨٦-١٣٩٥هـ / ١٩٦٦-١٩٧٥م).(٢) عبد الله بن صالح بن مزهر (١٣٩٥-١٤٢٥هـ / ١٩٧٥-٢٠٠٤م) .(٣) أحمد بن علي الغامدي (١/٧/١٤٢٥هـ حتى الآن) [٦].

٣١. تلفزيون الباحة :

تم افتتاح مركز تلفزيون الباحة في عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وفي عام

---

(١) تقرير في سطور قليلة من مدير مكتب الخطوط السعودية في الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) الأستاذ راشد أحمد الزهراني، ولم يذكر تفصيلات عن مديري هذا المكتب منذ نشأته إلى توليه إدارة المكتب عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). ولم يشر أيضاً إلى الخدمات التي يقدمها هذا المكتب ولا إمكاناته المادية . صورة من هذا التقرير توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

(٢) هذه المعلومات وصلتنا في تقرير موجز من المهندس أبو مغدي نفسه عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ولا نعلم هل لازال مديراً لهذه الإدارة بعد هذا التاريخ أم حل محله مدير آخر .

(٣) وكان توزيعها على النحو التالي: (١) مدينة الباحة (٤٣٤،٦٨١،٣٤٠) ريالاً لـ (٢١٦٩) قرضاً. (٢) محافظة بلجرشي (٥٧٧،٨٦١،٤٧٦) ريالاً لـ (٣٠٤٤) قرضاً . (٣) محافظة المندق (٥٣،٣٣٥،٠١٩) ريالاً لـ (٢٧٦) قرضاً . (٤) محافظة المخواة (٦٦،٥٥٣،٩٠٤) ريالاً لـ (٣٣٤) قرضاً . (٥) محافظة قلوة (٣٩،٣٧٨،٤٧٣) ريالاً لـ(٢٢٦) قرضاً . والذاهب في أنحاء منطقة الباحة يجد أن صندوق التنمية قد أسهم في تطور الناحية العمرانية، فحلت المنازل والقصور والفلل محل البيوت القديمة، وأصبحت المنطقة مليئة بالأبنية الحديثة التي يتوفر بها جميع المرافق الرئيسية .

(٤) وصلنا تقرير عن البنك عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) من مديره الأستاذ أحمد علي الغامدي، وصورة هذا التقرير توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) يُقصد بكلمة الآن عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) . لم يذكر التقرير تفصيلات عن آليات صرف القروض للأفراد أو المشاريع، ولم يذكر أي شيء عن مقر البنك هل هو حكومي أو مستأجر، ولم يذكر عدد موظفي البنك ومؤهلاتهم الدراسية .

(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) يوجد بالمركز خمسة موظفين بعضهم فنيون ورتبهم الوظيفية تتراوح ما بين المرتبة الخامسة والثامنة، وكان مدير المركز في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) الأستاذ عبد اللطيف بن محمد الشاعر[١].

٣٢ـ مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب :

وصلنا مذكرة من مدير مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالباحة الأستاذ جمعان بن عبدالرحمن الغامدي في (١٤٢٧/٤/٢٣هـ)[٢]، أشار فيها إلى أن المكتب تأسس في مدينة الباحة عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، وكان يوجد في شقة صغيرة، ويعمل به في البداية الأستاذ سعيد جمعان الغامدي، ثم انضم إليه الأستاذ عبد الله ملة، ومعهما سائق، وبقي الثلاثة يشرفون على سير العمل في المكتب عدة سنوات[٣]، ثم تطور المكتب حتى أصبح يشرف على مدينة الملك سعود الرياضية بالباحة والتي مساحتها تقدر بـ (٤٥،٠٠٠م^2)، وهي تحتوي على العديد من المرافق مثل: ملاعب كرة القدم المزروعة، والمسابح، والصالات المغلقة، وصالات الألعاب الأخرى[٤]. ويشرف المكتب على أربعة أندية في منطقة الباحة هي: (١) نادي الحجاز في محافظة بلجرشي. (٢) ونادي السراة في الباحة. (٣) ونادي العميد في محافظة القرى. (٤) ونادي التسامح في محافظة القنفذة[٥].

تولى إدارة المكتب أربعة مديرين هم : (١) سعيد بن علي جمعان الغامدي (١٤٠٢ـ١٤٠٨هـ/١٩٨٢ـ١٩٨٨م). (٢) عبد الله بن محمد ملة (١٤٠٨ـ١٤١٧هـ / ١٩٨٨ـ١٩٧م). (٣) جمعان بن عبد الرحمن الغامدي (١٤١٧هـ ـ حتى الآن)[٦]. ويعمل بالمكتب عام (٢٦-١٤٢٧هـ / ٢٠٠٥-٢٠٠٦م) حوالي (١٥) موظفاً تتراوح رتبهم الوظيفية من درجة ثلاثة وثلاثين إلى المرتبة التاسعة، وكلهم سعوديون حاصلون عل شهادات مختلفة تتدرج من المرحلة الابتدائية إلى الشهادة الجامعية[٧].

---

(١) زودنا الأستاذ عبد اللطيف بسطور محدودة عن تلفزيون الباحة دون أن يذكر المديرين الذين تعاقبوا على إدارة هذه المؤسسة، ولم يذكر تفصيلات عن النشاطات والبرامج التي قدمها مركز التلفزيون بالمنطقة، ولم يذكر أي شيء عن مقر المركز، وهل هو حكومي أم مستأجر ؟ ونستطيع القول أن مركز تلفزيون الباحة كان ولا زال محدوداً في أعماله وإنجازاته.

(٢) أصل وصورة هذه المذكرة توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تاريخ الرياضة في منطقة الباحة منذ (١٣٥٠ـ١٤٣٠هـ/١٩٣١ـ٢٠١٠م)، موضوع جدير بالبحث والدراسة، حبذا أن نراه مدروساً في كتاب أو رسالة علمية أكاديمية.

(٦) المقصود بكلمة (الآن) أي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

(٧) المصدر : نبذة وصلتنا من مدير المكتب في الباحة في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وأصل وصورة هذه النبذة توجد ضمن أوراق الباحث (ابن جريس). وقد أورد مدير المكتب بعض التوصيات في تقريره مثل: وجوب زيادة المعونة

٢٣ـ فرع وزارة التجارة والصناعة :

تأسس الفرع عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ومدير الفرع في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) الأستاذ صالح بن سعيد الزهراني[١]. وكان يعمل بالمكتب وقت زيارتنا للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) (١٤) موظفاً جميعهم سعوديون، ومراتبهم تتراوح من المرتبة الرابعة إلى العاشرة، ومنهم اثنان فقط جامعيان، والباقون شهاداتهم دون المرحلة الجامعية [٢].

٣٤ـ الغرفة التجارية الصناعية :

أنشئت الغرفة في مدينة الباحة عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وللغرفة فرعان في محافظتي بلجرشي والمخواة [٣]، وتولى أمانة الغرفة منذ تأسيسها إلى عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) الأستاذ سعيد بن عثمان الغامدي، ثم تلاه الأستاذ يحيى بن مرضي ابن صويلح من عام (١٤١٣هـ. حتى الآن) [٤]، ويقوم على الغرفة مجلس إدارة مكون من ستة أعضاء ورئيس يتم انتخاب بعضهم وتعيين البعض الآخر لمدة أربع سنوات، ويقوم الأمين العام للغرفة بمتابعة الأعمال التنفيذية. ويوجد بالغرفة عام (١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) (٣٣) موظفاً، منهم عشرة يحملون شهادات عليا، والباقون شهاداتهم ثانوية وما دونها [٥].

(*) خلاصة القول :

هذه الدراسة لم تذكر تاريخ جميع المؤسسات الإدارية في منطقة الباحة، لان بعض مديري المؤسسات لم يردوا على تعميم الإمارة الذي سبق الإشارة اليه في مقدمة البحث، وتاريخ المؤسسات المذكورة ينتهي في عام (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)، وهو العام الذي استلم فيه الباحث التقارير المذكورة في هذا الدراسة، ومن عام (١٤٢٧هـ - ١٤٤٠هـ / ٢٠٠٧م - ٢٠١٩) توسعت بعض الإدارات الرئيسية وأصبح لها فروعاً عديدة في عموم المنطقة،

المالية للمكتب، وزيادة عدد الأندية الرياضية بالمنطقة، وعقد جلسات دورية لرؤساء الأندية مع مسؤولي مكتب الرئاسة بالباحة، ونشر الوعي الثقافي بأهمية الأندية الرياضية ورسالتها في تنمية قدرات ميول الشباب.

(١) الأستاذ صالح زودني بمعلومات محدودة عن هذا الفرع، لكنها غير كافية، فلم يوضح الأعمال التي تقوم بها هذه المؤسسة، وما علاقتها مع المؤسسات الإدارية العاملة في مجال التجارة والصناعة. أصل وصورة المعلومات التي وصلتنا ضمن أوراق الباحث (ابن جريس).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) وصلنا تقرير من أمين الغرفة في الباحة الأستاذ يحيى بن مرضي صويلح، ويوجد أصل التقرير وصورته ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (الوثائق الخاصة).

(٤) الآن : أي عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

(٥) المصدر : تقرير أمين الغرفة التجارية يحيى بن مرضي، أصل وصورة هذا التقرر ضمن أوراق الباحث (ابن جريس). وقد ورد في التقرير بعض التوصيات مثل: السماح للغرفة بمزاولة الاستثمار وتدعيم مواردها المالية، كما ذكر أن التراخيص النظامية الصادرة من إدارة السجل التجاري بلغت (٨٠٥٠) ترخيصاً، وهذا مؤشر على تدني هذا العدد، والواجب المبادرة وتشجيع من لم يسجل بالغرفة على التسجيل.

ونشـأت إدارات جديـدة لم تكن موجـودة في الربع الأول من هذا القـرن (١٥هـ / ٢٠م) ، وأقول أن تاريخ الإداري لمنطقة الباحة خلال العصـر الحديث والمعاصـر من الموضـوعات المهمة والجديدة ، ويسـتحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية ، وأمل أن يقوم أحد المؤرخين أو الباحثين من بلاد غامد وزهران فيدرس هذا الميدان المهم والحيوي .

الدراســـة الرابعـــة

صور من تاريخ وحضارة بلاد دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام.

بقلم :أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة) ، ط١
(١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م) - (الجزء الثاني عشر)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ٩٩ - ١٣٣

الدراسة الرابعة: صور من تاريخ وحضارة بلاد دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام[1]. بقلم أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني[2].

أولاً: تمهيد:

أوطان زهران إحدى أجزاء بلاد السراة وتهامة، وتقع إلى الشمال من قبائل غامد وبني عمر. وسكانها هم أزد السراة الذين تعود أصولهم إلى بلاد اليمن. ولهذه الديار تواريخ سياسية وحضارية متنوعة، ومن أشهر وأقدم قبائلها عشيرة دوس التي ينتسب إليها عدد من الصحابة (رضوان الله عليهم) أمثال الطفيل بن عمرو الدوسي، وأبو هريرة (رضي الله عنهما). وهذه الدراسة التي بين أيدينا لأحد أبناء زهران، إنه علي بن سدران الزهراني الذي كتب صفحات من تاريخ هذه البلاد في عدد من الكتب والبحوث، ومن ضمنها هذا البحث الذي يحتوي على صفحات من تاريخ قبيلة دوس في الجاهلية والإسلام، ولا تخلو الدراسة أيضاً من صور تاريخية أخرى عن بعض الأمكنة والعشائر الزهرانية الأخرى. ونقول لصاحب البحث(ابن سدران) شكر الله له فلقد فتح أبواباً عديدة تدور في فلك حضارة وتاريخ أرض وسكان زهران. ونأمل منه أو من أي باحث مجتهد أن يضاعفوا الجهود لدراسة سروات وتهامة زهران التي تم استيطانها منذ آلاف السنين، وهي جديرة أن تدرس ويصدر عنها عشرات الدراسات المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها [3].

---

(١) العنوان الذي أرسل لنا صاحب البحث هو: قبيلة دوس أول قبيلة من زهران شرُفت بالإسلام. وبعد قراءة الدراسة كاملة تم تعديل العنوان السابق إلى هذا العنوان المذكور أعلاه، وذلك من أجل توافق العنوان مع المادة العلمية. (ابن جريس).

(٢) ابن سدران من مؤرخي بلاد زهران وغامد، وله عدد من الكتب والبحوث المطبوعة. للمزيد عن ترجمته انظر. غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الأجزاء الخامس، ص ٢٦٩، والسابع ص١٨٩-٢٥٣، والثامن، ص ١٥٩-٢١٠، والعاشر، ص ١٢١-١٧١. (ابن جريس).

(٣) نعم منطقة الباحة (غامد، وزهران، وبني عمر) من البلاد التي لم تخدم بحثياً وبخاصة في ميادين التاريخ والآثار واللغة والأدب وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية. ونأمل أن تقوم جامعة الباحة بواجبها فتسخر مراكز البحوث والباحثين لدراسة هذه البلاد العريقة في تاريخها وحضارتها وأمجاد رجالها عبر أطوار التاريخ. (ابن جريس).

ثانياً : صور من تاريخ وحضارة عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام .

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، رب يسّر.
دوس هي إحدى قبائلَ زهران العظام ، تنتسب إلى عدثان بن عبد اللّه بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبداللّه بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ، والمعروف في السابق منها قبيلتان هما منهب بن دوس بن عدثان بن عبداللّه بن زهران بن كعب ، وفهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد اللّه بن زهران . وتدخل في الأخيرة قبيلة : بني الطفيل (بالطفيل) رهط الطفيل بن عمرو الدوسي رضي اللّه عنه ، لأنهم يعودون إلى قبيلة سُليم بن فهم بن غَنْم بن دوس . والقبيلة الثانية هي : فهم بن غنم بن دوس، وبقية نسبها كما ورد في نسب قبيلة بني منهب ، ومنهم الصحابي الجليل : أبو هريرة رضي اللّه عنه . ويؤخذ من نسب هاتين القبيلتين أن منهب بن دوس ، هو عم فهم بن غَنْم بن دوس[(١)] .

أما في هذا العصر فتنقسم دوس إلى خمس قبائل هي : دوس بني فهم ، ودوس بني منهب ، ودوس بني علي، ودوس آل عيَّاش ، ودوس بالطفيل ، وكل قبيلة معروفة بشيخها وديارها .واسمها مشتق من الدوس كما قال ابن دريد الأزدي في كتابه الاشتقاق: الدوس: مصدر داسه يدوسه دوسًا ، وكل شيء وطئته فقد دسته، والذي يداس به مدوس ، والمدوس ما يسن به الصيقل السيف، وهو قول الشاعر[(٢)]:

وأبيض كالغدير ثوى عليه قيون بالمداوس نصف شهر

وجاء في كتاب "الزاهر في معاني كلمات الناس" قال أبو بكر : الدوس : تسوية الحديقة وتزيينها وهو مأخوذ من دياس السيف ، وهو صقلُهُ وجلاؤه . يقال : داس الصيقل السيفَ يدوسُهُ دَوْسًا ودِياسًا : إذا صقله وجلاه . قال الشاعر[(٣)] :

صافي الحديدة قد أَضَرَّ بصقله طولُ الدِّياس وبطنُ طير جائع

ويقال للحجر الذي يُجلى به السيفَ : مِدْوَس . أنشد أبو العباس لأبي ذؤيب الهذلي[(٤)]:

وكأنما هو مِدْوَسٌ متقلِّبٌ بالكفِّ إلا أنه هو أَضْلع

وجاء في معجمَ "لسان العرب" يُقَالُ : نَزَلَ العدوُّ بِبَنِي فُلَانٍ فِي الْخَيْلِ فجاسَهُم وحاسَهُم

---

(١) يا أستاذ علي أشكرك على هذا الطرح ،وأرجوأن تزودنا بقراءات مطولة وعميقة في تاريخ وحضارة وأنساب بلاد غامد وزهران . (ابن جريس).

(٢) العباب : (١١٠) . والشاعر هو: أبو أسامة معاوية بن زُهَيْر الجُشَمِيُّ (ابن سدران) .

(٣) كتاب :الفاخر ٥٧ بلاد عزو (ابن سدران) .

(٤) ديوانه :٦ (ابن سدران).

وداسَهم إذا قَتَلَهُمْ وَتَخَلَّلَ ديارَهُمْ وَعَاثَ فِيهِمْ . وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي الزهراني ، في كتاب "العين" : والدَّوْسُ : الدِّياس ، والبقر التي تَدُوس الكُدْس هي : الدَّوائس .. والمِدْوَس : الذّي يُداسُ به الكُدْس يُجَرُّ عليه جَرًّا . والجميع مَداوِس . والمِدْوَسُ : خَشَبةٌ يُشَدُّ عليها مِسَنٌّ يَدوسُ بها الصَّيْقلُ السَّيْفَ حتّى يَجْلُوَهُ، وجمعه مَداوِس ، والدوس : شدة الوطء بالأقدام حتّى يتفتَّت ما وطئ . وفي كتاب "تهذيب اللغة" يُقَال : طَرِيقٌ مَدُوسٌ . والخَيْلُ تَدُوسُ القَتْلى بحوافرها : إذا وطِئَتْهم . وَأَنْشد : فداسُوهُم دَوْس الحَصِيد فأَهْمَدُوا[١] وَقَالَ أَبُو زيد : فلانٌ دِيسٌ من الدِّيسَة : أي : شجاعٌ شَدِيد يَدُوس كلَّ مَنْ نازَلَه . وورد في قاموس "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" دَاسَ الرَّجُلُ الحِنْطَةَ يَدُوسُهَا دَوْسًا وَدِيَاسًا وكل ما ورد لا تخرج عن معاني الشدة والقوة والصّلابة . وتقع دوس في الجزء الشمالي الغربي من سراة زهران وتهامتها ، لقول أبي الفداء بعد أن ذكر القبائل النازحة عن مأرب ومن بينها دوس : وسكنت بنو دوس إحدى السروات المطلة على تهامة وكانت لهم دولة بأطراف العراق ، وأول من ملك منهم : مالك بن فهم بن غنم بن دوس[٢] .

ودوس معروفة بهذا الاسم منذ أن كانت ضمن قبائل زهران الأخرى في موطنها الأصلي بسبأ حول سد مأرب الشهير ، لقول الشيخ حمد الجاسر ، نقلا من كتاب السيرة لدغفل: وسارت أولاد دوس ابن زهران بن نصر بن الأزد في أهاليهم إلى أرض تهامة ، فجاوروا أولاد معد بن عدنان فيها[٣]. ولذا فقد ظن بعض المؤرخين أنها قبيلة مستقلة لا يربطها نسبٌ بزهران ، والصحيح أنها إحدى قبائل زهران النازحة من أرض سبأ ، ولكن لشهرتها في الإسلام وكثرة المسلمين من هذه القبيلة الزهرانية في أول الإسلام أكثر من غيرها من قبائل زهران الأخرى فكان الرجل منهم إذا قيل له ممن الرجل قال : من دوس . مما جعل بعض النسابين يعتقد أنها ليست من زهران . ويورد الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في سبب اشتهارها آنذاك عن جدها زهران عدة أمور نوجزها فيما يلي[٤](١) سكناهم في قمة السراة ، مما جعل بلادهم حصينة ، أكسبتهم قوة وتماسكا ، وبقاء . (٢) انتشار أفرادها خارج بلادها ، حيث انتقل منهم أناس إلى عمان والعراق ، فكونوا إمارتين في تلك البلاد[٥]. (٣) مسارعة رجالها إلى الإسلام ، وبروزُ كثير منهم في جانب

---

(١) تهذيب اللغة :٣١/١٣ ، ولسان العرب : ٩٠/٦ بلاد عزو . (ابن سدران).

(٢) يا أستاذ بن سدران مازال هناك قبائل أزدية زهرانية وغامدية لها تاريخ عريق ومذكور في كتب التراث الإسلامي ، ونرجو أن تتولى هذه العشائر أو القبائل بالدراسة والتوثيق والتحليل . (ابن جريس) .

(٣) في سراة غامد وزهران . ٢٢٣. (ابن سدران) .

(٤) في سراة غامد وزهران : ٢٢٦. (ابن سدران).

(٥) الحقيقة أنها ثلاث إمارات .الأولى في عُمان برئاسة مالك بن فهم الدوسي، والثانية والثالثة برئاسة ابنيه ، واحدة في الحيرة برئاسة ابنه جذيمة بن مالك المعروف بالأبرش، والأخرى في مكران من أرض فارس برئاسة ابنه سليمة بن مالك.(ابن سدران).

من جوانب المعرفة الإسلامية.[١] (٤) إخلاص كثير من رجالها وصدقهم في تلقي الدعوة الإسلامية . وما قاله الشيخ يعد حقيقة واقعة في حق أفراد هذه القبيلة الدوسية ، وأحب أن أضيف نقاطًا أخرى ، أراها من وجهة نظري متممة لتلك الأسباب الداعية إلى شهرة ذلك الفرع الدوسي وغلبته على أصله "زهران" ، وعلى غيره من فروع زهران الأخرى فأقول : (أ) إن من يتتبعُ أسماء القبائل العربية المهاجرة من أرض سبأ ، يجد أن بعض المؤرخين عد دوسًا وبعضًا من بطون زهران الأخرى من بين تلك القبائل المهاجرة التي كانت حول السد ، وهذا يعني أن هذه البطون التي تفرعت عن زهران كانت معروفة بمسمياتها تلك ولما تزل في مواطنها الأصلية بسبأ ، ومن بينها قبيلة دوس ، وحين انتقلت إلى مواطنها الجديدة في السراة ، وعُمان ، والعراق ، ظلت محتفظة بمسمياتها التي عرفت بها من قبل ، فشهرت بها واستغنى رجالها ومن نزح معهم من قبائل زهران الأخرى بتلك المسميات عن غيرها .(ب) وهناك حقيقة أخرى وهي أن أكثر رجال زهران المشهورين في العصر الجاهلي وصدر الإسلام إنما كانوا من هذه القبيلة الدوسية . من أمثال: الطفيل وأبي هريرة رضي الله عنهما . وفي العصر الجاهلي أمثال : مالك بن فهم الدوسي ، حاكم عُمَان، وابنه جذيمة الأبرش ، حاكم الحيرة بأرض العراق ، وعمرو بن حممة حكيم العرب وغيرهم . (ج) كانت دوس في العهد الجاهلي مركزًا من مراكز العبادة الوثنية المعروفة لدى عرب الجزيرة ، فاكسبها ذلك شهرة واسعة .

ويزعم النَّسَّابون أنهم من ولد عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر[٢]. وأن ليلى بنت الظرب (أخت عمرو بن الظرب العدواني) هي أم دوس بن عدثان[٣].لكن ليس هذا بصحيح ، لأن نسب قبيلة دوس كما ورد عند قُدَامَى النسابين يتصل بيعرب بن قحطان ، جدّ القبائل اليمنيةَ ، ولا يمت إلى العدنانيين بصلة . فنسبها المتصل بيعرب بن قحطان كالتالي: دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٤]. ويشتركون هم وبقية قبائل زهران الأخرى ، وكذاك قبائل الأزد في هذا النسب اليعربي[٥]. أما كيف استقرت

---

(١) هناك عشرات الرجال الذين خرجوا من عشيرة دوس ومن غيرها من قبائل تهامة والسراة ، فأبلوا بلاءً حسناً في الفتوحات الإسلامية ، وفي بناء الحضارة الإسلامي ، ونأمل أن يتولى هذا الجانب أحد الباحثين الجادين فيكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أقسام التاريخ في المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٤٣/١). (ابن سدران).

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٤٣٣/٢). (ابن سدران).

(٤) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (٢٧١/١). (ابن سدران).

(٥) يا ابن سدران إن عشائر السروات وتهامة الممتدة من اليمن إلى الحجاز تحتاج إلى دراسات علمية موثقة ليس في الأنساب فقط وإنما في ميادين عدة وبخاصة في العصور السابقة للإسلام ، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. (ابن جريس).

دوس على هذا الجزء السروي من سراة زهران ، فيذكر لنا المؤرخون أن قبائل الأزد ومنها قبيلة زهران هاجرت من أرض سبأ باليمن ، قبيل انهيار سد مأرب وذلك في عام (١١٥) قبل الميلاد ، وسارت بجموعها حتى وصلت أرض تهامة فاستقرت بها ، ولما تلاحقت الأزد ضاقت بهم تلك الأرض ، فاتفقت قبيلة بني بجيلة "بني مالك" مع بني الحارث بن عبد الله بن يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان بن نصر بن زهران. وهم الغطاريف على إجلاء قبيلة خثعم عن جزء من أرض السراة، إذ كانت أغلب أرض السراة آنذاك لقبيلة خثعم فاتفقت الغطاريف وقبيلة بجيلة (بني مالك حاليًّا) على الاستعانة بقبائل الأزد القاطنة في الجزء التهامي لدحر قبيبلة خثعم عن جزء من ديارها على أن تُسْكن قبائل الأزد في تلك الأجزاء بعد تحريرها ، ولما تمكنت الغطاريف وبجيلة وسائر قبائلَ الأزد من هزيمة خثعم ، أسكنت الغطاريف قبائل زهران القادمة من تهامة في نواحي سراة زهران ، فسكنت دوس في الشمال الغربي من سراة زهران ، فيما يعرف بسراةِ دوس ، ومن قبائلهم في هذا الوقت : بنو منهب ، وبنو فهم ، وبنو علي، وبنو الطفيل (وبالطُّفيل) وآل عَيَّاش ، وسكنت بنو أوس (بنو يوس) الجزء الجنوبي من سراة زهران فيما يُعرف بسراة النمر بن عثمان ، ومن قبائلهم حاليًّا : "بنو كنانة ، وبالخزمر ، وبنو حسن ، وبيضان وبنو عامر". وسكنت بنو سلامان شرقي قبيلة دوس وشمالي قبيلة بني أوس فيما يُعرف حاليًّا بديار بني عُمَر، ومن القبائل التي سكنت ديار بني سلامان من بعدهم: بنو عَدْوَان ، وبنو حُرَيْر ، وقُرَيْش ، وبنو جُنْدُب ، وبنو بَشِيْر. فكانت الغطاريف لها السيادة على بقية قبائل زهران ، لأنها هي التي أسكنتهم تلك البِلاد، لقول الأصفهاني في كتابه الأغاني[1]: "إن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر ابن الصعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم الغطاريف ، وهم أسكنوا الأسد (الأزد) بلد السراة". ولم يبطل تلك الإتاوة إلا عم حاجز بن عوف السلاماني الزهراني ، من قبيلة سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران، اسمه مالك بن ذهل ابن مالك بن سلامان، كان فارسا مهيبا وهو الذي أبطل عادة المرباع التي كانت عليهم لبني عمهم الغطاريف، فلقد غزت بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، الغطاريف فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان ، فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث الغطريفي ، أن يأخذ ربع الغنيمة كما كان يفعل في السابق ، فمنعه مالك بن ذهل السلاماني ، من ذلك ، وفي ذلك يقول حاجز في أبيات له[2]":

---

(١) الأغاني : ١٣/٢١٢، ٢١٣. (ابن سدران).

(٢) انظر : الأغاني : ١٣/٢١٣ .أكرر القول هذا الكلام الذي أوردته ذكرته بعض كتب التاريخ والأدب ، وهي من المصادر الرئيسية في دراسة التاريخ ، لكن مازلنا بحاجة إلى معرفة كتب النسب في هذه الأقوال.(ابن جريس).

أبــي ربــع الــفــوارس يــوم داج وعمــي مــالــك وضــع الســهاما

وعن حرب قبائل الأزد قبيلة خثعم وزحزحتها عن هذه الديار ، يقول ياقوت الحموي في معجمه (٣١٩/١) : "وأقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال السـراة وما والاها جبل يقال له : شـن وجبل يقال له : بارق وجبـال معهما ، حتى مرت بهم الأزد في مسـيرها من أرض سـبأ وتفرقهـا في البلاد ، فقاتلوا خثعما فأنزلوهم مـن جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة : غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد ، فظهر الإسلام وهم أهلها وسـكانها". هذا فيما يخص قبائل زهران التي في السـراة ، أمّا التي في تهامة فلا تخرج عن أصل قبائل سراة زهران المار ذكرها ، حيث آثروا البقاء في تهامة بعد طلوع غالبيتهم إلى أرض السراة كما رأينا سابقًا وهي : قبيلة الشُّعْبَان ، وقبيلة بالمُفَضَّل ، وقبيلة أولاد سـعدي ، وقبيلة آل عبد الحميد ، وقبيلة أحلاف باللَّسْـوَد ، وقبيلة آل سـعد ، وقبيلة الجُـبَّر ، وقبيلة أحلاف دَوْقَة ، ويندرج تحت هذه المسـميات قبائل أخرى ، بالإضـافة إلى مجموعـة قبائل تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة . وكان لقبائل زهران ميناء بحري في قرية دوقة الواقعة على البحر الأحمر ، ذكر ذلك الأسـتاذ : علي السـلوك، نقلاً عن الشيخ عبد المجيـد بن راشـد بن رقوشـ ، رحمهما اللّه ، حيث قال له : إن ابن عائض ، حاكم عسـير سابقًا كلف غامد وزهران بشراء سفينتين ، وقد قاما بشراء سفينتين بمبلغ أربعمائة ريال وربع وثمن ! وقد أبحرتا من ميناء دوقة[1]. وقد تقابلت أثناء زيارتي لدوقة ، في صيف عام (١٤١٤هـ) ، مع أحد أبنائها الطاعنين في السـن، وهو إمام أحد المسـاجد في دوقة ، فذكر لي أنه كانت توجد بالفعل فُرْضَة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود وأن الآمر عليها آنذاك أحـد أبنـاء دوقة ، ويُدعى : صـالح بن عبد اللّه بـن زيلع الزهراني . ويحدثنـا التاريخ أن حكامهم كانوا من أنفسهم حيث حكمهم في العهد الجاهلي أُسَر من قبيلة الغطاريف، بعد اسـتقرارهم على أرض السـراة ، ومالك بن فهم الدوسـي ، قبل رحيله إلى عُمَان ، ثم من بعده آل حُمَمَة ، وقد عرفنا منهم : حممة بن الحارث ، وابنه عمرو بن حممة ، الذي بلغ من العمر قرابة أربعمائة سنة [2]، وهو القائل لدوس بعد ترؤسه عليهم " يا معشر دوس ؛ لقد كلَّفتمـوني ثِقْـلاً ، إن القلب يخلق كما يخلق البدن ، ومَن لكم بأخيكم إنْ كنتم سـوَّدتموني فـإني ألنتُ لكم جانبـي ، وخفَّفْت عليكم مئونتي وتحمَّلت مئونتكـم[3].." ثم انتقل الحكم

(١) المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران : ١٠٢. يا علي ذكرت في هذه السطور عدة مواضيع مثل صلات قبائل السراة بفروعها في تهامة وبخاصة التي تقع عند سفوح جبال السروات الغربية. وكذلك أهمية البحر الأحمر وبعض موانئه التي تخدم سـكان السـراة وتهامة . وللأسـف إن هذه الميادين لم تخدم بحثياً ، ونأمل مـن المؤرخين الجادين من يتولاها بالدراسة والتحليل. (ابن جريس) .

(٢) هذا قول مبالغ فيه . (ابن جريس) .

(٣) لطائف الأخبار وتذكرة الأبصار : ٤٥(ابن سدران) .

قبيل الإسـلام إلى أبي أزيهر الغطريفي ، وبعد ذلك إلى سـعد ابن أبي ذُباب وقيل ذئاب ، والطفيل بن عمرو الدوسـيين رضـي الله عنهما ، ولما جاء الإسـلام جدد رسول الله ﷺ ، الإمرة لسـعد بن أبي ذباب الدوسـي ، على دوس واسـتمر في إدارة دفة حكم القبيلة حتى خلافة عمر بن الخطاب رضـي الله عنه ، أما الطفيل بن عمرو الدوسـي رضـي الله عنه ، فقد آثَر الجهاد في سبيل الله على المشيخة فالتحق بجيوش المسلمين مجاهدًا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، إلى أن استشهد في يوم اليمامة ، في عهد أبي بكر الصديق . رضي الله عنه ، أما في العصـر الأموي ، فلا نعلم عن ولاة دوس أو قبائل زهران الأخرى شـيئًا ، غير أنه من المؤكد أنها كانت تتبع إمارة الطائف، كبقية قبائل الأزد الجنوبية . وفي عهد المهدي العباسـي ، عين عبدالرحمن بن عبد الله بن النعمان الدوسـي على إمرة السراة[١] ، فقتل بعد عام تسعة وستين ومائة في معركة مع أحد أمراء عسير واسمه علي بن محمد[٢] . ومنذ أواسـط القرن الثالث الهجري، سـرى الضعف يدب في جسم الدولة العباسية ، مما أطمع فيها الولاة والحكام، فصـاروا يسـتقلون بالحكم مع احتفاظهم بسـيادة اسـمية للخليفة القابع في قصـره القانع بما يرسل إليه، فكانت زهران كبقية القبائل العربية الأخرى التي انفصـلت عن السـلطة الحاكمة في بغداد ، تُحكم بواسطة شيوخ من أبنائها ، ولا شأن لهم بالحكومة المركزية ، وكانت تلك الفترة مظلمة لا تفصـح عن أحد من حكامهم إلا ما كان من القرون الأخيرة فقد ذكرت الوثائق أن زعامة دوس كانت لشيوخٍ من أسرة آل خضران ، من بني منهب بن دوس من قرية (عَمَضَـان) ، وأسـرة آل الصُّغَيِّر من بني فهم بن غنم بن دوس ، من قرية كانت تسـمى (مَحْظيَّة) . اسمها الآن "الْهَرَّة" وظلوا حكامًا عليها إلى عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سـعود ، وأول شـيخ عُرف من أسـرة قبيلة بني منهب هو : الشـيخ خضـران بن عطية المنهبي الدوسي المعروف بخضران الأول ، كما أن أول شيخ عرف من قبيلة بني فهم هو الشيخ: مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، وقد قتل في أبها مع الأمير العسيري : محمد بن عائض ، سنة (١٢٨٩هـ) ثم انقسمت القبيلة في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سـعود ، إلى خمس قبائل هي : مشـيخةٌ تضم قبائل بني منهب ، وبني الطُّفيل ، وبني علي ، وآل عَيّاش ، في يد شـيوخ آل خضـران من قرية (عَمَضَـان) ، ومشـيخة قبيلة بني فهم ، في يد شيوخ آل الصُّغَيِّر من قرية (الهَرَّة) التي ذكرنا سابقًا أن اسمها كان (محظية) ، وأول شيوخها هو الشيخ : مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي . كما تقدم ، ثم انتقلت مشـيخة بني فهم من أسـرة شيوخ الصغير، إلى أسـرة شيوخ الدَّامُوك

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٨٢/١) . تاريخ الولاية أو الإدارة في بلدان تهامة والسراة خلال عصور ما قبل الإسلام وبعده لم تدرس ومن الموضوعات الجديدة ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيتوله بالبحث والتوثيق(ابن جريس) .

(٢) امتاع السامر بتكملة متعة الناظر ؛ ٩ . (ابن سدران) . هذه المعلومة يجب أن توثق من مصدر أو مصادر مبكرة وليس من مرجع حديث . (ابن جريس) .

الفهمية بقرية (آل خَاجَة) ، وأولهم الشيخ : سعيد بن محمد الداموك ، وشيخهم الحالي هو الشيخ خضران بن فراج بن سعيد بن محمد الداموك ، إثْر وفاة والده الشيخ فراج بن سعيد الداموك ، وفي سنة (١٣٦٦هـ) ، انفصلت كل من قبيلتي بني علي ، وآل عياش ، عن مشيخة قبيلة بني منهب وكونتا مشيختين ، الأولى وهي مشيخة بني علي ، بزعامة أول شيخ لها هو الشيخ فرحة بن علي العلوي الدوسي ، من قرية (رَمَس) سنة (١٣٦٦هـ). ولما توفي أعقبه ابنه الشيخ : عبد ربه ابن فرحة ، والشيخ الحالي هو الشيخ مساعد بن عبد ربه العلوي الدوسي ، مع العلم أنّ القبيلة لمّا كانت تتبع لمشيخة ابن خضران كان لها شيوخ من أبنائها يقومون على رعاية مصالح أفرادها ، عرف منهم الشيخ : الشاطئ بن فايز من قرية (الرّيحان) ، والشيخ سعيد بن عيْفَة ، من قرية (آل عيْفَة) ، والشيخ : مشرف بن حكيم العلوي الدوسي، من قرية (رَمَسْ) ، ثم استقرت المشيخة في بيت الشيخ فرحة بن علي . وترأس على المشيخة الثانية وهي مشيخة آل عَيَّاش بعد انفصالها في العهد السعودي الثالث ، الشيخ : مسفر بن عبد الله العياشي الدوسي ، من قرية (غُدَي) ثم ابنه الشيخ عيسى بن مسفر بن عبدالله العياشي الدوسي، ثم انتقلت المشيخة إلى الشيخ يحيى بن أحمد العَيَّاشي الدوسي، من القرية نفسها، وفي أثناء مرضه كان يدير المشيخة ابنه محمد ابن يحيى العياشي الدوسي ، بينما احتفظ شيوخ آل خضران بقبيلتي بني منهب وبالطفيل ، وشيخهم في هذا الوقت هو : الشيخ عوض بن خضران المنهبي الدوسي، وعندما نشأت الحكومة السعودية الأولى انضمت قبيلة زهران إليها وشاركت قبائل دوس بجيش لغزو جنوب العراق، مع الإمام سعود بن عبد العزيز ابن محمد ، بقيادة الشيخ مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، شيخ قبيلة بني فهم الدوسية . كما شاركت في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في فتح المدينة النبوية بقيادة الأمير أحمد بن عَبْسِي الفهمي الدوسي[١]. بالإضافة إلى مشاركات لحفظ الأمن داخل البلاد قام بها الشيخان راشد بن جمعان بن رقوش الزهراني ، والشيخ مَكّي بن جَمَل الغامدي . وتخلل تلك الحقبة التي كانت دوس تدار بواسطة شيوخ من أبنائها أنْ دخلت دوس وسائر قبائل زهران سراة وتهامة ، تحت شياخة الشيخ : علي القفْعي: من قرية قُرَّا ، إحدى قُرَى قبيلة بيضان بالسراة ، جاء في منشور أرسله الإمام سعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، أحد حكام الدولة السعودية الأولى، إبَّان دخول الحجاز تحت حكم آل سعود ، سنة ألف ومائتين وثماني عشرة هجرية: " وأمير العامَّة علي القفعي ، ولَزْمَتُه[٢] يقوم على الأمراء،

---

(١) انظر لما سبق : كتابنا :بطون قبيلة زهران : يا علي سردت معلومات عامة من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ولا نقول إلا شكر الله لك ، ونأمل أن نرى بعض الباحثين من دياركم أو من أبنائنا طلاب الدراسات العليا فيتولوا هذه النقاط العامة التي أشرت إليها فتدرس في بحوث تفصيلية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) معنى لَزْمَتُه ، واجبه . (ابن جريس) .

فالأمير اللي يقوم بحق الإمارة أجره على الله ، واللي ما يقوم ويعمل بما دبرنا يعزل ويحط يرابط فى الثغر[١]" . ثم حكم مـن بعده القائـد الحربي الأمير : بخروش بن علاس بن مسعود القرشـي الزهراني ، من قرية "الْعُدَيَّة" التابعة لقبيلة قريش ، أسـماه بوركهارت في كتابه : " رحلات في شـبه جزيرة العرب : ٤٠٣ " "شـيخ زهران" . ولما مات مقتولا عام : (١٢٣٠هـ) انتقلت المشـيخة إلى الشـيخ : جمعان بن راشد بن رقوش ، من قرية "بني سار" التابعة لقبيلة بني عامر إحدى قبائل بني أُوس الزهرانية ، عام: (١٢٥٨) ثم إلى ابنه راشد ابـن جمعان بن رقوش، وقد حكما زهران قُرَابة مائة سـنة من عام : (١٢٥٨هـ.١٣٤٨ هـ) [٢]. ثم استقلت بعد هذا التاريخ كل قبيلة بشيوخها لأسباب خلافية .

وقد شـهرت دوس في الجاهلية بثقل مركزها القبلي بين القبائل العربية ، حيث كانت مـن القبائل ذات الجانب المرهوب بين قبائل العـرب ، فغدت بعض القبائل تخطب ودها ، ورغبـت في التحالف معهـا كقبيلة قريش وثقيف العدنانيتـين، أورد خبر هذا الحلف "ابن حبيـب" صـاحب كتاب : المنمق في أخبار قريش (٢٣٣) فقـال: "فلما حالفت قريش ثقيفا قالـت قريشـ لثقيف : نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشـركة في الدار ، فقالت ثقيف : بـل دوسـ تحالفكـم ، فركب عبد يا ليل بن معتب ، ومسـعود بن عمـرو ، وهما من ثقيف ثـم من الأحلاف في نفر حتى أتوا دوسـا فقالوا لهم إن قريشـا طلبـت منا أن ندخلهم في وجّ وأن يدخلونـا في الحـرم ، فأبينـا ذلك عليهم ثـم حالفناهم ، فرغبـوا إلى ما عندكم فأدخلوهـم وليدخلوكم وحالفوهم ، فحالفت دوس قريشـا" . وقبل هذا الحلف وبعده كان رجـال من قبيلـة زهران عقدوا أحلافًا منفردة مع رجال مـن قبيلة قريش ، وذلك لرعاية مصـالحهم بمكة حيث أنهم كانوا كثيرًا ما يقضـون بعض الوقت في مكة المكرمة، فكان لا بد من عقد مثل تلك الأحلاف الفردية لتحاشـي المضايقات من بعض السفهاء . وكان من رجال دوس المشـهورين في الجاهلية حممة بن الحارث الدوسـي ، كان من أسخى العرب، ومطعـم الحاج في مكة المكرمة[٣]، فقد كان يفد إلى مكة وقت موسـم الحج بقافلة محملة بالطعـام ، فيزاحم أعيان قريش وكرماءها على إطعام الحجاج طيلة أيام الموسـم ، وكان من أجمل العرب ، فإذ ما نزل مكة تقنَّع مخافة أن يفتتن به النسـاء أو يصـاب هو بالعين . ذكر ذلك ابن حبيب في كتاب المحبر (٢٣٢) . أمّا ابنه عمرو بن حممة الدوسـي ، حكيم

---

(١) انظر كتاب : بطون قبيلة زهران : ٣٣٠ . (ابن سدران) .

(٢) تخللها سنوات غَزْل يسيرة من قبل الأتراك لأسباب غامضة ، (ابن سدران) . أعتقد يا علي أنها معلومات مبالغ فيها . كما أن القائد بخرُوش بن علاس وكذلك أسـرة آل رقوش تسـتحق أن يفرد لها دراسـات علمية موثقة . ونأمل من أسـاتذة التاريـخ في جامعة الباحـة ، أو بعض المؤرخين الأكاديميين من زهران أن يدرسـوا هذه العناوين في بحوث علمية موثقة.(ابن جريس) .

(٣) انظر : العقد الفريد : (٣/٣٣٦) ، (ابن سدران).

العرب فقد كانت تتحاكم إليه العرب قُرابة ثلاثمائة سنة ، فعن مجالد الشعبي ، قال : " كنّا عند ابن عباس ، وهو في ضفة زمزم يفتي الناس إذ قام إليه أعرابيّ فقال : أفتيتهم فأفتنا قال : هات ، قال : ما معنى قول الشاعر[(١)] :

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا — وما علّم الإنسان إلّا ليعلما

فقالَ لهَ ابن عبّاس : ذاك عمرو بن حممة الدّوسي ، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، فكبر فألزموه السابع أو التاسع من ولده ، فكان إذا غفل قرع له العصا . فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم بوصية حسنة فيها حكم ، تقدم نصها[(٢)] . وقد جمع أبا عمرو : حممة بن رافع الدوسي ، وعمرو بن الظرب العدواني ، مجلس عند ملك من ملوك حمير ، فقال لهما الملك : تساءلا حتى أسمع ما تقولان . ويبدو أن الملك ليس بحاجة إلى تساؤلاتهما لبعض ، ولكنه يريد اختبار فصاحتهما . فقال عمرو لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال عند ذي الرثية[(٣)] العديم ، وعند ذي الخلة[(٤)] الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الهضيم . قال: من أحق الناس بالمقت ؟ قال : الفقير المختال ، والضعيف الصوال، والعي القوال . قال: فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال: الحريص الكاند[(٥)] والمستميد[(٦)] الحاسد ، والملحف الواجد . قال : فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أُعطي شكر ، وإذا مُنع عذر ، وإذا مُوطل صبر ، وإذا قدُم العهد ذكر . قال: من أكرم الناسَ عشرة ؟ قال : من إن قرب منح ، وإن بعُد مدح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضُويق سمح. قال : من ألأم الناس؟ قال : من إذا سأل خَضَع ، وإذا سُئل مَنَع ، وإذا ملك كَنَع[(٧)] ، ظاهره جَشَع[(٨)] ، وباطنه طَبَع[(٩)] . قال : فمن أحلم الناس؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجمل إذا انتصر ، ولم تُطغه عزة الظفر. قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصب عينيه ونبذ التهيُّب دَبْر أذنيه[(١٠)] . قال: فمن أخرق[(١١)] الناس ؟ قال : من ركب الخطار ،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١) والبيت للمتلمس وهو في ديوانه : ٢٦(ابن سدران).
(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١). (ابن سدران) .
(٣) الرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين . (ابن سدران) .
(٤) الخَلّة: الحاجة. والخُلّة: الصداقة. (ابن سدران) . من يدرس كتب التراث يجد هناك الكثير من الحكم والأقوال التي صدرت من رجال يعودون في أصولهم إلى بلاد تهامة والسراة. حبذا أن نرى من يدرس الأقوال السديدة ، والأمثال والحكم التي عرفتها بلاد السراة وتهامة خلال عصور ما قبل الإسلام وبعده. (ابن جريس) .
(٥) الكاند: الذي يكفر النعمة . (ابن سدران) .
(٦) المستميد: المستعطي . (ابن سدران) .
(٧) كنع : تقبض يريد أنه ممسك بخيل . (سدران) .
(٨) الجشع : أسوأ الحرص . (ابن سدران) .
(٩) الطبَعَ : الدنس . (ابن سدران) .
(١٠) يقال : جعلت الشيء دبر أذني إذا لم ألتفت إليه . (ابن سدران) .
(١١) الأخرق : الأحمق . (ابن سدران) .

واعتسف[١] العثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المعهود. قال : فمن أبلغ الناس ؟ قال : من حلى المعنى المزيز[٢] باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزيز . قال: من أنعم الناس عيشًا ؟ قال : من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف. قال: فمن أشقى الناس ؟ قال من حسد على النعم ، وتسخط على القسم ، واستشعر الندم على فوت ما لم يحتم. قال: من أغنى الناس؟ قال : من استشعر اليأس وأبدى التجمل للناس[٣]، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال من صمت فادَّكر، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر. قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخرق مغنمًا ، والتجاوز مغرما[٤]" .

أو تلك المفاخرة التي جرت بين طريف بن العاصي الدوسي ، والحارث بن ذبيان ابن لجا بن منهب، وكلاهما من قبيلة دوس ، عند بعض مقاول حمير ، وما فيها من بلاغة[٥] وبيان . واشتهر من رجالهم في العصرين الجاهلي والإسلامي: جندب بن عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسي (رضي الله عنه) ، كان يقول في الجاهلية: "إنَّ للخلق خالقًا لكني لا أدري من هو" ؟ فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً مِن قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة : فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً[٦]" . اسْتُشْهِدَ بأَجْنَادينَ وقيل باليرموك ، وقال قبل استشهاده وهو يحض الأزد على قتال الكفار : "يَا مَعْشَر الأزد إنه لا ينجو من القتل والعدو والإثم إلا من قاتل ، ألا وإن المقتول الشهيد والخائب من تولى ، ثم أخذ يقول يا معشر الأزد : إنه لا يمنع الراية إلا الأبطال[٧]" . ومنهم " مُعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، رضي اللّه عنه ، كان على خاتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، فاستعمله أبو بكر وعمر رضى اللّه عنهما على بيت المال"[٨]. وهو الذي سقط منه خاتم النبي ﷺ[٩] ، في عهد عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه ، في بئر أريس بالمدينة النبوية ، أراد أن يناوله عثمان وهو جالس على حافة البئر ، فسقط فيما بينهما ، وكان مِنْ حَدِيدٍ

---

(١) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية ، وركوب الأمر على غير معرفة . (ابن سدران) .

(٢) المزيز من قولهم : هذا أمر من هذا أي أفضل منه وأزيد .

(٣) يا سبحان اللّه أقوال وعبارات جميلة في معانيها ومظانها وما تحث عليه . وهذا لا يستغرب فأهل السراة ظهر فيهم الشعراءوالحكماء قبل الإسلام وبعده . ومازلت أقول أن هذه البلاد غنية بموروثها المحتاج إلى جمع ودراسة وتحقيق . (ابن جريس).

(٤) الأمالي للقالي :٢٧٦/٢ العقد الفريد : ١١٧/٢. (ابن سدران) .

(٥) انظر : كتاب : الأمالي ، لأبي علي القالي : ٧٣/١ . (ابن سدران) .

(٦) حياة الصحابة (٢٣٨/١) . (ابن سدران) .

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٣/٢). (ابن سدران) .

(٨) إمتاع الأسماع (٢٣٨/٩) . (ابن سدران) .

(٩) الكامل في التاريخ (٧٥٥/٢) . (ابن سدران) .

مَلْوِيٌّ عَلَيْه فضَّـةٌ[١] . وسـواد بن قارب الدوسـي رضـي اللّه عنه، كان أحد كهان العرب في الجاهلية ، اشـتهر بالكرم أدرك الإسلام فأسلم ، وصحب النبي ﷺ ، وكان شاعرًا ألقى بين يدي الرسول ﷺ قصيدة تعد من عيون الشعر العربي ، وكان له رئي من الجن يزوده بالأخبـار، فلما أسـلم انقطع عنه رئيه ولما بلـغ دوس وَفَاة رَسُـول اللّه- ﷺ - قَامَ حينَئذ فَقَـالَ يَا مَعْشَـرَ الأَزْد ، إنّ منْ سَـعَادَة الْقَـوْم أَنْ يَتّعظُوا بغَيْرهمْ وَمنْ شَـقَائهمْ أَلّا يَتّعظُوا إلّا بأَنْفُسـهمْ وَمَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ التّجَارِبُ ضَـرّتْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسَـعْهُ الْحَقّ لَمْ يَسَعْهُ الْبَاطلُ. وَإنّمَا تُسْلمُونَ الْيَوْمَ بمَا أَسْلَمْتُمْ به أَمْس وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنّ النّبيّ - ﷺ - قَدْ تَنَاوَلَ قَوْمًا أَبْعَدَ منْكُمْ فَظَفَرَ بهمْ وَأَوْعَدَ قَوْمًا أَكْثَرَ منْكُمْ فَأَخَافَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُ منْكُمْ عدّةٌ وَلَا عَدَدٌ. وَكُلّ بَلَاء مَنْسيّ إلّا مَـا بَقيَ أَثَرُهُ في النّاس وَلَا يَنْبَغي لأَهْل الْبَلَاء إلّا أَنْ يَكُونُوا أَذْكَرَ منْ أَهْل الْعَافيَة للْعَافيَة ، وَإنّمَـا كَـفّ نَبيّ اللّه عَنْكُمْ مَا كَفّكُمْ عَنْهُ فَلَمْ تَزَالُوا خَارجـينَ ممّا فيه أَهْلُ الْبَلَاء دَاخلينَ ممّا فيه أَهْلُ الْعَافيَة حَتّى قَدمَ عَلَى رَسُول اللّه - ﷺ - خَطيبُكُمْ وَنَقيبُكُمْ فَعَبّرَ الْخَطيبُ عَنْ الشّـاهد وَنَقّبَ النّقيبُ عَنْ الْغَائب. وَلَسْت أَدْري لَعَلّهُ تَكُونُ للنّاس جَوْلَةٌ فَإنْ تَكُنْ فَالسّلَامَةُ منْهَا: الْأَنَاةُ وَاَللّه يُحبّهَا ، فَأَحبّوهَا ، فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ وَسَـمعُوا قَوْلَهُ" . ولما مات الرسـول ﷺ ، رثاه بالقصيدة التالية :

جلَّـتْ مُصيبتكَ الغـدّاة سـوادُ ... وأرَى المصيبة بعدها تـزدادُ
أبقى لنا فقْدُ النبيّ محمد ... صلَّى الإلـه عليه ما يعتادُ
حزناً لعمرِكَ في الفؤاد مَخامراً ... أوهل لمَنْ فقدَ النبيّ فؤادُ
كُنَّا نحل به جنابـاً مُمْرِعـاً ... جَفَّ الجَنـابُ فأجدبالرُّوَّادُ[٢]
فبكتْ عليه أرضُنا وسماؤُنا ... وتصدَّعتْ وجْدًا به الأكبادُ
كان العيان هو الطريف وحزنه ... باق لعمركَ في النفوس تلادُ
إن النبيَّ وفاته كحياته ... الحقُّ حقٌّ والجهادُ جهادُ
لو قيل تفدون النبي محمداً ... بُذلَتْ له الأموالُ والأولادُ
وتسارعتْ فيه النفوس ببذْلها ... هذا له الأغياب والأشْهَادُ
هذا وهذا لا يرد نبينا ... لو كان يفديه فداه سوادُ
إنّي أُحاذِرُ والحوادثُ جَمة ... أمراً عاصفا ريحه إرعاد

---

(١) البداية والنهاية : (٥/٣٧٧) . كلما وسع الباحث قراءاته في كتب التراث الإسلامي ، وحاول معرفة تاريخ وتراث أرض وسكان السراة وتهامة فإنه بدون شك سوف يجد أعلاماً كثيرين ينتمون إلى هذه البلاد ولهم تاريخ وآثار حسنة . (ابن جريس).

(٢) الجناب : ما قرُبَ من مَحلّة القوم . المُمْرِعُ : يقالُ مرَع المكانُ والوادي مَرْعاً ومَرَعاً وأَمْرَعَ كُلُّه: أخصب وأكلأ ، أنشد للأعشى في اللسان(٦/٤١٨٣) وهو في ديوانه ٢٨٥ . (ابن سدران) .
سَلِس مُقَلَّدُهُ أسيـ ... ـل خَدُّهُ مَرِعٌ جَنَابُهُ

إن حـل مـنـه مـا يـخـاف فـأنـتـم لـلأرض إن رجـفـت بـنـا أوتـاد
لـو زاد قـوم فـوق مـنـيـة صـاحـب زدتم ولـيـس لمـنـيـة مـزداد

توفي رضي الله عنه في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة[١]. وقد اصطدمت قبيلة دوس بقبيلة قريش في حروب عديدة كان منها :

(*)مقتل أبي أُزيهر الدوسي:

كان من حديث أبي أزيهر بن أنيس بن الخيسق بن مالك بن سعد بن كعب بن الحارث بن عبد الله ابن عامر وهو الغطريف بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، أنه كان حليفًا لأبي سفيان بن حرب وكانت دوس أخواله، وكان لا يعرف إلا بالدوسي، فكان يقعد هو وأبو سفيان في أيامهما في قبة لهما فيصلحان بين من حضر ذلك المكان الذي هما فيه، وكان أبو أزيهر قد زوج ابنته عاتكة، أبا سفيان فولدت له محمدا وعنبسة، وزوج زينب بنت أبي أزيهر، عتبة بن ربيعة ، فولدت له ربيعة ونعمان ، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم بن المغيرة، فولدت له وزوج ابنة له أخرى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات، قال وكان بلغ أبا أزيهر بعد ما زوجه وأخذ المهر منه أنه غليظ على النساء يضربهن، فحبس أبو أزيهر ابنته عنه، وأمسك المهر، قال ابن حبيب، وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن بن نعيم الأزدي ، عن أشياخ الأزد أنها هديت إليه ، فلما هديت إليه قال : أنا أشرف أم أبوك ؟ قالت: لا بل أبي ؛ لأن أبي سيد أهل السراة ، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك ، ومنهم من ينازعك الشرف، فرفع يده فلطمها ، فهربت إلى أبيها ، فحلف ألا يردها وأمسك المهر ، ولما حضر الوليد بن المغيرة، الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم : خالد وهشام والوليد ، فقال لهم : أي بني؛ أوصيكم بثلاث : دمي في خزاعة فلا تطلوه، ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقري[٢]عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به. فلما نزل الناس سوق ذي مجاز ، وهو سوق من أسواق العرب ، فنزل أبو أزيهر على أبي سفيان بن حرب، فأتى بنو الوليد ، فسألوه المهر ، فقال : أما وأنتما تحت ظلال السيوف فلا ، فضربه هشام بن الوليد، فقتله، وكان مقتله بعد ما هاجر رسول الله ﷺ ، وانقضى أمر بدر ، وأصيب من أصيب من

---

(١) الروض الأنف (٢/٢١١) . (ابن سدران) . هناك الكثير من الأعلام في ميادين شتى ، وجميعهم من بلدان تهامة والسراة،حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تراجم أولئك الأعلام في الجاهلية والقرون الخمسة الأولى من عصر الإسلام .(ابن جريس) .

(٢) العقر: المهر المدفوع من الزوج للزوجة . (ابن سدران) . الصلات بين أهل مكة وبلاد تهامة والسراة قديمة جداً ، وتلك الصلات في عصور ما قبل الإسلام وبعده لم تدرس في بحوث علمية ، وتحتاج إلى من يدرسها ويوثقها . (ابن جريس).

أشراف قريش من المشركين ، فدعا رسول الله رسول الله ﷺ، حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقال له : يا حسان إنه قد حدث بين المطيبين وأحلافهم شر ، فقل في مقتل أبي أزيهر شعرًا تحرض به المطيبين على الأحلاف[١] ، وانبعث حسان يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه ، فقال في أبيات[٢]:

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة[٣] وجار ابن حرب بالمغمَّس ما يغدو

فلما بلغ قوله يزيد بن أبي سفيان خرج فجمع بني عبد مناف وصاح في المطيبين فاجتمعوا وأبو سفيان بذي المجاز ، قال : أيها الناس ، أخفر أبو سفيان في جاره وصهره فهو ثائر ، فتهيأ يزيد ، واجتمع بهم وبرز بهم ، فلما رأت ذلك الأحلاف اجتمعوا فخيموا قريبًا ، فلما رأي ذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، خرج على فرس له حتى أتى أبا سفيان بن حرب ، فأخبره الخبر ، وكان أبو سفيان حليمًا منكرًا يحب قومه حبًّا شديدًا ، وخشي أن يكون في قريش حرب في أبى أزيهر ، فدعا بفرسه فطرح عليها لبدًا ثم قعد عليه ، وأخذ الرمح ثم أقبل إلى مكة وبها الجمعان، وجعل أبو سفيان بن الحارث يقول في الطريق لأبى سفيان بن حرب : فداك أبي وأمي أحجز بين الناس ، فجعل لا يجيبه إلى شيء حتى قدم عليهم، فوقف بين الجمعين وقد تهيأوا للقتال، فنظر فإذا اللواء مع ابنه يزيد ، وهو في الحديد مع قومه المطيبين ، فنزع اللواء من يده وضرب به بيضته[٤] ضربة هدَّه منها ثم قال : قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشًا بعضها ببعض في رجل من الأزد ؟ لعمري ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم، سنؤتيهم العقل[٥]إن قبلوه، ثم نادى بأعلى صوته: أيها الناس، إن خلفنا عدو شامت.يعني النبي ﷺ ومتى نفرغ مما بيننا وبينه، ننظر فيما بيننا وبينكم ، فلينصرف كل إنسان منكم إلى منزله ، فتفرقوا وأصلح ذلك الأمر ، وبلغ أبا سفيان قول حسان فقال : يريد أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ، فبئس والله ما ظن. وأرسل أبو سفيان إلى مائتي ناقة فعقل بها أبا أزيهر ، ثم بعث بها مع رهط من قريش فيهم ضرار بن الخطاب ، إلى قوم أبي أزيهر بالسراة ، فأتوا بالدية رهط أبي

---

(١) ابن حبيب ؛ المنمق في أخبار قريش : ٢٠٠ . المطيِّبون هم : بنو هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر. والأحلاف هم : بنو عبد الدار بن قصي ، وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو جمح بن عمرو ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب . انظر المصدر السابق : ٢٠٠ .

(٢) ديوان حسان :٩١ . (ابن جريس).

(٣) حضني: مثنى حضن وهو الجانب والناحية ، بسحرة : السحر بفتح السين : الفجر . المغمس : جبل شرقي عرفات ،وقيل: المحصَّب(ابن سدران) .

(٤) البيضة : غطاء على الرأس يتلقي به الفارس الضربات . (ابن سدران) . كان في الجاهلية حروب وصراعات بين قريش وبعض قبائل السراة ،وكان أيضا بينهم صلات اقتصادية واجتماعية . وكل هذه الموضوعات لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لأبحاث أكاديمية أو رسائل علمية. (ابن جريس) .

(٥) العقل :الدية . (ابن سدران) .

أزيهر ، فقبلوا منهم ، ثم أمهلوا حتى إذا أرادوا الانصراف شدت عليهم الغطاريف، وهم أهل الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف والنمر ودوس، فقتلوا بعضهم ونجا بعضهم، فهرب ضرار بن الخطاب واستجار بامرأة من دوس يقال لها أم غيلان، فأدخلته منزلها وأجارته وأقبلت الأزد، فلما رأتهم أخرجت بناتها حسرًا دونه، فلما جاءت دوس تطلبه قالت: إني قد أجرته وحرماتكم حسر دونه، فإن شئتم اهتكوا الستر واستحلوا حرمته، فتركوه لها، فانصرف وهو يقول في أبيات:

جزى الله عنا أم غيلان صالحًا فهن ونسوتها إذ هن شعث عواطل
دفعن الموت بعد اقترابه دعت دعوة وقد برزت للثائرين المقاتل
دوسًا فسالت شعابها برجل وأردفها الشروج القوابل[١]

وعلم حسان بن ثابت رضي الله عنه بالأمر، وخشي أن تسكت دوس بعد أخذ الدية، فقال يحرضها على قريش:

يا دوس إن أبا أزيهر أصبحت أصداؤه رهن المضيَّح فاقدحي[٢]
حرباً يشيب لها الوليد فإنما يأتي الدنية كل عبد نحنح[٣]
وابكي أخاك بكل أسمر ذابل وبكل أبيض كالعقيقة مصفح[٤]
وبكل صافية الأديم كأنها فتخاء كاسرة تدف وتطمح[٥]
وطمرَّة مرط الجراء كأنها سيد بمقفرة وسهب أفيح[٦]
إنَ تقَتلوا مائة به فدنية بأبي أزيهر من رجال الأبطح[٧]

فهيج هذا القول دوساً ، وتنادوا لأخذ الثأر ، فأغاروا على قريش ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جعلوا يترصدون عيرهم ، فيقتلون من قدروا عليه حتى رضوا منهم، وفرضوا عليهم إتاوة ديناراً في كل قتب ، فرضوا بذلك ، وقال شاعرهم الدوسي يرد على حسان بن ثابت :

ألا أبلغا حسان أعني ابن ثابت بأنا ثأرنا من قتيل المضيَّح

---

(١) الشروج : الفرق ، واحدها الشرج على وزن القبر. (ابن سدران) .
(٢) اقدحي: أثيري. (ابن سدران) .
(٣) النحنح : اللئيم . (ابن سدران) .
(٤) العقيقة : البرق وسط السحاب كأنه سيف مسلول. المصفح : العريض الممال . (ابن سدران) .
(٥) فتخاء : عُقاب ، وفي البيت إقواء . (ابن سدران) .
(٦) الطمرة بكسر الطاء والميم والراء المشددة المفتوحة : السريعة ، يصف الفرس ، ومرطى الجراء: سريعة . السيد: الذئب ، السهب : الفلاة . الأفيح : الواسع . (ابن سدران) .
(٧) الأبطح : مكة ، وانظر الأبيات في ديوان حسان : ٤٥ . (ابن سدران) .

ثلاثين من أبناء فهر بن مالك — وعشرين إلا واحدًا لم يتيَّح
تركنا سراة الحي تيمًا وعامرًا — وسهمًا ومخزومًا كشاء مذبَّح[١]
ولا بد من أخرى على أبطحيهم فدونكها — تقر بها عين الشجي المدبَّح[٢]
يا ابن الفريعة شزبًا — شماطيط أمثال القطا المتروح[٣]
تُنسِّي هشام بن الوليد ورهطه — سخينة بيع الأتحمي المسيَّح[٤]

وتذكر بعض المصادر أن بعضًا من قبائل الأزد شاركت قبيلة دوس في حربها لقريش مكة ثأرًا لأبي أزيهر الدوسي ، ومن تلك القبائل قبيلة بارق ، لقول شاعرهم سراقة الأكبر بن مرداس معددًا بعض مَن قتلوهم من صناديد قريش بأبي أزيهر :

لقد علمت بنو أسد بأنا — تقحمنا المشاعر معلمينا[٥]
تركنا بعككا وابني هشام — وحربًا والمسيب إذ لقينا
وعوفًا بعده العوام رهنًا — ولم نك من قريش أوجرينا[٦]
تركنا تسعة للطير منهم — بمكة والسباع مطرحينا
فلما إن قضينا الدين قالوا — نريد السلم قلنا قد رضينا
وضعنا الخرج موصوفًا عليهم — يؤدون الإتاوة آخرينا[٧]
لنا في العير دينار مسمى — به حز الحلاقم يتقونا
ولولا ذاك ما جالت قريش — شمالاً في البلاد ولايمينا

فلم يزل ذلك عليهم يؤدونه إلى الأزد ، حتى ظهر النبي ﷺ ، وطرحه فيما طرح من سنن الجاهلية . وقد جرى بين قبائلها أي (قبائل دوس) في العصر الجاهلي حروبٌ أهلية ، من أهمها حربان هما "يوم حضِرَة" ، ويوم "ثُروق" ، أعرضنا عن ذكر تفاصيلها خشية الإطالة . ومن شعرائهم وأدبائهم : في الجاهلية : مالك بن فهم الدوسي ، وولده

---

(١) سراة الحي : أشرافهم . (ابن سدران) .

(٢) المدبح : الذليل . (ابن سدران) .

(٣) الفُريعة: أم حسان بن ثابت . الشزب : الخيل الضمر. شماطيط : فرقاً . القطا : جمع القطاة ، وهي طائر في حجم الحمام . المتروح : السائر في العشي . (ابن سدران) .

(٤) السخينة : طعام كانت تتخذه قريش من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، تأكله في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وكانت تعير به . انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣٨/١) . والأتحمي : ضرب من البرود ، والمسيح من الثياب: المخطط . (ابن سدران) . التاريخ الأدبي في أرض السروات في الجاهلية وصدر الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس حبذا أن يتصدى لهذا الموضوع أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد . (ابن جريس) .

(٥) المشاعر: مكة . معلمينا من أعلم نفسه إذا وسمها بسيماء الحرب. (ابن سدران) .

(٦) أوجرين : خائفين . (ابن سدران) .

(٧) الإتاوة : نوع من النكال كالجزية. (ابن سدران) .

سليمة، وعمرو بن حممة الدوسي، حكيم العرب، وكهمس بن شُعيب الدوسي، ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين، وقال عنه: عاش أربعين ومائة سنة[١] وغيرهم. أمّا في الإسلام فمنهم: عدي بن وداع العقّي رضي الله عنه، واسم العقّي منقذ بن الحارث، وقيل الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران[٢]. وكعب بن معدان الأشقري، من ولد سعد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله ابن زهران، له قصائد تعد من غرر القصائد العربية[٣]. ووهب بن جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله ابن شجاع الجهضمي. من ولد مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران الأزدي، له أرجوزة طويلة في وصف طريق الحج من البصرة إلى مكة المكرمة[٤]. ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْن دُرَيْد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامى بن جرو بن وهب بن وَاسع بن سَلمَة بن حَاضر بن حنتم بن ظَالم بن حَاضر بن أسد بن عدى بن عَمْرو بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بْن عبدَ الله بن زهران بن كَعْب بن الْحَرْث بن كَعْب بن عبد الله بن مَالك بن الازد بن الْغَوْث[٥].. ورد عن السمعاني (٣٤٣/٥) قوله فيه: "كان يقال هو أعلم الشعراء وأشعر العلماء"، وجاء في كتاب "معجم الشعراء العرب": من أئمة اللغة والأدب، قال عنه صاحب مصنف: الوفيات والأحداث (٧٦): إمام اللغة وشيخ الأدب، سلفي، له ثناءٌ على أهل الحديث" كما قال عنه القفطي في كتابه "المحمدون من الشعراء وأشعارهم (٦١)": الإمام، العلامة، اللغوي، الإخباري، الفاضل، الكامل، الشاعر، شيخ المشايخ، فريد الوقت، نادرة الدّهر، إمام الأمصار". من تصانيفه: الجمهرة في اللغة، اشتقاق أسماء القبائل، أدب الكاتب، المقصور والممدود، وغريب القرآن لم يكمل[٦]. له ديوان شعر، حققه: محمد بدر الدين العلوي. ومنهم اللغوي البارع: علي بن حسن الهنائي، الملقب: "كراع النمل" صاحب كتاب: "المنجَّد" في اللغة[٧]، وغيره من المصنفات اللغوية المفيدة. ولو ذهبنا نعدد علماءهم وأدباءهم في اللغة والشعر في الجاهلية والإسلام لضاق بنا المجال لكثرتهم، وما أوردناه يكفي للتعريف بهم.

---

(١) السجستاني: المعمرون والوصايا: ٢٩. (ابن سدران).

(٢) القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران. ١٧٥. (ابن سدران). إن تاريخ الأدب والشعر والشعراء في سروات غامد وزهران قبل الإسلام وبعده من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل من أساتذة اللغة في جامعة الباحة أن يتولوا هذا الموضوع بالبحث والتوثيق. (ابن جريس).

(٣) المصدر نفسه. ٢١١. (ابن سدران).

(٤) المصدر نفسه. ٢٧٥. (ابن سدران).

(٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (١١٥/١). (ابن سدران).

(٦) معجم المؤلفين. (١٨٩/٩). (ابن سدران).

(٧) البحث اللغوي عند العرب. (٢٨٩/١). (ابن سدران).

وكانت لهم عدة ممالك في الجزيرة العربية وخارجها ، فكانت لهم مملكة في القطر العُمَاني بزعامة مالك بن فهم الدوسي ، أسسها في ذلك القطر إبان رحيله إليه، وأخرى في الحيرة من أرض العراق ، بزعامة ابنه جذيمة بن مالك بن فهم الدوسي، الملقب بالأبرش أو الوضاح ، لبرص كان به ، وثالثة في أرض فارس ، بزعامة ابنه سَليمة بن مالك بن فهم الدوسي ، أسسها بعد أن رحل إلى "مكران" من أرض فارس عقب قتله والده مالك بن فهم ، بطريق الخطأ ، وذلك خوف بطش إخوته به ، ورابعة في العهد الإسلامي بتهامة زهران ، بزعامة سلاطين من قبيلة بني سُليم الدوسية القاطنة في الجزء التهامي الزهراني ، وهم يعودون في قبيلة دوس ، حيث كان يتصدر اسم الحاكم منهم عبارة "السلطان بن السلطان" . وتعد قبيلة دوس في العصر الجاهلي من القبائل المتحضرة ، إذ كان لها قرية كبيرة تسمى: "ثُرُوَق" في وادي ثروق الحالي ، التي ذكر ياقوت الحموي في معجمه وجود منبر فيها ، والمنبر في العادة لا يكون آنذاك إلا في القرى الكبيرة ، وهو مُعَدٌّ للخطابة وإعلان الحرب ، أو إقرار السلم ، وخلع الصعاليك، وكتابة العهود والمواثيق والأحكام التي تتخذها القبيلة ، يفد إليها العرب من كل مكان للتحاكم على يد حكيم العرب : عمرو بن حممة الدوسي ، ولتأدية الطقوس الوثنية عند صنميها الشهيرين (ذي الخلصة ، وذي الكفين) ، وللتسوق في سوق تلك القرية الجامعة المسماة سوق (سُلَيم) . التي كانت تعقد في السنة مرتين فقط ، لمدة ثلاثة أيام الأولى في عيد الفطر والثانية في عيد الأضحى. وفي الجانب الغربي من تلك السوق التاريخية، تحت شجرة عظيمة تسمى: "الرُّقَّاعَة" يوجد حجر كبير مستو رسم عليه خطوط لعبة (القَطْرَة) المسماة في اللغة (القِرْق) لا تزال تشاهد بوضوح على ذلك الحجر إلى وقتنا الحالي، وحوله حجارة كالمقاعد ربما وضعت للمتفرجين على اللاّعبَيْن الاثنين وهما يلعبانها ، وكل واحد منهما يلعب بتسعة أحجار ،كل حجر أكبر من الحِمَّصَة . ويطلق عليها أم تسع، وهناك الصغيرة وتسمى "أم ثلاث" لأن كلاً واحد من اللاعبين يحمل ثلاثة أحجار يلعب بها، جاء في لسان العرب (٣٢٢/١٠) : "وَمِنْ كَلَامِهِمْ : "استوىَ القِرْقُ فَقُومُوا بِنَا أي اسْتَوَيْنَا في اللَّعب فَلَمْ (يَقْمُرْ) وَاحِدٌ مِنَّا صَاحِبَهُ""[1]. وَمِن أسمائها كما ورد في كتاب : "تاج العروس" ١١/ ٥٣٠ " : "السُّدَر". إلاَّ أنها مشهورة في زهران باسم : "القَطْرَة". ومما يدل على تحضر قبيلة دوس وبقية قبائل زهران الأخرى في العصر الجاهلي، وأخذها بأسباب الاستقرار تلك الوثائق المسماة (الشَّدَّات) الوثائق المنظمة للأسواق الأسبوعية المنعقدة في كل قبيلة وأمور الناس الاجتماعية الأخرى ، فقد

---

(١) هي ليست بقمار حتى يُقال هذا القول بعاليه ، فلا جُعل فيها ولا بين اللاعبين شرط ، وإنما هي موضوعة للتسلية لا غير ، ولو قال : " فلم يغلب واحد منا صاحبه " . لكان صواباً. (ابن سدران) . أشكرك يا علي على هذا السرد التاريخي ، وهذا مما يؤكد على أن أرض تهامة والسراة لها تاريخ قديم ومتنوع ولكنه للأسف ضاع لعدم تدوينه ، ومازال منه النزر اليسير متناثر في كتب التراث الإسلامي . (ابن جريس) .

أعطت لكل حادثة حكمًا جزائيًّا، لردع المعتدي في تلك الأسواق، أو الطرق المؤدية إليها، وبسطت الأمن في ربوع ديارها ثلاثة أيام لرواد الأسواق، بحيث يأمن المرء على نفسه، وعلى بضاعته ومشترياته فيما يسمى (بعقود السوق) وعقود السوق تشمل حماية من يدخل قبيلة راعية السوق التي تُعقد في حماها، وتأمين الطرق المؤدية إليها، فجعلت يومًا قبل يوم انعقاد السوق، بحيث يستطيع المرء المبيت في السوق بتجارته، أو في أحد البيوت المجاورة دون أن يعترضه أحد، حتى ولو كان غريمه أحد أفراد قبيلة صاحبة السوق، فله حرية السير في طرق السلطان، حتى يصل إلى السوق بأمان تام، ويوم انعقاد السوق، بحيث لو قابل الرجل قاتلَ أبيه وسط السوق فلا يعترض سبيله، ويومًا بعد يوم انعقاد السوق، وذلك لتأمين طريق عودة المتسوقين إلى ديارهم وهم آمنون. جاء في شدتي (وثيقتي) سوقي (الخميس والثلاثاء) بقبيلة بني فهم الدوسية، الأولى كانت تعقد بقرية (آل نعْمَة) والثانية ببلدة (برَحْرَح) وكلتا القريتين من قُرَى قبيلة بني فهم: " وكنَّهُم (وكأنَّهم) مع المبلي حيال يد واحدة والبالي غرازه حُوَّب[1] أذنه، وكنَّ (وكأنَّ) الأَخ ما يؤخذ في جُرم أخيه، ولا الوَلد يؤخذ في أبيه، ولا (ابن) العم يؤخَذ في جرم ابن عمه، وكنَّهُم دخلوا بني فهم في عقود سوق الخميس وسوق الثلاثاء، بني فهم من حُضْوَة إلى سَيْحَان، ويوم الخميس لبني فهم آمن ضامن، من صبح يومه إلى صبح الجمعة، وكنَّ يوم الثلاثاء لبني فهم آمن ضامن، من صبح يومه إلى صبح الربوع، وباقي عقد الخميس بين أهله، وباقي عقد الثلاثاء بين أهله، وكنَّ شدَّات السوقين البندقة إلى ناضت[2] بلا سبب، ففيها عشرة ريال وأربعون معزِّرة[3] وإن آسَتْ[4] فعتبها مثل نَصّ ما يحكم به الشرع[5]، وإن حصل منها موت فنَقَا بالمفتعل، والجنبيَّة إلى سُلَّت بلا ساية، فعليها ثلاثة ريال وعشرون معزِّرة، وإنْ حصل منها سبب فعتبها مثل عطَبَها، والحجر و(العصاة) إلى ضُرب بها، عتبَها مثل عَطبها، ومعزِّرتها عشرون، والسوق من المكتفلات.. [6]". وجاء في شَدَّة (وثيقة) سوق الخميس التي كانت سوقًا جامعة لقبائل بني عُمَر ببلدة الأطاولة بسراة

---

(١) حُوَّب: مصطلح محلي له عدة معاني، وهو هنا بمعنى يخص نفسه. (ابن سدران).

(٢) قوله: "ناضَت" أي أُطلقَت. (ابن سدران).

(٣) قوله "المُعَزِّرَة" هم من يقومون بأخذ العَزير من المتعدِّي، والعَزير لهجة محلية يقصد بها التغريم، وهو بخلاف التَّعْزِير، فالتعزير حكم شرعي يحكم به القاضي على المعتدي فيما دون الحدود الشرعية أمَّا العزير فهو عُرْف قبلي يحكم به العَارِفَة على من يعتدي على غيره في نفسه وأهله أو أملاكه، وصورته: إمَّا يدفع للقبيلة دراهم معلومة أو يذبح لهؤلاء المعَزِّرَة كبشًا أو أكثر أو ثورًا، والجرم يقرر مقدار التعزير.

(٤) أي جرحت.

(٥) يوجد الكثير من الوثائق الحديثة في أيدي الأسر والأفراد في بلاد تهامة والسراة. ومثل هذه المصادر مهمة فيجب جمعها وحفظها وتشجيع دراستها وتحليلها. (ابن جريس).

(٦) انظر: بطون قبيلة زهران: ٤٧٦. (ابن سدران).

زهران : "ومن الشروط الذي بينهم فإنه آمن ضامن بأمن الله و(أمن) أهله : الجارم الرقبة وغرق اليد ، وإن شرط هذا السوق من ظُهر نهار الربوع إلى ظُهر نهار الجمعة ، وإن في (الهوشات) أن في الحجر شاتين، وإن أخطأ ففيه شاة . وأن في مَشْقَة الجنبية شاة ، وإن ضرب بها وسال الدم ففيها ثور . وإن المشعاب والعصا إلى ضُرب بها ففيها شاة، وإن سال الدم ففيها شاتان ورضا المضروب. ونكسة العود فيها شاة. واللطمة فيها شاتان.. [(١)]" . وجاء في شَدَّة (وثيقة) سوق ربوع الصفح بقرية الصَّفْح التابعة لقبيلة بالخزمر ، إحدى قبائل بني أوس بسراة زهران : "وإن ما يقع في العقود إنه في وجه الكفلاء[(٢)]، المثل بمثله في الرقاب والمال برأسه أو مثله، والسَّاية في الأجنبي[(٣)]، إن كانت من الأحلاف فنذر الشريعة وعزير أربعين من الكفلاء ، والرقاب فيها النَّقَا[(٤)]، وإن كانت من أجنبي في أجنبي ، فكلٌّ يقوم بقبيله حتى ترتفع البيض ، ولا منهم من (يذخر) قبيله ، وإنهم حيالٌ على المفتعل وإذا كان عدوًّا فالبلاد والسوق مفروشة للسَّبَّاب ولا قبيل يحوطه حتى تطلع البيض من السَّبَّاب ، ولا عليهم (لُغَا) إلا بما ذكر ، وهوْشَة السوق ما فيها مَعَصِّب[(٥)]، والمُعَصِّب مثل الفاعل شرطهما واحد ، والجنبيَّة إذا سُلَّت في السوق ولم تُكَوِّن[(٦)] فعزير أربعين، وإن كَوَّنَت فنذر الشريعة وعزير ستين ، ومن ضرب بالعصا فعزير أربعين ، ومن شال الحجر ورمى به ولم يصب فعزير عشرين ، وإن أصاب فنذر الشريعة وعزير أربعين ، إلاَّ الفارع إذا ضَرَب بالعصا فلا عليه وجه، إلاَّ أن يُستحانّ منه ، فعليه يمين ما عَصَّبْت ، وإنّ ما يلحق المفتعل[(٧)] في السوق إنّ ما فيه وجه من الكفلاء وأنه يستحق ما (جاه) في هوشة السوق وأمَّا النقا في الرقَبَة فلا فيها إلاَّ الجارم .. [(٨)]" . كما خصصت لجنة من أفراد القبيلة صاحبة السوق ومن مهامها الإصلاح بين المتخاصمين، وفض المنازعات التي قد تحدث في محيط السوق ، والإشراف على مكاييل وموازين الباعة ، بعد أن فرضت

---

(١) بطون قبيلة زهران : ٥٧٥ . (ابن سدران) .

(٢) لكل سوق هيئة تشرف عليها يسمون الأمناء أو الكفلاء . (ابن سدران) .

(٣) قوله: الساية في الأجنبي ؛ أي التعدي على الأجنبي، والمقصود بالأجنبي كل مَن هو من غير أفراد القبيلة صاحبة السوق. (ابن سدران).

(٤) "النَّقَا" : حكم قبلي وهو : القصاص لا غير ، فمن قَتَل لا بد أن يُقْتَل في الشريعة أو الطبيعة كما يسمونها ، لكن "النقا" في عرفهم حكم جائر ، ويأتي جوره من أنهم إذا لم يتمكنوا من القاتل إمَّا لمَنَعَته أو هربه أو موته، فلا بد أن تُعَيِّن قبيلته أحد أفرادها لتقتله قبيلة المقتول ، وغالبًا ما يكون خامل الذكر في قبيلته أو ممن لا يستفاد منه . والغريب أن هذا الضحية لا يعلم بما دُبِّر له ، وتُسَهِّل قبيلته الطريق لقتله . (ابن سدران) .

(٥) المُعَصِّب هو المنحاز إلى أحد المتقاتلين بقصد نصرته . (ابن سدران) .

(٦) قوله: "تكوّن أي تجرح . (ابن سدران) .

(٧) قوله : المفْتَعِل ؛ أي البادئ بالقتال فهو ليس في وجه الكفلاء ، ولا له حق المطالبة بأرش ما أصابه ، ومثل ما تقول العامة : يلحس دَمَه .. (ابن سدران) .

(٨) بطون قبيلة زهران : ١٧٢ . (ابن سدران) .

عليهم توحيدها لتطابق ما لدى تلك اللجنة . فإن تطابقت معها تركوها له ، وإلاَّ أنذروا صاحبها بعدم استعمالها في ذلك اليوم ، وعليه أن يعمل على مطابقتها بما لدى اللجنة، وإن هبط بها السوق في الأسبوع القادم وهي ناقصة كسروها أمام رواد السوق، ومما يجب التنبيه عليه هو أن تلك القوانين المنظمة للأسواق الأسبوعية ، مأخوذة من القانون العام ، المعمول به بين قبائل زهران كافة ، إلى جانب عملهم بقانون الشريعة الإسلامية الغراء ، فقد عثرنا على نظام متكامل يشبه قانون الأحوال الشخصية ، يسمى (الست اللوازم[١]) ، ويقصد بالست اللوازم في مفهوم القوم : هي ما يَلزم الوفاء بها ، واللوازم الست التي التزموا بها وناصروها في هذا القانون المكتوب هي حماية الرَّحِيمُ، والحِلْفُ، والسَّدِيْدُ، والجَارُ، والزَّادُ، وفي بعض النسخ: القصبة المربوعة، وهي الديرة التي تخص القبيلة ، وفي بعض النسخ : والضَّيْفُ . بدل القصبة[٢]. ثم وضعوا لكل لازمة من تلكم اللوازم الست في حال ارتكابها جزاءات بدنية وغرامات مالية ، وعندما بدأوا في تطبيقها ظهرت لهم لوازم أخرى ، فأوصلوها إلى عشر لوازم ووضعوا لها أيضًا عقوبات وغرامات مناسبة ، أوضحتها في كتابي : (بطون قبيلة زهران) . ولعلي أنشرها بتوسع في بعض مؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس[٣]، وفيما يلي أمثلة لبعض ما وضعوه لتلك اللوازم من عقوبات وغرامات . ولنبدأ بالحلف الذي يتم بين الأفراد أو القبائل فقالوا عنه : والحِلْفُ أَقْوَى لاَزِمَة ، وَإِنَّ الحِلْفَ وَالشُّرَكَاءَ الذِّيْنَ بَيْنَهُمْ شَدَّةٌ وَإلاَّ كِتَابُ حِلْفٍ إِنَّهُمْ مُلْزَمُوْنَ بِمَا فِي شَدَّتِهِمْ[٤].

وقالوا عن السديد ، وهو الرفيق في الطريق :وَفِي عُرْضَةِ السَّدِيْدِ مَعَ سَدِيْدِه سَبْعَةُ رُوْس مَطَابِيْق للْقَائِم بهَا، وَرَاسَان تَقْدَى ثَوْبَ الرَّوْعَة بَيْنَ السَّدِيْد وَالمُسَدِّ برضَا السَّبَّاب[٥]. وقالوا عن الجار المَجاور : وَالجَّارُ لاَ فيْه فَكَّة ، وَلاَ لَكَ منْهُ نَجَاة ، فَلاَ يَسْلَمْ جَارُهُ منْهُ إلاَّ بَعْد يَبْدِي بِهِ السُّوْق ثَلاَثَ مَرَّات ، مِنْ ثَلاَثَةِ أَسْوَاقٍ ، وَيُنَفِّرُ دَبْشُهُ[٦] ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِن مَرَاحِهِ

(١) أوردنا لها بحثًا في كتابنا : بطون قبيلة زهران ، من صفحة : ٣٨ إلى صفحة ٧٣ . (ابن سدران) .

(٢) ليست بلاد زهران الوحيدة التي تمتلك مثل هذه الوثائق وإنما توجد مثل هذه الأنظمة والأعراف عند عموم قبائل تهامة والسراة . وقد جمعنا مئات الوثائق الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية خلال الأربعين سنة الماضية ، ومعظم تواريخها منذ القرن العاشر الهجري . (ابن جريس) .

(٣) نحن على استعداد لنشر بحوثك يا أستاذ علي بن سدران ، وذلك لما تمتاز به من الدقة والرصانة ، ونأمل أن تواصل جهودك أيضاً في دراسة الكثير من الموضوعات الجديدة والمتعلقة بأرض وسكان غامد وزهران. (ابن جريس).

(٤) الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاَّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران) .

(٥) إذا أحد اعترض السديد وهو يمشي مع سديده ، فللسديد من معترضه سبعة روس جديدة من القماش ، ويلحقها رأسان تقسم بين السديد وسديده لقاء الروعة التي لحقت بهما. (ابن سدران) .

(٦) أي أن الجار ملزم بجاره لقرابة الإسلام وقرب الدار من الدار ، إلا أن ينفد صبره من أفعاله السيئة ومضايقاته المتكررة له ولأهل بيته وجيرانه ، ولكي يكون في حل منه أمام القبائل فعليه أن يعلن ذلك للملأ من على شرفات ثلاثة أسواق ، ثلاث مرات متتاليات ، وبعدها يطرد . (ابن سدران) .

، وَتُكْسَرُ تَوْرَتُهُ[١] . وَبَعْدَهَا مَا عَلَى الْمُتَجَوِّرِ سُبَّةٌ[٢] . وقالوا عن الزَّاد: وَإِنَّ مَنْ تَمَتَّعَ فِي قَرْيَة بِمَتَاعٍ وَخَرَجَ مِنْهَا وَذُبِحَ، فَإِنْ كَانَ ذُبِحَ فِي دِيْرَةِ الْقَرْيَةِ فَتَلْزَمُهُمْ لاَزِمَةٌ فِي الزَّاد وَالْبِلاَد[٣]. وَإِنْ قُتِلَ فِي غَيْرِ بَلَدِ الْقَرْيَةِ الَّذِي تَمَتَّعَ فِيهَا ، فَإِنَّ اللاَّزِمَةَ عَلَى أَهْلِ الْبِلاَد[٤] . وقالوا عن القصبة ، وهي الديرة المربوعة : وَفِي وَطِيَةِ الدِّيَرَةِ الْمَرْبُوعَةِ الْمَرْفُوعَةِ لَوْ طُرِدَ فِيهَا قَوْمٌ وَلاَ وَقَعَ بَيْنَهُمْ سَايَةٌ ، فَعَلَى كُلِّ رَجَّالٍ مِنْهُمْ نِصَفْ رَاس[٥] . وقالوا عن الضيف إِنْ بَارَ الضَّيْفُ فَتُكْسَرُ صَحْفَتُهُ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا مِنْ عِرَاقِ السُّوقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ يُعْتَبُ الذَّمِيمُ ثُمَّ يُعْتَبُ الْجَارُ ثُمَّ يُعْتَبُ السَّدِيْدُ، وَإِذَا بَارُوا كُلُّهُمْ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ بِأَسْمَاءِ الْكِلاَب[٦] . وقالوا عن السوق : وَالسُّوقُ مِنَ الْمُكْتَفَلاَتِ عَنِ الذِّمَّةِ ، وَعَنِ الضَّيْفِ ، وَعَنِ الْجَارِ ، وَعَنِ السَّدَادِ ، وَعَنِ الطَّوِيْلَةِ وَالْقَصِيْرَةِ . وَالسُّوقُ يَكْفُلُ مَنْ يَهْبِطُهُ وَيَصْدُرُ مِنْهُ وَيُصِيبُهُ آتِيه .

حتى الحصن المبني في أي مكان من أرض القبيلة ، إذا ما تجرَّأ الأعداء وهدموه أو شبوه (أحرقوه) فإن له عقوبة رادعة فقالوا : وَفِي الْحِصْنِ السَّامِي إِذَا هُدَّ أَوْ شُبَّ، أَنَّ فِيهِ أَرْبَعَ رِقَاب ، وَإِلاَّ يُبْنَى بِحَصَى مِنْ غَيْرِ حَصَاه[٧] ، وَيُزَادُ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ذِرَاعٌ[٨] . وتطرقوا في هذا القانون المسمى : (الست اللوازم) إلى بعض الأفراد في المجتمع ممن اعتبروهم

---

(١) التَّوْرة : وعاء يشبه القدر مصنوع من الفخار المحروق يُصنع فيه الطعام . وهي عربية فصيحة ففي حديث أنس (رضي الله عنه): فصنعت أمّي أم سُليم حيسًا فجعلته في تور . صحيح مسلم برقم : ٢٥٧٢ . ويقصد بالمتجور مُجير الجار .الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران) .

(٢) أي ما على جاره ملام فيما يفعل بجاره بعد أن يبلّغ بقبيح فعله هُبَّاط السوق ثلاث مرات من على شرفات ثلاثة أسواق ، ويقال في المثل الشعبي : للجار سبع زلات . وإذا تعدى بعد ذلك تبرأ منه جاره بالطريقة التي وردت في النص . (ابن سدران) . من يقرأ مثل هذه الوثائق المحلية يجدها تعكس عدة جوانب مثل : (١) صور من التاريخ الاجتماعي لأهل البلاد . (٢) مستوى اللغة أو اللهجات المستخدمة في هذه الوثائق . (٣) قدرة أهل البلاد على إيجاد أنظمة وأعراف تسير حياتهم وتعايشهم مع بعضهم البعض. (ابن جريس) .

(٣) أي في زادهم الذي أكله لأن الزاد لازمة من الست اللوازم ، وفي بلدهم الذي قُتل فيها فإن القصبة وهي الديرة لازمة من اللوازم الست ... (ابن سدران) .

(٤) التي قُتل فيها ... (ابن سدران) .

(٥) لقاء ما أحدثوه من بلبلة وتشويش . ولأنها ليست بمكان قتال .. (ابن سدران) .

(٦) أي إذا تجاوز الضيف حدوده يُشْكى إلى كل هؤلاء قبل اتخاذ قرار بشأنه ، فإن عجزوا عن إقناعه بالعدول عن غيِّه ، فعندئذ يُكسر الماعون الذي صُنع له فيه الطعام وهي الصَّحْفَة . وتقدَّمَ أيضًا كسر الإناء الذي عُمل له الطعام فيه وهي التَّوْرَة أيضًا ، للدلالة على البراءة منه ، ومن بعد ذلك فلمن له الحق عليه النيل منه ، وإن لم يقم كل هؤلاء بردع الضيف عن غوايته ومالوا إلى جانبه ، فيحق بحقهم مناداتهم من على السوق بأسماء الكلاب إهانة لهم . (ابن سدران) .

(٧) أي أن الحصن المبني ، إذا هدمه قوم أو أحرقوه ، ففيه نقا بأربع رقاب من أبناء القبيلة التي أقدم بعض أفرادها على هدمه أو إحراقه ، ولا تنازل عن نقا القتل إلاّ أن تتعهد القبيلة الفاعلة ببنائه بحصى غير حصاه التي بني بها ... (ابن سدران) .

(٨) ليُعلم إنه بُني عُنوة بعد هَدمه أو حرْقه . (ابن سدران) . نشكرك يا أستاذ علي بن سدران على نشر مثل هذه الوثائق التي تعكس صوراً من تاريخ وحضارة بعض عشائر زهران. وحبذا أن نرى أشخاصاً آخرين أمثالك ينقبون ويدرسون تاريخ أهلهم وبلادهم عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

ناقصي الأهلية فأصدروا بحقهم الفقرة التالية : وَأَرْبَعَةٌ مَا تَطْلَعُ بهم الْبَيْضَا وَلاَ تُطْلَعُ لَهُمْ وَهُمْ : الْمَيْسي يَعْني الْخُنْثَى[١] ، وَالأُنْثَى ، وَالْعَبْدُ ، وَالْهُتَيْمي[٢] . وَلاَ فيْهمْ لاَزمَةٌ وَلاَ قَتْلُ ، إلاَّ ديَةٌ مُنَقَّصَةٌ تسمَّى أَثْلاَثًا ؛ ثُلْثٌ يَطيْحُ وَثُلْثَان تَرْجعُ أَثْلاَثًا : حَبٌّ ، وَغَنَمٌ قَاطعَةُ الْجَلَّة[٣] ، وَدَرَاهمُ . وَتَكُوْنُ منْ ثَلاَث ثمَار . وهذه اللوازم التي بلغوا بها عشرًا تم وضعها من قبل ثمانية رجال : سبعة من زهران وواحد من بني مالك ، ثم فرقوها بين قبائل زهران من أجل العمل بها في "الرقاب والقصَاب" . كما قالوا في حكم المرأة: " وَمَنْ أَفْتَاهُ عَلَى مَرَته ، إنْ كَانَ لَزَّمَ أَمَاريَّةً أَوْ كَوْنَ وَسْمَ ، فَهُوَ صدْقٌ إنْ ذَبَحَهَا وَذَبَحَهُ فَلاَ فيْه إلاَّ ديَةٌ مُنَقَّصَةٌ ، وَهيَ مَا فيْهَا ديَةٌ[٤] . وَإنْ أَفْتَاهُ اَلرَّجُلُ عَلَى مَرَته وَارْتَجَعَ وَكَذَّبَ نَفْسَهُ[٥] ، فَلَهَا عَلَيْه يُبَرِّيهَا بخَمْس حُلاً ، وَلكُلِّ وَاحد منْ أَهْلهَا رَأْسٌ مُطْلَقٌ وَتُرَدُّ عَلَيْه[٦] . وقد استمد عُرَّاف زهران أحكامهم القبلية من هذه القوانين عند حاجتهم إلى إصدار حكم على أحد أخَلَّ بنظام القبيلة أو ارتكب جُرْمًا أوجب عقابه، وفيما يلي حكم أحد عُرَّاف زهران ويدعى أحمد بن شماس الدوسي ، بعد أن وجِّه إليه السؤال التالي: **من أحكام أحمد بن شماس الدوس، ما يلي:**

الحمد لله رب العالمين ، الذي أظهر الحق ونار ، وكسر الباطل وحار ، والصلاة والسلام على محمد المختار ، آناء الليل وأطراف (النهار) ، يعلم من يراه من وُلاة الإرشاد وحُكَّام البلاد ، لقد سَألَنا عبد الكريم والدَّعبة ، وقالوا : لنا جار من بني مالك ثم جاه ضربة عصا في رأسه ، ثم أرسلْنا للمقضِّي المُعْتَبَر ، ثم شَطَّاه على يدي أخيار ، ثم وجده صحيحًا لا خلل فيه ، ثم بعد ما صَحَّ سَدَّيْنَاه في دَمه وَحَفَا وَصَفَا وبَدَا البيضا وهَبَط السوق وطرد الوفاق ،

---

(١) هو الْخُنْثَى الذي بين الذكر والأنثى . (ابن سدران) .

(٢) هؤلاء لا تنشر لهم البيضاء من على شرفات الأسواق ولا يدعون لأخذها ، ولا يعتبرون من أهل اللوازم ، والهتيمي (في عُرف زهران) هو الذي لا أصل له . فلو قتل أحد هؤلاء فليس فيه إلاَّ دية منقَّصة يتم سدادها كما هو مفصل في النص ، وقد يستغرق سدادها ثلاث سنين من ثلاث ثمار ، لأن الثمرة وهي المحصول تتم في سنة واحدة . (ابن سدران) . إنها أعراف وعادات لا تتوافق مع منهج الإسلام وشرع الله ، فالناس في أحكام الشرع سواسية. (ابن جريس) .

(٣) الجلة عند زهران هي مكان مسيل الوادي الذي لا تصلح أرضه للزراعة . ومعنى قاطعة الجلة أي من غنم ترعى في الجلة ، ولا يتكلف قاتل أحد هؤلاء شراء الغنم لدفعها دية ، وإنما يدفعها من غنمه التي ترعى. والله أعلم . (ابن سدران) .

(٤) معنى هذا القول : إن افترى زيد على امرأة عمرو ، وأبلغه بأنها ترتكب الفاحشة وعثر الزوج على بيِّنة جليّة، إمَّا قبض عليه عندها ، أو رماه فجرحه ثم وُجد الجرح فيه بعد القبض عليه ، أو أن الواشي ذكر علامة في الرجل . فله قتل الزوجة والرجل الذي يأتيها ولا دية للمرأة البتة ، أما الرجل فله دية ولكن ناقصة ، وقد تقدم تفصيل الدية المنقصة وكيف تُعطى . (ابن سدران) .اللهم لك الحمد فالشرع الحنيف وضح الحقوق والواجبات لكل مسلم (ابن جريس).

(٥) أي افترى عليها أولاً ثم عدل عن ذلك . (ابن سدران) .

(٦) أي تُرَدُّ المرأة على زوجها لكونها بريئة مما رُميت به ، ويَكْسو كل واحد من أهلها رأسًا من قماش .. (ابن سدران) . كم نحن في أمس الحاجة أن يكتب تاريخنا من مصادر موثوقة ، والوثائق تعد من المصادر التي يثق بها المؤرخ ويعتمد عليها في تدوين التاريخ. ولا تخلو بلادنا من آلاف الوثائق عند عامة الناس ، وفيها صور من التاريخ الحضاري لهذه الأوطان التهامية والسروية. (ابن جريس) .

ثم زاد مَرض ومات ، ثم قاموا يَدَّعُون أهله فيه ويقولون: ما غَدَا به إلاَّ رأسه ، فنحب نسْأَلك ما يَصح في ذلك الأمر ، أفتونا جزاكم اللّه خيرا. (*)**حكم العارفة : أحمد بن شماس الدوسي ، بما يلي** : الحمد للّه رب العالمين ، نقول الجواب واللّه الموفق للصواب : إنَّ رسول اللّه ﷺ يقول :)ولو أن الناس أعطوا بدعْواهم لادَّعَى ناس أموال ناس ودماءهم[١] . فَنَجُوا الدَّعَبَة بهذا المْقضِّي وأربعة شهود أنهم لقيوا رأسه سالم العيب ، فواجب على الدَّعَبة خمس وعشرون حلْيَة أنه ما جاءه قَدَرَه من هذه الضَّرْبة فلا عاد عليهم اعتراض ، ما له قُبْلَة لحيث أنه اسْتَدَّ وصَدَر، (وإنْ) عَدَموا في ذلك فيحلفون أهل الولد خمسا وعشرين حلْيَة ما قتله إلاَّ أنتم يا دَعَبَة ، وما ضَوَاهُم يُحْسَب من الدِّيَة ، قال بذلك أحمد بن شمَّاس، من سوالف مبنيَّة وأحكام عربية ، وصلى اللّه على محمد وآله والسلام . ختم. فتأيَّد حكمه من قبَل مجموعة من الْعُرَّاف وشيوخ القبائل ، وأوَّلهم العارفة : موسى بن أحمد ، حيث قال : " الحمد للّه رب العالمين، لقد أشرفت أنا يا موسى بن أحمد، على ما قال ابن شماس، فوجدناه عين الصواب، لا خلل فيه ، علينا إمضاه والعمل بمقتضاه ، وصلى اللّه على محمد وآله والسلام . وأيَّد الحكم عارفة آخر يُدعى: حميدين بن مسفر، بقوله : الحمد للّه ، الجواب واللّه الموفق للصواب ، لقد نظرنا في السؤال وما فيه، وما قالوا الْعُرَّاف فهو عين الصواب ، إلى بَدَت البيضا مِن عِرَاق السوق وأعفا وأقفا (فلا له بعد ذلك رجوع ، يكون عند مَن يراه معلوم) ، حميدين بن مسفر. ثم تلاه الشيخ: خضران بن عطية الدوسي ، شيخ قبيلة دوس فقال: الحمد للّه ، الجواب واللّه الموفق للصواب، لقد أشرفت على ما في بطن هذه الورقة من قول الْعُرَّاف فهو عين الصواب، ومَن قال بغيره فقد أخطأ ، فيصح إمضاه والعمل بمقتضاه قال بذلك خضران ابن عطية ، غفر اللّه له ولوالديه . ختم وبعد أن تأيد الحكم من كل هؤلاء الْعُرَّاف عُرضت على أحد علماء الشريعة وهو الفقيه: أحمد ابن علي الحرَفي ، للنظر في القضية والحكم من وجهة شرعية، فقال : الحمد للّه وحده أشرفتُ على قول الْعُرَّاف وما حكموا به ، فحكمهم موافق حكم الشرع ، وما كان موافقا قول الشرع فهو صحيح ، يكون عند مَن يراه معلوم ، قال بذلك : أحمد بن علي الْحَرَفي . ختم[٢] .

ولقد سارعت دوس إلى الإسلام طواعية ، فقد كان رجالها في العصر الجاهلي يسافرون إلى مكة للحج والتجارة ، وكان أول من أسلم منهم : الطفيل بن عمرو الدوسي رضي اللّه عنه ، فقد كان يسافر إلى مكة كثيرًا وله حلف مع بعض رجالها ، وفي بعض

---

(١) الحديث في صحيح سنن النسائي : برقم : (٥٤٢٥) ، بتحقيق الألباني رحمه اللّه . (ابن سدران) . يتضح لنا نقاء العقيدة في أوطان تهامة والسراة . نعم قد يوجد بعض المخالفات الشرعية بسبب الجهل بالعلوم الشرعية ، لكن عموم الناس يحملون عقائد جيدة يوحدون فيها اللّه عز وجل ويرجون رحمته ومغفرته . (ابن جريس) .

(٢) بطون قبيلة زهران : صورة الوثيقة رقم : (٤) . (ابن سدران) .

سفراته إلى مكة[1] سمع من بعض القرشيين أن الله عز وجل اختار محمدا ﷺ ليكون نبي هـذه الأمـة ، وأنه أتى بدين جديد يخالف ما عليه العرب ، فحذروه من مقابلة النبي ﷺ، حتى لا يسمع منه فيتبعه ، ولشدة تحذيره له وضع في أذنيه قطنًا لئلا يسمع كلامه ، فأبى الله إلا أن يسمع منه في المسجد الحرام ، فإنه لما رأى النبي ﷺ، قائمًا يصلي اقترب منه ، ولنترك ابن سـعد في طبقاته يحكي قصـة إسـلامه فيقول عنه: "قدم الطفيل بن عمرو الدوسـي رضـي الله عنه مكة ورسول الله ﷺ ، بها ، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا: يـا طفيـل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضـل بنا وفرق جماعتنا ، وشـتت أمرنا ، وإنما قوله كالسـحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، إنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه ، فلا تكلمه ، ولا تسمع منه ، قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه ، فغدوت إلى المسـجد وقد حشـوت أذني كرسـفًا فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، حتى كان يقال لي : ذو القطنتين ، قال : فغدوت يوما إلى المسـجد ، فإذا رسـول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريبًا منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسـنا، فقلت في نفسـي : واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شـاعر ، ما يخفى علي الحسن مـن القبيـح ، فما يمنعني من أن أسـمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فـإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته . فمكثت حتى انصرف إلى بيته ثم اتبعته حتى إذا دخل بيتـه دخلـت معه فقلت : يا محمد ، إن قومـك قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا لي - فوالله ما تركوني يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم إن الله أبى إلا أن يسمعنيه ، فسمعت قولاً حسنًا فاعرض علي أمرك ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليه القرآن فقال : لا والله ما سـمعت قولاً قط أحسـن من هذا ولا أمرًا أعدل منه ، فأسـلمت وشـهدت شـهادة الحق فقلت : يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسـلام ، فادع الله أن يكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : ﷺ ، اللهم اجعل له آية ، زاد ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: تعينه على ما ينوي من الخـير . قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضـر ، وقع نور بين عيني مثل المصـباح فقلت : اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، فتحول النور فوقع في رأس سـوطي ، فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك

---

(١) حددها صفي الرحمن المباركفوري، صاحب كتاب: "الرحيق المختوم" (١٢٠) : بعام (١١) من البعثة الشريفة ، ولا أدري ما مستنده في ذلك ، سيما وأن أمر ظهور المصطفى ﷺ اشتهر بين القبائل من أول سنة بُعث فيها . (ابن سـدران) . هناك مصـادر أولية تؤرخ للطفيل بن عمرو الدوسـي، وهناك كتب للسير والتاريخ أشارت إلى شيء من أعماله. وفي صفحات سابقة ناقشت يا ابن سدران صفحات من التاريخ الاجتماعي الحديث والمعاصر في بلاد زهران، ثم رجعت الآن للحديث عن عشيرة دوس الزهرانية في الجاهلية وصدر الإسلام . (ابن جريس) .

النور في سوطي كالقنديل المعلق .. إلى آخر تلك الحادثة التي نقلت دوسا من الشرك إلى الإسلام ومن الظلمات إلى النور[١] . ومن عبادة الأصنام إلى عبادة رب الأنام ، وأسلم معه في تلك الرحلة الميمونة زوجه وأبوه وأبو هريرة . وأخذ الطفيل وأبو هريرة في دعوة دوس إلى الإسلام ، فلما استعصت عليهما ، عادا إلى مكة يشكوان عصيان دوس إلى الرسول ﷺ ، ويطلب منه الطفيل الدعاء عليهم لعدم دخولهم في الإسلام ، فامتنع ﷺ ، من الدعاء على دوس قائلا للطفيل : رضي الله عنه ، إن فيهم مثلك كثير . ثم رفع يديه بأبي هو وأمي ﷺ، وقال : اللهم اهد دوسا وأت بهم . والحديث في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ، أنه قالها ثلاث مرات. ولما أراد الرسول ﷺ ، أن يدعو بالهداية لدوس ، توضأ ، فظن أبو هريرة أن سيدعو عليهم فقال: (فلما صلى النبي ﷺ ، خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا فصحت: واقوماه ، فلما دعا لهم سري عني[٢] . وجاء في كتاب: الإصابة في تمييز الصحابة (٤٢٤/٣) : أن الطّفيل لما قدم مكّة ذكر له ناس من قريش أمر النبيّ ﷺ ، وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ، فتلا النبيّ ﷺ ، الإخلاص والمعوّذتين ، فأسلم في الحال ، وعاد إلى قومه ، وذكر قصّة سوطه ونوره. أما الرواية التي تذكر بأن الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، خرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بُعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة .." إلى آخر ما ورد فيها . فليست من الصحة في شيء لقول الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، للرسول ﷺ وقد عاين اضطهاد قريش له ﷺ ، وتحذيرها الطفيل من مقابلته مما حدا بالطفيل رضي الله عنه، دعوة المصطفى ﷺ، إلى دوس لحمايته من أذى قريش ، قائلاً له " هلم إلى حصن حصين ، وعدد وعدة . فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، للذي ذخر الله للأنصار . ولو كان الطفيل رضي الله عنه، قابل الرسول ﷺ في المدينة النبوية لما كان لهذا القول معنى ، لمنعته ﷺ ، بالأنصار من أذى قريش . وليس من الصحة أيضاً قول بعض المؤرخين من أن دوسًا التي بزهران إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك الأنصاري[٣] :

قضينا من تهامة كل ريب	**وخيبر ثم أجمعنا السيوفا**
نخيرها ولو نطقت لقالت	**قواطعهن دوساً او ثقيفاً**

(١) هذه المعلومات مفصلة في بعض مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة . ونقول إن تاريخ غامد وزهران في الجاهلية وصدر الإسلام يحتاج إلى أن يدون في كتاب أو رسالة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني: (٢٢٠/١٣) . (ابن سدران) . ترجع هنا يا علي في توثيق معلوماتك إلى الأصفهاني (الأغاني) ، وهناك مصادر سابقة للأصفهاني، وتعد أولية وموثوقة أكثر من الأغاني ، وكان عليك الرجوع إليها .(ابن جريس).

(٣) ديوانه : ٢٤ . (ابن سدران) .

فقالت دوس حين سمعت ذلك : اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم . قلت : هذا محال ؛ لقوله بعد هذين البيتين :

فَلَسْتُ لِمَالِكٍ إنْ لَمْ يَزُرْكُمْ ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا
وَنَنْتَزِعَ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا

حيث جعل دوسًا مع ثقيف في بلد واحد وهو الطائف ، ولعل كعب بن مالك الأنصاري، يشير في شعره إلى دوس بن عدوان ، لقول الدكتور جواد علي في مُفَصّله (٩٨/٨) : "أما أبناء عدوان بن عمرو فهم زيد، ويشكر ، ودَوْس . ويقال إنهم دَوْس التي في الأزد ، وكانت ديارهم بالطائف ، ثم تركوها بعد نزول ثقيف فيها وارتحلوا إلى تهامة" . قلت : لم يرد عن المؤرخين أن دوس زهران سكنت الطائف ثم رحلت عنها إلى تهامة . ثم إنَّ هذا الشعر بالطبع ، قيل بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة ، بل إنه قيل بعد فتح مكة أي في السنة الثامنة كما يقول ابن كثير رحمه الله وغيره[1] ، في حين تذكر كتب السير أن دوسًا أسلمت زمن البعثة النبوية الشريفة . وذلك بفضل من الله عز وجل ثم ببركة دعوة الرسول ﷺ لهم بالهداية . ولقد هاجر الطفيل بن عمرو وأبو هريرة رضي الله عنهما ، في السنة السابعة من هجرة الرسول ﷺ بأربعمائة رجل وامرأة والتحقوا برسول الله ﷺ ، وهو يقاتل يهود في خيبر وشاركوا جموع المسلمين في الفتح وأقسم لهم الرسول ﷺ من غنائمها ، ثم إنهم شاركوا أيضًا في فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة النبوية ، فكيف يقال إنها أسلمت فرقًا من شعر مالك بن فهم ، وهي قد شاركت في فتح خيبر ومكة وما بعدهما من فتوح ! حتى إن الرسول (ﷺ)، أمر الطفيل رضي الله عنه ، بعد فتح مكة أن يذهب إلى دوس لحرق صنم ذي الكفين ويجمع من قومه لحرب الطائف ، فَقَالَ الطّفَيْلُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللّه أَوْصِنِي . قَالَ ﷺ : أَفْشِ السّلامَ ، وَابْذُلْ الطّعَامَ، وَاسْتَحْيِ مِنْ اللّه كَمَا يَسْتَحْيِي الرّجُلُ ذُو الْهَيْئَةِ مِنْ أَهْله . إذَا أَسَأْت فَأَحْسِنْ ، [**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**][2] . فَانْحَدر مَن دوس بعد أن أحرق صنم ذي الكفين بأربعمائة فارس ، وَافى بهم رَسول اَللّه ﷺ ، في الطائف[3] .

وقد ورد في فضل قبيلة دوس جملة من الأحاديث النبوية الشريفة منها دعوته ﷺ لهم بالهداية كما تقدم ، ويا لها من فضيلة من رسول مجاب الدعوة انقادت دوس بعدها

---

(١) ابن كثير : ٦٥٢/٣ . وقال البيهقي في كتابه: دلائل النبوة: (١٥١/٥) : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالك حينَ فَرَغَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ ، منْ مَكّةَ ، وَحُنَيْن ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ إلَى الطّائف" . القصيدة ومنها البيتان بعاليه . (ابن سدران) .

(٢) مغازي الواقدي : (٩٢٣/٣) . وقول : "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ" . هي من الآية الكريمة من سورة هود : ١١٤ . (ابن سدران) .

(٣) كما أشرت سابقاً إلى قبيلة دوس وغيرها من قبائل السراة مازالت تحتاج إلى دراسات علمية موثقة ، والأمل في جامعاتنا المحلية فتفتح بعض المراكز البحثية التي تدرس أرض وسكان هذه البلاد. (ابن جريس) .

إلى الإسـلام زُرافات ووحدانا ، ونجتزئ من فضـائلهم على لسـان رسـول الله ﷺ ، ما يناسـب المقام ، فلقد امتدح الرسـول ﷺ أهـل اليمن ودوس من اليمن ، ونسـب الإيمان إليهم ونعتهم برقة القلوب ، ومن كان قلبه رقيقًا كان أسـرع إلى طاعة الله وامتثال أوامره ، كما وصـف المصـطفى ﷺ ، بـأن الفقه في الدين ، وهو الفهم لـه ، والحكمة وهي العلم المتصـف بالأحكام المشـتمل على معرفة الله تعالى ، المصـحوب بنفاذ البصـيرة وتهذيب النَّفسـ وَتَحْقِيـق الْحق وَالْعَمَل به والصـد عَن اتباعَ الْهوى وَالْبَاطـل ، مما يمتاز بهما أهل اليمن ، كل هذا جاء في حديث رواه الشيخان فقالا " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَن ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا ، الْإِيمَانُ يَمَان ، وَالْفِقْهُ يَمَـانٍ ، وَالْحِكْمَـةُ يَمَانِيَـةٌ" . ويقول ابن حجـر رحمه الله ، في فتح البارِي : (وَسَـبَبُ الثَّنَاء عَلَى أَهْلِ الْيَمَن إِسْـرَاعُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَحسن قبولهم للْبُشْرَى حِينَ لَمْ تَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيم[١] .

وهاجرت أم أبي هريرة رضي اللّه عنها وعنه ، مع ابنها من أرض دوس إلى المدينة النَّبوية وهي مشـركة ، وكان ولدها يرغِّبها في الإسـلام وهي ممتنعة ، فلما دعا لها الرسـول ﷺ ، بالهدايـة قائلاً كما ورد في صـحيح مسـلم : "اللهـمّ اهد أمّ أبي هريرة" أسـلمت . وفي هذا يقول أبو هريرة رضـي الله عنه، لرسـول الله ﷺ : "قُلْتُ : يَا رَسُـولَ الله ادْعُ اللّه أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عباده الْمُؤْمنينَ ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهُمَّ حَبِّـبْ عُبَيْـدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَـادِك الْمُؤْمِنينَ ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِم الْمُؤْمِنِينَ" . ويقول أبو هريرة رضـي الله عنه ، بعد هذا الدعاء المبارك ، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْـمَعُ بِي وَلا يَـرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِـي[٢]" . قلـت أنا : (غير الرافضـة) عليهم من الله ما يسـتحقون ، فإنهم ناصبوه العداء . وورد في كتاب "الجامع لابن وهب" : "أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ، فَقَالَ : "يَا نَبِيَّ اللّه الْعَنْ دَوْسًا ، فَوَاللّه مَا رَأَيْتُ قَوْمًا قَطُّ أَفْتَكَ رَجُلًا وَلَا أَفْتَكَ فَتَاةً مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : يَا قَوْمَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّا لَمْ نُبْعَثْ طَعَّانِينَ وَلَا لَعَّانِينَ وَلَكِنَّا بُعِثْنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[٣]" .

وفي كتاب "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : أَهدى رَجلٌ من بني فَزارة للنَّبي ﷺ نَاقةً فعوضَه ، فَتَسخَّطَهُ ، فَسمعتُ النبيَ ﷺعلى المنبر يَقول : "يَهدي أَحدُهُم فَأعوِّضُـه بَقدرِ مَا عندي ثُم يَسخَطُه ، وأَيم اللّه لا أَقبل بَعد عَامي هَذا من العَرب هَديةً إلا من قُرشـي أو أَنْصَاريٍّ أَوْ ثَقفي أَوْ دَوسي" والحَديث صحيح ورد في "الصَحيحة" للألبانَي برقـم (١٦٨٤) . وقال محمد المدعو بعبد الـرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (١٥/١٩٢) . (ابن سدران) .

(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٣٨) . (ابن سدران) .

(٣) الجامع لابن وهب (٤٧٣) .. (ابن سدران) .

المناوِي القاهري، صاحب كتاب "التيسير بشرح الجامع الصغير" في شرح هذا الحديث": "لأنهم لمكارم أَخْلَاقهم وَشرف نُفُوسهم وَطيب عنصرهم لَا تطمح نُفُوسهم إِلَى مَا ينْتَظر إِلَيْه السِّفْلَة والرَّعَاع من استكْثار الْعِوَض على الْهَدِيَّة، وَنبهَ بالمذكورين على مَن سواهُم مِمَّن اتّصف بشرف النَّفس[١]".

أما في الإسلام، فقد زادهم الله رفعة به، فكان منهم الحافظ المتقن وهو أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه، أحفظ الصحابة لحديث المصطفى ﷺ، والفارس المغوار الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، والقائد المحنك جندب بن عمرو بن حممة الدوسي (رضي الله عنه)، هؤلاء نماذج من صحابة دوس رضي الله عنهم، أما من التابعين وتابعيهم فلا يحصون كثرة، حيث كان منهم الحافظ لكتاب الله والمحدث والقاضي والوالي والأمير والقائد واللغوي والشاعر، ومن يقرأ سير الرجال يجد أن رجال دوس لهم الصدارة فيما من شأنه رفعة الإسلام وأهله[٢]، فلقد شاركت دوس بقسميها في زهران وعُمَان، وما تفرع عنها في العراق، وفارس، وبلاد الشام، قبائل العرب الأخرى، في محاربة أهل الشرك والفساد، وتوسيع رقعة الإسلام، بدءًا من عهد الرسول (ﷺ)، وعهد خلفائه الراشدين، ومن أتى من بعدهم من أمراء المسلمين وولاتهم، فكانوا في جيش المسلمين لمحاربة المرتدين، وكانوا مع جيوش المسلمين في فتح العراق، وفارس، والشام، ولا يزال ميناء في (لبنان) يسمى إلى هذا اليوم (ميناء الزهراني). باسم الصحابي الجليل جنادة بن أبي أمية الزهراني (رضي الله عنه)، قائد الأسطول الحربي الإسلامي في عهد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، وكانوا مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وكان أبو هريرة (رضي الله عنه)، في المعارك التي شارك فيها يطوف على المجاهدين ويحرضهم على القتال قائلاً لهم: "تزينوا للحور العين"، وجعل رسول الله (ﷺ)، لما أتوه في خيبر شعارهم في الحرب "يا مبرور". لقول: "الطُّفَيْل بن عَمْرو رَضِيَ الله عَنْهُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْنَا مَيْمَنَتَكَ، وَاجْعَلْ شِعَارَنَا: "يَا مَبْرُورُ"، "فَفَعَلَ ﷺ" ثم أصبح هذا الشعار فيما بعد لكافة الأزد[٣] وكانوا في جيش موسى بن نصير لفتح الأندلس، ومنهم بعد عودتهم من فتح الأندلس، مَن وزر في دولة الأدارسة بالمغرب العربي إبان ظهورها. وهو الوزير مصعب بن عمير بن مصعب الأزدي الزهراني، وهذا الوزير أي مصعب بن عمير، هو الذي اختار للأمير إدريس، موقع مدينة

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٢٤/١). (ابن سدران).

(٢) نعم من دوس ومن اليمن وبلاد تهامة والسراة رجال كثيرون أسهموا في بناء التاريخ والحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها. ونقول إن أفراد تراجم مطولة لأولئك الأعلام من الواجبات على مؤرخي هذا العصر وعلى الباحثين الجادين من أهل هذه البلاد. (ابن جريس).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٩١/٣). (ابن سدران).

(فاس) فاختطها في حدود سنة اثنتين وتسعين ومائة والتي تليها[(١)]. وكان لهم دور بارز في قمع الفتن وإخماد الثورات التي كانت تهيج بنواحي فارس وغيرها من بلاد الإسلام ، فقد شاركوا آل المهلب في حروبهم ضد الخوارج ، وأخلصوا الطاعة لأمراء هذا البيت ، وبيت آل المغيرة وغيرهم من أمراء وقادة المسلمين ، أينما ساروا بهم ساروا . ومن الأماكن التاريخية في قبيلة "دوس" والتي حفظ التاريخ لنا أسماءها : جبل "العِرْنَين" وهو حمى لهم ، يشرف على قرية: "الجُبُوْر" قرية أبي هريرة الدوسي (رضي الله عنه) ، وعلى عدة قُرَى تابعة لقبيلة فهم الدوسية ، وفيه يقول مالك بن فهم الدوسي ، بعد أن هاجر إلى أرض عُمَان شرقي الجزيرة العربية[(٢)]:

وفي العرنين كنا أهل عز ملكنا بربرا وبني قران

وجبل "عَوِيْـرَة" بدوس ، وفيه كانت وقعة : "حِضْـرَة" بين قبيلة بني الحارث من بني يشكر من الغطارفة ، وقبيلة دوس ، فكان الظفر في هذه الحرب لدوس[(٣)]. وعلى هذا الجبل في الوقت الحالي قرية عامرة تسمت باسم الجبل: "عويرة" . وهي من قُرَى قبيلة "بني الطفيل" إحدى قُرَى دوس . وقُدُومُ ضَان : وهو جبل يشرف على وادي ثروق من الناحية الشرقية ، وورد ذكره في حديث معركة خيبر ، فقد جاء في كتاب : مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب (٤٧) أنه : " ثنية بجبل في بلاد دوس بالسراة يقال لها قدوم ضأن" . و" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه ، أَسْهِمْ لِي ، فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيد بْنَ العَاص: لاَ تُسْهِمْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : "هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَل" ، فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاص : وَاعَجَبًا لِوَبْر، تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَأْن ، يَنْعَى عَلَيَّ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِم أَكْرَمَهُ اللَّه عَلَى يَدَيَّ ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْه ، قَالَ : "فَلاَ أَدْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهِمْ لَهُ"[(٤)]".

ومن العَقَبَات التي تصل سراة زهران بتهامتها عقبة "ذي مَنْعَا" التي ورد لها ذكر في حديث إسلام أبي هريرة رضي الله عنه ، على يد الطفيل بن عمرو الدوسي ، رضي الله عنه ، حيث " كان أبو هريرة هو وأهله في جبل يقال له : "ذو منعا" ، فلقيه الطفيل بطريق برحرح[(٥)]" . وهذه العقبة إلى الجنوب الغربي من بلدة "برحرح" الدوسية ، أنشأت الحكومة منها طريقا يصل السراة بتهامة ، وقد تم القضاء في العصر الحديث على جيش

---

(١) انظر : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى : ٣٠ ، وبيوتات فاس الكبرى : ١٣. (ابن سدران) .

(٢) الأنساب : للصحاري العماني : ٢٣٧ . (ابن سدران) .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٧٤.(ابن سدران) .

(٤) صحيح البخاري . (٢٤/٤). (ابن سدران) .

(٥) الأغاني ، للأصفهاني ، ٢٢٠/١٣. (ابن سدران).

الغزاة الترك من قبل رجال دوس ، أسفل هذه العقبة في موضع منها يسمى: "الباب" لا تزال قبورهم ظاهرة إلى هذه الساعة ، وذلك سنة (١٣٠٠هـ)[١]. ومن بلدانهم قرية "ثُرُوق" ذكرها الأصفهاني، والحموي الذي قال عنها : "ثَرُوقُ: مرتجل، لم أر هذا المركّب مستعملا في كلام العرب : وهو اسم قرية عظيمة لبني دوس بن عدثان بن زهران بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد ، جاء ذكرها في حديث حممة الدوسي، وفي حديث وفود الطّفيل بن عمرو رضي الله عنه ، زمن البعثة النبوية الشريفة، على النبي ﷺ ، أنه أسلم ورجع إلى قومه في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل ثروق ، وهي قرية عظيمة لدوس ، فيها منبر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نور في طرف سوطه ، فشهد الناس ذلك ، وقال : أنار أخذت على القدوم ثم على ثروق لا تطفأ الحديث ، وقال رجل من دوس في حرب كانت بينهم وبين بني الحارث بن عبد الله وهم الغطاريف :

قد علمت صفراء حوساء الذّيل — شرّابة المحض تروك القيل
ترخي فروعا مثل أذناب الخيل — أنّ ثروقا دونها كل الويل
ودونها خرط القتاد بالليل — وقد أتت واد كثير السيل[٢]

وثُرُوق الآن : واد زراعي عظيم يضم معظم قُرَى قبائل: دوس بن منهب وبني علي وآل عيَّاش ، وفي موضع منه كان صنم ذي الْخَلَصَة الذي هُدم في عهد الرسول ﷺ ، غير أنه ليس الصنم الذي هدمه جرير بن عبدالله البجلي رضيَ الله عنه . وحُضْوَة: قرية جاهلية قديمة من قرى دوس بني فهم ، بين جبال شاهقة ، في وسط غابة كثيفة الأشجار، بُنيت على واد سُمي باسمها ، وهو أحد روافد وادي تربة المشهور ، وقد عثرتُ على بيت من الشعر لَحاجز بن عوف السلاماني الزهراني ، يذكر فيه تَعَرُّض دوس في هذه القرية لَغارة شعواء وأرجح أنها بسبب تلك الغارات التي كان يشنها الغطاريف عليهم ، يقول حاجز بن عوف[٣] :

رَموا دوسًا بحضوة ثم أمسوا — على دوس كَذى الدَّاء الكَظيم

وقد أنشأت الحكومة في هذا الوادي سَدًّا للاستفادة من مياه الأمَطار حال نَزولها لريَ المزروعات المنتشرة حوله لأبناء القرية . وحَجْرَة دوس هو واد في تهامة دوس عليه حاليًّا مدينة اسمها الْحَجْرَة ، وهي قاعدة قبيلة بني سُليم الشُّغْبَان الزهرانية ، حصل فيه وقعة في الجاهلية

---

(١) كتاب بطون قبيلة زهران : (٤٥٦) . (ابن سدران) . هذا الكلام حقيقة فقد قمت بجولة في بلاد غامد وزهران عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ورأيت الكثير من الآثار والأمكنة التاريخية ، ونأمل من المؤرخين والآثاريين الجادين أن يدرسوا هذه البلاد دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) معجم البلدان : (٧٧/٢) . (ابن سدران) .

(٣) أبو عمرو الشيباني ، كتاب الجيم : ١٨٣/٣ . (ابن سدران) .

: بين بني كنانة ودوس، وهو إلى اليوم يعرف بحجرة دوس ، قال ابن وهب الدوسي في أبيات[١] :

إن تـؤت حجـرتـنـا نـعـقـد نـواصـيـهـا ثـمّ نكن كـالـذي بـالأمـس يعتدل

ثالثاً : الخلاصة :

هذا ما تيسـر لنا سـرده مـن تاريخ هذه القبيلة الدوسـية الزهرانيـة العريقة ، في هذه العجالة ، والتي هي بحاجة إلى دراسة عميقة لتسليط الضوء على تاريخها وسير رجالها ، وما دار على تراب أرضـها من أحداث جسـام ، وفي مثقفيها من يستطيع القيام بذلك[٢]. نرجو أن نكـون قـد وفقنا إلى تزويد القـراء ببعض تاريخها المجيد ، والله من وراء القصـد ، وهو الهادي إلى سـواء السبيل ، وصـلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والسلام عليكـم ورحمة الله وبركاتـه . انتهيت من تحرير هذه المدونة في (١٤٣٨/٤/٢٠ هـ) . (علي بن محمد بن سدران الزهراني) .

(١) معجـم البلـدان : (٨٨/٣) . (ابن سـدران) . في عـام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) تجولت في تهامة وسروات زهران وغامد وشاهدت الكثير من الشواهد التاريخية التي يعود زمنها إلى العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة. وأقول لجامعة الباحة وغيرها من المؤسسات العلمية إن مثل هذه الأمكنة تحتاج إلى دراسة وتوثيق.(ابن جريس)

(٢) شـكر الله لك يا علي بن سـدران على هذا التدوين التاريخي الذي شـمل شيئاً من تاريخ عشيرة دوس في الجاهلية والإسلام ، وكذلك عشائر وأمكنة أخرى من بلاد زهران تهامة وسراة . ونأمل منكم يا أبناء غامد وزهران وبخاصة أرباب القلم والمتخصصين في علوم التراث الإسلامي فتدرسوا تاريخ وحضارة أهلكم وبلادكم ، وهذا من الواجب عليكم فعله. والله الموفق. (ابن جريس) .

الدراســـة الخامســـة

الباحة (بلاد غامد وزهران) في عيون بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين

بقلم :أ.د. عيثان بن علي بن جريس (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ٢١ - ٩١

الدراسة الخامسة: الباحة (بلاد غامد وزهران) في عيون بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين:

أولاً : مدخل :

منطقة الباحة هي تلك الأوطان المأهولة بالسكان في وسط بلاد تهامة والسراة، والواقعة بين منطقتي مكة المكرمة في الشمال وعسير في الجنوب . وأهلها هم الغامديون والزهرانيون الأزديون الوارد ذكرهم في كثير من كتب التراث الإسلامي(١) . وعند مقارنة التاريخ المدون عن هذه البلاد مع ما تم تدوينه عن المناطق المجاورة مثل: مدن الحجاز الرئيسية، أو عسير ونجران وغيرها نجد أن الديار الزهرانية والغامدية من أقل البلدان المكتوب عنها(٢)، أو المذكورة في الكتب والمدونات المطبوعة والمنشورة . وربما كان توسطها في أرض السراة، وبعدها عن الطرق التجارية الرئيسية القديمة التي تربط الحجاز باليمن من الأسباب التي ساهمت في ضعف أو قلة التدوين عنها . والذاهب الآيب في قرى وجبال وأودية وحواضر منطقة الباحة يتضح له أن هذه البلاد ذات تاريخ عريق فهي مأهولة بالسكان، مليئة بالخيرات الزراعية والثروات الحيوانية . بل أهلها أصحاب كرم ونجدة وشجاعة وبسالة وشيم، ناهيك عن إحاطة العديد من القبائل الكبيرة والمراكز الحضارية الهامة . وكل هذه العوامل كفيلة بأن يكون لها تاريخ وحضارة، ولكن للأسف.وكما أشرنا سابقاً . هذا التاريخ لم يحفظ عن هذه البلاد العربية الماجدة(٣) .

وفي هذا البحث الموسوم بـ : **الباحة (بلاد غامد وزهران) في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين**، سوف نطلع القارئ الكريم على شريحة من العلماء والكتاب الذين تعرضوا في مدوناتهم إلى صور من تاريخ وحضارة منطقة الباحة . وهذه الشريحة هي التي أطلقنا عليها مصطلح (الرحالين، أو الرحالة)، والكثير منهم يأتون في مصاف الجغرافيين والرحالين

---

(١) قبائل غامد وزهران لها ذكر حسن وجيد في كتب التراث الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر. ودراسة تاريخ وحضارة الديار الغامدية والزهرانية خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى جدير بالبحث والاهتمام والدراسة . ونأمل من المؤرخين المتخصصين وبخاصة أهل غامد وزهران أن يولوا هذا الجانب كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم العلمية والأكاديمية .

(٢) بلاد نجران : هي الأخرى لازالت فقيرة في مجال البحث والتدوين . ونأمل أن تقوم جامعة نجران بإنشاء بعض المراكز البحثية التي تتولى البحث والتمويل للدراسات التي تصب في خدمة المجتمع النجراني ثقافياً وتاريخياً وحضارياً . .

(٣) لقد زرت منطقة الباحة أكثر من مرة، وتجولت في ربوعها، وجالست أهلها، وسمعت من بعض رواتها، ووقفت على بعض موروثاتها وآثارها التاريخية فتأكد لي أن هذه البلاد وسكانها أهل حضارة وتاريخ ومجد عريق . وكما أشرت في أكثر من مكان، بأن الباحثين والمؤرخين الغامديين والزهرانيين، وكذلك القائمين على جامعة الباحة عليهم جميعاً مسؤولية كبيرة تجاه المجتمع الغامدي والزهراني، والواجب عليهم خدمته في شتى المجالات العلمية والبحثية الثقافية والفكرية . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠ هـ / ق٧-١٦م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠-٢٠١١م) . الجزء الثاني، ص ١٣٣ - ٢٥٠ .

الجيدين. وعدد هؤلاء الرحالة الوارد ذكرهم في هذا الكتاب عشرون رحالاً، ولا ندعي أننا شملنا كل الرحالين الذين زاروا منطقة الباحة أو أشاروا إليها في كتبهم ومدوناتهم، ولهذا فقد ذكرنا كلمة (بعض) في عنوان هذه الدراسة، حتى نترك الباب مفتوحاً لمن أراد أن يستكمل ما لم نستطع الوصول إليه أو الاطلاع عليه . كما أننا أيضاً لا ندعي الكمال فيما أوردناه، ومن ثم ندعو كل من لديه علم، واطلع على قصور أو نقص وقعنا فيه أن يستكمل ويصحح إذا كان ذا فائدة علمية تضيف جديداً أو تصحح خطأً[١] .

الرحالون الوارد ذكرهم في هذا البحث بدأوا بالمؤرخ والنسابه (لسان اليمن) الحسن بن أحمد الهمداني، وانتهوا ببعض الغامديين والحجازيين الذين تعرضوا لبلاد الباحة في مدوناتهم مثل: علي حافظ، ومسفر مرزح الغامدي[٢]. والناظر في فهرست البحث العام لهؤلاء الرحالة يجد أن سبعة منهم أشاورا إلى ذكر غامد وزهران أو الديار السروية الزهرانية والغامدية من القرن (٣-٨هـ/٩-١٤م) . أما الفترة الممتدة من القرن (٩-١١هـ/ ١٥-١٧م) فلم نجد أي رحال ذكر تاريخ هذه البلاد. وفي الزمن الممتد من القرن (١٢-١٥هـ/١٨-٢١م) نجد (١٣) كاتباً أو رحالاً تعرضوا لذكر تاريخ وحضارة منطقة الباحة (غامد وزهران) مع التفاوت في الحجم والتنوع في مدوناتهم. ونقول للقارئ الكريم أن هناك أسباب عديدة جعلتنا نفرد قسماً مستقلاً في هذه الدراسة عن بعض المؤرخين والرحالين أو الكتاب الذين زاروا أو عرفوا البلاد الزهرانية والغامدية، ومن هذه الأسباب ما يلي:

١. التاريخ ليس محصوراً في كتب التاريخ البحتة، وإنما هو علم واسع فمصادره متنوعة ومتشعبة . والبحث في التاريخ يختلف حسب الزمان والمكان، وحسب العنوان أو الموضوع الذي يراد دراسته وبحثه . وكتب الجغرافيا والرحلات من المصادر الهامة في علم التاريخ، وهذا ما لمسناه في هذا القسم، فهناك العديد من الرحالين والجغرافيين الذين ذكروا بعض التفصيلات عن بلاد غامد وزهران، وقد يصعب أحياناً أن نجد بعض المعلومات التي ذكروها عند غيرهم من المؤلفين والكتاب .

٢. من المؤكد أن هناك أقوال وروايات عند بعض الرحالين الذين جابوا الجزيرة العربية ولم نطلع على مدوناتهم، وبعضهم كانوا علماء في اللغة والشريعة أو في علوم أخرى، وقد يكون منهم أمراء وقضاة ورجال حكم وسياسة، ومثل هؤلاء ربما ذكروا أو أشاروا

---

(١) هذه دعوة نذكرها دائماً في جميع كتبنا ودراساتنا، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها. فالواجب علينا جميعاً أن نتناصح ونصحح بعضنا، فكل منا مرآة لأخيه المسلم . ونرجو كل من يجد خطأً أو قصوراً وقعنا فيه أن ينبهنا إلى هذا العيب حتى نصححه ونتلافاه في قادم الأيام.

(٢) انظر الفهرس العام لهذه الدراسة .

إلى بـلاد غامد وزهـران . ومن ثم فلا ندعي الكمال والشـمولية لكل الرحالين الذين تعرضـوا لمنطقة الباحة. ونحن ننادي من على صفحات هذا الكتاب أن تُدرس منطقة غامد وهران بشـكل أوسـع وأشـمل وبخاصـة في أقوال وروايات المؤرخـين والرحالين والأدباء والشعراء والجغرافيين. ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على مادة طيبة تصور التاريخ الحضاري للمجتمعات الغامدية والزهرانية .

٣. الجميـل في إيراد أقوال هؤلاء الرحالـين المختلفين في الثقافـات والاتجاهات وأحياناً في الديـن والدمـاء، وكذلك في مواطنهم الرئيسـية، وفي عصـورهم الزمنية،كل هذا يؤكد على أن العلم شـيء مشـاع لكل الناس، فهذا الأندلسـي، وذاك الفارسـي، وآخر المغربي، بل ذاك المسلم وآخر النصراني كلهم اجتمعوا على تدوين التاريخ والحضارة لمجتمعات عربية أزدية سـروية منزوية في صقع من أصـقاع بلاد السراة. وهذا فضل مـن اللّه عزوجـل أن جعل في هذه الدنيـا أقوام يخدمون آخرين وليس بينهم صـلة أو قرابة، وإنما العلم وخدمة الثقافة والفكر هو الذي سخرهم ودفعهم لذلك .

٤. إذا اطلع بعض الباحثين المحدثين، أو بعض مثقفي بلاد غامد وزهران إلى هذا السرد التاريخـي، وما دونه لنا أولئك الرحالون المتقدمـون والمتأخرون، فربما أدى ذلك إلى بعث النشـاط والحماسـ في قلوبهم وهممهم فيكتبوا بعضـ مدوناتهم أو رحلاتهم في بلادهم أو غيرها، وإذا فعلوا ذلك، فإنه مما يثري الميادين الثقافية والعلمية والفكرية في بلادنا وبين مجتمعاتنا .

٥. موضـوع الرحلة والرحالين في بلاد غامد وزهران خلال العصـور الإسـلامية المبكرة والوسـيطة والحديثة والمعاصرة جدير بالدراسة . بل يستحق أن يفرد له كتاب مستقل أو رسـالة علمية أكاديمية . ولو قام أحد الباحثين الجادين بدراسـة هذا الموضوع فإنه ـ بدون شك ـ سوف يضيف إلى المكتبة العربية كل جديد ونافع (بإذن اللّه تعالى) .

٦. هناك الكثير من الموظفين جاؤوا إلى منطقة الباحة منذ منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، بل وبعضـهم من الأدبـاء والمعلمين والشـعراء، وقد يكون لهم آثـار في المنطقة، وربما سـجلوا بعض ملحوظاتهم أو انطباعاتهم ومشاهداتهم . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين المعاصرين فيدرس مثل هذا الموضوع الذي قد يدون عنه مادة علمية جديدة تعكس صوراً من تاريخ وحضارة الإنسان في منطقة الباحة .

ثانياً : التعريف بالرحالة ومدوناتهم :

١ـ الحسن بن أحمد الهمداني (ق٣ـ٤هـ/٩ـ١٠م) .

أبـو محمد الحسـن بن أحمد بن يعقـوب الهمداني، المعروف بابـن الحائك، وهو من بيـت متوسـط من بيـوت بكيل ببـلاد همـدان[١] . ولد في صنعاء في النصـف الثاني من القرن (٣هـ/٩م) [٢]. نشـأ في عصر تقدمت فيه العلوم والآداب وتفنن أهلها في التصنيف والتأليف، وقد شـارك هـذا الرحالة اليمني في جميع معارف عصـره من تاريخ وأنسـاب وجغرافيـة وفلك ودراسـة لحركات الكواكب وبحث عن سـنن الطبيعـة وآراء الملل والنحل وغيرها من العلوم[٣] . وهنـاك آثار كثيرة لهذا العالم اليمني قد فقدت، وأشـار إلى بعضها عبد الله بن محمد عبد الله الحبشي[٤] .

والكتـاب الذي يهمنا في هذه الدراسـة هو كتاب : **صـفة جزيرة العـرب**، فهو من أهم مؤلفات الهمداني، وهو من أهم الكتب لمعرفة جزيرة العرب وبخاصـة الجنوبي منها، ولم يكتـف هذا الرحالة بوصـفها نقلاً عن غيره وإنما تنقل في معظـم أجزائها [٥]. وقد زودنا بتفصيلات قيمة عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى حواضر اليمن الكبرى. وإذا قارنـا مـا حفظ لنا هذا الرحالة مـع غيره فإنه يفوقهم في دقة الرصـد وجودة المادة العلمية التي يندر أن نجدها عند سواه[٦] .

وعـن منطقة الباحة (بـلاد غامد وزهران) ، فالظاهر علـى الرحالة أنه جاب بلاد السـراة الممتدة مـن نجران وقحطـان إلى زهران والطائـف مرات عديـدة[٧]، وكان لديار

---

(١) لقد أورد الهمداني نسبه كاملاً في كتابه، الإكليل، ج١٠، ١٩٢ـ ٢٠٤ .

(٢) ليس هناك تاريخ دقيق يحدد ولادته، وتذكر بعض المصادر أن ولادته كانت من الخمسينيات إلى نهاية السبعينيات من القرن (٣هـ/٩م) . ونجد الأستاذ محمد علي الأكوع محقق كتاب : صفة جزيرة العرب للهمداني، يحدد تاريخ ميلاده في عام (٢٨٠هـ) . انظر : الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق الأكوع (الرياض) (١٣٩٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٥ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن حياة الهمداني انظر بعض كتبه التي تم العثور عليها مثل: صـفة جزيرة العرب، وكتاب الجوهرتين، وكتاب الإكليل، وكتاب الدامغة . وهناك كتب أخرى لم تصلنا وفي الغالب أنها ضاعت مثل: كتاب الأيام الذي ورد ذكره في بغية الوعاة للسيوطي، وكتب أخرى مثل: الحيوان،، وسرائر الحكمة، واليعسوب في آلات الحرب وأخبار الأبطال والشجعان الذين امتازوا باستعمالها وقد سماه الهمداني في كتاب : صفة جزيرة العرب (القوس من اليعسوب) .

(٤) للمزيد انظر: (عبد الله الحبشي . مراجع تاريخ اليمن (طبعة دمشق سنة ١٩٧٢م)، ص١٣ وما بعدها .

(٥) لقـد اعتمدنـا على النسـخة التـي حققها محمـد علي الأكوع وأشـرف علـى مراجعتهـا وطباعتها حمد الجاسـر (الرياض: منشورات دار اليمامة) (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٦ وما بعدها .

(٦) لقـد كانـت سـعة الثقافة التي يتمتع بهـا الهمداني، بالإضـافة إلى كثرة تنقلاتـه وتجواله في أرجـاء الجزيرة من الأسباب الرئيسية في ثراء مادة كتاب : صفة الجزيرة . للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٣، ص٣٢٦ وما بعهدها . ج٤، ص٢٦ وما بعدها .

(٧) الهمداني، صفة، ص٢٥٥ وما بعدها، غيثان بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة، ربيع الآخر والجمادان (١٤١٤هـ) . العدد (٣) . السنة(١٩)، ص ٧٦ وما بعدها .

قحطان وشهران ورجال الحجر[١]، ثم الطائف نصيب لا بأس به في شروحاته . أما بلاد غامد وزهران فلم يولها كبير اهتمام، وإنما أشار إليها في إحدى رحلاته من اليمن إلى الحجاز عندما كان يعدد بعض السروات الواقعة بين صنعاء والطائف فقال : " ... ثم سراة زهران من الأزد دوس وغامد ... نجدهم بنو سواءة بن عامر وغورهم لهب، وعويل من الأزد وبنو عمرو، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية، ثم سراة بجيلة.. "[٢]. وفي مكان آخر من الكتاب يعدد السروات فيقول: " .. ثم يتلو سراة عنز سراة الحجر بن الهنو .. ثم يتلوها سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فهم وعدوان ... "[٣] . ويفصل الحديث عن بعض السروات الواقعة إلى الجنوب من بلاد غامد وزهران[٤]، وعندما يصل إلى الديار الغامدية يشير إليها بقوله : " ... ثم غامد، ثم بلد النمر، ثم بلد دوس من وراء ذلك .. "[٥]. ويشير إلى لغة أهل السروات الممتدة من اليمن إلى الطائف ويشيد بحسن بيانهم وفصاحة لغتهم[٦]. وفي صفحات عديدة من كتابه يذكر بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في أرض السروات من صنعاء إلى الحجاز، إلا أن البلاد المعنية في هذا القسم لم ينلها نصيب يذكر، وربما أن هذا الرحالة كان يجتاز بلاد غامد وزهران بشكل سريع دون أن يمكث بها بعض الوقت ويدون بعض ما سمع أو شاهد، كما كان يفعل في سروات منطقة عسير أو أجزاء من بلاد اليمن[٧].

٢ـ شمس الدين أبو عبد الله المقدسي المعروف بالبشاري (ق٤هـ/ ١٠م) :

لا نعرف إلا القليل عن ميلاد المقدسي ونشأته، وكان مولده في بيت المقدس، جاب عدداً من أقاليم العالم الإسلامي[٨] ، ثم دون كتابه الموسوم بـ: أحسن التقاسيم في معرفة

---

(١) بلاد قحطان وشهران ورجال الحجر أجزاء من منطقة عسير في عصرنا الحاضر وهي ديار واسعة ومأهولة بالسكان، وتستحق العديد من الدراسات التاريخية والحضارية . ونأمل من جامعة الملك خالد أن تولي هذه النواحي وغيرها اهتماماً كبيراً في مجال البحوث والدراسات .

(٢) الهمداني، صفة، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) وبخاصة سروات الحجر المعروفة اليوم ببلاد بني عمرو، وبني شهر، وبللسمر، وبللحمر فقد أورد عنها تفصيلات جيدة . انظر : الهمداني، صفة، ص ٢٦١ـ ٢٦٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٩ . أشار إلى بلاد غامد وزهران ضمن بلاد السروات فقال : " الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث، فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام فأرض سنحان، فأرض نهد وبني أسامة فعنز فخثعم فهلال بن ربيعة فسرة الحجر فدوس فغامد .. " . الهمداني، صفة، ص ٢٧٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ وما بعدها . وشخصية الهمداني وكذلك مؤلفاته التي وصلتنا تحتاج العديد من البحوث والدراسات الأكاديمية . ونأمل أن نرى من طلابنا أو طالباتنا في برامج الماجستير والدكتوراة . بجامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، وجازان، ونجران فيولوا هذا العالم اليمني وكتبه كبير اهتمام في أعمالهم العلمية والأكاديمية . والدعوة موجهة أيضاً إلى أعضاء هيئة التدريس في أقسام التاريخ بهذه الجامعات الآنفة الذكر أو غيرها من الجامعات السعودية الأخرى .

(٨) زار هذا الرحالة حوالي أربعة عشر إقليماً هي : الجزيرة العربية، والعراق، وأقور، والشام، ومصر، والمغرب، والمشرق، والديلم، والرحاب، والجبال، وخوزستان، وفارس، وكرمان، والسند . انظر : المقدسي، أحسن التقاسيم . تحقيق أم . ج . دي . خوية (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٦م)، ص ٩ ـ ١٠ .

الأقاليم، وكان تدوينه لهذا السفر في مدينة شيراز الفارسية عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م)، وعمره آنذاك حوالي أربعين سنة [(١)].

ويشير المقدسي إلى سبب تدوين هذا الكتاب، فيقول: ".. أما بعد مازالت العلماء ترغب تصنيف الكتب لئلا تدرس آثارهم، ولا تنقطع أخبارهم، فأحببت أن أتبع سننهم، وأقيم علماً أحيي به ذكري، ووجدت العلماء قد سبقوا إلى العلوم فصنفوا على الابتداء، ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيت أن أقصد علماً قد أغفلوه، وأنفرد بفن لم يذكروه ... وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة، وطرقها المستعلمة، وعناصر العقاقير والآلات، والتجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم ..." [(٢)].

والمقدسي جاء إلى جزيرة العرب وتجول في حواضرها ومدنها الكبرى، ودون عنها تفصيلات قيمة[(٣)]. وبلاد الحجاز واليمن فازتا بنصيب الأسد في مدوناته، أما بلاد غامد وزهران، والمعروفة، أيضاً ببلاد السراة، فلم يرتدها أو يزرها وإنما أشار إليها عن طريق السماع وأقوال الرواة. وذكر أنها تقع ضمن بلاد السروات الواقعة بين اليمن والحجاز، بل عدها من المخاليف التابعة لبلاد الحجاز وبخاصة الطائف ومكة المكرمة[(٤)]. ومن خلال مدوناته عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في مكة المكرمة نستشف في طيات الحديث أن أهل بلاد السروات مثل غامد وزهران كانوا على اطلاع وصلات بالحراك الحضاري الذي كان جارياً في مدن الحجاز الكبرى. فكانوا على صلات اجتماعية وتجارية مع أهل الحجاز، بل كانوا يرتادون أسواق مكة والطائف ويعملون في العديد من المضاربات التجارية، فضلاً عن ممارسة شعائرهم الدينية في مواسم الحج والعمرة وطوال أيام السنة[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه. ص ٢ وما بعدها، وللمزيد انظر: أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، ص ١٢٩ وما بعدها.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١-٢.

(٣) المصدر نفسه. ص ١٠ وما بعدها. هناك العديد من الرحالين الذين جابوا أجزاء من جزيرة العرب وتحدثوا عن جوانب عديدة من تاريخها الحضاري، ومن أولئك الرحالة. الهمداني، واليعقوبي، وابن الفقيه، وابن خرداذبة، وابن رسته، وابن حوقل، والإصطخري، وابن المجاور، والإدريسي، وابن بطوطة وغيرهم. والمقدسي يأتي في مقدمة هؤلاء الرحالين المسلمين الأوائل.

(٤) المقدسي، أحسن، ص ٧٠، ٨٨، ٩٦، ١٠٣-١٠٤.

(٥) المصدر نفسه. ص ٦٧-١١٣. الدارس لتاريخ اليمن والسروات والحجاز يجد أن هذه البلاد متقاربة في الأوطان متشابهة في الكثير من العادات والتقاليد. ثم إن حواضر الحجاز واليمن مرتادة من أهل المدن والأرياف القريبة أو المحيطة بها. والسرويون لا غنى لهم على الإطلاق من ارتياد تلك الحواضر الكبرى وبخاصة مدن الحجاز الرئيسية مثل: الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة فهي مرتادة من قبل السرو أو السرويون عبر عصور التاريخ.

٣. ناصر خسرو (ق٥هـ/١١م) :

ولد هذا الرحالة في بلدة قباديان من نواحي بلخ عام (٣٩٤هـ/١٠٠٣م)، وتوفي في العقد الثالث من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) في بلاد الأفغان عند حدود كشمير من بلاد الهند[١].

هذا الرحالة فارسي الأصل والمنشأ، عمل في بلاط الدولتين الغزنوية والسلجوقية، وكان معظم عمله في دواوين هاتين الدولتين[٢] . خلف العديد من الكتب، منها الكتاب الذي يهمنا في مبحثنا هذا والموسوم بـ (**رحلة ناصر خسرو**)، وهو رحلة قام بها لعدة سنوات (٤٣٧-٤٤٤هـ/٩٤٨- ١٠٥٢م) . ذكر فيها الكثير من البلدان في قارتي آسيا وإفريقيا، وقد زار الجزيرة العربية في عام (٤٤٢هـ/١٠٥٠) وتنقل ما بين مكة والمدينة والطائف واليمامة والأحساء والبحرين وغيرها[٣] .

وهذا الرحالة لم يزر سروات أو تهامة غامد وزهران، ولم يذكرها بشكل مباشر، لكنه ذكر البلاد الممتدة من الحجاز إلى اليمن فقال إنهم أهل إبل وماشية ومساكنهم الخيام[٤] . وأشار إلى الأجزاء السروية وذكر أنها مناطق شديدة البرودة، وبها العديد من المضائق الجبلية والحصون المحكمة[٥] . وبلاد السروات وسراة غامد وزهران جزءاً من هذه الديار فقد ذكر أنه يوجد بها قرى كثيرة وبواد لا تدخل تحت الحصر، ثم قال : " وفي كل بادية حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزية، وتكثر في هذه النواحي السرقة والقتل والنهب"[٦] . ومن هذه الإشارات القليلة لهذا الرحالة خرجنا ببعض النتائج والآراء مثل:

١. منطقة الباحة (غامد وزهران) تقع ضمن هذه البلاد التي أشار إليها هذا الرحالة، ثم إن بعض سكان هذه الديار أهل ماشية وإبل، بل بعضهم بدو رحل مع مواشيهم وثرواتهم الحيوانية. كما أن مرتفعات زهران وغامد شديدة البرودة في الشتاء وبها العديد من الحصون والجبال الشاهقة[٧] .

---

(١) معين الدين ناصر خسرو . سفر نامة (رحلة ناصر خسرو) . ترجمه من الفارسية إلى العربية أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) . انظر: مقدمة المترجم، ص٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥ـ ٦ . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/١٦-٢١م) (دراسة تاريخية حضارية) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ١٦٣ـ ١٦٤ .

(٣) انظر كتابه : سفر نامة (رحلة ناصر خسرو)، ص٩ ومابعدها . للمزيد انظر: أحمد رمضان أحمد، الرحلة، ص ٢٣٩ـ ٢٥٠ .

(٤) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٤٢ .

(٥) المصدر نفسه،

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

(٧) مشاهدات الباحث لهذه البلاد التي زارها مرات عديدة وبخاصة في عامي (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م و (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٢. القرى في سروات غامد وزهران وما جاورها من السروات كثيرة ومأهولة بالسكان[١]. ثم إن سكان هذه البلاد كانوا في السابق محكومين من قبل شيوخ القبائل الذين يعود إليهم الأمر والنهي في أمور بلادهم. والدارس لتاريخ بلاد السراة منذ القرن (٣-١٢هـ / ١٨-١٩م) يجد أن الفوضى كانت ضاربة أطنابها في عموم هذه البلاد، فكل قبيلة مستقلة بذاتها، بل نجدها في صراع دائم مع القبائل والعشائر المخالطة لها في الاستيطان[٢].

وإذا كان ناصر خسرو لم يزر بلاد زهران وغامد وما حولها من السروات الممتدة من صنعاء حتى الطائف، إلا أن وصفه شيوخها بالاستبداد، وانتشار السرقة والقتل والنهب بينهم لا يخلو من الصواب، ويعود السبب إلى عدم وجود سلطة إدارية نظامية تضبط البلاد والعباد. وفي اعتقادي أنه لو زار أرض السروات فإنه بدون شك سيحفظ لنا صوراً من تاريخ هذه البلاد خلال العصور الإسلامية الوسيطة[٣].

٤. محمد بن أحمد بن جبير (ق٦-٧هـ / ١٢-١٣م):

هو ابن جبير البلنسي الأصل الغرناطي بالاستيطان ولد بمدينة بلنسية في الأندلس سنة (٤٣٩هـ أو ٩٤٠هـ / ١١٤٤م أو ١١٤٥م)، وكانت وفاته بمدينة الإسكندرية عام (٦١٤هـ /١٢١٧م). كان من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وله مشاركات في الأدب. ترجم له العديد من المؤرخين والأدباء في القديم والحديث[٤].

ونستطيع القول بأن هذه الأوطان جديرة بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية الجادة. ونأمل أن تقوم جامعة الباحة بإنشاء مراكز بحثية تتولى أمور الدراسات الموثقة عن هذه البلاد البكر في ميدان البحوث العلمية التاريخية والأثرية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

(١) إن الذاهب في هذه البلاد اليوم يلحظ تناثر القرى القديمة في كل مكان، بل يجد النقوش والآثار الكثيرة التي تدل على وجود مستوطنات سكانية قديمة، والتي يعود تاريخ بعضها إلى عصور ما قبل الإسلام.

(٢) تاريخ بلاد السراة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة غير معروف بشكل واضح، مع أن هناك شذرات كثيرة في كتب التراث الإسلامي تشير إلى صور ولمحات من التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلاد. والذي تأكد لنا من تلك الشذرات ومن بعض الروايات المتواترة أن الفوضى كانت صاحبة القدح المعلى في هذه الديار، فلا يوجد حكومة مركزية قوية تسوس الناس، وإنما شيوخ القبائل هم أصحاب القرار الأول والأخير في أوطانهم.

(٣) تاريخ بلاد تهامة والسراة الممتدة من صنعاء وزبيد جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً لازال يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة. ونأمل من الأكاديميين والمؤرخين الجادين في جنوبي البلاد السعودية أن يولوا هذه البلاد اهتمامات جادة في بحوثهم ودراساتهم. كما نأمل من طلاب وطالبات الدراسات العليا في جامعات: الملك خالد، ونجران، وجازان، والباحة، والطائف أن يركزوا في أطروحاتهم العلمية على بلادهم ومساقط رؤوسهم، أو أي جزء من بلاد تهامة والسراة الجديرة بالبحث والدراسة.

(٤) ترجم له كل من لسان الدين الخطيب في كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة، والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي في كتابه: مستفاد الرحلة والاغتراب، والمقري في كتابه: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. وترجم له أيضاً المقريزي، وجرجي زيدان، والمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، وكارل بروكلمان، وفؤاد سزكين، وزكي محمد حسن، وحسين نصار وغيرهم.

قـام بثـلاث رحلات إلى أجـزاء عديدة مـن إفريقيا، وآسـيا، وأوروبا، ثـم دون تلك الرحلات في كتابه المشهور بـ : **رحلة ابن جبير** .

بدأ أول رحلاته من الأندلس عام (٥٧٨هـ/١١٨٢م) متجهاً إلى بلاد المغرب ومصـر ثم الجزيرة العربية، كما زار ـ أيضـاً ـ كلاً من العراق والشـام وصـقلية، وأخيراً استقر به القرار في مصر حتى وافته المنية هناك في العقد الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[١]

والواضـح أن هـذا الرحالـة زار مكـة المكرمة والمدينـة المنورة، ولم يذهـب جنوبهما إلى أرض السـروات أو بلاد اليمن . والذي جعلنا ندرجه مـع الرحالين الذين ذكروا بلاد غامد وزهران، أنه دون في كتابه المعروف بـ (**الرحلة**) حوالي أربع صـفحات تحت عنوان (السـرو المائرون) . والمقصود بهؤلاء السرويون هم أهل البلاد الممتدة من الطائف وبني سـعد وبلحارث إلى غامد وزهران وشمران ومن جاورهم من القبائل السروية الواقعة بين الطائف ونجران[٢] .

وفي المادة التـي دونهـا هذا الرحال عن السـرويين يتضـح لنا عدة أمـور نذكرها في النقاط التالية :

١. من العنوان الذي ذكره ابن جبير (السرو المائرون)[٣] . يتأكد لنا أن أهل السراة من غامد وزهران ومن جاورهم كانوا حريصـين على ارتياد حواضـر الحجاز وبخاصـة مكة المكرمة من أجل أداء الحج والعمرة، وكذلك حمل العديد من السلع للمتاجرة بها في بلاد الحرمين . وقد ذكر ابن جبير ذلك بشكل واضح عندما قال : " إنهم يجمعون بين النية والعمرة وميرة البلد[٤] بضـروب من الأطعمة كالحنطة وسـائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها . ويجلبون السـمن والعسـل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة . ويصـلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معايش أهل البلد، والمجاورين فيه"[٥] . ويقول أيضـاً : " ومن العجيب في أمر هؤلاء (السرو) المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا درهم،

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير (بيروت : دار صادر، د . ت) . ص٥ وما بعدها، أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، ص٣٢٣ـ٣٣٨ .

(٢) نجد الهمداني فصل الحديث عن هذه السروات، وللمزيد انظر، كتابه : صفة جزيرة العرب، ص ١١٩ وما بعدها.

(٣) انظـر ابـن جبير، الرحلة، صـ١١٠ . والدارس لتاريخ السـراة وعلاقة أهلها بالحجـاز يجـد أن العلاقات متينة ومستمرة منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر . ونأمل أن نرى دراسات علمية أكاديمية جيدة ترصد تلك العلاقات التاريخية والحضارية منذ القدم حتى عصرنا الحديث

(٤) يقصد بـ (البلد) هنا : أي مكة المكرمة .

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص١١٠ .

إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، وأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويبايعونهم به ويشارونهم..." (١).

٢. من خلال مقابلة ابن جبير لبعض السرويين وسؤالهم عن أوطانهم اتضح له أنها بلاد " خصبة كثيرة التين والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات "(٢). وأثناء مشاهدته لأولئك السرو قال عنهم: " القوم عرب صرحاء حفاة أصحاء، لم تغذهم الرقة الحضرية، ولا هذبتهم السيرة المدنية، ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا نجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية"(٣). ويسهب الحديث في ممارساتهم عباداتهم عندما يكونون في جوار البيت الحرام(٤). ثم يذكر بعض صفاتهم وشدة بأسهم فيقول: " ولا ملبس لهم سوى أزر وسخة، أو جلود يستترون بها. وهم أهل بأس ونجدة، ولهم القسي العربية الكبار، لا تفارقهم في أسفارهم. فمتى رحلوا إلى الزيارة هاب أعراب الطريق المسكون للحجاج مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، وخلوا لهم عن الطريق، ويصحبهم الحجاج الزائرون فيحمدون صحبتهم(٥) ..."

٣. مما أورد لنا هذا الرحالة ومعرفتنا الطويلة ببلاد السراة الممتدة من غامد وزهران إلى الطائف تأكد لنا صحة ماجاء عند ابن جبير. فهذه البلاد مأهولة بالسكان، مليئة بالخيرات والثروات الزراعية والحيوانية. كما أن أهلها أصحاب قوة وبأس، وربما صعوبة تضاريس بلادهم أكسبتهم القوة في أجسادهم، والصرامة في أفعالهم وأقوالهم. كما أنهم أصحاب عقائد صافية فلم يشب معتقداتهم أفكار هدامة، وإنما دينهم على مر التاريخ الإسلامي الاتباع في القول والعمل(٦). ناهيك عن نقاء لغتهم فهم أهل فصاحة، وهذا ما أكده ابن جبير عندما قابل البعض منهم فقال: "..أما فصاحتهم فبديعة جداً، ودعاؤهم كثير التخشيع للنفوس.." (٧).

٥- جمال الدين يوسف بن يعقوب المعروف بـ (ابن المجاور / ق٧هـ / ١٣م):

ابن المجاور من رحالي القرن (٧هـ/١٣م)، ويذكر أنه من أهل الشام، ورأي آخر

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١١١ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٢ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٢ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) بلاد السراة لا زالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية جيدة في طبائع الناس وأخلاقهم ومعتقداتهم وأدبهم ولغاتهم. كما أن الصلات بين بلاد السراة وأرض الحجاز من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث العلمي الأكاديمي الرصين .

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص١١٣.

ينسبه إلى بلاد فارس[١] . له كتاب بعنوان : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز. ويسمى أيضاً : تاريخ المستبصر . قام المستشرق أوسكار لوفغرين على دراسة وتحقيق هذا الكتاب ثـم طبع ونشـر بمطبعة بريـل في مدينة ليدن بهولندا عـام (١٩٥١م) ، وهذه الطبعة التي اعتمدنـا عليها في هذه الدراسـة . وهذا السـفر يقـع في جزءين بمجلـد واحد في (٣٠٣) صفحة من القطع المتوسط[٢] .

ومن عنوان الكتاب يتضح لنا أنه خاص ببلاد اليمن والحجاز، لكنه لا يخلو من بعض التفصـيلات عن نجد والبحرين وبلاد السـراة . ويبدو أن ابن المجاور لم يزر أو يشـاهد سـروات غامد وزهران وما جاورهما من أرض السـروات الممتدة من أبها إلى الطائف[٣]، لكنه أورد معلومات قيمة وذكر فيها بعض الصور الاجتماعية والاقتصادية لتلك السروات فقـال: " ... (إنهـا) قرى متقاربة بعضـها من بعض في الكبر والصـغر، وكل قرية مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلهـا، ولا يسـكنها أحد سـواهم . وقد بني في كل قرية قصـر من حجـر وجص، وكل سـاكن في القرية له مخزن في القصـر يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزة وملكه، ولا يؤخـذ منه إلا قـوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصـر مـن أربع ترابيع . ويحكم كل قرية شـيخ من مشـائخها كبير القدر والسـن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشـاركه ولا يخالفه أحد فيما يشـيره عليهم ويحكم فيهم . وجميـع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سـلطان، ولا يؤدون خراجاً، ولا يسـلمون قطعة، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طوال الدهر على هذا الفن، وجميع زروعهم الحنطة والشـعير وشـجر الكروم والرمان، واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل . وهم في دعة الله وأمانه، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنسـاب "[٤]. وفي مكان

---

(١) من يطلع على كتاب هذا الرحالة والموسـوم بـ: تاريخ المستبصـر، يجد أن صاحب الكتاب ذا ثقافة ومعارف فارسية جيدة، وهذا مما يؤكد على أنه من أصـول فارسـية . للمزيد انظر: بشـير إبراهيم بشـير (ابن المجاور : دراسـة تقويمية لكتابه : تاريخ المستبصر) . بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . جامعة الرياض (الملك سـعود) (٥-١٠ جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م) . دراسـات تاريـخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني)، ص ٤١-٦٠ .

(٢) المصدر والمرجع نفسه .

(٣) من يطالع مادة الكتاب يجد أن هذا الرحالة زار العديد من حواضـر الحجاز واليمن الرئيسـية مثل الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وعدن، وصـنعاء، وصـعدة، وزبيد، ونجران وما جاورها، كما أنه سـار على ساحل البحر الأحمر من الحجاز إلى تهامة اليمن . أما أرض تهامة والسراة الممتدة من أبها ورجال ألمع ومحائل جنوباً إلى بلاد الباحة وما حولها شـمالاً فلم يرتدها وإنما دون عنها بعض المعلومات التاريخية والحضـارية الجيدة . انظر كتابه : تاريخ المستبصر (تحقيق لوفغرين) ، ج١، ص٣ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٧-٣٨ .

آخر يصف التركيبة الاجتماعية لسكان سراة غامد وزهران وما جاورهم فيقول: ".. أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم وفيهم، وهم بطون متفرقون ... "[١]. وعن الصلات الاقتصادية بين سروا ت زهران وغامد ومن جاورهم مع أهل مكة المكرمة نجد ابن المجاور يؤكد على ما ذكر ابن جبير من حركة التبادل التجاري بين الجانبين، وعن تصدير أهل السراة بعض سلعهم إلى أسواق مكة، فيقول: " .. فإذا دخلوا ـ أي السرويين ـ مكة ملئوها خبزاً من الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك، ولذلك يقول أهل مكة : حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمنا نكسب منهم القوت.." [٢].

<u>ومما اطلعنا عليه في كتاب هذا الرحالة وله علاقة ببلاد السروات الممتدة من الطائف حتى بلاد عسير، استطعنا الوصول إلى بعض الرؤى والنتائج، ونذكر منها ما يلي :</u>

١. الواضح أن هذا الرحالة ذكر الكثير من طباع وحياة السرويين، وبخاصة سروات غامد وزهران وعسير وما جاورها . والمتجول في هذه البلاد يجد نسبة الحقيقة عالية فيما أورد ابن المجاور، وربما في بعض أقواله ـ وهي قليلة ـ نظر ويجب الوقوف عندها والتثبت من صحتها، لكن ما ذكره من الصعوبة نجده في مصادر أخرى[٣] .

٢. أهمية بلاد السراة لحواضر الحجاز الرئيسية وبخاصة في الجانب الاقتصادي، فكانت جل الحبوب والمزروعات والحيوانات تصدر من أرض السراة إلى أسواق الطائف ومكة، ومن ثم يحصل السرويون على ما يحتاجونه من الأقمشة وغيرها من الأسواق الحجازية[٤] .

٣. في بعض المواقع من الكتاب أشار هذا الرحالة إلى بعض العادات والأعراف التي يدعي أنها موجودة عند أهل تهامة والسراة . والمتأمل في بعض تلك الأقوال يجدها تتعارض مع منهج الشريعة الإسلامية، بل يجدها خارجة عن إطار الأدب والحشمة . ولهذا تجنبنا ذكرها أو إيراد أي شيء من هذه الروايات في هذه الدراسة، وذلك لأنها بعيدة عن الصواب، ومن يطالع بعض الكتب التراثية التي أشارت إلى تاريخ وحضارة هذه

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص٢٦ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧ . بلاد السروات غنية بثرواتها الزراعية والحيوانية، ومن ثم كانت أسواق الطائف ومكة المكرمة من أهم المراكز التجارية المستوردة لبضائع وسلع السرويين. هذا ما وجدناه في العديد من المصادر الإسلامية المبكرة، وكذلك في مئات الوثائق الحديثة والمعاصرة، بل شاهدناه وسمعناه من كثير من رواة وتجار القرن (١٤هـ / ٢٠م) .

(٣) وبخاصة ما ذكر عن التركيبة البشرية لسكان السراة، وصلاتهم الحضارية مع أهل مكة . انظر، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص ٢٦ ـ ٢٧، ٣٧ ـ ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه .

البلاد لا يجد أي شيء من مغالطات هذا الرحالة. وربما يعود سبب إيرادها إلى أخذ معلوماته من أناس غير مثقفين ومنصفين فيما ذكروه، أو أن هذا المؤلف تعمد إيراد تلك الروايات المكذوبة والبعيدة عن الحقيقة[١] .

٦ـ شهاب الدين أحمد بن فضل الله العُمري (ق٨هـ / ١٤م) :

ولد العُمري في دمشق عام (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م)، وكانت أسرته تتولى ديوان الإنشاء بمصر والشام في عصر دولة المماليك، شب وعاش وتعلم شهاب الدين في مصر. وتتلمذ على عشرات العلماء، والقضاة، والأدباء، وتقلد العديد من الوظائف الحكومية جميعها في الأعمال الكتابية والديوانية، ولم يمتد به العمر فمات وعمره (٤٩) سنة . وقد ألف العديد من الكتب[٢] ، وفي مقدمتها موسوعته الضخمة : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار[٣]، وتقع في أكثر من عشرين مجلداً . وقد اعتمدنا في دراستنا على الجزء الذي سماه : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) [٤] .

والواضح أن العُمري لم يقم برحلات إلى الجزيرة العربية كما فعل كلٍ من المقدسي، وناصر خسرو، وابن جبير، وابن المجاور، وإنما ألف موسوعته نقلاً عن سابقيه أو معاصريه . والمتأمل في هذا الجزء الذي تعرض للحديث فيه عن الحجاز واليمن يجد أنه فصل القول في التاريخ السياسي والحضاري للقوى السياسية والإدارية التي تتولى أمر الحجاز وبخاصة في عصر الدولة المملوكية (٦٤٨ـ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ١٥١٧م) [٥]. ولا نجد لسروات غامد وزهران وما جاورها من أرض السراة كثير ذكرٍ في هذا الكتاب، وإنما أورد عنها سطور عديدة، نقلاً عن بعض الرواة، فقال: " حدثني أبو جعفر بن غانم[٦]، إن

---

(١) القارئ لكتاب ابن المجاور يجده أورد الكثير من المغالطات عن بعض أعراف وتقاليد وعادات الناس في بلاد السراة واليمن والحجاز . بل إن بعض من تلك الروايات لا يقبلها العقل أو الذوق الإنساني، ناهيك أنه يكتب عن عرب مسلمين يحتكمون إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . وإنني أنادي من على صفحات هذا الكتاب إلى وجوب دراسة كتابه دراسة تحليلية نقدية، وهذه مسؤولية المؤرخين المنصفين وطلاب وطالبات الدراسات العليا الجادين . للمزيد انظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص٢٦ وما بعدها .

(٢) لقد ألف العُمري حوالي (١٢) كتاباً، مثل: نفحة الروضة، وسفرة السفرة، ومختصر قلائد العقيان لابن خاقان، والشتويات، والدعوة المستجابة، وذهبية العصر، ودمعة الباكي ويقظة الشاكي، والنزهة الكافية في معرفة الكتابة والقافية وغيرها .

(٣) هذا الكتاب موسوعة ضخمة تقع في مجلدات عديدة، ويعد هذا العمل من أهم ما أنتجه عصر سلاطين المماليك، رغم أنه لم يلق ما يناسبه من الشهرة . وقد وصفها الصفدي ـ معاصر العمري ـ بأنها " كتاب حافل ما يعلم أنه لأحد مثله " .

(٤) هذا الجزء بتحقيق أيمن فؤاد سيد، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٩ ـ ١٧٠ . وموسوعة العُمري بشكل عام تحدثت عن ممالك إسلامية عديدة في قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا . ومن ثم فهي من المصادر الرئيسية التي لا يستغنى عنها أي باحث في تاريخ العصور الإسلامية الوسيطة .

(٦) لم نجد له ترجمة وربما كان من أهل الحجاز أو اليمن .

بلاد الشـرفاء[١] هؤلاء متصلة ببلاد السراة إلى الطائف، إلى مكة المعظمة، وأنها طريقه التي سـلكها في عوده من اليمن، وهي جبال شـامخة عليَّة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصـلة الواحدة إلى جانب الأخرى، وليست للواحدة تعلق بالأخرى، لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضـمهم ملك ولا يجمعهم حكم سـلطان، ولا تخلو قرية منها من أشـجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها مزارع أكثرها الشـعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب وضاقت بها الحظائر... وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضيفونه مـدة مقامه حتـى يفارقهم، وإذا ذبحوا لضـيفهم شـاة قدمـوا له جميع لحمها ورأسـها وأكارعهـا وكرشـها وكبدها وقلبهـا، يأكل ما يـأكل ويحمل ما يحمل. وأهـل هذه البلاد لا يفـارق أحد منهم قريته مسـافراً إلى الأخرى إلا برفيق يسـترفقه منهـا ليخفره، وإلا فلا يأمن أولئك لعداوة بينهم وتفرق ذات بين..." [٢].

ومن هذا الوصف الذي أورد لنا هذا المؤرخ يتضح لنا عدة أمور نذكر منها :

١. التأكيد على أقوال ناصر خسرو وابن المجاور بأن هذه الديار السروية يعود أمرها إلى أعيانها ومشـائخها . كما أن الفوضـى وعـدم وجود الأمن ضـارب أطنابه بين أهلها، وذلك لعدم وجود سلطة سياسية رئيسية تسوس البلاد والعباد .

٢. وفرة الخيرات الموجودة في هذه البلاد وبخاصة المواشي والزروع والثمار وغيرها، كما أن صفات الكرم من طبائع أهل السروات فتجدهم يكرمون الضيف ويقدمون له كل ما في وسعهم. وهذه عادة لازالت سارية بينهم حتى اليوم . والقارئ في الوثائق التاريخية خلال القرون المتأخرة الماضـية يجدها مليئة بالحقائق التي تؤكد على كرمهم وحبهم لاستقبال الضيوف[٣] .

٣. القـارئ لهذه المـادة التي أوردهـا العُمري، وكذلك ابن جبير، وناصـر خسـرو، وابن المجـاور، ثم الذاهب الآيب في أرض السـروات، والحريص على مقارنة ما ذكر هؤلاء المؤرخين وما تعيشـه هذه البلاد في وقتنا الحاضـر يلمس حقيقة وصدق بعض الأقوال التي أوردها هؤلاء المؤلفين[٤] .

---

(١) المقصـود بـ (الشـرفاء) هنا: أي الأشراف الزيدون الذين اتخذوا من صعدة وصنعاء مقراً لإقامة دولتهم، الدولة الزيدية في اليمن . والتي كان لها صلات سياسية وعسكرية مع بلاد السراة الممتدة من نجران حتى غامد وزهران والطائف وما جوارها .

(٢) العُمري، مسالك الأبصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) تحقيق أيمن فؤاد، ص ١٦٧.

(٣) حبذا أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يدرسون عادات وتقاليد وأعراف بلاد غامد وزهران وما جاورها من أرض السروات . ومن يفعل ذلك فسوف يجد مادة علمية جيدة وبخاصة في وثائق القرون الثلاثة الماضية المتأخرة .

(٤) حبذا أن نرى دراسـات تاريخية وحضـارية مقارنة لبلاد السروات وبخاصة ما ذكر عنها في كتب التراث الإسلامي

٤. عقائد أهل السراة صافية لم تدنسها أفكار أو تيارات مذهبية منحرفة . ومن ثم نجدهم حريصون على أداء شعائرهم الدينية بطريقة شرعية صحيحة . والمتجول في عموم السروات من أبها وخميس مشيط إلى الباحة والطائف يجد آثار مساجدهم وأماكن عباداتهم، بل حبهم للحفاظ على شعائرهم ودينهم . وعندما ننظر في بعض الكتب التراثية والوثائق التاريخية ونسمع للأقوال والروايات الشفاهية يتأكد لنا صفاء عقائدهم منذ دخل الإسلام إلى بلادهم حتى وقتنا الحاضر[١] .

٧. ابن بطوطة (ق٨هـ / ١٤م) :

محمد بن عبد الله، المعروف بابن بطوطة، ولد في مدينة طنجة على مضيق جبل طارق بشمال المغرب عام (٧٠٣هـ/١٠٣٤م) . جاب العديد من البلدان في قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا، وزار الجزيرة العربية وحج عدة مرات، ومات عام (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)[٢] . قضى هذا الرحالة في ميدان الرحلات (٣٠) عاماً اتصل خلالها بكثير من الملوك والسلاطين والأمراء والأعيان والوجهاء وعامة الناس . وفي منتصف القرن (٨هـ/١٤م) عاد إلى المغرب، وعكف على كتابة رحلاته وفرغ من تدوينها في (٣ ذي الحجة عام ١٣٥٦هـ/ ديسمبر ١٣٥٥م) ، وسمى تلك الرحلة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وهذا الكتاب هو الذي رجعنا له في هذا القسم .

وفي عام (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) زار ابن بطوطة المدينة المنورة ومكة المكرمة، وحج تلك السنة، ودون تفصيلات جيدة عن بلاد الحرمين[٣] . وفي عنوان جانبي سماه: مكة المكرمة وعادات أهلها، وفي هذه الجزئية أشار إلى السرويين الذين ذكرهم ابن جبير في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وابن المجاور في القرن (٧هـ/١٣م) وكيف كان قدومهم من بلاد غامد وزهران وما جاورها إلى مكة المكرمة، فيقول: " ... وأهل

المبكر، وما يوجد في الوثائق التاريخية الحديثة والمعاصرة غير المنشورة، وما يمكن مشاهدته أو سماعه من سكان هذه السروات . ومن يفعل ذلك فإنه بدون شك سوف يخرج لنا دراسة علمية أكاديمية موثقة وجيدة .

(١) للمزيد عن تاريخ وحضارة هذه السروات منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر انظر العديد من مؤلفاتنا مثل: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١. ق٤هـ / ق٦.٧م) جزءان، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب، أربعة مجلدات، ونجران دراسة تاريخية حضارية (ق١. ق٤هـ/ق٧.١٠م) ، الجزء الأول، وعسير دراسة تاريخية حضارية (١١٠٠ . ١٤٠٠هـ) . مع العلم أن بلاد تهامة والسراة لازالت تحتاج إلى جهود جبارة وجادة في مجالات البحوث التاريخية والأثرية. وهذه مسؤوليات الجامعات في جنوبي البلاد السعودية مثل: جامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، وجازان، ونجران . ونأمل من القائمين على هذه الجامعات استشعار مسؤولياتهم تجاه هذه البلاد وبخاصة في مجالات البحوث والدراسات.

(٢) انظر : محمد (ابن بطوطة) . رحلة ابن بطوطة، المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار . شرحه وكتب هوامشه طلال حرب (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، ط٤، ص٧-١١ ، للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٦٦ ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان، والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ج٤، ص ٣٥.٣٦ .

(٣) انظر ابن بطوطة، الرحلة، ص١٢٩ وما بعدها .

البلاد الموالية مثل بجيلة[١]، وزهران، وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها، وتعم المرافق ، ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة[٢] أجدبت بلادهم، ووقع الموت في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم، وظهرت فيها البركة، ونمت أموالهم. فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها ، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم. وبلاد السراة التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة، كثيرة الأعناب، وافرة الغلات، وأهلها فصحاء بالألسن، لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها ، لائذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، داعين بأدعية تصدع لرقتها القلوب وتدمع العيون الجامدة . فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمنين على أدعيتهم، ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر، لتزاحمهم على ذلك . وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود . وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم . ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم. وذكر أن النبي(ﷺ) ذكرهم وأثنى عليهم خيراً، وقال : (علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء) . وكفاهم شرفاً وفخراً دخولهم في عموم قوله (ﷺ) (الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية) . وذكر أن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) كان يتحرى وقت طوافهم، ويدخل في جملتهم، تبركاً بدعائهم. وشأنهم عجيب كله . وقد جاء في أثر (زاحموهم في الطواف، فإن الرحمة تنصب عليهم صباً)[٣] .

ونستنتج من هذا الاقتباس الذي ذكره هذا الرحالة القدير، عدة أمور نذكرها في النقاط التالية :

١. ذكر ابن بطوطة بشكل صريح أن السرو أو السرويين هم أهل غامد وزهران وبجيلة وما جاورهم من القبائل العربية الساكنة في مرتفعات السروات الممتدة من الطائف حتى بلاد عسير.

٢. أهمية بلاد السراة للمكيين اقتصادياً، فكان السرويون يصدرون حبوبهم وثمارهم ومواشيهم إلى أسواق مكة المكرمة . ومن ثم كانوا من التجار الرئيسيين الذين تقوم عليهم أسواق الحجاز وبخاصة في مدينتي الطائف ومكة المكرمة .

---

(١) بجيلة بطن عظيم ينسب إلى أمهم بجيلة، وهم بنو أنمار بن أراش بن كهلان من القحطانية، وكان ولا يزال بعض عشائر هذه القبيلة يعيشون في البلاد الواقعة إلى الشمال من قبائل زهران وإلى الجنوب من بلاد الطائف . جولات الباحث في هذه البلاد خلال عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) الميرة : طعام يدخر أو يجمع للسفر .

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

٣. صـفاء عقائد أهل السـراة وصـدق نياتهـم في أداء عباداتهم وفي كتب السـنن بعض الأحاديـث التـي تؤكد هـذا القول . وهذا ابـن بطوطة ومن قبله ابن جبـير ينقلون ما شـاهدوه مـن شـعائرهم الدينية في الحرم المكـي . والذاهب الآيب في بلاد السـراة، وكذلـك الجامع لـتراث هذه الديـار يتأكد له صـحة معتقدهـم وخلوه مـن التيارات والعقائد الفاسدة[١] .

٤. حرصـ أهل السـراة رجالاً ونسـاءً على الاتصـال ببلاد الحرمين، بـل إنهم يتفاءلون ويتبركون في حياتهم العامة والخاصة بارتياد أرض الحجاز وبخاصة مكة المكرمة.

٥. شـدة بأسـهم وشـجاعتهم مع لطف معشـرهم وحسـن صـحبتهم وهذا ما أكده هذا الرحالـة عندمـا قال : " ... وإذا وردوا مكة هابت أعـراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم .. "[٢] .

٨- العباس بن علي الموسوي (ق١٢هـ/ق١٨م) :

العباسٍ بن علي بن نور الدين بن أبي الحسن المكي الموسوي، ولد وعاش في مكة المكرمة، تنقل سائحاً في العراق والهند واليمن من سنة (١١٣١-١١٤٢هـ / ١٧١٨-١٧٢٩م)، واستقر في المخا سنة (١١٤٥هـ / ١٧٣٢م)، وعكف على جمع ما لديه من أوراق ثم دونها في رحلته المسماة : نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، في مجلدين انتهى منه في (٤ شوال ١١٤٨هـ /١٧٣٥م)، وجعله هديه لوالي بندر المخا[٣] .

وفي شهر شـوال (١١٤١هـ/١٧٨٢م) انفرد هذا الرحالة بوصف الطريق من الطائف وأجزاء من السروات حتى وصل بلاد القنفذة ثم بندر اللحية في اليمن[٤] . وأشار إلى بعض النواحي في سراة وتهامة غامد وزهران [٥] ، ومنذ بدأ سائراً في أرض السراة قال : " ... ثم أتينا (السراة) وهي قرية[٦] . كبيرة وبها مزارع كثيرة ومياه غزيرة، وأشجار مثمرة، وحصـون شـواهق ... ثم أضاف : أقول (السراة) متصـلة إلى ديار بجيلة وزهران وعنز

---

(١) حبـذا أن نـرى أحـد مؤرخي تهامة والسـراة، أو أحد طلاب الدراسـات العليا في أقسـام التاريـخ بالمملكة العربية السعودية يتخذ الحياة العلمية والدينية خلال العصور الإسلامية المبكرة أو الوسيطة، أو الحديثة والمعاصرة عنواناً لأطروحته في درجة الدكتوراه . ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على دراسة علمية جديدة في بابها وفي محتوياتها .

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٨١ .

(٣) للمزيد انظر، خير الدين الزركلي . الأعلام . (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، ص٦، ج٣، ص ٢٦٣، غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ)، ص ١٦٩ .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) المراجع نفسها .

(٦) قال هنا (قرية) والمفروض يقول: (قرى) لأن بلاد السراة من الطائف حتى بلاد غامد وزهران يوجد بها مئات القرى المتفاوتة في الصغر والكبر. مشاهدات الباحث أثناء عبوره هذه البلاد مرات عديدة خلال العقود الثلاثة الماضية .

وبني القرن وبني شبابة والمعافر[١]، وفيها قرى عظيمة وجبال ....."[٢]. واصل هذا الرحالة طريقه في أرض السروات عبر بلاد بني عدوان وبني سعد وبجيلة وأجزاء من بلاد زهران وذكر مواقع عديدة بحثنا عن تعريف لها في بعض المعاجم القديمة والحديثة فلم نجد لها ذكراً[٣]. ويأتي إلى عقبة ذي قين[٤]، فيقول: "...عقبة ما رأت مثلها في الطول عين، صعبة السلوك جداً، ويسلكها عرب يقال لهم (الغيمات)[٥]. وقد وصفهم وصفاً غير جيد، وربما كانت أقواله مبالغ فيها، وقال عنهم: ".. بأنهم يسكنون الكهوف إلى غير ذلك مما وصمهم به ..."[٦]. ثم يذكر أجزاء من تهامة عند نزوله من عقبة ذي قين، فيقول: "..... نزلنا من العقبة فأتينا أرض تهامة...وفي هذه الأرض أنواع الحيات والأفعوان مختلفة الأشكال والألوان، ونوع منها يسمى الفاسق كالليل ينشط بأنيابه، وينكز بأنفه ووسطه وذيله..."[٧]. ويذكر بعض القرى والأسر والعشائر في تهامة غامد وزهران، ويسير حتى يصل سوق الاثنين في تهامة زهران[٨]. ويأتي إلى قرية الخليف[٩]. : وقد سماها قرية الشيخ الولي إبراهيم الخليفي، ووصف قبره، وذكر أولاده واصفاً إياهم بأنهم أهل سماحة ووقار وصلاح[١٠].

٩- موريس تاميزيه (ق١٣هـ/١٩م):

هذا الرحالة من أوائل الرحالة الأوروبيين الفرنسيين الذين رافقوا حملة محمد علي

---

(١) تعريف الموسوي هنا أقرب إلى الحقيقة، فبلاد السراة أرض واسعة مأهولة بالسكان كثيرة القرى والأماكن الاستيطانية المتعددة

(٢) انظر حمد الجاسر " مع الموسوي المكي في رحلته (٨) : نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس" . مجلة الفيصل . العدد (٢٣٠) السنة (٢٠) (شعبان /١٤١٦هـ)، ص ٣٥-٣٧ .

(٣) ومن تلك المواقع الحدب، وهناك أكثر من مكان في بلاد غامد وزهران يعرف بهذا الاسم . وعتمة، وناصرة، والمخرة، ودار الشعاب، ودار الحباب . انظر، حمد الجاسر " مع الموسوي المكي ورحلته (٨) ..." ، ص ٣٦ . انظر أيضاً : علي بن صالح السلوك الزهراني . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران) (الرياض : منشورات دار اليمامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٧١، ١٢٤، ١٥٣ .

(٤) لم أجد تعريفاً دقيقاً لهذه العقبة، وربما تقع في بلاد غامد وزهران .

(٥) حمد الجاسر " مع الموسوي المكي في رحلته (٨) ..." ، ص ١٣٦ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه. وبلاد تهامة مشهورة بأنواع الأفاعي والحيات والعقارب والزواحف الخطيرة . وكذلك الوحوش والسباع المفترسة . وفي الماضي كانت هذه الكائنات تتواجد بكثرة في جميع نواحي تهامة . واليوم بعد أن انتشر العمران، وفتحت الطرق، وزاد التمدن بدأت هذه الكائنات تتلاشى بل بعضها انقرض فلا يوجد له ذكر أو أثر . مشاهدات الباحث وتجوله في بلاد تهامة منذ ثلاثين عاماً .

(٨) لا نجد تفصيلات دقيقة توضح لنا مكان هذا السوق ونشاطه التجاري خلال القرون الإسلامية الماضية . وربما كان يقع على مقربة من قرى الخلف والخليف المذكورة في التاريخ . للمزيد عن هذه القرى انظر الحاشيتين التاليتين .

(٩) الخُلَيْفَ : بضم الخاء وكسر اللام وسكون الياء بعدها فاء، قرية كبيرة من قرى قبيلة الجبر بتهامة زهران . تقع شمال قلوة على مسافة أربعة أو خمسة أكيال، ويسمى سكانها (المشاييخ)، ويقال أنهم ينتسبون إلى بني هاشم، ويسمون أيضاً بالفقهاء لأنهم يعرفون القراءة والكتابة في وقت كانت الأمية متفشية في سكان المنطقة . انظر: علي السلوك الزهراني، المعجم الجغرافي، ص ٩٤ .

(١٠) المرجع نفسه . وللمزيد عن بلدة الخليف الأثرية، انظر، أحمد عمر الزيلعي . الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض : مطابع الخالد للأوفست، ١٤١٧هـ)، ص ١١ ومابعدها .

باشـاً على عسير عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) [١] . ولا نملك معلومات دقيقة عن بداية حياته، وأول من أشار إلى رحلته جاكلين بيرين الفرنسية في كتابها عن الرحالين الأوروبيين الذين زاروا الجزيـرة العربيـة [٢] . وكان عملـه كاتباً للبعثـة الطبية التي رافقت حملة الباشـا، وقام بتدوين يومياته بشـكل تفصـيلي[٣] . وكتاب رحلته الذي يهمنا في هذا القسم بعنوان: **(رحلة في بلاد العرب) الحملة المصرية على عسـير** (١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م) . طبع لأول مرة باللغة الفرنسية في باريس عام (١٨٤٠م)، ويقع في جزأين تحت عنوان: **رحلة في الجزيرة العربيـة** . الجزء الأول يدور حول مرحلة دخـول الجزيرة حتى الحجاز. أما الجزء الثاني (٤٠٢) صـفحة فهو الخاص ببلاد عسـير وحملة محمد علي عليها، وقـد أعيدت طباعته في فينـا عـام (١٩٧٦م) [٤] . والجزء الثاني من هذا الكتاب ترجـم إلى اللغة العربية عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)[٥]، وهذه النسـخة المترجمة هي التي اعتمدنا عليها في هذا القسـم . والكتاب يقع في حوالي(٣٥٨) صـفحة من القطع المتوسـط مشـتملاً على مقدمة المترجم وفهارس أخرى، وفي (١٥) فصلاً يدون هذا الرحالة الأحداث السياسية والحضارية التي خاضـتها حملة محمد علي باشا فى عسير منذ خروجه من الطائف مرورا ببعض الأجزاء الشـرقية مـن بلاد غامد وزهران حتى بيشـة ثم أبها[٦] . وإذا كان جـل الكتاب يدور حول التاريخ السياسـي والحضـاري لبلاد عسـير في منتصـف القرن (١٣هـ/١٩م) [٧] ، إلا أن بعض الأجزاء الشرقية من منطقة غامد وزهران قد ورد ذكرها في هذا الكتاب[٨]، ووادي أو بلاد العقيق في ديار غامد حظيت بنصيب جيد في شروحات هذا الرحالة[٩] .

ووادي العقيق كان إحدى المحطات الرئيسية التي اتخذتها جيوش محمد علي باشا قاعدة للانطلاق نحو بلاد عسـير، بل إن بعض الأشـراف كانوا يتولـون إدارة بلاد غامد وزهران،

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس " إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين " بحث مقدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (٨-١٠شعبان /١٤٢٠هـ الموافق ١٦/٨ نوفمبر١٩٩٩م) . ونشـر في كتاب الندوة : العرب وأوروبا عـبر عصـور التاريخ (بحوث ودراسـات) (القاهرة، ١٤٢٠هــ/١٩٩٩م)، ص ٤٠٩ وما بعدها، وللمؤلف نفسـه . بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : العويفي للنشر والإعلان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٦٥ .

(٢) انظـر جاكلـين بيريـن . اكتشـاف جزيرة العرب (خمسـة قـرون مـن المغامرة والعلـم) . ترجمة قـدري قلعجي (بيروت : دار الكتاب العربي، د . ت)، ص ٢٥١ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) انظر : ابن جريس، (إقليم عسير ..)، ص ٤٢٠ وما بعدها، للمؤلف نفسه، بحوث في تاريخ عسير، ص ١٢٨ .

(٥) ترجمة الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة، أسـتاذ التاريخ المشـارك سابقاً بجامعة الملك سعود . وعنوان الكتاب المترجم . رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير)(١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) (الرياض : مطابع وإعلانات الشريف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

(٦) المصدر نفسه . (النسخة العربية)، ص٢٨ وما بعدها .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه . ص ٩١ وما بعدها .

(٩) العقيق : واد وبلدة كبيرة تقع شرقي الباحة بمسافة (٤٥) كيلاً، وتبعد عن بيشة حوالي (٨٠) كيلو متراً . وهي حاضرة بادية غامدٍ . والعقيق أيضـا منطقة زراعية خصـبة يزرع بها النخيل والعنب والرمان والمشـمش والحنطة والشـعير، وجميع أنواع الخضار . وتسوق منتجاتها الفائضة إلى الطائف ومكة . وتقع البلدة شمال وادي العقيق، وقد سميت باسم الوادي . ولهذا الوادي ذكر في بعض كتب التراث . انظر: السلوك الزهراني، المعجم الجغرافي، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

وكانوا على صلة حسنة بالعثمانيين . ومنهم الشريف منصور بن زيد الشنبري، الذي كان شيخاً لوادي زهران أيام حملة محمد علي، وقد ورد ذكر هذا الشريف في كتاب تاميزيه، وما قدم من مساعدات معنوية ومادية لجيوش الباشا، بل إن الشريف منصور نفسه كان على رأس ألفين من رجاله للمشاركة في الحملة[١]. وفي الكتاب معلومات جيدة عن تجمع بعض جيوش الباشا في وادي العقيق، واستعداداتهم، واستعراضهم، بل استقبالهم بعض الوفود والفرقة العسكرية التي كانت تتوافد على الجيش والقيادة العسكرية في ذلك الوادي[٢].

أما بلاد العقيق نفسها وأهلها فقد أشار إليها تاميزيه عند مجيئه إليها مع الجيش في (١٢ يوليو/ ١٣٨٤م)، تحت عنوان جانبي سماه : الإقامة في العقيق، فقال : "... موقع العقيق يتكون من سهل زراعي فيه الكثير من مزراع النخيل، ومحاط بسلسلة من الجبال تمتد من الشمال إلى الشمال الغربي... وبأعلى أحد جبال العقيق الصغيرة بنيت قرية العقيق المتواضعة..."[٣]. ثم فصل الحديث عن إقامة جيوش الباشا في بلاد العقيق، مع ذكر بعض أسلحتهم وعتادهم وأجناسهم، وكيف تكيفوا مع طبيعة الأرض أثناء النزول والإقامة[٤].ويتحدث أيضاً عن قرية العقيق وأهلها فيقول: "... تتكون قرية العقيق الكئيبة من حوالي ثلاثين منزلاً نصفها مبني بالحجارة والنصف الآخر مبني بالآجر الطيني، ولها شكل مكون من ستة أقدام مربعة، وبعضها ليس له سقف، ومع هذا فإن الناس يسكنون بها..."[٥]. ويشير إلى أهل العقيق عندما وصلت جيوش الباشا إلى بلادهم فيذكر أنهم هربوا من منازلهم، ولم يبق إلا المرضى أو العبيد من النساء والرجال الذين يقومون بحراسة ممتلكات أسيادهم، ثم يصفهم عندما شاهدهم فيقول : "... خرجوا لاستقبالنا في منظر مؤلم جداً، وملابسهم خرق رثة، بينما الأطفال عراة، والكبار يرتدون ملابس جلدية ..."[٦]. ويذكر أن أولئك العبيد الذين رأوهم في وادي العقيق كانوا من ذوي البشرة السوداء، وبعضهم كانوا أحراراً، لكنهم لايمانعون في بيع بعض أطفالهم، وقد عرضوا على تاميزيه شراء بعض الأطفال الصغار بثلاثة وأربعة ريالات فرانسي للفرد الواحد[٧].

ويشير تاميزيه إلى بعض الصور الاجتماعية التي شاهدها في وادي العقيق الغامدي، فيقول: "... يتكون أثاث منازل العقيق من فراش واحد فقط يستخدم لغرضين، الأول للجلوس عليه في النهار، والآخر فراش لكل العائلة عند المنام، وتصنع النساء بطانيات من

---

(١) تاميزيه، الرحلة، ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تاميزيه، المصدر نفسه، ص ١٠٤ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٥ .

(٦) المصدر نفسه، ١٠٥ .

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٦ .

الصوف الخالص الملون"[١]. ويقول أيضاً: "...رأينا بالقرب من القرية بناءً مربعاً يشبه القلعة قد هدمته السنون، وإلى الشمال الغربي من القرية توجد أبراج كثيرة مبنية على قمم الجبال، وذات لون رمادي، هذا النوع من الأبراج لا يستفاد منه إلا أثناء حروب البدو مع بعضهم، إذ أن رصاصات قليلة كافية لهدمها.. "[٢]. ويشير تاميزيه إلى مناخ بلاد العقيق فالجو ليلاً يميل إلى البرودة، ودرجة الحرارة مرتفعة نسبياً في النهار، وذكر بعض الأشجار والنباتات التي شاهدها في الأجزاء الشرقية من الديار الغامدية[٣].

١٠+١١. السير كيناهان كورنواليس + روبن بدول (ق١٤هـ/٢٠م) :

هذان الرحالان إنجليزيان عاشا خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩، ٢٠م). الأول : كورنواليس (Cornwallis) أحد رجال الاستخبارات البريطانية، أرسلته حكومته إلى الشرق الأوسط من أجل تدوين تقرير عن أوضاعها التاريخية والحضارية، واستطاع أن يدون عنها معلومات قيمة في عام (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، رفعها إلى المكتب العربي التابع للمخابرات البريطانية في القاهرة[٤]. وقد أعيد طباعة هذا التقرير في لغته الرئيسية (الإنجليزية) ونشر في بعض المطابع البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وخرج في هيئة كتيب من القطع الصغير بعنوان: عسير قبل الحرب العالمية الأولى (Asir Before World War1.)، ويقع في (١٥٥) صفحة، ويحتوي على (١٧) فصلاً قصيراً، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا القسم[٥].

أما روبن بدول (R. Bidwall)، فليس رحالة بقدر ما هو أستاذ جامعي أكاديمي بجامعة كمبردج، وله العديد من الدراسات، وقد ترجم بعضها إلى اللغة العربية[٦]. وله

(١) المصدر نفسه، ص١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩ . ونستطيع القول أن بلاد غامد وزهران جديرة بالبحث والدراسة وبخاصة في التاريخ الحضاري خلال القرون الماضية المتأخرة . ولازال هناك الكثير من الآثار والنقوش والوثائق والروايات الشفاهية التي تصب في خدمة البحث التاريخي لهذه البلاد . وجامعة الباحة عليها مسؤولية كبرى تجاه الأرض والناس فتدرس أحوالهم، وتنشئ مراكز بحثية علمية أكاديمية تقوم بالخدمات البحثية والاجتماعية تجاه المجتمع الغامدي والزهراني .

(٣) تاميزيه، ص ١١٦-١١٨ .

(٤) للمزيد عن هذا الرحالة، وعن وظيفة المكتب العربي الذي كان في القاهرة، وتابع للاستخبارات البريطانية، انظر: مديحة درويش . تاريخ الدولة السعودية خلال الربع الأول من القرن العشرين (الرياض: دار الشروق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١١١ وما بعدها، غيثان بن جريس . بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص١٢٤-١٢٥، للمؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان، والقنفذة) . (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . ج٤، ص٣٧-٣٨ .

(٥) انظر النسخة الإنجليزية، PP. 7FF، وهذا الكتاب ترجم ترجمة شعبية إلى اللغة العربية، منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) . وهذه الترجمة متداولة بين أيدي الناس . ولم يحقق هذا الكتاب حتى الآن تحقيقاً علمياً، وهو جدير بالتحقيق والدراسة، بل يستحق إلى أن يكون موضوع رسالة ماجستير، ترجمة ودراسة وتحقيقاً . ومن المؤسف أن أحد أبناء منطقة عسير قد اعتدى على النسخة الشعبية المترجمة ونسبها إلى نفسه، وطبعها على هيئة كتاب في اليمن . وصارت هذه الطبعة متداولة بين أيدي الناس . ومن قام بهذا العمل فقد ظلم نفسه ، ونسب لشخصه عملاً لم يكن من تعبه أو جهده .(والله المستعان) .

(٦) للمزيد عن روبن بدول، انظر، كتابه : الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية . ترجمة عبد الله آدم نصيف (الرياض : د. ن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٧ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٤، ص٣٨ .

كتـاب لازال باللغـة الإنجليزية بعنوان : الشخصـيات العربية في مطلع القرن العشـرين، قام أحد الباحثين المعاصـرين بترجمة الفصلين الثاني والعاشر من هذا الكتاب[١]، وهذه النسخة المترجمة لازالت مسودة أولية، ولم تنشر في هيئة كتاب حتى الآن، وجل مادة هذين الفصـلين عن تاريخ بلدان وشخصـيات في مناطق جازان وعسـير والباحة، وهذه المسودة هي التي رجعنا إليها في هذا القسم [٢].

ونجـد كورنواليس يورد تفصـيلات جديـدة عن المناخ والتضـاريس وبعض التجارات في مناطـق عسـير، والباحة، والقنفـذة، وجازان[٣]، ويذكـر القوى السياسـية التي كانت صـاحبة النفـوذ في هذه المناطق خـلال الثلث الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويشـير إلى أن الإدريسـي في جازان كان يمد نفوذه أحياناً إلى مرتفعات عسـير وبلاد غامد وزهران. ناهيك عن الأجزاء التهامية فهو صاحب السلطة الرئيسية على منطقة جازان وما جاورها شمالاً حتى بلاد القنفذة[٤].

وعن بلاد غامد وزهران ذكر لنا بعض الشروحات المختصرة عن هاتين القبيلتين من حيث عدد سـكانها، وأسماء شيوخها ومكانتها السياسية، وصلاتها مع الأتراك والأشراف والإدريسـي[٥]. ونوه أيضـاً ببعض أعلام هـذه البلاد فذكر لنا منهم سـتة هم : عزيز بن مشـيط شـيخ الأجزاء الحضـرية من بلاد غامد، ومحمد بن عبد الرحمن شـيخ الأجزاء البدوية في القبائل الغامدية، ومحمد بن علي من عشيرة بني كبير الغامدية وكان عضواً في البرلمان العثماني، وراشـد بن جمعان شـيخ الأجزاء الحضرية من زهران، وكان ذا علاقة حسنة مع آل عائض في عسير ومع الأتراك، ثم تحالف في نهاية الأمر مع الإدريسي، وسعيد بن عصـيدان شيخ العشـائر البدوية الزهرانية، ويذكر أنه كان محارباً مشهوراً ومتحالفاً مع الإدريسـي، وصـالح بن عجلة، وهو تاجر غني يسيطر على معظم التجارة ما بين غامد ومكة، وكان يتاجر في التبغ الذي كان يزرع منه كميات كبيرة في بلاد غامد[٦].

وفي موقـع آخـر من كتابه يشـير إلى الطرق التـي كانت تخرج من أبهـا إلى الطائف

---

(١) أ . د . إسماعيل محمد البشري، مدير جامعة الجوف حالياً، هو الذي قام بترجمة هذين الجزءين، ونأمل أن يسعى إلى ترجمة الكتاب كاملاً ونشره .

(٢) توجد صورة من هذين الفصلين المترجمين ترجمة أولية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (قسم البحوث والدراسات غير المنشورة) .

(٣) Cornwallis, 7-23.

(٤) المصدر نفسه . PP. 22 FF

(٥) المصدر نفسه PP . 22FF . وكما ذكرنا سابقاً، فهذا الكتاب يستحق الترجمة العلمية، ثم الدراسة والتحقيق الدقيقين على شرط أن يكون عملاً علمياً أكاديمياً جيداً . وحبذا أن يقوم أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية بهذا العمل العلمي .

(٦) المصدر نفسه PP .89 ,95 ,96,100,101,102

عبر جبال السـروات، وعند وصـوله إلى بلاد غامد وزهران ذكر بعض المحطات على تلك الطريق مثل: الباحة، وربما أن هذه البلدة هي مدينة الباحة الحالية، وذكر أنه شاهد فيها حوالي (٢٥٠) بيتاً، ثم أشـار إلى محطات أخرى تقع إلى الشـمال من مدينة الباحة مثل: مقتل الباشـا، ورهوة البر، والمندق، وعقبة عصـيدان . وذكر بعض المعلومات المختصـرة عن جغرافية هذه المحطات، وأشـار أيضاً إلى بعض المزروعات والخضروات والفواكه التي شاهدها في تلك النواحي[١].

أمـا روبن بدول فقد نقل كثيراً من معلوماته من كورنواليس، وبخاصـة في حديثه عن بعض أعلام غامد وزهران، وشروحاته عن القبيلتين الغامدية والزهرانية، إلا أنه لم يكتفِ بما ذكر كورنواليس عن هاتين القبيلتين، وإنما رجع إلى بعض المصادر والكتب الأخرى التي أشارت إلى هذه القبائل[٢]. وكون تفصيلات بدول أشمل فسوف نقتبس بعض التفصيلات من مدوناته، فذكر موقع قبيلة غامد وما يحيط بها من القبائل، وأشار إلى أعداد مقاتليهم نقلاً من الرحالة بوركهارت[٣]. وتقارير أخرى فذكر أنهم يتراوحون بين (٥٠٠٠ ـ ١٠،٠٠٠) مقاتل، وهناك من قال أن عدد أفراد القبيلة حوالي (٦٠،٠٠٠) رجل، مع أن بدول رجح أن يكونـوا أكثر من ذلـك بكثير[٤]. ثم قال : "... الطريق الداخلي الواصـل بين أبها والطائف يشـق وطنهم الخصـيب والكثير المياه، والقبيلة منقسمة إلى قسـمين بدو ومستقرون[٥]... فالبدو ...أثرياء بجيادهم وإبلهم وأغنامهم ولا يخضـعون لأي سـلطة ورئيسـهم محمد بن عبـد الرحمـن[٦]... ورئيس العرب المسـتقرين عزيز بن مشـيط يتبع شـريف مكة ويزوره باسـتمرار، ويذهب عدد كبير من رجاله كل عام إلى مكة وجدة والطائف، ويعملون حمالين في موسـم الحج، ويمكثون هناك حوالي أربعة أشهر ويعودون بمؤن لباقي العام، كثير منهم يستثمرون مدخراتهم في شراء البنادق التي يشترونها من أحد السوقين الرئيسين، الرويس بالقـرب من جدة، أو نزلة بني مالك . كما يشـترون البنادق أيضـاً مـن رجال ألمع ..." [٧]. ويذكر أيضاً : ".... ولنسائهم شأن أكثر أهمية من غيرهم من معظم القبائل، ولهم قسمة

---

(١) المصدر نفسه، P . 124.

(٢) انظـر المسـودة المترجمـة مـن كتـاب بـدول، ص ٥، ٧، ٩، ١١، ١٦، ١٧، ٦١ـ ٦٥ . (ونسخة من هذه المسودة في مكتبة د.غيثان بن علي بن جريس العلمية (البحوث والدراسات غير المنشورة).

(٣) بوركهارت : هو جوهن لويس (١١٩٩ـ١٢٣٢هـ/ ١٧٨٤ـ١٨١٧م) سويسري الأصل عاش في بريطانيا وتعلم بها، ثم سافر إلى الشرق الأوسط وتنقل في بلادها، ودخل الإسلام، وله العديد من المؤلفات منها: رحلة إلى الجزيرة العربية، طبع في لندن عام (١٨٢٩م). انظر نجيب العقيقي. المستشرقون (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠م)، ج٢، ص٥٢ .

(٤) المسودة المترجمة من كتاب بدول، ص ٦١ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

متساوية في أشكال العمل اليدوي، ولهن رأيهن في المجالس القبلية[١]... وتغزل النساء الملابس والبطاطين من شعر البعير، ونظراً للهجرة السنوية إلى الحج، فإن القبيلة أكثر تحضراً من غالبية القبائل، ولها شهرة طيبة في الكرم والضيافة..[٢]. وفي صفحات أخرى يعدد عشائر قبيلة غامد الحضرية التي كان شيخها عزيز بن مشيط، فيذكر (٢٧) قسماً مع ذكر الشيخ أو النائب لكل فخذ وعشيرة[٣]. ويذكر أيضاً اسم البدو الذين كان شيخهم محمد بن عبد الرحمن، لكنه لم يشر إلى أقسام وعشائر البادية[٤].

كما تعرض بدول لقبيلة زهران، فذكر حدودها، والأقسام القروية والبدوية وشيوخها مثل: راشد بن جمعان وسعيد بن عصيدان، ثم قال عنهم: " منطقتهم خصبة وكثيفة السكان، إذ يقال أن القبيلة بأسرها تبلغ (٣٠،٠٠٠) رجل[٥]. ثم قال: "وزهران جنس مقاتل خالص ولا يتركون منطقتهم أبداً، عدا وقت الغارات، وهم يزرعون الأرض ويصبحون أغنياء من خلال ذلك، ولكنهم يحتقرون كل أشكال العمل اليدوي الأخرى.."[٦].

وعن بطون قبيلة زهران يذكر ست عشائر في القسم القروي مع ذكر شيوخهم أو نوابهم، والمشيخة الرئيسية في هذه العشائر تعود إلى راشد بن جمعان[٧]. أما الأجزاء البدوية التي تقع تحت مشيخة الشيخ سعيد بن عصيدان فذكر أيضاً سبع عشائر تأتمر بأمره، دون أن يذكر نواباً لتلك العشائر السبع[٨].

<u>ونستخلص من أقوال هذين الإنجليزيين عدة نقاط نوردها على النحو التالي:</u>

١. كورنواليس يعد المصدر الرئيس لبدول، مع أن الأخير وظف تجاربه البحثية في الرجوع إلى مصادر أخرى أشارت إلى قبيلتي غامد وزهران بشكل أوسع.
٢. ما دون هذين الباحثين مختصر جداً مقارنة بما ذكراه عن مناطق أخرى في جنوبي البلاد السعودية مثل جازان وعسير وغيرها. وربما وجود بلاد غامد وزهران إلى الداخل أو في الوسط من بلاد السراة كان سبباً رئيساً في تجاهلها أو عدم ذكرها بشكل مطول عند الرحالين وبخاصة الوافدين من خارج الجزيرة العربية، مثل: بدول وكورنواليس.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٢
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٢ - ٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٤. وأعتقد أن هذا العدد غير صحيح لأن بلاد زهران أرض واسعة وعشائرها وبطونها كثيرة ومن ثم فهم أكثر من ذلك بكثير، حتى وإن كانت هذه الإحصائيات في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م).
(٦) انظر المسودة المترجمة من كتاب بدول، ص ٦٥.
(٧) المصدر نفسه، ص ٦٥.
(٨) المصدر نفسه، ص٦٦.

أو من الرحالة الحجازيين أو اليمنيين الذين كانوا يرتادون الطرق التهامية أو السروية الشرقية التي تمر عبر رنية وبيشة وغيرهما . ومن ثم فالأجزاء السروية مثل الديار الغامدية والزهرانية وما جاورها كانت في معزل عن المؤلفين وأرباب القلم[١] .

١٢ـ الشريف البركاتي (ق١٤هـ/ ٢٠م) :

هو شرف بن عبد المحسن البركاتي، ولد في الحجاز عام (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) ، عمل في حكومة الشريف حسين بن علي، وبعد زوال ملك الأشراف من الحجاز عمل في دولة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود[٢] . وقد دون رحلته الموسومة بـ : **الرحلة اليمانية**، وهي نتاج لرحلة الشريف حسين بن علي (أمير مكة) عندما خرج من الحجاز إلى أبها عبر منطقة الساحل عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) من أجل فك حصار الإدريسي على أبها[٣] . ومادة الكتاب تدور حول المعارك العسكرية التي وقعت بين جيش الشريف حسين وجيوش الإدريسي، وانتهت بدحر الإدريسي ثم رجوع الشريف إلى الحجاز عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة[٤] .

وبلاد غامد وزهران لم يكن لها نصيب كبير في هذه الرحلة[٥] ، وإنما ورد فيها معلومات بعضها غير دقيق أو صحيح، فعن قبيلة غامد يقول البركاتي : " في الساعة العاشرة يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سرنا ونزلنا في أعلى وادي رنية .. وهذه الديار لقبائل غامد من أهل الشرق .. وقبيلة غامد متفرقة، بعضهم قاطن بهذه الديار، والقسم الأعظم منهم قاطن بتهامة في الجهة الغربية من جبل الحجاز .. "[٦] . والحقيقة أن قبائل غامد لا تسكن رنية أو حتى أوديتها الرئيسية وإنما هي قريبة من بعض فروع واديي رنية وتربة بل بعض بوادي غامد تسكن في أعالي وادي رنية وتمتد غرباً وجنوباً إلى الباحة ثم الأجزاء التهامية في المخواة وغامد الزناد وما جاورها[٧] .

---

(١) وهذا الانعزال وصعوبة تضاريس أرض السروات جعلها قليلة الذكر عند المؤلفين وكتب التراث الإسلامي المبكر. والمتجول في هذه البلاد يشاهد الكثير من النقوش والآثار المتنوعة والجديرة بالدراسة . وإن بحثنا عن تاريخ هذه البلاد في مثل هذه المصادر، فقد نجد مادة علمية جيدة توضح لنا بعض التاريخ والحضارات التي عاشتها هذه البلاد منذ العصر الجاهلي إلى بدايات العصر الحديث والمعاصر.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن هذا الشريف انظر كتابه : الرحلة اليمانية . تحقيق عاتق بن غيث البلادي (بيروت : دار النفائس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ص٥ وما بعدها ، ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٩٠ وما بعدها ، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٤، ص ٣٤٦ـ٣٤٧. وهذا الكتاب قام على تحقيقه ونشره أكثر من واحد، وقام بطباعته أكثر من دار نشر، وأول طبعة خرجت منه كانت في عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على طبعة دار النفائس (تحقيق البلادي)

(٣) للمزيد من التفصيلات عن الإدريسي وحصاره مدينة أبها، انظر، محمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢، ص ٦١٩ ـ ٦٢٢، ٦٦٥، ٧٠٦ .

(٤) انظر كتاب : الرحلة اليمانية، ص ١٢ وما بعدها .

(٥) الكتاب يقع في (٢٠٥) صفحة من القطع المتوسط ... انظر الكتاب نفسه، طبعة دار النفائس (بيروت) .

(٦) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ٩٩ .

(٧) مشاهدات الباحث وتجواله في بلاد غامد وزهران عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، وللمزيد انظر : فؤاد حمزة، في بلاد عسير (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ص ٤٨ .

ويتحدث البركاتي في موقع آخر من كتابه عن قضاء غامد في عهد المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) [١]، ويقول: " قائم مقامية غامد، ومركزها رغدان شمال النماص، وشرقي مرفأ دوقة التي هي على البحر الأحمر، ويتبعها من القبائل غامد، وهي قحطانية وعددها مائتان وعشرون ألفاً. وقبيلة زهران، وعددها مائة وخمسون ألفاً .. وهي واقعة في الحد بين متصرفية عسير ومدينة الطائف التابع لولاية مكة المشرفة، ويتبعها قبيلة المحلف وعددها أربعون ألفاً وهي قحطانية أيضاً .. " [٢].

والواضح من هذه النقولات التي وصلتنا من هذا الرحالة، ومن سير رحلته أنه لم يذهب إلى بلاد غامد وزهران على الإطلاق، وإنما سار في الذهاب إلى أبها من أجزاء تهامية تقع إلى الغرب من الديار الزهرانية والغامدية، وفي الرجوع إلى الطائف سلك سفوح السروات الشرقية عبر بيشة ورنية والخرمة، وهذه المواقع جميعها تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من بلاد غامد وزهران. أما ذكره الإحصائيات السكانية عن الغامديين والزهرانيين فهي معلومات غير دقيقة وتحتاج إلى مصادر تثبيت، وربما حصل عليها من عامة الناس، أو من مصادر غير موثوقة. وقوله أن قبيلة المحلف تتبع لقبائل زهران وغامد فهذا قول غير صحيح، لأن قبيلة المحلف من شهران العريضة، وموطنهم بلاد بيشة[٣].

١٣- محمد عمر رفيع (ق١٤هـ/٢٠م):

الأستاذ رفيع من أهل مكة المكرمة، ذهب ضمن بعثة تعليمية إلى عسير عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، وتولى وظيفة مدير مدرسة رجال ألمع، ودون كتابه الموسوم بـ: **في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ)**[٤]. جمع فيه بين منهجي الرحلة والبحث في كتب ومصادر أخرى[٥]. وهذا المعلم والرحالة سار من الحجاز إلى أبها عبر الطريق الشرقية لبلاد السراة، وقد اجتاز الخرمة ورنية وبيشة وخميس مشيط حتى أبها، كما تنقل في أجزاء عديدة من منطقة عسير، وسار إلى بعض القرى الجازانية[٦].

لم يثبت أن محمد رفيع زار بلاد غامد وزهران، ولكنه أورد عنها بعض المعلومات التاريخية الحضارية الجيدة التي سمعها أو قرأها في مصادر أخرى، فقال: " ... قبل أن

---

(١) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ٩٩.

(٢) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ١٢٣.

(٣) مشاهدات الباحث وتجواله في مناطق الباحة وعسير خلال عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) طبع لأول مرة في مكتبة المعارف بالطائف (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، وهذه النسخة هي التي تم الرجوع إليها في هذه الدراسة.

(٥) للمزيد انظر المصدر نفسه، ص٤ وما بعدها.

(٦) محمد رفيع، في ربوع عسير، ص ١٠ وما بعدها. للمزيد عن هذا الرائد التعليمي في بلاد عسير، انظر بعض التفصيلات عنه في كتابنا: تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص٥٨-٥٩، ٢٥٤-٢٥٦. وهناك رواد عديدون ظهروا في مناطق عسير والباحة وغيرها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وهم جديرون بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

يتيسـر لي طبع هذه الرحلة كانت الحكومة قد سـيرت في أواخر عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) بعثـة زراعية من بعض المختصـين لإرشـاد المزارعين من سـكان السـراة وغيرهم، وكان يشـارك البعثة في غايتها الأخ السـيد حسـن شـطا الخبـير الزراعي في مديريـة الزراعة السـعودية [١]. وقد أخبرني أنهم في أثناء تجوالهم في بلاد غامد من السـراة اطلعوا على أعداد وفيرة من أشـجار العتم، وتحقق لديهم أنه الزيتون البري، كما اطلعوا على أشـجار تسمى (الضرو) وتحقق أنه شجر الفستق البري . وذكر لي أنه من المتيسر الممكن تطعيم شجر العتم والضرو بأقلام من شجر الزيتون والفستق الثمريين فتنقلب الأشجار المطعمة إلى أشـجار تجود بالمحاصـيل الوفيرة من النوعين لأن أشـجار العتم والضرو الموجودة في السلسلة الجبلية من السراة تقدر بكميات وفيرة تتجاوز عشرات الألوف"[٢].

ومممـا سـمع وقرأ قولـه : " ... إن منطقة السـراة على اسـتعداد كامل لزراعة شـتى أنـواع الثمـار وأجودها، فقد جـاء في تقرير البعثة الأمريكية الزراعيـة التي جابت المملكة للدراسـة والاختبـار قولها : وزراعة الأنـواع الطيبة من الخوخ والمشـمش والبرقوق والتين والسـفرجل والعنب في هذه المناطق لا تكفي حاجة السـكان بالفواكـه الطازجة في أوقاتها وتجفيفهـا واسـتعمالها في الأوقات الأخرى فحسـب، بـل يمكن أن تمون الأسـواق البعيدة بالفواكـه الجافـة ... " [٣]. ونؤكـد علـى أن ما ورد في هـذه الأقوال عين الصـواب، فبلاد السراة من الطائف حتى غامد وعسير وقحطان وما جاورها تتمتع بمناخ جيد وبخاصة في فصـلي الصيف والخريف، كما أنه يوجد بها غطاء نبات جيد، ناهيك عن التربة والزروع والنباتـات والأشـجار والحيوانات التي توجد في هذه البلاد، فجميعهـا متوفرة، وفوائدها كثيرة . وتحتاج إلى من يرعاها والاستفادة منها[٤].

---

(١) أسـرة آل شـطا من الأسـر الحجازيـة المعروفة، وفيها رمـوز عديدون كان لهم إسـهامات عديـدة في بناء المجتمع الحجازي، ومنهم : السيد صالح بن بكري شطا وغيره . انظر: محمد علي مغربي . أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري (جدة : مكتبة تهامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٦٣ ومابعدها .

(٢) انظر : محمد رفيع، في ربوع عسير، ص ٤٧ـ٤٨، حاشـية رقم (١) . والمتجول في بلاد السـروات من الطائف حتى بـلاد قحطـان ونجران يجد توافر ملايين الأشـجار والنباتات المتنوعـة في أحجامها وأشـكالها وفوائدها . وكتاب النبـات، للدينـوري مـن أهل القرن (٣هـ/٩م) في عدة مجلدات عن النبـات، وجل مادة تلك الأسـفار تدور حول أشـجار ونباتات أرض السـروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن . ونقول أن الجامعات السـعودية المحلية في جنوبي البلاد السـعودية عليها مسـؤليات كبرى فتشـجع الباحثين ومراكز البحوث التي تدرس نباتات وأشـجار وحيوانات مناطـق الباحة وعسـير والقنفذة وجـازان ونجران، ويجب على هذه الجامعـات ألا تتقاعس عن الانخراط في هذه المشاريع العلمية البحثية المهمة .

(٣) يذكر رفيع في توصيـاته أن الحكومة السـعودية يجب أن تهتم بما ورد في هذا التقرير . ويشـير إلى أن هذا التقرير الخاص بالبعثة الأمريكية الزراعية في المملكة قد نشر في مطبعة مصر عام (١٩٤٣هـ)، والمعلومات التي أشار إليها في صفحة (١٨٤) من هذا التقرير . انظر : محمد رفيع، في ربوع عسير، ص٤٧ـ٤٨ .

(٤) هـذا مـا لمسـناه من خلال تجوالنـا في هذه البلاد منـذ أربعة عقـود . كما أن بعضـ البحوث والدراسـات العلمية والإنسانية قد أشارت أيضاً إلى الثراء الطبيعي والبشري لهذه الأوطان .

١٤ـ ولفرد تسيجر (ق١٤هـ/ ٢٠م) :

هـذا الرحالة الإنجليزي قـام بالعديد من الرحلات في بلـدان عديدة، ومنها جزيرة العـرب، جاء إلى أجزاء من بلاد تهامة والسـراة، فكتب من خلال المشـاهدات في جوانب عديـدة . كمـا حظـي برعاية وحمايـة الملك عبد العزيز بـن عبد الرحمن الفيصـل الذي منحه إذناً بالتنقل في المملكة العربية السـعودية . وقد أشار إلى ذلك في رحلته التي نشرت لأول مـرة باللغـة الإنجليزية عـام (١٣٦٧هــ/١٩٤٧م)، والمجلة الجغرافية التي تصـدر عـن الجمعيـة الجغرافيـة الملكية في لندن، هـي التي تولى نشـرها . وقام الدكتـور أحمد عمـر الزيلعـي بترجمة هـذه الرحلة ونشـرها في مجلة الـدارة، العدد (١) السـنة (١٤) عـام (١٤٠٨هــ /١٩٨٨م) [١]. وهـذه النسـخة المترجمة التـي اعتمدنا عليهـا في مبحثنا هـذا[٢]. ونجد تسـيجر يرتاد مرتفعات عسـير من أبها إلى وادعة قحطـان وبعض أجزاء من جبال تهامة، ثم يعود أدراجه نحو الحجاز فيسـلك سروات عسير وغامد وزهران حتى الطائف[٣]. والحقيقة أن ما وصلنا من مدونات هذا الرحالة يأتي في مرتبة جيدة من حيث نـدرة المعلومات وجودتها، إلا أن بلاد زهران وغامد لم تجد عناية كبيرة عنده فقد مر بها سـريعاً، ولم يدون عنها تفصـيلات كثيرة مثلما فعل مع مناطق أخرى في تهامة وسـروات منطقة عسير، أو بلاد القفنذة وغيرها[٤]. ومما شاهد في ديار غامد وزهران قوله : " ... وبعـد أن ارتحلنا على امتداد بلاد بلقرن وخثعم[٥]، دخلنا منطقة غامد التي تُدار مركزياً من الظفير [٦]. وهي قرية صـغيرة بنيت حولٍ قلعة، وسـوقها الثلاثاء، ومنها يوجد منظر جميل لجبل شـدا الشامي الذي يشـكل إطاراً عند تهامة الوادي، لقد وجدت قبيلتي غامد وزهران، بشـكل ظاهر من أكثر قبائل الحجاز إكراماً للضـيوف[٧]. ولا توصد الأبواب بين

---

(١) انظر : مجلة الدارة، ص٩٣ـ ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصـدر نفسـه .كانت رحلة هذا الرحالة في جنوبي البلاد السعودية في عام (٦٥ـ١٣٦٦هـ/٤٥ـ١٩٤٦م) . للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٩٩ـ٢٠٠، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٦٣ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) بلقرن وخثعم من القبائل السروية التي تقع بين قبائل رجال الحجر من الجنوب وقبائل غامد وزهران من الشمال . وهي تستوطن السراة وأجزاء منها تعيش في الإصدار وعند سفوح السروات الغربية . والعشائر القاطنة في السراة تتبع إمارة منطقة عسير إدراياً . أما الأجزاء التهامية فتعود تبعيتها إلى محافظة القنفذة التي تراجع منطقة مكة المكرمة . مشاهدات الباحث وتجواله في هذه البلاد عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٦) الظفير : إحدى مدن بلاد غامد الرئيسية، وقد تنقل مركز الإمارة ما بينها وبين بلجرشي ورغدان، ومركز الإمارة اليوم في مدينة الباحة .

(٧) السائر في جنوبي البلاد السعودية يجد جميع قبائل وعشائر وبطون هذه الأجزاء تشتهر بالكرم والنخوة والشهامة . وقـد دون عنهـم ذلك في أكثر من مصـدر ورواية وتقرير. حبـذا أن نرى أحد الباحثـين الجادين فيدرس عادات وتقاليد هذه الأوطان المضيافة والمتنوعة في أعرافها ونظمها الاجتماعية والقبلية .

القبائل المضيافة، والضيوف يدخلون البيت إذا كان صاحبه خارج عنه، ويجعلون أنفسهم كأنهم في بيوتهم."[١].

١٥ـ حمد بن محمد الجاسر (ق١٤ـ١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) :

ولد حمد الجاسر تقريباً عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) ، في أسرة فقيرة تشتغل بالزراعة في قرية البرود من إقليم السر الواقع جنوب القصيم من نجد . حفظ القرآن وتعلم الكتابة ثم انتقل إلى الرياض سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) وهو في الرابعة عشرة من عمره . لكن إقامته فيها لم تطل[٢]. عاد إلى الرياض عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) وقرأ على بعض مشايخ نجد . وفي عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) التحق بالمعهد السعودي في مكة المكرمة، وأكمل الدراسة فيه سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) . حاول نظم الشعر في وقت مبكر[٣]. وفي سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) عين مدرساً في ينبع وبعد سنتين عين مديراً للمدرسة، ثم تدرج في العمل حتى أصبح معاوناً لمعتمد المعارف في جدة[٤].

سافر الجاسر عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) إلى مصر للدراسة، والتحق بكلية الآداب في الجامعة المصرية، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت دون إكمال دراسته فعاد إلى وطنه[٥]. عمل بعد ذلك في التعليم في الإحساء، ثم مشرفاً على مدارس أرامكو في الظهران، ثم مديراً للتعليم في نجد، ثم وكيلاً لمدير المعاهد والكليات العلمية، ثم مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض[٦].

اشتغل بعد ذلك بالعمل الصحفي، فأصدر في الرياض عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) العدد الأول من مجلة اليمامة، وكان يطبعها في مصر، ثم مكة، ثم لبنان، وأخيراً فكر في إنشاء مطبعة في الرياض عام (١٣٧٤هـ/١٩٤٥م) . وفي عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) تحولت المجلة الشهرية إلى أسبوعية[٧]. وفي عام (١٣٨١هـ /١٩٦١م) نُقل امتياز اليمامة عن حمد الجاسر . وفي عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) كون هو وآخرون (مؤسسة اليمامة) وصدر عن هذه المؤسسة جريدة أسبوعية باسم (اليمامة) ، وكان الجاسر رئيسها[٨].

---

(١) ولفرد شيجر، النسخة المترجمة، ص١١١ـ١١٢ . وهذه العادة كانت منتشرة بين الناس إلى عهد قريب، واليوم فاض الخير على الناس وسارت تقاليد الضيافة تأخذ أساليب وأنماطاً متعددة في المكان والزمان .

(٢) علي جواد الطاهر " حمد الجاسر" . مجلة العرب، السنة السادسة، (شوال ١٣٩١هـ / ديسمبر ١٩٧١م)، مج٦، ص٤٤٦ .

(٣) المرجع نفسه . لم يكن حمد الجاسر شاعراً، وقد اعترف بذلك عندما قال : "ولا أدري هل لي أن أتحدث عن الشعر، ولست شاعراً ... أن لا أجد في نفسي ميلاً لقراءة كثير مما ينشر من الشعر الحديث، وليس العيب عيب ذلك الشعر، ولكنه عيبي أنا ... " . المرجع نفسه، ص٤٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٤٦ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٤٧ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٤٤٧ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٧ وما بعدها .

لم تطل صلة الجاسر المباشرة بمؤسسة اليمامة الصحفية، وإنما ترك العمل في تلك المؤسسة عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وأنشأ لنفسه (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) واتخذ لها مركزاً في الرياض وفرعاً في بيروت لتسهيل عملية الطباعة . وكان أول عمل قامت به هذه الدار إصدار مجلة شهرية باسم (العرب) تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري[١] . صدر الجزء الأول منها في رجب سنة (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، واستمرت تصدر حتى وفاة الشيخ حمد (رحمه الله) .

أما في مجال البحث والتأليف والدراسة والتحقيق فله عشرات، وربما مئات الكتب والدراسات العلمية الرصينة التي تصب في خدمة تاريخ وتراث وفكر الجزيرة العربية . ولسنا هنا بصدد سرد كل بحوثه ومؤلفاته فهي مشروع جبار يستحق العمل الدءوب من الجامعات ومراكز البحوث والمؤرخين واللغويين والمحققين . بل إن عشرات الكتب والرسائل العلمية الأكاديمية غير كافية لدراسة ما خلف لنا الشيخ العلامة حمد بن محمد الجاسر[٢] .

والجاسر من الرحالين المحدثين الذين زاروا منطقة الباحة . ففي عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) رحل من الحجاز إلى بلاد غامد وزهران، وأصدر عن تلك الرحلة كتاب قيم سماه : في سراة غامد وزهران(نصوص، مشاهدات، انطباعات)، ونشره من خلال داره، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)[٣] . والكتاب يقع في (٥٩٥) صفحة من القطع المتوسط . تنقل هذا الرحال في ربوع البلاد الزهرانية والغامدية، فذكر بعض أعلامها وقراها، وعشائرها وبطونها، وإمارتها والفروع التابعة لها في الأجزاء التهامية والسروية[٤] . كما أشار إلى المؤسسات الإدارية التي كانت في حواضر غامد وزهران، ولم يغفل عن ذكر بعضٍ المرافق الخدماتية مثل: إدارات الزراعة، والأوقاف، والمواصلات وغيرها. وذكر أيضاً الأطوال والمسافات بين القرى والمراكز الرئيسية في المنطقة[٥] . وعرج في حديثه على التعليم في المنطقة وأشار إلى انتشار المدارس (بنين وبنات) في كل أنحاء البلاد[٦] . أما الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الباحة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٨ . ويقول علي جواد الطاهر عن حمد الجاسر ومجلته " ... إن رجلاً واحداً، لا يعرف تاريخ ميلاده إلا تقريباً ... خرج من أعماق قرية ضائعة في طوايا جزيرة شاسعة، ينهض بمجلة رصينة راقية نادرة، يغذيها ويشبعها ويسمنها ورصيده قلمه، ويسهر عليها وماله من نصير، ويتقدم بها وما يكون لها من نظير..." . علي جواد الطاهر . " العرب في عامها العشرين " مجلة العرب، سنة (٢٠ / رجب وشعبان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، مج٢٠،ص ١-١١ .

(٢) نشكر القائمين على مركز الشيخ حمد الجاسر، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز الذي أمر بإنشاء هذا المركز ورعايته . ونرجو من القائمين على هذا المركز أن يضاعفوا الجهود للاستفادة ودراسة كل ما حقق أو دون أو ألف الشيخ الجاسر.

(٣) انظر الكتاب نفسه، ص ١٢ وما بعدها :

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٣ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٥ وما بعدها .

(٦) من يزور بلاد غامد وزهران يجد الوضع تطور في مجالات التمدن والحضارة، بل يجد كل مؤسسة إدارية تستحق دراسة مستقلة . ناهيك عن التعليم فقد قفز قفزات كبيرة ويستحق عشرات الدراسات . ونأمل من جامعة الباحة أن تضاعف الجهود في مجالات البحوث والدراسات التي تعود على مجتمع منطقة الباحة بالنفع والفائدة .

فقد حظيت هي الأخرى بنصيب جيد في دراسات الشيخ الجاسر، فذكر حوالي (٢٢) سوقاً أسبوعياً منتشرة في أنحاء المنطقة، كما أشار إلى بعض المعلومات عن بعض العادات والأعراف والتقاليد التي عرفها الغامديون والزهرانيون[١] . وأورد بعض التفصيلات عن قرى غامد وزهران، وذكر بعض الإحصائيات التي حصل عليها من أهل المنطقة، لكنها غير دقيقة وقد أشار هو نفسه إلى ذلك[٢] .

وفي عشرات الصفحات من الكتاب تحدث عن بلاد غامد وزهران كما وردت في بعض كتب التراث، فأشار إلى أنسابها، وموقعها في بلاد السراة، وعلاقتها بالسروات المجاورة. وأورد نصوصا عديدة أشارت إلى بعض الأحداث السياسية والحضارية التي عرفتها هذه البلاد في عهود سابقة[٣]. كما ذيل كتابه بصفحات عديدة ذكر فيها بعض الاستدراكات وتصويب بعض الأخطاء الواردة في هذا السفر، ثم سرد العديد من الفهارس العامة التي تخدم كل من يرجع إلى هذا الكتاب[٤] .

وبعد مرور حوالي ثمانية عشر عاماً من رحلته إلى بلاد غامد وزهران نجده يعود إليها في (١٤٠٨/١١/٢١هـ الموافق ١٩٨٨م) كي يلقي محاضرة في مدينة الباحة ضمن البرنامج الثقافي الذي نظمته إمارة الباحة. وكان عنوان محاضرته: لمحات وانطباعات عن مشاهداتي في السروات[٥] .

أشار في محاضرته إلى رحلته السابقة للبلاد الزهرانية والغامدية، ثم ركز حديثه في نقطتين، الأولى : صراحة أنساب سكان السراة . والثانية : صفاء لغة أهل السراة [٦] . وأشار في المحور الأول إلى عموم القبائل السروية الممتدة من الطائف حتى بلاد شهران وقحطان، وكان حديثه على منوال منهج الهمداني أثناء عبوره أرض السروات، ويشير إلى فصاحة اهل السراة، ويعلل سبب فصاحتهم بقوله : " .... وترجع فصاحة سكان السروات إلى كون بلادهم بعيدة عن الاختلاط بمن ليس عربياً، فطرق القوافل التجارية، وطرق الحجاج الذين يأتون من خارج الجزيرة كلها لا تمر بهذه السروات، ومن هنا قل اختلاط أهلها بالأعاجم، فصفت لغتهم، وخلصت من العجمة .. "[٧] .

---

(١) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٩ ـ ٣٥٠، أشار إلى من سكن السروات قبل الإسلام، ثم خروج قبائل الأزد من اليمن واستيطان بعضهم في أرض السروات، وهم سكانها اليوم . للمزيد انظر، المرجع نفسه، ص٣٥٥ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٩٥ وما بعدها .

(٥) نشرت هذه المحاضرة في مجلة العرب، سنة (٢٤) (رجب وشعبان / ١٤٠٩هـ / الموافق فبراير ومارس ١٩٨٩م)، مج ٢٤، ص ٥٨ ـ ٧١ .

(٦) للمزيد انظر : الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٩ وما بعدها، حمد الجاسر، المرجع السابق، ص٥٨ وما بعدها، ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني "، مجلة الدارة، عدد (٣)، سنة (١٩) (١٤١٤هـ)، ص٧٦ ـ ١١١ .

(٧) الجاسر، " لمحات وانطباعات عن مشاهداتي في السروات " ص ٧٠ . ونقول إن دراسة لغة ولهجات أهل السراة جديرة بالبحث والدراسة . ونأمل من المتخصصين في أقسام اللغة العربية في جامعاتنا السعودية أن يلتفتوا إلى مثل هذا الموضوع الجدير بالبحث والدراسة . والهمداني أو الجاسر وغيرهما يتحدثون عن صفاء لغة أهل السراة قديماً، أما اليوم فقد اختلط سكان هذه البلاد بغيرهم، بل وفد إلى بلادهم أجناس غير عربية . بل إن التقنية

ومن خلال هذه المشاهدات الجاسرية استطعنا الخروج ببعض الرؤى والنتائج مثل:

١. إن وصول الأستاذ حمد الجاسر إلى سروات غامد وزهران في نهاية القرن الهجري الماضي كان كسباً لسكان تلك البلاد، فقد حفظ بعض التفصيلات التاريخية والحضارية الجيدة والجديدة.

٢. مزج الجاسر بين النصوص المنقولة من كتب التراث الإسلامي المبكر وبين ما شاهده أو استنتجه أثناء تجواله في تلك الديار.

٣. مدونات الجاسر من خلال انطباعاته ومشاهداته جديرة بالبحث والدراسة والمقارنة مع ما جرى في سروات زهران وغامد منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر. وحبذا أن نرى أحد الدارسين أو المؤرخين المتخصصين فيخرج لنا مقالة أو بحثاً علمياً تحليلياً عن كتاب: في سراة غامد وزهران، ويذكر ما ورد فيه من سلبيات وإيجابيات تصب في خدمة تاريخ الزهرانيين والغامديين.

١٦. علي صالح السلوك الزهراني (ق١٤-١٥هـ/ ٢٠-٢١م):

السلوك من مواليد قرية قرن ظبي ببلاد زهران عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، درس في الكُتّاب عام (١٣٧٠هـ /١٩٥٠م)، ثم أكمل دراسته في المدارس النظامية. بدأ حياته الوظيفية عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، و تدرج في العمل بوزارة الداخلية، قطاع الإمارات حتى وصل مدير عام بإمارة منطقة الباحة[1]. كان عضواً في كثير من اللجان والجمعيات والمؤسسات الإدارية والاجتماعية والخيرية[2]. كما حصل على بعض الجوائز والتكريم على مستوى بلاد غامد وزهران، وعلى مستوى المملكة العربية السعودية [3]. عمل في نادي الباحة الأدبي حتى صار نائباً لرئيس النادي[4].

الحديثة غزت كل إنسان ودار، ومن ثم بدأت فصاحة هذه البلاد وغيرها تذوب، وأصبحنا نرى ونسمع ونشاهد انعدام الفصاحة والضعف اللغوي الذي يعيشه سكان هذه الأوطان ومن جاورهم من أرض السروات.

(١) نبذة مكتوبة وصلتنا من ابنه العقيد مهندس زهران بن علي السلوك في (١٤٣٣/٩/١٠هـ). وهذه النبذة توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق الخاصة).

(٢) كان عضواً في لجنة مكافحة الأمية بالباحة، ساهم في تأسيس بعض الجمعيات التعاونية بمنطقة الباحة، وعضواً في الجمعية السعودية الخيرية للأطفال المعاقين بالرياض، وعضو لجنة أصدقاء المرضى، وعضو الجمعية التاريخية السعودية، وعضو مجلس منطقة الباحة من عام (١٤٢١هـ /٢٠٠٠م).

(٣) فاز بالجائزة العلمية الأولى لعام (١٤٣١هـ/٢٠٠٩م) عن كتابه: وثائق من التاريخ، كما حصل على الجائزة التقديرية في مجال التأليف. والمانح لهاتين الجائزتين مشروع تواصل زهران خلال عام (١٤٢٦، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٥-٢٠٠٩م). تم تكريمه ضمن الرواد المؤرخين السعوديين الأحياء الذين أصدروا كتباً في تاريخ الجزيرة العربية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) أو قبله من قبل وزارة الثقافة والإعلام، وكان ذلك في معرض الرياض الدولي للكتاب عام (١٤٣٠هـ)، عن كتابه: المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران.

(٤) انظر ترجمته أيضاً في نهاية بعض مؤلفاته. كما وصلنا سيرة ذاتية مختصرة له من أحد أبنائه في (١٤٣٣/٩/١٠هـ). والأستاذ السلوك توفي أواخر عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) والله أسأل أن يحسن لنا وله الختام، وأن يجعل أعمالنا وأعماله خالصة نقية لوجه رب العالمين.

وفي مجـال البحـث والتأليف فهو يعد من الرواد المعاصـرين في هذا الباب . فله العديد من المؤلفات التي تدور في فلك تاريخ وحضارة بلاد غامد وزهران، ومنها :

١. المعجم الجغـرافي لبلاد غامد وزهران، عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، أصـدرته دار اليمامة والبحث والترجمة والنشـر لصـاحبها والمشـرف عليها حمد الجاسـر . وقد أعيد طباعة هذا الكتاب عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ثم طبع للمرة الثالثة عام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)[١] .
٢. الموروثات الشـعبية لغامـد وزهران، عام (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) في خمسـة أجزاء وقام على طباعته ونشره مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة .
٣. له كتابان آخران الأول بعنوان : غامد وزهران (السكان والمكان) ، عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) . والثاني بعنوان : وثائق من التاريخ، عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) [٢].

وعنـد الاطلاع على كتب هذا المـؤرخ الزهراني، وجدنا كتابه المعجم قام على الرحلة والتجوال في ربوع منطقة غامد وزهران، ومن ثم رصد لنا معظم قراها ومعالمها الجغرافية البارزة . والقارئ لهذا المعجم يدرك التعب والعناء الذي واجهه هذا الباحث من أجل جمع مـادة كتابـه والتثبت من صـحتها [٣] . أما كتابـه الثاني: فهو موسـوعة في بعض الجوانب التاريخيـة الاجتماعية، وكل جزء من الأجزاء الخمسـة لفن من فنون الموروثات الشـعبية الغامدية والزهرانية . فالجزء الأول خاص بقصـائد الجبل واللبيني [٤] . والجزء الثاني لقصـائد العرضة في مناسـباتها المختلفة . والجزء الثالث في قصائد اللعب والمسحباني، والهرموج والعزاوي والسامر[٥] . والجزء الرابع الأناشيد الشعبية القاف . والحزء الخامس الأمثال والحكم . والقارئ لهذه الأجزاء الخمسة يدرك الجهد العظيم الذي بذله الأستاذ السلوك من خلال خبرته وتجواله في بلاده وجمع مادة هذا الكتاب القيم، فهو رصين ثري، بل إن صـاحبه صاحب فضـل كبير على أهله وبني جلدته في جمع وتدوين وحفظ جزء من تراثهم وثقافتهـم وأدبهم وفكرهم[٦] . والكتاب الثالث غامد وزهران (السـكان والمكان) فهـو يجمع بـين علمي التاريـخ والجغرافيا، وهو الآخـر كتاب قيم في مضـمونه وجوهره . أمـا الكتـاب الرابع : وثائق مـن التاريخ فهو كتاب تاريخي وثائقي جمع فيه صـاحبه مادة

---

(١) تم الاطلاع على هذا الكتاب في طبعته الثانية (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
(٢) جميع كتبه متوفرة وموجودة في عموم المكتبات العامة، وبعضها تم طباعتها أكثر من مرة .
(٣) للمزيد انظر الكتاب نفسه في طبعاته الثلاث وما يشتمل عليه من مادة علمية جديدة تستحق الدراسة والإشادة . وجل مادة الكتاب قامت على المشاهدات والتجربة والروايات الشفهية والمكتوبة. وهذه مصادر رئيس وهامة في تدوين التاريخ .
(٤) هـذا الفـن الغنائـي عرفته بـلاد غامد وزهـران وما جاورها مـن البلـدان، ويسـتحق البحث والدراسـة من قبل المتخصصين في علوم اللغة وعلم الاجتماع وغيرها .
(٥) كل هذه الفنون عرفتها بلاد زهران وغامد ولا زالت تمارس في مناسباتها الاجتماعية حتى يومنا الحاضر. .
(٦) هذا الكتاب يسـتحق دراسـات علمية أكاديمية أطول وأعمق ونأمل أن نرى بعض أبناء غامد وزهران المبدعين المثقفين المتخصصين فيفردوا له بعض البحوث الأكاديمية الموثقة . وهذا من أقل واجبات السلوك على أبناء منطقته وبلاده.

علمية جديدة وقيمة، وحفظ لنا صوراً تاريخية وحضارية للمجتمع الغامدي والزهراني في العصر الحديث والمعاصر . والكتاب يشتمل على أربعة مباحث : الأول : يشتمل على نماذج من وثائق المعاهدات والاتفاقيات والأحلاف بين القبائل والقرى[1] . والثاني : نماذج من وثائق الأحكام والصلح التي كان يتم فيها حل النزاعات القبلية والقروية ونماذج من المبايعات والحجج أو الصكوك الشرعية[2] . والثالث : نماذج من وثائق المراسلات من الحكام إلى المشايخ والقضاة والأعيان، ومعظم هذه الوثائق تدور في زمن القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) [3] . والمبحث الرابع والأخير[4] : نماذج من وثائق الزكوات والجهاد قبل عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) وبعده . كما يحتوي على صور من وثائق تأسيس أول إمارة لغامد وزهران في عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، وكذلك أول ميزانية مالية لهذه الإمارة[5] .

وبعد الاطلاع على هذه المؤلفات السلوكية، وما قام به مؤلفها من جمع وتدوين ثم طباعة ونشر خرجنا بالعديد من النتائج والتوصيات التي نذكرها في النقاط التالية :

١. الأستاذ على السلوك اعتمد في جمع مواد كتبه على خبرته وتجربته وحياته مع أهله وفي بلاده . كما نذر نفسه التنقل والترحال في قرى وجبال وأودية ووهاد منطقة غامد وزهران حتى استطاع أن يخلف لنا هذا الكم الجيد من المادة العلمية القيمة .
٢. اتصال الأستاذ السلوك بالأستاذ حمد الجاسر في العقود المتأخرة من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، كان اتصالاً مباركاً، فالأخير شجع الأول على التجول في عموم البلاد الزهرانية والغامدية، وأخرج معجماً جغرافياً يشرح ويوضح معالم هذه البلاد السروية والتهامية التي طواها النسيان قروناً عديدة . وقد كان الاثنان (الجاسر والسلوك) موفقان في إنجاز هذا المشروع منذ جمعت مادته ومراجعتها ثم طباعتها ونشرها . ومن ثم أصبح مصدراً هاماً لا يستغني عنه أي دارس أو باحث في تاريخ وتراث وحضارة منطقة الباحة .
٣. كوني أبحث في تاريخ وحضارة الجزيرة العربية وبخاصة جنوبيها منذ أربعة عقود، لم أعرف أشياء كثيرة من معالم بلاد زهران وغامد إلا عن طريق معجم الأستاذ السلوك . فهو فعلاً رجل رائد وله السبق في هذا المضمار.
٤. لم تشغله تكاليفه الاجتماعية والعملية من الإسهام في جانب آخر من جوانب العلم والمعرفة الخاصة ببلاده وأهله . وإنما التفت إلى عالم الفنون الشعبية التي عرفتها دياره، ومن ثم

---

(١) انظر الكتاب نفسه، ص٩ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٧ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٠٣ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه .

جمع لنا كماً هائلاً من التراث الثقافي والأدبي (الشعري والنثري) الذي عرفه ومارسه الغامديون والزهرانيون . ومن يطالع موسوعته الموروثات الشعبية فإنه يدرك أنه أمام قامة علمية وهبت نفسها لخدمة بلادها وأهلها، بل يتأكد له أن ما احتوته موسوعته من تراث علمي وفكري يجب الإشادة به، بل يجب على أقسام اللغة والتاريخ والاجتماع والأدب في جامعة الباحة وغيرها من جامعات الجنوب أن توجه بعض أبحاث أعضائها وطلابها إلى دراسة هذه الموسوعة الجديرة بالاقتناء والدراسة والبحث والتحليل .

٥. الناظر إلى كتاب السلوك: وثائق من التاريخ، يدرك أن هذا الرمز السروي الزهراني يحمل بين جنبيه هماً وحباً لخدمة بلاده وذويه . فكان حريصاً على أن يظهر للقراء والباحثين مادة علمية خاماً من تاريخ أهله ووطنه، وهذا واضح وجلي من الوثائق الجديدة التي نشرها وأخرجها لأول مرة . ومن ثم فهذه الوثائق أصبحت مسؤولية الباحثين والمؤرخين المنصفين الذي يجب عليهم دراستها وتحليلها وذكر فضل من كان السبب في نشرها وخروجها عند المرة الأولى. كما أن كتابه: غامد وزهران.. السكان والمكان، لم يكن أيضاً بعيداً في الأهداف السامية التي حققها، وكان دائماً يسعى إلى تحقيقها من أجل خدمة بلاده .

٦. عندما استعرضت كل من خدم تاريخ وتراث وحضارة بلاد غامد وزهران، وجدت الأستاذ السلوك يتربع على عرش الريادة في العصر الحديث والمعاصر نعم ربما يقول قائل أنت بالغت في مدح الرجل وإطرائه، فأقول، والله يشهد على ما أقول، إنني لا أعرفه، ولم أقابله البتة، وإنما علمت من محبيه وبعض أقاربه أنه كان مريضاً في أحد مستشفيات الرياض منذ عشر سنوات . وقد انتقل إلى الدار الآخرة في نهاية عام (١٤٣٣هـ /٢٠١٢م) (رحمه الله) ، ولكن من وجهة نظري فإنني أراه من الرواد العظام، فلقد اطلعت على أعماله الأربعة السابقة الذكر، وأعمال غيره ممن كتبوا عن بلاد غامد وزهران . فوجدت عمله يمتاز بالدقة والجدة والشمولية، ولا نقول أن أعماله كاملة فالنقص والخطأ من أعمال البشر، لكنه عمل وألف عندما كان الناس في غفلة من أمرهم، فله منا الشكر، ونسأل الله عز وجل أن لا يحرمه أجر ما قدم في حياته، إنه على كل شيء قدير.

٧. من خلال الاطلاع على سيرة السلوك، وكذلك السؤال عنه في بلاده اتضح لنا أنه ذكر وكُرم من بعض الجهات المحدودة في منطقته، أو في الرياض أثناء إقامة معرض الرياض الدولي للكتاب عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) . ونقول من على صفحات هذا الكتاب أن الرجل لم ينل حقه اللائق به لا من أبناء جلدته في الباحة ولا من قبل الجهات المسؤولة عن الفكر والثقافة في بلادنا . وننادي إمارة منطقة الباحة، وجامعة الباحة، ونادي الباحة الأدبي، وأمانة منطقة الباحة ونقول لهم إن هذا الرجل يستحق

التكريم من قبل هذه المؤسسات فيذكر اسم شارع باسمه في المنطقة، ويطلق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات في النادي والجامعة وهذا من أقل الواجبات تجاه هذا الرجل، الذي قضى جزءاً كبيراً من حياته في البحث والتأليف .

٨. كما أن المؤرخين والمتخصصين من أهالي غامد وزهران وكذلك الباحثين في جامعة الباحة عليهم أيضاً مسؤولية تجاه هذا العلم الزهراني فتعقد بعض الندوات عن كتبه، وتعمل بعض البحوث والدراسات عن شخصه وإنجازاته العلمية والعملية . بل إن قسم التاريخ في جامعة الباحة، أو في أي جامعة أخرى يجب على أعضائه ذكر هذا الرجل والالتفات إلى مجهوداته العلمية، فيخصص عنه رسالة علمية أكاديمية لدرجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وإنجازاته العلمية جدير بهذه المشاركة والإسهام العلمي الأكاديمي .

٩. نرجو من أبنائه وأحفاده وطلابه ومحبيه أن لا ينسوه هم الآخرون فيخرجوا عنه دراسة أو كتاباً علمياً يجمع فيه أعماله وآثاره الاجتماعية والتاريخية والعلمية . وحبذا إذا كان لديه مكتبة ثرية بمحتوياتها أن تحفظ أو تصان من قبل أسرته أو ممن يحبه أو يوده، أو تُسلم إلى إحدى المؤسسات العلمية الرئيسية في بلادنا. وفي اعتقادي أن جامعة أو نادي الباحة أولى بحفظ وصيانة هذه المكتبة .

١٠. من المحتمل أنه له مسودات كتب جمع مادتها ودونها قبل أن يداهمه المرض، ونقول لأبنائه وأفراد أسرته حبذا أن يسلموها لأكاديمي أمين فيخرجها باسم أبيهم مع الحرص على حفظ حق صاحبها العلمي

١٧ـ عاتق بن غيث البلادي (١٤ـ١٥هـ / ٢٠ـ٢١م) :

هذا الرحالة حجازي الأصل والمولد زار العديد من مناطق المملكة العربية السعودية، ودون العديد من كتب الرحلات [١] . ومؤلفه الذي يهمنا في هذا القسم، هو: بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) من مطبوعات دار مكة للنشر والتوزيع عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) [٢] . هذا الكتاب يقع في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع المتوسط، وهو رحلة قام بها المؤلف في شهر شعبان عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى كل من سروات الطائف والباحة وعسير ونجران، واستغرق خلالها حوالي (٨) أيام سجل فيها الكثير من التفصيلات التاريخية والحضارية[٣] .

---

(١) للمزيد عن هذا الرحالة انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢ ص ٢١٤ـ٢١٧ . ج٣، ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) عاتق البلادي، الكتاب نفسه، ص٥ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه .

وفيمـا يخص بلاد الباحة (غامد وزهران)، وجدنـا هذا الرحالة يدون لنا فقط حوالي خمس صفحات شملت بلاد زهران وغامد من دخولها من الشمال إلى الجنوب، وعند قراءة هذه المدونات العاتقية استطعنا الخروج ببعض النقاط الرئيسية التي نذكرها في البنود التالية :

١. البلادي لم يبذل جهداً كبيراً للتنقل في أرجاء غامد وزهران وتدوين ما يمكن تسجيله من خلال الانطباعات والمشاهدات . ولو فعل ذلك لكان زودنا بمادة علمية قيمة تشمل طبيعة المكان وحياة السكان .

٢. منذ دخوله بلاد زهران من الشمال حتى خرج من بلاد غامد نحو الجنوب ذكر فقط خمس قرى رئيسـية تخترقها الطريق الرئيسـية التـي تخرج من الطائـف حتى أبها ونجـران. وهـذه القرى هي: قريش الحسـن، الأطاولة، رغدان، الباحة، وبلجرشـي . الاثنتـان الأوليان في بلاد زهـران، والثلاث الأخرى في بلاد غامـد[١] . كما ذكر توفر المدارس وبعض المؤسسـات الإدارية في بعض هذه القرى مثل: الباحة وبلجرشـي[٢] . وأشـار إلى وجود بعض المواشـي والمحلات التجارية والمنـازل المكونة من طابق واثنين وثلاثـة في عموم هذه القرى الخمس[٣] . وذكر أيضـاً أهمية بعض هذه القرى تاريخياً مثـل رغدان وبلجرشـي التي كانت مراكـز إدارية لبعض القوى السياسـية في المنطقة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) [٤] .

٣. من النصـوص التي أوردهـا عن بعض هذه القرى، قوله عن قرية (قريش الحسـن) " .... هذه قرية أهلها قريش، سميت بهم، وكثير من قرى الجنوب تسمى بأسماء القبائـل التي تسـكنها .."[٥] وقال عنها أيضـاً : " .... وهذه البلـدة فيها حركة تعمير ظاهرة، وبها قصور حديثة البناء بالأسمنت المسلح.."[٦] . وقال عن قرية(الأطاولة) : " .. هي متقدمة عمرانياً وزراعياً، وشـوارعها معبدة، وبها مدارس وشرطة ومحكمة، وكل مرافـق الدولة. والبيوت الحديثة ذات الطوابق المتعددة تغلب على بنائها ..."[٧] . وقال عن بلجرشي: " .. هي مدينة جميلة بين تلال خضر، وحركة العمران فيها نشطة، وهي ثاني مدينة في بلاد غامد.."[٨] .

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١ـ ١٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣ـ ١٤ .
(٣) المصدر نفسه، ص ١١ـ ١٥ .
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣ـ ١٤ .
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢ . ودراسة أسماء القرى والبلدات والعشائر والبطون في بلاد السراة جدير بالبحث والدراسة وبخاصة في مجال الأنساب، والأسماء والمدلولات وغيرها .
(٦) البلادي، المصدر نفسه، ص ١٢ .
(٧) المصدر نفسه، ص ١٢ ـ ١٣.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٤ .

٤. جاء البلادي إلى الديار الزهرانية والغامدية في بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، وقد دخلت البلاد طريق التنمية والعمران، وكان عليه أن يفصل الحديث عن التطور الحضاري الذي تعيشه هذه البلاد في ذلك الزمن. ولو مكث بعض الوقت في القرى الخمس المذكورة، أو حرص على الالتقاء ببعض الأعيان والوجهاء وأصحاب القرار في المنطقة فإنه بدون شك سوف يكون حصل على مادة عليمة جديرة بالتدوين. ومن يذهب إلى بلاد زهران وغامد ويتجول في قراها وبواديها وجبالها وأوديتها فسوف يشاهد تاريخاً متنوعاً يستحق الحفظ والتدوين[١].

١٨. عبد الرحمن صادق الشريف (ق١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م):

الأستاذ الشريف من الأكاديميين الجيدين الذين عملوا في قسم الجغرافيا في كلية الآداب بجامعة الملك سعود لسنوات عديدة[٢]. أصدر دراسة بعنوان: جغرافية المملكة العربية السعودية، في جزءين [٣]. الجزء الأول خصصه لجغرافية المملكة بشكل عام فناقش فيه المعالم الطبيعية المؤثرة في حياة السكان، ثم الملامح البشرية الاقتصادية في المملكة، وأخيراً أوجز الحديث عن وسائل النقل الحديثة في البلاد السعودية[٤].

أما الجزء الثاني فأفرده لإقليم جنوب غرب المملكة، وناقش فيه الكثير من الأوضاع الجغرافية والحضارية في كل من جازان، وعسير، والقنفذة والباحة ونجران[٥]. والجميل في هذه الدراسة أن مصادرها قامت على الرحلة والتجوال، وكذلك الرجوع إلى المصادر والمراجع المكتوبة التي أشارت إلى هذه البلدان الجنوبية. كما أن الذي قام بهذا العمل هو أستاذ أكاديمي يعمل في أروقة الجامعات منذ زمن طويل، وبالتالي فهو على دراية بأدوات البحث العلمي الذي طبقه في كتابه أثناء دراسة طبيعة وسكان هذه البلاد[٦].

وفي حوالي أربعين صفحة تحدث الشريف عن منطقة الباحة، وبدأ بالأجزاء التهامية الواقعة في محيط محافظتي المخواة وقلوة[٧]. ثم واصل شروحاته على الأجزاء السروية

---

(١) نأمل من جامعة الباحة أن تسعى إلى حفظ تاريخ منطقة غامد وزهران سواءً كان موجوداً في كتب مطبوعة أو وثائق غير منشورة، أو نقوش ورسوم متناثرة في أنحاء المنطقة، أو أقوال وروايات مدونة وشفهية. وإن فعلت ذلك فإنها سوف تسدي للزهرانيين والغامديين فضلاً كبيراً.

(٢) الدكتور الشريف، أستاذ في علم الجغرافيا، عمل بجامعة الملك سعود منذ نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) حتى العقود الأول من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م).

(٣) الجزء الأول من مطبوعات دار المريخ في الرياض عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). والجزء الثاني مطبوع في نفس الدار عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(٤) انظر الجزء الأول، ص٣ وما بعدها.

(٥) انظر الجزء الثاني، ص ٣٣ وما بعدها.

(٦) هذا ما يلمسه القارئ أثناء فحص هذا الكتاب ودراسته.

(٧) الشريف، جغرافية المملكة، ج٢، ص ٢٣١-٢٤٤.

الجبلية، وكذلك السفوح الشرقية من سروات غامد وزهران فذكر بلاد بلجرشي، ومقاطعة الباحة، وسـراة زهران، مع إيراد تفصيلات كثيرة عما تشتمل عليه هذه البلاد من معالم طبيعة وتركيبات سكانية[(١)] . **وقد خرجنا ببعض الخلاصات والنتائج على هذا الكتاب، نسردها في النقاط التالية** :

١. معظم المادة المدونة عن منطقة الباحة قيمة وجديدة في محتوياتها، و صاحبها مشكوراً قد زار البلاد الغامدية والزهرانية، ودون ما شاهده في ربوعها، بالإضافة إلى اطلاعه على كثير من الإحصائيات والسجلات والوثائق والمصادر التي ترفد أقواله ومشاهداته.
٢. شـرح الكثير من التركيبـات الطبيعية لمنطقة الباحـة، فذكر أشـهر أوديتها وجبالها وهضابها ومعالمها الجغرافية التي امتازت بها في معظم نواحيها.
٣. أشـار في مواطن عديدة إلى القرى والبلدات وأماكن الاستيطان الرئيسية في المنطقة، وذكر بعض الإحصـائيات السكانية لبعض القرى والحواضر. وأورد أحياناً تفصيلات جديدة عن الأعمال والمهن المتنوعة التي يمارسها سكان المنطقة.
٤. ذكر بعض المؤثرات التي طرأت على طبيعة البلاد البشرية نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصـادية، وأشار إلى تقهقر النشـاطات الرعوية وبخاصة عندما أصبح كثير من أهـالي البـلاد يهاجرون مـن أوطانهم إلى مدن وحواضـر كـبرى في المملكة من أجل الحصـول على مكاسب تعليمية ووظيفية أفضل من حياتي الرعي والزراعة التي كانوا يمارسونهما في مواطنهم الرئيسية .
٥. مع أن الشـريف متخصـص في علوم الجغرافيا، إلا أننا نظرنا إليه رحال قام بالعديد مـن الرحلات في المملكة العربية السـعودية . وكانت منطقـة الباحة قد حظيت ببعض اهتماماته ومدوناته وجولاته .
٦. شـاهد الكثير مـن صـور التنمية التي عاشـتها منطقـة الباحة في بداية هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . ودون لمحات مما رأى، وكنا نتمنى أن يكون قد أسـهب في مدوناته عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والفكرية[(٢)] .

١٩. علي حافظ (ق١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م) :

ولـد في المدينـة المنورة عـام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، ودرس في مدارسـها، ثم التحق بالدراسـة في المسجد النبوي عدة سـنوات . تدرج في العديد من الوظائف في المدينة فبدأ كاتباً في قسـم المحاسـبة بمديرية المالية في المدينة المنورة، كما عمل في مؤسسـات إدارية

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٥٠-٣٧٤ .

(٢) نأمـل أن نرى بعض المتخصصـين في التاريخ والجغرافيـا والتربية وعلم الاجتماع بجامعة الباحة يقومون بدراسـة المجتمعات الزهرانية والغامدية، ويقارنون بين ما تعيشـه البلاد في عصـرنا الحاضـر، وبين أوضـاعها في العصور القريبة الماضية . ومن يفعل ذلك فسوف يرى التطور الهائل الذي ومرت به خلال الخمسين سنة الماضية .

أخرى وكان آخرها رئيساً لبلدية المدينة المنورة حتى عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ثم تفرغ لأعماله الخاصة والكتابة[١].

أسس مع أخيه السيد عثمان علي حافظ جريدة المدينة المنورة حتى عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) . شارك في العديد من الخدمات الاجتماعية التطوعية، وقدم بعض الأوراق في بعض المؤتمرات والندوات العلمية . اختير عضواً في مؤتمر الأدباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ومنح العديد من الجوائز، وكُرم في بعض المحافل المحلية والإقليمية[٢].

له عدد من المؤلفات مثل: فصول من تاريخ المدينة، عام (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)، وأعيدت طباعته في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، وله مجموعة المقالات التي نشرتها له جريدة المدينة من عام (١٣٥٦-١٤٠٥هـ / ١٩٣٧-١٩٨٤م)، وبحث عن الإسلام في شعر شوقي، قدمه لمؤتمر الأدباء السعوديين الأول عام (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، وكتيب عن نخيل المدينة المنورة، وديوان باسم أولادنا، والكتاب الذي يخصنا في دراستنا هذه، بعنوان: أربعة أيام في منطقة الباحة، من مطبوعات شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر بجدة عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)[٣].

نجد ابن حافظ يذهب مع بعض زملائه الحجازيين في زيارة إلى منطقة الباحة لمدة أربعة أيام [٤]. (١٦-١٩/ المحرم ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م)، وذلك من أجل زيارة صديقهم أمير بلاد غامد وزهران آنذاك إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم [٥]. وفي تلك الزيارة ذكر علي حافظ كيف رأى وشاهد بلاد الباحة وحفظ لنا بعض المدونات التاريخية الحضارية لهذه المنطقة ونشرها في جريدة المدينة في حلقات متتالية، ثم جمعها أيضاً في كتابه: أربعة أيام في منطقة الباحة، فجاءت في (١٢٣) صفحة من القطع المتوسط[٦].

بدأ هذه الرحلة بنبذة مختصرة عن أسرة آل إبراهيم التي ينتسب إليها أمير الباحة في زمن الزيارة وهو الأمير إبراهيم بن عبد العزيز الإبراهيم[٧]. ثم أشار إلى تضاريس ومناخ وأطوال وقرى وعشائر وحدود وموقع منطقة الباحة. ويبدو أن جل المادة الواردة في هذه الجزئية منقولة عن معجم الأستاذ علي السلوك الزهراني الذي قام بمرافقه

---

(١) حصلنا على ترجمته من الصفحات الأخيرة في بعض مؤلفاته .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه . وأولئك الزملاء هم : عبد الرحمن إبراهيم التركي، وهاشم يوسف الزواوي، ومصطفى محمد زاهد .

(٥) انظر نبذة مختصرة عن أسرة آل إبراهيم في كتاب علي حافظ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٥ وما بعدها .

(٧) المرجع نفسه ، ص ١١-١٥ .

علـي حافظ في معظم أنحاء المنطقة[١]. ويشـير ابن حافظ إلى معنـى الباحة لغة[٢]. وما يوجد أيضاً في مدينة الباحة من مشاريع تنموية، ثم يوجز الحديث عن المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية التي كانت في حاضرة الباحة أثناء زيارته لها[٣]. ويسرد أيضاً مشاهداته عن محاور أخرى رآها في المنطقة مثل: الزراعة التي تمارس على نطاق محدود، ومصادر الميـاه، وتعدد الغابات المتناثرة في أنحاء البـلاد[٤]. ثم يذكر ما رآه من خدمات في الميدان الصحي مع الإشارة إلى بعض المستشفيات من مستوصفات ومرافق صحية أخرى، ويشير أيضـاً إلى المدارسـ المتواجدة والمتناثرة في كل مكان، والكهربـاء التي تخدم بعض المراكز والنواحـي الرئيسـية في المنطقـة[٥]. ولم ينس الإشـارة إلى طرق المواصـلات التي تربط أجـزاء البلاد الغامدية والزهرانيـة، وكان أهمها الطريق الرئيس الذي يربط الطائف مع الباحـة وأبها[٦]. ويذكر بعض الخدمات الأخرى الموجودة مثل: المسـاجد وأماكن العبادة، والهاتف، والتلفاز (الرائي)، والمطار وغيرها[٧]. ويشير إلى تواجد بعض الفنادق وأماكن الاستراحة التي يرتادها المسافرون والسياح وغيرهم[٨].

ويذكر هذا الرحالة في نهاية كتابه معلومات قيمة تشـتمل على رحلة قام بها شـقيقه السـيد عثمـان حافـظ إلى منطقـة الباحـة قبـل(٤٢) سـنة من زيارتـه هـو إلى الباحة عام(١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) . ويقول علي حافظ : " ... زار أخي السـيد عثمان حافظ منطقة الباحة سنة (١٣٦٣هـ)، وعندما قرأ ما كتبته عن الباحة ... ثارت في نفسه ذكريات رحلته لتلـك المنطقة فكتب مقالاً في جريدة المدينـة المنورة في (١٣/ جمادى الأولى / ١٤٠٥هـ) بعنوان: ما لم ينشر عن الباحة ـ الباحة المتحضرة .. "[٩].

والهـدف مـن نشـر علـي حافـظ مـا رآه أخـوه عثمـان في منطقـة الباحـة عـام (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، يؤكد مقارنة النمو والتطور الحضاري في الديار الباحوية في الزمنين (١٣٦٣ و ١٤٠٥هـ/ ١٩٤٣و ١٩٨٤م) . فكان ضعيفاً متواضعاً في الزمن الأول، متطوراً إلى

---

(١) المرجع نفسه، ص١٧ ـ ٢٢ . وللمزيد عن معجم السلوك انظر ما ذكرناه عن هذا الكتاب ومؤلفه في صفحات سابقة من هذا البحث .

(٢) للمزيد عن تاريخ منطقة الباحة، ومسـمى الباحة . بهذا الاسـم انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسـراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسـيطة (ق١ق١٠هـ/ق٧ـ١٦م) (الرياض : مطابع الحميضي، ٣١ـ١٤٣٢هـ/٢٠١٠ـ٢٠١١م) . الجزء الثاني، ص١٣٣ ـ ٢٥٠ .

(٣) علي حافظ، أربعة أيام في منطقة الباحة، ص٢٣ ـ ٣١ .

(٤) المرجع نفسه، ص٣٢ ـ ٣٨ .

(٥) المرجع نفسه، ص٣٩ ـ ٤٥ .

(٦) المرجع نفسه ٦٩ ـ ٧٥ .

(٧) المرجع نفسه، ص٧٨ ـ ٨٢ .

(٨) المرجع نفسه، ص٥٧ ـ ٦٨ .

(٩) المرجع نفسه .

حد ما في التاريخ الثاني (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). ونجد السيد علي حافظ يؤكد ذلك منوهاً بالمقالة التي نشرها شقيقه في جمادى الأولى سنة (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) فيقول: " .. قف على مشارف منطقة الباحة وانظر إليها من خلال سنة (١٣٦٣هـ) ترى بلداً بدائياً[١]. ولكن يد الدولة امتدت إليه فانتفضت انتفاضة عارمة. وقد بدأت الانتفاضة من سنة (١٣٦٧هـ) عندما افتتح الطريق من الطائف للباحة المواطن الباحوي العملاق سعد بن شيبان الغامدي[٢]، بدعم وتأييد الدولة، وانطلقت المنطقة بعد هذه الانتفاضة تركض في طريق التطور والنمو والتحضر حتى صارت تقف في صف مثيلاتها من مناطق بلادنا المتطورة المتحضرة. اقرأ عن تطور منطقة الباحة ونموها في هذا الكتاب[٣]، وقارن بين باحة اليوم سنة (١٤٠٥هـ) وباحة الأمس في سنة (١٣٦٣هـ) [٤].

٢٠ - مسفر مرزح الغامدي (ق١٤-١٥هـ/٢٠/٢١م):

لا نعرف تفصيلات كثيرة عن هذا الرحالة، وإنما عرفنا من بعض مدوناته أنه من قرية العبادل، وهي فخذ من بطون بني كبير الغامدية. عاش فيها بداية حياته ثم انتقل إلى بلدة بيشة فمكث بها تسع سنوات، ثم انتقل إلى مدينتي أبها وخميس مشيط وما حولها لعدة سنوات. كما تجول في بلاد نجران وظهران الجنوب وسراة عبيدة وبلاد شهران وبلاد الحجر، وبلاد غامد وزهران، ودون كتابه الموسوم بـ: جولة في ربوع المملكة[٥]، وكان الأفضل أن يكون سماه جولة في ربوع جنوب المملكة العربية السعودية، لأن الحديث الوارد بهذا الكتاب اقتصر على البلاد الممتدة من غامد وزهران شمالاً إلى قحطان ونجران جنوباً[٦]

---

(١) مدونة السيد عثمان حافظ التي دونها عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م) أشارت إلى أن منطقة الباحة لا تمشي بها السيارات ولا توجد إطلاقاً، ولا يوجد بها كهرباء، ولا تصل إليها المياه في الأنابيب، وبيوتها من الحجارة المرصوصة ولا تزيد عن دورين وسقوفها مغطاة بالقش والأخشاب، ولا تطلى بيوتها بالطلاء الأبيض، وتوجد بها بعض الأسواق الأسبوعية التي يُباع بها كل ما يحتاجه الناس، ولا يوجد بها أسواق تجارية يومية. للمزيد انظر: علي حافظ، أربعة أيام في منطقة الباحة، ص ١٠٥-١١٣.

(٢) سعد بن شيبان الغامدي يستحق الذكر الحسن، حبذا أن نرى عنه دراسة علمية تاريخية توضح جهوده في منطقته وما قدم لها من أعمال مثل افتتاحه الطريق الترابي بين الطائف ومكة عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م).

(٣) نلحظ في كتاب علي حافظ أن منطقة الباحة تطورت بشكل لا بأس به عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). وهذا ما لمسناه في هذا الكتاب وفي مصادر ومراجع أخرى وبخاصة إذا قارنا تلك الحقبة بالعقود الوسطى من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي). أما إذا قارنا بلاد غامد وزهران اليوم بما رآه السيد علي حافظ، فالوضع يختلف كثيراً، بل ليس هناك نسبة للمقارنة. فمنطقة الباحة صارت اليوم من المناطق الهامة والحضارية في عمرانها، ونموها، وتعليمها وسياحتها. ونرى أن على جامعة الباحة مسؤولية كبيرة في إنشاء مراكز بحثية تقوم على دراسة المنطقة في الماضي والحاضر وتوضح ما مرت وتمر به من تدرج حضاري منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتن الحاضر. كما نأمل من أقسام علوم التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والإدارة والتخطيط في الجامعة أن تلتفت هي أيضاً إلى دراسة المنطقة تنموياً وحضارياً.

(٤) علي حافظ، أربعة أيام في منطقة الباحة، ص ١٠٥.

(٥) الكتاب لا يظهر عليه معلومات للنشر، ومكتوب على غلافه الأول عبارة (الجزء الأول).

(٦) المرجع نفسه، ص ٧ وما بعدها.

هذا الرحال الذي لم يذكر تاريخ تجواله في جنوبي البلاد السعودية، تنقل في سروات غامد وزهران[١] وأشار إلى بعض الصور الحضارية التي شاهدها فذكر بعض الملامح لحياة الغامديين، فكان منهم البدو الرحل والمتحضرون المستقرون، ومدينتا الباحة والظفير من أكبر المراكز الحضارية في الديار الزهرانية والغامدية[٢] . كما نوه ببعض العادات والتقاليد والصناعات التقليدية المتواجدة في البلاد الغامدية السروية[٣]. وذكر دور المرأة في هذه الأوطان فقال : "... تقوم النساء بصناعة العباءات الغامدية من صوف الأغنام والإبل و المفارش الصوفية لاستعمالها للمنازل، ودباغة الجلود، ويعملن كالرجال في زراعة الأرض، كما تنوب عنه في غيابه، في كل ما يتعلق بشؤون المزرعة والمنزل .."[٤] . ويواصل حديثه في ذكر بعض الأودية والجبال في ديار زهران وغامد[٥]، ثم يوجز الحديث عن التاريخ السياسي لهذه البلاد منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر، ومعلوماته في هذا الجانب مختصرة جداً ومنقولة من بعض المصادر والمراجع المختلفة[٦] .

الكتاب مع صغر حجمه[٧]، واختصار المادة الخاصة بالبلاد الزهرانية والغامدية لا يخلو من بعض الشذرات التاريخية الحضارية التي شاهدها ودونها صاحب هذا المؤلف. وكنا نتمنى أن يسهب في حديثه عن حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية . أما الجانب التعليمي والثقافي والفكري فذكره بشكل سريع وعابر. وكان جل حديثه عن سراة البلاد، أما بواديها وأجزائها التهامية فلم يكن لها نصيب يذكر عنده[٨].

ثالثاً : وقفة تأمل وتحليل للرحالة ومدوناتهم :

١ـ تنوع ثقافاتهم :

الناظر في تراجم هؤلاء الرحالين ونتاجهم العلمي والثقافي يتضح له عدة أمور نوجزها في النقاط التالية :

أ ـ اختلاف أزمانهم وبيئاتهم جعلهم مختلفين متفاوتين في ثقافاتهم . فالكتاب والمؤلفون الأوائل مثل: الهمداني، والمقدسي، وناصر خسرو، وابن جبير، وابن

---

(١) من خلال مقارنة مادة هذا الكتاب مع المادة المدونة عند البلادي وعلي حافظ نجدها متقاربة في محتوياته، وهذا مما يؤكد أن هذا الرحال (الغامدي) تجول في أنحاء المنطقة ودون بعض مشاهدات في بدايات القرن (١٥هـ/٢٠/٢١م) .

(٢) مسفر الغامدي، جولة في ربوع المملكة، ص١٨ .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٤) المرجع نفسه، ص ١٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٠ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٢١ ـ ٣٠ .

(٧) جميع صفحات الكتاب تقع فقط في (١٠٥) صفحة من القطع دون المتوسط . والصفحات التي تخص منطقة الباحة فقط (٢٣) صفحة.

(٨) انظر : مسفر الغامدي، جولة في ربوع المملكة، ص ٨ وما بعدها .

المجاور، والعُمري، وابن بطوطة موسوعيون في معارفهم وعلومهم. فهم جميعاً أو معظمهم لديهم علم واسع باللغة العربية وعلومها، وكذلك العلوم الشرعية والعقائدية فهم ملمون بالكثير منها . وقد يكون بعضهم شاعراً، وله أيضاً خبرة ودراية بعلوم الحيوان والأفلاك والنجوم، والنباتات، والمياه، والجغرافيا، والأنساب وغيرها . والمتأمل في كتبهم التي وصلتنا، ومنها كتب الجغرافيا والرحلات يجد ذلك ملموساً وأحياناً واضحاً جلياً في أقوالهم وشروحاتهم .

ب - التاريخ الحضاري والثقافي للمسلمين من القرن (٣-٨هـ/ ٩-١٤م) كان عصراً ذهبياً للإبداع العلمي والفكري، وهؤلاء السبعة الرحالون السابق ذكرهم عاشوا خلال ذلك الزمن، ومن ثم فهم جزء من عصرهم الذي جعلهم من أصحاب الإبداع والثقافات والعلوم الواسعة والمتنوعة .

ج - النظر في البيئات التي جاءوا منها تجدهم من جميع أرجاء العالم الإسلامي، آنذاك، من الأندلس والمغرب، إلى الشام ومصر، إلى جزيرة العرب وغيرها . بل تجدهم أيضاً تنقلوا في بلدان عديدة، ودونوا مدونات كثيرة عن مشاهداتهم ورحلاتهم . وهذا مما جعلهم ذوي ثقافات متنوعة، وذوي تجارب وخبرات عديدة .

د - الرحالون الذين ظهروا بعد القرن (١٢-١٥هـ/ ١٨-٢١م) أيضاً متفاوتون في ثقافاتهم، لكنهم لا يرقون في سعة معارفهم إلى الرحالين الأوائل. وبعضهم لغاتهم الرئيسية غير العربية، وعند مجيئهم إلى بلاد العرب تعلموا العربية . أما بيئاتهم فالسواد الأعظم منهم من أبناء الجزيرة العربية، أو عاشوا ردحاً من الزمن فيها . والأوربيون مثل: تاميزيه، وكورنواليس، وبدول، وثسيجر قدموا إلى بلاد العرب لأهداف سياسية واستخباراتية، وأحياناً عسكرية أو عليمة، بالإضافة إلى تدوين رحلاتهم ومشاهداتهم .

هـ - ثقافات العصر الحديث والمعاصر (ق١٢-١٥هـ/١٨-٢١م) هشة في دراسة العلوم الشرعية واللغوية والآداب والجغرافيا والرحلات والتاريخ مقارنة بالعصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . وخروج بعض الرحالين والمؤلفين الجيدين مثل: حمد الجاسر، والسلوك، والشريف، والبلادي، وعلي حافظ يعد مفخرة كبيرة وبخاصة عند انصراف الناس إلى ثقافات متنوعة سطحية. ومثل هؤلاء الرحالة المتأخرين يعدون من صفوة المجتمع تعليمياً وثقافياً وأدبياً وفكرياً . والدارس لتراثهم الأدبي يتأكد له صحة ما ذهبنا إليه .

و - كما أشرنا سابقاً، إلى التفاوت في ثقافات الرحالين المتقدمين والمتأخرين، وهذا أمر مسلم به، لكنهم في غالب الأمر كانوا على ثقافة جيدة وواسعة مقارنة بأهل عصرهم، أو مقارنة بمثقفي وعلماء عصرنا الحاضر.

ز . معظم الرحالين العشرين الوارد ذكرهم في هذه الدراسة قاموا برحلاتهم رغبة في طلـب العلـم والتدوين . نعم بعضـهم رحلوا بهدف الحج والعمـرة، وآخرون لأهداف سياسية أو سياحية أو تعليمية أو غيرها، ولكنهم جميعاً دونوا مذكراتهم ومشـاهداتهم مـن باب الرغبة وإفـادة الآخرين . وما وصـلنا عن طريقهم يعد إضـافة معرفيـة وفكرية وثقافية. ولو لم يكونوا على مسـتوى جيـد من الإدراك والثقافة والمعرفة لما فعلوا ذلك .

ح . هـؤلاء الرحالة يذكرون بعض اللمحات أو التفصـيلات عـن منطقة معزولة في بلاد السراة مثل: أوطان غامد وزهران وما جاورها من السروات، بل إن بعضهم زارها ودون مشاهداته عنها . وهذا يؤكد على أنهم أصحاب فكر وثقافة ودراية بالعلم وإفادة الآخرين .

ط . شـمولية ثقافة بعضهم وبخاصـة فيما دون عن منطقة الباحة . وحمد الجاسر، والسلوك، والشريف من ذوي الثقافات الواسعة فيما يخص بلاد غامد وزهران . فقد زودونا بمعلومات وتفصيلات واسعة ومتنوعة قل أن نجدها عند غيرهم .

٢. المصادر والمنهج المستخدم في جمع مادة المدونات :

هناك مصادر ومناهج عديدة استخدمها هؤلاء الرحالين، ومن أهمها ما يلي :

أ . الرحلـة والمشـاهدة والانطباعات من أهم المصـادر التي قام بهـا معظم هؤلاء الرحالـين، فمنهم مـن زار منطقة الباحة وكتب مشـاهدات في جوانب تاريخية وحضارية متنوعة.

ب . الروايات والمقابلات كانت مصـاحبة أيضاً للرحلة والتجوال . فهناك من تجول في بعضـ أجزاء من بلاد زهـران وغامد، وقابل بعض أعيانها أو سـكانها ونقل منهـم بعض الأخبار والروايـات. وفريق آخر لم يروا بـلاد الباحة لكنهم التقوا ببعض سـكانها السرويين في مكة المكرمة أو الطائف وسمعوا منهم ونقلوا عنهم وعن بلادهم أخباراً متنوعة، ثم ذكروا بعض الأوصاف الخِلقية والخُلقية لأولئك الذين شاهدوهم في أرض الحرمين .

ج . هنـاك بعض المؤلفين الذين لم يـزوروا منطقة الباحة، ولم يلتقـوا بأحد منها، لكنهـم نقلوا بعض التفصـيلات من بعض المدونات وكتـب الرحلات . والعُمري وبدول نموذجان من هذا الصنف من الكتاب والمؤلفين .

د . تنوع المادة المدونة في كتب الرحالين، فالبعض منهم ركز على الأوضاع الجغرافية والسياسية مثل تاميزيه وكورنواليس، وهنـاك من اقتصر فقط على ذكر شذرات سـمعها أو شـاهدها أو نقلها من مصدر أو مصـادر محددة. وفريق ثالث مثل: السلوك، والجاسر توسـعا في كتابة مدوناتهما عن البلاد الزهرانية والغامدية.

مع أن معظم شروحاتهما مستقاة من المشاهدات والتجربة بالإضافة إلى السؤال والمقابلة والرواية الشفهية[١] .

٣ـ دراسة مقارنة وتحليل لمدونات الرحالين :

أ ـ من دراسة الرحالة العشرين، لمسنا أن بعضهم كان موسوعياً شمولياً في مدوناته عن بلاد غامد وزهران . ويأتي على رأس القائمة الأستاذان حمد الجاسر، وعلي السلوك الزهراني . فالأول : هو بحق رجل موسوعي في دراسة تاريخ وتراث وفكر وحضارة الجزيرة العربية من العصور القديمة إلى وقتنا الحاضر[٢] .وقد أفرد لنا ذلك بدراستين متفاوتتين في الحجم عن بلاد غامد وزهران[٣] . دون لنا فيهما تفصيلات كثيرة عن جغرافية منطقة الباحة، ومشاهداته لكثير من المعالم الحضارية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية التي رآها في المنطقة الزهرانية والغامدية في التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م). والثاني : هو علي السلوك، ابن منطقة الباحة، وصاحب الريادة في مدوناته عن بلاد غامد وزهران في العصر الحديث والمعاصر. وكما ذكرنا سابقاً، فهذا الرجل الزهراني وهب نفسه لخدمة دينه وبلاده فأخرج دراسات عديدة عن المنطقة الباحوية . ومن تلك الدراسات ما هو في باب الجغرافيا وتقويم البلدان، ومنها ما يختص بالتاريخ الحضاري الاجتماعي والثقافي وأحياناً السياسي والأدبي . وجل ما جمعه ودونه ونشره مرتكزاً على التجارب والخبرات، ثم الانطباعات والمشاهدات، وكذلك الروايات والمقابلات[٤] .

ب ـ بعد السلوك والجاسر نجد الرحالون الآخرون يسردون تفصيلات متنوعة ومتفاوتة. ففي ميدان الجغرافيا نرى الهمداني يورد لمحات جغرافية مختصرة عن سروات غامد وزهران. وخسرو ينوه بوجود جبال ومضائق حصينة في أرض السروات، ويذكر أنها شديدة البرودة وبخاصة في فصل الشتاء . أما الموسوي فيشير إلى بعض

---

(١) إن جمع كل ما كتب في مصادر التراث الإسلامي المبكر والوسيط عن بلاد غامد وزهران جدير بالجمع والدراسة والاهتمام . وهناك مؤلفات تراثية، غير كتب الرحلات، مليئة بشذرات متفرقة وتحتاج إلى من يجمعها ويدرسها ويوثقها . والأمل في الباحثين والمؤرخين الغامدين والزهرانيين فيقوموا بمثل هذا العمل العلمي الجيد . وإن فعل بعضهم ذلك فسوف يضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية إضافة علمية ثقافية قيمة .

(٢) الناظر في مؤلفات الشيخ حمد الجاسر، وفي مجلته الرائدة، مجلة العرب، يدرك فعلاً أنه أمام عالم جهبذ استطاع أن يخلف لنا كماً هائلا من التراث الحضاري والفكري عن بلاد العرب وبخاصة الجزيرة العربية، فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته .

(٣) الدراسة الأولى خرجت في كتابه : في سراة غامد وزهران . والثانية : في محاضرة قدمها في الباحة عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) بعنوان : لمحات وانطباعات عن مشاهداتي في السروات . للمزيد انظر : تفصيلات عن حمد الجاسر في صفحات سابقة من هذا القسم .

(٤) نقول إن ما حفظ لنا الأستاذ السلوك يستحق الإشادة والبحث والتحليل والدراسة . وهذه مسؤوليات الباحثين والمؤرخين المنصفين من أبناء منطقة الباحة، فالواجب عليهم دراسة آثار هذا الباحث وذكر مآثره الحسنة التي أسداها لأبناء بلده ومنطقته .

المعالم الجغرافية في الأجزاء الغربية من الديار الزهرانية والغامدية، بالإضافة إلى كثرة الحيات والثعابين والزواحف في تلك النواحي . وتاميزيه يذكر الأجزاء الشرقية لبلاد غامد، وبخاصة وادي العقيق ويشير إلى تنوع تضاريسه وتبدل مناخه ما بين الليل والنهار . ومحمد عمر رفيع نقلاً عن بعض التقارير العلمية يذكر كثرة الأشجار والنباتات البرية في منطقة غامد وزهران[١] .

ج - وعن التركيبة البشرية والسكانية، نجد الهمداني، وناصر خسرو، وابن المجاور، وابن فضل العُمري يذكرون تعدد البطون والعشائر في بلاد السراة، ثم إن الشيوخ والأعيان هم أصحاب الحل والعقد في قبائلهم وعشائرهم . كما وجد العبيد والموالي الذين كانوا يعملون في الأعمال الشاقة والوضيعة عند عشائرهم وسادتهم . ويأتي كورنواليس وبدول فيذكران معلومات قيمة عن البطون والعشائر الحضرية والبدوية الغامدية والزهرانية، ويشيران إلى بعض الأعيان والشيوخ في تلك القبائل، وأحياناً ذكرا أعداد دقيقة ومحددة لسكان بعض العشائر في المنطقة[٢] .

د - وفي الحياة السياسية والإدارية والحربية : نرى العُمري وابن المجاور وخسرو يذكرون أن القرار السياسي في سروات غامد وزهران كان عند شيوخ وأعيان القبائل. وأورد بدول وكورنواليس أمثلة لبعض شيوخ زهران وغامد الذين يحكمون بلادهم، حاضرة وبادية، فكانوا على صلات سياسية وإدارية وحربية مع بعض القوى القائمة في الحجاز أو عسير أو جازان . بل نجد هناك الكثير من الوثائق الحديثة التي تؤكد على التقارب وأحياناً التباعد بين أولئك الشيوخ وتلك الإمارات أو الحكومات السياسية مثل: آل عائض في عسير، والأشراف في الحجاز، والإدريسي في جازان[٣] .

أما المركز الإداري لبلاد غامد وزهران في العصر الإسلامي المبكر والوسيط، فلا نجد هؤلاء الرحالين يذكرون لنا شيئاً في هذا الباب[٤] . وفي العصر الحديث

---

(١) بلاد السراة بشكل عام مليئة بالأشجار والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها وفوائدها العامة والخاصة . وجامعات جنوبي البلاد السعودية عليها مسؤولية كبيرة في دراسة أزهار وأشجار ونباتات بلاد تهامة والسراة الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً .

(٢) بلاد الباحة مأهولة بالسكان، والعشائر والبطون المتعددة والمتفرقة . وذكر بعض الإحصائيات عند بعض الرحالة الوارد ذكرهم في هذه الدراسة غير دقيقة، لأنهم لم يعتمدوا في جمع مادتهم على مصادر واضحة وموثوقة، وإنما كانوا يجمعون معلوماتهم من عامة الناس، وربما من بعض الأعيان والشيوخ الذين يغلب عليهم الهوى أو الرغبة في إيراد معلومات تعود عليهم بفائدة أو مصلحة محددة .

(٣) للمزيد من التفصيلات انظر: المصادر والمراجع التي ناقشت التاريخ السياسي لتلك القوى والحكومات في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(٤) عندما نعود إلى مصادر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط . نجد أن ناحيتي جرش حول مدينة أبها، وتبالة قريباً من بيشة وبلاد غامد كانتا من الحواضر الرئيسية في بلاد السراة . وربما أن تبالة كانت هي المركز الرئيس الذي يدير دفة البلاد من النماص وبيشة إلى بلجرشي والباحة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، الجزءان الأول والثاني .

والمعاصر يذكرون أن بلاد رغدان والظفير وبلجرشي ثم الباحة كانت هي المراكز الإدارية لحكم منطقة الباحة[١] . ونجد الجاسر والبلادي وعلي حافظ يذكرون بعض المؤسسات الإدارية في منطقة الباحة أثناء زيارتهم لها في أواخر القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن[٢] .

هـ. وفي الحياة الاجتماعية نلحظ خسرو، والهمداني، وابن المجاور، وابن فضل الله العُمري، والموسوي، وكورنواليس، وبدول، والبلادي يؤكدون على أن تركيبة البلاد الزهرانية والغامدية قبلية عشائرية، بالإضافة إلى كثرة القرى المتناثرة في أنحاء البلاد التهامية والسروية. ويذكر بدول وكورنواليس أسماء بعض القرى والبطون مع إيراد أسماء شيوخها أو نوابها . ويشير ابن المجاور وخسرو إلى كثرة الحصون في المرتفعات السروية، ويصف تاميزيه بعض القرى والحصون والمنازل التي شاهدها في وادي العقيق، وكيف كانت بسيطة ومتواضعة . والبلادي وعلي حافظ وأخوه السيد عثمان حافظ من قبله يذكرون أن المنازل المبنية من البلك والأسمنت دخلت بلاد زهران في العقود المتأخرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومنذ أوائل القرن (١٥هـ/٢١م) نجد أن العمران تطور في عموم منطقة الباحة[٣] .

أما الألبسة والزينة فليس لها ذكر كبير في مدونات هؤلاء الرحالين، اللهم إلا إشارات بسيطة ذكرها ابن جبير وابن بطوطة عندما وصفا أهل السراة الذين يرتادون بلاد الحرمين، فذكرا أنهم كانوا يشترون الخرق والعباءات والشمل والأقنعة والملاحف من مكة ويعودون بها إلى بلادهم (٤) . وقد وصف ابن جبير ملبسهم فقال: " ... ولا ملبس لهم سوى أزر وسخة، أو جلود يستترون بها ... " (٥). أما الأطعمة فذكر بعضهم معلومات قيمة في هذا الباب، فابن جبير، وابن بطوطة، وابن المجاور، والعُمري، ومحمد رفيع، وثسيجر أكدوا على وفرة الحبوب والفواكه في سروات غامد وزهران وما جاورها، وأشاروا إلى أن تلك السلع كانت فائضة عن حاجة الناس فيصدرون الكثير منها إلى أسواق الحجاز . والأمر الذي لاشك فيه أن الأراضي الزهرانية والغامدية زراعية، وتتوفر بها المياه والأيدي العاملة التي تقوم

---

(١) نأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين أو واحداً من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية فيدرس التاريخ الإداري لمنطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).

(٢) المرجع نفسه .

(٣) تاريخ التنمية في منطقة الباحة جدير بالبحث والدراسة منذ ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى يومنا الحاضر . وهذه مسؤولية جامعة الباحة فتنشئ مراكز بحوث ودراسات تقوم على دراسة مثل هذه الجوانب التاريخية الحضارية .

(٤) ابن جبير، ص١١٠ ـ ١١١، ابن بطوطة، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٥) ابن جبير، ص ١١٢ .

على زراعة الأرض وخدمتها. وكانت هذه البلاد إلى عهد قريب مصدراً رئيساً للحبوب والفواكه التي تصدر إلى الحجاز وغيرها من المناطق المجاورة . أما اليوم فالزهرانيون والغامديون تخلوا عن ممارسة الزراعة وأصبحوا يعملون في أعمال ووظائف حكومية أخرى تجلب لهم المكاسب المالية الكثيرة والسريعة مقارنة بأعمال الزراعة(١) .

ومن صفات سروات غامد وزهران ما أشار إليه ابن جبير، وابن بطوطة، والعُمرى، وتاميزيه فهم أهل شجاعة وكرم، وأصحاب عقائد خالصة صافية، ومما ذكر عنهم ابن بطوطة عندما شاهد بعضهم في مكة المكرمة، قوله : " ... بلاد السرو التي يسكنها ... زهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة، كثيرة الأعشاب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء بالألسن، لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب وتدمع العيون الجامدة، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمنين على أدعيتهم، ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك . وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم ... " (٢) .

و - وعن الحياة الاقتصادية يشير ناصر خسرو إلى أن أهل السراة كانوا أصحاب إبل وماشية . ويؤكد معظم الرحالة من ابن جبير، وابن المجاور، والعُمري، والجاسر، والسلوك، وابن حافظ، ومسفر الغامدي إلى أن بلاد زهران وغامد أراض زراعية يزرع بها صنوف الحبوب والفواكه والمزروعات . أما الصناعات والحرف اليدًوية مثل: النجارة، والدباغة، والخرازة، والنسيج والخياطة، والحدادة والصياغة، والصناعات الفخارية وغيرها فكانت تتواجد بكثرة في أرض غامد وزهران، والقائمون عليها من أهل البلاد، وربما جلبوا بعض العبيد لممارسة بعض هذه المهن .

أما التجارة فكانت هي المهنة الرائجة عند كثير من الغامديين والزهرانيين . فالمقدسي، وابن جبير، وابن المجاور، وابن بطوطة، وابن رفيع، وشيجر، والبلادي، وابن حافظ، ومسفر الغامدي يشيرون إلى النشاط التجاري الجيد الذي كان بين سروات زهران وغامد وبين أسواق الطائف ومكة المكرمة . وابن جبير يصف تلك الصلات التجارية فيقول: " .. إنهم - أي سروات زهران وغامد وما جاورهم - يجمعون بين النية والعمرة وميرة البلد بضروب الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء

---

(١) هذه العادات أصبحت تقريباً سائدة في أنحاء البلاد السعودية وبخاصة جنوبيها، فالناس تركوا أعمال الصيد والرعي والزراعة وأصبحوا يمارسون التجارة والأعمال الوظيفية الحكومية التي تجلب لهم الراحة والفائدة المادية . هذا ما لمسه الباحث وشاهده خلال الأربعين عاماً الماضية .

(٢) ابن بطوطة، ص ١٨٠ - ١٨١ .

وإلى ما دونها . ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم من الطعام والإدام والفاكهة . ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر فيرغدون معايش أهل البلد... "[١] . ويقول أيضاً : "... ومن العجيب في أمر هؤلاء (السرو) المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرنا بدينار ولا درهم، إنما يبيعونها بالخرق والعباءات والشمل... "[٢] .

ونجد كورنواليس وبدول يذكران بعض الطرق التجارية التي تربط الباحة مع غيرها. ومن تلك الطرقات طريق أبها الطائف، وذكر كورنواليس بعض المحطات الموجودة على تلك الطريق وما يوجد بها من سلع وتجارات . كما يوجد في منطقة الباحة أسواق عديدة، ومن أهمها : أسواق الظفير، ورغدان، وبلجرشي، والباحة، والعقيق وغيرها.

لم يتعرض الرحالون إلى العملات التي كانت موجودة في بلاد زهران وغامد، مع أن المقدسي أشار إلى العملات والمكاييل والأوزان التي كانت موجودة في أسواق الحجاز، ومن المؤكد أن الغامديين والزهرانيين قد عرفوها وتعاملوا بها . أما الأسعار فلا نجد لها ذكراً عند المتقدمين والمتأخرين منهم، مع أن بعض الرحالين المحدثين مثل: البلادي، وعلي حافظ، والجاسر، ومسفر الغامدي أشاروا إلى وجود الأسواق اليومية التي تخدم الناس على مدار النهار والساعات الأولى من الليل .

ز. أما الحياة الثقافية والتعليمية والفكرية فلا نجد الرحالين الأوائل يشيرون إلى أوضاع الغامديين والزهرانيين في هذا الميدان، اللهم إلا أن الهمداني، وابن جبير، والعُمري، وابن بطوطة أشاروا إلى فصاحة تلك البلاد . وذكروا صفاء عقائدهم الدينية، لكننا لا نعلم أي شيء عن علمائهم ومدارسهم وثقافاتهم وبخاصة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومن المؤكد أنه كان عندهم بعض المعلمين والمتعلمين والعارفين بعلوم الشريعة وصلاتهم بأهل الحجاز تجارياً وفي أوقات الحج والعمرة كفيلة بأن تجعلهم يؤثرون ويتأثرون بالحياة العلمية في أرض الحجاز[٣] .

أما الرحالة المتأخرون من الجاسر والسلوك إلى مسفر الغامدي فقد ذكروا مشاهداتهم لبعض المدارس الموجودة في المناطق الزهرانية والغامدية. كما أشاروا إلى العديد من المؤسسات الإدارية الموجودة في المنطقة، والتي كان يعمل بها العديد من الموظفين المتعلمين، وبعضهم من أهالي زهران وغامد، وآخرون وفدوا إليها من مواطن أخرى[٤] .

---

(١) ابن جبير، ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١ .

(٣) حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين يقوم بدراسة الصلات الثقافية والحضارية بين بلاد السراة والحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومن يفعل ذلك فإنه سوف يضيف للمكتبة العربية عملاً علمياً مفيداً وقيماً .

(٤) دراسة الحياة الثقافية والفكرية والتعليمية في منطقة الباحة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر

رابعاً : الخلاصة مع بعض النتائج :

إن الرحالين المذكورين في هذا المبحث اختلفت أزمانهم، وثقافاتهم، وأهدافهم . فمنهم الذين جابوا أجزاء من جزيرة العرب، وذكروا سروات غامد وزهران في طيات حديثهم مع أنهم لم يروا أو يزوروا هذه المنطقة، ومن أولئك المقدسي، وخسرو، وابن جبير، وابن المجاور، والعُمري، وابن بطوطة، ومحمد رفيع، وقد جمعوا ما تم تدوينه من بعض الرواة السرويين، وأحياناً بالنقل من بعض الكتب والمدونات الأخرى . وفريق آخر من الرحالة زار منطقة الباحة، وكتب عن بعض معالمها الجغرافية والتاريخية والحضارية، وهذا النوع من الرحالين تفاوتوا فيما ذكروه عن هذه البلاد، وفي الأوقات التي قضوها فيها، والنواحي والبلدات التي تحدثوا عنها .

والمتأمل في أهداف كل رحالة ذكر منطقة الباحة (غامد وزهران) نجد معظمهم أشاروا إليها من باب الرغبة في التدوين وحفظ بعض الثقافات والمعارف عن منطقة نائية مثل أرض السراة الواقعة بين الطائف وجازان ونجران . لكن هناك أيضاً من كان له أهداف سياسية واستخباراتية مثل: كورنواليس الذي زار مناطق عسير وما جاورها في أوائل القرن الهجري الماضي من أجل جمع وتدوين بعض الحقائق العلمية عن هذه البلاد. وذلك بدافع تقديمها إلى رجال السياسة والاستخبارات البريطانيين . ومع أنه قد أرسل من سادته الإنجليز لتحقيق هدف سياسي معلوماتي محدد، إلا أننا نحن معاشر الباحثين استفدنا منه مادة علمية جيدة عن هذه البلدان الجنوبية، والتي يصعب علينا أن نجدها في مصدر أو مرجع آخر. وما وصلنا من معلومات عن طريق جميع الرحالين المذكورين في هذا الكتاب يعد مكسباً علمياً جيداً، وقد يفتح آفاقاً أوسع فتصدر دراسات علمية أكاديمية جادة ومطولة، ومن ثم فلنا بعض التوصيات التي نسردها في النقاط التالية :

١. كتب الرحلات من المصادر الهامة والرئيسية التي تفيد المؤرخ في كتبه وأبحاثه ورسائله العلمية، وبالتالي فلا غنى للباحث من الرجوع إليها والاستفادة منها .

٢. ما أوردنا في هذا القسم يختص ببلاد لم تنل حقها من البحث والدراسات العلمية والتاريخية، وكثير من الرحالين الذين جاء ذكرهم معنا لم يقدموا لنا صورة واضحة عن تاريخ وحضارة هذه المنطقة . مع أن بلاد غامد وزهران عندها من المؤهلات الحضارية ما يجعلها ذات تاريخ حضاري مجيد . وفي المحاور التالية نشير إلى بعض العناوين الجديرة بالبحث والدراسة في ميدان الرحلة والرحالين

موضوع جدير بالاهتمام ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي، أو رسالة علمية لدرجة ماجستير أو دكتوراه . نأمل أن نرى أحد الباحثين في منطقة الباحة فيتناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل والدراسة .

وبخاصة ما يتعلق منها بسراة وتهامة غامد وزهران، ونذكر منها ما يلي :

أ- الباحة (بلاد غامد وزهران) كما وردت في كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط .

ب- بلاد غامد وزهران كما رآها الرحالة المسلمين وغير المسلمين في العصر الحديث والمعاصر.

ج- دراسة التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة الباحة من خلال كتب الرحلات قديماً وحديثاً .

د- بلاد غامد وزهران في مؤلفات حمد الجاسر (دراسة تاريخية تحليلية) .

هـ -منطقة الباحة (بلاد غامد وزهران) في مؤلفات علي صالح السلوك الزهراني (دراسة تاريخية تحليلية) .

و- سراة وتهامة غامد وزهران في روايات وأقوال المعلمين والموظفين بمنطقة الباحة (١٣٥٠- ١٤٠٠هـ / ١٩٣٠- ١٩٨٠م) (دراسة تاريخية تحليلية).

ز- منطقة الباحة في عيون أعيان وأعلام وشيوخ غامد وزهران خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) .

الدراســـة السادســـة

لمحات من تاريخ تهامة والسراة
(منطقة الباحة أنموذجاً)

بقلم :أ. علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ونجران)، ط١
(١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م) - (الجزء العاشر)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ١٢١ - ١٧٨

الدراسة السادسة: لمحات من تاريخ تهامة والسراة (منطقة الباحة أنموذجاً) بقلم الأستاذ علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني[1].

١. مدخل:

وصلني يوم الأربعاء (١٩/٣/١٤٣٧هـ) دراسة من الأستاذ علي بن محمد بن سدران الزهراني بعنوان: جواهر أبي المثنى[2]، وذلك من أجل نشرها في سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (المجلد العاشر)، وبعد قراءتها وجدت صفحاتها الأولى تدور حول الأستاذين محمد بن معبِّر وغيثان بن جريس، ثم انتقل كاتب الدراسة إلى إيراد بعض التصويبات على صفحات من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثامن)، وعلى المجلد الخاص بمنطقة الباحة في موسوعة المملكة العربية السعودية التي أصدرتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ثم واصل الأستاذ بن سدران مدونته فتحدث عن الحلف والأحلاف في الجزيرة العربية وبخاصة في الحجاز قبيل وأثناء ظهور الإسلام، ثم ركز جل حديثه على الأحلاف في منطقة الباحة، ونالت الأحلاف في بلاد زهران النصيب الأكبر من صفحات الدراسة، ولهذا غيرت عنوان الدراسة إلى: لمحات من تاريخ تهامة

---

(١) الأستاذ علي بن سدران الزهراني من أعلام منطقة الباحة، ومن الباحثين الجادين المدققين، له العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة. للمزيد عن ترجمته، انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الأجزاء، الخامس، ص ٢٦٩. والسابع، ص ١٨٩-٢٥٣. والثامن، ص ١٥٩-٢١٠. (ابن جريس).

(٢) يقصد بأبي المثنى، أي غيثان بن علي بن جريس (ابن جريس).

والسـراة (منطقة الباحة أنموذجاً) ، ثم قمنا بإدراج هذه الدراسـة لهذا العلم الزهراني المتمكن، فكانت على النحو التالي: " الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصـلاة والسلام على أشرف العرب والعجم سـيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصـحبه ومن والاه، أما بعد : فلقد وصـلتني من الأستاذ القدير الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشـهري، مؤرخ تهامة والسـراة، كما أطلق عليه الأسـتاذ الباحث محمد بن أحمد معـبِّر، بتاريـخ (١٧/ ٧/ ١٤٣٦ هـ) . مجموعة كتب من نفائسـه التي يتحف بها قراءه بين حـين وآخر، منها كتابه "القول المكتوب في تاريخ الجنـوب" الجزء الثامن، وتلك المنظومة الأدبية الفريدة المسماة : "وثائق غيثان بن جريس الخاصة" ذات المعلومات الشاملة لفنون الأدب، التي قام بتنسيقها وإخراجها في قالب علمي فريد الأستاذ : محمد بن أحمد معبِّر، وفي الحقيقة فإن هذا الجهد المبذول من قبل الأستاذ ابن معبِّر، في إخراجها لا يقل أهمية أدبية عما حوته تلك المنظومة الفريدة من معلومات ذات قيمة أدبية مميزة، سـيما إذا ما سـمح سعادة الأسـتاذ الدكتور غيثان بن جريس، وأجاز للباحثين وطلاب الدراسات العليا - عن طيب نفس- الاقتباس منها دون الرجوع إليه. فلهما من القراء والباحثين عن المعرفة الدعاء بحسن المثوبة والجزاء على ما قدماه [١].

أمّا تلك البادرة الحسنة من الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، تجاه الأستاذ الباحث محمـد بن معبِّر، والتـي تتلخص في تكريمه لقاء جهوده الأدبية وإسـهاماته الفكرية، فهي بحق فكرة رائدة ورائعة من أسـتاذنا العزيـز الدكتور أبي المثنّى، لرمز من رموز الأدب في مملكتنا الحبيبة وليست بمستغربة من دكتورنا القدير، وكما قال القائل الشعبي : "الدكتور يَقدر ومعبِّر يسـتاهل" ، ولا يعرف الفضـل لذوي الفضل إلاّ أهل الفضل، ولكثرة ما حدثني الدَكتور ابن جريس عنه عبر الهاتف أحببت - والله - أن أجالسه وأقتبس من علمه[٢] .

سعادة الأستاذ القدير الدكتور غيثان، لعلنا نلتقي قريبًا إن شاء الله وأناقشك مناقشة أدبية "أخوية" - وإن كنتُ الأكبر منك سـنًّا - مع بعض العتاب، في تلك الأقوال "الحادّة" التي عَلّقت بها على مقالي المنشـور في كتَابكم : "القول المكتوب في تاريخ الجنوب" (الجزء الثامن) ، ولم تكن في الواقع بالمنصـف العدل[٣] ، وكأنك لم تكن من أصـحاب الاختصاص

---

(١) جزاك الله كل خير يا ابن سـدران، فلم نعرفك إلا جاداً صـادقاً، وأنت والله أهل للتقدير والاحترام، فلقد خدمت تاريخ وحضـارة بلادك في جوانب عديدة، وأرجو الاسـتمرارية في دراسـة أهلك وموطنك، واعلم أننا تعلمنا منك الشيء الكثير، فزادك الله من فضله وكرمه وجوده (ابن جريس).

(٢) الأسـتاذ ابن معبَّر من الأعلام المتوارين، فهو لا يسـعى إلى البريق الإعلامي، ولا الانخراط في الاجتماعات العامة التي لا تفيد في ميدان العلم والمعرفة، وإنما هو عاكف على كتبه وأبحاثه في مكتبته منذ عقود عديدة، ونسأل الله له التوفيق والهدى والرشاد في دينه ودنياه . (ابن جريس) .

(٣) لقد نشـرنا عدداً من الدراسـات للأستاذ القدير علي بن محمد بن سدران، وما قصد في هذه الإشارات، هو ما تم

في تاريخ المنطقة وأنساب قبائلها، فتميز بين الخطأ والصواب بميزاني العقل والنقل! وأراك ملت علَيّ ميلاً عظيمًا، وكم كنت أتمنى أن تدلي بقولك العلمي، أو رأيك الشخصي حول صِحة أو خطأ ما نشر في القولين، أو مصداقية البحثين سيما وإني علمت أنك اطلعت على بحث الأستاذ قبل طباعته [١]، فإما أن تقول كلمة حق وإما أن تقف على الحياد، لكنك أدخلت نفسك كطرف ثان يدعم الآخر، وكأنك لا تعلم عن أصل الموضوع شيئًا وإنْ كنتُ على يقين من معرفتك للموضوع باعترافك، وللعلم فقد جاءت تعليقاتك عليه على عكس تعليقاتك على "ملحوظات وتصويبات مختصرة على كتاب بالقرن تاريخ وحضارة "بدءًا من صفحة: (٢٥٢) فقد كنت هناك واضحًا غير منحاز، ورجل في مثل علمك ورجاحة عقلك، وتعاملك فكريًّا مع كثير من فئات البشر في مراحل عُمرية مُختلفة، يفرض احترامه على الآخرين، وقد تكون كلمتك في مثل هذا النقاش،هي الفيصل بغض النظر عن اختلاف وجهات النظر الخاصة،التي لا دخل لها بمسألة تاريخ وأنساب القبائل العربية[٢].على كل حال فقد تناسيت الموضوع ولم أعد أذكره لكنها كلمة عتاب لا بد منها، أوجهها لأخٍ عرفته من خلال بوابة الأدب والثقافة "[٣].

٢. تصويبات على صفحات من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثامن) وغيره.

وقبل عرض مشاركتي سأكتفي ببعض التصويبات على مقالكم "خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي" لترابط موضوعه وهي ملاحظات يسيرة [٤]. فأقول

نشره في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثامن، صفحة (١٥٩-٢١٠). (ابن جريس).

(١) يقصد الأستاذ بن سدران في تعليقاته المذكورة أعلاه، أي ما جرى من تعليقات على كتاب: العنوان في أنساب زهران، للأستاذ أحمد بن علي الزهراني، واعتقد أننا ناقشنا جميعاً الموضوع بشكل واسع، واقترحت على الأستاذ علي بن سدران أكثر من مرة، أن نتجاوز الإسهاب في موضوع هذا الكتاب، ونناقش موضوعات علمية جديدة في تاريخ وحضارة بلدان تهامة والسراة، وأرض غامد وزهران من المناطق التي ما زالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية عميقة في كثير من الجوانب (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ علي والله لقد اطلعت على كتاب الأستاذ أحمد الزهراني منذ كان مسودة، ومنذ أرسل لنا من قبل وزارتي الداخلية والإعلام، ولا أقول أنه خال من الأخطاء فالكمال لله عز وجل، ولكنه جهد مبارك، وقد ذكرت لك وللأخ أحمد أنه يجب علينا أن نتناقش في قضايانا العلمية نقاشاً علمياً هادئاً، من أجل الوصول إلى الحقيقة، كما أنه يجب ان يسود الاحترام والتقدير بين أرباب العلم والقلم مثلكما. وأكرر رجائي لك يا أبا محمد أن نعمل وندرس موضوعات أخرى جديدة في مادتها وميادينها العلمية، ولك جزيل الشكر (ابن جريس).

(٣) وأقول يا أستاذ علي إنك رجل عزيز وقدير، وعتابك على عيني ورأسي، ولا تسمي ما وجهت لي عتاباً، وإنما هو نفثات رجل صادق وكريم يحب الخير والرشاد لجميع الباحثين والأكاديميين، وهذه والله صفات الأدباء والعلماء القديرين. وما زلت يا أخي علي أقول أمتعنا وأفدنا من علمك عن تراث وتاريخ وحضارة بلادك وأهلك ونحن متعطشون لذلك وشكراً. (ابن جريس).

(٤) انظر الدراسة نفسها في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثامن) (الرياض: مطابع الحميضي،

وبالله التوفيق : ورد في صفحة (١٧) السطر (٧) في نهاية صدر البيت الشعري (صَبًّا) ولعل الصواب الموافق للبيت الوارد: عن أبي عبيدة (حتى) كما في بعض الروايات . وفي السطر العاشر من الصفحة نفسها ورد في أول صدر البيت (وصيَّتُ الباب) والصواب (صببت الماء) وقد وردت صحيحة في البيت نفسه سطر (٧) . ورد في صفحة (٢٥) أن عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه، لما ولد له مولود كتب للنبي ﷺ يخبره بأنه سماه محمدا وكناه بأبي سليمان، فرد عليه الرسول ﷺ، بقوله : بل كنه بأبي عبد الملك" . هذا الخبر ورد في عدة كتب منها كتاب : "المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة (٦/١) وزاد في كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٧٥): "فلا تكاد تجد في آل عَمْرو بْن حزم مولودا يسمى محمدا إلا وكنيته أَبُو عَبْد الْمَلك" . قلت يا أبا المثنى وردت عدة أقوال في اسم وكنية محمد بن عمرو بن حزم، في عدة مصادر يذكر بعضها أن الرسول ﷺ، هو الذي سماه محمدا دون الكنية، يؤيد ذلك خبر ورد في كتاب " الإصابة في تمييز الصحابة (١٢/٦) : " وأخرج أبو الفرج الأصبهانيّ من وجهين، عن عبد الملك بن عمير، قال : أتى عمر بن الخطاب بحلل فقال : عليّ بالمحمّدين، فأتى بمحمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، ومحمد بن طلحة، ومحمد ابن عمرو ابن حزم، ومحمد بن حاطب، وابن عمه محمد بن (حطّاب) ، وكلهم سمّاه النبي صلّى الله عليه وسلّم محمداً" . والشاهد من قوله : "وكلهم سمّاه النبي صلّى الله عليه وسلّم محمداً" . وجاء في كتاب: الخصائص الكبرى (٢/ ٣٤٦) قلت اخْرج ابْن سعد عَن أبي بكر بن مُحَمَّد ابن عَمْرو بن حزم، أَن عمر بن الْخطاب، جمع كل غُلَام اسمه اسم نَبِي فأدخلهم الدَّار ليغير أسماءهم، فجَاء آبَاؤُهم فأقاموا الْبَيِّنَة أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، سمى عامتهم فخلى عَنْهُم ، قَالَ أَبُو بكر وَكَانَ أبي فيهم" . أي أبوه محمد بن عمرو بن حزم .وهناك مصادر تذكر أنّ أباه، هو الذي سماه : محمدا، وكناه بأبي سليمان . كما ورد في خبر الأستاذ الدكتور غيثان[1] .ومصادر أخرى تذكر أن محمدا بن عمرو، كان يكنى بأبي القاسم فغير كنيته عندما زار أخواله لقوله : "كُنْتُ أَتَكَنَّى بأبي الْقَاسم فَجئْتُ (إلَى) أَخْوَالي بَني سَاعدَةَ، فَسَمعُوني فَنَهَوْني وَقَالُوا: إنَّ النبي ﷺ قَالَ : "مَنْ تَسَمَّى بَاسْمي فَلا يَتَكَنَّى بكُنْيَتي"[2] . فَحَوَّلْتُ كُنْيَتي بأَبي عَبْد الْمَلك" . وقيل بلغ الرسول ﷺ، أن أباه كناه بأبي القاسم، فكناه النبي ﷺ بأبي عبد الملك، كما تقدم. فليت سعادة أستاذنا الدكتور غيثان استعرض هذه الأقوال ورجّح

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) ص ١٥ ـ ٧٠ .

(١) أشكرك يا أستاذ علي بن سدران على هذه التصويبات الجيدة، وفعلاً عندما وصلتني دراستك رجعت إلى عدد من المصادر التي ذكرت وغيرها، فوجدت ملحوظاتك صائبة. (ابن جريس).

(٢) الحديث حققه الألباني في المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٤٥٣/١) بلفظ : "مَنْ تَسَمَّى اِسْمِي، فَلَا يَتَكَنَّى بِكُنْيَتِي، وَمَنْ تَكَنَّى بِكُنْيَتِي، فَلَا يَتَسَمَّى بِاسْمِي" وقال عنه : منكر .(ابن سدران).

الصواب منها.

يضاف في السطر الرابع من صفحة (٢٩) بعد (فيؤمن به) قول ذلك النصراني: (قَالَ: مَهْلا يَا أَخي فَإِنَّمَا كُنْتُ مَازِحًا .قَالَ: وَإِنْ) ، كما ورد في مصدر الأستاذ الدكتور. وفي نهاية السطر (١٥) يضاف بعد نهاية السطر : (وَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا منَّا كُلَّ مَا تَرَى) .في صفحة "٢٨" السطر السابع وما بعدها من صفحات : "أبو الحارث بن علقمة"، لم يذكره بهذا الاسم سوى ابن سعد، وقلة من الكُتَّاب على حد علمي المتواضع، وبقية المصادر وهي الأغلبية تسميه : "أبو حارثة بن علقمة"[١] ورد في الصفحة الثانية والثلاثين، السطر الثامن : (فواعدوا) والصواب : (فوادعوا) من الموادعة وليست من المواعدة .ورد في الصفحة الثانية والثلاثين قول عن المباهلة، قلت : هذه المباهلة وردت في كثير من كتب أهل السنة، كما وردت أحاديثها صحيحة في كتب الحديث المعتبرة، لكن هناك من يشكك في اقتصارها على (النبي ﷺ، وعلى علي بن أبي طالب والحسنين وفاطمة رضي الله عنهم) ، ويشرك معهم في المباهلة زوجات النبي ﷺ، لتوافق معنى الآية الكريمة "ونساءنا ونساءكم " ومن أولئك : عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى : بعد :١٣٩٠هـ) صاحب كتاب "التفسير القرآني للقرآن(٤٨٤/٢) إذ يقول : "ولقد خرج النبي الكريم بنفسه، وبابنته فاطمة، وولديها الحسن والحسين، وبنسائه جميعا وطلب إلى هذا الوفد أن يلقوه بأنفسهم، وبأبنائهم وبنسائهم، وأن يبتهلوا جميعا– هو ومن معه، وهم ومن معهم – إلى الله: أن يجعل لعنته على الكاذب من الفريقين ".وجاء في كتاب "تفسير الشعراوي (١٥١٩/٣") فالرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، مدعو لدعوة أبنائه ونسائه، ومن له الولاية عليهم، وبحضوره هو صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وهم مدعون لدعوة أبنائهم ونسائهم وأنفسهم للابتهال" .

ومن المؤلفين من يشرك زوجتين من زوجات رسول الله ﷺ : (عائشة وحفصة) في هذه المباهلة، كما جاء في كتاب السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢٩٩/٣) وعن عمر رضي الله عنه : "أنه قال للنبي ﷺ: لو لا عنتهم يا رسول الله، بيد مَن كنت تأخذ ؟ قال ﷺ: آخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة"[٢] وهذا أي زيادة عائشة وحفصة في هذه الرواية دل عليه قوله تعالى : "وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ" [آل عمران : الآية ٦١].

بل إن بعض المؤلفين من يجعل المباهلة المقتصرة على النبي ﷺ، وعلى علي ابن أبي طالب وزوجه وولديه رضي الله عنهم، من صنع الرافضة لعدة أسباب منها : "إن جملة

(١) نعم هذا قول صحيح، فاسمه ورد في كثير من المصادر (أبو حارثة بن علقمة) (ابن جريس).

(٢) لم أجده في كتب الحديث، ووجدته في كتاب : "السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ٢٩٩/٣" بدون تحقيق .(ابن سدران) .

وَأَنْفُسَنا عنت عَلِيًّا لأن النبي هو الداعي فلا يكون مدعُوًّا، وإن عليًّا والحالة هذه أفضل الخلق بعد النبي، وأفضل من سائر الأنبياء، لأنه في مقام النبي محمد ﷺ، وإن عدم اصطحاب النبي أحدا من نسائه، واصطحابه فاطمة يدل على أن كلمة "وَنِساءَنا" في الآية لا تعني زوجاته وإنما عنت بنته" . ومنها أن "النبي ﷺ، لا يمكن أن يناقض القرآن الكريم في تسمية بنته الوحيدة بنسائه، حيث عنى القرآن بهذه الكلمة زوجات النبي ﷺ، في آيات سورة الأحزاب : ٢٨-٣٠" .[١] ومنها "أن الدعوة كانت مشتركة : "تعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنساءَنا وَنساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ "فلم يسألوا أنفسهم ماذا تكون عَنَت كلمة وَأَنْفُسَكُمْ بالنسبة للوفد حينما أوّلوها بالنسبة للنبي بعلي، أي بغير النبي . ولم يرو أحد أن الوفد كان يصطحب نساء وأولادا" .[٢]

ولقد تصدّى الشيخ محمد عبده، لهذه المسألة على ما جاء في تفسير رشيد رضا فقال" الرِّوَايَاتُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اخْتَارَ لِلْمُبَاهَلَةِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَوَلَدَيْهِمَا، وَيَحْمِلُونَ كَلِمَةَ وَنِسَاءَنَا عَلَى فَاطِمَةَ وَكَلِمَةَ وَأَنْفُسَنَا عَلَى عَلِيٍّ فَقَطْ، وَمَصَادِرُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الشِّيعَةُ، وَمَقْصِدُهُمْ مِنْهَا مَعْرُوفٌ، وَقَدِ اجْتَهَدُوا فِي تَرْوِيجِهَا مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى رَاجَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّ وَاضِعِيهَا لَمْ يُحْسِنُوا تَطْبِيقَهَا عَلَى الْآيَةِ، فَإِنَّ كَلِمَةَ "وَنِسَاءَنَا" لَا يَقُولُهَا الْعَرَبِيُّ وَيُرِيدُ بِهَا بِنْتَهُ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ لَهُ أَزْوَاجٌ وَلَا يُفْهَمُ هَذَا مِنْ لُغَتِهِمْ، وَأَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُرَادَ بِأَنْفُسِنَا : عَلِيٌّ - عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ - ثُمَّ إِنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ. "[٣]

وجاء في كتاب " : أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/ ٨٦٣)، "وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم : بأن عليًّا هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام، سوى النبوة ، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ "أنفسنا" على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب" . ويؤيد هذا القول الأخير ما جاء في كتاب " المباهلة للسيد عبدالله الحسيني الرافضي (١ / ٩٨) وإن كان أنكره إلاّ أنه عاد فأثبته شأنهم في التلاعب

---

(١) والله لقد أحسنت يا أستاذ علي بذكر هذه التفصيلات العلمية التاريخية، فشكر الله لك، وزادك من فضله. (ابن جريس) .

(٢) لا يستغرب من الشيعة الرافضة، فالقارئ لكتبهم يجدها مليئة بالتجاوزات والأخطاء الفادحة، بل تراهم دائماً مارقون في معظم نصوصهم الدينية المدونة في مصادرهم ومراجعهم المختلفة .(ابن جريس).

(٣) انظر : تفسير المنار (٣/ ٢٦٥)، ودروزة محمد عزت، التفسير الحديث ١٥٩/٧ . والقارئ لكثير من التفاسير عن آية المباهلة يجدها قد فصلت الحديث فيها وبخاصة من وجهة نظر علماء أهل السنة والجماعة . (ابن سدران ، ابن جريس)

بالألفاظ كما سنورده بعد قليل، فقال: "ومن نوادر قصة المباهلة ما ذكره بعض العلماء – ولم يسمه الشريف الرضي – من أن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق، والقريب المقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه. ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب" أراد تعالى ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة بالقرابة وإذا وقعت النفس عنده على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب.." ثم قال معترفًا بأن عليًّا رضي الله عنه، ليس نفس الرسول ﷺ، وهو بيت القصيد: "ونحن لا ندعي أنّ عليا نفس رسول الله حقيقة، وإنما الدعوة أن الله سبحانه نزل نفس علي عليه السلام، منزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"!![1].

ولقد رأيت أستاذنا الدكتور غيثان حفظه الله، ينقل في صفحة: "٣٢" عن اليعقوبي في تاريخه – وهو معروف بتشيعه – ما نصه: "وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلي وقد حفوا بأبي حارثة .." . قلت: ومع أن النصوص الواردة في جميع المصادر تفيد بعدم استصحابهم للنساء والأبناء إلا أن هذه الرواية الشاذة ينقصها التوثيق. والأمر الذي لا ريب فيه أن هذه المباهلة إنما هي من صنع الرافضة[2]. فما قول أستاذنا الدكتور في هذه الأقوال التي ربما مرت عليه. ونحن نؤمن بالأحاديث الواردة في هذا الشأن، لاسيما تلك التي وردت في البخاري ومسلم، ولكن تخصيص هؤلاء الخمسة بالمباهلة يثير التساؤل حول مغايرته للآية الكريمة ومفهوم العرب[3].

في صفحة "٣٣" السطر الثالث عشر كلمة "بخيانة" والصواب: "بجناية". صواب العبارة الواردة في كتاب (الطبري)، صفحة (٣٥) السطر الثاني عشر كالتالي: (... إِلَى عَرَبِهِمْ وَسَاكِنِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ، فَثَبَتُوا فَتَنَحَّوْا وَانْضَمُّوا ...). ورد في صفحة (٤٦) السَطر الثَامن كلمة: "بسر" والصواب: "بسرًا". ورد في صفحة (٤٦) السطر العاشر: (مروا به) وفي المصدر: (وقعوا به) وورد أيضًا في السطر الحادي عشر: (من حرث الأرث) وفي المصدر (من جريب الأرض). ولم يذكر دكتورنا علام اعتمد في تصحيح

---

(١) يا لله العجب ما أكثر الترهات والمغالطات عند الشيعة الروافض، وبخاصة إذا تحدثوا عن علي بن أبي طالب t ومنزلته من الرسول ﷺ. ومن يقرأ كثيراً من تجاوزاتهم وأخطائهم المقصودة فإنه يعجب لهؤلاء القوم. كيف يفكرون؟ وكيف يفسرون أقوالهم حسب أهوائهم ورغباتهم. (ابن جريس).

(٢) لا تستطيع يا أستاذ علي أن تنفي آية المباهلة وتفسيراتها فقد وردت في القرآن وكثير من التفاسير الموثوقة عند أهل السنة والجماعة، لكن بعض كتب التراث نقلت بعض الروايات والنصوص التي قال بها علماء الشيعة، وقولك "إن المباهلة إنما هي من صنع الرافضة" قول غير دقيق ويجب إعادة صياغة الجملة، والاعتراف بذكر المباهلة في القرآن وغيره من كتب التفاسير المعتمدة، وقد أشرت إلى ذلك في نصوص سابقة، لكن ما أجرى الشيعة عليها من تعديلات وتفسيرات هي التي يجب دراستها ونقدها. (ابن جريس).

(٣) لا نقول يا أستاذ علي إلا زادك الله من فضله وكرمه على هذه التصويبات القيمة. (ابن جريس).

هاتين اللفظتين؟[١] في صفحة "٤٧" السطر الأول، كلمة "معتدى" والصواب : "معنوف" وقد وردت أيضًا في كتاب : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة . ومعناها الأخذ بشدة وقسوة . ورد في صفحة (٥٩) السطر التاسع : التاريخ العربي الهجري، على النحو التالي: (١٤٠٥) ولعل الصواب هو : (١٠٤٤) والله أعلم .

يقول الأستاذ الدكتور في صفحة (٦٧) من بداية السطر الثالث : " في عصر النفوذ العثماني الأخير على عسير وما جاورها (١٢٨٩-١٣٣٧هـ-١٩١٨م) استمرت بلاد نجران على وضعها السياسي الاستقلالي تحت نفوذ زعمائها وشيوخها المحليين ...إلى أن يقول : " كما أن العثمانيين لم يسعوا في السيطرة على بلاد نجران.. " . مع أنّ الزركلي يقول في كتاب (الأعلام ١٨٥/٢) في ترجمة : حسن بن إسماعيل المكرمي: "أمير يماني، من الباطنية الإسماعيلية. كانت له جبال حراز والحيمة، استقلالا . ودامت بها إمارته نحو ثلاثين عامًا، أقام بها المعاقل، ونظم أموره، إلى أن هاجمه جيش من الترك بقيادة وليّ الدين باشا، وجّهه المشير أحمد مختار باشا . فاضطر المكرمي للدفاع عن استقلاَل إمارته، فحشد جموعا من نجران، وحاول صد الترك عن صعود الجبال إليه، فقهروه وأسروه، وأرسلوه مع أولاده وجماعة من أقاربه إلى الحديدة، وكانت مقر القيادة العامة للترك، ويقيم بها أحمد مختار باشا فلم يكد يبلغها المكرمي حتى مات فيها أو قتل " . فدل على دخول نجران في فترة من الفترات في حكم الأتراك ولو لبرهة من الزمن " .

ورد في صفحة (٨٨) السطر الرابع (شويها) والصواب لغةً : (شَيِّها) .ورد في صفحة (٨٩) السطر الثالث (تمر السدر) والصواب (ثمر السدر) وهو النبق . عزيزي أبا المثنى تطرقت في حاشية صفحة (٩٧) إلى ذكر موسوعة المملكة العربية السعودية، التي صدرت في مجلدات عدّة، منها المجلد الذي يتحدث عن منطقة الباحة، حيث صدر في أكثر من: (٨٠٠) صفحَة، على اعتبار أن تلك الموسوعة مصدر من المصادر المهمة في جميع العلوم الإنسانية، ولعلك أحد المستكتبين فيها، إلا أنه ويا للأسف الشديد رغم كثرة ورود الألقاب العلمية الرفيعة التي تتصدَّر مواضيعها وما رصد لها من ميزانية ضخمة، وإدارة وكَتَبة ومحققين ومحكمين و...، إلاَّ أنها صدرت وهي مليئة بالأخطاء التاريخية والجغرافية والعلمية واللغوية و...، وحتى النواحي السياحية، رغم أن أغلب كتبتها من الأكاديميين أصحاب الاختصاص، ولعل مجلد منطقة الباحة دليل على أخطاء مجلدات الموسوعة بكاملها، في نواحي الأدب والتراث والتاريخ وغيرها من العلوم الإنسانية التي حوتها الموسوعة[٢]، وقد اطّلعت على مجلد منطقة الباحة، وذلك عند توزيع نسخ من هذه

---

(١) تصويبات صحيحة ودقيقة وشكر الله لك يا أستاذ علي بن سدران .(ابن جريس).

(٢) يا أستاذ علي إن عمل ضخم مثل الموسوعة لابد أن يرد فيها أخطاء وقصور، والحمد لله أنها خرجت بهذه الصورة، وفي الطبعة الثانية للموسوعة أرجو أن تُدرس وتُصحح جميع الأخطاء الواردة في هذا العمل العلمي الذي أرى أنه

الموسوعة على المناطق، بقصد مراجعتها قبل اعتماد توزيعها، فكان فيه جملة من الأخطاء الشنيعة التي يتحتم تصحيحها قبل توزيعها، ومع الأسف صدرت الموسوعة وتلك الأخطاء لم تعدل، وقد غدت تلك الموسوعة بعد توزيعها مرجعًا لكل الباحثين والدارسين ويَثِقُون بمعلوماتها[١]، بل ويفضلون الرجوع إليها والأخذ بمعلوماتها عن المراجع الأخرى التي رجع إليها بعض باحثي الموسوعة، فلو قلت على سبيل المثال: (أسلم الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه، عام خيبر سنة سبع من الهجرة وشارك في فتح مكة سنة ثمان) – وإن كان الأَوْلَى أن يقال "أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه زمن البعثة، كما ورد في: الطبقات الكبرى، والبداية والنهاية، وتاريخ دمشق، وغيرها من الكتب، وإنما هاجر سنة سبع ليجدد إسلامه[٢]، ويحظى بشرف الصحبة والهجرة، ويشارك المسلمين في جهاد الكفار – لقالت لك الموسوعة بقلم أحد الأكاديميين: (أسلم بعد فتح مكة مباشرة والذي أصبح مندوب قومه إلى دوس في منطقة الباحة، حيث عاد إلى قومه وأسلم على يديه: (٨٠) رجلاً، وأحرق صنم ذي الكفين..)! فكيف يسلم ويحارب المشركين إلى جانب رسول الله ﷺ، في المواقع التي ما بين سنة سبع إلى سنة ثمان، وفيها فتح خيبر ومكة، وهو لم يُسلم إلا بعد فتح مكة كما قال الكاتب[٣]؟ وفي الحقيقة فإن هذه العبارة التي أوردها الكاتب مغلوطة، وصوابها ما أوضحناه بعاليه من كتب المؤرخين، كما أنه رضي الله عنه، اصطحب معه في هجرته إلى المدينة النبوية في السنة السابعة، وليس بعد فتح مكة مباشرة ثمانين بيتًا وليس "رجلاً" - كما قال الكاتب - من دوس، بلغ عددهم كما تقول بعض الروايات أربعمائة ما بين رجل وامرأة، وهم الذين أسلموا على يديه فيما بين البعثة والسنة السابعة من الهجرة، وهم الذين شارك بهم في فتح خيبر ومكة، أما حين عودته من مكة بعد أن شارك في فتحها إلى ديار قومه لحرق صنم ذي الكفين، فقد انحدر بأربعمائة دوسي للمشاركة في غزوة الطائف. وهذه المعلومات مبثوثة في كتب المؤرخين السابقين. ومنها على سبيل المثال كتاب: "البداية والنهاية (٦/ ٣٧١) إذْ يقول: "الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن [فهر بْن] (فهم بن) غَنْم بْن دَوْس الدُّوسيّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَهَدَاهُمُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ، فلمَّا

جيد إلى حد ما. (ابن جريس).

(١) وأنا أقول يا علي إن هذا العمل جيد، وفعلاً هي مصدر مهم لتاريخ وحضارة وتنمية بلادنا العربية السعودية، ولا ننفي أنه ليس بها أخطاء، لكنها لا تفسد هذا العمل العلمي الكبير، وبالإمكان تدارك كل القصور والأخطاء في الطبعة الثانية (ابن جريس).

(٢) نعم الصحيح أنه أسلم السنة السابعة للبعثة، وهاجر مع قومه المسلمين إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة. (ابن جريس).

(٣) معلومات هذا الكاتب غير صحيحة، والصحيح ما ذكرناه في الحاشية السابقة. (ابن جريس).

هَاجَرَ النَّبيّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ جَاءَهُ بِتِسْعِينَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ دَوْسٍ مُسْلِمِينَ" [١] .

أو ما أورده ذلك الكاتب الأكاديمي الآخر الذي جعل "أم أبي سفيان بن حرب" رضي الله عنه، دوسية النسب، حيث يقول : "ومن المعروف أن دوسا أخوال أبي سفيان بن حرب، فأمه دوسية ! وقد كان لهذا النسب أثره البالغ في تقوية أواصر العلاقة بين قريش ودوس .." . قلت : ومن المعروف أن أم أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه هلالية، واسمها : صفية بنت حَزْن . لها ترجمة في كثير من المراجع منها كتاب: "الطبقات الكبرى، إذْ يقول عنها : وَأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَزْنِ بْنِ بُجَيْرِ بْنِ الْهَزْمِ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ هِلَالِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ" . بمعنى أنها هلالية عدنانية، وليست دوسية قحطانية . وينبغي أن يقال إنّ دوسًا أخوال ولدي أبي سفيان: (عنبسة ومحمد) لأنّ أبا سفيان تزوج أمّهما عاتكة بنت أبي أزيهر الدوسي، فأنجبت : عنبسة بْن أبي سُفْيَان، ومحمدًا، كما جاء في كتاب : أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٦) .

ونرى كاتبًا أكاديميًّا آخر لا يفرِّق بين صوف الضأن وشعر المعز فيقول : (.. تقوم بنسج بيوت الشَّعْر من أصواف المعز غالبًا) . مع أن ما على جلد الضأن يسمَّى صوفًا، وما على جلد المعز يسمّى شَعْرًا، وما على جلود الإبل يسمّى وَبَرًا [٢]. جاء في كتاب: "فقه اللغة وسر العربية (ص : ٨٣) الشَّعْرُ للإِنْسَانِ وغَيْرِه . المِرْعِزَى والمِرْعِزاءُ للمَعَز. الوَبَرُ للإبلِ والسِّبَاع . الصُّوفُ للغَنم . العِفاءُ للحَمير. الرِّيشُ للطَّير. الزَّغَبُ للفَرْخ. الزِّفُّ للنَّعَام . الهُلْبُ للخَنْزير" . وجاء في كتاب: تكملة المعاجم العربية (٥/ ١٦٠) مَرْعِزَى: كلمة مأخوذة من الأرمنية، وهي تعني "شعر الماعز" . فقال : "شعر الماعز" ولم يقل صوفها.قال تعالى في سورة النحل : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) .وقد يطلق الصوف مجازًا على شعر المعز، لكن ينبغي أن نسمي المسميات بأسمائها وإلا لاختلط الأمر على القارئ .

أمَّا الأكاديمي الآثاري الرابع فقد نفى في صفحة : (٢٠٨) أن يكون في منطقة الباحة وفي المكان الذي زاره وهو (وادي ثَرَاد غربي سد العقيق حيث مصبه) نقش مؤرخ، لقوله : "ويشتمل هذا الموقع على ما يقارب ثلاثة عشر نقشًا صخريًّا غير مؤرخ .." فحكم من تلقاء نفسه على خلو نقوش الوادي من أي تاريخ، ولو سلك طريق الوادي إلى منتهاها لرأى على الأقل نقشين قريبين من حافة الوادي مؤرَّخة بالتاريخ الإسلامي، ولقد زرت

---

(١) معلوماتك يا ابن سدران صحيحة، وقد تأكدت من ذلك بعد الرجوع إلى عدد من كتب التراث وبخاصة المصادر التاريخية .(ابن جريس) .

(٢) أحسنت يا أستاذ علي في هذه التصويبات و التوضيحات القيمة . (ابن جريس) .

ذلـك الوادي المسـمى (ثراد) مع مجموعة من الزملاء بتاريـخ: (١٤٢٧/٧/٢٢ هـ)، حيث نزلنا من شـرقي بلدة: (بني سـار) وسـرنا عبر واديه المتعرج حتى وصلنا إلى العقيق، في رحلة طولها ثلاثون كيلاً، استغرقت سبع ساعات ونصـف الساعة، ولم نكن نعلم من قبل بطول الوادي، ولقد عانينا من صـعوبة الطريق كثيرًا، حتى إننا كنا نبني طريقًا لتمر منها السيارة، وخلال تلك الرحلة الشاقة عثرنا على مجموعة كثيرة من النقوش والصور، أنْسَتنا صعوبة الطريق، واسـتطعنا تصوير بعضها، وبعضها الآخر لم نستطع تصويرها لارتفاعها عن الوادي ووجدنا في بعض نواحيه عدة نقوش إسلامية عليها تاريخ هجري، قمت برفعها أنـا وزملاء الرحلة، ومن بـين تلك النقوش نقش ترجمته كالتـالي: (آمن المطلب بن عروة بالله العظيم، وكتب يوم الاثنين في شـوال سـنة إحدى وسـتين ومائة). وبالقرب منه نقش آخـر باسـم: (عبد الرحمن بن عمر)، على نحو ما هو مكتـوب عند المطلب، وعليه التاريخ نفسـه، إلا أنه أضـاف بعد اسمه بعض العبارات ولم نسـتطع قراءتها. ويبدو والله أعلم أن هـذا الباحث أو الآثاري لم يصـل إلى المنطقة التـي بها بعض النقوش الإسـلامية المؤرخة لصـعوبة الطريق[1]. فيرجى التصـحيح بما يفيد وجود كتابات إسـلامية مؤرخة في وادي ثراد الأسفل خلافًا لنفي الباحث. فهذه نماذج يسيرة مما ورد من أخطاء شنيعة في مجلد منطقة الباحة ضـمن تلك الموسوعة القيمة الضخمة. فما تعليل أستاذنا الدكتور غيثان، في عدم اسـتجابة أولئك المسؤولين وتسـاهلهم في عدم تصحيح بعض معلومات هذه الموسوعة المهمة، التي طبعت باللغتين العربية والإنجليزية، بقصد توزيعها على بعض المراكز العلمية داخـل وخـارج المملكة ؟؟ وغدت من المراجع الموثوقة، وهي دعوة أجدها مناسـبة لإطلاقها عـبر كتابكم: "القول المكتوب في تاريخ الجنوب"، لتصـحيح تاريخ جنـوب المملكة العربية السعودية[2]، في تلك الموسوعة الضخمة، ولعلي إن شاء الله أوافي دكتورنا ببعض الملاحظات التي رصدتها على بعض موضوعات مجلد منطقة الباحة في تلك الموسوعة قبل تسويقها[3].

---

(١) إن منطقة الباحة بل جميع مناطق جنوبي المملكة العربية السـعودية مليئة بالآثار والنقوش والرسومات الصخرية، وهذا ما رأيته وسـمعت عنه أثناء تجوالي في هذه البلدان، وإن كان خرج بعض الدراسـات الأثرية عن هذه البلاد، لكنها مازالت غير كافية، ويجب على الجامعات المحلية، وكذلك أقسـام وكليات الآثار في المملكة العربية السـعودية أن تبـذل جهـوداً كبيرة لحفظ ودراسـة نقوش وآثار مناطق الجنوب، وإذا لم تسـارع وتقوم بهـذه الأعمال العلمية الأكاديمية، وإلا فإنه سوف يضيع الكثير منها مع أنه قد ضاع أكثرها، لكن على هذه المؤسسات أن تجتهد في حفظ ما بقي. (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ علي لقد اطلعت على الموسوعة كاملة، وأقول إنها عمل جيد، ولا تخلو من الأخطاء العلمية واللغوية وغيرها، وقد أشرت إلى نماذج من تلك الملحوظات في المجلد الخاص لبلاد الباحة، وإنني أضم صوتي إلى صوتك وأقول إن على مكتبة الملك عبد العزيز العامة، لأنها التي أشرفت وطبعت ونشرت هذه الموسوعة، مسؤولية عظيمة فتشكل لها هيئة علمية أكاديمية لدراسة جميع مجلدات الموسوعة، فتصحح أخطاءها، أو تستكمل مواطن النقص فيها، وأرجو أن تجد دعوتنا هذه آذاناً صـاغية، فتراجع هذا العمل العلمي الكبير، حتى يظهر في صـورة أفضـل وأقوى وأحسن مما هي عليه مجلدات الموسوعة الحالية. (ابن جريس).

(٣) أرجو يا أسـتاذ علي أن تلتزم بقولك وتسـتكمل هذا العمل، حتى ننشـره في أحد مجلدات كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب القادمة، ونسأل الله لك التوفيق. (ابن جريس).

وفي الختام ؛ فإن هذا الكتاب الذي اطلعت عليه وهو : مجلد منطقة الباحة، ضمن موسوعة المملكة العربية السعودية، بمعلوماته الحالية الناقصة والمبتورة والمشوشة أحيانًا، لا يمثل منطقة الباحة في مجال التاريخ والسِّيَر وفنون الآداب والعمارة والزراعة والصناعات التقليدية، ويحتاج بالفعل إلى إعادة صياغته من جديد لكي يُعطي صورة صادقة عن تاريخ وحضارة أولئك الرجال من واقع ما دُوِّن عنهم في كتب المؤلفين السابقين، وما خلفوه من تراث يشهد على أصالتهم . فلسنا بصدد إعطاء القارئ لمحة موجزة عن ماضي المنطقة العريق في وريقات معدودة تفتقر بعضها إلى الدقة والمصداقية، بل نريد أن نوثق بصدق هذا الماضي التليد من جميع جوانبه، ونضيف إليه جملة من المكتسبات الحضارية في ظل هذا العهد السعودي الزاهر، ونكون بذلك قد أوصلنا مكتسبات حاضرنا السعيد بتراث ماضينا المجيد، ولذا فإني أنصح بإعادة كتابة موضوعاته على نحو أكثر دقة وواقعية، ففي مثقفي أبناء (زهران وغامد) - وما أكثرهم - ممن لهم المقدرة في كتابة تاريخهم وتخليد تراث أجدادهم على نحو سليم [١] .

في صفحة (١١٨) عن سك النقود الفضية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، بمكة المكرمة[٢] .أول سَكٍّ للريال الفضي السعودي كان في سنة (١٣٤٦هـ) وعلى جهتيه تلك العبارات التي أوردها سعادة الأستاذ الدكتور غيثان، وقد وهم الأستاذ الدكتور /محمد بن عبد الله السلمان، في كتابه " قيام المملكة العربية السعودية، وبدايات نهضتها الحضارية، صفحة (١٣١) عندما نقل عن غيره أنَّ الريال الفضي السعودي سُك سنة (١٣٤٧هـ) . وكان هناك على ما أعتقد نوعان من الريالات الفضية (كبير وصغير) فلدَيَّ ريال كبير سُك سنة: (١٣٤٦هـ)، وعليه تلك العبارات التي وردت في مقال الأستاذ الدكتور غيثان، الوجه الأول : (ريال عربي سعودي واحد) وفي دائرة في المنتصف : (ضرب في مكة المكرمة ١٣٤٦هـ)، وليس في المستطيل الأسفل سيفان، وما فيه سوى نخلتين جانبيتين وقيمته النقدية، وفي الوجه الآخر : (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) وفي دائرة المنتصف : (عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود)، وفي الأسفل المستطيل وبه السيفان المقلوبان والنخلتان الجانبيتان، وهو بحجم أقل من حجم الريال الفرنسي (ماريا تريزا)، بقليل، ولَدَيَّ ريال آخر بحجمٍ أصغر من الأول سُكَّ سنة (١٣٦٧هـ) حل

---

(١) أقوالك يا ابن سدران صحيحة، فبلاد الباحة (غامد وزهران) ذات تاريخ عريق في شتى الجوانب الحضارية، وما تنادي به يحتاج إلى فريق عمل من الغامديين والزهرانيين الأكاديميين والباحثين الجيدين أمثالك، ونأمل أن نرى منكم من يتول هذا المشروع العلمي الذي أشرت إليه، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يضيف للمكتبة العربية والإسلامية عملاً قيماً، ونأمل أيضاً من جامعة الباحة أن تتولى التخطيط والدعم والمتابعة لإنجاز مثل هذه الدراسة المهمة والجديدة . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثامن، ص ١١٨-١٢٢ . (ابن جريس) .

فيه اسم: "المملكة العربية السعودية" مكان (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها)[(١)].

في صفحة (١٢٤") قولك عن الهندسة وحدة القياس المستعملة قبل المتر: "يبلغ طولها حوالي تسعين سنتيمترًا". قلت: الصواب أنّ طولها يعادل سبعين سنتيمترًا، فلديَّ واحدة مصنوعة من الحديد لا تزيد عن هذا الطول المذكور. في صفحة (١٧٥) وردت كلمة "الغير" وصوابها "الغَبر". في حاشية صفحة (١٧٦) رقم (٢) كُتب في هذه اللهجات المحلية التي أشرت إليها ثلاثة كتب، الأول للأستاذ الدكتور: عبد الرزاق بن حمود الفقيه الزهراني، بعنوان: "الفصاحة في منطقة الباحة". والثاني للأستاذ: محمد بن زَيَّاد الزهراني، بعنوان: "لغة التخاطب والقصد في لغة غامد وزهران الأزد". ولكاتب هذه الأسطر كتاب بعنوان: "البيان في لسان زهران". جميعها تتحدث عن اللهجات المحلية الموافقة لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام العرب[(٢)]. في حاشية صفحة (٢١٠) ورد في السطر الأخير عبارة: "واليلاد" والصواب "والبلاد".

٣. صور من الأحلاف القبلية (بلاد زهران أنموذجاً):

أ. تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: الأحلاف جمع حِلْف، بالكسر: العَهْد يكون بين القوم. وقد حالَفَه أي عاهَدَه، وتحالفُوا أي تعاهَدُوا. وفي حديث أنس رضي الله عنه: "حالَفَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرَّتين[(٣)]، أي آخَى بينهم"، وفي رواية: "حَالَفَ بين قرَيش والأنصار أي آخَى بينهم لأنه لا حِلْف في الإسلام"[(٤)]، وفي حديث آخر: "لا حِلْف في الإسلام"[(٥)]، والأحلاف تكتلات قبلية وجدت بين القبائل منذ القدم بقصد التناصر والتآزر، قال ابن الأثير: "أَصل الحِلْف المُعاقدةُ والمُعاهَدَةُ على التَّعاضُدِ والتساعُدَ والاتِّفاقِ، فما كان منه في الجاهلية على الفِتَنِ

(١) دراسة الحياة الاقتصادية وبخاصة الأسواق والعملة والأسعار في جنوبي البلاد السعودية من الموضوعات الجديدة وتحتاج إلى من يفرد لها دراسة علمية أكاديمية. (ابن جريس).

(٢) لقد اطلعت على بعض الكتب المذكورة أعلاه، وهي جهود طيبة ومباركة، وقسم اللغة العربية بجامعة الباحة عليه مسؤولية، فالواجب على أعضاء هيئة التدريس بهذا القسم أن يدرسوا اللغة واللهجات المحلية بمنطقة الباحة، كما أن مراكز البحوث في جامعة الباحة هي الأخرى عليها مسؤولية أيضاً لدراسة وبحث كل ما يفيد أرض وسكان هذه البلاد، والمصطلحات والعبارات واللهجات من الموضوعات الجيدة والجديدة التي تحتاج إلى بحث ودراسة. (ابن جريس).

(٣) وزاد (أو ثلاثا) صححه الألباني رحمه الله، انظر صحيح سنن أبي داود ٢/١. (ابن سدران).

(٤) تهذيب اللغة: ٤٤/٥. (ابن سدران).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٢٤/١. قلت: ولعل هذه المؤاخاة الإسلامية جاءت بدلاً عن الأحلاف التي كانت تعقد بين القبائل والأفراد، والله أعلم. (ابن سدران).

والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورَدَ النَّهْيُ عنه في الإسلام بقوله ﷺ: "لا حلْفَ فِي الإسلام[١]"، وما كانَ منه في الجاهلية على نَصْرِ المَظْلُومِ وصلةِ الأَرْحام كحلْف المُطَيَّبِينَ[٢]، وما جَرى مَجْراه، فذلك الذي قال فيه رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: "وأَيُّمَا حلْف كان في الجاهلية لم يَزِدْه الإسلامُ إلا شدَّةً[٣]"، يريد من المُعاقدة على الخير، ونُصْرَة الحقّ، وبذلك يجتمع الحَديثَان، وهذا هو الحلْفُ الذي يَقْتَضيه الإسلامُ، والمَمْنُوعُ منه ما خالَفَ حُكْمَ الإسلام"[٤]. "وكثيرًا ما كانت تقوم بين القبائل محالفاتٌ ومواثيق لتقف صفًّا واحدًا متساندًا أمام بعض الدواعي، فتنشأ الأحلاف بين القبائل لصيانة المصالح المشتركة، أو لضرورة السلم بين المتجاورين، أو عن طريق المعاهدة بين رجالها؛ فتنشأ بذلك عصبية بين هذه القبائل المتحالفة تدفعها إلى التضامن في الحروب والتعاون في تبعات الدماء[٥]".قال زهير ابن أبي سلمى،في ديوانه ١٠٧:

أَلا أَبْلِغ الأَحْلافَ عَنِّي رِسالَةً وذُبيان: هَلْ أَقْسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ

وقد ذكر ابن الأثير في كتاب : البداية والنهاية ط هجر (٧/ ٦٥٨) "أَنَّ بَني كنَانَةَ حَالَفَتْ قُرَيْشًا عَلَى بَنِي هَاشِم، أَنْ لَا يُنَاكحُوهُمْ وَلَا يُبَايعُوهُمْ وَلَا يُؤْووهُمْ - يَعْني حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ" . (ومن الأحلاف التي ذكرها التاريخ في مكة حلف المطيبين، وحلف الأحلاف، وحلف الفضول" . المطيبون هم خمس قبائل وهم : "بنو عبد مناف ومن حالفهم من بني أسد بن عبد العزى وبني زهرة وبني تيم وبني الحارث بن فهر[٦]" . "والاحلاف خمس قبائل : وهو تجمّع يضم بني عبد الدار، ومن حالفهم من بني سهم وجمح ومخزوم وعدي[٧] . فأمَّا حلف المطيبين فكان قبل حلف الفضول " لقول صاحب كتاب : التنبيه والإشراف (١/ ١٨٠) : فأما حلف المطيبين فهو قبل حلف الفضول وكان سببه فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب مناقب قريش

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٩٦) .(ابن سدران) .

(٢) ويسمى أيضا حلف الفضول تشبيهًا بحلْف كان قديمًا بمكّة أَيّام جُرْهُم على التناصف والأَخذ للضعيف من القويّ، والغريب من القاطن، وسمي حلْف الفُضُول لأنه قام به رجال من جُرْهُم كلهم يسمى الفَضْل : وفي الحديث : "شهدت في دار عبد الله بن جُدْعان، حلْفًا لو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأَجَبْت" ؛ يعني حلْف الفُضُول، سمّي به وفي الحديث أيضا "شَهِدْتُ، غلامًا مع عُمومتي، حلْفَ المُطَيِّبِين" . اجتمعَ بنو هاشم، وبنو زُهْرَة، وتَيْمٌ في دار ابن جُدْعانَ في الجاهلية، وجعلوا طيبًا في جَفْنة، وغَمَسوا أيديَهم فيه، وتَحالَفُوا على التناصر والأَخذ للمظلوم من الظالم، فسُمُّوا المُطَيِّبين . لسان العرب : مادة : طيبً . (ابن سدران) .

(٣) صححه الألباني في "الأدب المفرد (ص : ٢٠٠) بلفظ : "من كان له حلف .." (ابن سدران) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر :١/٤٢٤ . (ابن سدران) .

(٥) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ (ص : ٥٦) .(ابن سدران) .

(٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/ ١٨٩) .(ابن سدران) .

(٧) المصدر السابق . (ابن سدران) .

وفضـائلها، أنّ قصـي بـن كلاب بن مرة بـن كعب بن لـؤيّ كان جعل إلى ابنـه عبد الدار الحجابة ودار الندوة واللواء، وجعل إلى ابنه عبد مناف السـقاية والرفادة فلما كثرت بنو عبـد منـاف في الجاهلية، قالوا نحن أحـق باللواء والحجابة والندوة مـن بنى عبد الدار، فتفرقـت عنـد ذلك قريش، وعبد الله بـن جدعان التيمي حَيّ، وقال بعضـهم والله لا يرد أمر قصي، فنصرت بنو مخزوم وجمح وسهم وعدي بنى عبد الدار، وتحالفوا عند الكعبة فسموا الأحلاف، فلما رأت ذلك بنو عبد مناف حالفوا بنى أسد بن عبد العزى وبنى زهرة بن كلاب، وبنى تيم بن مرة، وبنى الحارث بن فهر، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، وجاءهم عبد الله بآنية فيها طيب فغمسـوا أيديهم فيها، ويقال أخرج إليهم الطيب إحدى بنات عبد المطلب، ويقال إنهم وضـعوا الطيب في المسـجد وغمسـوا أيديهم فيه ثم مسحوا الكعبة، وتحالفوا أنْ لا يسـلم بعضهم بعضا فسـموا المطيبين، فحصلت خمس قبائل بإزاء خمس، فسـموا أولئك الأحلاف، وهؤلاء المطيبين . قال عمر بن أبى ربيعة المخزومي ويقال عبيدالله بن قيس الرقيات يذكر المطيبين والأحلاف.

ولـهـا في المـطـيـبـين جـدود ... ثـم نـالـت ذوائـب الأحـلاف

إنـهـا بـين عـامـر بـن لـؤيّ ... حين تـدعى وبين عبد مناف[1]

وأما حلف الأحلاف ويسـمى أيضًا حلف لعقة الدم، فقال عنه صاحب كتاب : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام (٧/ ٦٠) : "ويذكر أهل الأخبار أن بني عبد مناف أجمعوا علـى أن يأخـذوا من بني عبد الدار "الرفادة" و"السـقاية" ، فأبى بنـو عبد الدار ترك ما في أيديهـم وأصـروا على الاحتفاظ بـه، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانـت طائفة مع بني عبـد الـدار، وطائفة مع بني عبد منـاف، وتحالف كل قوم مؤكدًا، وأخـرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فوضـعوها عند الكعبة، وتحالفوا، وجعلوا أيديهم في الطيب، فسـموا المطيبـين. وتعاقد بنو عبـد الدار ومن معهم، وتحالفوا، فسـموا الأحلاف، وتعبئوا للقتال، ثم تداعوا إلى الصـلح، على أن يعطوا بني عبد مناف السـقاية والرفادة ، فرضـوا بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، واقترعوا عليهما فصـارتا لهاشم بن عبد مناف . وأما الذين كونوا حلف الأحلاف ولعقة الدم، فهم : بنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سـهم، وبنو عدي بن كعـب. وقيل يرجع تأريخ حلـف "لعقة الدم" إلى أيام بنيان الكعبـة، الذي كان قبل المبعث بخمس سنين . والله أعلم "[2] .

ومن الأحلاف التي شـهدها الرسول ﷺ، بمكة قبل البعثة الشريفة وأشاد بها: حلف

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف : ١٨٠، والبيتان في زوائد ديوان ابن الرقيات المنسوبة إليه ص : ١٨٦..(ابن سدران) .

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (٧/ ٦٢) .(ابن سدران) .

الفضول لقوله ﷺ : "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"[١].

وكان سبب هذا الحلف أن الزبير بن عبد المطلب، وعبد الله بن جدعان، ورؤساء هذه القبائل، اجتمعوا فاحتلفوا لا يدعوا أحدا يظلم بمكة أحدا إلا نصروا المظلوم على الظالم وأخذوا لهَ بحقه . " وكان الذي جَرَّ على ذلك أن رجلا من بني زبيد قدم بسلعة فباعها من العاص بن وائل السهمي، فظلمه ثمنها، فناشده الزبيدي، في حقه قبله فلم يعطه، فأتى الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعديا، فأبوا أن يعينوه وزبروه وزجروه، فلما رأى الزبيدي الشر وافى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح :

يا للرجال لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نأى الحي والنفر
إن الحرام لمن تمت حرامته	ولا حرام لثوبي لا بس الغدر

قال : فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا منزل، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما فحالفوا في ذي القعدة، في شهر حرام قياما يتماسحون صعدا وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة، وفي التأسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وفي ذلك الحلف يقول الزبير بن عبد المطلب[٢]:

حلفت لنعقدن حلفا عليهم	وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا	يعز به الغريب لدى الجوار
إذا رام العدو له حرابا	أقمنا بالسيوف ذوي الازورار
ويعلم من حوالي البيت أنا	أباة الضيم نمنع كل عار

ومن أحلاف العرب المشهورة على سبيل المثال: حلف الرباب، وهو بين خمس قبائل: ضبة وثور وعكل وتيم وعدي، "وهو حلف عقد بين المتحالفين بإدخال أيديهم في "رُبّ" وتحالفوا عليه، أو لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا عليه، فصاروا يدًا واحدة، وقيل: لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة، وهم: تيم وعدي وعُكل ومُزَينة وضَبَّة أو : ضبة ، وثور، وعكل، وتيم، وعدي[٣]" .

---

(١) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ (ص : ١١٢) ، والحديث في : السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٥٩٦) بتحقيق : محمد عبد القادر عطا .(ابن سدران) .

(٢) الروض الأنف، ت الوكيل (٢/٧٣) عدا البيت الثالث فمن كتاب " المنمق في أخبار قريش ص: ١٨٧ (ابن سدران) .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٧٨/٧ . (ابن سدران) .

وحلف عبس وبني عامر ضد بطن ذبيان وأحلافهم من تيم وأسد . لقول جواد علي، في كتاب : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (٧/ ٣٤١) "فعبس مثلاً تحالفت مع "بني عامر" في حرب البسوس على "ذبيان"، وهي أختها". وحلف الحُمُس بين قريش، وكنانة، وخزاعة، ذكر ذلك أحمد شوقي عبد السلام، في كتابه : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي (ص : ٥٩) [(١)]. وكذلك حلف قريش والأحابيش، ذكر هذا الحلف ابن حبيب في كتابه : المنمق في أخبار قريش (ص : ٢٢٩) فقال : "هذا حلف قريش الأحابيش: قال عبدالعزيز بن عمران ابن عبدالعزيز الزهري، الذي يقال له ابن أبي ثابت : كان الذي بدأ حلف الأحابيش أن رجلا من بني الحارث عبد مناة بن كنانة، هبط مكة فباع سلعة له ثم أوى إلى دار من دور بني مخزوم، فاستسقى فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال : هلا كنت أمرت بعض الحفدة فقالت : تركتنا بنو بكر نعاما، ذا مثل حماد، (انا أن نترك في حرمنا) قال : فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يا بني الحارث ! ذلت قريش لبني بكر، فإن كان عندكم نصر فنصر، فقالوا: ادعوا إخوانكم بني المصطلق، والحيا بن سعد ابن عمرو، فركبوا إليهم فجاؤوا بهم، وسمعت بهم بنو الهون بن خزيمة، فركبت معهم وذلك بعد خروج بني أسد من تهامة، فخرجوا حتى اجتمعوا بذنب حبشي وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا بالله القائلين إنا ليد تهدّ الهد، وتحقن الدم ما أرسى حبشي، قال ابن أبي ثابت الزهري : ولما غلب قصي على مكة وغلبت قريش وكثرت وتفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد قَلّت قريش وخافت بكرا، فبعث عبد مناف إلى الهون بن خزيمة، والحارث بن عبد مناة فأجابوهم، فبعثت بنو الحارث إلى المصطلق والحيا فأجابوهم، فأقبلت الهون يقودها أبو ضرار بن مالك، وأقبلت الحارث يقودها شيظن بن عمرو أخو بني أحمر وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم" . ثم إنّ الإسلام منع أن تقوم أحلاف جديدة، ولكنه أكد الأحلاف التي تمت في الجاهلية[(٢)]) الموافقة للشريعة الإسلامية . ويقول جواد علي، في كتابه: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٧٢/٧) : "والفكرة التي حملت العرب على عقد الأحلاف، هي نفس الفكرة التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم أو مع غيرهم . وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة، أي: نفس الفكرة التي تدفع الدول على التكتل والتحزب وعقد الأحلاف الدولية في هذا اليوم أو في المستقبل، وهناك أحلاف عقدت لأغراض هجومية، وأحلاف عقدت لمصالح اقتصادية، مثل أكثر أحلاف قريش مع القبائل ، وأحلاف لتثبيت نظم وإقرار قوانين وأخذ

---

(١) تاريخ الأحلاف في الجزيرة العربية منذ العصر الجاهلي إلى القرن الرابع عشر الهجري(العشرين ميلادي) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس دراسة علمية أكاديمية، ونأمل من أقسام التاريخ في المملكة العربية السعودية أن تولي هذا الجانب أهمية كبيرة . (ابن جريس) .

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ (ص: ٤٨) . (ابن سدران) .

حقوق وردع ظالم وإنصاف مظلوم". وكان الحلف بين القبائل قد يستمر جيلًا بعد جيل، ولا ينقضي إلا بسبب أحداث جسيمة، وعندئذ يصبح صلة لاحمة بين القبائل المتحالفة . وقد استمرّ هذا النوع من التحالف وتبعاته إلىً ما بعد البعثة النبوية .

وقد كان عبد المطلب بن هاشم تحالف مع خزاعة في الزمن الجاهلي فأقره الرسول ﷺ في مبدأ الإسلام، فلقد جاء في : (السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٣/ ١٠٢) وفي الإمتاع أن نسخة كتابهم : "باسمك اللهم، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم، ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر والمواساة ما بلّ بحر صوفة، حلفا جامعا غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، وحنّ بفلاة بعير، وما أقام الأخشبان، وعمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدّا، وظلام الليل مدا، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون، فعلى عبد المطلب، النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، وعلى خزاعة، النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله جميلا ، فقال رسول الله ﷺ : ما أعرفني بحقكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف". فقال عبد المطلب آنذاك[1] :

سأوصي زبيرا إن أتتني منيتي	بإمساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ العهد الوكيد بجهده	ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر
هم حفظوا الإلَّ القديم وحالفوا	أباك وكانوا دون قومك من فهر

وحكى ابن حبيب سبب هذا الحلف فقال في كتاب : "المنمق في أخبار قريش (ص ٨٦) وكان سبب حلف خزاعة لعبد المطلب، أن نفرا من خزاعة قالوا فيما بينهم: والله ما رأينا في هذا الورى أحدا أحسن وجها ولا أتم خلقا ولا أعظم حلما من عبد المطلب، وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله، وقد ولدناه كما ولده بنو النجار، فلو أنا بذلنا له نصرتنا وحالفناه ! فأجمع رأيهم على ذلك، فأتوا عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحارث إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك ونحن بعد وأنت متجاورون في الدار فهلم فلنحالفك ! فأجابهم فأقبل بديل بن ورقاء بن بديل العدوي، وسفيان بن عمرو، وأبو بشر القميري، وهاجر بن عمير بن عبد العزى القميري، وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر، وعبد العزى بن قطن المصطلقي، وخلف بن أسعد الملحي، وعمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري، في جماعة من

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري : (٧٢/١) . (ابن سدران) .

قومهـم، فدخلوا دار النـدوة فكتبوا بينهم كتابا، وأقبل عبد المطلب في سـبعة نفر من بني المطلب، والأرقم بن نضلة بن هاشم، وكان من رجال قريش، والضحاك وعمرو ابنا صيفي ابن هاشم، ولم يحضره أحد من بني عبد شمس ولا نوفل، لليد التي منهم، وعلقوا الكتاب في الكعبة .

واسـتمر هذا الحلف حتى جاء الإسلام، فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبـين أهل مكة، ذكر عُرْوَةَ بن الزبير عن المسـور بن مخرمـة، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَم "أَنَّهُ مَنْ شَـاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِه دَخَلَ، وَمَنْ شَـاءَ أَنْ يَدْخُـلَ فِي عَقْدِ قُرَيْش وَعهدهم، فَتَوَاثَبَـتْ خُزَاعَـةُ وَقَالُوا : نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْـده، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقَالُوا نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْش وَعَهْدِهِمْ، فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّـبْعَةَ أو الثَّمَانِيَةَ عَشَـرَ شَهْرًا ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُواً عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَـا يَعْلَـمُ بِنَا محمد وهذا الليل ومـا يرانا من أحد، فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّـلَاحِ وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضَّـغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن عمرو ابن سالم، ركب عنـد ما كَانَ مِـنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يخبر الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِـعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنشدها إياه :

يـا رب إنِّي نَاشـدٌ مُحَمَّـــــــدًا	**حلْفَ أَبيـه وَأَبينَـا الْأَتْلَـــــدَا**
قـد كنتـموا وُلْـــدًا وَكُنَّــا وَالــــدَا	**ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يـدا**
فـانصـر رسـول الله نصـرًا أبـدا	**وَادْعُ عِبَـادَ اللَّهِ يَـأْتُوا مَـــدَدَا**

إلى أن قال :

هُـمْ بَيَّتُونَا بِـالْوَتِيرِ هُجَّـــــدًا	**وَقَتَّلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّـــدَا**

فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: "نصـرت يا عمرو بن سـالم" .وقد تنقطع هذه الأحلاف كما ذكرنا سـابقًا لسـببٍ من الأسـباب، ومن ذلك الحلف الذي عقد بين الأوس وقريش، فإنه انقطع ولم يتم، وسببه كما جاء في كتاب : المنمق في أخبار قريش (ص: ٢٦٨) قال : خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها، فلما حالفتها قال الوليد بـن المغـيرة : والله ! ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شـرفهم وورثـوا ديارهم فاقطعوا حلف الأوس، فقالوا : بأي شـيء ؟ قالوا : إن في القوم حشـمة، فقولوا : إنا قد نسـينا شيئًا لم نذكره لكم، إنا قوم إذا طاف النسـاء بالبيت (الكعبة) فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسـها بيـده، فلما قالوا ذلك للأوس نفروا وقالوا : اقطعـوا الحلف بيننا وبينكم، فقطعوه .. وكان لهـذه الأحلاف منزلة سـامية عند العرب تحترمهـا ولا تخرمها، وتحاول جاهدة

الحفاظ على بقائها ما لم تُغلب على ذلك، ولهذا يقول الحارث بن حلزة اليشكري[(١)]:

واذكــروا حلف ذي المجاز وما قُدِّ ... مَ فيه العهود والكُفلاءُ
حذر الجور والتعدي وهل ينـ ... ـقض ما في المهارق الأهواء

ومن الأحلاف المشهورة التي ضمت معظم القبائل العربية حلفان كبيران هما حلف خنْدف وحلف شَبَابة . وكانت قبيلة زهران، لا تزال في حلف شبَابة، بينما قبيلة غامد، وهي القَرَيبة منها نسبًا في حلف خِندف[(٢)].

وعقدت بعض دول أوروبا وآسيا، سنة (٨٧٨هـ) حلفًا ضد الدولة العثمانية، فلقد جاء في كتاب: الموسوعة التاريخية – الدرر السنية (٧/٢٦١) : "تعاهدت ثلاثون دولة أوروبية وآسيوية ضد العثمانيين في الثاني من شباط/ فبراير سنة (١٤٦٨م)، وحاولت قوات التحالف ضم مملكة المماليك المصرية السورية إليهم، ولكن دولة المماليك رفضت ذلك لاشتراكهم مع العثمانيين بالدين والمذهب، وعبأت دول التحالف قواها العسكرية، وخاضت ضد العثمانيين معارك فاشلة، ثم تعاهدت على خوض المعركة العمومية الكبرى بحرًا وبرًّا، وبدأت المعارك البحرية ضد العثمانيين في سواحل البحر الأبيض المتوسط انطلاقًا من قبرص وتحرك أوزون حسن الآق قوينلو، بجيش يتجاوز عدده ثلاث مائة ألف خيّال، وغادر خربوط قاصدًا أرزنجان . وترك السلطان الفاتح قوة كافية لحماية إسلامبول، وترك ابنه الأصغر جَمّ سلطان نائبًا عنه أثناء غيابه، وتحرك السلطان الفاتح من إسلامبول في ١١/ ٤/ ١٤٧٣م، ومعه مائة وتسعون ألف مجاهد يتوزعون في خمسة فيالق . وكان السلطان الفاتح يقود فيلق المقدمة، ويقود فيلق الميمنة ابنه الأمير أبا يزيد الثاني، ويقود الفيلق الأيسر ابنه الأمير مصطفى، وترك في المؤخرة فيلقين للالتفاف على العدو، ووصل إلى سيواس، وقصد عدوه المتآمر، فوصل إلى الجنوب من غومش، خانة التركية الشرقية في: ١١/ ٨/ ١٤٧٣م، وحصلت المعركة التصادمية في سُهُوب بلدة أوطلوق بلي "Otlukbeli"، الواقعة شمال شرق مركز محافظة أرزنجان التركية . وتحركت في البلقان قوات الحلفاء التابعة لملك المجر متياس، وإمبراطور ألمانيا فريدريك الثالث، وملك البندقية وتوابعه، وقرر الحلفاء تكرار هزيمة القوات العثمانية مثلما حصل قبل ذلك بإحدى وسبعين سنة في موقعة أنقرة بين السلطان العثماني با يزيد الأول، والمرتد

---

(١) ديوانه : ٧٠ .(ابن سدران) .
(٢) يقول الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في : "معجم قبائل المملكة العربية السعودية (ص: ٢١٤) خنْدفُ : اسم يشمل مجموعة من القبائل متباعدة النسب منها مُطَيْر وهُذَيْل وسُلَيْم وثَقِيْف، وسبيع، والبُقُوم، وغامد، وَبجيلة، وغيرها. ويقابله اسم شبابة يضم قبائل أخرى منها عُتَيْبَة وحَرْب وبَلْحَارث وبَنُو مالك "بَجِيْلَةَ" وجُهَيْنَة وبَلِيٍّ، وزَهْرَان وغيرها. وهو تقسيم كانت تلك القبائل تلجأ إليه حينما تحدث بينها حروب كبيرة في العهود الماضية".(ابن سدران) .

تيمورلنك. ودارت الحرب العالمية بين سلطان المسلمين محمد الفاتح وأعدائه الأوروبيين وعملائهم المرتدين الآسيويين، فهجمت أساطيل البندقية وغيرها على المواقع البحرية العثمانية، ولكنها صُدّت، ولم تحقق انتصارًا يُذكر، وفشلت القوات البرية في البلقان بقيادة الإمبراطور الألماني فريدريك، وملك المجر متياس، وتراجعت أمام هجمات فرسان الروملي العثمانيين. وبدأت المعركة البرية الكبرى بين قوات السلطان محمد الفاتح، وقوات حسن الطويل التركماني، وانطلقت قذائف المدفعية العثمانية، وبدأ حصاد فرسان العدوّ، وأوعز الفاتح لفيلقي الاحتياط بالالتفاف على العدو، فشكّلا فكي كماشة، ومنعا عساكر العدو من الفرار، وقَتَلَ الأمير العثماني مصطفى بن الفاتح قائدَ الجناح المعادي: زينل ميرزا بن حسن الطويل، وأسر ثلاثة أمراء تيموريين، وهجم الأمير العثماني أبا يزيد الثاني، على سرادق حسن الطويل، فهرب حسن الطويل، من ميدان المعركة، وقال لحليفه القره ماني أحمد بك: "يا قره مان أوغلو خرّب الله بيت سلالتك، سَبَّبْتَ خزيي وعاري، مالي وبني عثمان؟ "وأمر الفاتح بعدم ملاحقة الفارين، ومكث في الميدان مدة ثلاثة أيام يتفقد الجرحى والشهداء، وينظم أمور الأسرى، وطلب حسن الطويل الصلح، فأجابه الفاتح، ووقعا معاهدة صلح تضمنت اعتراف حسن الطويل بامتلاك العثمانيين لمملكتي طرابزون وقره مان، وأصبح حليفًا للعثمانيين في آسيا هو وأولاده من بعده[١]".

وشاع في هذا العصر الحديث حلفان كبيران مشهوران، الأول: بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وعدد من دول العالم سنة: (١٤١١هـ/١٩٩٠م) لاستعادة دولة الكويت بعد أن احتلتها دولة العراق. والثاني الحلف الذي تقوده هذه الأيام المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، وبعض الدول العربية، من أجل استعادة الشرعية في جمهورية اليمن من عصابتي المخلوع: علي بن عبدالله بن صالح، ورافضة الحوثيين.

ب- من أحلاف زهران:

١- نماذج من أحلاف زهران قبل الإسلام وفي صدره:

دخلت قبيلة زهران عبر عصور التاريخ في عدة أحلاف مع بعض القبائل العربية، وأول حلف شاركت فيه ضمن قبائل قحطان هو ذاك الذي تم مع قبيلة ربيعة في العصر الجاهلي على يد تبع ملك يكرب اليماني. ثم تجدد هذا الحلف في الإسلام مرتين: المرة الأولى: في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والذي تولى تجديده بين الأزد وربيعة: مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب بن صنيم بن مليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران، الملقب بقمر

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية: (٧/ ٢٦١). (ابن سدران).

العراق، كان ذلك في ولاية عبيد الله بن زياد على العراق، وقد أنفق ابن زياد مالاً كثيرًا بين القبيلتين حتى تم الحلف[١] .ولم يكن الهدف منه في الظاهر إلا الاستعانة برجال القبيلتين في إعادة إقليم العراق الثائر آنذاك إلى سيطرة الدولة الأموية . والمرة الثانية : في أواخر العصر الأموي، في ولاية مروان بن محمد، وكان الذي جدده بين القبيلتين السابقتين : أبو علي جديع بن علي ابن شبيب بن عامر بن براري بن صنيم ابن مليح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الكرماني الزهراني، حيث طلب نسخته من عمر بن إبراهيم، من ولد أبرهة بن الصباح، ملك حمير [٢]، وجمع أشراف اليمن وعظماء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف وهي كالتالي : "بسم الله العلي الأعظم، الماجد المنعم، هذا ما احتلف عليه آل قحطان، وربيعة الأخوان، احتلفوا على السَّواء السَّوا، والأواصر والإخا، ما احتذى رجل حذا، وما راح راكب واغتدى، يحمله الصغار عن الكبار، والأشرار عن الأخيار . آخر الدهر والأبد، إلى انقضاء مدة الأمد، وانقراض الآباء والولد، حلف يُوطأ ويُثب، ما طلع نجم وغرب، خلطوا عليه دماهم عند ملك أرضاهم، خلطها بخمر وسقاهم، جز من نواصيهم أشعارهم وقلم عن أناملهم أظفارهم، فجمع ذلك في صر، ودفنه تحت ماء غمر، في جوف قعر بحر، آخر الدهر، لا سهو فيه ولا نسيان، ولا غدر ولا خذلان بعقد مُوكّد شديد، إلى آخر الدهر الأبيد، ما دعا صبي أباه، وما حلب عبد في إناه، تَحمل عليه الحوامل، وتقبل عليه القوابل، ما حل بعد عام قابل، عليه المحيا والممات، حتى ييبس الفرات، وكتب في الشهر الأصم[٣]، عند ملك أخي ذِمَم، تبّع بن ملك يكرب، معدن الفضل والحسب، عليهم جميعا كفل، وشهد الله الأجلَ، الذي ما شاء فعل، عقله من عقل، وجهله من جهل" .وكان هدف جديع من ذلك أن تنحاز معه قبيلة ربيعة، ضد والي خراسان من قبل بني أمية، نصر بن سيار وقبيلته تميم من المضرية .

وذكر ابن حبيب أن قبيلة دوس بن عبد الله بن عدثان بن زهران، تحالفت مع قبيلة قريش في العهد الجاهلي فقال : لما كثرت قريش رغبت في وج، وهو وادي الطائف، فقالت لثقيف : نشرككم في الحرم وأشركونا في وج، فقالت ثقيف : كيف نشرككم في واد نزله أبونا وحفره بيده في الصخر لم يحفره بالحديد، وفيه يقول :

فأرميها بجلمود وترميني بجلمود
فأفنيها وتفنيني وكل هالك مودي

قال: وأنتم لم تجعلوا الحرم، إنما جعله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقالت

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٥٨، الكامل في التاريخ : ١٣٦/٤.(ابن سدران) .
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢٥٧/٢ . (ابن سدران) .
(٣) اسم لشهر رجب في الجاهلية، سموه به لعدم سماع السلاح فيه . (ابن سدران) .

قريش: لا تدخلوا حرمنا علينا ولا ندخل عليكم وجكم، فلما خشوا الحرب وخشيت ثقيف من قريش، وخزاعة، وبني بكر بن عبد مناة، حالفت قريشا ودعت أخوتها من دوس قال: فلما حالفت قريش ثقيفًا قالت قريش لثقيف: نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشركة في الدار، فقالت ثقيف: بل دوس تحالفكم، فركب عبد ياليل ابن معتب، ومسعود بن عمرو، وهما من ثقيف ثم من الأحلاف في نفر حتى أتوا دوسًا، فقالوا لهم إن قريشًا طلبت منا أن ندخلهم في وج وأن يدخلونا في الحرم فأبينا ذلك عليهم، ثم حالفناهم فرغبوا إلى ما عندكم، فأدخلوهم وليدخلوكم وحالفوهم، فحالفت دوس قريشًا.

وكان من نتيجة مفاوضات عبد ياليل بن معتب، ومسعود بن عمرو الثقفيين، أنّ حالفت معظم قبائل دوس قريشا، حيث حالف من دوس "بنو منهب بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران، وبنو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران، وعامة نبيش، ولم يحالف سائر دوس[1]". وقد جَهدت في معرفة نبيش، فلم أعثر على مَن ذكرهم من المؤرخين سوى ابن حبيب، ولعل صواب اسمه "حبيش"، وهو من ولد أنمار بن النمر بن عثمان بن نصر بن زهران. كما عقدت دوس حلفًا مع أحد بطون قبيلة ثقيف، وهم بنو مالك، لقول ابن الأثير في كامله (١/ ٦٠٦): "فَسَارَتْ بَنُو مَالك تَبْتَغي الْحلْفَ مِنْ دَوْس وَخَثْعَم وَغَيْرِهَا، عَلَى الْأَحْلَافِ، وَخَرَجَتِ الْأَحْلَافُ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبْتَغِي الْحِلْفَ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى بَنِيّ مَالِكٍ".

وهناك أحلاف فردية تمت بين أشخاص من بطون قبيلة زهران: (دوس، وبني أوس، وبني سلامان)، وأشخاص من قبيلة قريش، نذكر منهم: (١) جعثمة بن يشكر الزهراني خرج جعثمة أيام خرجت الأزد من مأرب فنزل في بني الديل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة، فحالفهم وزوجهم فزوجوه[2]. (٢) مالك بن القشب واسم القشب جندب بن نضلة بن عبد الله بن رافع بن محضب بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن نصر بن الأزد. كان مالك قد غضب على قومه بني محضب، في شيء فحلف ألا يجمعه وإياهم منزل فلحق بمكة، فحالف عبدالمطلب بن عبد مناف، وتزوج بحينة بنت الحارث بن المطلب[3]. (٣) أبو أزيهر بن أنيس بن الخيسق بن مالك بن سعد ابن كعب بن الحارث بن عبد الله بن عامر وهو الغطريف بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد. كان من حديث أبي أزيهر، أنه كان حليفًا لأبي سفيان بن حرب، وكانت

(١) المنمق في أخبار قريش (ص: ٢٣٢). (ابن سدران).

(٢) أخبار مكة للأزرقي: ١/ ١٤ والسيرة النبوية: ١/ ١٠٥. (ابن سدران).

(٣) الطبقات لابن سعد: ٤/ ٦٤، والبداية والنهاية: ٨/ ١٠٧. (ابن سدران).

دوس أخواله وكان لا يعرف إلا بالدوسي، فكان يقعد هو وأبو سفيان في أيامهما في قبة لهما فيصلحان بين من حضر ذلك المكان الذي هما فيه، وكان أبو أزيهر قد زوج ابنته عاتكة أبا سفيان فولدت له محمدا وعنبسة، وزوج زينب بنت أبي أزيهر، عتبة بن ربيعة، فولدت له ربيعة ونعمان، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم بن المغيرة، فولدت له، وزوج ابنة له أخرى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم أمسكها عنه، وبسببها قُتل[١] . كما حالف قريشا من قبائل بني أوس الزهرانية العائدة إلى نصر بن زهران : (٤) الحارث بن سخبرة بن جرثومة الخير بن عادية بن مرة بن جشم بن الأوس بن عامر بن حفين بن النمر بن عثمان بن نصر بن زهران الأزدي رضي الله عنه، حيث كان حليفا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل الإسلام، وهو الذي خلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، على امرأته أم رومان بعد موته، فأنجبت له عبدالرحمن، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما[٢]. (٥) الطفيل بن عبدالله بن الحارث بن سخبرة بن جرثومة الخير بن عادية بن مرة بن جشم بن الأوس بن عامر بن حفين بن النمر بن عثمان بن نصر بن زهران الأزدي . رضي الله عنه، حليف قريش وأحد صحابة رسول الله ﷺ، وهو أخو عبدالرحمن وعائشة، ابني أبي بكر الصديق رضي الله عنهم لأمهما أم رومان رضي الله عنها، وكان أسنهما[٣].كما ذكر ابن حبيب أن بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران، والتي كانت تستوطن وادي أبيدة وما حوله، وجاء الإسلام وهي به حالفت قبيلة قريش أيضا، ويفهم من قوله أنهم من قبيلة دوس، وليسوا منها، فهم قبيلة قائمة بذاتها إلى الشرق من مواطن قبيلة دوس[٤]. (٦) ولحاجز ابن عوف السلاماني الزهراني الشاعر الصعلوك الجاهلي وهو منهم، حلف مع بني مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي، رهط خالد بن الوليد رضي الله عنه،وفي حلفه لبني مخزوم من قريش يقول مفتخرا[٥]:

قومي سلامان إمَّا كنت سائلةً ... وفي قُريش كريمُ الحلْف والنَّسَب
إنّي متى أدعُ مخزومًا ترَى عُنُقًا ... لا يرعشون لضرب القومَ من كَثَبَ
يُدَعَى المغيرة في أولَى عَديدهمُ ... أولاد مرْأسَة ليسُوا مِن الذَّنَبِ

ويمضي ابن حبيب في تعداد مَن حالف قبيلة قريش من دوس وغيرها من قبائل زهران فيقول : " ودخل في الأحلاف بسبب دوس آل أبي ذباب، وليسوا من دوس إنما هم

(١) المنمق في أخبار قريش: ١٩٩وما بعدها،والسيرة النبوية: ٤١٣/١، ونسب قريش: ٣٢٣.(ابن سدران).
(٢) الطبقات لابن سعد : ٢٠٢/٨ و ١٨٦/٥ والإصابة : ٣٥٠/٢ .(ابن سدران) .
(٣) ( )الإصابة في تمييز الصحابة : ٢٢٤، والاستيعاب : ٢٢٩/٢، والمعارف : ١٧٣/١ .(ابن سدران).
(٤) انظر : المنمق في أخبار قريش (ص: ٢٣٥) .(ابن سدران) .
(٥) الأغاني : ٢١١/١٣ و ٢١٨/١٣، والأبيات في ديوانه : ٢٨. (ابن سدران) .

بنو الحارث بن عمرو، وليس لهم حلف، قال: ودخل فيهم آل معيقيب بن أبي فاطمة مولى سعيد بن العاص وهم ينسبون إلى بني الحارث بن عامر "قلت معيقيب هو الصحابي الجليل الذي كان على خاتم رسول الله ﷺ، وعلى بيت مال المسلمين على عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم - وقوله في كتابه سالف الذكر إلى أنهم يُنسبون إلى بني الحارث بن عامر- بن عبدالله بن عدي بن حيان بن معاوية بن حمرة بن عبيدة بن عُبرة ابن زهران - وقد حالف معيقيب رضي الله عنه بني أمية) ليس بصواب، لأنَ هذين البيتين، وأعني بهما بيت آل أبي ذباب، وبيت معيقيب بن أبي فاطمة، مشهوران في دوس فمن البيت الأول: سعد بن أبي ذباب الحجازي الدوسي الزهراني رضي الله عنه، أمير دوس في الجاهلية، وسيدها الذي كانت تصدر عن رأيه، وفد على الرسول ﷺ، فأسلم، وأقره على إمارة دوس، واستمر أميرًا عليها إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومن البيت الثاني: معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، رضي الله عنه، وقد مر ذكره ذكرهما ابن حزم في جمهرته، وابن حجر العسقلاني، في كتابه: تهذيب التهذيب، وفي كثير من كتب السير والتراجم. (٧)وممن له حلف من دوس بني منهب، في قريش: الطفيل بن عمرو الدوسي، رضي الله عنه، كان حليفًا لبني أمية[١]. (٨)ومن دوس بني فهم: أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه، حيث كان حليفا لأبي بكر الصديق، رضي الله عنهما[٢]. (٩) ومروان بن قيس الدوسي، رضي الله عنه، لا أدري من أي بطن من دوس،كان له حلف في قبيلة ثقيف بالطائف، لقول الرسول ﷺ له: بل أنت أحدهم في العصب، وحليفهم بالله ما دام الطائف مكانه، حتى تزول الجبال، ولن تزول الجبال ما دامت السماوات والأرض[٣].

وقد انهارت هذه الأحلاف الجماعية والفردية عندما قتلت قريش أبا أزيهر الدوسي، فشنت دوس مع بعض القبائل الأزدية حربا على قريش، وفرضت عليها إتاوة في تجارتها إلى اليمن، لم يضعها عن قريش إلاَّ رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، ويؤخذ من معظم هذه الأحلاف أنها تمت من قبل أفراد من زهران لنظرائهم من قريش، وأن أغلب أولئك المحالفين من زهران ربما رحل إلى حليفهِ القرشي وجاوره لمصالح شخصية ولم نسمع بقرشي حالف زهرانيا ورحل إليه، فأبو أزيهر الدوسي، رحل إلى مكة، وحالف أبا سفيان ابن حرب، وزوج بناته الثلاث على رجال من قبيلة قريش مكة، وقُتل في مكة. وحاجز بن عوف السلاماني الزهراني حليف بني مخزوم، كان بمكة حين قُتل أبو أزيهر الدوسي، وهو

---

(١) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة (٢/ ٤٠٣). (ابن سدران).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٠٢/٤، ٢٤١، والاستيعاب: ٢٠٢/٤. (ابن سدران).

(٣) السيرة النبوية: المجلد الثاني: ٤٨٥، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٠٤/٣. (ابن سدران).

الذي أبلغ دوسا بمقتله وذلك بعد هجرة المصطفى ﷺ[١] . ومعيقيب بن أبي فاطمة، لازم حلفاءه الأمويين من أهل مكة، إلى أن أتى الإسلام، فهاجر مع المهاجرين إلى الحبشة، وعاد منها إلى المدينة النبوية مع جعفر الطيار رضي الله عنه، سنة فتح خيبر في السفينتين اللتين أقلتا جمعًا من الصحابة[٢] .والحارث بن سخبرة، هاجر قبل الإسلام بامرأته أم رومان إلى مكة، وحالف أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يعد إلى قبيلته، ولما مات خلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه، على امرأته أم رومان رضي الله عنها[٣] .

٢ ـ بعض أحلاف زهران في العصر الحديث :

أ ـ أحلاف مع زهران وغيرها :

وإلى جانب هذه الأحلاف الفردية، يمكن تقسيم الأحلاف في زهران إلى عدة أقسام فهناك أحلاف مع قبائل من خارج القبيلة، يعقدها شيوخ القبائل أو من ينوب عنهم، وأحلاف قبيلة زهرانية مع بعض قبائلها، وأحلاف قرية من قرى قبيلة من زهران مع أخرى من قبيلة خارج قبيلة زهران، وأحلاف تتم بين قريتين من قبيلتين زهرانيتين، وأحلاف قريتين من قبيلة زهرانية واحدة، وأحيانا بين أفراد قرية واحدة أو بيوت من قرية واحدة من قبيلة من قبائل زهران، ويسمى هذا الحلف : "الصُّحْبَة" . وتمتاز هذه الأحلاف بإيجاز صياغتها وسجع ألفاظها من مثل: " أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، وحنّ بفلاة بعير، وما أقام الأخشبان وعمر بمكة إنسان حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدّا، وظلام الليل مدا" . ومثل : "ما دام الله يُعبد، والغراب أسود، والجبال رُكَّد، والماء يورد، والملائكة أو الناس يصلون على محمد" . ومثل : "وإنّ من بار عليه الله ثار، وعليه أرياش الغربان، ولباس النسوان" . ومثل : "ما دام الغراب غراب، والتراب تراب، حلف لا ينقصه العقاب، ولا يفكه الطلاب" .

وإذا ما اعتدت قبيلة على أحد الأحلاف، وتأخرت حليفتها عن نصرتها رأينا تلك القبيلة المعتدَى عليها تذكر حليفتها بما بينهما من حلف وتستحثها على نصرتها إنْ هي تباطأت، يقول نصٌّ موجه من أحد أفراد قبيلة ربما تكون بدوية من الزُّهْرَان، إلى حلفائهم من قريتي الكَرَادِسَة والضحوات وكلا القريتين من قبيلة بني عَدوان[٤]" الحمد لله وحده

---

(١) الأغاني : ١٨٧/١. (ابن سدران).

(٢) انظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي: ١٨٦/١.(ابن سدران).

(٣) الصلات الحضارية بين بلاد غامد وزهران وحواضر الحجاز الكبرى صلات قديمة تعود إلى عصر ما قبل الإسلام، وهذا الموضوع جدير بالدراسة، فيكون عنواناً لكتاب أو رسالة دكتوراه .(ابن جريس) .

(٤) لقد اطلعت خلال الثلاثين عاماً الماضية على مئات الوثائق الحديثة، وبخاصة من بعد القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وجميعها عن قبائل الجزيرة العربية، وعلى وجه التحديد في الحجاز والسروات وتهامة

من عبد الله بن حسن بن بوخير، إلى من يراه معيض بن حسين، وكافة الكرادسة خاص وعام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضاه آمين وبعد :جاءنا حسن بن معجب، ويذكر له في ذمة من ابن مسعر، ورحنا نطلب ذمة لكم و(وحدونا) شهرين جمادوين وعشر ليالي من (غر)، شهد على ذلك الله، ثم رسوله وهي في وجه الله ورسوله ووجه جمعان بن مسفر وأخيه حسن، وحنا شهودها يا آل بوخير، وحمد بن عمر ... وأنا السيد فاضل الرفاعي نسبًا، والشافعي مذهبا، كاتب وشاهد والله خير الشاهدين . وغير ذلك غزا ابن مسعر وغدا منا يا آل بوخير (ورع) ما أرضانا ولا جا منه باثة ولا خباثة، وادّعَى علينا ابن هيَّاس في خمسين ريال، وخذها منا بالطلاق وإلاّ أذبحكم يا آل بوخير، وأعطيناه، وأصبح (انتص[1]) ابن هيّاس في رجاله، فحنا مثورينكم يا كرادسة بحلف الله الذي بيننا وبينكم، ومحمد المَقْرَدَة حليف مقومينه مثل قومتكم، فلا نعذركم فيها ولا تعذرونا في مثلها، والسلام ختام"[2] .

كما يقوم أحد شيوخ القبيلة أو من ينيبه بعقد حلف مع قبيلة أخرى من غير قبائل زهران، كما فعل أحد شيوخ قبيلة بني حُرَير الشيخ: خبتي بن غرسان الدعيبي الزهراني، مع الشيخ مُطير بن مطر الهذلي الظهوني، أحد شيوخ قبيلة في تهامة، من أجل رعاية مصالح أفراد القبيلتين وسيرهما بأمان في ديارهما، يقول نَصُّ الحلف : " **الحمد لله وحده حَضَرْتُ الرجلين المكرمين وهم : المكرم خبتي بن غرسان الدُّعيبي الزهراني، والمكرم مطير بن مطر الهذلي الظهوني، وتحالفوا وتعاطوا وتعاهدوا باللّه شديد العقاب موطِّئ الرقاب أنهم متحالفون ومتعاطون ومتخاوون بالله وحده لا غيره، في جميع المنافع، كلٌّ منهم يدفع الخير بجهده للثاني، وكل يدفع الشر بجهده عن الآخر، إنْ كان لمطير عازة في اليمن، يكون الشَّويْر فيها خبتي بجهده وخُصْره وبُصْره وماله ووجهه، وإنْ كان لخبتي عازة في تهامة يكونَ الشَّوِيْر فيها مطير بجهده وخُصْره وبُصْره وماله ووجهه، والكل منهم صديق الآخر صديق صَديقه عدو عدوه، وحلْفهم حلْف موروث، يرثه الحي بعد الميِّت، وعلى هذا حصل الرضا بينهما، والخط شاهد والله خيَر الشاهدين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. في رجب (١٢٠٨هـ)**[3] .

وبعض بلدان اليمن، ومادتها العلمية تدور في فلك الاتفاقات والأحلاف القبلية بين بعض العشائر أو البطون أو القرى المتجاورة في المنطقة الواحدة . ودراسة الأحلاف والاتفاقات العشائرية من الموضوعات الكبيرة، والتي تستحق إلى أن يصدر عنها عشرات الدراسات العلمية، ونأمل من أقسام التاريخ في الجزيرة العربية وبخاصة المملكة العربية السعودية أن توجه وتدعم دراسة مثل هذه الموضوعات الحضارية . (ابن جريس) .

(١) لعلها (انتخى) . (ابن سدران) .

(٢) من وثائق الأستاذ : سعد بن عوضة الزهراني، من قرية الكرادسَة . (ابن سدران) . كان يجب على الأستاذ علي بن سدران تفسير بعض الكلمات العامية، وإصلاحها نحوياً وإملائياً . (ابن جريس) .

(٣) من وثائق سعدي بن حسن بن راشد الزهراني، عريفة قرية الدعية. (ابن سدران) . يوجد آلاف الوثائق عند

وكذلك فَعَل الشيخ عطية بن خضران الدوسي، شيخ قبيلة دوس، حيث عقد حلفًا مع قبيلة ذوي حسن بتهامة، وشيخهم ذهوب بن إبراهيم الجساسي، وفيما يلي نص الحلف: " الحمد لله وحده إنه لما كان يوم الأحد خلون من شهر جماد أول، يكون أحد عشر يوما سنة (١٢٦٩هـ)حضر ذهوب بن إبراهيم الجساسي، وعطية بن خضران الدوسي، وبعد حضورهما سار بينهما عهد بالله العظيم عالم الغيب والشهادة، عليهما وعلى ما يتعقب من عقبهما، حلف ذهوب، على ذوي حسن، وعلى ما في باطنهم، وعلى ما يعدي عانيه عليه من الأشراف، وأنه حلف موروث، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأن حلف عطية بن خضران، على دوس وعلى ما يعدي عانيه عليه من زهران، وأنه للولد بعد أبيه، وأشهدوا الله، وشهد على حلفهم : عطية بن مساعد الطويل، من الخبشان، ومبارك بن حسن، من سلامان عويرة، وبخروش اليزيدي، وكتب عنهم وشهد الفقيه : علي بن صالح وكفى بالله شهيدا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:(١٢٦٩هـ)[١].

وعقدت قبيلة بني عامر من زهران، حلفًا مع قبيلة بني عبد الله من غامد، اتفقتا بموجبه على الحماية من القبائل الأخرى، وعلى جور حكام ذلك الزمان، ونصه :" الحمد لله وبعد: لما كان يوم الثلاثاء نهار واحد وعشرين في(١٢٠٦هـ) تحاضروا الرجاجيل الذين هم بني عامر وبني عبْد الله، حضر من بني عامر .. وحضر من بني عبد الله .. ثم إن المذكورين اتفقوا وتعاهدوا وتواثقوا بالله الذي لا إله إلاَّ هو الحي القَيُّوم على منافع الدنيا على الحَسَني وعلى الخُثَيْمي، وعلى الطَّلْقي، وعلى الظِّبْيَاني، وعلى جميع من يعداهم، وإنّ الديار واحدة وإن الريعَ المفجور[٢] إن كان عند العامريَ، إن العَبْدَلي يتلاه في ريعه، وإنْ كان عند العبدلي، إنّ العامري يتلاه في ريعه، وإن النَّقْصَة والبَقْصَةَ تسير واحد بينهم، وإنّ الريع المفجور ما يغلّق والمازي بعد له شيء، وإنْ أصبح يجيهم مخطية من حاكم ناصي بلادهم أو يكون فيها إنهم عليه من رأس واحد . شهد على ذلك الله، ثم من خلقه جمع كثير، وأنا أحمد ابن هلال، كاتب وشاهد والله كافي، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم"[٣]

قبائل وبطون تهامة والسراة، ومعظمها تدور في فلك التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيرها من الجوانب الحضارية، حبذا أن نجمع مثل هذه الوثائق وتدرس دراسة علمية أكاديمية .(ابن جريس) .

(١) من وثائق سعدي بن حسن بن راشد الزهراني، عريفة قرية الدعية. (ابن سدران) .

(٢) يقصد بالريع: مكان الحرب، لأنها كانت تثار في الأماكن العالية: المسماة (الأرياع) التي بين القبيلتين. (ابن سدران)

(٣) من وثائق الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن رقوش، وذكرت الشَّدَّة أن من بين شهودها جمعان بن راشد، (المولود سنة :١٢٢٠ هجرية)، فإن كان المقصود به شيخ القبيلة فهو خطأ محض، لأن شيخ فترة كتاب الشَّدَّة (الاتفاقية) يُدعى : راشد بن جمعان بن راشد، الملقب بالعود، والله أعلم . (ابن سدران) . حبذا أن يقوم طلابنا في أقسام الدراسات العليا وبيوتات العلم وممن يملكها ثم دراستها دراسة علمية أكاديمية، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا

ومـن الأحلاف التي تمت بين قبيلـة دوس بني فهم، ويمثلها رجـال آل عَبْدَلَه، وقبيلة دوس بني علي، وهما متجاورتان هذا الحلف الذي يقضـي بالتشـارك في ديرتي القبيلتين وعلى ما لم يذكر له نص في الاتفاقيات السـابقة التي جرت بينهما ونصـه : " الذي يعلم به من يراه من المسلمين، لما كان يوم الاثنين ثمانية وعشـرين خلت من شـهر صـفر سنة سـتٍّ وسـتين بعد الألف بمائتـين، من هجرة محمـد ﷺ، وبعد :لقد تقـارُّوا وتعارفوا أيل عَبْدَلَـه، وبني علي، على الحلف بين جدهم وبين أبيهـم، وإنهم تقاروا وتعارفوا أنهم مَقْتَلَة وأولاد مقْتَلَـة[1] عند المبْلَـي، وإن الديرة واحدة من دون ما حرَّم الله، وإلاَّ الحمى المحزور، وإلاَّ المحال المعمور[2]، وإنَّ السِّـدْرة سـتمها درْب سـدورهم، وإنَّ العلوي سيف العبدلي إلى بُلي وإلاَّ عُني، وإنَّ ما بينهم من اللوازم شـيء إلاَّ المذكورة وإلاَّ المنقورة[3]، وإنهم شـرطوا الرُّفْقَة، إلاَّ المذكورات المنقورات، وإنَّ العلوي يعطي العبدلي العزير رأس السنة إلىنزل في الديرة، ومَن مات في النهار الأبيض[4]، وإلاَّ (كُوِّن[5])، إنه يحاسب الكل منهم إلاَّ الهضلة

معروفاً كبيراً . (ابن جريس) .

(١) قولـه ؛ مقتلـة وأولاد مقتلـة أي أنهـم تعـودوا القتـال والقتـل هـم وآباؤهـم للدفـاع عـن حقوقهـم . كقـول عمر ابن أبي ربيعة : كُتِبَ الْقَتْلُ والْقِتَالُ عَلينا ... ديوانه : ٣٣٨ .(ابن سدران) .

(٢) قولـه: "وإلاَّ الحمَـى المحزور وَإلاَّ المحال المعمـور" أي التي تخص القبيلة، فلا هي داخلـة في اتفاقية الحلف .(ابن سدران)

(٣) المذكورة هي المدوَّنة في (الشـدة) والمنقورة عادة جرت في زهران لِمَن لا يرضـى بحكم الشـريعة ولا يرتضـي صلح المصـلحين فيقوم المصـلحون بالنقْر في دعامة بيته (الزَّافر) ثلاث نقرات واضـحات دلالة على عدم قبوله الشرع والصـلح، و ليس له بعد ذلك أنْ يتعدَّى على خصـمه، جاءَ في وثيقة مُرسـلة إلى الشـيخ عبد الكريم بن بخيت بن علاَّس الدُّعيبي الزهراني شيخ قبيلة بني حرير، عرض فيها مصلحون صُلحا بين رجل من قبيلة بني مالك ورجال من بني مسـلم من قرية الدعَبَة من قبيلة بني حُرير، وذكروا للشـيخ إنْ لم يقبل المالكي بالشـرع أو الصـلح وأراد حكم الطبيعة، فإنهم سـيطلبونه من على أيدي أناس من قبيلته وقبيلة زهران، وإنْ أبَى أيضًـا نقر المصـلحون في زافر بيته ثلاث نقرات وضمنوا لرجال بني حُرير عدم تعرُّض المالكي لهم . يقول النص : "وإنْ قلت يا ابن سرحان ما يرضـيني إلاَّ حكم الطبيعة فأنت تلف ثمانية من عرايف بني مالك أرْبَعة الْبُدُوْد والدُّعَيْبي يلف سـتة من زهران الثلاثة الْبُدُود (أي اثنان من دوس واثنان من بني أوس واثنان من بني عُمَر) والميعاد عند محمد بن مبارك (شيخ قبيلـة دوس بني فهم وهي القبيلة المجاورة لبني مالك) إنْ قالوا بني مالـك وزهران بحثنا ما جاء في ملَّة بخروش (أي مـا ورد من قانون في هذه القضـية على عهد الأمير بخروش بن علاَّس أمـير قبائل بني عُمَر) أولَ وآخر بعثنا لكم يا سراحين من جائز القبائل، ويعطونكم الحق وأنتم يا سراحين حَيُّكُم وذرَاكُم مقروعين بوجوهنا على ما ذُكر ثم ينقرون في زافر بيت ابن سـرحان ثلاث نقرات ويشـهدون عليه ثم يجيئكم مشاهد وعليها رشم (ختم) أنكم يا بني مسـلم منقولون برًّا وبحرًا سـد وجه الله ثم وجوهنا ..) قلت : قوله : " أنكم يا بني مسـلم منقولون برًّا وبحرًا سد وجه الله ثم وجوهنا " دلالة أكيدة على أنه كان لقبيلة زهران ميناء على البحر الأحمر في قرية "دَوْقَة" . مكتبة سعدي بن حسن بن راشد الزهراني، عريفة قرية الدَّعَبَة إحدى قُرى قبيلة بني حُرير .

(٤) النهار الأبيض هو الذي لا يكون فيه قتال البتّة، فإن قُتل فيه أحد من الحلفين اقتصّت الفئتان من قاتله على طريقة النقا. (ابن سدران).

(٥) كُوِّن : أي جُرِح . (ابن سدران)

والفضلة والغزَّة إنها لصاحب الرِّيع، وإنَّ طالب الهوى[١] من العبدلي، وإلاَّ العلي، إنَّ غرازه حوبـه، وإنْ بَصَّـر باذرة مـن العلوي وإلاَّ العبـدلي، إنهم مقروعون، وإنها عنـد قول أربعة العلوي والعبدلي .ضـمن على هـذا القول وما في باطن الورقة الله ورسـوله،(ثم) من أيل عبدَلة .. وضمن من بني علي .. شَهَّدَت الله ورسوله، على هذا ثم كفى، ومن خلقه .. وعبد الله بن علي الفضْـلي كاتب وشاهد والله خير الشاهدين[٢].وفيما يلي اتفاقيتان (حلفان) الأولى بين قبيلة بني عامر، من قبيلة زهران، ويمثلهم الشيخ: جمعان بن رقوش، والنَّشاوي وهم من أكلب، ويمثلهم حزام بن عيفان الأكلبي النشـاوي، ولعله شـيخهم، وفحواها تعهد الشـيخين العامري والأكلبي، بحماية رعايا القبيلة الأخرى وإعطاء الحق لطالبه المستحق يقـول نَصُّـها[٣]: " الحمد للّه وحده لقد حصـل بـين جمعان بن رقوش، وحـزام بن عيفان الأكلُبي النَّشـاوي، عِمْلَة مؤبَّدة موروثة، جمعان عامله على بني عامر أنه القَوَّام للنشـاوي في جميـع مـا يثبت لَهم عند بني عامـر، وحزام بن عيفان، القَوَّام لبنـي عامر، فيما يثبت لهم عند النشـاوى من بقوص ونقوص، وإنها في وجه اللّه، ثم وجوه المذكورين وورثتهم من بعدهـم ما دام اللّه يُعبَد، والماء يورد، والغراب أسـود، والناس يصـلون على محمد، وإنها في وجوه المذكورين ومن بار فعليه اللّه يثور، وتُبْدا له السُّـود من كل سوق، ومدعاه يبقى في وجهه، وأشهدوا على ذلك الشرط الشيخ : حامد الشاووش، والحميدي بن مسعود، والسيد محمد عزب بن سـعد، وأنـا الفقير إلى اللّه عبد الرحمن بن جمعان كاتب وشـاهد، واللّه كافي وشـهيد . وصـلى اللّه على سـيدنا محمد وآله وصحبه وسـلم . والاتفاقية الثانية بين بني عامر، من زهران أيضًا، ويمثلهم الشيخ جمعان ابن رقوش وأكلب من خثعم، ويمثلهم شـيخهم بلدم بن مقسـر، بخصـوص عدم التعدي على عابري السـبيل، أو المتزاورين من أبناء القبيلتين، يقول نص الاتفاقية : "الحمد للّه رب العالمين هذا ما اتفقوا عليه بني سار، وبلْدَم بن مقْسَـر . الشـيخ جمعان بن رقوش، على بني سـار، وبلدم على بني عامر أَكْلُب، بشـهادة اللّه، ثـم من خلقه سـويد من الزُّهْران، ومسـامح، هؤلاء مـن الزُّهْرَان، ومحمد عزب، وأنا عبداللّه بن مضحي، كاتب وشاهد واللّه خير الشاهدين وصلى اللّه على سيدنا (محمد) .

ومـن أقبل مـن بني عامر أكلب من قال بلدم عليه مزاور أو طارش إنه في وجه اللّه ثم في وجه الشـيخ جمعان بن راشـد، وبني سار حيث أن ما عندهم لا دعوى ولا طلب ولا عَنيَّة ولا جَنِيَّة يكون عند من يراه معلوم .وبعد موت بلدم، تسلم أخوه مقسر، شؤون قبيلة أكلب،

(١) أي طالب الشر . (ابن سدران) .
(٢) من وثائق الشيخ : عبد ربّه بن فَرْحَة الزهراني، رحمه الله، شيخ دوس بني علي سابقًا .(ابن سدران) .
(٣) من وثائق الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن رقوش، شيخ قبيلة بني عامر. (ابن سدران

فزار الشيخ جمعان بن رقوش، في مقره ببلدة بني سار، للسلام عليه وتجديد الحلف الذي جرى بينهما على عهد أخيه، فَأَلْحق في ذيل ورقة الحلف السابق ما نَصُّه : "الحمد لله رب العالمين مات بلدم رحمه الله، ثم بعد مات وصل إليه أخوه مقسر، إلى عند الشيخ جمعان وبني سار، ثم احتمل فيما في باطن هذه الورقة، إنه غرم الشيخ وجماعته بني سار على أكلب إن ما يحصل في بني سار إنه في وجهه، وأنه القَوَّام على ربعه، والشيخ جمعان القَوَّام على ربعه بني عامر . شهد على ذلك ما في باطن الورقة، ومحمد عزب وعبد الله ابن مضحي، كاتب وشاهد، والله كافي . حرر ١٢٦٣هـ"[١] .وفيما يلي حلف تم بين الشيخ علي بن مرضي القفعي، شيخ قبيلة بيضان بزهران وعيضة بن رَدَّة ويمثل بني عبدالله وبالنعيم من قبيلة غامد، على عدم تعدي القبيلتين على بعضهما البعض بضمانة شيخَي القبيلتين : " الحمد لله هذا حلف سار بين علي بن مرضي القفعي، وبين عيضة بن رَدَّة، وأقر عيضة وشرط على نفسه، وأقر إنّ حلفه وقومته على ربعه بني عبدالله وبالنّعيم لام[٢] ، وعلي كذلك شرط على نفسه إنّ حلفه وقومته على أهل بيضان لام، كان ذلك بمشهد الله ثم من عباده : هبسان من بالعلاء، وعلي بن مسفر من بالحَكَم، وكتبه حسن بن علي بتاريخ سنة ١٢٩٨هـ" .

٢ ـ أحلاف مع عشائر وقرى زهرانية :

قد تعقد التحالفات بين عدة قبائل من زهران ضد قبيلة زهرانية ليكون أقوى وأرهب للعدو كما حدث أن عقدت قبائل دوس قاطبة،وقبيلتا بني جُندب وبني بشير، وهما من قبائل بني عُمَر بسراة زهران حلفا بينهم، تضمَّن أربعة أمور رئيسية هي : الأمر الأول : تسهيل تنقل أفراد هذه القبائل في ديار بعضها دون معوِّقات . الأمر الثاني : التَّريث عند وقوع حادثة ما، من أحد أفراد القبائل المتحالفة على أحد الحلفاء، وعدم الخوض في موضوعها إلاَّ بعد مضي ثلاثة أيام من وقوعها، وعندها يكون الجو مناسبا لمناقشتها مع الحليف . الأمر الثالث: نصرة بعضهم ضد عدو يغير على إحدى القبائل المتحالفة .الأمر الرابع: المقاطعة الجماعية من قبل أفراد هذه القبائل المتحالفة لسوق الأطاولة، والتشديد على من يهبطه من أصحاب الدور أو مَن في جوارهم ولعل هذا الحلف هو أقوى حلف دُوِّن بين قبائل عديدة تُعدُّ من أقوى قبائل زهران في العصور المتأخرة، ويتطرَّق لأمور بالغة الخطورة في ذلك العصر، ومن المعلوم أنَّ له أسبابه التي دعت إلى عقده، غير أننا ضربنا صفحًا عن ذكرها، لكون الهدف من إيراد مثل هذه التحالفات إنما هو للاتِّعاظ فقط ولإطِّلاع الأجيال القادمة على ما كانت تعانيه القبائل العربية قاطبة من تناحر في ظل غياب السلطة الحاكمة، وعدم وجود الأمن الذي ننعم به ولله الحمد في هذه الأيام، وفيما يلي نصُّ اتفاقية الحلف[٣]:

---

(١) المصدر السابق . (ابن سدران) .

(٢) قوله : "لام" أي كافة .

(٣) من وثائق الشيخ : عبدالله بن علي الصغيِّر الزهراني، من أهالي قرية الْهَرَّة ببرحرح إحدى قُرى قبيلة دوس بني

" الحمد للّه وحده وصلى اللّه على من لا نبي بعده وبعد : يعلم من يراه، ويفهم من يقراه، لقد اتفقوا الرِّجَال المذكورين الذين هم : دوس من الحفر إلى النَّقْب الاغْبر[١]، بني فهم وبني منهب والرِّجَال المذكورين بني بشير وبني جُندب من المكاتيم إلى آل سَلْمان، ومن أيل الراس إلى آل دُغْمَان وإلى حَدهم مع بني كنانة أيل سرور، اتفقوا الفئتين وارتفقوا على ما يُرضي اللّه ورسوله وعلى حلْف بينهم عهد باللّه العظيم، إنَّا أخوان وعلى ما يُرضي اللّه أعوان، حلْف مؤبَّد من جدٍّ لَولد، ما دام اللّه يُعبد والماء يورد والجبال رُكَّد والناس يُصلُّون علىَ محمد ﷺ، حلف موروث من جدٍّ لولد، الأول مع الأول، والتالي مع التالي حتى يرث اللّه الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين، وإنَّ الحلف على ديارهم ورقابهم ونفوسهم، وحلف من كبارهم وصغارهم وإنَّ جميع بواقصهم[٢]ونواقصهم يستوفونها من ديار الحليفين كلٌّ يستوفي من ديرة حليفه أكبرها الرَّجَّال الرَّقَبَة وأصغرها الْجَفْر[٣]، وإنَّ ذلك شرط بين الحليفين والفئتين المذكورة، ويبقى بينهم الجار والسَّدَّاد والزَّاد، وإنَّ صَكَّة الحين بين الحليفين فيها رُعَة ثلاثة أيام[٤]وإنَّ المتمتِّع بين الحليفين في صَكَّة الحين ما يُدّعَى بوجهه، وإنَّ المتَخَبِّط بين الحليفين شَرَّهُ حُوْبَه، وذلك الحلف عهد باللّه وضمان مسلسبلي[٥].ومن بار عليه اللّه ثار، وعليه ألف عَتَب، وألف هندية[٦].وتضمَّنوا الحليفين وتشارطوا على قَطْع[٧]سوق الأطاولة، وتحافلْنا وتكافلْنا أنَّ مَن يهبطه من دوس، وبني جُندب، وبني بشيرَ، أول مرة عليه عزير عشرة وخروف، وثاني مرة عشرين وخروفين، وثالث مرة عليه مائة وثور، إنْ كان من دوس، وإنْ كان من بني بشير وبني جندب، وشرط الجار بشرط راعي الدَّار[٨]، وشرطوا أن المسابلي من ديرة الحليفين بتجْره (لفتنه[٩]) أو لغيره إلى سوق الأطاولة إنَّ حقَّه مأخوذ ومن (أخذه) لسوقه أو إلى داره أو إلى سوق غير

فهم . (ابن سدران) .

(١) في الوثيقة ؛ نقب الغبر، وهو خطأ إملائي والصواب ما أثبتناه . (ابن سدران) .

(٢) قوله: (بواقصهم ونواقصهم يستوفونها من ديار..) أي إذا تعدَّى أحد الحليفين على الآخر، فإن المعتدي يخضع للحق حتى يستوفي منه حليفه .(ابن سدران) .

(٣) الجفر : صغير الماعز .

(٤) كالضيف، والجار، وعابر السبيل، فهؤلاء ليس لهم دخل فيما يحدث بين الحليفين أثناء وجود أحدهم بينهم. (ابن سدران).

(٥) لم يتضح لي معناها، ولعلها : (دائم) . (ابن سدران)

(٦) قوله : "وألف هندية" أي يُرْمَى بالزنا وكانت هذه الفاحشة كبيرة في المجتمع الزهراني . (ابن سدران).

(٧) قوله ؛ "قطع" أي مقاطعة . (ابن سدران).

(٨) أي أن الجار يدخل في هذه المقاطعة أيضًا، وإنْ كانت القوانين القبلية آنذاك تحميه وتترك له حرية التنقل، إلاَّ أنها لا تجيز له في مثل هذه الحال الخروج على قوانين القبيلة التي هو فيها . (ابن سدران).

(٩) كلمة مبهمة غير أن معناها مع ما قبلها وما بعدها كالآتي : وشرطوا على عابر السبيل من ديرة الحليفين بتجارة إلى سوق الأطاولة إنَّ حقَّه مأخوذ، ومن أخذ المسابلي إلى سوقه أو إلى داره وباع ما لديه في تلك الدار أو إلى سوق غير سوق الأطاولة، فليس لديهم مانع أمَّا إذا أصرَّ على هبوط سوق الأطاولة من ديار الحلفاء، فإنهم يُصادرون ما معه وربَّما لا يسلم من الضرب إنْ سلم القتل (ابن سدران).

سوق الأطاولة فلا نَكْرَه، وشرط الجندبي، والبشيري، على حليفه الدَّوسي، إنْ أصبح اللّه يبليهم عَنيَّة أو جَنيَّة، إنه وفايته في ما يحتاجه فيه، وإنَّ من بار في الشرط والضَّمان إنَّ عليه لازمة وإلاَّ ذبْحَته ولا فيه لا قتل ولا ديَة وإنَّ الحليفين عليه حيال يدٍ واحدة، ضمن على ذلك اللّه، ثم منَ خلقه وعباده من الفئتَين من دوس بني فهم محمد بنٌ مبارك، وسعيد بن إبراهيم، وحسن بن سرحان، وسالم ابن مسفر من السلاطين، وتهامي وعلي بن إبراهيم، وردَّة بن شريفة، ومعجب ومعيض ابن حامد، وعلي بن عبد اللّه، ومساعد وبريقع وعبد اللّه بن يحيى، وعلي بن مسعود، ومحمد بن معيض، وسعدي بن فريخ، وسعيد بن فارعة، وعطية ابن بنان، وعطية بن علي ابن مشْني وخضر بن عطية بن علاَّص، ومحمد بن سالم، وعطية بن فاران، وموسى بن خيبر، وشولة وعبد اللّه بن عطية ومطر بن حسين، وأحمد بن عوضة .ومن بني منهب مشرف بن حكيم، ومفرح بن يحيى، وعطية بن معيض، وخبتي بن سعيد وخبتي بن فُليته، وزايد ومفرح المطلي، ورويد وأبو الكف، وبرتاوي بن سالم، وقذَلَة بن عطية، ودخيل اللّه بن طوير، وسعد بن جار اللّه، وحيدي بن حسحوس، وسعيد الطيَّار، وعبد اللّه بن مسفر،وعبد اللّه الأشول، وسعيد بن عبد اللّه، ومساعد الفار، ومحمد بن سعيد، ومعيوف ومحمد بن موسى بن عيد، وأحمد بن عطية، وعبد اللّه الناصر وخضران بن عطية، وأحمد بن درويش، وعلي بن أحمد، وأحمد الفضلي، وعلي بن محسن، هؤلاء الضمناء والكفلاء من دوس كافة عامة، ضمان موروث من جدٍّ لولد . وضمن من بني جُندب وبني بشير مهراس والشَّواطي، وبخيت بن بخيت، ومُلَهِّي، وأحمد بن عبد الرحيم، وقَصَّاع وسعيد بن أحمد، وعلي بن فرحان، ومحسن بن عائض، ومحمد اليتيم، وبخيت ابن زايد، وعلي القاضي، ومحمد ابن يحيى، وعبد اللّه بن حسين، ومحمد بن صويلح، وعلي بن حسين بن عوضة، وحسن بن شراز، وهَيَّاس بن حسين، وعلي الهجمي، وخضر بن سعيد، وحسن بن مبارك أبو شمال .ومن بني بشير أحمد حَمَاطَان، و(..[1]) ابن معيض، ومحمد بن فريخ، وسعيد القبيسي وعبد اللّه بن بخيت، وعيضة بن معجب، وبخيت بن محمد، ومعيض بن حسن، ومعيض بن يحيى، وعيسى بن حسن، وعوضة بن سالم بن خيران، وصالح بن عوضة، ومجرِّي ابن محمد، ومساعد بن مانع، وزُعْبي بن جمعان، وأحمد بن حثلين، والجهامة، ومنسي .ومن آل محمد: عبدان بن سالم، وحسن ابن صالح، وعلي بن محمد، وحسن بن مسفر وأحمد بن مسعود، وحاسن المعْكاني، ومحمد النويري، وبسيس بن خُرْمان، وسُعَيِّد بن عطية، وحسن ابن حرْبي، ومسفر بن مقيطيف، وعيد بن سالم، ومعيض بن خاطر، وحسين بن سعيد، وسعيد الرُّقباني، وهؤلاء الضمناء والكفلاء على ما في باطن الورقة من الطرفين، وشهد على ذلك اللّه، ثم من خلقه وعباده علي بن قِذَّان، وسعيد بن معيض ومعيض بن عواض، وقماش بن محبوب، وناصر بن بخيت، وعبد

(١) تعذَّر عليَّ ردِّه إلى اسم معروف . (ابن سدران).

الله بن سالم، وحسن بن علي، وعبد الله بن فلاح، ومبارك الغبر، وهؤلاء الشهود من بني كنانة وبني سُليم، وسالم بن محمد القاضي، كتب وشهد وكفى بالله شهيدا بتاريخ يوم الخميس / الجمعة (٢٠/٢١) في شهر رجب سنة (١٢٩٥ هـ). وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .خاتم عبدالله بن فلاح خاتم عطية بن خضران خاتم صالح بن عوضة خاتم محمد بن مبارك خاتم مشرف بن حكيم" .

وقد نلحظ كثرة مثل هذه الأحلاف بين بطون قبيلة زهران زمن الحكم العثماني الذي سيطر على الحجاز وعسير فترة من الزمن، فلجأت بطون قبيلة زهران إلى عقد تحالفات لمواجهة جيوش آل عثمان، التي كانت تباغت القبائل في قراها بين الفينة والفينة، لابتزاز أموالهم وإخضاعهم بقوة السلاح لسلطانهم الجائر(١) .

كما تحالفت قرية بني سار، من قبيلة بني عامر، وقرية القرن، من قبيلة بني حسن، من أجل أن تكونا يدا واحدة في السراء والضراء، وأن تأمن كل قرية حليفتها عند حلول الشدائد، يقول نص الحلف : " بسم الله الرحمن الرحيم يعلم من يراه لقد اتفقوا بني سار وأهل القَرْن بالعهد الوثيق الذي تبيد الأرض وهو ما يبيد على منافع الدنيا، وإن ريعنا واحد على من يلينا، وإن الرقَبَة بالرَّقَبَة والكون بالكون وإنّ مصدارنا واحد، وميرادنا واحد، وإنّ من بار عليه الله ثار، وعليه أرياش الغربان ولباس النسوان، عهد موروث نسل بعد نسل ما دام الله يُعبَد والماء يورد والغراب أسود، وإن كفلاء بني سار (بعد) الله ثم من خلقه من الحجرة .. ومن بني محمد .. ومن أهل القرن .. وكفى بالله وكيلا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وكتبه وأثبته الفقير إلى الله جمعان ابن عيضة، لطف الله بحاله آمين . حرر ذلك يوم الربوع يوم ٥ من شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٣ والسلام"(٢).

حلف قرية الحناديد وقرية العفوص : وهذا حلف قرية الحناديد، من قبيلة بيضان، وقرية العفوص من قبيلة بني حسن، يقول نصه : بعد ذكر البسملة والحمد، والصلاة على رسول الله ﷺ : " .. وهو حلف بالله الكبير المتكبر تبيد الأرض وهو ما يبيد، وهو حلف ماروث لجد بعد جد ولولد بعد ولد، وإنه على جميع الحناديد وعلى جميع العفوص، منشور ما هو بمقصور ما

---

(١) بلاد تهامة والسراة مليئة بالوثائق المحلية غير المنشورة، ونأمل من المؤرخين والباحثين المحليين الجادين أن يسعوا إلى جمع هذا الموروث التاريخي ودراسته دراسة علمية أكاديمية . إما القول أن حكم بني عثمان جائر فهذه عبارات نجدها منشورة في كثير من مؤلفات العرب والمسلمين، وأعتقد أن فيها مبالغة، لأن بني عثمان لهم إيجابيات كثيرة، وبخاصة في البلاد العربية، ومن اهم إيجابياتهم أنهم ضموا بلاد العرب تحت لوائهم، في الوقت الذي كانت تتطلع القوى الفارسية للسيطرة على هذه الأوطان التي تضم كثيراً من مقدسات المسلمين . ومن يدرس ما كتب الغرب وكتب العرب عن تاريخ الدولة العثمانية يجدهم قد تجاوزوا كثيراً في ظلم هذه الدولة الإسلامية وعدم الإنصاف في تدوين تاريخها، وهم جميعاً أجمعوا على وصفها بالظلم والجور وصفات سلبية أخرى كثيرة ولو بحث المؤرخ المنصف في تاريخ هذه الإمبراطورية فإنه سوف يجدها دولة إسلامية عظيمة ولها إيجابيات كثيرة (ابن سدران).

(٢) من وثائق الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله بن رقوش الزهراني، . شيخ قبيلة بني عامر .. (ابن سدران).

دام الغراب غراب، والتراب تراب، حلف لا ينقصه العقاب ولا يفكه الطلاب حلف بالله الواحد القهار ثم إنهم ما أبقوا بين العفوص والحناديد من الفضلات والشدات لا قول يغبر ولا قفير (يقفر) ولا كتاب ينشر ولا قبيل يحضر إلا قول الله ثم قول صالح بن قاسم، وحمد بن محمد بن زبيري، على ما يفق بينهم . ضمن على هذا القول الله ثم رسوله والشيخ موسى بن عيسى ومن بار في هذا القول إن الله ورسوله عليه كفلا وضمنا في من يبور في هذا العهد .. وحسن بن أحمد كتب وشهد والله خير الشاهدين . حرر ذلك يوم الجمعة، في شهر جمادى الأولى، عقب سنة : خمس وستين بعد مائتين والألف من الهجرة النبوية" .

ومن الأحلاف أيضًا التي تمت بين قريتين من قبيلتين من زهران، ما تم بين قرية المصاقير إحدى قُرى قبيلة بني عامر، وقرية خَيْرَة إحدى قُرى قبيلة بني حسن : " الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد ذلك : فليعلم الواقف عليه والناظر إليه لقد وقع مواجه بين أهل خَيْرَة والمَصَاقير، بعد صَدَّروا في ريع رجا، ثم إنهم استحبوا كلهم في لازمة الله الذي أمر الله بها، ثم إن القبيلين المذكورين احتلفوا بالله العظيم، وهو عهدٌ بالله على ما يُرضي الله، وساروا إخوان وعلى دين الله أعوان على أن المصاقير عاهدوا أهل خَيْرَة، على إنَّا يا هؤلاء أحلاف لكم وأولادنا أحلاف لأولادكم نسل بعد نسل، ما دام الله يُعبد والغراب أسود والجبال رُكَّد والماء يورد والملائكة يصلون على محمد، وأنهم عدوٌ لعدوهم وأصدقاء لأصدقائهم، وأنهم احتلفوا حلفا من أيديهم في البر والبحر، إن ما بعضهم يقطع ساقة بعض وإن أهل خيرة معاهدين المَصَاقير بمثل ما أخذوا منهم من عهد الله الوثيق، وإن راعي خيرة حَدَّه على ديرته، من بحرا بيت أبو هَدَلَّس، ومن شاما جرَّ الوادي، ومن رأس حَدَب القَلَت ومن شرق الصَّوَّانَة ومن يمنا قَزَعَة الضَّرْمَا اليمانية، وقزعة شعب القَلَح و الخضيرا و قزعة الزَّنَّا . هذا ما ذكر حدَّ ديرة خيرة، و إنَّ راعي خيرة ضمن لابن مَصْقَر ديرته، لا يَردُ منها قوم عليه ولا يصدر منها، وإنْ ضَدَّتْ ابن مصقر ضَدَّة، إنَّ راعي خيرة مُبْسطٌ ديرته لابن مَصْقَر، وإنَّ ماله محفوظ، ضمن على ذلك الله ثم من خلقه .. هؤلاء ضمناء من أهل خيرة على ما سبق في الورقة وإن المواقذ الذي بينهم من صغار وكبار قد سبقت في شدَّات بينهم وإنْ وقع حادثة عقوبة على ابن مَصْقَر، إنَّ راعي خيرة يشرف عليها إنْ وجده مخطئاً يرده، وإنْ وجد عليه الخطأ فإن كنَّهُ معه على من أخطأ عليه، وإن وقع دُوَاس[١] .عند راعي المصاقير وطاح من راعي خيرة طائح، إنه يحاسب به بن مصقر دونه، والله على ما نقول وكيل .كان ذلك يوم من أيام الله وهو يوم الجمعة أربعة وعشرين في شهر صفر الخير سنة أربع وتسعين بعد الألف والمائتين، وكتبه وشهد به الفقير

---

(١) الدُّوَاس : القتال . (ابن سدران).

إلى الله صالح بن سفر الغامدي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١] .

والنَّصُّ التالي حلف صداقة، وتبادل منافع، بين قرية بني سار العامرية بالسراة، وقبيلة بني سُليم الزهرانيـة القاطنة بتهامة يمثلهـم أعيان آل حبيبة، يقـول النص[٢] .:الحمد لله وحده مشهد كريم بيد بني سار، لقد حضروا أقابيلهم : آل حبيبة الذين هم : أحمد السبروت، وعبد الله بن خشلان، وعبد الله بن حسن، ومرضي بن علي من الرَّحْمَة ... وحضر لحضورهم كبار بني سـار الذين هم : جمعان بن رقوش .. وبعد حضور الجميع من الفئتين تقارروا وتصادقوا بأن بني سار أقابيل آل حبيبة، من رأس نِيْس إلى قَرِيْع الصقور، وآل حبيبة أقابيلهم بني سار على بني سُليم كافة، فليعلم بذلك من يراه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وكل معه على ذلك حجة بيده النطق بالنطق .شهد بذلك عطيفة وعبدالله بن حسن من عويرة، ونمران من ولد الحارث، وراقمه السيد محمد عزب ابن سعد، كاتب وشاهد على مقارر الجميع، والسلام :١٨ج ١٢٨٩هـ" .

الأحلاف التي تتم بين قرية من قبيلة من زهران وقبيلة من خارج زهران .وهذا حلف بين قرية بني سـار التابعة لقبيلة بني عامر، وقبيلـة الزُّهْرَان من غامد، يدلنا هذا النص على أن قُرَى القبيلة لها الحرية في عقد الأحلاف مع من تشـاء إذا رأت في ذلك مصـلحة لهـا، دون الرجـوع إلى شـيخ القبيلـة، يقول النص : " الحمد لله وصـلى الله على سـيدنا محمد، وعلى آله وصـحبه وسـلم، لقد تحاضروا بني سـار والزُّهْرَان صغيرهم وكبيرهم، وبعد حضـورهم اتفقوا وارتفقوا على ما يرضـي الله، سـبحانه وتعالى، وتعاهدوا وتواثقوا بـالله العظيم إنهم إخوان وعلى الدين أعوان شـركاء في الديرة من أعلاها إلى أسـفلها، وإنهم واحد في زحفات العشـائر في الديرة إنْ حصـلت في أعلى الديرة عند اليساري يفزع له، وإنْ حصـلت في أسـفلها عند الزهيري، إنّ اليسـاري يفزع له، وإنّ السـارق والبيَّاع[٣] إنْ كان مـن الزهـيري وإنْ كان من اليسـاري، نَظَرَه عند أربعة الزُّهْران وأربعة بني سـار، وإن البيّـاع مـن الزهـران أو من بني سـار إنّ مـا فيه إلاّ يُكسـر رأسـه وإلاّ يؤخذ منه دية شرعية، هذا الذي يبتاع الرجال، وإنّ اليساري القَوَّام على ما يحدث من طرفه والزهيري وفايته، والزهيري القوّام على ما يحدث من طرفه واليسـاري وفايته، وإنّ سوق الرُّوْمي إنّ الزهيري يؤمِّن أسباله ويهبطه، وإنّ السوق لليساري والزهيري، وما يحدث فيه إنّه في وجوه المذكورين في عقوده المعروفة، وإنّ القافلة والجَلَب وجميع المصالح ما تُرَدُّ عنه لسوق غيره، ومن عدلها إلى سـوق غيره أو كسـبها، أو ردها قفاها، إنّ بني سار والزهران القوّامَة عليه،

(١) من وثائق الشيخ : عيضة بن محمد بن فرير الزهراني، من قرية المَصَاقِيْر، رحمه الله. (ابن سدران).

(٢) من وثائق الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن رقوش الزهراني، شيخ قبيلة بني عامر . (ابن سدران).

(٣) قولـه : البَيَّـاع" مصـطلح بين القبائل يقصـد به مـن يبتاع الرجـال، أي يسـلمهم بطريقة الخيانة إلى الخصـم للتخلص منهم . فكأنه باعهم .. (ابن سدران).

وإنّ الرَّفَق[١] بين اليساري والزهيري مقطوع ما يؤخذ لا من الشرق، ولا من الحجاز، ضمن على ذلك اللّه سبحانه وتعالى وكفى، ثم من الزهران من أهل الشام .. وضمن من بني سار .. وضمن على ضمانهم وكفالهم الشيخ : راشد بن جمعان، وشهد على اتفاق الزهران،وبني سار وضمان الضمناء منهم الشيخ محمد بن صالح من بالخزمر، وأحمد بن مرضي من بالخزمر وخرشان من بني كنانة .. وكتبه وشهد بجميع ما فيه خادم الشرع الشريف أحمد بن عائض، سامحه اللّه ووالديه ومشائخه، .. تاريخ ثلاثة وعشرين يومًا من شهر الحجة سنة (١٣٠٨هـ)، وشهد بذلك أيضًا السيد محمد عزب بن سعد، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وقد جعلنا بيد الزهيري شَدَّة وبيد اليساري مثلها " .

ومثل ما سبق، فهذا حلف معقود بين بيت من الأطاولة عن قبيلة قريش، وبيت من قبيلة بني جُندب يضمن كافة بني جُندب: "الحمد للّه وحده وصلى اللّه على من لا نبي بعده، وبعد ذلك : إن هذا ما اتفقوا عليه القينان والزرعان تسلمة بينهما، الزرعان سالموا ابن قينان ومن يجر غصنه معه من الأطاولة، وابن قينان سالم الزرعان ومن يجر غصنهم من بني جندب معهم، هذا ما تقاروا عليه في مقعد القر والقرار : ابن قينان سالمهم لو كان يُذبح من الأطاولة عشرة، والزرعان سالموا القينان ومن يجر غصنهم لو كان يًذبح من بنى جندب عشرة .هذا ما اتفقوا عليه، شهد على ذلك اللّه، ثم من خلقه : يحيى بن معيض ابن مساوا، ومسفر بن شهوان بن سعيدان، وأحمد بن يحيى، من أهل المندق، و كتب وأثبت مُرَيِّع ابن محمد، واللّه خير الشاهدين . قدر ذلك اليوم الاثنين سبعة وعشرون في شهر رجب ألف ومائتين واثني عشر . وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله"[٢].

وقد تفوض القرية أحد أعيانها، ليتولى عقد حلف مع قبيلة أو قرية في طريق حجهم أو تجارتهم حيث فوضت قبيلة قريش : عطية بن قفيص، أحد أعيان بلدة الأطاولة، ليعقد حلفا مع جمعان بن جريس، أحد أعيان الشواحطة من قبيلة بالحارث، على رعاية منافع رجال القريتين يقول النص[٣].:" الحمد للّه وحده أما بعد ؛ فإذا علم ذلك لقد تحالف عطية بن قفيص، من الأطاولة، وجمعان بن جريس من الشواحطة، وذلك الحلف باللّه العظيم،

---

(١) الرَّفَق (الخفير): المراد به الرجل الذي يصاحب الأجنبي ليمرره من الديرة . ولهذا الفعل أَصْلٌ عند العرب، فلقد أورد ابن هشام في سيرته : (١/ ١٨٤) "أَنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، أَجَارَ لَطِيمَةً للنُّعْمانِ ابْنِ الْمُنْذِر، فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاضُ بْنُ قَيْسٍ، أَحَدُ بَنِي ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ : أَتُجِيرُهَا عَلَى كِنَانَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ، وَعَلَى الْخَلْقِ (كُلِّه) . فَخَرَجَ فِيهَا عُرْوَةُ الرَّحَّالُ وَخَرَجَ الْبَرَّاضُ يَطْلُبُ غَفْلَتَهُ، حَتَّى إذَا كَانَ بِتَيْمَنَ ذِي طِلَالٍ بِالْعَالِيَةِ، غَفَلَ عُرْوَةُ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْبَرَّاضُ فَقَتَلَهُ فِى الشَّهْرِ الْحَرَامِ" . وفي كتاب : الكامل في التاريخ (١/ ٥٢٩) فَاسْتَاقَ الْبَرَّاضُ الْعِيرَ وَسَارَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى خَيْبَرَ.. " . قال الشاعر أعشى تغلب في كتاب : الصبح المنير في شعر أبي بصير ٣٤٤ :لا يجوزنّ أرضنا مُضَرِيٌّ ××× بخفيرٍ ولا بغير خفير (ابن سدران).

(٢) من وثائق الأستاذ : عبد اللّه بن جابر الزهراني، من الأطاولة . (ابن سدران).

(٣) من وثائق عبداللّه بن بلاَّع البرود، من الأطاولة، رحمه اللّه . (ابن سدران).

حلف (موروث) على جميع المنافع في الزمان حلف (موروث) لولد بعد ولد ما تناسلوا بطن بعد بطن وولد بعد ولد، على جميع المثاور وكنّ عطية بن قفيص، منْزاع ما عند الأطاولة من بواخص للشواحطة من جميع ما يكن، وكنّ جمعان بن جريس، منْزاع ما يكن عند الشواحطة للأطاولة، من جميع المثاورة، وكنّ ذلك الحلف على جميع المنافع في الزمان . شهد على ذلك الله ورسوله ثم من خلقه غيلان الوريدي، والله خير الشاهدين، وصلى الله على محمد .

وهذا حلف بين قرية بني سار من قبيلة بني عامر من زهران، والجنبة من أُكْلُب من قبيلة خثعم، ينص على حرية تنقل الأفراد في ديار القبيلتين، فمن أراد من بني سار وهم يمثلون زهران عموما، السير عبر ديار خثعم إلى أبها فلا يعترضه أحد، ومن أراد من الجنبة وهم يمثلون كافة خثعم، السير عبر ديار زهران في طريقه إلى مكة المكرمة للحج أو العمرة أو التجارة، فهو آمن في ذهابه وإيابه، وأول هذه الاتفاقيات أبْرمت بين كبير بني سار، ويُدعى سالم بن مسفر، واثنين من كبار الجنبة هما: حمد بن عثمان وحرمل بن بطّاح، وتنص على حماية الأموال من السلب والأنفس من القتل وتشمل إلى جانب حماية أفراد القبيلتين حماية مَن في ديارهما أيضًا كالقطير وهو الجار والرفيق في سفر، أو صاحب تجارة أو صناعة، تقول الوثيقة : " بسم الله الرحمن الرحيم يعلم من يراه منّ المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : " يكون عندكم معلوم لقد تعامل سالم بن مسفر، من بني سار، وحمد بن عثمان، وحرمل بن بطّاح من الجنبة من أكلب، بالله الذي لا إله إلاّ هو ما دام الماء يورد، والغراب أسود، ما نشا نسل بعد نسل، عمّلة على المال والفعول، عملة حمد بن عثمان، وحرمل بن بطاح، على الجنبة والمنيع والمزايدة والشّنفة والبالشنين والعطاوين والجبرة، وكافة بني عامر، وسالم بن مسفر، على الحمَدَة والرفاعة والفلاح والعصيف والخميسة والحاتم وآل صادع والحجرة وكافة بني سار، عملة موروثة ما دام الله يُعبد، والغراب أسود، وأن العملة على القطير ورفيق الجنب . شهد على ذلك الله، ثم من خلقه سعيد ابن دخيل الله من آل زياد، ومبارك بن سعيد من بني قيس، كان تاريخه : يوم سبعة عشر من شهر شعبان سنة (١٢٣٩هـ) . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١] .

ومن الأحلاف التي تمت بين قريتين من قُرى القبيلة الواحدة من قبائل زهران، ما تم بين قرية الحِصنَة، وقرية بني سار، وكلاهما من قُرى قبيلة بني عامر بالسراة، وذلك لتوثيق الروابطَ بينَهما وإنْ كانتا من قبيلة واحدة، ونصه : " الحمد لله وحده أمَّا بعد : لقد وقع بين الحِصنة وبني سار، أُخُوَّة وحِلْف من عهد الجدود، وكان سدران عريفة بني سار في الحصنَة، وقضى الله عليه هو وعياله، وقام بها مسفر بن مصلح، وسار فيما سار فيه سدران، هو ومن يليه ولد بعد ولد .شهد على ذلك الله، ثم من خلقه .. بحضرة الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش .. والله خير الشاهدين .حرر ذلك يوم الخميس تسعة وعشرين

---

(١) من وثائق الشيخ : عبدالعزيز بن عبد الله بن رقوش الزهراني، شيخ قبيلة بني عامر . (ابن سدران).

من شهر عاشور سنة " ١٢٨١ هـ" وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١].

وفيما يلي شدة (اتفاقية) عُقدت بين الْحَنَش من أهالي شدا بتهامة، وبني عويف من الدارين القاطنين بجبال بيضان بالسراة، وكلتا القريتين من قُرَى قبيلة بيضان، الأولى من تهامة والثانية من السراة تنصُّ على أنهما يحتملان قتلى بعضهما، ولا يمنع حليف حليفه من استخدام دياره إذا احتاج المرور منها، حتى ينتصر لقتلاه من قبيلة أو قرية أجنبية، يقول النص[٢]: " الحمد للّه وحده وبعد: فهذا ما اتفقوا عليه بني عُوَيْف، والْحَنَش، طلب العويفي من ابن الحنش الْحُمْلَة في رِيْعَه، وحَمَل ابن الحنش برقبة العويف في الحصن والرِّيْع أنَّه الأوَّل (وإلاَّ ابن الحنش الأعْقَب) حُمْلَه عليها اللّه ورسوله، وكفلها من الحنش عليها... وأنَّه ما يُغَلِّق ابن الحنش الريع وعاد مَقْذَى بندقة، شهد على ذلك اللّه (ثم) رسوله ومن خلقه .. وكتبه وأثبته عطيَّة بن عيسى، حُرر ذلك نهار الأربعاء خمسة عشر يوما في شهر جماد أوَّله سنة (١١١٢ هـ).

وقد تعقد القبائل أو القرى المتجاورة أو المتباعدة (المتناحرة أو المتصالحة) ما يُسمَّى "الذِّمَّة" أي هدنة مطلقة أو مقيدة، للسماح لتلك القبيلة أو القرية الموتورة - وإن كانت معادية- بأخذ ثأرها من واتريها في أي وقت، فتفتح ديارها كي تمر عبرها متى ما أرادت إن كانت مطلقة، أو في زمن محدد إن كانت لغرض معين، دون أخذ إذن مسبق كما فعلت قريتا بني هُريرة، وأهل الدَّارَيْن، كلاهما من قبيلة بيضان، في هذا النص المكتوب بينهما، الذي ورد فيه الاتفاق على العبورِ من ديرة القريتين، في ليل أو نهار: " الحمد للّه وحده يعلم من يراه إن هذا ما اتفقوا عليه، في ذمَّة عامَّة تامَّة ليل ونهار سر وجهار، ذمّة آمنة ضامنة بين بني هريرة، وأهل الدارين، والضَمناء اللّه أوّل ما يكون، ثم في وجوه الأقابيل .. وشهد على ذلك اللّه رب العالمين، (ثم) من خلقه .. واللّه خير الشاهدين رقم ذلك الخط يوم الجمعة، سادي عشر من شهر رجب، سنة ثلاث وأربعين بعد ألف ومائتين . وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم يا كريم . ثم كُتب في نهاية الورقة: ما يلي "وإنها - أي الذمة - من سادي عشر في شهر رجب إلى بَيَاح رمَضان..."[٣].

قد يعقد الحلف بين أبناء القرية الواحدة لتلافي المشاكل التي تحدث بين أبناء القرية الذين تربطهم صلة قرابة، وضرورة إيجاد حلول لها في جو من الطمأنينة، وأنهم يد واحدة على من يخالفهم، ومن شذ منهم وسلك غير طريقهم، فهو وحده يتحمل نتيجة شذوذه ولا دخل لهم فيه، وفيما يلي حلف عُقِد بين أبناء قرية بني سار، التابعة لقبيلة بني عامر، يقول

---

(١) من وثائق الشيخ: عبد العزيز بن عبد اللّه بن رقوش الزهراني، شيخ قبيلة بني عامر. (ابن سدران).

(٢) من وثائق الأستاذ: إبراهيم بن عبداللّه بن حناس الزهراني، من قرية الدارين. (ابن سدران).

(٣) قوله: "بَيَاح رمضان" نهاية شهر رمضان. من وثائق الأستاذ: عبد الرحمن بن خميس القِفْعِي الزهراني، يرحمه اللّه، من قرية قُرَّى. (ابن سدران).

نصـه : " الحمد للّه وحده وصلى اللّه على من لا نبي بعده وبعد : هذا الذي اتفقوا عليه بني سار، من علو الوادي إلى أسفله في ما يرد عليهم من بوالي الزمان متقدمة وإلاّ متأخرة، إنهم واحد يكون إنسان يتبلّى الناس، إنها من قرنه إلى قدمه، أكبرها الرجال، وأصغرها الشاة، وإنّ من يبلى إما طرف حقه وإلاّ في الفيض وإلاّ في سابلة السوق، وإلاّ عند عنيَّة وإلاّ جنيبيَّة وإلا عند ضيفة وإلاّ عند جاره إنهم واحد عن اثنين، وإن من تشهوى شهوة ما حضروا عليه بني سار إنها حوب راعيها من قرنه إلى قدمه، وإنهم حيال يد واحدة على من يلتوي على الصَّدَّة، وضمن على ذلك اللّه، ثم رسوله ثم من الحجرة .. ومن بني محمد .. ومن الرُّومي .. ومن الرُّبّيان .. ومن المَصْرَخ .. وأنا حسن بن شراز العماري، كاتب وشاهد، واللّه خير الشاهدين .حرر ذلك يوم الربوع (الأربعاء) يوم تسعة وعشرين في الفطر التالي في سنة تسع وثلاثين بعد المائتين والألف، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم يا كريم"[١] .

كما أن هناك حلفًا يُسمى : "الصُّحْبَة" وهو عهد يُعقد بين أهل القرية الواحدة، ويرونه أقوى من الحلف، وقد عقد بين أهالي قرية القهاد إحدى قُرى قبيلة قريش بسراة زهران، ونصه[٢]. "الحمد للّه وحده .وصلى اللّه على من لا نبي بعده وبعد ذلك لقد اصطحبوا آل جُدُّوع من بيت آل مبارك إلى دار القَهَاد على أنهم واحد، واللّه واحد، صُحبة وعُرْبة على ما يرضي اللّه ورسوله، ثم إنهم تضامنَوا بينهم، ضمن عليهم اللّه، ثم من آل مبارك محمد بن سعيد، ومن الحامد أحمد بن علي، والسلطان سعيد الموت، وولده سويلم، ومن القروف جدوع، ومن العجلان شُلَيَّة، صُحبة أكبرها الرقبة وأصغرها العصا[٣]، ومن يخرج من رشد رفاقته أو يسرق حق الناس ويمد يده ويحصل عليه حادثة إنها بنظر الرفاقة، وأنهم إلى حصل بين أحد منهم زُعْمَة (خصَام) أو هَوْشَة، إن الواحد ما يحْشم[٤].لولده ولا (أخوه) ولا واحد يقرب له، ومن فزع لولده وأخيه إن الرفاقة عليه من رأس واحد والمخطئ يقومون عليه حيال يدٍ واحدة" .

قُلْتُ : هذه الصحبة تحتِّم عليهم الشراكة في كل شيء يقع على أحدهم، حتى إذا مات الميت حتف أنفه، في بيت من بيوت المصطحبين فإنهم يقومون باقتسام ديته، وما يخسر عليه مَن مات في بيته يقول نصٌّ كتب بين أفراد حَيٍّ اسمه حي : "البَقْعَاء" من الأطاولة[٥]:" الحمد للّه وحده" إنّ هذا ما اتفقوا عليه البقعاء في صحبة بينهم، ثم إنهم مثَّلوا إن الجار وإلاّ الضيف إذا مات في بيت واحد منهم، إنّ ما يخسر عليه أنهم فيه واحد، بنظر الرُّشَدَاء منهم، وإنهم عند المُبْلَى واحد، صح ذلك، شهد على ذلك .. وأبو الخير بن يحيى كاتب وكفى باللّه شهيدا .حرر ذلك يوم الجمعة في شهر ذي القعدة سنة (١٢٦١هـ)، مصليًا على محمد ﷺ .

---

(١) من وثائق الشيخ : عبد العزيز بن عبداللّه بن رقوش الزهراني، شيخ قبيلة بني عامر . (ابن سدران)

(٢) من وثائق الأستاذ : محمد بن سعيد بن عواض الزهراني، من القهاد . (ابن سدران) .

(٣) أي أكبرها القتل وأصغرها الضرب بالعصا .(ابن سدران) .

(٤) قوله ؛ يحشم أي ينحاز .(ابن سدران) .

(٥) من وثائق : محمد بن صالح السَّاهر الزهراني، عريفة بلدة الأطاولة سابقًا، رحمه اللّه .(ابن سدران) .

وقد يُعقد حلف الصحبة بين قريتين متجاورتين من قبيلتين زهرانيتين، ومن لم يلتزم بها من أحد أفراد القريتين، فإنه يطرد من قريته، ولا يحق له الانتفاع بشيء من ديرتي القريتين المصطحبتين، ويفرضان عليه قيودا قاسية، ويظل طريدًا إلى أن يرجع إلى الصحبة، يقول نصُّ عَقْد صُحبة بين قرية الْحُمُرَة من قبيلة بني كنَانَة، وقرية الْحَطَاوِرَة من قبيلة بني حُرَير[1] ،والقبيلتان متجاورتان : " الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وبعد : يعلم من يراه من المسلمين وولاة أمور الدين، وهذا ما اتفقوا عليه الرجاجيل المذكورين الذين هم: الْحُمُرَة، وقبيلهم ابن الْحَطَوَر، بأسباب ما حصل من الدَّبَّاغ في ديرة محوطة بين القبيلين، ثم إنه شَرَد بصحبته عن الحمرة، ثم إنّ الحمرة شكوا على قبيلهم وركزوا عليه يطلبونه الصحبة "التي" مضت بينهم وبين أهله، (وطرحوا) الحمرة عَلَقَهُم فيما يدّعي به عندهم، وأبى من العَلَق وأبى على الصحبة، ومن يم البيت الذي بَوَّثَه[2] ،صالح قبلَه وقرعوه الحمرة عنه ثم "إنه" قُرِع وزاد استباثه سعد، وقرعوا عليه وأبى ينقرع عنه، حيث أنه في قصبة مربوعة مرفوعةَ بين قبيلين، والباثَة فيه تُسْتَنْكَر، ثم إنهم اتفقوا على إخراجه حيث أنه أبى على الصحبة، واتفقوا على أنّ مَيِّتَه ما يحضرونه، وإنّ ثوره إلى طاح في البئر ما يطلعونه، ثم إنهم قَرَعُوه عن ديارهم أكبرها البيت ما يُبْنَى وأصغرها المسواك إنّ ما فيه إلاّ عزير إنّ أخذه من ديرة ابن الحطور أو ديرة ابن الحمير، إلاّ أنّ يعود للصحبة ويلهي من البَاثَة التي تحدث بالفتنة وهذا ما اتفقوا عليه الرجاجيل المذكورين الذين هم من الحطاورة .. هؤلاء من الحطاورة والدَّعَبَة، ومن الحمرة ...، وشهد على ضمانهم ومقعدهم وشدّتَهم اللّه وكفى، ثم من خلقه .. وصالح بن أحمد كاتب وشاهد واللّه خير الشاهدين . حرر ذلك يوم الجمعة، في شهر شعبان على أحد عشر يوم في سنة أربع وسبعين بعد الألف والمائتين، على صاحبها محمد أفضل الصلاة والسلام .

والأحلاف : بطن من زهران في تهامة فيه أربعة أفخاذ : وهم : بَلَّلعْوَر (بنو الأعور)، بنو نقمة، بنو خريض، وباللّسْوَد (بنو الأسود) . ذكرهم فؤاد حمزة في كتابه:(قلب جزيرة العرب ص ١٥٤) .هذا ما تيسر لنا عرضه بإيجاز عن الأحلاف التي عقدت بين قبيلة زهران وبعض القبائل العربية الأخرى، وما تم عقده أيضا بين قبائل وقرى القبيلة نفسها منذ القدم، وصلى اللّه على سيدنا محمد بن عبداللّه وعلى آله وصحبه وسلم .في : (١٤٣٧/٣/١٧ هـ) .علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني[3] .

---

(١) من وثائق : سعدي بن حسن بن راشد الزهراني، عريفة قرية الدَّعَبَة .(ابن سدران) .

(٢) بَوَّثَه : أحدثه .ابن سدران) .

(٣) أشكرك أيها الأستاذ الزهراني (علي بن سدران) على هذه الوثائق الجديدة وغير المنشورة، والتي أوردتها في هذا المحور، ونأمل منك ومن أمثالك في بلاد غامد وزهران أن تضاعفوا جهودكم في جمع وثائق بلادكم المحلية ثم دراستها وتحقيقها، وإن قمتم بهذا العمل فإنكم سوف تقدمون لمعاشر المؤرخين والباحثين مادة علمية قيمة وجديدة . وأقول إن بلادنا (تهامة والسراة) مليئة بالموروث التاريخي الحضاري الذي يعكس صوراً من تاريخ حياة الآباء والأجداد الذين عاشوا في هذه الديار منذ عصور ما قبل الإسلام حتى العصور الحديثة والمعاصرة (ابن جريس) .

الدراسة السابعة

تنبيهات حول
تاريخ منطقة الباحة

بقلم : د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ - ق١٠هـ / ق٧ - ق١٦م) (الجزء الثاني)
ط١ (٣١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠ - ٢٠١١م)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ١٩١ - ٢٥٠

الدراسة السابعة: تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة[١]، بقلم: د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي[٢].

(١) هذه الدراسة زودنا بها الدكتور / جمعان بن عبد الكريم الغامدي بناء على طلبنا ورغبتنا في نشرها ضمن إحدى مؤلفاتنا التي تتحدث عن تاريخ وحضارة جنوب البلاد السعودية. وقد زودنا مشكورا بهذه الدراسة، وبخطاب بخط يده في تاريخ (١٤٢٧/١٢/١٥هـ) يخولنا بنشرها، ونحن ننشرها، كما وعدناه، في هذا المجلد الذي بين أيدينا.

(٢) الدكتور / جمعان الغامدي من مواليد الرياض عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، تلقى تعليمه في المراحل التعليمية الأولى بمدينة الباحة. حصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة الامام محمد بن سعود – فرع أبها عام (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، وعلى درجة الماجستير عام (١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م)، ثم الدكتوراة من جامعة الملك سعود، كلية الآداب، عام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م). له بعض الدراسات المنشورة مثل: (١) لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي. (٢) إشكالات النص المداخلة أنموذجاً.

أولاً : مقدمة :

لابد في مفتتح هذه التنبيهات من التذكير بأمر جد مهم يتمثل في أن الكتابات التأريخية التي كانت تؤرخ للمنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية فيما بين الحجاز شمالا واليمن جنوباً وتسمى في الكتب القديمة " **السروات** " لم تتوافر فيها دراسات تأريخية مستقلة إلا في العصر الحديث، ويلحظ على أغلب تلك الدراسات التي تناولت هذا الجزء أن التناول لها كان تناولا عرضيا، ناهيك عن الفقر الشديد في المعلومات حول تأريخها، ولم يكن في مجمله تأريخاً صحيحاً ودقيقاً لإنسان السروات ولأحداثه هو، وموقفه مما يحيط به من أحداث تأريخية بصفة المشارك الفاعل لا المشارك السلبي الهامشي . ولا يكاد الناظر في هذا الأمر يستثني حتى الكتب المؤلفة حديثاً .

إن المؤمل في أساتذة التأريخ لهذا الجزء وخصوصا منطقة الباحة أن يدركوا خطر الناحية الإبستمولوجية التأسيسية حينما يقومون بتأريخ هذا الجزء المهم وأن تكون كتابتهم التأريخية تمثل وجهة نظر ساكن السراة الحقيقية مهما كانت سواء أكانت منقصة أم محمدة ، مفخرة أم مثلبة، فالتأريخ دروس للحاضر كي يبنى بها المستقبل بناء أحكم وأقوم .

أما طبيعة هذه التنبيهات فلاداعي فيها لاستعراض كل ما ورد في الكتب القديمة أو الحديثة ؛ فذلك مبسوط في مظانه ولكن هذه التنبيهات تقف عند بعض الأحداث أو الاختلافات أو الأمور التي كانت مهمشة أو منسية أو الأمور التي لي فيها رأي خاص اعتمدت فيه على مقارناتي بين الكتب القديمة وعلى بعض المخطوطات المصورة لدي، وعلى روايات شفهية، ومشاهدات،وزيارات وصور لبعض الأماكن التي اندثر بعضها، وخُرب بعضها الآخر .

ثانياً : تنبيهات حول التأريخ القديم :

١- تسمية المكان :

تعد تسمية الباحة بهذا الاسم تسمية حديثة، وكانت تسمى في التقسيم الإداري للمملكة العربية السعودية بمنطقة " **بلاد غامد وزهران** " نسبة للقبليتين اللتين تسكنان معظم أرجاء المنطقة . والباحة كانت قرية صغيرة تقع في الطرف الشمالي لقبيلة غامد ولاتبعد عن قبيلة زهران سوى عشرة أكيال وهي تعود لقبيلة بني عبدالله من غامد وقد كانت المنطقة إدارياً مقسومة في البداية بين بيشة والطائف فلما استقلت كانت الإمارة في الظفير وكادت تنقل إلى بلجرشي . ولكن موقع الباحة المتوسط جعلها أفضل الأماكن بعد أن خرج مقر الحكم السعودي من الظفير وليست أسباب هذا الخروج من الظفير (التي

يقال : إنها كانت مقرا لحكام آل عائض فترة قصيرة) معروفة على وجه الدقة ؛ فالظفير والباحة متجاورتان وهما لبني عبدالله وقد أصبحت الظفير حياً من أحياء الباحة الآن وإن كان اسم المنطقة في بعض الخرائط الجغرافية القديمة مايزال بمسمى الظفير .

وقد كادت المنطقة تسمى برغدان لو انتقل مقر الحكم إليها ولكن أهالي رغدان كما يقال في الروايات المتناقلة رفضوا ذلك على الرغم من أن رغدان كانت مقراً للحكم التركي للمنطقة وفيها كانت نهايته . ولشهرة رغدان في بعض الوثائق التأرخية وبعض الكتب كانت تضاف إليها الباحة فيقال " **باحة رغدان** " وهذا غير صحيح فرغدان قرية كبيرة جداً وتتبع قبيلة بني خثيم وكان فيها أكبر سوق من أسواق المنطقة الأسبوعية وكانت مقراً للأتراك و الأشراف والأدارسة في حكمهم للمنطقة .

أما أسباب رفض الأهالي وجود المقرات الحكومية في رغدان وربما في غيرها من القرى فيعود إلى ما كان يمارسه بعض الأفراد التابعين للحكم من ظلم وتطاول على الناس وعلى حقوقهم إضافة إلى طبيعة الحكم المتسلطة التي كانت تخوف الناس وترهبهم كوسيلة لضمان بقاء ولائهم في الأزمنة الماضية ، ولفظ " **الباحة** " ليس موجوداً في كتب المعاجم الجغرافية واللغوية فلا تكاد تذكر أنها اسم لموضع، ومع ذلك فهناك باحة ربيعة في بلاد عسير، وهناك الباحة لموضع في اليمن، وعلى ذلك فيمكن أن يكون الاسم قديما اجتلبه معهم الأزد من موطنهم في اليمن كما اجتلبوا أسماء بعض المواضع الأخرى كجبل أثرب، وكقرية الطويلة . أو أن الباحة اسم اشتق للبلدة من طبيعة المكان ، ولكن الروايات الشفهية التي ترد أصول سكان قرية الباحة إلى بني سِيِّد بكسر السين وإسكان الياء في روضتهم المشهورة بروضة بني سيد بعد إجلائهم منها هم وبعض القرى الأخرى وهي " مسب، وجدرة، ودار الرمادة، والحمران " تدل على أنهم لم يسكنوها إلا متأخرين إذ من المرجح أن وقعة روضة بني سيد متأخرة الزمن لا كما يذهب الأستاذ السلوك أنها في القرن السادس الهجري، فهو لم يذكر دليلاً على كلامه، ولكن اشتهار الأمر عند العامة وكون القبائل المشاركة في الوقعة مازالت بأسمائها الحديثة التي لم تكن في سلسلة النسب القديمة، وأسباب الوقعة ومادار فيها من قصص يدل على جدتها ؛ ولذلك فهي ربما وقعت في القرن العاشر أو أواخر القرن التاسع الميلادي .

فهل كان هذا الاسم موجودا أو هم استحدثوه، أوهل كان الموقع لقبيلة أخرى فطردت من هذا الموضع لا أحد يدري على وجه التحديد ، ومن الملفت للنظر أن موقع الباحة قديم جديد كموقع سكني فقد وجدتُ في جبل الباهر المطل على الباحة وتحديدا في جبل " غيب " نقوشا ثمودية قديمة قامت البلدية بجرف أكثر معالمها حيث وزعتها في المخطط السكني في الجبل ويظهر أن البقية ستجرف وقد قمت بتصويرها جميعاً ، وهذا الأمر ينطبق على

بعض الأماكن القريبة جدا من الباحة كموقع سفح الكتاب في الغمدة وكموقع المفارجة إذ تعرضا للتخريب من البلدية أيضاً ، ولأجل ما استحدث من شوارع في مدينة الباحة وأسواق فقد اختفت القرية القديمة بجميع معالمها . وهي القرية الوحيدة التي اختفت بهذه الطريقة في المنطقة وذلك يدل على جهل القائمين على التخطيط للمدينة في تلك الفترة .

والباحة هي إحدى القرى التي تم إحراقها في إحدى الغارات عليها من قبل الأطراف المتنافسة على حكم المنطقة كما أخبرتني بذلك جدتي لأمي وهي من قرية الحبشي، وقد تأكدت من صحة معلومتها حينما طالعت تأريخ المنصوري إذ ذكر ذلك في حوادث سنة (١٢٤٩ هـ) وكان الذي أحرقها الشريف محمد بن عون بعد أن قتل أهل غامد من المغاربة " المصريين " ثلاثين وغنموا خمسين من خيولهم .

ويجب أن يكون من المعلوم أن منطقة الباحة لما حدث من تنازع سياسي حولها بين الأشراف وآل عائض وقبلهم الأتراك ثم آل سعود كانت تمثل مفتاحاً لكل المنطقة الجنوبية فضلا عن كونها مركزاً تموينياً لمكة منذ القدم كما حكى ذلك ابن بطوطة وابن جبير وهي إلى الحجاز أقرب وأهلها أكثر اتصالا بمكة من بقية أجزاء المنطقة الجنوبية ولهم في الطائف ومكة حضور بارز وكان يطلق على واحدهم "حجازي " امتدادا للتسمية القديمة التي تسمي جبال السروات " حجازاً " وهذا يذكرنا بأن هذه المنطقة قد اختصت باسم قديم يميزها عن باقي جبال السراوات وهو " الحجاز الأسود " إما لسواد حراتها الشرقية أو لشدة خضرة غاباتها في الجهة الغربية .

٢ـ آثار منطقة الباحة :

لقد أهملت آثار المنطقة إهمالا مؤسفاً مما دفعني إلى القيام بالبحث في هذا الأمر واستمر بحثي مدة جاوزت ثمان سنوات، وقد قمت بتسليم الدكتور غيثان بن علي بن جريس جزءا من ذلك البحث، ولن أستعرض ما فيه جميعا لكن بعض المعلومات المهمة يجب الإشارة إليها إضافة إلى أن بعض المعلومات قد جدت لدي بعد كتابتي لذلك البحث .

أ - يظهر من نقوش سفح الكتاب والباهر أن سكنى منطقة الشفا من الجبال قديمة قدم التأريخ، وليس كما يتوهم البعض بأن سكنى المنطقة العالية من الجبال حديثة نسبياً وأنها كانت غابات وأدغالاً موحشة، بل يبدو أن الصلات بين أسفل هذه الجبال من جهة تهامة " الأصدار " والجبال كانت قديمة أيضاً يدل على ذلك نقوش قرية الحنجور التي قمت باكتشافها وقد سجلها بعضهم فيما بعد في بعض الكتب المصورة عن المنطقة باسم نقش في ذي عين وهذا خطأ، كما أن بعض الجبال المحيطة بالحنجور كما أخبرني أحد كبار السن من الحنجور فيها بعض النقوش والحنجور قريبة من شفا الغمدة .

وعلى ذلك فربما كانت معظم هذه القرى الحجرية القديمة البناء في أغلب قرى غامد وزهران من قبل الإسلام . ويحتاج الأمر إلى فحص آثاري دقيق لمعرفة تأريخها وهذا ما لم تقم به الجهة المسؤولة عن الآثار حتى الآن .

ب - نظرية كمال الصليبي حول سكن اليهود في هذه المنطقة، ثم زياد منى في كتابه: جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير ، ومن بعدهما أحمد داود في كتابه :العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، الذي ركز النظرية في منطقة الباحة . ولم يكتب إلى هذه اللحظة بحث علمي يناقش هذه النظرية من قبل سكان المنطقة، ويعتمد على النقوش والآثار، وتأريخ أسماء المواضع وطريقة نطقها كما ينطقها أبناء المنطقة ومقارنتها بأسماء المواضع في التوراة، إلا أن هناك بعض الإشارات المهمة في هذا السياق وهي :

١. لم أجد خلال بحثي الذي دام أكثر من ثمان سنوات أي نقشٍ عبري وكانت النقوش التي وجدتها إما مخربشات غير واضحة المعنى وإما نقوشاً ثمودية وهي الأكثر، بالإضافة إلى نقش واحد فقط بخط المسند .

٢. تتناقل الروايات أن خرائب معشوقة قد كان يسكنها قوم من اليهود، ومازال هناك بالقرب منها موقع يدعى شعيب "**عزرا**" بالقرب من الغتامية، ثم إن البعض يذكرون أن بعض الأسر في المنطقة تعود إلى أصول يهودية، إضافة إلى أن في مدينة بلجرشي موضع يدعى " **قاع اليهود** " والقاع هو المقابل للجيتو في أوروبا أي المكان المخصص لليهود . وهذا يدل على الآتي :

- أن خرائب معشوقة في وادي أبيدة قد بنيت قبل الإسلام يرجح ذلك اختلاف طريقة بناء الأحجار عن الطريقة الموجود في القرى الحالية حيث توجد مادة الملاط بين الحجارة وهي الطريقة التي اكتشفها اليمنيون قبل الإسلام . ثم إن تقسيمات البناء الداخلي في تلك البيوت تقسيمات متميزة إذ هي عبارة عن غرف صغيرة جدا في بعض تلك الخرائب حتى إن بعضهم يشبهها بمرابط الخيل، ومما يلفت النظر في قبور هذه الخرائب أنها ليست متجهة إلى القبلة ويروي لي سعيد بن منسي من الزُهران من غامد أن الذين دخلوا إلى هذا الوادي من غامد وجدوا في بعض البيوت جلود أبقار مكتوب فيها كتابات غير مفهومة وقد أتلفت تلك الجلود .

ويروي الصحاري في كتاب: الأنساب، أن تجمع الأزد حينما خرجوا من اليمن كان بهذا الوادي وحول جبل قملى القريب منه ثم تفرقوا منها :

يقول الشاعر :

أبـلـغ أبـيـدة أني غـيـر سـاكـنـهـا	ولـو تجمع فيهـا المـاء والشجر
ولا أقـيـم بـقـمـلـى لا أفـارقـهـا	كما يناط بجنب الراكب الغمر

ويبدو أن بعض يهود اليمن قد رافقوا الأزد في هجرتهم وإن لم تشر إلى ذلك المصادر التأريخية القديمة أو أن في الأزد من دان باليهودية في الجاهلية حينما قوي أمرها باليمن يدل على ذلك أن الفطيون الملك اليهودي في يثرب كان من بني عمرو بن مزيقياء كما تروي ذلك بعض كتب النسب، ثم انتقلت جموع اليهود من هذا الوادي للحاق بإخوتهم في المدينة . فيهود المدينة لم يأتوا من شمالي الجزيرة العربية فقط بل أتوا من جنوبيها أيضاً.

ومما يلفت النظر أن أسفل الوادي يسمى بطحان كالوادي الموجود في المدينة وبالقرب من أبيدة نجد وادي العقيق الذي انتقل اسمه إلى المدينة فهل نقل الأوس والخزرج التسميتين من هنا ؟ ربما كان ذلك .

والرواية الشعبية عن خرائب معشوقة أنها لبني هلال كالعادة في كل أثر قديم، وبعضهم يقول إنها لأناس كانوا يعيشون في رخاء وتجبر ووصل بهم الحال أن يسكبوا السمن في أفلاج الوادي فأهلكهم الله، وبعض الرويات الشفهية تنص على أنهم من اليهود.

أما قاع اليهود وما يشاع عن بعض الأسر فذلك يشير في فترة ما إلى خروج بعض يهود اليمن في العصر الحديث إلى بعض نواحي السراوات بما في ذلك منطقة الباحة وإقامتهم بها، وقد كانوا أفرادا قليلين ثم هاجروا إما بالعودة إلى اليمن أو الذهاب إلى جهات غير محددة أو إلى فلسطين .

- وجود أخطاء في تحديد المواضع لدى أحمد داود الذي اهتم بتحديد مواضع الأماكن وذكر طبيعتها الجغرافية، وحدودها ولم يكتف بالتشابه بين الأسماء كما هي الحال عند الصليبي مما يستدعي مراجعة النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

أ - صنم ذي الخلصة :

صنم ذي الخلصة من الأصنام الجاهلية المشهورة، وقد كثرت المرويات الشفهية أن الإخوان قاموا بهدمه أخيرا سنة (١٣٤٣هـ) . وقد قمت في بحثي عن الآثار بنفي أن يكون صنم ذي الخلصة في دوس بعد زيارات متعددة للموقع، وبعد نزولي حتى في أسفل الجبل من جهة الحجرة في تهامة للبحث عن البقايا المزعومة للصنم فلم أجد شيئاً ؛ وعلى ذلك فالأمر لم يعد كونه تشابها في اسم الوادي اقترن بجهل وتعصب عند الغلاة من الإخوان وسوء استدلال بالحديث الشريف حول نساء دوس وصنم ذي الخلصة . وربما

كان المكان سقيفة يسكنها رجل صالح قام الإخوان بهدمها أو مكيدة لإبعادهم عن العسف بالأهالي وظلمهم ؛ إذ إن أهالي هذه المنطقة مشـهورون بالدهاء فأعطوا جهلة الإخوان ما يرضيهم ويدلهم على مبتغاهم لأنهم كانوا يعتقدون أن الناس ماعداهم مشركين .

ومن الأدلة الأخرى غيرما ذكرت في بحث الآثار ما يلي :

- أن ابـن بشـر يذكر في تأريخه ص (١٨٢) عن تبالة مـا يلي : " تبالة وهي البلدة التي هدم المسـلمون فيها (ذا الخلصـة) زمن الإمام عبـد العزيز بن محمد بن سعود، وهو الصنم الذي بعث إليه النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه فلما طال الزمان أعادوه فعبدوه" .
- أن موقـع الصـنم المزعوم لا يسـاعد علـى طواف الناس به إذ هو على الشـفا المطل على تهامة مباشرة .
- أن قبيلـة دوس من القبائل العربية التي ثبتت على الإسـلام عنـد ارتداد العرب ويظهر ذلك من اشتراك زعمائها في معركة الحديقة باليمامة واستشهاد الطفيل بن عمرو الدوسي في المعركة نفسها . والطفيل الذي قام بهدم ذي الكفين أما كان الأولى أن يقوم بهدم ذي الخلصة .
- أن اضـطراب إليات نسـاء دوس يدل على ثراء أولئك النسـوة وهـو ينافي تكوين نسـاء أعالي السـراة التي يمتزن بالنحف والرشـاقة لكثرة ما يعملن في الحقول وفي الرعي وفي الاستقاء وحمل الحطب، وبناء على ذلك فهو لنساء ثريات يعشن في عاصـمة مهمة كتبالة وقد حدث ذلك الاضـطراب في زمن الردة وانتهى وكان من نسوة دوس، لأن النساء يغلب عليهن التمسك بالمألوف من العادات فهو خاص بالنسوة أما رجال دوس فقد كانوا حصنا حصينا للإسلام . وتخصيص الرسول لنساء دوس يدل فيما يدل عليه على أن ذلك الأمر عجيب من هذه القبيلة وعجيب من نسـائها كذلك، ولكنه سـيحدث وقد حدث وانتهى . أما وجود إشاعات بذكر أنـه لم يـزل قوم يعبدون صـنماً هنا أو شـجرة هناك فهو أمر غير صـحيح وفيه تكذيب للرسول ﷺ الذي أخبر بعدم رجوع جزيرة العرب إلى عبادة الأصنام .

  هذا، ويؤكد تفرق قبيلة دوس في جبال السـراة وتهامة إضافة إلى ما ذكره عرام بـن الأصـبغ من وجود عدة قبائـل في وتبالة وورود روايات في الأغاني تشـير إلى سـكنى بعضـهم في وادي قنونا بتهامة وهي تبعد عن مواضعهم الحالية أكثر من مائتي كيل .
- أن المشـهور في المرويـات القديمة أنه ليس صـنما بل بيت . والروايـات تذكر أنه لدوس ولغيرها من القبائل، لكنها حينما تحدد موضعه تجعله في تبالة .

- أن المخربشات التي يذكر السلوك أنه شاهدها في صخرة قد تكون من مخربشات الأطفال في الصخور أو تكون من آثار هدم السقيفة وقد وجدت آثار نقش تشبهها في عتبة بيت قديم بأصدار المعرق .

ب ـ الآثار المدمرة :

توجد في المنطقة بعض الآثار المدمرة التي لم يعد لها أي أثر، ومن تلك الآثار مسجد علي بن أبي طالب في قرية المسيد ببني كنانة وأحتفظ بوصف لهذا المسجد أخذته من فقيه قرية المسيد بواسطة أحد طلابي ويدل الوصف على أنه مسجد مميز وكبير وبه أماكن للوضوء إضافة إلى كون الناس كانوا أحيانا يأتون إليه من أنحاء المنطقة للصلاة فيه يوم الجمعة على الرغم أن هذه المنطقة هي منطقة شافعية منذ القدم وليس فيها تشيع .

وقد أقيم في مكان المسجد مسجد حديث غير أنه لا يختلف عن بقية المساجد التي بنتها الأوقاف ولم يسمح بتسميته بمسجد علي بن أبي طالب أو تسمية الحلقة التي فيه بهذا الاسم كما أخبرني إمام المسجد .

واستبعاد أن يكون علي بن أبي طالب بهذه الناحية غير صحيح فهو كان عاملاً للرسول ﷺ على اليمن فاحتمال مروره بهذا المكان والصلاة فيه أمر وارد .

ومن تلك الآثار مسجد أبي هريرة في قرية الجبور وهي من قرى دوس بني فهم، وقد ذهبت إلى موضعه أكثر من مرة ووجدته مسورا بسور حديث وبداخله حصن أثري يسمى حتى الآن حصن أبي هريرة، وقد أخبرني أحد كبار السن بكيفية هدم المسجد وإزالة آثار قبر بجانبه كان يدعى الناس أنه قبر أبي هريرة وكيف خيم ابن سعود أياما هناك إلى أن فرغوا من عملية الهدم .

ولا يستبعد أن يكون المسجد قد بناه أبو هريرة في ديار قومه أما وجود قبره في هذا الموضع فيحتاج إلى تحقيق وتقصي، لأن الثابت أنه توفي بالمدينة المنورة .

ومن تلك الآثار سور بلجرشي الذي يضم داخله ثلاث قرى كانت تدعى قرى السوق، وتكاد أن تكون بلجرشي هي البلدة الوحيدة الحديثة التي كان يحيط بها سور في بلاد السراة، ولم يذكر هذا الأمر المهم أحد من المؤرخين الذين تناولوا تأريخ المنطقة حتى الآن. ونقل لي الباحث خضر بن سند أن الشيخ محمد بن سعد البركي قد قام بتحديد موضع السور ولديه بحث حول هذا الموضوع ، ويشبه سور بلجرشي وجود آثار لجدار يمتد مسافة طويلة كأنه سور ويقع على يمين الطريق الموصلة إلى "**صخوان**" بعد أن يترك الطالع من الطريق قرى بني كبير التي في الوادي، ويظهر أن هذا أثرٍ مغرق في القدم ويحتاج إلى تنقيب آثاري لمعرفة المزيد عنه وقد وجدت بالقرب منه نقشاً إسلامياً بالخط الكوفي .

ج - آثار لم تسجل حتى الآن في الباحة و ما جاورها .

هذه مجموعة من الآثار التي لم تكتشف وقد كان بعضها مكتوباً في قصاصات متفرقة ولم أجدها إلا حديثا، وبعضها اكتشف بعد كتابة بحثي حول الآثار في مسودته التي يملك نسخة منها الدكتور غيثان بن جريس لذلك فهو يعد إضافة إلى الآثار غير المكتشفة في ذلك البحث . (١) نقوش قرشع وهي مجموعة من النقوش الثمودية التي تقع في المنزل من قرشع بالقرب من أحد الكهوف جنوبي الداحون ، (٢) نقش قبور الزينات وهو النقش الوحيد بالخط المسند الذي وجدته في المنطقة. وقبور الزينات في بني كبير وتشبهها قبور أخرى في مواضع من وادي قرشع، وما كان يسمى بقبور البنات في بالشهم هي قبور مبنية على وجه الأرض ومزينة بالمرو وهي تشبه القبور التي أشار إليها الدكتور غيثان في وادي ترج وتحتاج إلى مزيد عناية لمعرفة تأريخها الحقيقي ، (٣) نقش شعب آل عيسى وهو نقش إسلامي يقع في قرية الجادية وتحديداً في شعب آل عيسى حيث يوجد في إحدى قمم الجبل الفاصل بين شعب آل عيسى والحازم ، (٤) نقش صدر المعرق في عتبة بيت قديم من البيوت التي تقع في أسفل عقبة الباحة وهو يشبه المخربشات التي صورها السلوك على الصخرة التي يزعم أنها من بقايا ذي الخلصة ، (٥) الفرش موقع شرقي قرية بني مشهور ويظهر أنها قرية موغلة في القدم وبه آثار سوق والقرية على شكل غرف صغيرة تشبه بعض ما هو موجود في معشوقة ، (٦) نقش ثمودي في بئر في رباع ببلاد زهران ولست متأكدا منه بل نقله إلى ناقل ، (٧) رسومات جبل الهريتة في نيرا وبه مخربشات ورسوم ملونة . ويقال أن هذا النقش قد صور قبل فترة من الزمن من قبل بعض الباحثين ولكنه غير موجود في قائمة آثار الباحة المكتشفة ، (٨) قبر لقمان وهو قبر قديم في بلجرشي وربما كان حوله بعض النقوش ولم أستطع الوصول إلى موضعه، ومن المحتمل أن يكون الموضع له علاقة بلقمان الحكيم ، (٩) مخربشات وادي منحل وفيه رسوم لأوعال ورجل راكب فوق الخيل عارضا رمحه ونقش مكتوب فيه : " **اللهم اغفر يارحيم (كلمات غير واضحة) لسعيد (كلمات غير واضحة)** " وهو بخط كوفي ، (١٠) نقش بخط كوفي إسلامي في درب الفيل شمالي جرب ، (١١) نقش مذود وهو نقش قصير يقع في وادي مذود وكلماته غير واضحة ، (١٢) عقبة ذي منعا تعتبر هذه العقبة أقدم عقبة ورد لها ذكر باسمها في المصادر التاريخية وذلك في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ذي النور . وقد أهملها الدكتور ابن جريس في أحد كتبه وهو يعدد أهم العقبات في جبال السراة . وموقع هذه العقبة التأريخي يحتاج إلى تحقيق إذ تذكر الروايات أن الناس كانوا ينظرون إلى النور في طرف سوط الطفيل وهو صاعد من العقبة ولكن العقبة الحالية في موضع بعيد عن القرى وليس ما يدل على أن هناك بقايا آثار في أعلى العقبة ، (١٣) نقوش في الجبال المحيطة بالحنجور، ولم يتح لي الوصول إليها ، (١٤) نقوش جبل أثرب والجبال المحيطة به لم أستطع الوصول إليها ، (١٥) نقش وادي شواص وهو نقش إسلامي

في صخرة في وادي شواص بالقرب من بيت محمد العرياني ، (١٦) نقش حباشة، وقد زرت موضع حباشة أكثر من مرة في الموضع الذي يدعى الحواري وكتبت كتابة مفصلة عن هذا السوق، ومما يجب التنويه به أنه يوجد بالإضافة إلى آثار الحوانيت كالتي رأيتها في سوق العبلاء الجاهلي بوادي رنية . وبعض قطع الفخار وبعض الرحي. يوجد نقش إسلامي ورسومات في أعلى الجبل المطل على السوق من الناحية الشمالية ولا أدري أذكر ذلك النقش عبدالله الرزقي في بحثه عن سوق حباشة أم لم يذكره غير أن الذي دلني على موضع السوق من أهل المنطقة عندما أريته النقش والرسم قال إن هذه المرة الأولى التي يرى فيها ذلك .

وعلى الرغم من أن تأكيد الشيخ حسنٍ الفقيه أن سوق حباشة بهذا الموضع وميلي إلى تأييد ذلك، إلا أن في النفس لما تزل شكوكاً حول الموضع الصحيح إذ تجمع الروايات أنه في صدر قنونا . وهذا المكان لايعد صدرا للوادي في عرف الأقدمين إذ الصدر ما قرب من الجبال ومازالت الأصدار اسم يطلق على أسافل الجبال حتى الآن، ثم إن الشاعر يعلى بن الأحول الأزدي يقول عن نباتات صدر الأودية التهامية :

بواد يمان ينبت السدر صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

– وصدر وادي قنونا يتمثل فيما يدعى الآن بوادي الخيطان حيث ينمو السدر في المنطقة القريبة من الجبال وقد تواترت الروايات الشفهية أن بوادي الخيطان سوق قديم مندثر، ولأجل ذلك فأزعم أن مسألة تأكيد موضع سوق حباشة تحتاج إلى تحقيق أكثر .

٣ - تحقيقات في النسب القديم :

– ترجع معظم القبائل التي تسكن الباحة وما حولها إلى أزد السراة وأود أن أدل القارئ على تحقيق نسب أزد شنوءة الذي اختلف فيه كثير من النسابين، حيث قمت بتحقيق ذلك النسب في تمهيد بحثي العلمي حول لهجة أزد السراة فليرجع إليه، ولكن ما أشير إليه هنا هو ماورد في بعض كتب الحديث الصحيحة من تشبيه موسى عليه السلام بأزد شنؤة إذ يقول الرسول ﷺ عن موسى أنه رجل طوال آدم كأنه من أزد شنوءة . إذن فالصفة الأصيلة لهذة القبيلة هي الطول الفارع والأدمة أي السمرة، وتغير اللون إلى السمرة هو من آثار التعرض لشمس الجبال فيصبح الوجه ملوحاً مائلاً إلى الاسمرار .

ثم إن البحث اللهجي الذي قمت به يؤكد وجود بقايا كثير من اللهجات المنسوبة إلى أزد السراة أو أزد شنوءة حتى الآن وهذا دليل لغوي يشير إلى عراقتهم وصحة أصولهم .

كما أدل القارئ على الخلاف الذي جرى بيني وبين الدكتور أحمد قشاش حول اندثار قبيلة شكر الأزدية السروية وعدم وجود بقايا لها الآن، ويوجد على حلقات مسلسلة

في ملحق التراث بجريدة البلاد السعودية س (٦٩) ع (١٥٧٥٦) في (٢٩جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ).

أما قبيلة لهب المشهورة فيظهر أنها كانت تسكن بالقرب من غامد التي أجلتها من أراضيها في "نيرا" فرحل بعض هذه القبيلة وسكن بالقرب من قبيلة بلحارث جنوبي الطائف تبعد عنها حوالي سبعين كيلا ويشتركون في بعض قراهم مع قبيلة ربيع في حين رحل بعضها الآخر وسكن الخبت من تهامة.

وينبغي التنبه في هذا المجال أن هناك بطن من غامد هم بنو اللَهبَة وقد يتغير ضبط الشكل مع طول تغيرات الزمن ثم إن اللِهب هو الشق في الجبل كما تقول معاجم اللغة فيحتمل أن يكون اللهب في نيرا اسم للمكان وطبيعتها توحي بذلك؛ لذا فإني لا أرجح دخول بني لهب في بني عبد الله من غامد كما يذهب لذلك الشيخ حمد الجاسر؛ إذ يروي أبو علي الهجري في مؤلفه النفيس أن الغارات بين هاتين القبيلتين أعني لهب وغامد كانت مستمرة وقوية مما يضعف احتمال دخول لهب في غامد.

- نسب الشنفرى، تكاد تجمع معظم الروايات أن الشنفرى من الأواس ابن الحجر ويستثنى من ذلك جمهرة أنساب العرب لابن حزم الذي نسبه لبني سلامان بن مفرج بن زهران. ومعظم الأماكن التي ذكرها في شعره هي في ديار زهران في هذا الزمان وذلك الأمر قد يؤيد قول ابن حزم في نسبه إلى زهران. ولانكاد نجد خلافاً في قضية نسبه اللهم إلا ما نجده عند الصحاري الذي ينسبه إلى بني زِمان من سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. وربما يكون هذا هو الصواب حيث أن بعض قبائل الأزد التي يذكر النسابون أنها في السراة دخلت في قبيلة زهران المسمى الكبير ويرجح أن منها ميدعان بفروعها المتعددة.

ويجب أن يكون من المعلوم أن هناك روايات متعددة تنفي أن يكون الشنفرى من أغربة العرب ويساعد على ترجيح ذلك سياق قصته مع قومه من بني سلامان.

أما قتل الشنفرى وورود قاتله باسم أسيد بن جابر السلاماني مرة وأسيد بن جابر الغامدي مرة أخرى في بعض المصادر الموثوقة كالمفضليات، فتفسيره لدي أن هناك سلامان أخرى في غامد وقد وجدت سلسلة سلامان هذه في نسب بعض أعلام غامد ثم أن بني الرمداء من غامد أرسلوا في أثره بعضٍ كلابهم فربما كان بنو الرمداء بطنا من سلامان غامد. ويذكر الصحاري أن غامداً تعد جمرة من جمرات العرب لم تحالف غيرها من القبائل ولم يهاجر منها أحد إلى عمان.

ومـن عزيز النسـب في هذا الخصـوص أن بعض قبائـل قيس يرجعـون في خؤولتهم لغامد، إذ إن ضـبينة بنت سـعد مناة بن غامد هي أم ابني جعدة بن غني (عبس وسعد) كما يذكر ذلك الكلبي ، أما ما يتناقله بعض العامة وبعض أنصاف المتعلمين في المندق وفي دوس أن القرية التي تدعى سـلامان في قبيلة دوس هي موضـع مقتل الشـنفرى وبها قبره فإن ذلك من التخليط واشتباه الأسماء، فسلامان كانت تسكن في أبيدة كما يذكر البكري وكل الكتـب التي تذكر موضـع مقتل الشـنفرى تجعـل ذلك في أبيدة ومازال الناصـف من أبيدة الذي قتل به الشـنفرى حتى الآن بالاسـم نفسه وقد زرته أكثر من مرة وهو ناصفان الناصـف الأعلى وبه موضع فيه قبور دائرية الشـكل مكومة الحجارة وهناك ما يشبه آثار دائرة من الأحجار المبنية على شكل سور كبير يزعم أهل المكان أنها حلبة الخيل والظاهر أن لها علاقة بموضـع قتل الشـنفرى . أما الناصف الأسـفل ففيه بعض الحسي والكظائم التي يرجح بعض الأهالي أن الشنفرى قبض عليه عند أحدها. وكان الشنفرى يغير عليهم هنـاك ولم يذكـر أنه أغـار على دوس قـط . ثم إن سـلامان الحالية في دوس اسـم قرية وليسـت اسـم القبيلة القديمة المندثرة التي ينسـبها بعض المؤرخـين إلى زهران من غير وصـلها بدوس وينسـبها بعضهم إلى ميدعان فما الذي جعل سـلامان في دوس الآن وجعل أهـل تلـك الناحيـة يؤكدون أن بني سـلامان هم قتلوا الشـنفرى وأنهم دوسـيون إلا لقلة بضاعة من يحمل العلم حيث أن مرحلة ما أسميه "الحبو التأليفي" لها آثار سلبية في قلب كثير مـن المفاهيم والحقائق والوعي الثقافي في المنطقة مازال رهينا لهذه المرحلة البعيدة عن العلمية، ويضاف إلى ذلك سبب آخر جعل الدوسيين يشيعون هذا الأمر بوعي أو بدون وعي ألا وهو جعل الناس ينسـون ما يشـاع عنهم أن صنم ذي الخلصة كان عندهم وكانوا يعبدونـه، وذاك غير صـواب البتة ، ومن الأمور المهمة التي ينبغـي التنبيه عليها أن قبائل الأزد وخصوصـا قبيلة غامد تصـدت لأبرهة الأشـرم بقيادة عبد شمس بن مسروح الأزدي حيث أرسل إليهم خيلاً فهزموا خيله . والخبر بتمامه في كتاب المنمق لابن حبيب ص(٧٤).

ثالثاً : تنبيهات حول التأريخ الإسلامي مـن القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع الهجري (ق ٧ – ق ١٠ م) .

١- الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم).

يكثر الصـحابة الذين ينتسـبون إلى قبيلتي زهران وغامد القاطنتين في السراة مما يجعل منطقة الباحة أكثر الأجزاء في السراوات عمقا تأريخياً و مجداً لا ينازعه أي موضع آخر في الجزيرة العربية سـوى مكة والمدينة ويظهر أن قبيلتي غامد وزهران اللتين تعودان لأزد شـنؤة كانتا من القبائل المتميزة منذ الجاهلية ؛ فالرسـول ﷺ بعد أن يرد لأعرابي

ست بكرات عوضاً عن هديته فيتسخطها، يخطب في الناس ويقول هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي .

والطفيل بن عمرو الدوسي يسلم قديما في مكة ويعرض على الرسول ﷺ الهجرة إلى ديار دوس، وأبوظبيان الأعرج يسلم في مكة قديماً، وأبو هريرة راوية الإسلام الذي يذكر د. محمد عبده يماني أنه لم ينفرد من الأحاديث إلا بسبعة أحاديث فقط في حين يذكر محمود المراكبي وهو مختص في البرمجيات أنها مائتا حديث التي انفرد بها فقط، وأميل إلى قول المراكبي لأنه متخصص في الحاسوب . وذلك يرد على كثير من المشككين في صدقه - رضي الله عنه - ، وعدد الصحابة المترجم لهم من القبيلتين يفوق أي قبيلة قحطانية الأصول على وجه العموم سوى الأوس والخزرج، ثم إن من القبيلتين كثير من التابعين المشهورين أيضاً، فضلا عن من يكون من القبيلتين وترجم له بالنسب للأزد عموما ، ومما يميز المترجم لهم من كلا القبيلتين الشجاعة والعلم، فجندب بن زهير الغامدي - رضي الله عنه - كان هو والأشتر النخعي أشجع العرب في زمانهما، وقبلهما أبو ظبيان الأعرج . أما لوط بن مخنف فكان من أوائل المؤرخين العرب، والخليل بن أحمد الفراهيدي على رأي ابن حزم الذي يجعل بني شبابة بن فهم الذين منهم الخليل في السراة وفي البصرة هو عالم العرب غير مدافع، والحديث هنا يطول ، ومن الأمور التي قرأتها عن تأريخ الأزد أن شعارهم الذي تابعوا فيه الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - هو كلمة " يامبرور " أما رايتهم أو راية بعضهم فهو سوداء اللون وفيها هلال .

٢- وفود غامد أربعة وليس اثنين .

يظن كثير من الباحثين أن غامد لم يفد منها إلى الرسول ﷺ إلا وفدان . والصحيح أن غامد وفدت إلى الرسول ﷺ أربع مرات : المرة الأولى بمكة حينما وفد إليه أبو ظبيان - رضي الله عنه - والمرة الثانية العشرة الذين وفدوا إلى المدينة وتركوا صبياً عند رحالهم في البقيع، والمرة الثالثة كان عددهم أربعين. وقد كتبت معلومات حول هذا الوفد في جزازة وأضعتها لذلك فأنا لست متأكدا من صحتها حتى الآن.، والمرة الرابعة كانت لبني البكاء من غامد كما ذكر ذلك أصحاب التواريخ والتراجم المشهورة.

٣- قصة الغامدية .

من القصص المشهورة في كتب أهل الحديث، واسمها سبيعة الغامدية وقيل آمنة (رضي الله عنها) ، ومعظم الكتب التي تناولت القصة بالشرح ترد نسبها إلى الأزد . لكن المشكل هو بعد ديار غامد عن المدينة المنورة إذ تبعد عنها بما يقارب ثمانمائة كيلاً فكيف أتت للرسول ﷺ من قومها، وكيف راجعته أكثر من مرة ؟ يمكن حل هذا الإشكال بترجيح كون الغامدية من غامدة التي هي بطن من جهينة علما أن بعضهم جعل

جهينة بطنا من غامد . ولكن الأصوب هو احتمال أن أسرة أو بيوتاً من غامد جاورت أبناء عمومتهم من الأنصار وكانت هذه الغامدية منهم والله أعلم .

٤- قضية الردة .

قضـية ارتداد القبائل العربية قضـية تأريخية مهمة جداً وقد أثار هذه القضية حديث الأستاذ الدكتور/ غيثان بن جريس في ملتقى عقد في الباحة مؤخراً "[١]، حيث ذكر أن بعض هاتين القبيلتين ارتد عن الإسلام مما أثار حفيظة كثير من مثقفي المنطقة وكثير ممن بلغهم الخـبر ، وعنـد العودة إلى تلك الفترة العصـيبة من التأريخ العربي نجـد بعض الروايات تقـول إن قبائـل العرب قد ارتدت جميعاً - على اختـلاف في نوع الردة - ما عدا قبيلتين هما قريش وثقيف. وهذا تعميم خاطئ وتخصـيص خاطئ أيضاً بل إن في تخصيص القبيلتين السابقتين نوعا من الادعاء لجلب بعض الفخر لهما كونهما من آخر القبائل إسلاما إضافة إلى أنـه لم يشـر إلى الأوس والخزرج بإشـارة مما يفهم منه ارتدادهمـا كبقية القبائل، وذلك غير صحيح البتة .

ولأجـل ذلك لابد من التثبت عند وصـف قبيلة ما بأنها ارتدت أو ثبتت على الإسـلام وتوخـي الحقائق التأريخية للوصـول إلى الحقيقـة مجردة بعيداً عن التعصـب والأهواء، فبعضـ القبائـل كما يبـدو قد ارتـد جمهورها وبقيت منهـا قلة على الحق وبعضـها ثبت جمهورهـا علـى الحق وارتد منها قلة قليلة . في حين أن بعض القبائل ارتد منها كثير وبقي منها على الحق كثير وهذا هو الحال لأغلب القبائل العربية فكيف كان حال هـاتين القبيلتين في تلك القضية .

أول ما يلفت النظر هو استشـهاد الطفيل بن عمرو الدوسـي - رضـي الله عنه - في اليمامة وهو يقاتل المرتدين هناك، وقد كان سيد قومه ولا ريب أن قومه قد رافقوه في هذه المعركـة، وفي ذلـك دليل على ثبـات قبيلة دوس على الحق ، ثـم إن الروايات التي تذكر أن الأسـود بن الأفكل الأزدي كان قائدا للأسود العنسي تذكر أن المبعوث لقتل الأسود هو وبر بن يحنس الأزدي على خلاف في نسـبه وفي اسـمه وبعضهم يجعله من أقارب الأسود مما يوحي بأنه قد يكون هو والأفكل من الأزد الذين سكنوا بالقرب من نجران .

وروايــة الطـبري تجعل المرتدين تجمعوا بشـنوءة علم لمكان وهـو لم يزل إلى اليوم في بلاد بني مالك عسـير، وتجعل المجتمعين أخلاطاً من الأزد وبجيلة وخثعم وتجعل قائدهم

---

(١) هـذا الحديث عبارة عن محاضـرة قدمها ابن جريس في الملتقى الأدبي الذي عقده نـادي الباحة الأدبي في الفترة الممتـدة مـن (١٦ - ١٨/ ١٠/ ١٤٢٧ هـ الموافـق ٧ - ٩-١١/ ٢٠٠٦ م) . وكان عنـوان هذه المحاضـرة هو: " بلاد الباحة (غامد وزهران) خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة " ، وقد أجري عليها بعض التعديلات ونشرت في موسوعة المملكة العربية السعودية، وفي المجلد الخاصة بمنطقة الباحة، مج (١٦)، ص ١٣٣ - ١٥١ .

حميضة بن النعمان وتذكر هزيمتهم وتفرقهم عن حميضة الذي هرب في البلاد، وهذا يوحي بقلتهم وأنهم من قبائل متفرقة من الأزد وغيرهم. وهنالك في الطبري نص آخر مهم يذكر خروج سعد بن أبي وقاص من المدينة في أربعة الآف ثلاثة الآف ممن قدم عليه من اليمن والسراة، ويذكر أن أهالي السروات عليهم حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي وهم بارق وألمع وغامد وسائر أخوتهم في سبعمائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلاثمائة، وهذا النص يؤكد التفريق بين أقليم اليمن وأقليم السراة منذ القدم وكما تذهب لذلك معظم الكتب التي اهتمت بتحديد المواضع، ثم إنه يجعل قائد المجاهدين من أهل السراة في القادسية هو نفسه قائد المرتدين مما يثير عدة أسئلة حول صحة الخبر الأول أو الخبر الثاني حول هذا القائد أما الأمر المهم فهو إشارة النص إلى نسبة الإسهام العددي بين السراة واليمن مما يوحي بأهمية هذا الأقليم منذ القدم.

وخلاصة الأمر أنه ليس هناك من الروايات ما يثبت ارتداد غامد أو زهران بهذا الاسم أو مايثبت ارتداد أزد شنوءة التي تنتمي إليها هاتان القبيلتان، بل إن المرجح هو ثبات قبيلة دوس كافة من زهران يضاف إلى ذلك أن قائد المرتدين تحوم حول شخصيته الشكوك بيد أن المرتد من أهل السراة بما فيهم الأزد كما يبدو قليل جداً وقد عادوا سريعاً إلى الإسلام. ولكنهم لم يخصوا بقبيلة معينة من قبائل الأزد. بل إن بعض الروايات نصت على أن المرتدين اجتمعوا في سراة عنز أي ما يعرف اليوم بقبيلة عسير التي تحيط بأبها، وهذا الموضع بعيد جدا عن سراة غامد وزهران.

وبمراجعة كتب المعارك الإسلامية في العراق والشام نجد سير أبطال وشجعان كثر أسهموا في دخول هذه البلاد إلى الإسلام بل استوطن كثير منهم فيها كالبصرة والكوفة والمدائن والموصل وكمدينة حمص التي ما تزال تحتفظ بقبور كثير من الصحابة ومنهم سفيان بن عوف الغامدي الذي كاد يفتح القسطنطينية، ويستطيع من أحب الاطلاع على جهود قبيلتي غامد وزهران ودورهما التاريخي في الدولة الأموية والدولة العباسية مراجعة ذلك الأمر فهو متوفر ومتاح، لأجل ذلك فقد ذكرت في ورقة موجزة قدمتها إلى الدكتور غيثان أن ما يعرف بمنطقة الباحة الآن قد يكون من أكثر أجزاء السراة أهمية وثقلا تأريخياً، ويمكن أن يكون من ملامح الحياة في عصر بني أمية زيادة الترف وانتشار الغناء يدلنا على ذلك بيت يعلى بن الأحول الشكري:

وعزف الحمام الورق في ظل أيكة — وبالحي ذي الروذين عزف قيان

ولا غرابة في ذلك فكثير من جيوش الفتح هم من هذه المنطقة ولاريب أن بعضهم أثرى مما حصل من غنائم علاوة على ذلك فإن الغناء انتشر في الحجاز وهذه المنطقة أقرب مناطق الأزد إلى مكة والمدينة.

رابعاً : تنبيهات حول الفترة الغامضة من تأريخ ما يسمى الآن الباحة (ق ٤ – ١٢ هـ/ ١٠ – ١٨ م)

تعد الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري من الفترات التي شحت فيها الأخبار عن بلاد السروات بما فيها سراة غامد وزهران، وهي فترة يكاد الناظر فيها يجزم بأن الجزيرة العربية على وجه العموم قد أوشكت على الاختفاء من خريطة الأحداث وكأنها خارج التأريخ لولا اهتمام بتأريخ بعض أجزائها كاليمن والحجاز وعمان أما بقية الأجزاء فأخبارها نزرة قليلة .

وتكاد تكون الجزيرة العربية في هذه القرون المتطاولة عبارة عن قبائل وإمارات صغيرة لا وزن لها ولا تأثير حيث ازدادت رقعة الجهل فيها، وغلب على أهلها حياة البدو أو حياة أهل القرى الصغيرة وإن كان التأريخ يحكي عن العرب المجاورين للعراق ومالهم من أثر في الأحداث هناك أو يحكي عن تحول بعض أعراب الحجاز إلى قطاع طريق تخصصوا في قطع طريق الحاج أو يحكي عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحالفه مع محمد بن سعود في الدرعية . أما منطقة البحث المعروفة الآن بمنطقة الباحة فيمكن تسجيل بعض الأمور عنها على النحو الآتي :

١. وصف بعض الرحالة لأهالي السراة كالهمداني وناصر خسرو وابن المجاور وابن جبير وابن بطوطة، وذلك الوصف معروف ومشهور ولكن يمكن للمؤرخ أن يستنتج منه أن تلك البلاد كانت مستقلة تتبع لشيوخ القبائل وأنها كانت بلاداً وافرة الخيرات تمد بلاد الحجاز بالمؤن، كما يمتاز أهلها بالشجاعة وبالفصاحة وبالكرم . ومن الكتب المهمة التي تناولت تأريخ السراة وقلما التفت إليها الباحثون كتاب التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري فهو ليس كتاب أدب ولغة فحسب بل هو كتاب تأريخ أيضاً وفيه معلومات لا توجد في غيره من الكتب .

٢. تقول بعض الروايات الشفهية أن بعض أهالي المنطقة قد شاركوا صلاح الدين في حروبه ضد الصلبيين وتخص بني ثغفل حيث يرى بعضهم أنهم كانوا جزءا من بعض القبائل التي شاركت صلاح الدين في غزواته وأنهم لما وصلوا إلى بعض الأجزاء من بني ظبيان استقروا بها . وهذه إحدى الروايات في أصل هؤلاء القوم مع روايات أخرى غير هذه . بل إن في الأسر المقدسية من ينتسب إلى غامد وزهران حتى اليوم، كما أخبرني بذلك أحد الأكاديميين في كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

٣. تتميز المنطقة المعروفة الآن بمنطقة الباحة بأنها الجزء الوحيد الذي قامت فيه إمارات أو سلطنات أزدية خالصة . فإذا كانت كتب الرحالة قد وصفت أحوال السراة

السياسية بأنها مجرد قبائل أو قرى صغيرة مستقلة تتبع لشيوخ القبائل، وإذا كانت الفترات السابقة لهذا الفترة التأريخية الغامضة من التأريخ الإسلامي قد جعلتها تابعة لعمل مكة المكرمة . والفترات اللاحقة جعلتها منطقة نزاع مستمرة بين أناس ليسوا من أهلها الأصليين وإنما وفدوا إليها كالأدارسة وآل عائض وبعض الأشراف وبين حملات خارجية قام بها أشراف مكة والأتراك ومحمد علي باشا وآل سعود .

إذا كان كل ذلك معروفاً فإن الجديد الذي أظهرته الكشوف الأثرية الأولية في عشم والأحسبة هو قيام إمارات وسلطنات أزدية مستقلة ففي عشم ووداي الأحسبة نجد أسرة آل عويد، وقد ذكر الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه في كتابه : مخلاف عشم أن هذه الأسرة لها مقبرة مستقلة في عشم وقد تصدرت أسماء بعضهم لقب " الأمير " أو " السلطان " ص (٧٢).

ورغم أهمية الكتاب الذي ألفه الفقيه عن مخلاف عشم إلا أن معلومات التنقيب الأثرية ستمدنا بأضعاف أضعاف المعلومات التي ذكرها الفقيه وقد توجهت إلى كثير من المسؤولين في وكالة الآثار بالإسراع في تنقيب مدينة عشم لأنها عرضة لنهب السيول التي نقلت آثارها إلى الوادي المجاور قبل أكثر من سبع سنوات ولكن إلى الآن لم يتم شيء، ويؤكد الزيلعي في كتابه: الخلف والخليف ص(٣٠) حيث يقول : " ووجد في الأحسبة الجنوبية، على بعد حوالي ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من بلدة المخواة، عدد من النقوش لمتوفين ينسبون إلى الخليف، وإلى بني سليم من زهران تلقبوا بألقاب سلاطين " .

والمعلومات التأريخية في المصادر المكتوبة لاتمدنا بشيء يذكر عن حدود تلك السلطنات والإمارات وعن تنظيماتها الإدارية والحضارية وعن نهاياتها، ولكنها تشير إلى تطور التنظيم السياسي والحضاري في تهامة وتقدمه على السراة التي كانت إلى البداوة والتنظيم القبلي أقرب ولم تقم فيها إمارات مستقلة بل إن تكافؤ القبائل السروية في القوة وغلبة العصبية والجهل إضافة إلى وعورة مسالك الجبال وقلة الاتصال بالعالم الخارجي في مكة واليمن رسخت القبلية فيها وإن اشتركت تلك القبائل في أحلاف ومعاهدات مع بعضها أو مع قبائل من خارج السراة كالحلف الغامض الذي انقسمت فيه بعض القبائل الحجازية والنجدية قسمين هما خندف الذي دخلت فيه غامد وشبابة الذي دخلت فيه زهران . هذا وتشير تسمية الحلف بهذين الاسمين إلى سلسلة النسب المغرقة في القدم للقبائل العربية خصوصاً " خندف " أما شبابة فهناك شبابة الأزد وشبابة قيس . والعجيب أن الحلف ضم قبائل مختلطة الأصول ما بين قحطان وعدنان . والمعلومات عن هذا الحلف لا تشفي غلة و لكن الحلف بهذا التكوين الضخم يشير إلى مشاكل كبرى كانت تعصف بالجزيرة العربية في فتراتها الغامضة والراجح أنها حروب داخلية فيما بين القبائل .

فمن المرجح على سبيل المثال أن قبائل بني هلال ومن تحالف معهم قد ملكوا في تلك الفترة الغامضة أجزاء واسعة من الجزيرة العربية قبل رحيلهم إلى المغرب العربي يدل على ذلك بقاء صيتهم في جميع ما خلف من آثار إذ ترجعه عامة الناس لبني هلال إضافة إلى تفرق بطون صغيرة منهم في أرجاء الجزيرة العربية ماتزال تنسب إليه. وإن لم أجد أحداً من المؤرخين ذكر ذلك. وعلى ذلك يمكن تفسير ما تتفوه به عامة الناس من كبار السن في رد كل ما حولهم إلى بني هلال فيما يعرف بمنطقة الباحة أو غيرها من المناطق .

(٤) لا نكاد نجد أخباراً مهمة عن الحركة العلمية إلا ما نجده في الخلف والخليف وعشم . وأذكر أن أحد المحدثين الكبار كان من السراة وقد نسيت الكتاب الذي قرأت فيه ذلك .ولكن كثرة شواهد القبور تشير إلى معرفة كثير من أهالي السراة القراءة والكتابة .

وينبغي في هذا المجال الحذر من أنصاف الباحثين الذين يلحقون أي علم أو عالم أزدي أو غامدي أو دوسي أو زهراني بالمنطقة بغض النظر عن المكان الذي عاش فيه حتى وإن كان فيما وراء بلاد النهر فتأريخ المنطقة شيء وتأريخ القبيلة شيء آخر . وهنا تأتي مسألة إتقان مهارات البحث العلمي ومتابعة المنهج العلمي الصارم في التأليف، ونادرة كالكبريت الأحمر هي تلك الأبحاث التي تشفي الغليل فيما يكتب من كتابات تأريخية حول المنطقة وما حولها من المناطق، وهذا الأمر يحتاج إلى بحث مستقل لتقييم المؤلفات في التأريخ والأنساب في المنطقة وما جاورها من المناطق، إذ إن معظمها كتابات بعيدة عن المنهج العلمي ناهيك عما فيها من أخطاء في المعلومات، وقد أطلقت (سابقاً) على تلك البحوث " مرحلة الحبو التأليفي " .

خامساً : تنبيهات حول التأريخ الحديث (ق ١٢ – ١٤ هـ/ ١٨ – ٢٠ م) :

يعد التأريخ الحديث في مجمله امتدادا للفترة الغامضة إلى ما قبل توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود ؛ إذ المعلومات التي تصلنا تتصف بالقلة والاضطراب، بل إن بعض الكتب التي تروي أحداثاً في هذه الفترة جرى التشهير بها واعتبار ما فيها أكاذيب وأباطيل وحرم الاعتماد على المعلومات الواردة فيها ...

وستدور التنبيهات في هذه الفترة الزمنية حول الأمور التالية :

١ - التسميات :

من المواضع المهمة التي لها ذكر في التأريخ ما يلي :

أ. الثلاث الغامديات : ثلاثة جبال ترى من الجنوب بثلاث قمم متساوية وكأنها أهرامات، وهي تبعد عن الطائف مسافة أربعين كيلاً جنوباً ، وقد تضاربت الرويات الشفهية

حول تسمية هذه الجبال بالثلاث الغامديات ، فبعض الروايات الشفهية تجعل قبيلة غامد وصلت إلى هذا المكان وجرت بينها وبين قبيلة عتيبة معركة كبيرة انتصر فيها الغامديون، في حين بعض الروايات تجعل المعركة بين غامد وبلحارث . وقد وقفت على هذه الثلاث الجبال بنفسي ووجدت بها آثاراً موغلة في القدم حيث تتناثر رسوم الوعول وبعض المخربشات لذا فمن المرجح أن التسمية قد تعود إلى فترة قديمة جداً وقد اندثر خبرها الآن .

ب. شمرخ : جبل عظيم شمالي منطقة الباحة وقد قرأت في بعض كتب الفرق أن بعض فرقة الكيسانية يعتقدون أن غيبة الإمام محمد بن الحنفية هي في هذا الجبل وسيظهر منه آخر الزمان .

جـ. برحرح : بلدة مهمة في دوس بل تكاد تكون أهم بلدان قبيلة دوس الآن ، وقد وردت في الأغاني يزحزح بياء وزاي وهو خطأ .

د. جعاليف أبيدة : هكذا وردت في الأغاني في قصة الشنفرى وذلك خطأ والصواب (جنى أليف أبيدة)؛ إذ أليف واد أسفل بيدة وينطق ليف كما تنطق أبيدة : بيدة .

هـ. صفا العجلان : وهذا الموقع في داخل مدينة الباحة ويقع شمالي غرب فندق الزلفان مجاوراً لإشارة المرور الضوئية من ناحية الشمال ويقع الآن في موضعه سوق حديث، وقل من يعرف هذا الموقع أو من يشير إليه وقد وقعت فيه الموقعة الفاصلة بين الترك وقبيلتي غامد وزهران . وهنا يجب ملاحظة تسميات الشوارع التي نفذتها أمانة منطقة الباحة ؛ إذ إن أكثرها لاعلاقة له بتأريخ المنطقة أو برجالاتها، بل إن إهمال الآثار والتعدي عليها من أمانة منطقة الباحة نفسها بسبب الجهل يمثل كارثة علمية كبرى .

و. بلجرشي : جرى خلاف حول مدينة بلجرشي، وجرش أدى ببعضهم إلى القول أن بلجرشي هي المدينة التي وجه الرسول ﷺ لقتال أهلها . وذلك غير صحيح ولاداعي للتفصيل في الأمر، فجرش ماتزال إلى الآن بمسماها القديم في جنوبي إمارة عسير والأدلة على أنها المقصودة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .أما تفسير مسمى مدينة بلجرشي فهو آت إما من اسم القبيلة القاطنة في المكان إذ اسمها " قريش " ثم قيل : بلقرشي أي ابن القرشي أو بنو القرشي، وأبدلت القاف جيماً فقيل بنو الجرشي ثم جرى نطقها بحذف النون والواو أو الياء على طريقة الأزد في هذا الحذف فقيل : بلجرشي، ويرجح وقوع هذا إبدال القاف جيماً مسمى القبيلة نفسها .أو يكون بلجرشي نسبة إلى أحد التابعين من غامد واسمه : عبد الرحمن الجرشي الحاري بن الحارث الغامدي على اضطراب في اسم هذا الرجل ذكرته كتب الحديث ، وبمناسبة التسميات ينبغي الإشارة إلى أن الهمداني لم يذكر مسمى زهران حينما مر بهذه السروات وإنما ذكر غامد والنمر

ابن عثمان ثم دوس، والنمر بن عثمان هم قبيلة من قبائل زهران القديمة ، ويستنتج من ذلك أن قبائل زهران الحاضرة هي مجموعة قبائل متحالفة تعود إلى زهران القديمة سواء التقت في النسب من قريب أو من بعيد .

كما يلحظ في بعض تسميات القرى أنها تشبه بعض التسميات في اليمن أو في الأردن كالطويلة التي تطلق على أكثر من موضع في اليمن وكالزرقاء والجادية التي تطلق على مواضع في الأردن وهذا من التأثيرات الأزدية إذ ربما نقلت تلك المسميات معهم بعد هجراتهم المتعددة، أما رغدان التي تطلق على بعض القصور في الأردن، فيقال إن ذلك بسبب زواج بعض الأشراف من قرية رغدان أو دليل على وصول نفوذ الأشراف إلى هذه القرية إذ إن ما يسمى منطقة الباحة الآن قد خضع للأشراف أكثر من أي طرف من الأطراف المتنازعة عليه .

وقد أخبرني الأستاذ محمد ربيع الذي يقال إن لديه موسوعة تأريخية حول منطقة الباحة فأن لديه مخطوطاً لمحمد بن جلال الغامدي يذكر فيه سبب تسميات كثير من المواضع في منطقة الباحة بأسمائها الحالية .

٢ - تحقيقات في النسب الحديث :

على الرغم من أن قبائل السراة عموماً من أصرح القبائل العربية نسباً ، ولم تتغير مسمياتها القديمة كما حدث في معظم أرجاء الجزيرة العربية، ناهيك عن بقاء ميزات الجنس العربي جلية واضحة في السراة، فإن هناك بعض ملابسات في قضية النسب تتمثل في الآتي :

فقدان بعض حلقات النسب المتصلة بشجرات النسب القديمة فعند الرجوع إلى مشجرات النسب القديمة نجد بعض الفروع مازالت بسمياتها ، وبعض الفروع الأخرى اختفت أو تغيرت مسمياتها ، وهذا الأمر يحتاج إلى تحقيق في النسب أكثر بالاعتماد على ما يسمى بالعزوة أو أجداد القرى والبطون أو بالرجوع إلى القصائد الشعبية الأكثر قدما التي فيها إشارات إلى الأنساب .

فعلى سبيل المثال لا نجد قبيلتي بني عبد الله وبني خثيم في مشجرة غامد القديمة لكنا نجد في إحدى القصائد الشعبية القديمة قول الشاعر : " **حي قيف الثعلبي** " يقصد بها القبيلتين ويتردد عند كبار السن والشعراء أن القبيلتين من بني ثعلبة وعند الرجوع إلى مشجرة نسب غامد نجد ثعلبة بن الدول بن سعد مناة بن غامد فتلحق به القبيلتان .

لكن الأمر قد يكون بالعكس في قبيلة بني كبير التي هي موجودة في سلسلة النسب مباشرة إلى غامد ولكن أهلها يرفعونها هي وقبيلة الرهوة إلى جد غير مذكور في السلسلة

وهـو " **قابوس** " فيقولون : نحن بنو قابوس . ويظهـر أنه أحد الأجداد الأدنين أي أنه من أبناء " كبير " الذين سقطوا في الشجرة غلب على التسمية ولذلك فأرجح أن الرهوة وبني كبير هما قبيلة واحدة ترجع إلى " كبير " .

وهنـاك قبائل من غامد كغامد الزناد وقبيلة بالشـهم التي يقـال إن بينهما قرابة لم أصـل إلى وصلها بشجرة غامد الأم حتى الآن، وينطبق الأمر على بعض قبائل بادية غامد التـي يمكن وصـل بعضـها عن طريق " طلق " ولا يمكن وصـل بعضـها الآخـر أما زهران فيرجعـون قبائلهم التي تزيد على سـبع وعشـرين قبيلة إلى أربعة جـذم كبيرة هي أوس، ودوس، وسليم، وعمر . ويضيف إليهم حمد الجاسر قبيلة بلحارث الطائف ، ويمكن وصل دوس وفروعها المتعددة الآن بسـهولة إلى مشـجرة نسـب زهران القديمة أما بقية القبائل فربما وجد المرء صـعوبة في ذلك فعلى سـبيل المثال قبيلة " بيضان " نجد في بعض الكتب القديمة أن " بيضان " جبل لغامد .

وفي المقابل نجد في الكتب القديمة أن في زهران بطن يدعى " بنو فاحش " لكننا نجد فاحشاً اسم جبل يطل على قرية مراوة في قبيلة بني حسن .

أما بني عمر زهران فنجد مجموعة من قبائل سـراة زهران تنتمي إلى عمر ونجد في الوقت نفسه قبيلة بني عمر في تهامة الذين ينقسمون الآن قسمين من يتبع الشيخ ابن موالا مازلـوا يصـرون على أنهم من زهران وهم ينتشـرون في وادي راش والمعرق وأصـدارهما وممنا وغيرها من الأماكن حتى بلدة المخواة ثم يبدأ قسـم بني عمر العلي ويتبعون الشيخ محمد بن علي ويرفضـون أن يكونوا من زهران ولكنهم لايدرون فيمن ينتسـبون وراء عمر . وهنـاك من أخبرني أن القبيلتين أي بني عمر الأشـاعيب التابعـين لابن موالا وبني عمر العلي كانتا قبيلة واحدة في السابق تتبع ابن موالا ثم انفصلتا في حين هناك من يؤكد أنهما منفصـلتان منذ القدم بل إن من السـهولة التفريق بين القبيلتـين في ملامحهما مما يدل أن لاعلاقة بينهما وعموما فإن وادي الأحسـبة هو منذ القدم حتى الآن لايخلو قاطنوه من كونهم من إحدى القبيلتين غامد أو زهران كما تدل على ذلك المرويات القديمة .

وخلاصة الأمر أن تحقيقات النسب في بعض بطون المشجرات القديمة تحتاج إلى جهد خاص وكنت ندبت نفسـي مع أحد الإخوة من زهران لذلـك لننتهي في وقت معلوم قبل أكثرٍ من سنتين وعلى الرغم من غزارة معلوماته فإنه لم يقم بالعمل مما ثبط الهمة لدي أيضاً .

وممـا يجـب التنبه له في هذه القضـية هو وقوع التصـحيف والتحريف في بعض كتب النسب القديمة، فقد وقع مثلاً في غامد الذي نجده في بعض المشجرات القديمة " عامر " كما وقع في بني كبير الذي تصـحف إلى كثيرٍ في بعض كتب النسـب بينما نجدها " كبير " في الكتب الأكثر ضـبطاً ونجدها كبير أيضـا في كتب أدب وتأريخ وليس كتب نسب فحسب

ولعل من أقدم الكتب إلي ذكرتهم بمسـمى " كبير " كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري في القرن الثالث الهجري، فينبغي أخذ الحيطة في مسألة التصحيف والتحريف ومعرفة قيم الكتب القديمة وأيها الناقل وأيها المنقول منه . ومثل هذا التصحيف الذي يكون في الكتابة فقط يدعو المرء للعجب من صـنيع د. سـعيد بن فالح الغامدي الذي يجزم بأن الاسم تغير من كثير إلى كبير بعد انضمام بني والبة وشكر إلى القبيلة ولا أدري كيف يتغير اسم كثير إلى كبير وهو تصحيف في الكتابة إلى المنطوق إن الأمر برمته يذكرنا بالنكتة الشهيرة التي تقول : إن رجلاً سمع كلمة إنجليزية من اليسار إلى اليمين .

والنكتة ذاتها تتكرر مع بعض أنصـاف المتعلمين حينما يقولون عن شخصية تأريخية مثل أبي ظبيان الأعرج أنه من قبيلة بني ظبيان لتشابه الأسماء، أو كما يدعي بعضهم أنه من بني كبير بدليل قول بعض الروايات التاريخية أنه كان في ألفين وخمسمائة من العطاء . حيث يقول إنه من قبيلة آل عطا من بني كبير البادية . مع أن المقصود في جميع الروايات هو العطاء أي ما يعطيه الخليفة لكبار الصـحابة . وكل كتب النسـب ترد هذا الصـحابي الجليل إلى بني ثعلبة بن الدول . ثم إن آل عطا مسمى حديث ليس له وجود في كتب النسب القديمة قط.

أمـا بنـو والبة فقد دخلـوا الآن في بني كبير وهـم من أبناء عمومتهـم وتداخل بطون غامد أو زهران موجود ومعروف لكن ينبغي التفريق بين مسـمى القرية أو مسـمى الموضع ومسـمى البطن . ولأجل ذلك فلا يمكن رد بعض مسـميات القرى إلى مسمى قبيلة إلا بعد أدلة ومرجحات كثيرة وقد عرض لي الأمر مع ابن شـائق شيخ حوالة حينما أتاني يسألني حول اسـم قبيلته وكنت قد وضـعتها كقبيلة مستقلة فقد نصـحته بإبقاء الحوالي كمسمى نسـب دون القطـع أنهم مـن حوالة القديمة أو مـن العوامر أو من خثعم أو من شـمران أو من غامد إلا بعد أدلة قاطعة لأن مسـمى القرية شـيء ومسـمى القبيلة شـيء آخر وينبغي ألا تدخل الأهواء في هذه المسـألة إذ إن اللعنة تطال من ينتسـب إلى غير أبيه . فهل يمكن في الوضـع ذاته أن يقال : إن قرية بني سـعد تنسب إلى بني سـعد الطائف أو غيرهم . إن مشـكلات مشجرات النسـب في هذا العصر أضحت من المشتبهات التي لا يعلمها كثير من الناس وينبغي التوقف فيها أو ردها إلى أهل العلم .

ومن هذا القبيل وجود مسـمى قريش في غامد التي هي قبيلة بلجرشـي ووجود مسمى قريش في زهران التي هي قريش الحسـن وهذا المسـمى ينتشر في بعض القبائل الجنوبية الأخرى كبني شهر وبلقرن، فهل هذه القبائل تعود إلى قبيلة قريش ؟ إن التشابه في الاسم جعل بعض أنصـاف المتعلمين وبعض من يستشـعرون النقص يسارعون في إلحاق أنفسهم بقريش دون أدلة واضـحة وقوية وقد أشـرت فيما سبق إلى قبيلة بلجرشي أما قبيلة قريش

الحسن وغيرها فأحب أن ألفت النظر إلى أن اسم " **قريش** " كان من أسماء الأعلام الموجودة في السراة ولقد رأيت أحد المترجم لهم في التعليقات والنوادر اسمه قريش بن عبد الرحمن العذمي أو عبد الرحمن بن قريش العذمي وهو من رجال الحجر وهذا يدل على أن قريش بني شهر قد يكونون من ذريته ... والأمر يحتاج إلى بحث أكثر .

أما القضية الأخرى في مسألة الأنساب فتتمحور حول نسب بعض شيوخ القبائل وبعض طائفة الفقهاء .حيث يستوقف النظر أن بعض شيوخ القبائل كما هو مشهور بين سكان المنطقة ليسوا من القبائل خصوصا من كان يسمى منهم بشيخ الشمل وقد اعترف لي بذلك منهم على سبيل المثال أحد أفراد أسرة القفعي، كما أن بعض شيوخ القبائل الصغيرة من أصول إما من خارج القبيلة الصغيرة أو حتى من خارج القبيلة الأم .

ولم يشر إلى هذا الأمر من قريب أو من بعيد الدكتور إبراهيم الزيد في كتابه: **الرئاسة في قبيلة زهران** ،أو حتى يحاول إثارته والرد عليه وذلك لاشك نقصٍ أو كتم لبعض المعلومات التأريخية .وسبب كون بعض الشيوخ من خارج القبائل خصوصاً شيوخ الشمل أنهم كانوا يعينون قديماً من بعض الذين فرضوا سيطرتهم على المنطقة ثم مضى الزمان ونسي الناس أصول أولئك القوم ، ويتحقق الأمر ذاته بالنسبة لطائفة الفقهاء، إذ إن معظمهم ليسوا من أهل المنطقة الأصليين و يدعي بعضهم أنهم من آل البيت وهي دعوى كثر مدعوها وكثر مزورو أشجارها منذ القدم ومعظم أولئك الفقهاء قدموا من اليمن، وبعضهم قد يرد أصوله إلى المغرب وعلى العموم فالناس مؤتمنون على أنسابهم غير أن كثرة مِن يدعي نسباً إلى آل البيت في القطاع التهامي وفي طائفة الفقهاء يحمل في تضاعيفه شكاً كبيراً حول هؤلاء القوم .

وهناك بعض صور التداخل في النسب بين غامد وزهران أو في إطار القبيلة نفسها وتتم في الغالب بسبب بعض مشاكل القتل أو المشاكل الكبرى المتعلقة بالحروب وغيرها فترى بعض الناس من غامد وأصوله من زهران والعكس صحيح .

٣ - الأحداث التأريخية .

ظل ما يعرف بمنطقة الباحة متنازعة بين الأشراف، وآل عائض الذين حكموها فترة قصيرة، ثم الأتراك، ثم الأدارسة الذين حكموها لأشهر وكان الإدريسي حريصا على دخول قبائل السراة في حكمه لأنهم بيضة الإسلامٍ كما يذكر . ثم إننا نجد عنده وصفا لقبيلة غامد بأنها غامد العريضة وهذا قد يكون دليلاً على كثرة هذه القبيلة آنذاك .

و المنطقة الآن في حكم آل سعود الذين امتد نفوذهم إلى هذه المنطقة منذ الدولة السعودية الأولى يقوى ويضعف مابين مد وجزر، وهي الآن مستتبة تحت الحكم السعودي تنعم بالأمن والرخاء .

بيـد أن مـن المهم أن يدرك المرء أن فترات الحكم السـابقة كانت المنطقة تخضـع في الغالب اسـمياً لتلك الدول بوسـاطة شـيوخ القبائل المحليين الذين كانـوا يحكمون داخليا ويملكون سجوناً وبعض الأتباع والعبيد . وكان يتمتع كثير منهم بالحكمة وسداد الرأي ومن ثم يطيعهم أفراد القبيلة طاعة عمياء كما يقال .

ولكن أغلبهم لم يكن يهتم بشأن قبيلته بل كان عاملاً في زيادة تخلفها وفقرها وبقائها علـى ماهي عليـه . وكان هؤلاء الشـيوخ يضـطرون إلى طاعة تلك الحكومـات التي تبعث خطابات تهديد واضـحة لهم تدعوهم إلى الامتثال لأوامرها وإخراج الزكاة من القبيلة أو إخراج ما يتوجب عليها من الرجال في إبان الحروب أو ينتظرون الويل والثبور . و قد رأيت صـورا لبعض هذه الوثائق والخطابات التهديدية بنفسـي . وأحياناً ترسـل إليهم الأموال لاستمالتهم خصوصاً الأقوياء منهم أو من كانت قبيلته كثيرة العدد .

إذن الأداة هي شيخ القبيلة الذي يحكم باسم من يستطيع السيطرة على المنطقة .

ويلفت النظر في الأتراك الذين جعلوا المنطقة تابعة لسـنجق عسـير وتقسـيمها ثلاثة أقضـية أحدها سموه قضـاء غامد ويحكم إلى حدود النماص أنهم هم الذين أشاعوا لفظ عسـير للسـروات الجنوبية وهو لايصـح كمسـمى غامد الذي كان في عهدهم يشمل قبائل كثيرة من بينها زهران لذلك فالتسمية الأصح للمنطقة الجنوبية هي السروات أو الحجاز .

<u>أما أبرز الأحداث التي يمكن الإشارة إليها أو إلى بعض الأمور المهمة حولها، فهي كالآتي :</u>

أ - تصـدي غامـد وزهران لقـوات محمد على باشـا بقيـادة بخروش بـن علاس الزهراني وأخبار ذلك التصدي البطولي معروفة لكن الذي أود الإشارة إليه أن أبرز قائدين في تلك الفترة هما اثنان بخروش بن علاس وطامي بن شعيب وقد قتل بخروش بن علاس وبعث برأسه مع طامي بن شعيب الذي قتل لاحقاً .

ب - أن بعض الذين أسـروا ورحلوا إلى الأسـتانة فيما يعرف عند الأتراك بسـنجق عسير بعد أهل أبها ورجال ألمع هم من غامد وزهران .

ج - أن أحداث تصـدي أهـل الجزيرة العربية ممثلين في نجد والسـروات للأتراك ومحمد علي باشـا هو تصـد قدم فيـه أهل نجد وأهل السـروات بطولات رائعة وتضحيات كثيرة جدا يجب ألا تنسى .

د - كنت قد كتبت مقالا قبل فترة من الزمن عنونته " من أبعاد العلاقة الاستراتيجية بـين السـراة والدرعيـة " وكان يدور حول سـؤال مفاده لماذا ذهـب محمد علي باشـا بنفسـه لمقاتلة قبائل السراة في حين أرسـل ابنه إلى الدرعية .إن الإجابة تتمثل في كون أهل السـراة كانوا هم الشوكة العسـكرية القوية التي ساهمت مع

غيرها من القبائل في توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الدولة السعودية الأولى بل هي من أقوى القبائل وأكثرها أثراً وأعظمها دورا في تلك الفترة، إضافة إلى كونها مركزاً تموينياً استراتيجياً للحجاز أي للأشراف الذين حرصوا على إخضاعها منذ البداية .

هـ- يلفت النظر في مسألة تطور الحياة السياسية أنه وإن كانت سياسة تبعية تهدف إلى الإفادة من خيرات السروات ورجالها عن طريق شيوخ القبائل فحسب إلا أن بعض المصادر تذكر أن آل عائض أقاموا مجلس شورى في أبها كما أقاموا مجلس شورى في الظفير وهي ذات المصادر التي تحدثت عن إصدار بعض الصحف في عهد آل عائض، وإن لم يتسن إلى الآن التأكد من صحة هذه المعلومات وما فيها من خطوات تطويرية سابقة لزمانها فإن الناظر للوثائق المتبادلة بين خديوي مصر وبعض آل عائض إضافة إلى أسر بعض أهل عسير وبقائهم في الآستانة فترة من الزمن قد يؤيد تأثرهم بالتطور السياسي في الأستانة ومصر .

و- أن خضران الدوسي أحد شيوخ دوس يعد إضافة إلى بخروش بن علاس أهم رجالات القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في المنطقة، إذ يبدو أنه لم يرض عن التبعية لآل عائض مما أدى إلى سجنه، وهو يمثل نقطة ضوء في تأريخ الشيوخ في تلك الفترات حيث حرص معظمهم على مصالحه مضحياً بمصالح قبيلته، ثم إن وعيهم بالأحداث التي تدور حولهم لم يكن يرقى كثيراً عن وعي عامة الناس .

<u>ز- إن أهم أحداث القرن الرابع عشر في المنطقة تتمحور حول الآتي :</u>

١- موقعة وادي قوب والقضاء على بقايا الأتراك في المنطقة على يد أبناء غامد وزهران، وتفاصيل تلك الموقعة التي كما استطعت جمعها من عدة روايات شفهية على النحو الآتي :

كانت الموقعة عام (١٣٢١هـ) وبعض الروايات تقول إنها في عام (١٣٢٣هـ) حيث أقبل الأتراك على المنطقة في عدد كبير يريدون الانسحاب من عسير عقب الحرب العالمية الأولى إضافة إلى وجود حامية لهم في رغدان وكانوا قد أرسلوا لابن رقوش شيخ زهران يطلبون تأمين مرور القوات . وتقول بعض الروايات إن السبب المباشر للحرب هو أن هذه القوات لما وصلت إلى الفرعة قامت بقتل بعض أفراد قبيلة بني حسن وتعليق رؤوسهم في أشجار اللوز، وكيفما كان الأمر فإن المتتبع لأحداث المعركة يدل على أنها قد خطط لها تخطيطاً عسكرياً محكماً اعتمد على عنصر المفاجأة حيث فأجأ أبطال المنطقة الأتراك في مضيق الوادي عند جبل البراقة وقتلوا منهم مقتلة كبيرة أدت إلى انسحابهم إلى رغدان التي تبعد عن البراقة أكثر من عشرة أكيال تقريباً، ثم جرت الموقعة الفاصلة في وادي قوب

عند صفا العجلان حيث استحر القتل في الجيش التركي حتى تغير لون مياه الوادي إلى الأحمر القاني ففر الأتراك ورجع قائدهم أحمد باشا إلى رغدان مع بعض معاونيه فطارده مجموعة من الأبطال على رأسهم الشاعر ابن ثامرة الذي يقال إنه استطاع القبض عليه وحز رأسه، وفي رواية أخرى أن أحمد باشا اختبأ في "**سفل**" مع البقر وهم يطردونه مع بعض أعوانه فعرفوا مكانه من أصوات الحيونات فقبض عليه وبدأوا بالرقص والابتهاج فما كان من القائد التركي إلا أن أطلق على نفسه رصاصة من مسدسه قبل أن يقتلوه.

أما بقية الجيش الفار فقد نزل من الجبال ناحية عقبة الباحة يريد تهامة وقد تعقب أبناء غامد وزهران الجيش التركي هناك وأبادوه عن بكرة أبيه في المعرق حيث بقيت جثث ذلك الجيش فترة من الزمن .

هذا ما استطعت أن أجمعه من عدة روايات متعددة لكبار السن وليس من رواية واحدة .

وقد وجدت وأنا طفل صغير قذيفة مدفع من مدافع الأتراك مدفونة في إحدى "**الركائب**" حول بيتنا الذي لا يبعد عن رغدان سوى خمسة أكيال ولدي شبه يقين أنها من الذخائر التي غنمها سكان المنطقة من الجيش التركي .

وكنت أظن أن المشتركين فقط هم من زهران إلى أن سألت علي بن مسلم الخفوي (رحمه الله) عن الموقعة في صفا الجلان فقال : "اشترك في الموقعة غامد وزهران"، ثم وجدت تأكيد كلامه في تأريخ الشيخ محمد بن عبدالله المنصوري الذي حققه الزيد ولكنه يذكر أن بداية الحرب كانت في قرن المغسل عام (١٣٢٠هـ) وأرجح أن ذلك في أواخر ذلك العام وقد اشترك في الوقعة كما يقول غامد الشامية وزهران وقد هزم يوسف باشا قوات غامد وزهران ولكنهم لاحقوه إلى الظفير وأسروا العسكر وغنموا أسلحة منهم ثم ذكر المنصوري قتل المتصرف الكمندار، ولكن جعاث يذكر الخبر مفصلاً كما يقول الزيد ويسمي القائد التركي أبو ناب ويذكر اسم القائد الكبير وهو أحمد باشا والكمندار إسماعيل باشا وقد رحل الأتراك من ما يعرف بمنطقة الباحة بعد هذه الوقعة في حين أنهم استمروا في أبها إلى عام(١٣٣٧هـ) ، وإن يكن أبناء غامد وزهران قد أبلوا بلاء حسناً في هذه المعركة فإن من ذهب بفخرها هم قبيلة بني حسن من زهران وهي أكبر قبيلة في زهران، وكان للشاعر ابن ثامرة دور كبير في هذه الحرب وهناك قصيدة مشهورة تؤرخ لهذه المعركة ينسبها أغلب الناس لابن ثامرة وهي ليست له بل لشاعر زهراني يدعى عيفان.

وتعد هذه القصيدة من غرر القصائد الشعبية التي قيلت بطريقة الشقر ولو قيلت هذه القصيدة بالشعر الفصيح لكانت من أهم قصائد التحرر العربي وكانت قصيدة تمثل علامة مهمة في الشعر ليس فقط بموضوعها بل بأسلوبها وقيمها الفنية .

٢- لم يذكر التأريخ الشفهي وقعة بين بعض غامد وزهران إلا وقعة بين بني حسن وبني خثيم وقد شهدها أحد أجدادي وهو طفل ولكن شرارة الحرب أخمدت في بدايتها وكان سببها تعدي بعض أفراد قرية الحمض على حمى الجادية . غير أن هناك وقعة مهمة لها علاقة بالحرب مع الأتراك رواها لي علي بن أحمد بن مسلم رحمه الله في (٩/١/ ١٤٢٠ هـ) في بيته، حيث ذكر لي أنه كان هناك اتفاق بين غامد وزهران على ضرب مؤن الأتراك وأن ابن قرحان من الأزاهرة كان مع جمال تؤدى إلى الأتراك فأسر مع الجمال عند شبرقة وكان لونه يميل إلى السواد فطالبت غامد بإحضار الفتى الصغير . وقد تم رد الفتى بعد أن سرقه ناس من بدو غامد وأرجعوه إلى أهله . ثم جرى صلح بين غامد وزهران في السكران حيث عسكر من زهران ثمانمائة رجل وذبح لهم (٢٥) جملاً و (٤٠) حسيلا . وانتهى الأمر بالصلح والاستمرار على التضييق على الترك .

٣- قصة دخول القوات السعودية بقيادة خالد بن لؤي المنطقة حيث لم تلق مقاومة تذكر، وقد وصلت بلجرشي وهناك قامت القوات بإحراق بلجرشي وما تزال آثار الحريق باقية في بعض البيوت القديمة إلى الآن، ويمكن أن يكون لدى بعض أهل العلم من بلجرشي تفصيلات لهذه الوقعة أكثر تحرياً للدقة لكن الشائع بين المهتمين بهذا الأمر أن بلجرشي سلمت للإخوان في البداية ثم طلب الشيخ عبد العزيز الغامدي أن يعود للشريف لفك بعض الرهائن من غامد عنده وكان ابن لؤي قد اتفق معه الشيخ عبد العزيز الغامدي وأهداه خيلاً، ولكنه بعد خروجه وشى به بعض الناس وقال: إنه لم يخرج إلا لكي يستنصر الشريف فجرى حرق بلجرشي وتتبع الرجال وقتلهم ثم أسر عبد العزيز الغامدي وأرسل إلى السجن في الرياض .

ومن أهم أحداث معركة بلجرشي أن بعض الإخوان حاصروا جبل حزنة فامتنع عليهم أهل حزنة وصعدوا أعلى الجبل وقاموا بشق بعض قرب الماء أمام الإخوان مما أجبر الإخوان على تركهم وهناك قصائد شعبية تشير إلى ما قام به أهل حزنة في هذه الموقعة .

٤ – دور قبائل غامد وزهران في توحيد الدولة السعودية الثالثة: يتمثل هذا الدور في إخراج أفواج المجاهدين لتوحيد المملكة كلما طلب منهم ولي الأمر ذلك، إضافة إلى الدور الذي قام به محمد بن جمل المكي الغامدي في قيادة غامد البادية والحاضرة للمشاركة في توحيد المملكة العربية السعودية ولا تزال أسرته تحتفظ بالبيرق الذي سلمه الملك عبدالعزيز لابن جمل المكي حتى الآن، وقد انخرط بعد ذلك كثير من أبناء غامد وزهران والقبائل الجنوبية في الجيش السعودي منذ بداية تأسيسه، إضافة إلى أن كثيرا منهم قد هاجر إلى أصقاع المملكة المترامية وأسهموا في تأسيس المشروع الحضاري لهذه الدولة وشاركوا في التعليم والاقتصاد واشتركوا مع غيرهم من أبناء الوطن في دفع مسيرة التنمية إلى الأمام .

٤ - لمحات من الحركة الفكرية والعلمية في منطقة الباحة :

يجب في البداية أن يعرف أن التعليم لم ينقطع من منطقة الباحة وكان التعليم يقوم على نظام الفقهاء الذين يتوزعون في كل قرية وكلما مات فقيه أتى آخر مكانه حيث يقوم الفقيه بإمامة الصلاة وأداء الشعائر الدينية الأخرى، ومداواة الأمراض، ويقوم الفقيه بتعليم صبيان القرية في المعلامة، وهؤلاء الفقهاء كانوا من اليمن في الغالب وبعضهم يدعي أنه من آل البيت وكان الفقهاء يأخذون العشر من كل مزارع إضافة إلى مبالغ زهيدة مقابل التعليم، وكانوا يعلمون القراءة وخصوصاً قراءة القرآن وربما لا يعلم بعضهم الكتابة لأن مهنة الكتابة تقتصر على الفقهاء الذين يكتبون الحجج والوثائق، أما الفقهاء الذين من أهل المنطقة نفسها فهم قلة، وقد حرص أغلب هؤلاء الفقهاء على عدم قيام تعليم صحيح وعلى إبقاء أهل المنطقة في جهل جزئي ليستفيدوا من الميزات التي يحصلون عليها . وبعض هؤلاء الفقهاء كانوا من الأثرياء وليس كما يشاع أنهم فقراء أو كما كان أهل المنطقة يحقرونهم لأنهم لايعملون في المزارع بأيديهم .

والحديث عن الدور السلبي الذي مارسه الفقهاء لا يعني أنه ليس من إيجابيات لديهم فبعضهم قد أدى أمانة نشر العلم بما تتيحه له ظروف عصره .

أما بداية التعليم الحقيقة في المنطقة فقد كانت بعد أن أسست أول مدرسة حكومية في جنوبي المملكة على الإطلاق وذلك في الظفير سنة (١٣٥٠هـ) ويعد الذين طالبوا الملك عبد العزيز بتأسيسها من أهالي الظفير هم الرواد الأوائل للتعليم في المنطقة وأسماؤهم موجودة لدى الأستاذ صالح بن ناحي .وليس للمدرسة القرعاوية أثر يذكر حيث لم تدم في المنطقة إلا فترة قصيرة جداً .

ومن أهم رواد التعليم في منطقة الباحة محمد بن علي آل جماح حيث أسس المدرسة السلفية الأهلية في بلجرشي في السبعينيات الهجرية وقد قرأ القرآن على والده وختمه في مدة ثمانية أشهر،ثم أعاده مرة أخرى على أحد المشائخ وقرأ كتباً في التفسير والفقه والحديث والنحو والسيرة النبوية، وكان الشيخ الذي تلقى عليه العلم يدعى علي بن إبراهيم المداني، كما رافق بعض علماء الأزهر من أنصار السنة المحمدية وتلقى عليه بعض الدروس في صحيح البخاري في أثناء ذهابه إلى الحبشة حيث كان كثير من سكان المنطقة يهاجرون إلى الحبشة طلباً للرزق.

وفكرة إنشاء المدرسة وفتحها والإشراف عليها الذي استمر(٤٠)سنة هي منقبة لهذا الرجل، وقد كان لطلاب هذه المدرسة عظيم الأثر في توعية الناس حيث كان يرسلهم إلى القرى لإلقاء المواعظ ولم يكتف بذلك بل أرسل بعضهم إلى عسير ومكة وجدة وقد كان

بهذه المدرسة قسم داخلي لإيواء الطلاب المتغربين وقد تخرج في هذه المدرسة كثير من أفذاذ العلماء في المملكة .

ويمكن القول إن ابن جماح يعد أهم شخصية تعليمية في المنطقة وسيكتب التأريخ ماقدمه بحروف لا يمكن أن تمحى . ومن الشخصيات المهمة التي لها دور في تأسيس التعليم في الباحة سعيد أحمد السبالي الزهراني

وبموازنة بين ماتوفر لدي من رصيد ثقافي وحراك أدبي في داخل المنطقة مع استثناء أبنائها المهاجرين أجد الفترة السابقة على تأسيس النادي الأدبي في الباحة أكثر أصالة وأقوى إنتاجاً مع فارق الوسائل والدعم وشيوع الوعي في الفترة المعاصرة ، و لدي مجموعة من المؤلفات المصورة منها المخطوط ومنها المطبوع بالإضافة إلى بعض المعلومات المتفرقة عن الحياة الفكرية والعلمية في المنطقة وقد يضيق المقام عنها في هذه التنبيهات الموجزة التي تنحو نحو المهم والنادر من المعلومات، ولكني أرجو أن تكون نواة لتأريخ خاص بالفكر والأدب في المنطقة .

وهناك كثير من الكتب المخطوطة في المكتبات الخاصة في المنطقة بعضها ألفها علماء من داخل المنطقة وقد أطلعت على بعض تلك المكتبات ومازال بعضها مخفياً حتى الآن وكل ما أرجوه من أصحاب تلك النفائس أن يقوموا على الأقل بتصويرها خوفاً عليها من الضياع ومن الآفات .

٥ - بعض المقابلات التي أجريتها :

لقد أجريت العديد من المقابلات وفي مخططي أن أجري مقابلات أخرى مع بعض كبار السن خصوصاً من رجالات المنطقة المشهورين وبعض تلك المقابلات دونتها في جزازت وبعضها في دفاتر صغيرة، وهذان نموذجان لبعض تلك المقابلات .

أ - لقاء مع الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحيم القحطاني الغامدي (رحمه الله) مرتين في بيته في يوم الجمعة (١/ ٨/ ١٤١٩هـ)، وفي يوم الأربعاء (٢٧/ ٨/ ١٤١٩ هـ)

من أهم المعلومات في هذين اللقائين ما يلي :

- عبد الرحمن بن حسين بن محمد تولى القضاء في عهد العثمانيين وكان يقضي ستة أشهر في الظفير وستة أشهر في النماص .
- كتب كثيراً من المخطوطات بخط يده .
- ذكر لي أخبار وقعة بين غامد الزناد وبني بحير وقد أنجدهم غامد السراة وكان في المقدمة الشاعر المشهور الزبير .
- كان ضنيناً على مخطوطاته وقد أطلعني على بعضها، ومنها :

" جـزء من تفسـير فيـه احتفاء بأقوال ابن عباس، كتاب السـبتي لأبي بكر أحمد بن عبد الرحمن السـبتي القحطـاني في الفرائض، جزء من مخطوط في النحو، مخطوط صغير في الحديث، كتاب أقرب الوسائل بشرح بغية العامل في نظم العوامل لأبي الفرج بن الهادي الجعفري الحتي الشهير بالقربي،مخطوطة كبيرة في النحو بخط عبد الرحمن بن حسـين، مخطوطين في الفقه، كتاب إيقاظ الغافلين وتنبيه السـالكين بخط عبد الرحمن بن حسـين(١٢٧٣هـ) ، مجموع فيه : شـرح الآجرومية لعبد الرحمن بن حسين بن محمد بـن أحمد في(١٢٩٠ هـ) ، مخطوط في التجويد، كتاب تحفة الناسـك في أحكام المناسـك لعبد اللّٰه داود، وكتاب منية أهل الورع في بيان عدد من يصح بهم الجمعة لأحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاش، كتاب معاني لا إله إلا اللّٰه للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قصيدة مسـمطة لنشـوان الحميري، قصـيدة لعلي بن أبي طالب ، بشـرى الكئيـب بلقاء الحبيب لجلال الدين السـيوطي، شـرح الهمزية للبوصـيري، صـفوة الزبد لولي اللّٰه أبي العباس أحمد أرسـلان والحاشية بعنوان بشـرى الإخوان بحل زبد أرسلان بخط عبد الرحمن بن حسـين بن محمد الغامـدي أو بتأليفه، وهناك بعض كتب التصـوف وكثير من كتب الفقه الشـافعي وبعض الكتب الأخرى التي ماتـزال عناوينها مكتوبة لدي أما ما لم يطلعني عليه بالإضافة إلى المكتبة كاملة فقد وجدت بعض المخطوطات بدأت تؤثر فيها الرطوبة والأكلة وحاولت إقناعه بإحضار آلة تصوير لتصويرها حتى لا تتلف ولا أدري أصورت المخطوطات أم لا وأنا أناشد أبناءه بعدم كتمها فهي جزء من تأريخ المنطقة وفي إشاعتها نشر للعلم " .

ب- لقاء مع الشـيخ علي بن أحمد بن مسـفر بن مسـلم الخفوي الغامدي رحمه اللّٰه في منزله (٩ / ١ / ١٤٢٠ هـ) .

وأبرز الملحوظات في هذا اللقاء ما يلي :

- يتميز بخطه الذي يشبه المخطوطات القديمة وقد تلقى العلم على يد علي بن عبد الرحيم القحطاني .
- هـو آخر المتمسـكين بالمذهب الشـافعي في المنطقـة عن علم وفهم وليس تقليداً كبعض كبار السـن، وقـد كان رحمه اللّٰه معتزاً بشـافعيته وإماما لمسـجد قريته حريصـاً على الجهر بالبسـملة في قراءة الفاتحة . وبموت هذا الشـيخ الفاضـل مات الفقه الشافعي في المنطقة .
- أراني بعض الحجج والوثائق القديمة التي تتعلق بالقرية ويصل أقدمها إلى عام(١٠١٥هـ) .ومن تلك الأوراق ورقة في تحديد المهر وورقة في الحظر على الشبك .
- ذكر أن أخاه علي بن سعد المسلم حبس شهراً لعدم خضوعه لآل عائض.
- أخبرني بقصـيدتين للشـاعر الزرقوي قال الأولى أمام الإدريسـي ثم قبض عليه

الشـريف وقال قصـيدة أخرى لمدح الشـريف من القاف والاعتذار عما بدر منه فأجزل له الشـريف حسـين ثم ابنه فيصل العطاء وأصبح الزرقوي بعد ذلك من الأغنياء، والقصيدتان مسجلتان عنده بخط يده .

- فهمت منه أنه شـارك في الحرب ضـد إمام اليمن وكان من الذين دخلوا نجران مع الملك سعود (رحمه الله) .
- لم يطلعني على مخطوطات الكتب على الرغم من إلحاحي الشديد .

هذا وهناك من المقابلات المهمة مقابلتي مع الشيخ محمد بن دخيخ وقد أطلعني على كثير من الوثائق التركية والعربية ومنها وثائق فيها معاهدة حماية بين قبيلة غامد وقبيلة الثبتة في الطائف .

ومن ذلك أيضـاً لقاء مع الشيخ عيسى القفعي في(٢٥/٣/ ١٤١٨هـ) ، ومن ذلك أيضاً لقاء مع الشـيخ إبراهيم بن أحمد بن سـاعد من الباحة بتأريخ(٢١/٥/١٤١٨هـ) ،إضافة إلى أن بعض آل الشاعر قد أطلعني على بعض المخطوطات المهمة وقد صورت بعضها وهناك قصاصات تحتوي على اللقاء بكثير من كبار السن الذين حدثتهم في تأريخ المنطقة بعضهم توفي إلى رحمة الله وبعضهم مازلوا على قيد الحياة أطال الله أعمارهم ومتع بصحتهم .

وبذلـك أكـون قد انتهيت من تدوين هذه التنبيهات التي حرصـت فيها على الصـدق وتوخـي الحقيقـة، وما فيها من خطأ فهو غير مقصـود ويرجع إلى الـذي نقلت منه لا إلي خصوصاً في الروايات الشفهية .

أما الملحوظات والتعليقات فهي اجتهادات مني إن أكن أخطأت فمن نفسي والشيطان وإن أكـن أصـبت فبتوفيـق الله الذي أسـأله أن يكون هـذا العمل في سـبيله ولإثارة الهمم والعزائم في قومي الذين لهم في نفسي مكانة لا تقل سموا ورفعة عن الثريا .

والدرس المستفاد من كثير مطالعاتي في التأريخ في الفترة الأخيرة هو أن الإنسان إذا عرف الحق وتيقن منه فيجب عليه الوقوف مع الحق مهما كان الثمن .

وعلمـت أيضـاً أن الجزيـرة العربية التي ابتليـت فيها نجد والسـراة بفتن ومعارك وغزوات ومجازر وظلم أظلم خلال القرنين الماضـيين تنتظر أن تتحول إلى نهضـة وتقدم حضـاري وعلمـي في القـرن هذا وما بعده من قـرون يجعل أمتنا العربية ترفع رأسـها بين الأمم والسـبيل الوحيد هو العلم والإخلاص واسـتثمار نعمة العقل واتباع صوت الحكمة "**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**"

كتبه الدكتور :
جمعان بن عبد الكريم بن عطية بن عبدالله آل أحمد الخثيمي الغامدي .
في (١٤/١٢/١٤٢٧ هـ)

الدراســـة الثامنـــة

منطقة الباحة (غامد وزهران) كما سمعت عنها وشاهدتها

(٢٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ/١٥ـ٢٥/١٠/٢٠١٢)

بقلم :أ.د. غيثان بن علي بن جريس (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ١٥٩ - ٢٦٤

الدراسة الثامنة: منطقة الباحة (غامد وزهران) كما سمعت عنها وشاهدتها (٢٩/ ١١ـ٩/ ١٢/ ١٤٣٣هـ/ ١٥ـ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٢)

أولاً : مدخل :

منطقة الباحة تقع بين مناطق المملكة الرئيسية الوسطى وعسير من الشرق والجنوب[١]، ومكة المكرمة من الشمال والغرب[٢]. وتشمل تضاريسها أجزاء تهامة والأصدار من الغرب، والسروات في الوسط، والبوادي في الشرق[٣]. وهي واحدة من مناطق المملكة الرئيسية[٤]. وفي هذا القسم لن ندرس منطقة الباحة دراسة توثيقية تعتمد على الوثائق والمصادر والكتب المطبوعة، فهذا منهج سلكناه في أقسام أخرى من هذا السفر[٥]، وقد نفرد دراسة مستقلة في المستقبل نؤرخ فيها لهذه المنطقة منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث[٦]، والذي سوف ندونه هو ما سمعناه وشاهدناه في هذه البلاد الغامدية والزهرانية. ولن نسلك مسلك الرحالة السابقين الذين ساروا في مناكب الأرض ورصدوا تحركاتهم ومشاهداتهم ساعة بساعة ويوماً بيوم وشهراً بشهر[٧]، وإنما سرنا وتجولنا في أرجاء هذه المنطقة الجنوبية، وجمعنا ما استطعنا جمعه، مستعينين بالعديد من الأساتذة الكرام في البلاد الباحوية[٨]، ثم دونا مادتنا المجموعة في محاور

---

(١) تحدها بلاد خثعم وما جاورها من الجنوب، وقبائل سبيع والبقوم من الشرق. وتحدها العديد من محافظات ومراكز منطقة مكة المكرمة من الشرق وتحدها العديد من محافظات ومراكز منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب. مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تجول الباحث في أرجاء هذه المنطقة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) منطقة الباحة من مناطق الجنوب الرئيسية مثل: عسير، وجازان، ونجران. بالإضافة إلى مناطق المملكة العربية السعودية : الوسطى، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمنطقة الشرقية، والقصيم، والجوف، وتبوك، وحائل، والحدود الشمالية. للمزيد من التفصيلات عن هذه المناطق انظر سجلات وتقارير وزارة الداخلية، والتقارير والكتيبات الصادرة من كل إمارة الرئيسية في هذه المناطق.

(٥) انظر الأقسام السابقة في هذا الكتاب.

(٦) سبق وأن أخرجنا دراسة عن الباحة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. انظر: ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م)، ج٢، ص١٣٣ وما بعدها. وقد نخرج دراسة موسعة في كتاب مستقل عن هذه البلاد خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها دراسات أكاديمية عديدة.

(٧) من ينظر في كتب الرحالين المسلمين وغير المسلمين يجدهم يتحدثون عن المواقع حسب سيرهم الجغرافي والزمني، فعندما ينزل الواحد في مكان ما يذكر وقت نزوله، ثم يشرح ما رآه وشاهده، ثم ينتقل إلى مكان آخر، وهكذا يسير على نفس المنهج.

(٨) في الأسبوع الأخير من شهر ذي القعدة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) خاطبنا الأستاذ الكريم حسن بن محمد الزهراني، رئيس نادي الباحة الأدبي، وأبدينا له ولأعضاء مجلس إدارة النادي رغبتنا في زيارة منطقة الباحة وجمع مادتنا لهذا القسم، وتجاوب مشكوراً هو ومجلس إدارة ناديه على استضافتنا عشرة أيام من (٢٩/١١/ - ٩/١٢/١٤٣٣هـ)، وقد وصلت إلى مدينة الباحة يوم الثلاثاء الموافق (٢٩/١١/١٤٣٣هـ/ ١٥/١٠/٢٠١٢م)، وقابلني ممثل النادي الأستاذ عبد الله بن سعيد بن ناصر الغامدي وسهل لي أمر السكن، وبدأت أتصل بشكل ودي وشخصي ببعض مثقفي المنطقة، فوجدت العديد من الإخوان والأصدقاء الذين قدموا لنا يد العون وتنقل معنا بعضهم في أرجاء المنطقة، وبعضهم استضافني في منزله، وآخرون رتبوا لي زيارة بعض الأعلام والمواضع في أنحاء البلاد. ومن باب ذكر أهل الفضل بفضلهم فإنني أشكرهم وأذكرهم، وهم على النحو التالي: الدكتور جمعان عبد الكريم عطية الغامدي، والدكتور علي بن عثمان الزندي، والدكتور محمد بن جمعان بن دادة الغامدي، والدكتور عوض علي السبالي الزهراني، والأساتذة الكرام : عبد الله محمد الدربي، ومحمد فرحة شاهر الغامدي، وموسى

رئيسـية، مع الحرص على وحدة الموضـوع دون أن نذكر الساعة أو اليوم الذي زرنا فيه كل ناحية، وإنما اكتفينا في الحاشـية السابقة بذكر التاريخ الذي مكثناه في بلاد الباحة أثناء جمع مروياتنا ومشـاهداتنا، وقد يتخلل هذا القسـم النقص والقصـور، ونأمل أن نورد ما يفيـد وينفـع، كمـا نأمل أن يظهر في المسـتقبل من يصـحح ما وقعنا فيه مـن أخطاء غير مقصودة، أو يستكمل ما لم نستطع تدوينه. (والله من وراء القصد).

ثانياً : الوضع الجغرافي والسكاني :

أ- الجانب الجغرافي :

تنقلنـا في أرجاء منطقة الباحة بدءاً من مركز شـرى جنوب المنطقة حتى مدينة بلجرشي وما جاورها من أحياء[1]، ثم سرنا في جنبات وضواحي المدينة، وزرنا بعض مراكز محافظة بلجرشـي مثل: مركز بالشـهم، ومركز جرد[2] . ثم انتقلنا من حاضرة بلجرشي إلى بوادي غامد التي تمتد من شـرق مدينة بلجرشـي مرورا بمركز جرد حتى شرق وادي العقيـق في غامـد، ووادي بيدة في زهران، بل وصـلنا إلى أطراف غامد وزهران الشـرقية قريباً من بلاد سـبيع والبقوم.[3] وذهبنا في جولاتنا السـروية شـمالاً إلى بلاد بني كبير وبني ظبيان وبني عبد الله وبني خثيم في مدينة الباحة وما جاورها من المراكز والنواحي، ثـم سـرنا إلى قرية بني سـار في بني عامر من زهران، ودخلنـا إلى وادي بيدة الذي يتجه مـن سـروات زهران شـمالاً إلى وادي تربة، وشـاهدنا محافظة القرى ومـا يوجد بها من معالم جغرافية، واتجهنا شمالاً حتى رأس جبل شمرخ، ثم سرنا نحو الشمال الغربي مرورا بعقبة ذلاله التي أخذتنا إلى بلاد دوس، وواصـلنا السـير من هناك إلى بلاد بني حسـن الزهرانيـة، وبلاد بالحكـم وبلخزمر مروراً بمحافظة المندق، وهـذه البلاد يعبرها طريق

أحمد محمد العبدلي، ومنصور محمد عبد الله موالا، ومحمد سعيد موالا، ومحمد سعيد رمزي الغامدي، وعلي فيصل عبد الرحمن الزهراني، وأحمد عبد الكريم عطية الغامدي، وعلي محمد صـالح الزهراني، وحسـن عبد الكريم عطية الغامدي، وجمعان غرم الله آل موسى الغامدي، وخالد محمد كرت الغامدي، وعلي محمد سعيد آل مسعود الزهراني .

(١) وادي شرى وما يوجد به من عشائر وقرى يقع إلى الشمال من قبائل خثعم وعليان وشمران، وكان يتبع إدارياً إمارة منطقة عسـير، وفي عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) صـار تابعاً لإمارة منطقة الباحة ويسـكنه قبائل بني ميمون وعشائر أخرى . مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام(١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) محافظة بلجرشـي مدينة رئيسـية في منطقة الباحة وكانت الإمارة الرئيسـية فيها في العقود الأولى من النصـف الثاني للقرن الهجري الماضي، ويتبع لها العديد من المراكز مثل: بالشهم، وبني كبير، وشرى، وجرد وغيرها . وهي المدينة الثانية تنموياً وحضارياً بعد مدينة الباحة . مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) من خلال جولتنا اتضح لنا أن بلاد غامد السـراة والبادية أوسـع أرضاً وأكثر سـكاناً من بلاد زهران السراة . ثم إن قبيلة غامد لها سروات وبواد وأجزاء تهامية، في حين أن زهران ليس بها بوادي، ومساحتها أصغر من غامد في السراة، لكن أرضها ومستوطناتها في تهامة أوسع أرضاً وأكثر سكاناً . مشاهدات الباحث عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . .

الباحة الطائف السياحي، ثم تجولنا أخيراً في مدينة الباحة وقراها وضواحيها،[١] ثم نزلنا إلى الأجزاء التهامية سالكين عقبة الباحة المخواة[٢] . وتوقفنا في قرية ذات عين الواقعة في أسفل تلك العقبة[٣]، وعند وصولنا إلى المخواة تجولنا في أرجائها، ثم اتجهنا شمالاً إلى محافظة قلوة الزهرانية، ووصلنا إلى قرية الخُلف والخليف الأثرية، وواصلنا السير حتى بلدة الشعراء ثم محافظة الحجرة في أقصى تهامة زهران من الشمال، وعند عودتنا مررنا على أسفل جبل شدا الأعلى والأسفل[٤]، ثم اتجهنا إلى وادي نيرا، ومن هناك ذهبنا إلى بلاد غامد الزناد وجنوب تهامة غامد[٥]، وأخيراً واصلنا السير في الجهة الشمالية الغربية حتى وصلنا إلى أجزاء من وادي الأحسبة، وناحية ناوان الزهرانية[٦]، وعند الانتهاء من هذه الجولة التهامية عدنا للإقامة في مدينة الباحة من أجل جمع وتصنيف وترتيب مادة هذه الرحلة السروية والتهامية في منطقة الباحة.[٧]

---

(١) قضينا خمسة أيام في التنقل في هذه الأجزاء السروية والبوادي، وجميع هذه البلاد التي مررنا بها غامدية وزهرانية، ومركزها إمارة الباحة، ويوجد بها العديد من المحافظات والمراكز التابعة للإمارة، ناهيك عن مئات المدن والقرى . أما العشائر والأفخاذ فهي أيضاً تدخل في خانة المئات أيضاً . وهناك عشرات الكتب المطبوعة والمنشورة التي تحدثت عن أسماء وقرى وعشائر وقبائل هذه البلاد . وكثير من هذه الكتب تحتاج إلى دراسة وتحليل لما يوجد فيها من الخلط وعدم الدقة في رصد كثير من المعلومات.

(٢) المخواة : أكبر محافظة تهامية تتبع إمارة منطقة الباحة، وسكانها الرئيسيين قبيلة بني عمر. وهذه القبيلة تدعي أنها قبيلة مستقلة عن غامد وزهران، وهناك من يقول أنها تابعة نسبياً وقبلياً لقبيلة زهران . وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة علمية أكاديمية قائمة على وثائق ومصادر موثوقة، ونأمل أن يظهر من أبناء هذه البلاد من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة .

(٣) قرية ذي عين : سميت بهذا الاسم نسبة إلى العين الجارية فيها، وهي قرية أثرية يعود سكانها إلى قبيلة بني عمر وقد هُجرت، وتتكون منازلها من دور إلى أربعة وخمسة أدوار، وتعد معلماً حضارياً هاماً تستحق الصيانة والاعتناء من قبل الجهات المسؤولة في إمارة الباحة أو في الدولة. وقد شاهدنا إقامة بعض المنشآت القليلة والضئيلة من قبل الهيئة العليا للسياحة، وتحتاج إلى جهود وإنفاق أكبر من أجل حفظها من الخراب والاندثار الظاهر عليها .

(٤) لم نصعد إلى رأس هذين الجبلين . ونأمل أن نزوره مره أخرى ونجري حوله بعض الدراسات مع أنه ذُكر لنا أن معظم أهله نزلوا إلى السهول ولم يبق في أعلاها شيء كبير من الحياة السكانية .

(٥) غامد الزناد : الذين شيوخهم أسرة آل الزندي يمثلون جزءاً كبيراً من قبيلة غامد . وهذه النواحي التهامية تحتاج إلى تضافر جهود المؤرخين في دراسة تاريخها وحضارتها .

(٦) هذه المناطق محاذية لأطراف محافظة القنفذة الشرقية، وسكان هذه البلاد يتقاسمون الحياة المعيشية مع إمارة منطقة مكة المكرمة . وسبب بعدها عن مراكز النمو الحضاري في الباحة ومكة المكرمة فقد نالها بعض الإهمال التنموي، ولازالت تحتاج إلى تضافر جهود أهلها والمسؤولين في بلادها وفي مواطن صنع القرار في الباحة أو في الوزارات حتى يرتقوا بالأرض والإنسان في هذه البلاد التهامية .

(٧) قضينا يومين في رحلة تهامة، وثلاثة أيام أخرى في مدينة الباحة من أجل مراجعة مادتنا المجموعة، والتأكد من صحة بعض المعلومات المسموعة والمشاهدة . وكان الإخوة الكرام الذين ذكرنا أسماءهم في إحدى حواشي المحور السابق خير دليل وسند ومعاون في إنجاز هذه المهمة، فالله نسأل أن يرزقنا وإياهم الثبات على دينه، وأن يخلص لنا ولهم النية، وألا يحرمهم أجر ما قدموا لنا .

من خلال هذه الرحلة استطعنا أن نخرج في باب الجغرافيا بالعديد من الحقائق والمدونات والمشاهدات التي نذكر أهمها في النقاط التالية :

أ. تتنوع تضاريس بلاد الباحة، فقد جمعت بين البادية، والسراة، والأجزاء التهامية. ونلحظ في القديم والحديث أن معظم مواطن الاستيطان كانت في أرض السراة، وفي الأجزاء التهامية . وقد شاهدنا مئات القرى القديمة المندثرة في هاتين الناحيتين، أما البادية فلم تكن خالية من السكانِ، إلا أنهم كانوا في السابق من البدو الرحل الذين يذهبون وراء مواشيهم بحثاً عن الماء والمرعى، ونشاهد اليوم أن أماكن الاستيطان الحديثة حلت قريباً من الأماكن القديمة، إلا أنها أكثر اتساعاً وتنظيماً وكثافة سكانية، كما شاهدنا البوادي وقد أصبحت مأهولة بالسكان المستقرين الذين يملكون المنازل المسلحة، والخدمات الضرورية[(١)] .

ب. طبيعة الأرض تختلف من مكان لآخر، فالبوادي والأجزاء الشرقية من سراة زهران ذات غطاء نباتي فقير، وقد شاهدنا بعض الشجر والشجيرات القليلة، لكن طبيعتها الجرداء هي الغالبة على هذه الناحية بعكس سروات غامد والأجزاء الغربية من زهران وغامد المطلة على تهامة، والنواحي الشمالية الغربية من سراة زهران فهي ذات غطاء نباتي جيد، حيث يوجد فيها غابات وأشجار وشجيرات عديدة وإذا حصرنا أنواع وأسماء الأشجار في هذه الأجزاء فإنها تعد بالمئات وربما الآلاف.[(٢)] وإذا طالعنا منطقة تهامة وجدناها هي الأخرى لا تخلو من غابات وأشجار وشجيرات عديدة ومتنوعة.[(٣)]

ج. شاهدنا عشرات الجبال والهضاب والأدوية في البادية والسراة وتهامة، ورأينا تفاوت أطوالها، وكثافة غطائها النباتي، بالإضافة إلى كثافتها السكانية[(٤)] وقد خرجنا من هذا الرصد والمشاهدة بالعديد من الملحوظات مثل:

---

(١) دراسة التغيرات الاجتماعية التي جرت في منطقة الباحة خلال الخمسين أو الستين سنة الماضية القريبة جديرة بالبحث والدراسة . ويجب على جامعة الباحة أن تنشئ مراكز أبحاث لدراسة الأرض والسكان والتغيرات التي جرت عليها .

(٢) على أقسام علم النبات والطب في جامعة الباحة مسؤولية عظمى تجاه دراسة نباتات هذه المنطقة، مع إيضاح فوائدها، وكيفية توظيفها لخدمة إنسان هذه المنطقة .

(٣) من أهم نباتات وأشجار منطقة الباحة (تهامة وسراة وبادية) ، العرعر، والعتم، والأثب، والرقّع، والسلم، والنشم، والسمر، والعرفج، والطباق، والشث، والإبراء، والنيم، والأثل، والسدر، والقرض، والظهياء، والشوحط، والتألب، والطلح، والثعب، والمض، والعشر، والمرخ، والبشام، والسعور وغيرها . ومن خلال تجول الباحث شاهدنا عشرات الغابات المتناثرة في سراة غامد، وفي السروات الغربية الزهرانية، وفي أودية الأحسبة ونيرا وبعض النواحي القريبة من محافظة المخواة . ودراسة الغابات وما يوجد بها من نباتات وكيفية الاستفادة منها موضوع جدير بالبحث والدراسة .

(٤) لم نتعرض لذكر أسماء الجبال والأودية في منطقة الباحة، فلا تخلو كل محافظة من كتب تعريفية بالأرض، كما أن الأستاذ علي السلوك أصدر معجماً توضيحياً فصل فيه قرى وجبال وأودية بلاد غامد وزهران . ولازالت منطقة الباحة تحتاج إلى دراسات تأصيلية توثيقية عن الأرض والسكان . ونأمل أن يلتفت بعض الأكاديميين في جامعة الباحة إلى هذا الجانب الهام .

١. أماكن الاستيطان قديماً تجدها في أعالي الهضاب والجبال وأحياناً على أطراف الأودية، في حين أن معظم أماكن الاستيطان اليوم في السهول وعند الأجزاء السفلية من الجبال وأحياناً في مجاري الأودية أو على أطرافها[١]، والتنمية الحديثة، وسهولة المواصلات، وتوفر الأمن، وتكاثر المال في أيدي الناس جعل الاستفادة عمرانياً وحضارياً من الجبال والأودية أفضل مما كانت عليه في السابق[٢] .

٢. امتداد يد الإنسان إلى بيئات الأودية والجبال وما جاورها فقام بشق الطرق، وبناء القرى والأحياء والمدن، وإنشاء بعض المشاريع الاقتصادية، كل ذلك أثر سلباً على الغطاء النباتي، وجمال الأرض الطبيعي [٣] .

د. مما سمعنا وعرفنا وجود العديد من الحيوانات البرية، والأليفة والطيور التي كانت تتواجد بكثرة في أنحاء منطقة الباحة[٤]. وفي العقود الماضية المتأخرة لازلنا نشاهد بعض الحيوانات والطيور الموجودة في بوادي وأرياف وأصدار المنطقة، مثل: الضباع والثعالب، والنيص، والغزلان، والعصافير، والحجل، والحمام. بالإضافة إلى الحيوانات الأليفة مثل: الماعز، والغنم، والبقر، والجمال. وبعض الطيور مثل: الدجاج، والحمام وغيره[٥]

هـ. تعاني طبيعة منطقة الباحة اليوم من مشاكل عديدة مثل:

١. التصحر الذي جرى على بعض الجبال والأودية، وهذا يعود إلى الجفاف وقلة الأمطار، وامتدت يد الإنسان بدون وعي، أو من باب الطمع، إلى البيئة فقام بتجريف الأرض وقطع الأشجار من أجل إقامة مشروع خاص أو عام، والتوسع العمراني، وإن كان ذا جانب إيجابي، إلا أنه أثر سلباً على جغرافية الأرض وطبيعتها.[٦]

---

(١) مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) كوني من أبناء منطقة عسير، المجاورة لمنطقة الباحة من الجنوب، ثم معرفتي لبلاد الجنوب (الباحة وعسير وجازان والقنفذة ونجران) منذ أربعين سنة فقد عرفت وشاهدت جمال الطبيعة في هذه الأوطان قديماً، وما جرى عليها من تدهور وجفاف وتجريف خلال هذه العقود الماضية، كل هذا أثر سلباً على طبيعة هذه البلاد. ودراسة التاريخ الجغرافي لهذه المناطق منذ خمسين عاماً إلى اليوم جدير بالبحث والاهتمام من الجغرافيين والباحثين الجادين . وهذه مسؤوليات جامعاتنا المحلية، التي يجب عليها إنشاء مراكز بحثية تقوم بإجراء مثل هذه البحوث الأكاديمية الهامة .

(٤) كانت منطقة الباحة في القديم من البلاد المأهولة بالحيوانات البرية، مثل : النمور، والأسود، والضباع، والذئاب وغيرها، وأنواع عديدة من الطيور . كما أن السكان كانوا يمتلكون قطعاناً كبيرة من الأغنام والماعز والبقر والجمال، ومنذ بداية هذا القرن بدأ الناس يتركون امتلاك هذه الثروة الحيوانية، ويلجأون إلى أعمال أخرى وهذا مما أثر في حياة الأرض والسكان .

(٥) امتلاك مثل هذه الحيوانات والطيور أصبحت موجودة على نطاق ضيق مقارنة بالنصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٦) دراسة ما حل بطبيعة الأرض سلبياً يحتاج إلى إجراء دراسة علمية أكاديمية، وهذه مسؤوليات الجامعات والأقسام الأكاديمية .

٢. انحسار وقلة المياه في الآبار الجوفية، وتزايد الآبار الارتوازية، وجفاف العيون والجداول كل هذا أثر على تدهور الزراعة والغطاء النباتي في المنطقة[١].

٣. امتداد يد الإنسان إلى قطع صخور الجبال إلى قوالب ونقلها من أماكنها إلى أماكن أخرى من أجل التجارة واستخدامها في العمارة والبناء.[٢]

٤. ظهور العديد من المشاكل المناخية مثل: الأعاصير والغبار، واختلاف مواعيد الأمطار، وغالباً عدم هطولها، وحدوث بعض الصواعق، والجفاف، وارتفاع الحرارة كل هذا ساعد في إلحاق الضرر بأرض وإنسان منطقة الباحة وما جاورها .

٢ـ الوضع السكاني :

معظم سكان منطقة الباحة من قبيلة الأزد القحطانية . وهناك العديد من كتب النسب القديمة، ودراسات حديثة قالت بذلك[٣] . ولا تخلو قبائل منطقة الباحة من مخالطتها لبعض العشائر أو الفخوذ أو الأسر العدنانية، وذلك يعود لبعض الأسباب مثل:

١. اتصال قبائل غامد وزهران بأهل الحجاز منذ العصر الجاهلي، فكانوا على علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية[٤] .

٢. كان أشراف مكة وأحياناً المدينة المنورة يمدون نفوذهم سياسياً وعسكرياً إلى الديار الغامدية والزهرانية . بل إن بعض أمراء الأشراف جاءوا إلى هذه البلاد واستقروا بها، وملكوا بها الدور والعقار، وأحياناً يطلب أمراء الأشراف العون والنجدة من الغامدين والزهرانيين ضد أمراء وأشراف آخرين في مكة والمدينة[٥].

---

(١) هذه مشكلة لا تعاني منها منطقة الباحة فقط وإنما معظم أجزاء المملكة العربية السعودية، ولابد من عمل دراسات وإيجاد بدائل وحلول لهذه المشكلات الطبيعية الجغرافية .

(٢) في الماضي كانت جميع مواد البناء محلية، وكانت الطبيعة في أزهى ازدهارها وجمالها . واليوم أصبحت معظم بل جميع مواد البناء مستوردة، ومع ذلك قام الإنسان بالاعتداء على الطبيعة فجرف أتربتها، ونقل حجارتها، وقطع أشجارها ونباتاتها، وكل هذا أثر سلباً على تضاريس ومناخ البلاد، بل إن هذه الآثار السلبية امتدت إلى حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية .

(٣) هناك العديد من المصادر والمراجع التي ذكرت تاريخ وأنساب بلاد غامد وزهران، واعتقد أن معظمها يحتاج إلى دراسة وتحليل، ثم التثبت من صحة ما ورد بها . كما أن أنساب غامد وزهران لازالت تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثوقة .

(٤) كتب التراث الإسلامي المبكرة تشتمل على شذرات وروايات تؤكد على علاقة زهران وغامد بسكان الحجاز وبخاصة قبيلة كنانة التي منها عشيرة قريش . وتاريخ هذه البلاد الأزدية قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية الأولى جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٥) مصادر تاريخ الحجاز منذ القرن (١٢٠٣هـ/١٨٠٩م) تحوي بعض الروايات التي تؤكد استعانة بعض أشراف مكة بالزهرانيين والغامدين من أجل استعادة سلطانهم من بعض عمومتهم الذين تغلبوا عليهم، والصلات التاريخية والحضارية بين غامد وزهران وأهل الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، موضوع جدير بالبحث والدراسة . ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير، ونأمل أن يتولى ذلك أحد طلاب أقسام التاريخ الأكاديمية في جامعاتنا السعودية .

٣. الذاهب في أرجاء بلاد غامد وزهران اليوم، تهامة وسراة، يجد بعض القرى والأسر التي تدعي نسبها في القبائل العدنانية . وقد التقيت أثناء جولتي التي قام عليها هذا البحث ببعض الأعيان والوجهاء والعامة في قرى ونواح من تهامة وسراة زهران، وأطلعوني على بعض المخطوطات والمشجرات النسبيةً التي ترجع نسبهم إلى بني هاشم وأحياناً إلى قريش . وقد حاولت الحصول على صور من تلك المشجرات لكنهم امتنعوا، فأوصيتهم بالكتابة عنها، مع أنهم طلبوا منا عدم ذكر أسمائهم، ونأمل أن يأتي اليوم الذي يقتنعون فيخرجون ما لديهم من تراث وموروث علمي، أو يسلموها إلى باحثين أو مركز بحث يتولى دراستها وإخراجها[١] .

في العصر الحديث تجاذبت بلاد الباحة بعض القوى السياسية والإدارية، ففي النصف الأول من القرن (١٣هـ/١٩م) دخلت تحت نفوذ الأشراف والقوى العثمانية في الحجاز، وفي فترة أخرى صارت إلى جانب إمارة آل المتحمي في عسير، واستمرت على هذا المنوال منذ الخمسينيات إلى ثمانينيات القرن نفسه[٢] . وعندما أصبحت عسير تحت حكم المتصرفية العثمانية في أبها (١٢٨٩-١٣٣٧هـ /١٨٧٣-١٩١٨م) أصبحت منطقة الباحة إدارياً وسياسياً تابعة لحكومة بني عثمان في أبها[٣] . وعند مجيء الحكم السعودي الحديث إلى الجنوب في أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، دخلت هذه البلاد تحت حكومة ابن سعود، وتطورت حتى أصبحت منطقة رئيسية من مناطق المملكة العربية السعودية[٤] .

ومن ثم فالمنطقة الباحوية بقيت ولازالت متمسكة بصراحة نسب أهلها، مع أنه وفد إلى المنطقة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) العديد من الأجناس البشرية، ومنهم من مكث بها وقتاً قصيراً، وآخرون أقاموا فيها أوقاتاً طويلة، ونسبة قليلة استوطنوها ولا زالوا يعيشون بها إلى اليوم، وقد جرى على التركيبة السكانية الغامدية والزهرانية منذ القرن (١٣هـ/١٩م) بعض التحولات التي نذكر بعضها في النقاط التالية :

---

(١) من خلال تجوالنا في عموم منطقة الباحة، ومقابلتنا لبعض الأسر والأفراد الذين ينتمون إلى بيوتات علم قديمة وجدنا أنهم يقتنون بعض الوثائق السطحية في مادتها العلمية، وربما لو درست فقد يجد الباحث فيها معلومات ذات قيمة . مع العلم أنني على يقين أن هناك وثائق محلية متناثرة بين أيدي الناس، وربما تكون ذات فائدة كبيرة في ميدان البحث التاريخي والحضاري لبلاد غامد وزهران . ونأمل أن يقوم أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٢) هناك العديد من الدراسات الحديثة التي ذكرت تاريخ منطقة الباحة خلال حكمي الأشراف في الحجاز وآل المتحمي وآل عائض في عسير .خلال القرن (١٣هـ/١٩م) ، وتاريخ غامد وزهران في تلك الحقبة يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية مستقلة .

(٣) هناك إشارات ودراسات مختصرة عن متصرفية عسير في عصر النفوذ العثماني من (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٣-١٩١٨م) ، وإفراد بحث مستقل عن البلاد الممتدة من أبها إلى الباحة خلال تلك الحقبة جدير بالاهتمام، ونأمل أن يقوم أحد طلاب الدراسات العليا في واحد من أقسام التاريخ بالمملكة فيتولى هذه الفترة بالبحث والدراسة العلمية .

(٤) تاريخ منطقة الباحة في العصر السعودي الحالي يستحق عشرات الكتب وهذه مهمة جامعة الباحة فتنشئ مركز بحث يتولى هذه الحقبة بالبحث والدراسة الأكاديمية الجادة .

أ- السكان الأصليون مقيمون في مواطنهم، والذاهب الآيب في البلاد يجد أن كل قرية، وكل فخذ وعشيرة وبطن يسكنون في ناحية من هذه الديار السروية والتهامية، وإذا انتقلوا من مواطنهم أو مساكنهم فهم لا يذهبون بعيداً وإنما يبقون في محيط ديارهم التي قطنوها منذ أزمنة قديمة[١].

ب- ممارسة التجارة، أو الزراعة، أو غزوات حربية قدمت إلى المنطقة، كل هذه الأعمال السياسية والحضارية جلبت بعض الأجناس والعناصر البشرية إلى المنطقة لكنها لم تؤثر بشكل ملموس في تغيير التركيبة السكانية.

ج- منذ قيام الدولة السعودية الحديثة وفتح المؤسسات الإدارية والمدارس، أدى ذلك إلى وفود عناصر بشرية إلى المنطقة بعضهم من داخل المملكة وآخرين من خارجها. فالعاملون في المؤسسات الإدارية قدموا من الحجاز ونجد للعمل في هذه القطاعات الحكومية، وعاشروا أهل المنطقة، وقليل منهم تزوجوا من هذه الديار الغامدية والزهرانية، أما مهنة التعليم فقد جاء للعمل فيها أجناس عديدة من داخل المملكة ومعظمهم من خارجها[٢]. والراصد لحركة المعلمين في منطقة الباحة منذ التسعينيات يجد أن معظمهم من بلاد الشام، ومصر، والسودان، وهناك مدرسون آخرون غربيون لتدريس اللغة الإنجليزية، واستمر ذلك حتى الثمانينيات، ثم بدأ المعلمون السعوديون يصلون إلى منطقة الباحة ويحلون محل الوافدين المتعاقدين[٣].

د- تدفق البترول بكميات كبيرة، واتساع وتطور التنمية في المملكة، ووجود جامعات ووظائف حكومية، جعل أبناء منطقة الباحة يهاجرون من أوطانهم إلى المدن والحواضر الكبرى من أجل تنمية أنفسهم وتطوير أوضاعهم الاقتصادية والتعليمية، ومن ثم حدثت هجرة كبيرة من قرى منطقة الباحة إلى مدن المملكة الكبرى، وعندما افتتحت المدارس العليا والوظائف الحكومية في الباحة وبلجرشي نجد شباب ورجال القرى والبوادي يتجهون إلى مراكز النمو والحضارة، في المنطقة نفسها، وهذا مما جعل التركيبة السكانية تتأثر من خلال هذه الهجرات. والغالب أن النساء والأطفال والمسنين مكثوا في مواطنهم الرئيسية، والمتنقلون هم من فئة الشباب والرجال[٤].

---

(١) وقف الباحث على قرى حديثة وقديمة في مواطن العشيرة الواحدة، وساكنيها من بطن أو فخذ أو نسب واحدة. والحراك العمراني أحياناً هو الذي يجعلهم يتنقلون من مكان لآخر ضمن حدود قبائلهم أو عشائرهم الرئيسية.

(٢) تاريخ التطور الإداري والتعليمي في منطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق أن يكون موضوعاً لأطروحة علمية لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه، نأمل أن نرى طالباً جاداً في أحد أقسام التاريخ فيقوم بالبحث والدراسة الأكاديمية لهذا الموضوع.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تاريخ هذا الحراك الاجتماعي خلال الثمانين سنة الماضية جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

هـ- فتح الطرق وربط القرى والمدن بعضها ببعض جعل أبناء المنطقة أنفسهم يتصلون ببعضهم البعض في تجاراتهم وأوضاعهم الاقتصادية، كما أن المصاهرة والزواج انتشر وتوسع بين العشائر والبطون، ففي الماضي كان الرجل أو المرأة لا يتزوجون إلا في محيط قراهم، ومنذ عقدين أو ثلاثة نجد أن الرجال لا يقتصرون على الزواج من قبائل غامد وزهران وإنما خرجوا إلى القبائل الأخرى في الجنوب السعودي وأحياناً في مناطق بعيدة من المملكة، بل إن البعض - وهم قلة - تزوجوا من خارج البلاد، كذلك النساء أصبحن يتزوجن في أطراف المنطقة، وفي أنحاء عديدة من المملكة العربية السعودية، كما أن أهل البادية والسراة وتهامة في الباحة أصبحوا على صلات اجتماعية قوية، والناظر في أحوال المنطقة قبل ثلاثة أو أربعة عقود. يجد أن اتصال أهل السراة بتهامة كان صعباً جداً، وذلك لوعورة الطرق، أما اليوم فالغالبية من السرويين امتلكوا عقارات ومنازل في الأجزاء التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان[1]. وكثير من الغامديين والزهرانيين يعيشون في المدن الصغرى والكبرى من المملكة، وصاروا أصحاب أموال وعقار، ولا يأتون بلادهم الرئيسية إلا في أوقات الصيف، وأحياناً لا يعودون إليها إلا في فترات متباعدة[2]. وقد عثرنا على بعض الوثائق التي تشير إلى هجرة بعض رجال غامد وزهران إلى خارج المملكة العربية السعودية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك لأسباب تعليمية أو تجارية، وبعضهم عادوا إلى بلادهم واستقر بعضهم في اليمن وبعض البلاد الإفريقية مثل إريتريا والحبشة ومصر وغيرها[3].

و- نلحظ أن سكان بادية غامد كانوا بدواً يتنقلون في أرجاء المنطقة، وربما خرجوا منها إلى أطراف نجد. ومع ظهور التمدن والتوطين تركوا التنقل والترحال وبنوا منازل مسلحة واستقروا في محيط قبائلهم، والمتجول في بوادي شرق غامد يجد مواطنهم أصبحت قراهم وبيوتهم تتراوح من دور إلى ثلاثة أدوار، مع توفر الخدمات الضرورية لهم مثل: الكهرباء، والسيارات وغيرها[4].

وإذا ألقينا نظرة عامة على مواطن الاستقرار في المنطقة وجدناها أصبحت مكتظة بالسكان. فهناك كثير من المدن والقرى المتمدنة في معظم خدماتها، ونرى المخططات والأحياء الحديثة المنتشرة في كل حاضرة ومدينة وكذلك البنية

---

(١) إن اتصال أهل السراة بتهامة خلال الثلاثين سنة الماضية يحتاج إلى دراسة أكاديمية تشرح العوامل والمقومات التي ساعدت في هذا الصلات، مع ذكر الإيجابيات والسلبيات التي ترتبت على هذه العلاقات البشرية .

(٢) تاريخ الهجرة داخل المملكة العربية السعودية جدير بالبحث والدراسة، مع ذكر الأسباب والنتائج لتلك الهجرات .

(٣) هجرة بعض الغامديين والزهرانيين خارج المملكة العربية السعودية موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة . نأمل أن يتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أو أي قسم من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية .

(٤) تاريخ توطين البادية في جنوبي البلاد السعودية موضوع جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية الموثقة .

التحتية الجيدة التي يمتلكها الناس في مدنهم وقراهم وأريافهم، فهناك المؤسسات الحكومية المتطورة، والجامعات، والمستشفيات وغيرها من الخدمات(١)، كل هذا أثر على أهل البلاد الساكنين في المدن الرئيسية في المملكة، فالبعض منهم تركوا المدينة وعادوا إلى موطن الآباء والأجداد، واستمروا يعيشون بين أهلهم وعشيرتهم، وأحياناً يعود البعض ويسكن المدن الكبيرة في منطقة الباحة مثل: الباحة، وبلجرشي، والمندق وغيرها. وفيها يجدون معظم احتياجاتهم، فلا يفكرون بالخروج والاستقرار خارج المنطقة(٢).

ز. منذ أربعة عقود مضت سارت عجلة التنمية والتطور في بلاد الباحة، فاتسعت المدن، وازدادت الأسواق، ونشطت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت العمالة الخارجية تفد إلى البلاد، وكان اليمنيون الأكثر نسبة في التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم استقدمت جنسيات أخرى منهم: المصريون، والسودانيون، والأفغان، والباكستانيون، والهنود، وبعض الفلبين، والبنجاليين، وأعداد قليلة من الغربيين، والصينيين والكوريين، وغيرهم. والمتجول اليوم في أرجاء منطقة الباحة يجد أن هذه العمالة الوافدة هي المحرك الاقتصادي في المنطقة، فلا يخلو مصنع أو سوق أو مؤسسة أهلية أو حكومية من وجود هذه العناصر الخارجية(٣).

ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية:

١. الأسرة والمجتمع:

كانت الأسرة في الماضي القريب تعيش في منزل واحد، وتتكون آنذاك من الأجداد إن وجدوا، والآباء، والأحفاد، والجد أو الأب الأكبر هو رئيس العائلة، فلا يتخذ قرار هام مثل: سفر، أو زواج، أو إقامة وليمة، أو القيام بأمر ما من أي فرد من أفراد العائلة إلا بعد أخذ رأي وموافقة كبير الأسرة. وأحياناً تكون بعض الأسر في مكان واحد، وتعيش في دار واحدة، وتتعاون فيما بينها على كسب أرزاقهم. والرجال غالباً يعملون خارج البيت، والنساء يعملن

---

(١) حركة التنمية في منطقة الباحة لا بأس بها لكن لازالت تحتاج إلى جهود كبيرة من أجل النهوض بالمنطقة وتطويرها حتى تتساوى مع المناطق الأخرى المتحضرة والمتطورة في المملكة.

(٢) هذا ما لمسه الباحث، وقابل بعض الأسر والرجال الذين تركوا المدن الكبرى وعادوا إلى بلادهم. وأعتقد أن نسبتهم لازالت قليلة، لأن منطقة الباحة لازالت تعاني من بعض القصور في مجالات التنمية مثل: القطاع الصحي، والمطارات، والمياه وخدمات الصرف الصحي وغيرها.

(٣) هذه العمالة غير مستقرة، وتعيش في المنطقة ضمن قوانين سنتها الدولة، لكنهم شكلوا شريحة كبيرة في الحياة السكانية. وجميع مدن وحواضر وقرى وأرياف المملكة تعيش الوضع نفسه واختلاط هذه الأجناس الوافدة مع سكان البلاد الأصليين جعلهم يؤثرون ويتأثرون في الحياة الاجتماعية والحضارية و دراسة علاقة هذه العمالة بأهل البلاد الأصليين، والآثار المترتبة على ذلك موضوع يستحق الدراسة والبحث الأكاديمي الجاد.

في البيوت ويساعدن رجالهن في الأعمال الخارجية مثل: أعمال الزراعة، والرعي، والاحتطاب وغير ذلك [١] . وكان أهل السراة يعملون في الزراعة إلى جانب الرعي وجمع الحطب، والوضع نفسه عند أهل تهامة،أما البوادي فعملهم الرئيس رعي مواشيهم ومتابعتها[٢] .

ومجتمع القرية الواحدة يتكون من أسر عديدة يجتمعون أحياناً في جد واحد، وقد تعيش أسر عديدة في القرية وأجدادهم مختلفون، إلا أنهم ينتسبون إلى قبائل أزدية قحطانية، وربما عاشت بعض الأسر العدنانية إلى جوار هذه الأسر القحطانية[٣] . وكل مجتمع قروي يوجد عند سكانه العديد من الأعراف والنظم التي تساعدهم على التجاور والتعاون والتعايش، والعشيرة الواحدة تتألف من عدد من الأسر والقرى التي يجمع بينها رابط النسب أو الجوار أو الحلف . وهكذا كان نظام حياة سكان منطقة الباحة في القرون السابقة[٤] .

التمدن والتطور الذي تعيشه منطقة الباحة خلال العقود الثلاثة الماضية جعل أفراد الأسرة الواحدة وأفراد المجتمع القروي أو العشائري الصغير يتغير، فلم يصبح هناك اجتماع وتآلف وتقارب كما كانوا في السابق، وذلك لأسباب عديدة نذكر أهمها في النقاط التالية :

أ- وفرة المال في أيدي الناس جعلتهم يتفرقون في السكن وبناء الدور، فنادراً ما تجد الابن بعد زواجه يبقي ساكناً مع والده، وإنما يسعى إلى بناء منزل خاص به وأبنائه، أو يستأجر بيتاً مستقلاً.

ب- تكاثر أفراد الأسرة، ورغبة الرجل في الاستقلال بزوجته ومنع اختلاطها مع غير المحارم[٥] ، وأحياناً ضيق النفوس فالأخ أو الأخت كل منهما يفضل العيش بمفرده وفي مكان منفصل عن الآخر.

---

(١) دراسة تاريخ الأسرة في منطقة الباحة موضوع هام، ويستحق أن يكون موضوع بحث علمي أو رسالة أكاديمية .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الغامديين والزهرانيين الذين عاصروا حياة الناس في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . كما أن الباحث عاصر الوضع نفسه في منطقة عسير خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي .

(٣) من خلال تجوالنا في أجزاء من تهامة وسراة منطقة الباحة وجدنا بعض الأسر العدنانية، وهم قليلون، يستوطنون بعض القرى التي جل سكانها من الأزد . مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) حياة القرى والعشائر الغامدية والزهرانية في الماضي يسودها الترابط والتعاون والتكاتف، وشيخ العشيرة أو القبيلة هو صاحب الحل والربط بين أفراد قبيلته، وهناك الكثير من الوثائق الاجتماعية التي تعكس نظام حياة الأسرة والمجتمعات العشائرية في المنطقة . ودراسة التاريخ الاجتماعي للمنطقة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو أي قرن سابق لذلك موضوع جدير بالبحث والدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو أطروحة علمية .

(٥) إلى نهاية القرن الهجري الماضي كان الاختلاط سائداً بين الناس، فالنساء لا يغطين وجوههن، ويجالسن الغريب وغير المحرم، ويعملن مع الرجال في ممارسة المهن الاقتصادية المختلفة . ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نشطت الدعوة والتعليم بين الناس وبدأ النساء تدريجياً يلبسن الحجاب، ولم يأت العقد الثاني من القرن نفسه، إلا وجميع النساء متحجبات، ومجتمع النساء منفصلاً عن المجتمع الرجالي . هذا ما سمعه الباحث في الباحة وشاهده في أرجاء منطقة عسير خلال تسعينيات القرن(١٤هـ/٢٠م) .

ج. اتساع القرى والمدن، واختلاط الناس بعضهم ببعض، والسفر خارج المنطقة أو داخلها من أجل العمل في بعض الوظائف، أو التعليم. والسفر للوظيفة والتعليم والتعلم لم يصبح مقصوراً على الرجال فقط، وإنما شمل شريحة من النساء، وهذا ساعد في تفتت الأسر وتناثرها، وقد لا يلتقون إلا في المناسبات، وأحياناً تمر الشهور والسنوات ولا يتقابلون[١].

٢. العمارة ومرافقها:

أ. القرى والمدن:

شاهدنا مئات القرى المتناثرة في سروات زهران وغامد، وفي بوادي غامد، وفي الأجزاء التهامية الممتدة من غامد الزناد جنوباً إلى قرية الحجرة شمال تهامة زهران، وفي مدينة المخواة، وأسفل شدا الأعلى والأسفل، وفي واديي الأحسبة ونيرا. وقد خرجنا بانطباعات عامة ندرج أهمها في النقاط التالية:

١. جميع القرى مبنية بالحجارة، ولا يوجد في منطقة الباحة قرى مشيدة بالطين كما هي في بلاد شهران، وأجزاء من مناطق عسير وجازان ونجران[٢]، والقرى تبنى على مساحة ضيقة من الأرض، وتشيد على ضفاف الأودية، وهناك قرى كثيرة في رؤوس الجبال، ومنازل القرى متلاصقة بعضها مع بعض، وتتراوح ارتفاعاتها من دور إلى دورين، وربما وصل بعضها إلى أربعة أو خمسة أدوار وبخاصة منازل الأعيان والشيوخ والوجهاء وأصحاب المال[٣].

٢. الملاحظ على معظم القرى وجود بعض الأزقة (المساريب: جمع مسراب) التي تربط أجزاء القرية بعضها ببعض، وهي ممرات ضيقة يستخدمها المارة أثناء التنقل في القرية، والظاهر على هذه الطرقات أنها ضيقة فلا يزيد عرض الزقاق الواحد عن متر وربما وصل إلى مترين في بعض الأماكن، كما أن كل قرية يتوسطها مسجد، وجميع مواد بناء القرية محلية، ونادراً ما تستورد شيئاً من خارج المنطقة[٤].

---

(١) مقارنة وضع الأسر والمجتمعات بين الماضي والحاضر، ففي الماضي كانوا يعيشون في وئام وتآلف وتراحم وتآزر وتكاتف، مع أن ظروف المعيشة كانت صعبة وقاسية. أما اليوم فأصبحوا في أوضاع اقتصادية وثقافية وتعليمية وصحية أفضل من السابق، إلا أن الجانب المعنوي الاجتماعي الإيجابي أصبح ضعيفاً، فتجد أحياناً القطيعة والبغضاء بين أفراد الأسرة أو المجتمع الواحد، بل تصل الأمور أحياناً عند بعض الأفراد إلى الكراهية، وهذه أمور خطيرة تؤدي إلى هدم الأسر والمجتمعات.

(٢) مشاهدات الباحث في مناطق الجنوب (جازان، ونجران، وعسير، والقنفذة، والباحة) خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) تاريخ القرى الغامدية والزهرانية تستحق أن يفرد لها دراسة علمية موثقة بالصورة. ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاها بالبحث والتوثيق.

٣. أصـاب الكثير من قرى السراة الخراب، وهناك قرى كثيرة اندثرت تماماً ولم يبق إلا أثرها، بعكس قرى تهامة فلازال الكثير منها متماسك العمارة مع أنها مهجورة، وهي في طريقها إلى الدمار.

٤. تفتقد القرى القديمة إلى بعض المرافق الرئيسـية مثل الحمامات، والمطابخ المستقلة، ويحيط ببعضها أحواش من الحجارة، وأحياناً تشيد بعض الملاحق القريبة من المنزل الرئيس، وذلك من أجل استخدامها مخازن لبعض الأعلاف أو سكناً للحيوانات، وقد تستخدم للنوم أحياناً [١].

٥. عرف سكان تهامة بعض القرى المبنية من القش والأخشاب، أما سكان البوادي فكانوا بدواً رحلاً وإذا مكثوا في مكان ما فإنهم يبنون تجمعاتهم السكنية من بيوت الشعر[٢].

وقد قامت قرى وبلدات ومدن حديثة في المنطقة، والناظر إلى مدن الباحة، وبلجرشـي، والمندق، والمخواة، وقلوة . أو إلى بعض الأحياء في حاضرة الباحة مثل: الظفير، أو بني ظبيان، أو العقيق، أو رغدان . أو إلى أي قرية صغيرة أو كبيرة في المنقطة، فإنه يلحظ ما يلي:

١. جميـع منازل المدينة أو القرية الحديثة مسـلحة، وتتراوح أدوراهـا من دور واحد إلى خمسـة وسـتة أدوار في القرى والمراكز الفرعية، وربما وصلت بعض الأبنية في مدينتي الباحة وبلجرشي إلى ثمانية وعشرة أدوار، وهي قليلة[٣].

٢. مسـاحة القـرى والمـدن الحديثة أكبر من مسـاحات القـرى القديمة، كمـا أنها ذات تخطيط أفضـل من القرية، فهناك شـوارع واسـعة تربـط أطراف القريـة أو المدينة بعضها مع بعض، وتوجد أيضاً طرق سهلة مسفلتة تربط بين المدن والقرى[٤].

٣. جميع القرى والمدن والحواضر تشتمل على مسجد واسع، ويجتمع سكان القرية أوالبلدة في مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وجميع منازل المدن العصرية تتكون من غرف ومجالس متعددة بالإضـافة إلى مطابخ مستقلة وحمامات، ولا تخلو كل مدينة أو قرية من دكاكين أو أسواق تجارية تتفاوت في معروضاتها ومساحاتها وطريقة تشييدها [٥].

---

(١) لا توجد هذه المرافق إلا في بيوت الأغنياء والوجهاء والشيوخ، أما أغلبية منازل القرية فهي متواضعة ومحدودة المساحة .

(٢) ما سمعه الباحث من بعض الرواة في منطقة الباحة، كما شاهد هذا النوع من التجمعات السكنية في منطقة عسير خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) إجراء دراسة تاريخية عمرانية مقارنة بين القرى القديمة أو المدن والقرى الحديثة موضوع جدير بالبحث والدراسة . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسـم التاريخ بجامعة الملك خالد فيسـجل هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه .

٤. تختلف مدن وقرى اليوم عن القرى القديمة، ففي السابق كانت كل قرية مستقلة بذاتها، كما أن أغلب القرى في السابق تُبنى في المرتفعات، أما التجمعات العمرانية في العصر الحديث فتكون متقاربة وأحياناً مترابطة بطرق مسفلتة مضاءة ومرصوفة، والناظر في مدينة الباحة أو بلجرشي مثلاً يجدها تتكون من عدة أحياء كونت الحاضرة بمفهومها الواسع[١].

ب- المنازل، والحصون، والمساجد:

منازل المنطقة قديماً محدودة في غرفها وفي أدوارها، فالسواد الأعظم تتكون من دور وأحياناً دورين، والدور الأول لسكنى البهائم وخزن الأعلاف، والثاني للسكن وربما خزن الحبوب وبعض الأمتعة والأغراض الثمينة، وأبواب ونوافذ وسقوف المنازل من الأخشاب المحلية، والمشيدون للمنزل من البداية إلى النهاية من سكان المنطقة، وهناك من يعمل بالأجر مثل: البناء، وبعض العمال الماهرين في إصلاح الحجارة[٢].

كانت إضاءة المنازل سابقاً بدائية، وتنقل المياه إليها من الآبار على ظهور الناس، وأحياناً ينقل الماء في القرب على ظهور الحمير، أما الأثاث فكان بسيطاً، فلا أسرة أو كراسي إلا عند بعض الأسر وغالباً تكون لرب البيت أو كبار السن، وجميع الأثاث محلي، وقد يجلب بعض الأثاث أو أدوات الطبخ من ميناء القنفذة أو أسواق الحجاز[٣].

أما الحصون والقصور، فالثانية قليلة ومقصورة على التجار والوجهاء وشيوخ القبائل، وقد شاهدنا قصور ابن كدسة في بلجرشي، وقصور ابن رقوش في قرية بني سار من بلاد بني عامر في زهران، ويظهر عليها سعة المساحة، وتعدد المرافق والأدوار، كما يبدو عليها الفخامة في البناء فلها جدر عريضة وأبواب واسعة، وسقف وأعمدة كبيرة وقوية[٤].

---

(١) دراسة مدن منطقة الباحة الرئيسية جديرة بالبحث التاريخي، ونأمل أن تستشعر جامعة الباحة هذه المسؤولية فتؤسس مراكز بحثية تقوم بواجباتها البحثية كما يجب.

(٢) يقدم صاحب المنزل الأطعمة والأشربة للعاملين في البناء والتشييد لمنزله. وكان أهل القرية الواحدة يتعاونون فيما بينهم أثناء بناء منازلهم. كما أن البناء نفسه يساعد صاحب البيت بإعفائه من أجرة عدد من الأيام. معاصرة الباحث لهذا النوع من التعاون في أجزاء من منطقة عسير. كما سمع هذه الروايات من بعض الزهرانيين والغامدين أثناء تجواله في بلادهم.

(٣) عثر الباحث على بعض الوثائق الاجتماعية والاقتصادية التي تشير إلى شراء بعض الأدوات والأثاث الذي يستخدم في البيوت من الأسواق الأسبوعية ومن اسواق الحجاز. كما سمع روايات بهذا المعنى من بعض المسنين في منطقة الباحة.

(٤) مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). يوجد في منطقة الباحة (تهامة والسراة) العديد من القصور وبخاصة بيوت الوجهاء وشيوخ القبائل، ولازال أكثرها قائماً ويجب ترميمها وحفظها من الاندثار. كما تستحق إلى أن يجرى عنها العديد من الدراسات الأكاديمية.

أما الحصون فلازلنا نشاهدها متناثرة في أرجاء المنطقة، ومنها ما يوجد وسط القرى وكان يستخدم لخزن الحبوب الخاصة بأفراد القرية، والحصون القريبة من المزارع وتستخدم لغرض حراسة الأراضي الزراعية، أما الحصون الموجودة على رؤوس الجبال فتستخدم للمراقبة الأمنية، وأحياناً تستخدم أثناء الحروب القبلية، وقد لاحظنا تعدد هذه الحصون في بوادي وسروات تهامة المنطقة، وتستحق الاهتمام والعناية من قبل الهيئة العليا للسياحة، ونأمل أن تحفظ وترمم حتى لا تندثر(١).

لا تخلو أي قرية من مسجد يتوسطها، والغالب على المساجد قديماً ضيق مساحتها وارتفاعها محدود فلا يزيد عن مترين، ولا يوجد بها خدمات مثل : أماكن للوضوء وحمامات، كما أن فرشها بسيط، وأحياناً تكون دون فرش ويكتفى بالتراب، وإضاءتها بالقناديل البدائية، وأحياناً كانت تستخدم الفوانيس القديمة في إضاءتها ليلاً(٢).

لا يوجد وجه مقارنة للمنازل والقصور في وقتنا الحالي بما كانت عليه في السابق، فالذاهب في أرجاء المنطقة يجد منازل واسعة في مساحتها وتعدد ملاحقها، كما يجدها فخمة في مواد بنائها وتزويقها، ناهيك عن أثاثها وإضاءتها وتشييد حماماتها ومطابخها فهي على قدر كبير من الجودة، وإن نظرت في أبوابها ونوافذها وجدتها واسعة، ومواد بنائها جميلة، والفارق بين مواد البناء والعاملين في مهنة البناء والتشييد قديماً وحديثاً أنها محلية في العمارة القديمة، أما اليوم فالأيدي العاملة والمواد جميعها مستوردة من خارج حدود البلاد السعودية، وبعض المواد قد يكون مصنوعاً داخلياً لكن المواد الخام الرئيسية مستوردة من الخارج(٣).

أما المساجد اليوم فلا تقارن مع السابق، وبناء المساجد علامة مميزة في تاريخ المملكة العربية السعودية، فالذاهب في أنحاء البلاد يجد منظومة كبيرة من المساجد التي تتفاوت في أحجامها ومساحاتها، بل يجدها تشتمل على جميع الخدمات الرئيسية مثل: الحمامات، والإضاءة والأثاث الممتاز، ومواقف للسيارات، وأماكن لتدريس القرآن، وأحياناً مساكن للإمام والمؤذن في الجوامع الكبرى(٤)، ومن خلال تجوالي في المنطقة

(١) هذه الحصون من المعالم الحضارية التي تعكس صور من تاريخ الأوائل ويجب على ملاك هذه الحصون أن يحافظوا عليها من الخراب . كما يجب على الهيئة العليا للسياحة أن تبذل جهوداً كبيرة من أجل الحفاظ على هذا الموروث العمراني .

(٢) وقفت على بعض المساجد القديمة في قرى الباحة وبلجرشي، وبعض قرى سراة زهران، وفي المخواة وقلوة وغامد الزناد، فوجدتها خربة مندثرة مثلها مثل منازل وحصون القرى القديمة . بل وجدت على جدر بعضها نقوشاً تذكر تاريخ بناء المسجد، وأحياناً اسم الباني للمسجد أو من قام على تشييده . مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) تاريخ العمارة قديماً وحديثاً جدير بالبحث والدراسة . نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية وقد اتخذ موضوع العمران في جنوبي البلاد السعودية موضوعاً لدرجة الدكتوراه.

(٤) تاريخ المساجد في المملكة العربية السعودية جدير بالبحث والدراسة، ويجب أن يصدر عن هذا الموضوع عشرات الكتب والدراسات ونأمل من الجامعات السعودية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع العلمي الهام .

اطلعت على عدة مساجد متوسطة المساحة بالإضافة إلى جوامع كبيرة مثل: جامع الملك فهد في حي الظفير، وجامع الفاروق وسط مدينة الباحة، وجامع بني سار في بني سار من سراة زهران، وجامع الأمير محمد بن سعود في بلجرشي، وجامع الأطاولة في محافظة القرى، وجامعا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب في محافظة المخواة، وجامع الملك عبد الله في محافظة قلوة [(١)].

ج. المقابر، الكهوف، الأسواق:

لاحظنا المقابر منتشرة في أرجاء منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة)، وقامت البلديات بجهود مشكورة في تسوير المقابر بالبلك والخرسانة المسلحة، وهناك بعض المقابر المسورة بسياج حديدي [(٢)]، وقد شاهدنا في أجزاء عديدة من سراة وبادية غامد العديد من المقابر السطحية، والتي يصل ارتفاع بعضها إلى مترين، بل تتكون أحياناً من دور ودورين[(٣)]، ومن تلك المقابر مقبرتان في جبل مهراس وقبور الزينات في بادية غامد فارتفاع بعضها يصل إلى المتر، والمتر والنصف، والمترين، ومساحتها تقريباً بين (٢×٢م) و(٣×٣م)، ومبنية من الحجارة المحلية، وبعض القبور منقوش بالمرو الأبيض[(٤)]، ومعظمها على اتجاه القبلة، وقليل منها غير ذلك، وربما يعود بناء مثل هذه المقابر السطحية إلى عدة أسباب هي:

١. أصحابها كانوا من البدو الرحل وليس لديهم أدوات حفر يحفرون بها الأرض لدفن موتاهم، لذا لجأوا إلى بناء هذه القبور التي يتسع بعضها لخمس وأحياناً لعشر جثث.
٢. عدم بناء بعضها على اتجاه القبلة وذلك يعود إلى جهل أهلها ببعض تعاليم الإسلام.
٣. بعض القبور التي شاهدناها في بادية غامد ليس حولها أماكن استيطان، ومن المؤكد أن أهلها كانوا من البدو وبيوتهم من الشعر فهم لا يستقرون في مكان واحد وإنما يسعون وراء الماء والكلأ.

---

(١) مشاهدات الباحث في شهر ذي القعدة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). وأجرى دراسة مقارنة بين تاريخ المساجد في القديم ومساجد وجوامع اليوم، موضوع جدير بالدراسة والاهتمام، ونأمل أن نرى من يتول هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتحليل الأكاديمي.

(٢) مشاهدات الباحث في نواح عديدة من الأجزاء التهامية والسروية في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٣) تجولنا في قرى سراة غامد وأجزاء من زهران فشاهدنا تواجد المقابر السطحية في كل مكان، وهذه ظاهرة لم أشاهدها في مناطق أخرى من جنوب البلاد السعودية. اللهم إلا في أماكن محصورة وقليلة في عسير وأجزاء من نجران. مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٤) المرو الأبيض: اسمه في علم الجيولوجيا (الكوارتز). وفي علم الكيمياء (أكسيد السليكون). وهذا النوع من الحجارة يستخدم كزينة للأبنية في جنوب البلاد السعودية، مثل: القصور، والحصون، والمنازل، والمقابر، وأحياناً المدرجات الزراعية وغيرها. مشاهدات الباحث خلال العقود الماضية المتأخرة.

كان لكل قرية أو قرى متجاورة وتعود في نسب واحد مقبرة خاصة بهم، وأحياناً تجد لبعض الأسر مقابر تخصها ولا تسمح لأحد من خارج أسرهم الدفن فيها، ولازالت بعض المقابر على هذا النهج إلى يومنا الحالي . كما وجد مؤخراً مقابر عامة وبخاصة في المدن والحواضر الكبرى، فهي لكل الناس يدفنون فيها موتاهم[١] .

لا تخلو بوادي وأصدار منطقة الباحة من الكهوف الصخرية التي سكنها الإنسان قديماً، وأحياناً كانت الوحوش المفترسة تسكن في بعض الكهوف[٢]، وقد شاهدنا كهفاً في بادية بني كبير ببلاد غامد، وفي وادي الساق تحديداً فكان عبارة عن مغارة كبيرة في الصخر يصل طوله تقريباً إلى عشرة أمتار، وعرضه في المقدمة تقريباً ثلاثة أمتار، وكلما اتجهنا إلى الداخل يضيق العرض حتى يصل إلى متر أو متر ونصف تقريباً[٣]. وهذا الكهف يحيط به الصخر من جميع الجهات، وبداخله آثار للسكنى[٤].

كانت الأسواق الأسبوعية في كل ناحية أو عشيرة من منطقة الباحة (تهامة وبادية وسراة)[٥]، وكان لكل سوق أنظمة وقوانين يسنها ويتولى تفعيلها العشيرة أو العشائر التي يوجد السوق في أرضها[٦]، والسوق قديماً يقام بساحة مكشوفة في إحدى النواحي أو القرى التي يتبع لها السوق، وقد وقفنا على العديد من الأسواق القديمة في سراة وتهامة غامد وزهران، ولتشابه الأسواق في المكان والعرض، وضيق المساحة المخصصة لهذا المحور نذكر وصفاً موجزاً لسوق الحجرة في محافظة الحجرة في شمال تهامة زهران[٧]، فهذا السوق يقع في أرض قبيلة الشعبان، ومساحته تقريباً (١٠٠ × ١٠٠م)، وفي طرفه حصن من ثلاثة طوابق، وجزء منه مساحة مكشوفة وعلى جوانبه دكاكين صغيرة مبنية بالحجارة ومساحة الواحد منها يتراوح ما بين (٢×٢م) و(٣×٣م)، وارتفاعها تقريباً مترين ونصف ومسقوفة بالخشب، ولها أبواب بمقاس (١×٢م)، وهذا السوق يقع عند أسفل هضبة شمالية تعلوها قرية تتراوح منازلها من (٢٠ إلى ٣٠) منزلاً، ولتلك القرية نوافذ

---

(١) دراسة المقابر القديمة في منطقة الباحة ثم مقارنتها مع المقابر الحديثة موضوع جدير بالاهتمام والبحث . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من بلاد الباحة فيتولى هذا المحور بالدراسة والبحث العلمي الأكاديمي الموثق .

(٢) يوجد في منطقة الأصدار العديد من الكهوف التي كانت تسكنها السباع، وربما اتخذت مقراً للراحة من بعض القاطنين أو المسافرين عبر بلاد الأصدار. مشاهدات الباحث في نواحي عديدة من مناطق الباحة وعسير وجازان خلال السنوات القريبة الماضية .

(٣) مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقوم بدراسة تاريخ الكهوف في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٥) سوف نذكر أسماء العديد من الأسواق الأسبوعية القديمة في منطقة الباحة، في الصفحات الخاصة بالأوضاع الاقتصادية في نهاية هذا القسم، وفي محور التجارة تحديداً.

(٦) يوجد لدى الباحث مئات الوثائق الخاصة بالأسواق الأسبوعية القديمة في كل من الباحة وعسير وجازان والقنفذة ونجران . وجميع هذه الوثائق تدور في فلك القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وقد يأتي اليوم الذي نخرجها في كتاب أو دراسة مستقلة . .

(٧) زيارة الباحث لهذا السوق في أوائل شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

صغيرة ، والملاحظ على هذه القرية والسوق علامات الخراب والاندثار بسبب هجرة أهلها[١]، ومن خلال مشاهداتنا لهذه السوق والقرية المحيطة به، وكذلك أسواق أخرى عديدة ومشابهة لسوق الحجرة، نخلص إلى النقاط التالية :

١. الأسواق الأسبوعية القديمة تشتمل على أرض مكشوفة ودكاكين صغيرة في أجزاء من السوق، وهذه الدكاكين لملاك مقيمين وأحياناً تستأجر من أصحابها للبيع والشراء في بعض السلع المتنوعة.
٢. الأسواق تكون دائماً قريباً من القرى، وأحياناً تكون في مكان متوسط من أرض العشائر التي تملك السوق وترتاده .
٣. جميع مواد البناء في الأسواق محلية مثلها مثل مواد بناء القرى والحصون وغيرها.

د. الآبار، والسدود والمصدات، والعيون، والمدرجات الزراعية، والأحمية :

الآبار من المصادر المائية الرئيسية في حياة سكان منطقة الباحة، فلا تخلو قرية، أو واد أو ناحية بدوية أوسروية أوتهامية من وجود آبار جوفية، يقوم على تعيين أماكنها وحفرها أهل البلاد، وتتراوح أطوالها من (٢٠-٥٠م) [٢]. ويتعاون سكان القرى فيما يخصهم من آبار، وحفرها يكون بشكل أسطواني دائري، وأحياناً على شكل مربع، وعند الانتهاء من الحفر يتم بناء الجزء العلوي منها بالحجارة حتى لا يتساقط التراب في البئر مرة أخرى، وكل بئر يوضع لها شارة: تدل عليها كبئر، وتستخدم السواني أثناء رفع المياه من الآبار، وكل بئر يعمل في أحد أطرافها العلوية حوضاً يسمى (القف) ، وكذلك ممر يسير فيه الحيوان (الأبقار وأحياناً الجمل) أثناء رفع الماء للشرب وري المزارع[٣].

ومن خلال جولاتنا في منطقة الباحة والوقوف على بعض الآبار الجوفية اتضح لنا عدد من الأمور نذكر أهمها :

١. معظم الآبار الجوفية جفت وغارت مياهها، وربما كان الجفاف وعدم سقوط الأمطار من أهم العوامل التي أدت إلى هذا الوضع، ثم إن كثيراً من الناس قام بحفر آبار ارتوازية تصل أطوالها إلى عشرات أو مئات الأمتار، وهذا تسبب في تسرب مياه الآبار الجوفية، كما أن بعض مالكي الآبار القديمة قام بإجراء بعض الحفريات وتعميق آبارهم مع استخدام بعض المتفجرات (الديناميت) وهذا أيضاً مما خلخل الصخور وساعد في نضوب وتسرب مياه الآبار الجوفية.

---

(١) مشاهدات الباحث لسوق الحجرة في (١٤٣٣/١٢/٣هـ) .

(٢) الذاهب في أرجاء جنوب الجزيرة العربية من مكة والطائف إلى أقصى اليمن يجد طريقة حفر وبناء الآبار متقاربة ومتشابهة في هذه النواحي . وقد شاهدنا مئات الآبار من صنعاء إلى الطائف، ولازال بعضها يستخدم إلى وقتنا الحاضر، وتواريخ البعض منها يعود إلى الماضي بمئات السنين .

(٣) في العقود الماضية المتأخرة حلت المكائن والآلات التي ترفع المياه بدلاً من استخدام الحيوانات، ولم نعد نرى استخدام الحيوان في هذه المهنة . مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية .

٢. لازالت بعض الآبار تستخدم في الشرب والزراعة، وذلك لتوفر المياه بها، ويعود ذلك إلى وقوعها في بطون الأودية أو قريباً من بعض العيون والمياه الجوفية الجارية، ومثل هذه الآبار يطلق عليها اسم (العِدّ) وذلك لوفرة مياهها وغزارتها، ونلاحظ بعض الوايتات وتجار المياه الذين يقومون بنقل مياه هذه الآبار إلى المنازل والقرى المتناثرة في منطقة الباحة في يومنا الحاضر[١].

٣. بعض الآبار قريبة من التجمعات السكانية في المدن والقرى، وأدى هذا إلى تسرب مياه الحمامات ودورات المياه إلى هذه الآبار، ومن ثم أصبحت غير صالحة للشرب، وأحياناً كثيرة لا تصلح لري المزارع والخضروات التي تزرع حولها أو قريباً منها [٢].

٤. جميع الآبار الجوفية الموجودة في عموم منطقة الباحة لها أسماء، فقد تسمى باسم القرية أو المكان الذي وجدت فيه، وقد تسمى باسم امرأة أو رجل، وأحياناً تسمى باسم جبل أو وادي، ومصطلحات أخر عديدة تطلق على الآبار المتناثرة في طول وعرض البلاد .

لم نسمع في السابق عن السدود بمنطقة الباحة سوى القليل أو النادر، وذلك لعدم الإمكانات قديماً وكذلك وجود العديد من العقبات التي تقابل بناء السدود. وفي السنوات الأخيرة قامت وزارة الزراعة بإنشاء العديد من السدود في منطقة الباحة من أجل حفظ مياه الأمطار، وتزويد المدن والقرى بالمياه عن طريق تركيب مضخات على بعض السدود بعد إجراء التنقية والتعقيم اللازم، ومن السدود التي تم بناؤها : سد وادي الجنابين، وسد قذانة، وسد الطلقية، وسد القمع، وسد الأجاعدة في محافظة بلجرشي، وفي حاضرة الباحة : سد وادي الملد، وسد وادي ثراد، وسد وادي العقيق ويوجد عليه محطة تحلية مياه لتزويد مدينة الباحة وما جاورها بالمياه النقية، وفي تهامة سد الحجرة في محافظة الحجرة، وسد وادي الأحسبة، وسد الملح شرق المخواة[٣].

وفي بعض أودية تهامة القريبة من المدن الرئيسية مثل: المخواة، وقلوة وغيرها وجدنا مصدات أسمنتية مسلحة في بعض الأودية، وذلك من أجل حماية القرى أو المدن القريبة منها من سيول الأودية أثناء هطول الأمطار، وتتراوح أطوال هذه المصدات من مئة إلى ثلاثمائة وأربعمائة متر، وارتفاعها من (٢-٤م) ، وعند سؤال السكان القاطنين قريباً

---

(١) شاهد الباحث بعض الوايتات (١٦) طن و(١٤) طن تنقل المياه من بعض الآبار إلى المنازل بأسعار تتراوح من (١٠٠-٣٠٠) ريال .

(٢) هذه المشكلة تكاد تكون سائدة في أنحاء المملكة العربية السعودية، فهناك الكثير من الآبار داخل المدن والقرى، لكن مياهها لا تصلح للاستخدام الآدمي أو ري المزروعات .

(٣) وقف الباحث على بعض هذه السدود فوجدها مليئة بالماء، وتقوم بخدمات عديدة أشرنا إلى بعضها في المتن أعلاه، بالإضافة إلى ري المزارع القريبة من بعض السدود، ونقل المياه أحياناً بواسطة الوايتات لري بعض المزروعات وسقي البهائم في القرى والمدن . مشاهدات الباحث في منطقة الباحة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

من هذه المصدات عن مدى فاعليتها أشاروا إلى أهميتها في حماية بيوتهم وعقاراتهم وأملاكهم من سيول الأودية عند سقوط الأمطار[١].

لا تخلو منطقة الباحة من القنوات والعيون المائية التي استخدمها الإنسان في ري الزراعة، وسقيا بهائمه، واستخداماته اليومية[٢]. وفي قرية ذي عين الواقعة في أسفل عقبة الباحة المخواة[٣]، عين تجري عند أسفل القرية وهي تنبع من سفوح الجبال المطلة على القرية، والملاحظ أن الجزء العلوي من العين مغطى بالحجارة، ومياهها تتجه غرباً، فتسقي مزارع الموز والأشجار المثمرة في بطن الوادي[٤].

والمدرجات الزراعية من المعالم العمرانية التي عرفها سكان المنطقة، فالسائر في أنحاء البادية والسراة وتهامة يشاهد آلاف القطع الزراعية التي تحيط بها الأسوار لحفظ تربتها ومياهها[٥]. ولازلنا نشاهد المدرجات متناثرة في أنحاء البلاد وهي مبنية من الحجارة وتتراوح ارتفاعاتها من (١-٤م)[٦].

والأحمية العامة والخاصة من المظاهر الحضارية التي عرفتها غامد وزهران، فقد كان الناس في الماضي يمارسون مهن الرعي والصيد والاحتطاب، ومن ثم كان لكل عشيرة أو قرية حمًى خاص يُحْمَي في بعض أيام أو شهور من السنة، وعند الحاجة إليه يتم الرعي وجمع الحَطب من تلك الأحمية. والذاهب في بعض أرجاء المنطقة يشاهد آثار بعض الأحمية في الجبال والشعاب والأودية، وطبيعة الحمَي أنه يحاط بأسوار حجرية يصل ارتفاعها إلى متر ومترين[٧]، وقد عثر الباحث علىَ العديد من الوثائق التي تنص على حفظ بعض الأحمية وحراستها، ومتى تستخدم ومتى تمنع من الاستخدام، ومن هم المسئولون عن الحمي، إلى غير ذلك من القوانين والأنظمة العرفية التي تعارف عليها أصحاب الحِمَى[٨].

---

(١) مشاهدات الباحث لبعض هذه المصدات في أودية مدينة المخواة وما جاورها في (١٤٢٣/١٢/٤هـ).

(٢) من خلال جولاتنا في المنطقة وجدنا آثار بعض العيون المندثرة في بوادي وسراة غامد وزهران.

(٣) هذه القرية مبنية على هضبة من صخور الجرانيت، ويزيد عدد منازلها عن (١٠٠) منزل، وارتفاع بعضها إلى أربعة وخمسة طوابق، بالإضافة إلى المرافق الملحقة ببعض المنازل مثل المسجد والأفنية وغيرها. مشاهدة الباحث في (١٤٣٣/١٢/٣هـ).

(٤) لازالت العين جارية حتى الآن، وهذه القرية تُعد من المعالم الهامة والرئيسية في بلاد تهامة والسراة، وليس هناك اهتماماً أو رعاية بها والمسؤولية ملقاة على عاتق إمارة الباحة وعلى الهيئة العليا للسياحة فتقوم على صيانتها وتوفير الخدمات اللازمة لها حتى تتحول إلى معلم سياحي حضاري يرتاده زوار منطقة الباحة وغيرهم.

(٥) المدرجات الزراعية من الأبنية التي عرفها سكان جنوب الجزيرة العربية، وذلك لأن معظم الأراضي الزراعية توجد في الجبال وسفوحها وفي جوانب الأودية، فكان على الإنسان أن يحيط مزارعه بالجدر والمدرجات العمرانية التي تحفظ حدود وتربة المزرعة.

(٦) دراسة تاريخ المدرجات في بلاد تهامة والسراة موضوع جدير بالبحث، ونأمل أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ في جامعاتنا السعودية.

(٧) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة الباحة من (١١/٢٩-١٤٣٣/١٢/٨هـ).

(٨) يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق الخاصة ببعض الأحْمِيَة وأنظمتها في جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران). وهذا الموضوع يستحق إلى أن يكَون عنواناً لدراسة أو رسالة علمية أكاديمية موثقة.

وإذا نظرنا في العمارة الحديثة في منطقة الباحة، وجدناها شملت كل جانب من جوانب التنمية الحضارية، فهناك المدن والقرى، وبها المنازل والقصور، والشقق المفروشة، والفنادق، والمؤسسات الحكومية والأهلية. وبها أيضاً الأسواق التجارية المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها، والمراكز الطبية والصناعية، والمشاريع السياحية، كما نشاهد الطرق البرية المسفلتة داخل المدن والقرى وخارجها، وهناك بعض المعالم العمرانية الكبيرة في المنطقة مثل: مباني الإمارة والمحافظات في الباحة وبلجرشي وغيرهما، ومباني البلديات في بعض مدن المنطقة، ومباني جامعة الباحة داخل المدينة، وفي المدينة الجامعية في محافظة العقيق، والمطار، والمستشفيات الرئيسية في الباحة وبلجرشي، وغيرها من أنواع العمارة المتنوعة في أحجامها وأهداف استخداماتها، ومساحاتها وطريقة تشييدها[١].

٣. الأطعمة والأشربة :

كانت أطعمة أهل الباحة قديماً من ناتج مزارعهم، والأسرة في المنزل تعتمد بشكل رئيس على البر (الحنطة) والذرة وأحياناً الشعير في السراة، والدخن والذرة في تهامة، أو ما تحصل عليه بعض الأسر من أبقارها وأغنامها مثل: اللبن والسمن[٢]، وهناك أطعمة تُجلب من الأسواق الأسبوعية كل أسبوع أو كل شهر مثل : اللحم والتمر[٣].

من الأطعمة التي عرفها الغامديون والزهرانيون ما يلي:

أ. العصيدة، واللبزة، والقرصان، والأولى : من دقيق البر أو الذرة أو بهما معاً في ماء مغلي، والثانية أشبه بالعصيدة، لكنها تعمل من القرصان بعد لبزها، أما القرصان فتصنع من دقيق البر وتوضع في صاج من الحديد حتى تنضج .

ب. الخبزة : والدغابيس، والمرصوص، والعيش، والكسكسية :

الأولى: أكلة شعبية مشهورة وتمتاز بها بلاد زهران، وهي من البر الخالص، وتختلف في حجمها باختلاف المناسبة، وهي بشكل دائري يتراوح قطرها من(٣٠ إلى ١٠٠سم)[٤].
والدغابيس : أكلة مشهورة عرفها أهل غامد وزهران، وتصنع من البر، وتوضع في المرق

---

(١) تاريخ العمارة الحديثة في منطقة الباحة يستحق أن يفرد له دراسات علمية أكاديمية . ويجب مقارنة العمارة القديمة مع العمارة الحديثة مع توضيح السلبيات والإيجابيات بين النوعين من العمارة . كما يجب على جامعة الباحة أن تنشئ كلية هندسة للعمارة والتخطيط كي تتولى دراسة عمارة المنطقة، والحفاظ على عمارتها القديمة. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة الباحة (١٩/١١ ـ ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) هذه أطعمة أهل البادية الرئيسية، أما أهل تهامة والسراة فكانت من أطعمتهم أيضاً بالإضافة إلى ما يزرعونه في مزارعهم .

(٣) اللحم والتمر لا تملكه كل الأسر، وإنما المقتدرون منهم، وهناك أفراد وأسر لا يستطيعون شراءه لعدم وجود النقود لديهم .

(٤) شاهدها الباحث أثناء جولاته لجمع مادة هذا القسم وأكل منها في عدد من بيوت زهران (١ـ٩/٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

حتى تستوي ثم تؤكل[١]. والمرصوص: خبزة تزال قشرتها العليا ثم تقطع وترص مع بعضها البعض، وتسمى (العريكة) في بعض مناطق عسير[٢]. والعيش: أكلة مشهورة في جنوب المملكة، وتصنع من اللبن ودقيق الذرة، وتقدم للضيوف في آنية خشبية تسمى (الصحفة) بقطر يصل إلى (١٠٠سم)، ويصب عليها السمن والعسل[٣]. والكسكسية من الأكلات المعروفة عند سكان منطقة الباحة، وتصنع من دقيق الذرة، ويتم إعدادها في أوانٍ فخارية مخصصة لها، وتستوي على بخار الماء أو المرق مع اللحم[٤].

ج- أطعمة أخرى: القَلِيَّة: وهي من الحب المقلي على النار. والفواكه مثل: الرمان، والعنب، والتفاح، والبرشوميِ، والتين، واللوز، والبرسيم، والدجر، والبلسن وغيرها.

د- الأشربة القديمة المتنوعة، مثل: السمن، واللبن، والعسل، والفريقة المصنوعة من اللبن والدقيق. والسويق المصنوع من سنابل الشعير[٥]. والمرق، والروبة، وهو الحليب الرائب قبل خضه[٦].

<u>والأطعمة والأشربة السابقة الذكر يغلب عليها أمور عديدة نذكر أهمها:</u>

١. إن جميع الأطعمة والأشربة محلية من نتاج مزارع وحيوانات أهل البلاد، ثم إن القائمين على إعدادها هم أهل البلاد وبخاصة النساء.
٢. كان الطعام والشراب في منطقة الباحة قديماً يسد حاجة الناس، ومن ثم تجدهم في عمل دءوب في مزارعهم ورعي مواشيهم من أجل كسب أقواتهم[٧].
٣. جميع الأطعمة والأشربة كانت تصنع وتقدم في أدوات وأوانٍ محلية تصنع في محيط جنوب البلاد السعودية، وأحياناً كانوا يستوردون بعضَ الأواني من أسواق الحجاز ومن ميناء القنفذة وغيره[٨].

---

(١) أكل منها الباحث أثناء جولاته في بلاد غامد (٥.٣ /١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) مشاهدات الباحث وجولاته في جنوبي البلاد السعودية خلال العقود الثلاثة الماضية.

(٣) هذه الأكلة تعرف في بلاد بني شهر باسم (المشغوثة)، ويتفنن سكان بني عمرو وبني شهر في عملها وتقديمها، وهي من الأكلات المفضلة عندكثير من الناس وبخاصة كبار السن.

(٤) تاريخ الأطعمة والأشربة في منطقة الباحة موضوع جدير بالبحث والدراسة نأمل أن يتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير في أحد أقسام التاريخ في جنوبي البلاد السعودية.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) هذا ما سمعه الباحث من بعضٍ كبار السن في منطقة الباحة. كما أنه شاهد الأشربة المذكورة أعلاه في مناطق عسير ونجران وجازان، وأحياناً تكون المسميات مختلفة، إلا أن نوع الطعام واحد. مشاهدات وجولات الباحث في جنوبي البلاد السعودية منذ ثلاثة عقود.

(٧) عاصر الباحث جزءاً من حياة الناس القديمة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن ثم تجدهم مكتفين ذاتياً في توفير أطعمتهم وأشربتهم.

(٨) زار الباحث بعض المتاحف التاريخية والشعبية في مدينتي بلجرشي والباحة أثناء تواجده في المنطقة من (١١/٢٩- ١٢/٩/١٤٣٣هـ)، وشاهد في تلك المتاحف العديد من الأدوات الأثرية التي عرفتها المنطقة وكان بينها بعض الأواني الخاصة بصنع الطعام والشراب وتقديمه.

ما سبق ذكره أطعمة وأشربة قديمة عرفها الأوائل، وهي طعامهم وشرابهم منذ مئات السنين، ومنذ النصف الثاني للقرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت الأطعمة والأشربة المستوردة تصل إلى أسواق منطقة الباحة، وبدأ الناس ينوعون مآكلهم، وبخاصة الشيوخ والأعيان وأصحاب المال، ثم تطورت أحوال الناس الوظيفية والتعليمية والمادية، وازدادت أنواع الأطعمة في المنطقة، وصارت تفتح المطاعم التي تقدم بعض الأطعمة، وهكذا استمر الحال حتى فاض الخير على الناس وتعددت المشارب والمآكل، وتنوعت المواد الغذائية التي جلها مستورد من خارج المنطقة، ومن خلال تجوالنا في المنطقة خرجنا ببعض الانطباعات في باب الأكل والشرب مثل :

١. ازدحام المنطقة بالدكاكين (والسوبر ماركت) الخاصة بالبيع والشراء في مواد الأطعمة المختلفة.

٢. تعدد المطاعم (والبوفيهات) والاستراحات والمطابخ الخاصة بصنع الأطعمة، والمتفاوتة في أحجامها، وأماكنها، وأنواع أطعمتها، وأسعارها .

٣. ازدياد الأطعمة والأشربة عند الأسر، وفي المجتمعات، والمناسبات، والولائم، حتى أصبح الإنسان غير قادر على معرفة أسمائها وحصر أنواعها.

٤. ـ جميع الأيدي العاملة في صنع الأطعمة في المطاعم والمطابخ التجارية من العمالة الوافدة من بلدن عربية وشرقية وأحياناً غربية، ونادراً ، نجد سعودياً يعمل في مهنة الطبخ والمطاعم . وكثير من الأسر الغامدية والزهرانية استقدموا عاملات منزليات من خارج البلاد، وأصبح بعضهن يقمن بعمل الأطعمة والأشربة الخاصة بأفراد الأسرة[١].

٤ـ الألبسة والزينة :

عرف سكان منطقة الباحة العديد من الألبسة. فالرجال يلبسون ثوباً من قماش (الدوت)، قصير الأكمام، ويسمى (الثوب المزند) نسبة إلى زند الرجل، وهو منطقة الصدر والذراعين، ويلف الرجل على رأسه عمامة بيضاء وأحياناً مقلمة بخطوط سوداء، وتلف حول الرأس، والملابس الداخلية عند بعض المقتدرين سروال من قماش الدوت، وكثير من الرجال لا يجد ملابس داخلية يلبسها، وبخاصة في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويحتزم الرجل بحزام من الجلد، وأحياناً يربط مع الحزام سكيناً صغيرة في غمدها[٢].

---

(١) إجراء دراسة مقارنة لتاريخ الأطعمة والأشربة قديماً وفي عصرنا الحاضر موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة . ونأمل من بعض أقسام التاريخ والحضارة في جامعاتنا السعودية أن تكلف بعض طلابها لدراسة مثل هذا العنوان في مناطق عديدة من المملكة .

(٢) دراسة تاريخ الألبسة والزينة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع جدير بالدراسة والتوثيق .

وللرجـال ملابـس خاصـة في المناسـبات مثل: الثـوب، والعمامة، والخنجـر، وحزام من الجلد يثبت عليه الخنجر، وغالباً يلبس في المناسـبات حزام مرصـوص بالرصـاص، ويصطحب الوجيه أو الشيخ بندقيته، وأحياناً السيف والبشت[١].

وفي فصـل الشـتاء يرتدي الرجال (العباءة) أو (الجبة) وهي مصنوعة من صوف الغنـم، ومفتوحة من الأمام ولها أكمام طويلة، وغالباً، تكون ذات لون أبيض، وتصـنع في وادي بيدة من بلاد زهران، وبعض الأسر الغامدية تمتهن صنعها[٢].

ويلبس النسـاء ثياب ذات ألوان سوداء أو حمراء، وأحياناً ألوان أخرى مختلفة، وهذا النوع من الثياب تلبسـه المـرأة في المنزل وخارجه. وهناك ألبسـة أخرى مطرزة الأكمام، وهذا اللون من اللباس يسـتخدم في مناسـبات الأفراح[٣]، ومن ألبسـة النسـاء الشيلة أو القناع الذي تلفه المرأة على رأسـها وعنقها، ولونه في الغالب أسـود، والنساء يلبسن أيضاً السراويل التي تصل إلى القدمين، وذات خطوط سوداء أو حمراء أو غيرها.

وعرف الرجال والنسـاء الأحذية حسب الإمكانات فالأغنياء والأعيان يلبسون أحذية مصـنوعة من الجلد، أو البلاسـتيك. والأحذية أنواع فمنها المسـتورد من أسواق الحجاز وغيرها، ومنها المصنوع محلياً من جلود الأبقار والجمال. وكثير من السكان صغاراً وكباراً يمشون حفاة لعدم وجود المال الذي يشترون به أحذية وما شابهها.

كان الرجـال يحرصـون عـل لبس الحزام، وهنـاك أحزمة من الجلد وسـعف النخل وأحيانـاً مـن القماش، ويلبس الرجـال في المناسـبات أحزمـة كبيرة ومحلاة بالفضـة، وأحياناً يلبسون أحزمة وقد ثبت عليها الخناجر في أجفانها المزدانة بزخارف من الفضة. ويسـتخدمون الكحـل في العيون، والحنـاء في اللحية والرأس، وبخاصـة في منطقة تهامة، ويلبسـون العقال ويضـعون أغصـان الريحان مع العقال أو العمامة. ويلبس بعض الرجال الخاتم في اليد، وبعض الأعيان والوجهاء يحملون المسبحة في اليد[٤].

وكان النسـاء يتزين بالقلائد والخواتم في الصـدر وأصـابع اليد، وبعضهن يلبسـن في مناسبات الزواج العصابة على الرأس، والحزام الذهبي، أو الفضي على الوسط، والزمام

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) هـذا النوع من اللباس يُصَـدر إلى خارج منطقة الباحة. وعرفت في نجران وبلاد عسـير بالعباءة البيدية، نسـبة إلى (وادي بيدة) أو الغامدية نسـبة إلى بلاد (غامد). هذا ما شـاهده وسـمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقتي نجران وعسير خلال أعوام ماضية.

(٣) زار الباحث بعض متاحف منطقة الباحة وشاهد بعض الألبسة القديمة التي كان يلبسها الرجال والنساء وكذلك الأطفال.

(٤) ليـس عمـوم الرجال يتزينون بمـا ذكرنا أعلاه، وغالبية السـكان يكتفـون باللباس العادي الذي سـبق ذكره، لكن المجتمع لا يخلو ممن كان يتزين بما أشرنا إليه.

في الأنف وبعض الأخراص في الأذن، والمفارد المصنوعة من الخرز وأحياناً من الذهب أو الفضة في اليد[١].

أما لباس الأطفال فهو من نوع الأقمشة التي يلبسها الآباء والأمهات . وكانت الألبسة قليلة، فالواحد منهم لا يملك إلا ثوباً واحداً وربما ثوبين بالكثير، أحدهما للعمل داخل البيت وخارجه، والآخر لصلاة الجمعة أو حضور المناسبات الاجتماعية في منطقته .

ومنذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت أوضاع الغامديين والزهرانيين تتحسن تنموياً واقتصادياً، وتزايد المال في أيديهم، وتطوروا في ألبستهم، فأصبحوا يمتلكون أنواعاً عديدة من الألبسة والزينة، وأصبح كل فرد في المجتمع يقتني العديد من الألبسة الداخلية والخارجية . ولم يأت هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا ومدن منطقة الباحة تحتضن العديد من الدكاكين والأسواق الخاصة باللباس والخياطة، وهكذا تطور الأمر حتى يومنا هذا والذاهب إلى أسواق المنطقة يجدها تعج بمئات الأسواق الخاصة بالألبسة والزينة (نساءً ورجالاً وأطفالاً) ومعظم أسواق اليوم تختص بالأطفال والنساء[٢]، وهناك أماكن خياطة في كل مدينة وقرية تقوم بتفصيل جميع أنواع الموديلات الخاصة بالجنسين [٣].

<u>ومن خلال الإشارة إلى بعض ألبسة الماضي وما وصلت إليه في الوقت الحاضر، وما جرى من تبدلات على الناس في باب اللباس نذكر بعض الرؤى والانطباعات عن ما عرفنا وشاهدنا، وهي على النحو التالي :</u>

أ- ندرة اللباس قديماً جعل الناس يقتصدون في ملابسهم ويحافظون عليها . بعكس الوقت الحاضر الذي بالغ فيه الفرد والمجتمع في استخدام الألبسة وأدوات الزينة المختلفة .

ب كان النساء قديماً يحرصن على لبس الملابس الساترة لأجسادهن في الداخل والخارج مع ترك وجوههن سافرة، واليوم أصبح النساء يتسترن بالحجاب والعباءة خارج المنزل لكن في الأفراح والمناسبات الاجتماعية كالزواج مثلاً تجدهن يبالغن في لبس ملابس كاشفة لأجسادهن، مع المبالغة في التزين . وهذا أمر لا يتفق مع الشرع والعرف حتى وإن كن أمام النساء فقط .

ج- نلاحظ دخول موديلات حديثة عند الرجال والنساء وبخاصة الشباب، مثل: بعض أنواع البنطال، وملابس داخلية وخارجية أخرى . والمتأمل في هذه الألبسة

---

(١) كان الوضع عند النساء كما هو عند الرجال فليس كل النساء يقدرن على التزين بما سبق ذكره، أما عموم النساء فكن يكتفين بألبسة وأحزمة عادية، وإذا لبسن بعض الحلي فإنها ذات أنواع رخيصة.

(٢) في صفحات قادمة من هذا القسم، وفي عنصر التجارة سوف نذكر أسماء بعض الأسواق الكبيرة في مدن الباحة الرئيسية وجميع هذه الأسواق تعرض آلاف الأنواع والأشكال من الألبسة والزينة التي يحتاجها إنسان اليوم .

(٣) تاريخ اللباس والزينة والمقارنة بين الماضي والحاضر موضوع هام وجدير بالدراسة .

يجد فيها خدشاً للكرامة والمروءة وبخاصة إذا أعدنا ذلك إلى الشرع القويم، وإلى ما عرفه وعاشه الآباء والأجداد [١].

د. ملابس الأوائل كانت تقوم في الغالب على مواد وأيدي عاملة محلية بعكس ألبسة اليوم المستوردة من خارج البلاد، والقائمون على عرضها وبيعها وتفصيلها وخياطتها من العمالة القادمين من خارج المملكة العربية السعودية[٢].

هـ. وفرة الألبسة وأدوات الزينة اليوم لم تؤثر في رخص أسعارها . وإنما البعض منها ذات أسعار عالية مثل: الذهب، وبعض أدوات الزينة، والثياب والفساتين، والأحذية للرجال والنساء .

و. أدوات الزينة مثل: العصابة، وأحزمة الذهب والفضة للنساء، والأسلحة للرجال، وكثير من الألبسة القديمة عند الجنسين أصبحت جزءاً من التراث فلا يستخدمها أحد، اللهم إلا بعض الأسلحة التي يستخدمها بعض الرجال في المناسبات الاجتماعية، كذلك الحزام الذي كان لا يفارق الرجال والنساء والأطفال قديماً صار غير مرغوب عند جميع عناصر المجتمع[٣].

٥. الفنون الشعبية والألعاب الرياضية :

عرفت منطقة الباحة العديد من الفنون الشعبية، وقد فصلها الاستاذ علي صالح السلوك في موسوعته : **الموروثات الشعبية لغامد وزهران**، وأفرد لكل فن سفر مستقل، **الأول:** قصائد الجبل واللبيني . **والثاني** : قصائد العرضة في مناسباتها المختلفة. **والثالث** : قصائد اللعب والمسحباني، والهرموج، والعزاوي والسامر . **والرابع** : الأناشيد الشعبية (القاف) . **والخامس:** الأمثال والحكم[٤]. **ومن خلال هذا الرصد التاريخي الأدبي نورد الآراء والأقوال التالية :**

أ. منطقة الباحة غنية بتراثها وأدبها الشعبي .

ب. غنى الجانب اللغوي والحكم والأمثال في هذه البلاد الأزدية القحطانية .

---

(١) بعض هذه الألبسة تظهر مفاتن المرأة، وأخرى لا تليق بالرجل الشاب، لأنها تظهر أحياناً أطرافاً من عورته، أو أن فيها تشبهاً بالنساء أو بلباس اليهود والنصارى .

(٢) من أراد الاستزادة عن أنواع وأسماء وأشكال الملابس وأدوات الزينة القديمة في منطقة الباحة فليذهب لزيارة بعض المتاحف المحلية في مدن المنطقة، وسوف يجد الكثير من ألبسة القدماء . ومعظمها صناعة محلية، مع أن بعض موادها الرئيسية مثل: القماش وأدوات الزينة كانت مستوردة من أسواق الحجاز واليمن وغيرها .

(٣) دراسة تاريخ اللباس والزينة في منطقة الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٤) هذه الكتب الخمسة التي ألفها ونشرها الأستاذ السلوك، طبعت في مطابع مؤسسة المدينة في جدة عام (١٤١٥هـ) .

ج- على جامعة الباحة مسـؤولية كبرى تجاه موروث منطقة الباحة الشعبي والثقافي والأدبي واللغوي، ومن ثم يجب عليها إنشاء مراكز أبحاث متخصصة في دراسة التراث الشعبي للمنطقة، كما يجب عليها تشجيع أقسام اللغة العربية والتاريخ والاجتماع على دراسة أدب وتراث ولغة هذه البلاد[١].

د- الأدب الشعبي الذي تتميز به منطقة الباحة يستحق الصيانة والحفاظ عليه، فإمارة المنطقة مع الجامعة والنادي الأدبي، وجمعية الثقافة والفنون عليها جميعاً مسؤولية التعاون والتضافر لإنقاذ هذا الموروث من الضياع.

هـ- السائر في منطقة الباحة اليوم يشاهد أجيالاً صاعدة لا تعرف عن موروث آبائها وأجدادها أي شيء، وهذه كارثة كبيرة وبخاصة إذا غرفوا فيما تصدر لهم وسائل التقنية والقنوات الفضائية من ثقافات وفنون سلبية وبعيدة عن تراث آبائهم، وما عرفته منطقة الباحة من أصالة وقيم ومبادئ.

و- على إدارة التعليم مع القائمين على مهنة التربية والتعليم في المراحل الجامعية والعامة مسؤولية الحفاظ على الموروث الأدبي القديم، ثم نقله إلى أجيال اليوم التي تعيش مرحلة فاصلة كبيرة ما بين الماضي والحاضر.

ز- المشاهد للفنون الشعبية التي تمارس في بعض المناسبات الاجتماعية والرسمية يجد خللاً كبيراً في أدائها وحفظ تراثها . فهناك أجيال جديدة لا تجيد ممارستها، ولا يوجد هناك شعراء أكفاء يقولون ويحفظون ويبدعون كما كان عمالقة الموروث الشعبي السابق[٢].

عرف الغامديون والزهرانيون ألعاباً رياضية قديمة مثل : السباحة في الآبار والغدران، والمصارعة، والسباق وهناك ألعاب محلية أخرى عديدة، ولها أسماء شعبية عند الناس[٣]. مثل : الدلاوة، واللقطة، والأمثال، والبيوت، والقبة، (وماك) بالحجارة، ولعبة اللسح، وساري بالغترة، او بأغصان شجر لا يؤلم عند الضرب، وألعاب على ضوء القمر، وألعاب يجتمع الشباب لها ليلاً فيوقدون النار ويؤدونها على ضوء القمر والنار، وألعاب القفز والسمر وغيرها[٤].

---

(١) منطقة الباحة جديرة بالعديد من الدراسات الأكاديمية وبخاصة في موروثها الثقافي واللغوي والشعبي .

(٢) نأمل أن نرى دارسين ومتخصصين في أدب وثقافة الفنون الشعبية . كما نأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يتولون دراسة تاريخ الأدب الشعبي القديم مع ذكر سلبياته وإيجابياته في السابق، وما ناله من التقهقر والضعف في عصرنا الحالي، ثم رصد بعض النتائج والتوصيات التي تؤدي إلى إنقاذ ما بقي منه.

(٣) للمزيد عن هذه الألعاب، انظر: أحمد سالم عثمان . ألوان من تراث غامد وزهران (الرياض: الدار العربية للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ)، ص٥٢-٥٤ .

(٤) المصدر نفسه . ودراسة تاريخ الألعاب الرياضية القديمة في بلاد السراة وتهامة من مدن الحجاز الرئيسية إلى جازان ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق أن يفرد له كتاب علمي موثق، ولازال في هذه المنطقة من كبار السن من يروي تفصيلات عن ألعاب ذلك الزمن الغابر .

وفي العقود الماضية المتأخرة عرفت المنطقة العديد من الألعاب الرياضية الحديثة مثل: كرة القدم، والطاولة، والسلة، واليد، وألعاب القوى المختلفة . والآن عرف أجيال اليوم العديد من الرياضات التقنية والإلكترونية عن طريق الجوالات، والكمبيوتر، والبلاي ستيشن وغيرها، ومن خلال ما عرفنا وسمعنا عند الأوائل وما نشاهده اليوم نستطيع القول :

١. جهل وعدم معرفة جيل اليوم لألعاب ووسائل تسلية الآباء والأجداد . وهذا مما سوف يوسع الفجوة النفسية والثقافية والاجتماعية والفكرية بين الأوائل والمتأخرين .
٢. الألعاب الرياضية القديمة تبني عقول وأجسام الممارسين لها، كما أنهم يشعرون بالرضى النفسي، وتزيد من الألفة والترابط بينهم . بعكس كثير من ألعاب اليوم فهي تسبب التوتر والقلق في عقول وأجسام من يمارسها، كما أن بعضها مثل الألعاب التقنية تسبب البدانة وأمراض الضغط والسكر وغيرها من العلل لأن الممارسين لهذه الألعاب يقضون أوقاتاً طويلة وهم جالسون، بالإضافة إلى استهلاك كميات كبيرة من الطعام والمشروبات الغازية[١] .
٣. تنوع الألعاب الترفيهية في بعض المراكز السياحية مثل : الحدائق والمتنزهات، والتجمعات السكانية . وهذا النوع من الألعاب له جوانب إيجابية للترويح والاستجمام لمن يذهب إليها ويمارسها بطريقة سليمة ومقننة، أما الذي يذهب إلى مثل هذه الأماكن فيقضي بها أوقاتاً طويلة، أو يتعامل مع بعض آلات اللعب بقسوة وغير بصيرة فهذا مما قد يسبب له أذى جسدياً يودي بحياته[٢] .

٦. عادات وتقاليد وأعراف أخرى :

عرفت منطقة الباحة العديد من التقاليد والأعراف الاجتماعية مثل: عادات الزواج، والمآتم، والأعياد، والتعاون والتكافل، وحفظ الجوار، والأحلاف القبلية، وأعراف أخرى عديدة أثناء ممارسة بعض الأعمال الاقتصادية في التجارة، والزراعة، وصناعة بعض الحرف والصناعات التقليدية[٣] . كما مارس الغامديون بعض التقاليد والأعراف في زيارة

---

(١) هذا ما شاهده الباحث أثناء زيارة بعض الصالات والمقاهي الترفيهية في منطقة الباحة أثناء فترة جمع مادة هذا البحث (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) هناك من فقد حياته في بعض المراكز أو الألعاب الترفيهية في منطقة الباحة، نتيجة لسوء اللعبة التي يمارسها، أو عدم صيانة بعض الألعاب قبل استخدامها . هذا ما سمعه الباحث من بعض القائمين على بعض المجمعات الترفيهية في مدينة الباحة في (٥/١٢/١٤٣٣هـ).

(٣) للمزيد من التفصيلات عن بعض التقاليد والعادات التي عرفها سكان منطقة الباحة انظر: سعيد فالح الغامدي. التراث الشعبي في القرية والمدينة (منطقة الباحة مدينة جدة) . (جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٤٦ وما بعدها، انظر أيضاً : أحمد سالم عثمان، ألوان من تراث غامد وزهران، ص ٢٣ وما بعدها .

مرضاهم، واختلاطهم ببعضهم في قراهم وأسواقهم وأسفارهم، واستقبالهم ضيوفهم وتوديعهم، وفي حروبهم وسلمهم[١].

وإذا قارنا ما سمعنا وعرفنا من أعراف وعادات وتقاليد قديمة في منطقة الباحة، ثم شاهدنا ما تعيشه البلاد اجتماعيا في الوقت الحاضر، فإننا نستطيع الخروج بالعديد من الانطباعات التي نذكر أهمها في النقاط التالية.

أ. تنوع بيئة منطقة الباحة أثرت قديماً في تقاليد وأعراف الناس فأهل البوادي يمارسون مهنة الرعي، ومن ثم فهم يعيشون تقاليد وعادات أهل البادية . أما أهل تهامة والسراة فقد جمعوا بين حضارة الحضر والبادية فهم يمارسون رعي مواشيهم ويعملون في مهن الصناعات اليدوية والزراعة والتجارة[٢].

ب. يغلب على الناس قديماً البساطة وعدم التكلف في بعض عاداتهم، مثل الأعياد، والزواج، وتجد التقارب والمحبة في ممارسة أعمالهم المختلفة . وكان جميع أفراد الأسرة أو القرية أو المجتمع الواحد يتعاونون في كل ما يعود عليهم بالنفع والفائدة، ولا تخلو المنطقة من صراعات بين العشائر المتجاورة، وكانت جل صراعاتهم تدور في فلك المراعي والمزارع وموارد المياه والشرف وغيرها[٣].

ج. لازالت بعض عادات الزواج، والأعياد، والمآتم تمارس عند سكان منطقة الباحة إلى اليوم، إلا أنه جرى عليها أيضاً بعض التغيرات، فالأماكن الخاصة بالزواج، والهدايا، والمهور والفنون التي تمارس أثناء الزواجات أصبح مبالغاً فيها كماً وكيفاً[٤]، والتراحم والتقارب الذي كان مألوفاً في الأعياد صار محدودا بل صار في حكم المفقود في أحيان أخرى[٥]. أما عادات المآتم فممارستها اليوم أفضل مما

---

(١) المرجعان نفسهما . ولازالت منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة) تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية تركز على عادات وأعراف الناس . وهناك ثروة ثقافية ولغوية في ممارسة كثير من التقاليد والأعراف، والباحث في هذا المحور يجد منطقة الباحة غنية في هذا الجانب الثقافي والتعليمي .

(٢) هذا ما سمعه الباحث أثناء تجواله في منطقة الباحة، بل عاصر صوراً من هذه الحياة في منطقة عسير خلال العقود الأربعة الماضية .

(٣) عاشت منطقة الباحة وعموم بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة الماضية بعض أشكال من الصراعات والفوضى، وذلك بسبب فقدان الأمن، وعدم وجود سلطة مركزية تسوسهم، وعند مجيء الحكم السعودي الحديث وحد البلاد حتى صارت خاضعة لحكومة رئيسية تحكم فيهم شرع الله . هناك مئات الوثائق التاريخية غير المنشورة التي تؤكد ما ذهبنا إليه . ودراسة أحوال بلاد السراة وتهامة سياسياً وإدارياً خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . موضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٤) المشاهد لحفلات الزواجات اليوم يجد المبالغة في شراء الملابس والمصروفات التي تنفق على الحفل، من إيجار صالات، وتقديم ولائم وهدايا وغيرها . مشاهدات الباحث لعادات الزواج قديمة وحديثا في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية .

(٥) لازالت عادات الاحتفال بالأعياد تمارس، لكنها تحولت في الغالب من النهار إلى الليل، ولم يعد لها النكهة والطعم الذي عرفناه وعشناه في أواخر القرن الهجري الماضي . دراسة عادات وتقاليد الأعياد في الماضي والحاضر موضوع يستحق الدراسة والاهتمام .

كانت عليه في الماضي وبخاصة في الولائم والتكاليف التي كانت تقام في منزل الميت ويصرف عليها من ماله[١].

د. كان التعاون والتكافل والتراحم سائداً بين الناس قديماً، وحل التباعد والقطيعة بين الأقارب بشكل خاص وبين بعض أفراد القرية والمجتمع الواحد بشكل عام، وربما كان لعوامل التمدن والحضارة، والأسفار، ووفرة المال في أيدي الناس، والسعي في جمع الأموال، والتوسع في المآكل والمشرب والمسكن، وأحياناً ضعف الوازع الديني أثر في تباعد أفراد المجتمع، وفقدانهم صفات التراحم والتعاون التي كانت سائدة بين آبائهم وأجدادهم[٢].

هـ. مقارنة الكثير من الأعراف والتقاليد التي يمارسها شباب وشابات اليوم مع التقاليد وعادات شباب الماضي يجدها متباينة ومختلفة في التفكير، واللباس، والطعام، ونظرتهم للأجيال السابقة، وتعاملهم مع عصرهم. فالأوائل كانوا سائرين على خطى آبائهم في جميع أفراحهم وأتراحهم وتعايشهم مع مجتمعهم المحدود جغرافياً وثقافياً وتعليمياً، أما جيل اليوم فقد خرجوا بتفكيرهم من إطار مجتمعهم، وأصبحوا يعيشون مع جميع أنحاء العالم من خلال وسائل التقنية الحديثة التي غزت عقولنا ومنازلنا ومجتمعاتنا، والمؤسف أن كثيراً من ناتج هذه الوسائل قاد أجيالنا المعاصرة إلى سلبيات كثيرة أثرت في قيم وأعراف وتقاليد المجتمع الأصيلة[٣].

و. ظهور المدن الكبيرة واتساعها، وشق الطرق وتعبيدها بين الأرياف والقرى والمدن، وترابط المنطقة (تهامة وسراة وبادية) جغرافياً، كل هذا أنتج تقارب الثقافات، وتبادل بعض العادات والأعراف والتقاليد وبخاصة في مجال: اللهجات، والأطعمة،

---

(١) كانت عادات وتقاليد المآتم قديماً قاسية على أهل الميت، وذلك باجتماع أهل القرية والعشيرة في منزل المتوفى لعدة أيام، وهم يأكلون ويشربون من مال الميت مدة إقامتهم للعزاء.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض أفراد في تهامة وسراة منطقة الباحة، بل عاصر حياة الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً. وأجرى دراسة مقارنه عن تاريخ التكافل والتعاون في جنوبي البلاد السعودية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) عنوان يستحق البحث والدراسة. وهناك آلاف الوثائق المحلية التي بين أيدي بعض الأسر السروية والتهامية، وجميعها تصب في خدمة هذا الموضوع.

(٣) يصعب علينا حصر هذه التأثيرات في هذه السطور المحدودة، لكن البعض من هذه التأثيرات يمس عادات الطعام والشراب، واللباس، وتعلم القيم والمبادئ السامية مثل: بر الوالدين، واحترام الكبير، والصدق، والأمانة، والمروءة، والشيم وغيرها. وإجراء دراسة تقارن بين أعراف وتقاليد وقيم الشباب اليوم وفي الماضي موضوع جدير بالبحث. نأمل أن نرى أحد الباحثين يتولاه بالدراسة العلمية الأكاديمية الجادة.

والأشربة، والألبسة والزينة، والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، وبعض الألعاب والفنون الشعبية وغيرها[١].

ز. **حصل الباحث أثناء جولته لجمع مادة هذا القسم على بعض الوثائق الاجتماعية المحلية التي تعود إلى العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وبعد قراءتها اتضح له عدة أمور نذكر أهمها في النقاط التالية :**

١. جميع هذه الوثائق تتعلق بقرى وعشائر غامدية وزهرانية وعُمرية، وهي تناقش بعض أعراف المجتمع مثل : تحديد مهور الزواج، ومقدار الكسوة التي يقدمها العريس لعروسه قبل الدخول بها، ومقدار الوليمة التي تقدم في الزواج، وعدد الرجال الذاهبين مع العريس يوم زواجه . وجميع البنود الواردة في هذه الوثائق تصب في الحد من المبالغة في التكاليف وتسهل أمورالزواج بين أفراد القبيلة التي تخصها مثل هذه الوثائق.

٢. ورود بنود أخرى في بعض الوثائق وهي تقدر نسبة النكال أو التعزير (العقوبة) لمن يتجاوز في أرض جاره أو يعتدي على أحد من أفراد القبيلة، أو يقوم بأي تصرف يتعارض مع قوانين ونظم القبيلة .

٣. يتضح في عدد من الوثائق بعض النصوص التي تنظم نظام الأحلاف بين القبائل أو العشائر، وحماية الأسواق الأسبوعية، أو الطرق والأحمية التي بين القرى أو العشائر.

٤. هناك وثائق تدور في فلك التكافل والتعاون والتآزر الاجتماعي بين أفراد القرية أو العشيرة المسؤولة عن مثل هذا النوع من الوثائق . ووثائق أخرى حول السماية، وإغاثة الملهوف، واستقبال المسافرين وتوديعهم، وإكرام الضيوف، وتبادل الهدايا بين أفراد المجتمع الواحد وغيرها[٢].

٥. يجب على جامعة الباحة، والنادي الأدبي، وجمعية الثقافة والفنون، وإمارة ومحافظات المنطقة أن تجمع مثل هذه الوثائق الآنفة الذكر، وتحفظ في متحف

(١) في الماضي كانت كل قرية منعزلة على نفسها، وغالباً بعض القرى المتقاربة التي تنتمي إلى عشيرة واحدة تجدها تعيش أعراف وتقاليد وقيم واحدة، وهكذا وضع العشائر والقبائل قديماً . وفي عصرنا الحاضر اتصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، وصارت المنطقة الواحدة مع اتساع أرضها وتعدد قراها وعشائرها وبطونها تعيش في مجتمع واحد يسوده الأمن وتبادل المصالح الإدارية والحضارية، ومن ثم انصهرت العادات واللهجات والأعراف، وأصبح الذي في أقصى تهامة الباحة يعيش كما يعيش الذي في أعالي السراة أو أقصى البادية . لقد عاصر الباحث الحراك الاجتماعي الذي عاشته مناطق الجنوب (الباحة، وعسير، والقنفذة، وجازان، ونجران) منذ أربعة عقود . ولذا فإجراء دراسة أكاديمية مقارنه على أحوال الناس الاجتماعية الحضارية في الماضي والحاضر موضوع جدير بالبحث والتوثيق، ونأمل أن نرى بعض طلابنا الأكاديميين فيقوموا بدراسة هذا الموضوع .

(٢) دراسة التاريخ الاجتماعي لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جدير بالدراسة، ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

عام لخدمة المنطقة وتراثها. كما يجب على هذه المؤسسات أن تشجع دراسة هذه الوثائق واستخلاص ما فيها من دروس وعبر جميلة وطباعتها ونشرها للقراء، ويجب على وزارة التربية والتعليم أن ترصد في مقرراتها التي تدرس للطلاب والطالبات بعضاً من الجوانب الإيجابية التي وردت في مثل هذه الوثائق . وإذا تم إنجاز مثل هذه الجهود قولاً وعملاً فإننا دون شك سوف نسهم في ربط أجيالنا الحاضرة ببعض القيم والأعراف القديمة الصالحة في بناء الفرد والأسرة والمجتمع[١].

رابعاً : الأوضاع الاقتصادية :

١ـ الجمع والالتقاط :

كانت حياة سكان منطقة الباحة بسيطة اقتصادياً، ومهنة الجمع والالتقاط من المهن التي مارسوها بشكل كبير، ففي الوقت الذي لم يكن فيه كهرباء كان الناس جميعاً يحرصون على جمع الحطب من الجبال والأودية حتى يستخدموه في طهي طعامهم، والتدفئة [٢]، كما كانوا ينقلون المياه على ظهورهم أو على ظهور الدواب من الآبار أو مصادر المياه القريبة من أماكن استيطانهم[٣]. ويقومون أيضاً على جمع الأعشاب والحشائش التي يقدمونها لحيواناتهم الأليفة في منازلهم[٤].

وأثناء حصد الثمار والحبوب في مناطق السراة وتهامة كان هناك بعض المتجولين من أهل المنطقة، وأحياناً من المناطق المجاورة الذين يتصلون بأصحاب الزروع وقت الحصاد ويطلبون منهم الصدقة. غالبا. يحصلون على مطلبهم، وهكذا يتنقلون بين أصحاب المزارع للغرض نفسه[٥]. وعندما يتجمع عندهم مقادير من الحبوب أو الثمار ينقلونها إلى أماكن إقامتهم[٦].

---

(١) الذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة، والفاحص لموروثها الأدبي والثقافي والاجتماعي فإنه سوف يجد مخزوناً قيماً وجيداً في بناء المجتمعات على مبادئ العزة والقوة والشهامة والإنسانية. ولا ننكر أنه كان عند الأوائل بعض السلبيات، لكن عندهم من الإيجابيات ما يستحق التأمل فيه والاستفادة منه في حاضرنا ومستقبلنا .

(٢) عند استخدام الكهرباء بدأت مهنة جمع الحطب تتلاشى، ولم يبق إلا أفراد قليلون يقومون بجمع الحطب من بعض الجبال والأودية وحمله في سياراتهم من أجل بيعه في الأسواق . وغالباً ، يستخدم لطهي بعض الأطعمة والأشربة أثناء الخروج للترويح والنزهة في الجبال، ويستخدم أيضاً في حرق البخور أو العودة التي تقدم للضيوف وأحياناً في المساجد يوم الجمعة وخلال شهر رمضان .

(٣) هذا ما سمعه الباحث وعاصره في منطقة عسير خلال العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في سروات الباحة، وشاهده في بلاد بني شهر وبني عمرو من منطقة عسير خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٦) كان أصحاب المزارع يطلبون أحياناً من أولئك المتجولين أن يعملوا معهم أثناء حصد المحاصيل والثمار، لعدة أيام وربما أسابيع أو شهور حتى الانتهاء من حصد ودرس ثمار مزارعهم . مشاهدات الباحث في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) .

وهناك العديد من الأشجار والنباتات المثمرة في الأودية والجبال، مثل : التين الشوكي (البرشومي) ، والعنب، والرمان، والتين، واللوز، وفواكه وثمار أخرى، وهي أملاك خاصة لبعض الأسر في المنطقة، وعند التقاطها يستعان ببعض أفراد القرية أو عابري السبيل، وعند الانتهاء من قطعها وجمعها تعطى تلك الأيدي العاملة نصيباً من محاصيل هذه الثمار[١] . ويوجد في الجبال والأودية العامة بعض الأشجار المثمرة، مثل: النبق من أشجار السدر، والهدب من أشجار العرعر، وربما التفاح البلدي والتين الجبلي، وأحياناً الصمغ[٢] ، وكل هذا يتم جمعه من قبل بعض أفراد القرية أو العشيرة القريبة من منابت هذا الشجر[٣] ، وكان يجتاح المنطقة أحياناً موجة الجراد الذي يهبط على الزروع وفي الأودية والجبال، ومن ثم تكون فرصة للسكان لصيده وجمعه وأكله[٤] .

<u>وفي العقود المتأخرة تلاشت واختفت مهنة الجمع والالتقاط، وذلك لعدة أسباب نذكر أهمها :</u>

أ. عدم الحاجة إلى هذه المهنة لوفرة المال والخير في أيدي الناس، وكانت الحاجة هي التي تدفع الأوائل إلى ممارسة هذه الحرف بشكل كبير وبخاصة في جمع الماء والحطب من مصادرها الرئيسية .

ب. انتشار التعليم، وامتداد التنمية والتمدن جعل تراث وتاريخ هذه المهنة غير معروفة، والزائر لبعض المتاحف المحلية في منطقة الباحة، أو الحديث مع أهل المنطقة لا يجد ذكراً ولا أثراً كبيراً لها، ويجب على مؤسسات التعليم والثقافة في المملكة وفي المنطقة أن تُطلع الأجيال الحاضرة على كيفية ممارسة هذه المهن، وفوائدها، وأسباب انقراضها، والعبر والدروس المستفادة منها[٥] .

٢. الصيد :

إن الطبيعة الجغرافية لمنطقة الباحة تؤكد الغنى الكبير في ثرواتها الحيوانية، فهناك العديد من أنواع السباع، والحيوانات والطيور. وهناك صيادون يمارسون مهنة الصيد في جميع أرجاء المنطقة، وكانوا على النحو التالي:

---

(١) مشاهدات الباحث في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م)، وسماع مثل هذه الروايات من بعض أفراد غامد وزهران أثناء رحلتنا .

(٢) يوجد الصمغ بكمية جيدة في أشجار سروات وأصدار منطقة الباحة .

(٣) مشاهدات الباحث في تسعينات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) كانت موجات الجراد تجتاح منطقة تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويحصل بسببه الأذى الكبير على محاصيل ومنتوجات أهل البلاد .

(٥) مثل هذه المهن وغيرها من المهن التي انقرضت تستحق الذكر والتدوين بل إن نقل موروث الأجيال القديمة إلى الأجيال الحديثة أمانة في أعناقنا، ويجب أن تؤدى هذه الأمانة بأساليب قولية وعملية فعالة .

١. **صيادو الطيور مثل:** الحمام، والحجل، والعصافير وغيرها من أجل اقتنائها. وصيادو الطيور مثل: الغربان، والحدأة، وأحياناً النسور للتخلص منها لما يصدر منها من أذى على المزارع وبعض الطيور والحيوانات الأليفة[١].

٢. **صيادو السباع والحيوانات البرية مثل:** الأسود، والنمور، والضباع، والذئاب، والنيص، والثعالب وجميعها مفترسة لبعض الحيوانات والطيور الأليفة، ومن ثم لا يتورع الإنسان عن صيدها والقضاء عليها، وهناك صيادون للغزلان، والوبران وغيرها بهدف أكلها[٢].

٣. **كان هناك بعض الصيادين للزواحف :** مثل العقارب، والثعابين، والحيات وغيرها . وهذه الزواحف كانت تتواجد بكثرة في جميع أرجاء المنطقة، ويصدر منها بعض الأذى على السكان، لهذا لا يتورعون عن القضاء عليها عند وجودها[٣].

وللصيادين العديد من الأساليب والحيل، أثناء ممارسة الصيد، ومن تلك الحيل ما يلي:

١. **استخدام الأسلحة النارية مثل:** بنادق الرصاص والبارود، وبهذه الوسيلة تصطاد السباع والحيوانات والطيور والزواحف[٤].

٢. **تستخدم بعض الطرق البدائية مثل :** حفر الحفر في طريق بعض السباع، مع تغطيتها ببعض القش حتى لا ينتبه لها الحيوان الذي يُراد اصطياده[٥].

٣. **هناك العديد من الأدوات مثل:** الحبال، والمسامير وأحياناً البلاستيك، والأغطية مثل: الحنابل والسجاد وفرش السعف التي تستخدم في بعض الخدع لاصطياد بعض الطيور في أوكارها، أو بعض الحيوانات والسباع في مغاراتها[٦].

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة الباحة في(١، ٥ /١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تاريخ الصيد في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع يستحق أن يجرى عنه العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الصيد مهنة قديمة عرفها العربي، وهناك العديد من الدراسات الأكاديمية الجيدة التي درست تاريخ الصيد عند العرب قبل الإسلام وبعده، وذكر بهذه البحوث العديد من الأساليب والطرق التي لجأ لها الصياد أثناء ممارسة الصيد، ومنطقة تهامة والسراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن كانت بيئة مناسبة للصيد. وهذه البلاد جديرة بدراسة تاريخ الصيد فيها خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة، ومن يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الدكتوراه، أو كتاب أكاديمي فإنه سوف يخرج لنا بفوائد علمية جيد .

وقد سألنا بعض الغامديين والزهرانيين عن ممارسة الصيد في عصرنا الحاضر، فذكروا لنا ندرة ممارسته، وذلك للأسباب التالية :

١. عدم الحاجة إلى صيد الحيوانات والطيور الصالحة للأكل، وذلك لوفرة الأطعمة والأشربة المتنوعة، ومن ثم فلا حاجة إلى مثل هذه المهنة . ولازال هناك قلة من الصيادين يمارسون الصيد في جبال المنطقة وأوديتها من أجل النزهة والاستمتاع فقط .

٢. بعد شق الطرق، وقيام المدن، وازدياد السيارات والكهرباء والآلات الأخرى هاجرت السباع المتوحشة أو انقرضت، والوضع نفسه امتد إلى الطيور والزواحف الضارة، ومن ثم فلا حاجة للصياد أن يمارس هذه المهنة[١] .

٣. الزراعة :

تنتشر الأراضي الزراعية في أنحاء منطقة الباحة، فكل أسرة لها مزارع خاصة بها يتوارثونها فيما بينهم، والمتجول في المنطقة يلحظ البلاد الزراعية محفوظة بالمدرجات الزراعية في الأجزاء السروية، وأحياناً بالعقوم الترابية أو المدرجات في النواحي التهامية[٢]، **وقد اطلعنا على بعض الوثائق التاريخية في بلاد زهران وغامد، واستخلصنا منها الجوانب التالية :**

١. جميع تلك الوثائق يعود تاريخها إلى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ومكتوبة بخط اليد، وعليها أسماء من تخصهم وشهود بعض الحاضرين على تدوينها[٣] .

٢. وجدنا كل قطعة زراعية لها اسم، وحدود، وأحياناً يشترك فيها أكثر من وارث، ومنها ما هو مسقوي تسقى من الآبار أو العيون، ومنها الذي يروى بمياه الأمطار[٤] .

٣. هناك أراض موقوفة من أصحابها وأسرهم على أهل بيوتهم وذراريهم، فلا تُباع أو تُهدى، وإنما تبقى وقفاً يأكل منها الداخلون والباقون ضمن إطار مالكها وذريته، ولا تذهب إلى غيرهم[٥] .

---

(١) تستخدم أحياناً الأسلحة النارية في قتل هذه الحيوانات أو الطيور وبخاصة إذا ظهرت قريباً من مواطن الاستيطان في المنطقة . مشاهدات الباحث، وما سمعه من بعض سكان المنطقة في (٦/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) تاريخ المدرجات الزراعية في بلاد تهامة والسراة جدير بالبحث والدراسة .

(٣) تقدر الوثائق التي اطلعنا عليها بالمئات، ويوجد منها صور في مكتبة الباحث (مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية) .

(٤) جميع الأراضي في منطقة الباحة تسقى من الآبار أو الأمطار ويطلق على النوع الأول(مسقوي)، والثاني (عثري) .

(٥) نلحظ بعض مزارع الوقف التي هلك ورثتها تنتقل إلى ملكية الدولة، وأصبح هناك مؤسسة إدارية حكومية تشرف على هذه العقارات، وهي (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف) .

كان جميع سكان السراة وتهامة يمارسون الزراعة[١]، فهي المهنة الرئيسية التي يقتاتون منها، ولديهم وسائل وطرق عديدة لخدمة أراضيهم، وزراعتها وريها وحصدها. وهناك الكثير من الأدوات المستخدمة في ممارسة هذه المهنة[٢].

والمحاصيل الزراعية في الباحة: البر (القمح)، والذرة، والشعير، والدجر، والبلسن، وجميع هذه الحبوب تزرع في السراة. أما تهامة فالذرة والدخن من أكثر محاصيلها. ومن الفواكه التي اشتهرت بها المنطقة الرمان والعنب واللوز، وهناك فواكه أخرى تزرع في الأجزاء التهامية والسروية مثل: التين والتفاح، والخوخ، والموز، والمشمش، والبرشومي. ويُزرع فيها بعض الخضروات كالكوسة، والطماطم، والبطاطس، والخس، والجرجير، والبصل وغيرها[٣].

وسكان المنطقة متعاونون في ممارسة أعمالهم الزراعية من تسوية الأرض واستصلاحها إلى زراعتها وسقياها وحصادها. وهناك موروث اقتصادي واجتماعي وثقافي ولغوي واسع عند أصحاب الأرض، وما يقومون به من أعمال ووسائل أثناء القيام على مزارعهم وخدمتها[٤].

وإذا قارنا الزراعة قديماً بما نشاهده عن زراعة اليوم، فإننا نجد الفرق شاسعاً، وسوف نذكر في السطور التالية أهم تلك المفارقات وهي على النحو التالي:

١. أدوات الزراعة قديماً يدوية وتقليدية، واليوم تستخدم الآلات والكهرباء في ممارسة هذه المهنة، مع أن الزراعة في السابق كانت هي العمود الفقري الذي يقوم عليه اقتصاد البلاد فيكفي الناتج الزراعي لسد حاجة السكان المحليين، ويصدر الكثير من محاصيل منطقة الباحة وما جاورها إلى أسواق الحجاز ونجد وغيرها[٥].

---

(١) أهل البوادي لا يمتهنون الزراعة وإنما الرعي والجمع والالتقاط مهنهم الرئيسية.

(٢) الزائر لبعض المتاحف المحلية في الباحة وبلجرشي يشاهد الكثير من تلك الأدوات المصنوعة من الخشب أو الحديد وأحياناً من الجلود، كما أن سكان المنطقة يمتلكون آلاف الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في منطقة الباحة. ودراسة موضوع الزراعة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع يستحق إلى أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير، أو دكتوراه.

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض المسنين في منطقة الباحة. وهذه المزروعات نفسها عرفتها منطقة عسير. للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص ١٤٢ وما بعدها، ويوجد في أودية وجبال منطقة الباحة الكثير من الأشجار والشجيرات والحشائش التي تعيش على مياه الأمطار، وليس للإنسان تدخل في زراعتها واستصلاحها، ومن تلك النباتات: العرعر، العتم، الشث، الأثب، التألب، النشم، العرفج، الطباق، السدر، السمر، الطلح، وشجيرات وحشائش متعددة الأشكال والأغراض.

(٤) هناك تفصيلات حضارية وثقافية عن مواسم الزراعة في منطقة الباحة، وعن طريق الحراثة والزراعة والري، وأساليب أخرى عديدة في النشاط والتبادل الزراعي، والأدوات الزراعية المستخدمة في هذه المهنة منذ استصلاح الأرض حتى جني المحاصيل ودرسها وتخزينها. وتاريخ الزراعة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية.

(٥) كانت منطقة الباحة وعموم بلاد السراة تصدر حبوبها بكميات كبيرة إلى أسواق الحجاز. وهناك الكثير من المصادر التاريخية المبكرة والوثائق الحديثة أشارت إلى التجارات المتبادلة بين الطائف ومكة وبين أرض السراة. وتاريخ الصلات الاقتصادية بين هاتين الناحيتين في العصر الإسلامي المبكر والحديث موضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية.

٢. قام السكان الأصليون قديماً (نساءً ورجالاً) على خدمة أراضيهم واستصلاحها، بل كانت مهنتهم الرئيسية في الحصول على أقواتهم، واليوم تدهورت الزراعة في منطقة الباحة، فتركت الأراضي الزراعية، وحول بعضها إلى مدن وقرى وأحياء سكنية[١]. وإن بقي نسبة قليلة جداً من السكان تمارس الزراعة في بعض الأودية أو النواحي فإنهم يجلبون لها مزارعين من خارج المملكة[٢].

٣. لم يجد المزارعون قديماً أي مساعدة أو دعم حكومي، وذلك لضعف الظروف الاقتصادية، ومع ذلك فالزراعة كانت نشطة وعامرة في كل مكان. ومنذ أربعة عقود مضت لم تألُ الدولة جهداً في تقديم القروض للمزارعين، وتزويدهم بالآلات اللازمة مثل: الحراثات، ومواتير رفع المياه من الآبار، والحصادات وغيرها، ومع هذا كله نجد الزراعة تدهورت بل انعدمت في معظم أنحاء المنطقة [٣].

٤. الفجوة الكبيرة التي يعيشها جيل اليوم، وعدم معرفته للتاريخ والتراث الزراعي الذي عاشه الآباء والجدد يعد سلبية ثقافية وحضارية تفصل بين أجيال اليوم والأجيال السابقة، ومن ثم فإن على وزارة الزراعة والمؤسسات التعليمية العامة والعالية، والإمارات والمحافظات عليها مسؤولية كبيرة في معالجة هذه الهوة وذلك باستصلاح الأراضي الزراعية، وربط جيل اليوم بهذه المهنة الهامة والرئيسية في بناء حياة المجتمعات اقتصادياً وحضارياً[٤].

٤. الحرف والصناعات :

مارس سكان منطقة الباحة العديد من الصناعات والحرف اليدوية مثل: دباغة الجلود وخرازتها، والنجارة وصناعة الخشب، والتعدين والحدادة والصياغة، وصناعة الفخار والأحجار، وصناعة الملح، وصناعة الخصف والنسيج، والصباغة والخياطة، كما

(١) يلحظ المتجول في عموم منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة) كثيراً من الأراضي الزراعية تحولت إلى أراض سكنية. ويلاحظ أيضاً أن الأراضي الزراعية التي لازالت على وضعها الطبيعي أصابها الخراب والدمار، وذلك لانصراف عموم السكان إلى الوظائف الحكومية وممارسة أعمال صناعية وتجارية أخرى. مشاهدات الباحث في الفترة الممتدة من (٢٩/١١/. ٢٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) معظم المزارعين المجلوبين من مصر والسودان واليمن. وهذه ظاهرة سائدة في عموم المنطقة الجنوبية. مشاهدات الباحث خلال السنوات الماضية المتأخرة.

(٣) تاريخ الزراعة في العصر الحديث وما قدمت الدولة من إعانات عينية ومادية موضوع جدير بالدراسة، نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيخرج لنا دراسة أكاديمية في هذا الجانب.

(٤) العمل على إنجاز دراسة مقارنة بين وضع الزراعة في القديم والحديث موضوع يستحق إلى أن يجرى عليه بعض الدراسة الأكاديمية. كما أن إجراء دراسات ومقارنات تحليلية بين أوضاع الزراعة في الباحة وعسير ونجران وجازان تستحق الاهتمام من الجامعات المحلية في هذا الجنوب السعودي. وكذلك فتح كليات للزراعة في هذه الجامعات الجنوبية جدير بالاهتمام.

مارسـوا حرف الحلاقـة، والحجامة، وجمع الثمار والحبوب والحطـب، ونقل الأمتعة على ظهور الدواب وغيرها[١].

والغالب على ممارسـة الصـناعات القديمة في بلاد غامـد وزهران أمور عديدة نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. جميع الصـناعات والحرف السـابقة الذكر وغيرها من ضروريات الحياة عند جميع طبقات المجتمع، وذلك لاحتياجهم إلى جميع المصـنوعات التي تساعدهم على العيش وممارسة نظام حياتهم الاجتماعي والاقتصادي[٢].

٢. العاملون في الحرف والصناعات قديماً من سكان المنطقة، وبعض المهن يشترك فيها الأب والأم وأفراد الأسرة، وهنـاك صناعات يقوم بها أناس متخصصون في ممارستها مثل : النجارة، والحدادة، والخياطة، والصناعة، والبناء وغيرها[٣].

٣. جميـع المواد الأولية لممارسـة معظم الحرف والصـناعات في منطقـة الباحة محلية، وغالباً يتم جلبها من أنحاء المنطقة، كما أن مناخ البلاد يسـاعد أيضـاً في ممارسـة بعض الحرف والصـناعات فمثلاً : الدباغة والخرازة نجد موادها الرئيسـية مجلوبة من البيئة المحلية، ثم إن الطقس في الأجزاء السروية وأحياناً البدوية أفضل في معالجة الأديم وصناعته من المناطق التهامية[٤].

٤. بعض الصـناعات تحتاج إلى اسـتيراد بعض المواد الرئيسـية لممارستها مثل: النسيج والخياطة، فالأقمشـة تستورد من أسـواق الحجاز والقنفذة واليمن[٥]. وكذلك بعض الصناعات المعدنية وغيرها[٦].

---

(١) تاريخ الحرف والصـناعات في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بالبحث والدراسة . حبذا أن يُتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بالجامعات السعودية.

(٢) فالصـناعات الخشبية مثلاً ضرورية في أدوات الطعام والشـراب، وفي الأعمال الزراعية والتجارية وغيرها. وقس على ذلك جميع الأدوات الصناعية والحرفية الأخرى الهامة والضرورية في استقامة حياة الناس ومعيشتهم .

(٣) عندمـا كنـت متجولاً في منطقة الباحة ذكر لنا العديد من أسـماء الأسـر والأفراد الذين كانوا مشـهورين في عمل بعض الحرف والصـناعات بل التقيت بأبناء وأحفاد بعض تلك الأسـر وأطلعوني على بعض الوثائق التي تدور في فلك ممارسة أجدادهم أو آبائهم لبعض الصناعات اليدوية التقليدية .

(٤) صـناعة الأديم، والحديد، والنجارة من أهم الحرف التي مارسـها سكان غامد وزهران . وهذه الصناعات الثلاثة تسـتحق أن يفرد لها دراسة مفصلة توضـح أهميتها في حياة الناس . وهنـاك صناعات أخرى عديدة تستحق أيضاً البحث والدراسة .

(٥) حصـل الباحث على عشـرات الوثائق التي تصـور شـراء بعض المواد الأولية لعدد من الصـناعات . وكانت أسواق الحجاز والقنفذة هي المورد الرئيس لكثير من تلك السـلع، مثل: الأقمشـة، وأدوات الخياطة، وأحياناً بعض أدوات الصباغة والصياغة، وبعض الأواني المنزلية وغيرها.

(٦) المصدر نفسه .

٥. تتفاوت نوعية الحرف والصناعات من مكان لآخر، فالبوادي مثلاً لا يحتاجون كثيراً من المصنوعات لأنهم بدو رحل، وأهم حاجياتهم نسج وصناعة بيوتهم من شعر حيواناتهم، وربما حصلوا على بعض الأدوات الصناعية من الأسواق الأسبوعية فهم يقايضونها مع بعض سلعهم أو يشترونها بالنقود، أما سكان السراة وتهامة فهم مستقرون في أوطانهم ويمارسون الزراعة، والتجارة، وأعمال حضارية أخرى، ومن ثم فهم بحاجة إلى كثير من الأدوات الصناعية والحرفية. التي يستخدمونها في حياتهم اليومية[١].

٦. الممارسون لبعض الحرف والصناعات يواجهون العديد من العقبات، مثل: نقص المواد الأولية لممارسة صنعتهم، وعدم توفر المال أحياناً يكون عائقاً في تطوير الصناعة وزيادة الإنتاج، كما أن الأدوات المصنوعة قد لا تباع بالنقود لعدم وجود المال، ومن ثم يلجأ الصناع إلى بيع سلعهم بالأجل أو مقايضتها مع سلع أخرى مثل: الحبوب والمواشي ومشتقاتها[٢].

٧. بعض الدارسين أو الكتاب الغامديين والزهرانيين أشاروا في بعض دراساتهم إلى صور أو شذرات من الصناعات والحرف التي عرفتها مجتمعاتهم في العصور الماضية[٣]، وحتى هذه اللحظة لم نطلع على دراسة وافية أكاديمية تناقش هذا الموضوع، ونأمل أن نرى من أساتذة جامعة الباحة أو بعض المؤرخين أو الأكاديميين من زهران وغامد من يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الجادة والرصينة[٤].

وعند تجوالنا في المنطقة لاحظنا تلاشي معظم الصناعات والحرف اليدوية القديمة، وإذا كان هناك من يمارسها فهم قليلون. وقد شاهدت بعض أدوات الصناعات التراثية القديمة في أسواق المنطقة، وعند سؤالي عن أماكن صنعها قال لنا بعض الباعة أنها تمارس على نطاق ضيق جداً. وربما قام على ممارستها بعض العمالة الوافدة والمؤجرة من قبل بعض التجار المحليين[٥].

---

(١) الزائر لبعض المتاحف المحلية في منطقة الباحة يلحظ أدوات صناعية كثيرة، ومعظمها صناعة محلية. ودراسة الصناعات والحرف القديمة في منطقة الباحة موضوع يستحق البحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

(٢) هناك صناعات مثل: الحدادة، والصياغة وربما حرف أخرى تُحتقر اجتماعياً فالصناع الذين يمارسونها لا يزوجون أو يتزوجون إلا من فئاتهم. وعموم طبقات المجتمع ينظرون إليهم بهذه النظرة مع أنها صناعات هامة في حياة المجتمع. وهذه العادة عرفها وتوارثها العرب منذ العصر الجاهلي ولازالت سارية عند كثير من القبائل العربية وبخاصة قبائل الجزيرة العربية حتى يومنا الحاضر.

(٣) هناك عشرات الدراسات الحديثة التي خرجت في العقود الأربعة الماضية عن تاريخ وحضارة منطقة الباحة. وبعض من هذه الدراسات أشارت بشكل موجز إلى حرف وصناعات مارسها الغامديون والزهرانيون في القرون الماضية.

(٤) نأمل أن نرى مثل هذا الموضوع مدروس في رسالة دكتوراه بقسم التاريخ في جامعة الباحة أو أي قسم من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية.

(٥) شاهدنا في الأسواق الأسبوعية في منطقة الباحة بعض الهنود والباكستانيين واليمنيين والبنجاليين وغيرهم الذين كانوا يمارسون أعمال الحدادة، والصياغة، والخياطة، والدباغة وغيرها. مشاهدات الباحث في (٢-٦ /١٢/١٤٣٣هـ).

وهناك بعض الأسباب أو المعوقات أو الاختلافات المصاحبة للصناعات والحرف القديمة والحديثة، ومن أهمها ما يلي:

١. انصراف سكان المنطقة إلى مهن التعليم والوظائف الحكومية الأخرى، ثم استقدام الأيدي العاملة الخارجية، وبالتالي ممارستهم جميع الصناعات والحرف التي كن يمارسها أهل البلاد في القرون الماضية(١).

٢. النمو والتطور الذي ساد البلاد، جعل الصناعات اليدوية القديمة تتلاشى، وحل محلها الآلات والمعدات والأدوات والأجهزة التقنية، ومن ثم تطورت نوعية الصناعة، وزاد إنتاجها، وارتفعت سرعة الإنجاز، ودقة وجودة الصنع(٢).

٣. الفرق بين الأيدي العاملة القديمة والحديثة، إن جميع العاملين اليوم في الحرف والصناعات من خارج المملكة العربية السعودية، أما الأيدي العاملة القديمة فكانوا من سكان المنطقة، ونادراً تجد يد عاملة وفدت من منطقة أو إقليم آخر، كما أن المواد الأولية لأي صنعة أو حرفة مستوردة من الأسواق الكبرى في المملكة، وغالباً المصدر الرئيس لكثير من هذه المواد مستورد من خارج المملكة(٣).

٤. صناعات اليوم أجود وأجمل في الشكل، لكنها ربما تكون أخطر صحياً من الصناعات القديمة، والسبب أن المواد الصناعية السابقة يتم الحصول عليها من الطبيعة، في حين أن صناعات اليوم أصبحت ممزوجة بمواد كيماوية وبترولية سامة وخطيرة(٤).

٥. كانت الصناعات والحرف القديمة تمارس لسد حاجة أفراد الأسرة أو القرية في نطاقها الضيق، وإذا صدرت بعض المصنوعات إلى الأسواق المحلية فهي تجارات قليلة ومحدودة جداً، أما صناعات وحرف اليوم فهي أكثر انتشاراً وأكثر في العدد والحجم والنوع، وذلك عائد إلى كثافة السكان الكبيرة، وتوفر المال في أيدي الناس، وزيادة النمو والتطور الحضاري الذي تعيشه البلاد(٥).

---

(١) تجولت في أسواق ومدن وحواضر منطقة الباحة وشاهدت عشرات الجنسيات من العمالة الوافدة، وكثير منهم كانوا يعملون في عشرات الصناعات والحرف اليدوية التجارية في الأسواق والمدن الصناعية، ولا تخلو قرية أو حي أو ناحية من نواحي المنطقة إلا يوجد بها العديد من العاملين المهرة والصناع والأيدي العاملة المختلفة. مشاهدات الباحث (١-١٢/٩/١٤٣٣هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إجراء دراسة مقارنة عن الأيدي العاملة والمواد الأولية للصناعات قديماً وحديثاً موضوع يستحق الدراسة. نأمل أن نرى بعض الباحثين في جامعة الباحة فيدرسون هذا المحور دراسة علمية جادة.

(٤) نأمل أن تقوم كلية الطب، وأقسام الكيمياء وعلوم الحياة في جامعة الباحة بإجراء بعض الدراسات العلمية الأكاديمية على بعض الصناعات القديمة والحديثة في منطقة الباحة، وإبراز المنافع والأضرار لكل صنعة.

(٥) دراسة الصناعات التقليدية في منطقة الباحة ومقارنتها مع النمو والتطور الحرفي والصناعي الذي تعيشه المنطقة اليوم موضوع يستحق البحث والدراسة، نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من بلاد الباحة فيتولاه بالبحث والتقصي والدراسة.

٦. عادات وثقافات ومشاكل الصناع والحرفيين قديماً وحديثاً تتنوع في بيئاتها، والظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية التي عاصرتها، وقد سمعت العديد من الروايات في هذا الجانب أثناء تجوالي في منطقة الباحة خلال الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (١).

٥. التجارة :

أ. مدخل :

هناك العديد من المقومات التجارية والاقتصادية في منطقة الباحة مثل:

١. المنطقة بين مناطق جازان ونجران وعسير، من الجنوب والجنوب الشرقي، ومنطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب، وأجزاء من المنطقة الوسطى من الناحية الشرقية، وهذا الموقع جعلها على صلات تجارية واقتصادية بهذه المناطق الجغرافية والإدارية.

٢. كانت منطقة الباحة غنية، بخيراتها وثرواتها الزراعية والحيوانية، والناظر في بعض كتب التراث، والوثائق الحديثة والمعاصرة، وأقوال بعض الرواة يجد أن هذه البلاد الزهرانية والغامدية مليئة بجميع أنواع المحاصيل الزراعية، ناهيك عن الثروة الحيوانية التي كانت تصدر إلى أسواق الحجاز وبعض الأسواق الأسبوعية داخل منطقة الباحة وخارجها(٢).

ب. الطرق والأسواق :

كانت الطرق في الماضي وعرة وغير معبدة، ولا تخلو أي قرية أو ناحية في منطقة الباحة من طرق ضيقة تصل بعضها ببعض، وتعد الجمال والحمير وسائل النقل الرئيسية عند عامة الناس، ومنذ النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) اتصلت مناطق الحجاز وعسير وجازان ونجران عبر منطقة الباحة بطريق رئيس معبد تسلكه السيارات، وكان حتى أوائل هذا القرن طريق ضيق وخطير في معظم أجزائه(٣)، كما أن نواحي منطقة

---

(١) لقد سمعت روايات حول مشاكل وثقافات الصناع قديماً وحديثاً . بل عثرت على العديد من الوثائق التي تعكس بعض الأعراف أو التقاليد المصاحبة لبعض الحرف والصناعات الحديثة . وموضوع الثقافات والأعراف والتقاليد عند الحرفيين والصناع قديماً وحديثاً موضوع جديد وجدير أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٢) دراسة التاريخ التجاري لمنطقة الباحة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة . موضوع جدير بالاهتمام والدراسة، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٣) منذ حوالي عشر سنوات بدأت التوسعات في هذا الطريق وفي هذا العام الهجري وربما العام القادم (٣٤-١٤٣٥هـ/٢٠١٣-٢٠١٤م) سوف يسير في اتجاهين، وقد تم التغلب على كثير من تعرجاته ووعورته . مشاهدات الباحث خلال هذا العام (٣٣-١٤٣٤هـ/٢٠١٢-٢٠١٣م) .

الباحة البدوية والتهامية كانت متصلة مع الأجزاء السروية بطرق وعقبات ضيقة ووعرة في مسالكها وحزونها[(١)].

وعند زيارة المنطقة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، والتجوال في معظم أجزائها اتضحت لنا مظاهر عديدة في باب الطرق ووسائل النقل نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. جميع المدن والقرى والبوادي والأرياف متصلة بعشرات الطرق المسفلتة والمتفاوتة في الطول والعرض، وإذا نظرنا إلى مدن الباحة والمندق وبلجرشي والمخواة، نجد أنها تتميز على غيرها في جودة وسعة طرقها، وربما مدينة الباحة بأحيائها ومخططاتها تعد الأفضل بين المدن الآنفة الذكر، ولازالت تحتاج إلى المزيد من الطرق الفسيحة والخدمات الهامة والضرورية لأنها الحاضرة الرئيسية للمنطقة[(٢)].

٢. الطريق الرئيس المزدوج في منطقة الباحة، هو طريق الطائف أبها الذي يعبر مدنٍ منطقة الباحة الرئيسية، بدءاً من جبل شمرخ ومحافظة القرى في بلدة الأطاولة شمالاً إلى مركزي بالشهم وشرى، في أقصى جنوب المنطقة، كما يوجد بعض الطرق القليلة والمزدوجة داخل مدينتي الباحة وبلجرشي، مع أن بعض تلك الطرق يعتريها العديد من العقبات مثل: ضيق المساحة، أو عدم نفاذ بعضها، فقد تكون واسعة مفتوحة من ناحية، وضيقة مقفولة من ناحية أخرى[(٣)].

٣. جميع الطرق المنتشرة في المدن والقرى والأرياف (بادية، وسراة، وتهامة) مكونة من اتجاه واحد، ولم أشاهد أي طريق آخر مزدوج غير ما ذكر في النقطة السابقة، ويلحظ المشاهد أن جميع المحافظات والمراكز والقرى والنوحي في عموم البلاد مترابطة بشبكة طرق معبدة، لكنها لازالت تحتاج إلى المزيد من حيث العدد والتطوير[(٤)].

---

(١) تاريخ التجارة لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع هام ويستحق أن يكونٍ عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل من أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية .

(٢) عندما نقارن مدينة الباحة أو المدينة الثانية في المنطقة (بلجرشي) مع مدن أخرى في عسير أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة وغيرها فطرق منطقة الباحة تأتي في مستوى أقل من غيرها من مناطق المملكة الرئيسية . ونأمل أن نرى بلاد الباحة في مستوى أجمل وأفضل مما هي عليه الآن. مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) هذه العقبات تتواجد بنسبة أكبر في مدينة بلجرشي . وهناك مسؤولية كبيرة على الأمانة العامة للبلديات في المنطقة، ويجب عليها السعي إلى حل هذه المشاكل التي تسبب الازدحام وإعاقة السير. مشاهدات الباحث من (٢-٤/١٢/١٤٣٣هـ) . .

(٤) في السنوات العشر الماضية قمت بالعديد من الرحلات في أنحاء المملكة العربية السعودية وبخاصة جنوبها ومنطقة الباحة لازالت تحتاج إلى مشاريع أكبر وأشمل في ميدان العمارة العامة مثل: الأبنية الحكومية، وشق الطرق وتوسيعها، وتوسيع المطار، وتوفير خدمات أكثر وأوسع في مجال النقل والمواصلات . مشاهدات الباحث في أوائل شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٤. في السابق هناك عقبات (طرق) صعبة وضيقة تربط بلاد تهامة بالسراة، واليوم تحولت بعض هذه العقبات إلى طرق مسفلتة تسلكها معظم السيارات[١]. ومن هذه (العقبات) ما يلي :

أ- عقبة الباحة (طريق الملك فهد) وهي أكبرها وأسهلها، وتربط مدينة الباحة مع مدينة المخواة في تهامة، بل إنها تتصل بالطرق الرئيسية التي تربط بين مكة المكرمة وعسير وجازان عبر تهامة والسراة [٢]. ويبلغ طولها من الباحة إلى المخواة حوالي (٢٥-٣٠كم)، وتتكون من بعض الجسور وحوالي (٢٥) نفقاً. وتعد من أطول وأفضل الطرق التي تربط بين تهامة والسراة وبخاصة في منطقة الباحة وما جاورها من البلدان[٣].

ب- عقبة الأبناء التي تخرج من قرية الأبناء جنوب محافظة بلجرشي إلى وادي الخيطان ثم بلدة نمرة في العرضية الشمالية التابعة لمحافظة القنفذة[٤]، وهذه الطريق معبدة وتجتازها معظم السيارات الصغيرة[٥].

ج- عقبة حزنة (طريق الملك عبد الله)، وهي معبدة تخرج من قرية حزنة في حاضرة بلجرشي وتعبر وادي ظبيان حتى مدينة المخواة .

د- طريق الملك خالد، واسمها سابقاً عقبة مساعد نسبة إلى مساعد بن رقوش، أحد شيوخ مشايخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتنطلق من ديار قبائل بيضان الزهرانية في السراة إلى أعالي وادي دوقة ومنه إلى محافظة قلوة في تهامة زهران، ولازال العمل جارياً على تعبيدها حتى تدوين هذه السطور[٦].

هـ- عقبة ذي منعاء وتنزل من بلدة برحرح في السروات الزهرانية وتصل إلى جرداء

---

(١) لقد سلكنا بعضها مع بعض الرفاق الغامديين والزهرانيين، أثناء زيارتنا لمنطقة الباحة في الفترة (٢٩-١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) هناك طريقان تربطان بين الحجاز وعسير عبر بلاد الباحة . الأولى : الطريق الجبلي الذي يخرج من الطائف إلى الباحة ثم أبها . والثاني : الطريق التهامي الذي ينطلق من مكة إلى المظيلف ثم المخواة فتهامة عسير. مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) سلك الباحث بعض العقبات التي تربط بين تهامة والسراة في كل من عسير والباحة وجازان ونجران . وكانت عقبة الباحة من أكبر وأسهل تلك الطرق . مشاهدات الباحث (١٤٣٠- ١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١٢م) .

(٤) للمزيد من التفصيلات عن محافظة القنفذة، والعرضية الشمالية وبلدة نمرة، انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/ق١٦-٢١م) دراسة تاريخية حضارية (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) . ص ٣٠١-٣٥٦. للمؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ج٢، ص ٣٣١ - ٤٣٢ .

(٥) حبذا أن تُجرى دراسات أكاديمية على هذه العقبة وغيرها من الدروب والمسالك التي تربط سروات الباحة بالأجزاء التهامية .

(٦) مشاهدات الباحث في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

بني علي في تهامة[١]. وهناك عقبة حميدة بني عمر وتنطلق من شفاء محافظة بلجرشي حتى تصل إلى المخواة، وهي طريق عادية تستخدم للرجل فقط[٢].

وفي منطقة الباحة السروية بعض العقبات والطرق الوعرة نوعاً ما مثل: عقبة ذلالة التي تنحرف من رأس جبل شمرخ نحو الشمال الغربي وتستمر تسير في العديد من المرتفعات والأودية والهضاب حتى تصل جبال وقرى قبائل دوس الزهرانية السروية، وهذه الطريق معبدة وعرضها تقريباً يتراوح من (٥-٨م)[٣]، وطرق أخرى تهامية شبيهة بعقبة ذلالة مثل: عقبتي عرشة والمسودة وكلاهما تبدأ من وادي بطاط في تهامة الباحة وتنتهي الأولى في رأس جبل عرشة، والثانية في فرعة المسودة[٤].

والأسواق الأسبوعية قديماً موجودة في كل ناحية من أجزاء المنطقة الباحة تهامة وسراة، وقد شاهدنا أماكن تلك الأسواق، فوجدنا أغلبها قد اندثر، ولازال هناك بعض الأسواق الأسبوعية التي تقام حتى اليوم، لكن نشاطها لم يعد كما كان في السابق[٥]. ومن الأسواق التي شاهدناها أو سمعنا عنها ما يلي:

١. سوق السبت في مدينة بلجرشي، وسبت الغشامرة ببلدة الغشامرة في سراة غامد، وسبت النقعة ببني حسن الزهرانية، وسبت قرية الرومي غرب قرية بني سار الزهرانية، وسوق المندق ببلدة المندق الزهرانية، وسبت ناوان في تهامة

٢. أسواق الأحد في بلدة رغدان، وبني كبير في قرية والبة الغامدية، وأحد الحجرة في تهامة[٦].

---

(١) هذه العقبة لم نسلكها لكنها لازالت من الطرق الوعرة والصعبة التي تربط بين تهامة والسراة. مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/١٢/٥هـ).

(٢) المتجول في المنطقة الممتدة من بلاد نجران وقحطان جنوباً إلى الطائف شمالاً يجد آثار مئات الطرق العادية التي كان يسلكها الناس قديماً عندما يذهبون من بلاد السراة إلى تهامة أو العكس. وجميع هذه الطرق أصبحت مهجورة ولا تستخدم لأنه حل محلها طرق معبدة تسلكها السيارات. وإجراء دراسة مقارنة على الطرق القديمة والحديثة التي تربط تهامة بالسراة موضوع يستحق البحث والدراسة، مع التركيز على طريقة بنائها قديماً وحديثاً، والسلبيات والإيجابيات لكل نوع من هذه الدروب.

(٣) الباحث سلكها مع بعض الأخوة الزهرانيين في (١٤٣٣/١٢/٦هـ).

(٤) الباحث لم يشاهد هاتين العقبتين ولم يسلكهما، ولكن سمع عنهما من بعض رفاقه الغامديين الذين رافقوه إلى تهامة غامد في (١٤٣٣/١٢/٤هـ).

(٥) الباحث شاهد أماكن بعض هذه الأسواق وأصبحت خربة ومندثرة. والمعروف أن الأسواق الأسبوعية قديماً كانت تمثل جامعة اقتصادية واجتماعية وثقافية تعكس حياة الناس العامة. والواجب على المؤسسات المعنية بهذه الأسواق أن تحافظ عليها فتقوم بصيانتها وجعلها من الأماكن السياحية الهامة والجديرة بالزيارة.

(٦) شاهد الباحث مواقع بعض هذه الأسواق، وهي مدمرة مندثرة، بل تشغل أحياناً أماكن رئيسية ومتوسطة في بعض القرى المختلطة بالعمارة القديمة والحديثة.

٣. أسـواق اثنين القرن في بلدة بني سـالم بسـراة غامد، واثنين بني علي في وادي تروق دوس بن علي بزهران، واثنين بني عيسى بقرية بني عيسى في تهامة .

٤. ومن أسـواق الثلاثـاء : قلـوة، والظفير، والحميد، وبنـي عدوان في قرية الضـحوات بزهران، وأيل نعمة في قرية نعمة بزهران[١] .

٥. وأسـواق الأربعاء مثل : سـوق قرية الأطاولة الزهرانية، وقد عرف أيضاً بربوع قريش، وسوق قرية الصفح في محافظة المندق، وفي بلدة بلخزمر الزهرانية السروية تحديداً .

٦. وأسـواق الخميسـ، مثـل خميسـ الباحة، ويقـام في وسـط مدينة الباحـة، وخميس المخواة[٢] ، وخميس برحرح الزهراني، وسـوق الشـعراء في تهامة، وسوق الخميس في بيدة بمحافظة القرى الزهرانية، وقد اندثر وتم إنشـاء سـوق أسبوعي جديد في وادي بيـدة ببادـيـة آل زياد ويقام يوم الجمعة[٣] . وهنـاك سـوق الخميس في قرية معشـوقة الزهرانية السروية، ويقع في أسفل وادي بيدة من بلاد زهران[٤] .

هذه بعض الأسواق التي شاهدناها أو سمعنا عنها، وهناك بعض الآراء أو الانطباعـات التـي خرجنـا بها أثنـاء السيرفي المنطقـة والاطلاع على أسواقها الأسبوعية، ومنها ما يلي:

١. عدم الاهتمام بهذه الأسـواق سواءً من أهلها، أو من المؤسسات الحكومية المعنية مثـل: البلديـات، أو الإدارات التعليمية والأكاديمية، أو من الهيئة العليا للسـياحة التي يجب عليها مضاعفة الجهود لصيانة ورعاية مثل هذه المعالم الحضارية .

٢. تم الاطـلاع علـى بعضـ الوثائق المحليـة التي أشـارت إلى بعض تلك الأسـواق، والقوانـين التي كانت سـائدة فيها، بل إن معظم تلـك الوثائق لا تخلو من معارف علميـة وثقافيـة وأدبيـة وفكريـة تعكس حياة مجتمـع منطقة الباحـة في القرون الماضية المتأخرة.

---

(١) لم يشاهد الباحث هذه الأسواق وإنما سمع عنها من بعض الرواة الذين التقى بهم في تهامة وسراة المنطقة.

(٢) هنـاك من أخبرني أن هذا السـوق يقام يوم الثلاثاء، بـل ذكر أنه يبدأ الثلاثاء ويبقى مسـتمراً إلى يوم الأربعاء . المصـدر: بعض الرواة التهاميين الغامديين الذين جرى اللقاء بهم في محافظة المخواة أثناء زيارتنا لمنطقة الباحة في الفترة (٢٩-١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة الزهرانيين الذين التقى بهم في وادي بيدة .

(٤) المصدر نفسه .

٣. بعض أماكن الأسواق القديمة المندثرة تشكل الوجه الحضاري السيئ للنمو والتطور الذي تمر به المنطقة .وبخاصة أن مواضع بعض الأسواق تجدها وسط التمدن العمراني الحديث[١].

والسائر في منطقة الباحة اليوم يلاحظ أنها تكتظ بالأسواق الحديثة المتنوعة في أحجامها، ومساحاتها، وأنواعها ومعروضاتها، وقد زرنا عدداً من الأسواق الكبيرة والحديثة وتجولنا في أرجائها، وأحياناً مررنا ببعضها، ومن تلك الأسواق التي شاهدنا. أسواق الغنيم في شفاء الباحة، وأسواق أبو الخير وسط الباحة في حي الجادية، وسوق التوفير مول بجوار مستشفى الملك فهد في مدينة الباحة، ومتاجر أوفرلي في بلدة رغدان بالباحة، والباحة مول في شمال المدينة . وسوق الراية شمال مدينة بلجرشي، وأسواق بن زومة وسط بلجرشي، وأسواق بن قزي في حي البركة، ومركز عبد الواحد وكلاهما وسط مدينة بلجرشي، وبلجرشي مول، وأسواق المستهلك جنوب مدينة المخواة، وأسواق الحازمي وسوق السلام. والأول في وسط مدينة المخواة، والثاني في شمالها[٢]. ولا يخلو حي أو مدينة أو قرية أو بادية أو ريف من أسواق متنوعة في المساحات والسلع المعروضة[٣].

<u>وهناك قليل من التشابه وكثير من الاختلافات بين الأسواق القديمة والحديثة، ونذكر بعضاً منها في النقاط التالية :</u>

١. مارس سكان منطقة الباحة مهناً تجارية عديدة في الماضي والحاضر، وتقوم الأسواق الأسبوعية قديماً على تجارات ونشاطات السكان المحليين، ومنذ سبعينيات القرن الهجري الماضي وفد إلى المنطقة عناصر بشرية مختلفة، داخلية وخارجية[٤]، وكانوا يرتادون الأسواق للشراء أو البيع والشراء معاً[٥]، ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تزايدت الأيدي العاملة الخارجية حتى أصبحوا عماد الأعمال التجارية في أنحاء المنطقة[٦].

---

(١) يجب على البلديات القريبة من بعض الأسواق المندثرة أن تصونها وترممها حتى تظهر بصورة حضارية جميلة، وإذا كانت غير قادرة على ذلك فأزالتها من أماكنها أفضل حتى لا تبقى صورة مشوهة وسط البناء والعمارة الحديثة . مشاهدات الباحث أثناء تجواله في المنطقة (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) مشاهدات الباحث أثناء زيارته منطقة الباحة في (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جاء إلى المنطقة بعض الموظفين من السعوديين الذين قدموا من مناطق أخرى، أو من الوافدين من بلدان عربية، وجميعهم عملوا في مؤسسات إدارية مختلفة وشاركوا سكان منطقة الباحة اجتماعياً واقتصادياً . .

(٥) الموظفون والأيدي العاملة الأخرى مثل اليمنيين وغيرهم شاركوا أهل البلاد في أسواقهم وتعاملاتهم الاقتصادية والحضارية . .

(٦) الناظر اليوم في جميع الأماكن التجارية يجد أن الأيدي العاملة الخارجية منتشرة في أنحاء المنطقة، بل هم المحرك الاقتصادي الرئيس لهذا القطاع الحضاري الهام .

٢. يظهر عدم التنظيم أثناء عرض السلع المراد بيعها في الأسواق الأسبوعية، وإنما تعرض بشكل عشوائي، وعند انتهاء السوق تنقل أيضاً بطريقة عشوائية[١]، أما الأسواق الحديثة فهي ذات وضع أفضل وأجمل في العرض والبيع والشراء والخزن[٢]، ومعظم السلع قديماً محلية مثل: الحبوب، والخضروات، والفواكه، وبعض الألبسة، والحيوانات والطيور الأليفة المختلفة: كالأبقار، والجمال، والحمير، والدجاج، والحمام وغيرها، والقائمون على بيع وشراء هذه السلع من أهل البلاد نفسها[٣]، وفي وقتنا الحاضر أصبحت الأسواق تحتوي على آلاف الأنواع من البضائع المستوردة، وانصرف أبناء غامد وزهران عن العمل في التجارة[٤]، حتى وإن كانوا أصحاب الأموال التي قامت بها الأسواق التجارية، وإنما يوظفون أيدٍ عاملة خارجية وأحياناً داخلية لممارسة النشاطات التجارية المختلفة[٥].

٣. طرق المواصلات بين الأسواق الأسبوعية قديماً قليلة ووعرة وضيقة في مساحتها الجغرافية، بعكس الطرق التجارية اليوم فهي ممهدة معبدة، وغالباً مضاءة، وتسلكها جميع أنواع السيارات[٦].

٤. **تم الاطلاع على عشرات الوثائق والعقود والاتفاقيات التي تدور حول بناء وتنظيم وإدارة الأسواق الأسبوعية القديمة والأسواق التجارية الحديثة والمعاصرة، فاتضح لنا العديد من الانطباعات والاستنتاجات التي نذكر أهمها في النقاط التالية:**

- لغة هذه الوثائق والاتفاقيات يظهر عليها الركاكة والأخطاء النحوية والإملائية وبخاصة ما يتعلق بوثائق الأسواق الأسبوعية، والوثائق الحديثة لا تخلو أيضاً من ذلك مع تضمينها أحياناً بمصطلحات ومفردات أجنبية، وغالباً من اللغة الإنجليزية أو بعض اللغات الأوربية الأخرى[٧].

---

(١) مشاهدات الباحث لعدد من الأسواق الأسبوعية في جنوبي البلاد السعودية خلال العقد الماضي.

(٢) هذا ما عاصره الباحث في نواح عديدة بجنوبي البلاد السعودية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) معاصرة الباحث لهذه المظاهر منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) هذه الظاهرة موجودة في جميع الأسواق التجارية في المملكة، وقليلاً ما ترى الفرد السعودي يعمل في الأعمال التجارية المختلفة مثل: بيع الألبسة وأدوات الزينة، أو المواد الغذائية، وغالباً يعملون في تجارة العقارات وربما عمل بعضهم في تجارة الذهب وغيرها. مشاهدات الباحث خلال الثلاثة عقود الماضية المتأخرة.

(٥) تجولنا في نواح عديدة من منطقة الباحة وزرنا بعض أسواقها التجارية الحديثة الصغير والمتوسطة والكبيرة فوجدنا غالبية العاملين في هذا القطاع الاقتصادي الهام من الأيدي العامل المستقدمة من خارج المملكة العربية السعودية.

(٦) جميع الطرق القديمة تستخدم مشياً على الأقدام، وتسلكها أيضاً الجمال والحمير التي كانت تنقل البضائع بين الأسواق والمدن والقرى. وفي العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان هناك طرق محدودة استخدمت فيها بعض السيارات، ثم توسعت شبكة الطرق البرية حتى أصبحت السيارة تصل إلى كل مكان في المنطقة، ومن ثم صارت الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع في أرجاء البلاد، هذا ما شاهده وسمعه الباحث من بعض الرواة الغامديين والزهرانيين أثناء رحلته في المنطقة (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٧) دراسة اللغة واللهجات في الأسواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصر موضوع هام ويستحق البحث والدراسة. ونأمل من بعض المتخصصين في قسم اللغة العربية بجامعة الباحة أن يلتفتوا إلى مثل هذا الجانب المعرفي فيخدم بدراسات أكاديمية علمية.

- كانت العشيرة أو القبيلة التي يقام فيها السوق الأسبوعي هي التي تصدر الوثائق الخاصة بأسواقها، ومعظم النصوص التي ترد في هذا النوع من الوثائق تؤكد على حماية السوق وحرمة دماء وأموال وأعراض كل من يرتاده، وإذا حدث ما يهدد أمن الأسواق فإن القبيلة التي يقام في أرضها السوق هي المسؤولة عن كل ذلك[١]، أما اتفاقيات وعقود الأسواق الحديثة، فهناك عقود فردية وأحياناً جماعية بين أصحاب البضائع وأماكن الأسواق، كما أن هناك عقوداً بين شركات أو مؤسسات تجارية وبين ملاك الأراضي التي تقام عليها الأسواق. كما أن للبلديات والغرف التجارية ومؤسسات إدارية أخرى إسهامات واضحة ومعروفة نظامياً وإدارياً أثناء بناء أي سوق صغيراً كان أو كبيراً[٢].

ج- السلع، الأسعار، التعاملات تجارية :

كما أشرنا سابقاً إلى قلة السلع قديماً لندرة المال في أيدي الناس، وضعف الاقتصاد، إلا أن الأسواق الأسبوعية كانت تقوم على احتياجات الناس محلياً أو ما يُصَّدر إليها من بعض الأسواق والمراكز المجاورة أو القريبة من منطقة الباحة. وبعد اتساع شبكة الطرق، ودخول البلاد مرحلة من النمو والتطور التاريخي والحضاري[٣]، اتسع نطاق التجارة حتى صارت المنطقة تعج بآلاف الأسواق والمتاجر الصغيرة والكبيرة، وأصبح الإنسان غير قادر على حصر البضائع المعروضة للبيع والشراء، والتي جاء معظمها من خارج حدود المملكة العربية السعودية[٤].

أما الأسعار فهو موضوع مهم، ومن الصعب الإلمام به في صفحات محدودة، لكننا سوف نورد نماذج عديدة لأسعار بعض التجارات القديمة والحديثة والمعاصرة، وذلك

---

(١) جمع الباحث وثائق عديدة عن بعض الأسواق الأسبوعية في منطقة الباحة ويتطلع في المستقبل إلى أن يقوم بدراستها ونشرها (بإذن الله تعالى) .

(٢) نظام الأسواق الحديثة والمعاصرة، وما يدور حولها من عقود واتفاقيات، وتعاون المؤسسات الإدارية الحكومية في النظم والإجراءات الخاصة ببناء أو فتح سوق تجاري جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل من أقسام التاريخ والجغرافيا، والإدارة، والتسويق في جامعة الباحة أن تولي مثل هذه الموضوعات أهمية كبرى في بحوثها ودراساتها .

(٣) تاريخ التنمية في منطقة الباحة موضوع جدير بالبحث والدراسة، ونأمل من جامعة الباحة أن تشجع بعض البحوث العلمية التي تصب في هذا المجال الحضاري الهام .

(٤) حصر السلع المعروضة في الأسواق الحديثة والمعاصرة موضوع كبير ويحتاج إلى مجلدات حتى يتم معرفة أسماء هذه البضائع، وأنواعها، وأماكن صنعها، وطرق استيرادها، والسلبيات والإيجابيات المصاحبة لهذه السلع. كما أن إجراء دراسة مقارنة بين صادرات وواردات منطقة الباحة في العصر الحديث والمعاصر، وفي القرون الماضية المتأخرة موضوع هام ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل أن نرى إحدى طلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعات الجنوب فيتخذه عنواناً لأطروحته .

من خلال ما سمعنا،[(١)] أو شاهدنا[(٢)].

الأسعار في ستينيات القرن الهجري الماضي وما سبقه ضئيلة جداً، فهي تقدر بالهلل والقروش، وكانت المقايضة من المعاملات الرئيسية بين سكان منطقة الباحة[(٣)]، ومنذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) نجد الأسعار لازالت قليلة، وصارت ترتفع تدريجياً حتى بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) . فالمواد الغذائية مثل: الحبوب(القمح، والشعير، والذرة، والدجر، والبلسن وغيرها) تباع بالصاع . وقد يباع المد أو المدين وربما الأربعة والخمسة بربع ونصف وثلاثة أرباع الريال في أوائل السبعينيات (ق١٤هـ/٢٠م)، وذلك حسب نوعية الحب المباع، فالقمح أغلى من الذرة والشعير[(٤)]، ثم تصاعدت أسعار هذه السلع حتى وصلت إلى الريال والريالين والثلاثة في أواخر تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) [(٥)]، ثم ارتفعت أسعار هذه السلع حتى أصبح سعر المد في وقتنا الحالي عشرة ريالات وأكثر لحبوب القمح وأحياناً الذرة والشعير[(٦)]، واستمرت جميع الأطعمة والأشربة بمنطقة الباحة تسير في هذا التزايد التدريجي في الأسعار حتى أصبحت عالية وشاقة في وقتنا الحاضر، بل إن الأسر الفقيرة والمتوسطة وما دونها تعاني بشكل كبير في توفير طعامها وشرابها[(٧)].

---

(١) لقد سمعنا روايات كثيرة عن الأسعار قديماً، ومن ينظر إلى وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) غير المنشورة يجدها مليئة بالمادة العلمية الجديدة التي تشرح أسعار البضائع والسلع المختلفة في أسواق المنطقة، كما أن بعض من هذه الوثائق تعكس تاريخ النقل والأجور والعاملين في التجارات المختلفة . ومثل هذا الموضوع يستحق أن يكون رسالة ماجستير أو دكتوراه، نرجو من إحدى طالباتنا أو طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يتخذه موضوعاً لأطروحته، فهو من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة.

(٢) تاريخ الأسعار في منطقة الباحة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع جيد ويستحق أن يكون بحثاً علمياً أكاديمياً مطولاً في مئات الصفحات . والباحث في الوثائق والمصادر والمراجع، والمدونات، والمذكرات، والمقابلات وبخاصة مع من عملوا في التجارات منذ القرن الماضي إلى يومنا هذا فإنه سوف يجمع مادية علمية جديدة وجيدة تسحق النشر وتعكس التطور التاريخي للأسعار في المنطقة .

(٣) لقد اطلعت على مئات الوثائق غير المنشورة التي تعكس تاريخ الأسعار والرواتب والأجور في بلاد تهامة والسراة الممتدة من الطائف وجنوبي مكة إلى جازان ونجران وبخاصة منذ الثلاثينيات إلى نهاية ستينيات القرن الهجري الماضي فوجدتها قليلة جداً . فأسعار الجمل، أو الثور، أو الخروف، أو الماعز تقدر بالهلل وأحياناً بالقروش مثل: ربع أو ثلث أو نصف الريال. وقس على ذلك جميع البضائع والسلع التي كانت تعرض في أسواق هذه المنطقة الشاسعة، وبلاد الباحة جزء بسيط من هذه الأوطان . ومن يدرس هذا الموضوع ويطلع على الوثائق التي تصب في خدمته فسوف يجد مادة علمية قيمة وجديدة في بابها، وهي جديرة بالبحث والنشر.

(٤) هذا ما وجدته في بعض الوثائق الاقتصادية في منطقة الباحة وسمعته أيضاً من بعض الرواة الزهرانيين والغامديين في فترة زيارتنا (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) هذا ما شاهدته في بعض أسواق منطقة الباحة السروية والتهامية .

(٧) هذا ما شاهدته في أسواق منطقة الباحة وسمعته من بعض أرباب الأسر في المنطقة بل إن هذه المشكلة عامة على الشعب السعودي والعربي والإسلامي والعالمي .

وأسعار الألبسة وأدوات الزينة مرت في الخطوات التي حدثت لسلع الطعام والشراب، فجميع ألبسة الرجال والنساء والأطفال لا تتجاوز الهلل في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك للباس الواحد، وقد تدخل في خانة الريالات إذا كانت ملابس عديدة[١] وهكذا تدرجت حتى أصبح سعر الثوب في تسعينيات القرن الهجري الماضي يقدر بـ (٥-١٥) ريالاً، وربما كان أقل من ذلك أو أكثر حسب نوعية القماش، والأردية أحياناً مثل: العباءة، والشملة وغيرها قد تكون أغلى بنسبة بسيطة[٢]، والناظر في أسواق المنطقة منذ عقدين أو ثلاثة حتى يومنا الحالي يجد الأسواق امتلأت بأنواع كثيرة من الألبسة والزينة، وغالبيتها مستوردة من خارج البلاد السعودية، وأسعارها تتراوح من الخمسة وعشرة إلى المئات وأحياناً آلاف الريالات. وقد تدخل بعض أدوات الزينة مثل: الذهب والألماس والأحجار الكريمة في مئات الآلاف[٣].

أما بيع وشراء العقارات مثل: الأراضي الزراعية والسكنية، والمنازل ومرافقها فكانت بسيطة جداً في الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فقد تباع مزرعة مساحتها (٥٠×٥٠م) أو (١٠٠×١٠٠م) بنصف ريال وربما وصل سعرها إلى ريال أو ريالين حسب جودتها، وأحياناً قد تباع بمقايضة مد أو مدين أو ثلاثة من بر، أو ذرة، أو شعير، أو تيس، أو خروف[٤]، ثم ارتفعت أسعار الأرض تدريجياً حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وأصبحت أسعار بعض الأراضي الزراعية تقدر بـ (٥٠٠٠-٢٠٠٠٠) وربما (٣٠،٠٠٠) ألف ريال، وكذلك الأراضي السكنية تقريباً بنفس الأسعار وبخاصة في القرى والأرياف أما المدن والحواضر مثل: الباحة، وبلجرشي، والمندق، والمخواة فقد ارتفعت أسعار أراضيها وعمائرها حتى دخلت عشرات وأحياناً مئات الآلاف[٥]، ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نلحظ أسعار العقارات ترتفع بشكل سريع وكبير، فالأرض التي كانت تباع بريالات معدودة في حاضرة الباحة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) أصبحت تباع اليوم بمئات الآلاف، وربما دخلت خانة الملايين، وذلك حسب مساحتها وموقعها[٦]. والمنازل - أيضاً - التي كانت تباع بعدد من الريالات دخلت خانة العشرات في الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ونجد أسعارها اليوم تقدر بمئات الآلاف، وهناك

---

(١) كان الكثير من الأسر تعاني من الحصول على الألبسة وبخاصة في البوادي والأرياف والقرى وقد لا يكون عند الفرد إلا لباس واحد لفترة طويلة، ومن الأنواع الرديئة.

(٢) هذا ما وجده الباحث في بعض الوثائق، وسمعه من بعض الرواة الذين عملوا في مجال التجارة في نهاية القرن (١٤هـ) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٣) هذه الأسعار تكاد تكون سائدة في مناطق الباحة وعسير وغيرها من مدن وحواضر المملكة. وقد شاهدت ذلك وسمعته من كثير من الباعة والتجار أثناء تجوالي في نواحي عديدة من البلاد السعودية خلال العشرين سنة الماضية.

(٤) هذا ما وجدناه في بعض الوثائق غير المنشورة وسمعناه من بعض المسنين في منطقة الباحة.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) هذا ما لمسته في بعض مكاتب العقار في منطقة الباحة في الفترة من (٢٩/١١-٩ / ١٢/١٤٣٣هـ).

عمائر ومنازل كبيرة في حواضر منطقة الباحة مثل: الباحة، وبلجرشي، والمخواة، والمندق وصلت أسعارها إلى عشرات وأحياناً مئات الملايين[١].

وعند تجوالنا في بعض الأسواق الأسبوعية في منطقة الباحة وسؤالنا عن أسعار بعض الأدوات المختلفة والمستخدمة في مهن الزراعة والتجارة وصنع الطعام والشراب، والحدادة والصباغة والدباغة والخرازة وغيرها . وجدنا أسعارها تتراوح من خمسة أو عشرة ريالات إلى المئة والخمسمائة والألف والألفين وربما أكثر، وذلك حسب نوعية الأداة المباعة، وحجمها وجودة صنعها. فمثلاً السيوف والخناجر التي يصنعها الصاغة والحدادون قد تصل أسعار بعضها إلى الآلاف من الريالات، وربما وجد منها بعض الأنواع تباع بالخمسمائة والألف . كذلك أدوات الحراثة والزراعة القديمة تتراوح أسعار بعضها من العشرة والمئة ريال إلى الخمسمائة والألف ريال[٢]، وهناك بعض الصناعات الجلدية أو المنسوجات من القماش أو الخصف تتراوح أسعارها بين العشرات والمئات من الريالات[٣].

وهناك بعض التعاملات التجارية التي عرفتها منطقة الباحة . مثل المقايضة بين التجار وعامة الناس، فالمزارعين مثلاً يقايضون حبوبهم مع تجار الأقمشة وبعض أدوات الزينة، وهكذا تتم عملية المقايضة، وذلك لندرة النقود المتداولة بين أيدي الناس[٤] كما ظهرت بعض العملات المتداولة بين الناس مثل:الريال المجيدي نسبة إلى السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود (١٢٥٥-١٢٧٨هـ/ ١٨٣٩-١٨٦١م) ، وكانت هذه العملة مصنوعة من الذهب والفضة ومتداولة في جميع أقطار البلاد العربية، بالإضافة إلى عدة عملات عثمانية ضربت في مصر ووصل التداول بها إلى منطقة الباحة وما جاورها من بلدان الحجاز وتهامة والسراة واليمن[٥]، ثم أعقب ذلك التعامل بالعملات السعودية المعدنية والورقية[٦].

---

(١) هذا ما وجده الباحث عند سؤال بعض العقاريين في منطقة الباحة في الفترة (٢٩/١١ - ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) مشاهدات ومقابلات الباحث أثناء تجواله في أسواق منطقة الباحة الأسبوعية في الفترة من (٢٩/١١ - ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه . ونلحظ أن جل العاملين في هذه الصناعة من العمالة الوافدة، وقد يعمل معهم بعض السعوديين، وتتراوح أجور العامل اليوم بين (٥٠٠- ٢٠٠٠) ريال في الشهر، وربما عمل بعضهم بالنسبة مع مكفوله السعودي فقد يكون لكل واحد منهم (٥٠٪) من سعر السلعة الواحدة . وإذا قارنا أجور عمالة اليوم مع عمالة القرن (١٤هـ/٢٠م)، لوجدنا فرقاً كبيراً فقد كانت أجور العمالة آنذاك لا تتجاوز القروش وأحياناً الريالات، وربما حصل العامل على أجرته من المهنة التي يمارسها . فالمزارع مثلاً يأخذ أجوره من محاصيل الزراعة التي يقوم على خدمتها، وهكذا تسير الأمور مع التجارات والمهن والسلع الأخرى .

(٤) تاريخ المقايضة في جنوبي البلاد السعودية خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع يستحق إلى أن يفرد له دراسة علمية أكاديمية موثقة .

(٥) للمزيد عن العملات في مناطق الباحة وعسير وجازان وما جاورها خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). انظر: علي أحمد عيسى عسيري . عسير من (١٢٤٩-١٨٣٣ م - ١٢٨٩/١٨٧٢م) (أبها : مطبوعات نادي أبها، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٤٠٧ - ٤١٠ .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن العملات في مناطق الباحة وجازان وعسير خلال العهد السعودي الحديث انظر، غيثان بن جريس . عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ / ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)ص ١٨١-١٨٧ .

أمـا الأوزان والمكاييل والمقاييس فلا نجد مصـادر موثوقة تشـرح لنـا كيفية التعامل معهـا . فالوزن أو الكيل، لم يعرف عند سـكان منطقة الباحة ما يسـمى بـ(الكيلو جرام) إلا في العقـود الماضـية القريبة[١] . وقبـل اسـتخدام الكيلوجرام كانوا يسـتخدمون نظام الأقـة، والرطـل، والأوقيـة، والدرهم، والأقـة قطعة مصـنوعة من الحديـد، عرف منها الأقـة الواحدة، ونصـف وربـع الأقة، وربما كانت تصـنع خارج بلاد الباحة، وبخاصـة في المدن الكبرى من شـبه الجزيرة، أو الشام، ومصـر وغيرها، وهذه الأداة تساوي أربعمائة درهـم، أو رطلين ونصـف، أو اثنين وثلاثين أوقية، وتزيد عـن وزن الكيلو جرام الواحد في وقتنا الحاضـر[٢]، والرطل اثنتا عشـرة أوقية، أو ما يقارب اثني عشر ريالاً فرنسياً، ومن أجزائه نصـف الرطل، والربع، والثمن، أما الأوقية الواحدة فتسـاوي اثني عشـر درهماً. وجميع الأدوات السابقة تستخدم في وزن السوائل مثل: السمن والعطور وغيرها، والبخور، والتوابل، وبعض المواد الغذائية الخفيفة، كالهيل، والبن والزعفران وغير ذلك من المعادن الثمينة والأطياب الغالية، ويستخدم في هذا ما يسمى بـ (الميزان)[٣].

أمـا وحدة الكيل فتسـتخدم بالدرجـة الأولى في كيل الحبـوب وماشـابهها، ومنها المد، والصـاع، والفـرق، والأردب، والكيلـة، والقدح، والوسـق وغيرهـا. فالمد يسـاوي ثلاثة أقق، وعـرف منه المد الكامل، ونصـف المد وربعه وثمنه، وكانت تعتمـد بمقاييس موحدة في أنحاء بلاد غامد وزهران، وتصـنع في الأساس من الخشب[٤]. والإردب وحدة من وحدات المكاييل، ويساوي اثنتي عشرة كيلة، والكيلة تساوي أربع أقق، وهو ماعون أسطواني أو مستطيل الشكل مصنوع من الخشب، ومخرم من الخارج بأطر من الحديد ومنه نصف الكيلة وربعها وثمنها، وهي تساوي ثمانية أقداح، والقدح وحده من وحدات المكاييل [٥].

وأدوات الـوزن والكيل غير متوفـرة في كل مكان من بلاد الباحـة، وأغلب وجودها في الأسـواق الكبـيرة، وأحيانـاً توجد عند التجار الكبار، وربما توفر بعضـها، كالمد والصـاع عند بعض أفراد المجتمع، وبخاصـة الذين يمارسون مهنة الزراعة والتجارة . وعرف البيع

(١) هذا ما سـمعه الباحث من بعض التجار الكبار في منطقة الباحة، والذين عاصـروا فترة الخمسـينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) للمزيد انظر، مغربي، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن (١٤هـ/٢٠م) (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٦٠، مبارك محمد المعبدي . النظم الإدارية والمالية في تهامة عسير خلال الإشراف السعودي (١٣٤٥-١٣٥١هـ). (جدة : شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ)، ص٩٤، ٢٠٤ .

(٣) مشاهدات ومقالات الباحث مع بعض التجار الزهرانيين والغامديين في الفترة (٢٩-١١ - ٩/ ١٢/ ١٤٣٣هـ) .

(٤) المصدر نفسه . دراسة هذه الوحدات جديرة بالبحث والتدوين، ونأمل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات جنوبي البلاد السعودية أن تولي مثل هذا الموضوع أهمية في بحوثها ودراساتها .

(٥) مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٦٠ .

بالجملة، فقد لا تكال ولا توزن السلع التي يراد بيعها، وإنما توضع على هيئة أكوام، أو في أكياس كبيرة، ثم تقدر أسعارها نظرياً ويتم بيعها[(١)].

لم يكن هناك أدوات تستخدم في القياس، كالمتر والكيلومتر إلا بعد ظهور الحكم السعودي الحالي، وخصوصاً في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن الأراضي الزراعية والمواقع التي تقام عليها المساكن تقاس بالخطوة أو القدم عند الرجال، وهناك بعض الأسماء التي تطلق على الأراضي الزراعية مثل : الفلق : وهو جزء صغير من القطعة الزراعية الكبيرة . والشقة وأحياناً الركيب وهي: القطعة الزراعية المحدودة بحدود واضحة من جميع أطرافها بصرف النظر عن مساحتها . والزهب : وهو ما يكون محدوداً بحدود معلومة وملاصقاً لقطع زراعية أخرى تكون أكبر منه في المساحة وأحسن في نوعية التربة[(٢)].

ومن المقاييس ـ قبل استخدام المتر ـ الذراع : وهو ذراع اليد، وبخاصة في مناطق الأرياف وأسواق البادية . والهنداسة : وهي قطعة حديدية رفيعة . والذراع والهنداسة يستعملان في قياس الألبسة والأقمشة وما شابهها[(٣)].

٦ـ معوقات الحياة الاقتصادية :

العقبات التي واجهت الأوائل في منطقة الباحة وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية كثيرة وتحتاج إلى دراسة وافية وموثقة في جميع جوانب الحياة[(٤)]. وما سوف ندرجه في السطور التالية ليس إلا شذرات لنبين للقارئ الكريم ما عانى منه الأوائل، وما يعانيه أهل المنطقة اليوم في حياتهم الاقتصادية . ومن تلك المعوقات ما يلي :

١. غلاء الأسعار في الأسواق والبوادي . وهذا ما سمعته من بعض المسنين في منطقة الباحة حيث ذكروا لنا غلاء الأسعار الذي عرفته المنطقة في بعض عقود القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)[(٥)]. وأشاروا إلى أن القحط الذي ساد البلاد وقلة سقوط الأمطار كان من الأسباب الرئيسية لارتفاع أسعار السلع الرئيسية

---

(١) مقابلة الباحث مع بعض تجار غامد وزهران الذين عاصروا ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك في الفترة التي زار فيها المنطقة لجمع مادة هذا القسم (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) مشاهدات الباحث ومقابلاته مع بعض الغامديين والزهرانيين أثناء زيارته مناطقهم بهدف جمع مادة هذا القسم في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه . والعملات والمكاييل والمقاييس والأوزان في منطقة الباحة موضوع هام وجدير بالدراسة المقارنة التي تصور كيف كانت في الماضي وكيف أصبحت اليوم. ونأمل أن نرى أحد أبنائنا في أقسام التاريخ السعودية فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٤) دراسة العقبات والمعوقات التاريخية والحضارية في منطقة الباحة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع هام ويستحق إلى أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل أن نرى أحد من طلابنا يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتوثيق .

(٥) ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة الباحة خلال زيارته لها في (٢٩/١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ).

والضرورية[١]، والناظر اليوم في أسواق منطقة الباحة وغيرها يجد الأسعار عالية جداً، وأصحاب الدخل القليل يعانون من ضيق الحياة في شتى الجوانب، بالإضافة إلى عدم وجود الأموال التي تساعدهم على تصريف شؤون حياتهم اليومية[٢].

٢. كانت صعوبة المواصلات قديماً عائقاً رئيساً في نقل البضائع والتجارات من مكان لآخر، بالإضافة إلى قلة وسائل النقل، فليس كل واحد يستطيع أن يمتلك جملاً أو حماراً ينقل عليه سلعه واحتياجاته[٣]، مع وجود بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون العاملين في مجال التجارة فيقومون بسلبهم وإيذائهم في أنفسهم وأموالهم[٤]، وفي عصرنا الحالي توفرت شبكة طرق جيدة ووسائل نقل مريحة، لكن كثرة الحوادث المرورية أصبحت من المشاكل الرئيسية التي أودت بالكثير من الأرواح والأموال والعقارات والتجارات وغيرها[٥].

٣. في السابق كانت الحروب والصراعات والثارات القبلية من العقبات الرئيسية التي تولد الخوف وفقدان الأمن عند السكان، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من دمار وخراب في الأموال والعقارات والأرواح[٦].

---

(١) نجد بعض المصادر تشير إلى غلاء الأسعار وانتشار الجوع والقحط بين سكان شبه الجزيرة العربية. فيذكر ابن بشر وأيوب صبري باشا بأن الأعوام (١٠٤٦هـ، ١٠٤٧هـ، ١٠٨١هـ، ١٢٢٠هـ، ١٢٤٣هـ، ١٣٢٩هـ، ١٣٣٣هـ، ١٣٣٤هـ) ارتفعت فيها الأسعار، وقلت الأمطار، وساد الجوع والفقر بين الناس. للمزيد انظر: عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد (القاهرة، ١٩٧٣م)، ج١، ص٤٦، ٥٢، أيوب صبري باشا. مرآة جزيرة العرب. ترجمه من اللغة التركية إلى العربية أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي (الرياض: دار الرياض للنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص ١٤٣.

(٢) هذا ما لمسه وسمعه الباحث من عدد من الأفراد والأسر في منطقة الباحة أثناء زيارتها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٣) كانت معظم الأسر تمتلك حماراً وربما أكثر من أسرة، وأحياناً تشترك جميع الأسر، أو الفخذ أو القرية في جمل أو جملين فقط.

(٤) لم تكن أعمال اللصوص مقتصرة على مهاجمة التجار وسرقة ما بأيديهم، لكنهم كانوا يقتحمون المزارع والبساتين أثناء الليل، وكان البعض منهم يهاجمون البيوت فيسرقون بعض المواشي أو ما يجدونه في المنازل التي يداهمونها، والحاجة وانتشار الجوع بين الناس هما السببان الرئيسان اللذين يدفعان اللصوص للقيام بالسرقة وإيذاء الناس. هذا الموضوع جدير بالدراسة، نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد (برنامج الدراسات العليا) فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لأطروحته وبخاصة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك لوفرة الرواة المعاصرين، وبعض الوثائق الجديرة بالدراسة.

(٥) هناك نسب عالية في ميدان الحوادث المرورية، والكثير من الأموال والتجارات والأرواح تذهب نتيجة لهذه الأخطار، حبذا أن نرى أحد أكاديمي جامعة الباحة فيدرس هذا الجانب مع رصد الإيجابيات والسلبيات له، وذكر الوسائل والحلول التي يجب أن تُتبع للتخفيف من آثاره السيئة.

(٦) دراسة تاريخ الأمن في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة، ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية، وهناك مئات الوثائق الجديدة وغير المنشورة التي تصب في خدمة مثل هذا العنوان.

٤. هنـاك بعض الآفـات والأوبئة التي تحـل بالمزروعات مثل الجـراد والديدان وغيرها، وتذكر بعض الروايات المدونة والمسموعة إلى اجتياح الجراد لمنطقة الباحة خلال بعض الأعوام مـن القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وقد ألحقت أضـراراً بالغة بمحاصـيل المزارعين، أو ببعض الأشجار المثمرة[١].

٥. كانت الأيدي العاملة محدودة في جميع المجالات الاقتصادية خلال القرن (١٣هـ/٢٠م) والثمانيـة عقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت غالباً مقصـورة على سـكان البلاد الأصليين[٢]، والزراعة من أهم المهن الرئيسية والنشطة آنذاك[٣]. ومنذ نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايـة القرن (١٥هـ/٢٠م) تلاشـت الزراعة حتى أصـبحت شـبه معدومـة[٤]، وتطـورت المهن الاقتصـادية الأخرى وبخاصـة الأعمـال التجارية والصـناعية، ومن ثم تراجع انخراط السـكان المحليين في هذه الحرف، وحل محلهم العمـال الوافدون من بلدان عديدة في العالم العربي والإسـلامي وغير الإسـلامي[٥]، وهذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية أثرت سلباً على أبناء البلاد فانتشرت بينهم البطالة والاتكالية وأحياناً اللامبالاة وعدم الاكتراث وبخاصة بين جيل الشباب[٦].

خامساً : الأوضاع التعليمية والفكرية والثقافية :

١ـ التعليم :

لم تكن بلاد غامد وزهران خالية من النشاطات العلمية والثقافية والفكرية، والباحث في كتب التراث الإسـلامي المبكر يجد أن أهل هذه البلاد تلقوا بعضـاً من العلوم الشرعية والعربيـة منذ فجر الإسـلام وبخاصـة عندما وفد إليها بعض الصـحابة (رضـوان الله عليهم)، كما هاجر منها بعض أهلها حتى التقوا بالرسـول (ﷺ) وصـحابته في المدينة

---

(١) هـذا مـا سـمعه الباحث مـن بعض المسـنين في مناطـق الباحة وعسـير للمزيد انظـر : غيثان بن جريس. عسـير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) ما قرأه الباحث وشـاهده وسمعه أثناء الدراسة والتجوال في منطقة الباحة وما جاورها من المناطق خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) معاصـرة الباحـث لهـذه التغيـرات الاجتماعيـة والاقتصـادية في جميـع أجـزاء المنطقـة الجنوبيـة منـذ عـام (١٣٩٥-١٤٣٤هـ/١٩٧٥-٢٠١٣م).

(٦) المصـدر نفسـه. والثابت أن هنـاك أموالاً كبيرة جـداً تجنى من قبل الأيدي العاملة الأجنبيـة نتيجة عملهم في هذه المهن الاقتصـادية الهامة والمربحة، ومن باب أولى أن يعمل الشـباب المحلي في هذه الأعمال ويكسـبوا منها أرباحاً طائلة.

المنورة[١]، وهكذا استمرت منطقة الباحة على صلات ثقافية وحضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٢].

ومنذ القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) نجد عدداً من أبناء غامد وزهران يهاجرون من بلادهم بهدف كسب العيش وطلب العلم، وكانت شرعتهم إلى مدن الحجاز الرئيسية (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، أو اليمن، أو الشام، أو مصر، أو إريتريا وغيرها، ومنهم من يذهب للبقاء في بعض هذه البلدان لفترة وجيزة ثم يعودون إلى مسقط رؤوسهم لتعليم أبناء بني جلدتهم. والبعض من أولئك المهاجرين تنقل في بلدان عديدة بهدف التعليم والتعلم، وكانت تصل غربة بعضهم إلى العشر والعشرين سنة، ثم يعودون إلى وطنهم الرئيس، أو يستقرون أحياناً في بعض حواضر شبه الجزيرة العربية الرئيسية مثل: مدن اليمن أو الحجاز الكبرى[٣].

والباحث في مصادر ومراجع تاريخ منطقة الباحة يلحظ أسماء عدد من الأسر العلمية التي قامت بنشر العلم والثقافة والدعوة والإفتاء والإصلاح بين سكان المنطقة وبخاصة منذ القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) حتى القرن (١٤هـ/٢٠م)[٤]. وهناك عشرات الكتاتيب المتناثرة في بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة)، وكان القائمون عليها من الفقهاء وبعض طلاب العلم الذين تلقوا تعليمهم في أماكن عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها[٥]، وغالبية هذه الكتاتيب كانت للذكور التي تتراوح أعمارهم من (١٠سنوات إلى ٢٠، و٣٠، و٤٠ سنة)، وكتاتيب أخرى للفتيات والنساء وهي قليلة

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر بعض كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط: مثل: كتب الرحلات، والمعاجم اللغوية والجغرافية، وكتب الأدب والتاريخ العامة، وكتب تاريخ الحجاز المحلي وبخاصة تواريخ مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة.

(٢) المصادر نفسها. وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة). (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ) المجلد رقم (١٦)، ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة) مج١٦، ص٣٧٣-٣٧٦. وتاريخ الهجرات العلمية من منطقة الباحة وإليها خلال القرون الهجرية الماضية المتأخرة (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م)، موضوع هام وجدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية فيتخذه موضوعاً لأطروحته، وهناك عدد من المخطوطات ومئات الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمته مثل هذا الموضوع العلمي.

(٤) للمزيد عن الأسر العلمية في منطقة الباحة منذ العصر الإسلامي الوسيط إلى القرن (١٤هـ/٢٠م)، انظر سعدي بن عيد الحريتي. الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة (جدة: المطابع الإسلامية الحديثة، ١٤٢١هـ)، ص٣٢، علي بن صالح السلوك. غامد وزهران (السكان والمكان). (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة،١٤٢٢هـ)، ص١٥٩، ١٩٩. موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة)، مج١٦، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٥) انظر الحريتي، ص ٦١ / ٨٧، السلوك، غامد وزهران (السكان والمكان)، ص١٥٠.

ويشرف عليها غالباً بعض النساء المتعلمات في المنطقة[١].

أ. التعليم النظامي الحكومي العام :

بدأ في العصر الحديث والمعاصر تعليم البنين النظامي في المنطقة عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، عندما افتتحت أول مدرسة ابتدائية تحضيرية أميرية في بلدة الظفير[٢].، وقام بالتدريس في هذه المدرسة عدد من الأساتذة الفضلاء الذين قدموا إليها من مدن الحجاز الكبرى مثل: الأستاذ شاكر بن علي، والأساتذة : عبد الحي كمال، وابن هليل، وعبد العزيز ابن رشيد، ومحمد بن سليم وغيرهم[٣]، ثم افتتحت مدارس ابتدائية عديدة في أنحاء المنطقة الغامد والزهرانية.

وفي عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) افتتحت أول مدرسة متوسطة في بلدة بلجرشي، وفي عام (٨٦ - ١٣٨٧هـ/٦٦-١٩٦٧م) افتتحت أول مدرسة ثانوية في بلجرشي أيضاً[٤].

وكانت الإدارة الرئيسية للمدارس الآنفة الذكر تتبع في البداية لإدارة المدرسة الابتدائية التحضيرية في الظفير، بل كانت إدارة هذه المدرسة الأخيرة بمثابة حلقة الوصل بين مدارس المنطقة النظامية المبكرة وبين مديرية المعارف في مكة[٥]، وفي عام (١٣٧٤-٧٣هـ/١٩٥٤-٥٣م) أنشئت أول معتمدية للتعليم في الباحة، ثم تحولت إلى إدارة تعليم عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ثم إدارة عامة للتعليم في المنطقة عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)[٦]. وفي عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) افتتح ثلاثة مراكز إشراف تربوي في كل من محافظة بلجرشي ومحافظة المندق، والعقيق بالإضافة إلى مركز الإشراف التربوي بمحافظة القرى[٧].

---

(١) السلوك، غامد وزهران (السكان والمكان) ص٨٧، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة) مج١٦، ص ٣٧٦-٣٧٧ . وموضوع تاريخ الأسر العلمية والكتاتيب في منطقة الباحة من القرن (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) يستحق الدراسة ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرسه دراسة علمية أكاديمية ويوضح لنا الرموز العلمية التي عرفتها المنطقة وجهودهم في ذلك الزمن، وأسماء الكتاتيب، ونظامها وطرق التدريس فيها، والمواد التي تدرس، وعلاقة تلك الكتاتيب والأسر مع مجتمعاتها.

(٢) الظفير : أحد الأحياء الرئيسية في مدينة الباحة ويوجد به اليوم العديد من المؤسسات الإدارية الرئيسية الحكومية والأهلية . مشاهدات الباحث في (٢-٣/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) من خلال اطلاعنا على بعض سجلات وزارة التربية والتعليم في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، وما استطعنا جمعه من وثائق ومذكرات عن منطقة الباحة، ومن خلال ما وصلنا من الأستاذ سعد المليص في قوله المنشور في القسم الرابع من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الخامس تحت اسم (القول الثالث) اتضح لنا أسماء أعلام كثيرين عملوا في مهنة التربية والتعليم منذ عام (١٣٥٣-١٣٩٠هـ/ ١٩٣٣-١٩٦٠م) . ونأمل من المتعلمين الباحثين في بلاد الباحة أن يجمعوا تراجم أولئك الرواد الأوائل في تاريخ منطقة الباحة الحديث ومن يفعل ذلك فسوف يسدي للمنطقة وأهلها خيراً كثيراً.

(٤) للمزيد انظر، موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام. (وزارة المعارف، ١٤١٩هـ)، ص ٥٦ وما بعدها .

(٥) هذا ما وجده الباحث في بعض الوثائق التاريخية المبكرة التي تعود إلى الخمسينيات أو الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٦) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة التربويين في منطقة الباحة أثناء زيارتها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٧) انظر : الكتيبات والمطويات والتقارير السنوية الخاصة بإدارة التربية والتعليم في الباحة .

أمـا الأجزاء التهامية من منطقة الباحة فتشـير بعض الوثائق والمذكرات إلى تبعيتها إداريـاً وتعليمياً إلى بلاد القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة . وكان بها مكتب للإشـراف منذ عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) [١]، وفي عام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) تحول هذا المكتب إلى إدارة تعليم، ومنذ عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) تحول اسـم هـذه الإدارة إلى إدارة التعليم بمحافظة المخواة، وأصبحت تابعة لمنطقة الباحة التعليمية[٢].وكانت أول ابتدائية بالمخواة عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م)، وأول متوسطة عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وأول ثانوية في عام (١٣٩٧هـ) [٣].

أما تعليم البنات فقد وصـل متأخراً، وذلك في عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) عندما افتتحت أول مدرسـتين ابتدائيتـين في بلجرشـي والظفـير، وكان يشـرف على تعليـم المنطقة خمس مندوبيـات، منها ثلاثة في السـراة وتتبع إداريـا إدارة تعليم الطائـف[٤]، واثنتان في تهامة، بالمخواة وقلوة، وترتبط بإدارة تعليم البنات في مكة المكرمة[٥]، وفي عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) أنشئت أول إدارة تعليم مستقلة للبنات في الباحة وربطت بها جميع مندوبيات المنطقة[٦].

وفي عـام (١٤٢٩هـ/ ٢٠١٠م) جـرى بعض القـرارات العليا على التعليـم في المملكة العربية السـعودية، ومن ثم دمج إدارة التعليم للبنين وإدارة التعليم للبنات حيث أصبحت إدارة واحدة تشرف على التعليم (الذكور والإناث) في كل منطقة[٧]، ونجد إدارة التربية والتعليم في الباحة تشرف على جميع مراحل التعليم في الأجزاء السروية والبدوية[٨]، وقد وصـل عدد الطلاب والطالبات في عـام (١٤٣٣.٣٢هــ) إلى (٢٣٦٠٠) طالباً و(٢٣٩١٠) طالبة.

---

(١) هذا ما عثر عليه الباحث أثناء جمع مادة كتابه الخاص بمنطقة القنفذة، والموسـوم بـ : بلاد القنفذة خلال خمسـة قرون (ق١٠.١٥هـ/ق١٦.٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م) .

(٢) انظر : موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، ص ٥٧ .

(٣) تم الاطلاع على بعض التقارير والمذكرات والكتب السـنوية الصادرة من إدارة التربية والتعليم في محافظة المخواة أثناء زيارتنا للمنطقة في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٤) وتلك المندوبيات هي (بلجرشي، والظفير، والنصباء) .

(٥) تم الاطـلاع علـى بعض المنشـورات والتقاريـر الصـادرة مـن إدارة التربيـة والتعليـم . بمحافظـة المخـواة في (٢.٣/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٦) تاريـخ التعليـم في منطقة الباحة منذ عام (١٣٥٣-١٤٠٠هـ/١٩٩٣-١٩٨٠م) موضـوع علمي أكاديمي يسـتحق أن يكون عنواناً لرسـالة دكتوراه، حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسـم التاريخ بجامعة الملك خالد أو أي جامعة سعودية أخـرى فيتخـذه عنوانـاً لأطروحته وهو جدير بالبحث والدراسـة. كمـا أن في إدارات تعليم منطقـة الباحة ووزارة التربية كماً هائلاً من السجلات والوثائق الجديدة في مادتها العلمية والمفيدة لخدمة مثل هذا الموضوع.

(٧) للمزيد عن هذه الإجراءات الإدارية انظر سـجلات ومنشـورات وكتب عديدة أصـدرتها وزارة التربية والتعليم في المملكة من عام (١٤٣٠.١٤٣٣هـ/٢٠١٠.٢٠١٢م)

(٨) وهناك بعض المسؤوليات لدى إدارة تعليم الباحة تجاه إدارة التعليم في المخواة . فإدارة تعليم الباحة عامة وتراجعها إدارة تعليـم المخـواة في بعض الجوانب الإداريـة والمالية والتعليمية . للمزيد عن تاريـخ التعليم في منطقة الباحة . انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة). مج١٦، ص ٤٧٦ . ٤٨١ .

أمـا عدد المدارس التابعة لإدارة تعليم المخواة فهي (٣٥٢) مدرسـة، (١٧٩) للبنات، و(١٧٣) للبنين، وعدد المدرسـين (٢٥٤٦) معلماً و(٢٤٤٩) معلمة، ومجموع عدد الطلاب والطالبات حوالي (٢٨٠٠٠) طالباً وطالبة[١].

ويتواجـد في المنطقة عـدد من المعاهد التي تمنـح طلابها (دبلومـات) في بعض العلوم مثـل: المعاهـد العلمية، وهي ثلاثـة، الأول : في مدينة بلجرشـي وكان افتتاحـه عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)، والثـاني في الباحـة عـام (١٣٨٦ـ٨٥هـ/ ٦٥ـ١٩٦٦م) . والثالـث في المندق عام (١٣٩٨هـ /١٩٧٨م) وجل المناهـج التي تدرس في هذه المعاهد تاريخية وعربية وشـرعية[٢]، وهي تابعة إدارياً لجامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، ومن خلال الاطلاع على بعض الوثائق والسجلات الخاصة ببعض هذه المعاهد اتضح لنا أنه تخرج فيها طلاب نجباء مبدعون في علوم الشريعة واللغة العربية، فمنهم من أصبح قاضياً أو أستاذاً في الجامعة، وصار الكثير من طلاب هذه المعاهد أدباء وشعراء ووعاظ ودعاة ومحامين ومستشارين وغيرهم[٣].

وهناك معاهد أخرى علمية وفنية مثل: المعاهد الصحية، وأول معهد افتتح في الباحة عام(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ومن مهامه تخريج كوادر فنية في علوم التمريض، والصـيدلة، والأشـعة، والتخديـر، والمختبر، والأسـنان، والتغذية، والتفتيش الصـحي، وقد تم تطويره إلى كليـة علوم تطبيقية تابعة لجامعـة الباحة[٤]. ومعاهد فنية مثل: مركز التدريب المهني الـذي افتتح في مدينـة الباحة عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، والمعهد الثانـوي التجاري عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، والكليـة التقنية في حاضـرة الباحـة عام (١٤١٩هـ/١٩٨٨م)[٥]،

---

(١) مقابـلات مـع بعضٍ موظفي إدارة تعليم محافظـة المخواة في الفترة الممتدة مـن (٢٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ). ومن المؤكد أن هناك كماً هائلاً من المذكرات والوثائق والسجلات في إدارتي التعليم في منطقة الباحة (الباحة والمخواة)، ولم أتمكـن من الاطلاع عليهـا لأن قدومي إلى المنطقة كان في وقت إجازة عيد الأضحى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ونستطيع القول أن الرصد التاريخي للتعليم في منطقة الباحة منذ عام (١٤٠٠ـ١٤٣٣هـ/ ١٩٨٠ـ٢٠١٢م)، موضوع هام وسهل ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في جامعة الباحة فيتولوه بالبحث والدراسة والتحليل.

(٢) ومنذ تسـعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) تم إدخال مناهج ذات صـبغة علمية بحتة في هذه المعاهد مثل: الرياضـيات، والإنجليزي، والفيزياء، والكيمياء وغيرها، وصـارت تدرس جنباً إلى جنب مع المناهج الشرعية والعربية الرئيسية والأساسية.

(٣) دراسـة تاريـخ المعاهـد العلميـة في منطقة الباحـة أو في أي منطقة من مناطـق المملكة موضـوعات هامة وجديرة بالدراسـة والاهتمام، ومن يفعل ذلك فسـوف يطلعنا على الأدوار العلمية والثقافيـة المهمة التي أدتها هذه المعاهد منذ نشأتها إلى اليوم . للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة) . مج١٦، ص ٤٨٠ .

(٤) انظر في صفحات قادمة تجد بعض التفصيلات عن التعليم العالي في المنطقة .

(٥) هذه الكلية تطوير للمعهد الثانوي الصـناعي وتخصصـاتها أقسـام متقدمة في المجالات الفنية والصناعية، وتتبع إدارياً للمؤسسـة العامة للتعليم التقني والمهني وعميد الكلية هو الذي يتولى الإشـراف على مجلس التدريب التقني والمهني في كل منطقة، ودور هذا المجلس متابعة سير العملية التعليمية والإدارية والمالية والتخطيط لجميع المؤسسات الفنية والتقنية . هذا ما سمعه الباحث من بعض العاملين الرئيسيين في بعض المؤسسات الفنية والتقنية أثناء زيارة بلاد الباحة في (٢٩/١١ ـ ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

والكلية والمعاهد التقنية تقوم على تدريس تخصصات فنية وتقنية مثل: الكهرباء، والنجارة، وميكانيكا السيارات، والتمديدات الصحية، والتبريد والتكييف، والتقنية الكهربائية، وتقنية الحاسب الآلي، والتقنية الإدارية، واللحام، والميكانيكا العامة وغيرها[1].

ب - التعليم الحكومي العالي:

بدأ التعليم الجامعي للبنات في الباحة عام (١٤٠٣-١٤٠٤هـ / ٨٣-١٩٨٤م) عندما افتتحت أول كلية متوسطة بمدينة الباحة، ومدة الدراسة بها آنذاك سنتان، وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) تم تطوير تلك الكلية لتصبح كلية جامعية في مجال التربية وأصبح زمن الدراسة بها أربع سنوات، ونظراً لتزايد الطالبات على هذه الكلية تم فصلها في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) إلى كليتين إحداهما للأقسام الأدبية والأخرى للأقسام العلمية، ثم افتتحت كليات مشابهة في بلدان أخرى من منطقة الباحة مثل مدن بلجرشي والمخواة والمندق وغيرها بهدف التيسير على طالبات المنطقة وتلبية احتياجات التعليم العام من الكوادر الوطنية المؤهلة[2]، وفي عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) أنشئت الإدارة العامة لكليات البنات بمنطقة الباحة من أجل الإشراف الإداري والتعليمي والمالي على تلك الكليات، وكانت هذه الإدارة تابعة إداريا وماليا لوكالة الرئاسة العامة لتعليم البنات في الرياض[3].

أما التعليم الجامعي للبنين فقد بدأ بكلية المعلمين عام (١٤٠٩-١٤١٠هـ/ ٨٨-١٩٨٩م)، وعدد أعضاء هيئة التدريس آنذاك (٩) أعضاء، أربعة سعوديين وخمسة متعاقدين، وعدد الطلاب (١٥٠) طالباً، وفي عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ارتفع عدد الطلاب إلى (١١٨٦) طالباً، وعدد الأساتذة (٨٥) عضو هيئة تدريس، (٤٩) متعاقداً، و (٣٦) سعودياً، وعدد المبتعثين لدرجتي الماجستير والدكتوراه (٣١) طالباً، (٢٤) للماجستير و(٧) للدكتوراه[4].

واستمر التعليم العالي في منطقة الباحة محدوداً حتى أنشئت جامعة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وخصص لها أرض مساحتها حوالي ثلاثة ملايين متر مربع

---

(١) جميع هذه التخصصات مهمة وضرورية في حياة الناس اليومية، ويتخرج فيها مئات الطلاب لكنهم لا يذهبون للعمل في مجال العلوم التي درسوها. ونرى اليوم معظم العاملين في هذه المهن الفنية التقنية من العمال الوافدين من خارج البلاد، مع أن أرباحها جيدة وعالية. هذا ما شاهده الباحث في المدن الصناعية بجنوبي البلاد السعودية، وفي بعض المدن الكبرى بالمملكة العربية السعودية.

(٢) تاريخ التعليم العالي للبنات في منطقة الباحة موضوع يستحق البحث والدراسة. حبذا أن نرى إحدى طالباتنا في قسم التاريخ، بجامعة الملك خالد فتتخذه موضوعاً لأطروحتها لدرجة الماجستير، وهناك الكثير من الوثائق والسجلات الجديدة تصب في خدمة هذا الموضوع.

(٣) هذا ما عرفته من بعض المسؤولين في تعليم البنات في منطقة الباحة أثناء زيارتي للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) بل حصلت آنذاك على بعض المذكرات والوثائق المتعلقة بالتعليم العالي للبنات في بلاد الباحة.

(٤) المصدر: مذكرة وصلتنا من عميد كلية المعلمين في الباحة في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وأصل وصورة هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

في منطقة العقيق، والعمل جارٍ الآن في استكمال مشاريعها العمرانية، وقد أنجز أغلبها، وأصبح يعمل في الموقع الجديد معظم الكليات، وبعض الإدارات الرئيسية[١]. وعند زيارتي أرض الجامعة في (٢/١٢/١٤٣٣هـ) اتضح لي أنها تضم خمس عشرة كلية هي: (١) كلية الطب التي تم إنشاؤها عام (١٤٢٩هـ)، وبدأت الدراسة بها في (١٤٣١.٣٠هـ). (٢) كلية العلوم الطبية التطبيقية في عام (١٤٢٦هـ). (٣) كلية الهندسة عام ١٤٢٧.٢٦هـ). (٤) كلية العلوم عام (١٤٢٦هـ). (٥) كلية العلوم الإدارية والمالية عام (١٤٢٩هـ). (٦) كلية التربية، وهي امتداد لكلية المعلمين بالباحة، وفي (٣/٥/١٤٢٧هـ) صدر قرار بإلحاق كليات المعلمين وكليات البنات وكلية المجتمع بجامعة الباحة، وصدرت الموافقة السامية على قرار مجلس التعليم العالي بتاريخ (٢٩/٤/ ١٤٢٩هـ) على إعادة هيكلة هذه الكليات من أجل إلحاقها بمنظومة التعليم الجامعي. (٧) كلية العلوم والآداب الإنسانية في عام (١٤٣٠هـ). (٨، ٩، ١٠) ثلاث كليات للعلوم والآداب ببلجرشي، والمخواة، والمندق عام (١٤٢٩هـ) (١١) كلية المجتمع بالباحة عام (١٤٢٢هـ)، (١٢) كلية الدراسات التطبيقية والتعليم المستمر عام (١٤٣١هـ)، (١٣) كلية الصيدلة الإكلينيكية عام (١٤٣٢هـ)، (١٤) كلية علوم الحاسب وتقنية المعلومات عام (١٤٣٢هـ)، (١٥) كلية العلوم الإدارية بقلوة عام (١٤٣٣هـ)[٢].

ويوجد بهذه الكليات الآنفة الذكر عشرات الأقسام في شتى العلوم والمعارف ويعمل بها حوالي (١٠٠٩) عضو هيئة تدريس من وظيفة معيد إلى درجة أستاذ. كما يدرس بالجامعة حوالي (١٩٧٥٦) طالب وطالبة منتظمون ومنتسبون، ناهيك عن مشاريعها التنموية في منشآتها العمرانية ونشاطاتها العلمية والفكرية والثقافية والأدبية[٣].

---

(١) لقد زرت منطقة الباحة عام (٢٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩-٢٠١٠م) فوجدت الإدارة الرئيسية للجامعة وجميع الكليات لازالت داخل مدينة الباحة، ثم زرتها في الفترة من (٢٩/١١- /١٢/١٤٣٣هـ) فوجدت معظم كليات وإدارات الجامعة، طلاباً وأساتذة وموظفين، يعملون في الموقع الجديد بمنطقة العقيق، ولازال هناك كليات وأقسام وإدارات قليلة في أماكنها القديمة بحاضرة الباحة . وسوف تنتقل إلى أماكنها الجديدة في موقع الجامعة الجديد قريباً . هذا ما سمعه الباحث من بعض المسؤولين في جامعة الباحة في الفترة من (٢٩/١١- ٥/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) حصل الباحث على هذه المعلومات من المنشورات والتقارير السنوية لجامعة الباحة، وقد زودني بها مشكوراً الدكتور علي الزندي، عميد شؤون القبول والتسجيل بالجامعة في (٣/١٢/١٤٣٣هـ).

(٣) تحتاج جامعة الباحة إلى رصد تاريخي علمي موثق يشمل بداية نشأتها وتطورها، وعلاقتها بالمجتمع، وما يقابلها من سلبيات، وما أنجزت من أعمال وما يجب عليها من أجل خدمة الأرض والسكان، ونأمل أن يتولى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة هذه المهمة، وإن فعل أحد ذلك فسوف يقدم خدمة جليلة للجامعة وللمجتمع ولكل من يرغب تفصيلات علمية عن هذه الجامعة الوليدة .

وكوني أحد أبناء المنطقة الجنوبية وأعرف منطقة الباحة أرضاً وسكاناً، فإنني قد خرجت ببعض الانطباعات في باب التعليم والفكر والثقافة وما قدمته الجامعة، وما يجب أن تقدم في هذا الباب، ومن تلك الرؤى والانطباعات ما يلي:

١. تأسيس جامعة في المنطقة قرار صائب، فقد سهل على أبناء وبنات المنطقة العناء، فبقوا في أوطانهم، ونمت وتطورت بلادهم اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً. وتحولت المنطقة من طاردة لسكانها إلى مستقطبة مستقبلة لهم، ويجب من القائمين على الجامعة أن يدركوا هذا الجانب الحضاري التنموي فيعملوا بجد وإخلاص على تذليل الصعاب وتوفير الإمكانات العلمية والإدارية والتنموية لتحقيق كل ما يصب في الارتقاء بهذا الجانب[١].

٢. للجامعة دور كبير ومؤثر في الرقي بالمستوى العلمي والفكري، والثقافي، والأدبي، والحضاري، ويجب على صناع القرار في الجامعة أن يدركوا أهمية هذا الجانب. فالمنطقة بكر في ميدانها العلمي وفي شتى المجالات، كما أنها تحتضن الكثير من الكفاءات والقدرات الثقافية والإبداعية، ومن ثم فيجب عليها أن تتصل بالمجتمع وتشركه وتستنير به في صنع بعض قراراتها وبخاصة فيما يتعلق بأحوال الناس العلمية والثقافية والحضارية.

٣. يجب على الجامعة أن تستقطب دائماً الكفاءات والطاقات البشرية الجيدة الفعالة المنتجة، كما يجب عليها أن تقارب وتزاوج ثقافياً وعلمياً بين أعضائها الأكاديميين والمبدعين ومؤسسات المجتمع المدني، وإن فعلت ذلك فقد تجني ثماراً يانعة صالحة على المدى القريب والبعيد.

٤. لقد زرت منطقة الباحة من عام (١٤٢٤- ١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١٢م) عدة مرات، وفي كل زيارة أزور بعض الكليات ومؤسسات الجامعة العلمية والإدارية، وألتقي ببعض فئات المجتمع من أقصى البلاد إلى أدناها، كما سمعت أقوال بعض الوجهاء والأعيان والمثقفين والموظفين والعامة، ومن ثم لمست حراكاً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً تعيشه المنطقة والسبب الرئيس في ذلك هو تأسيس جامعة علمية ثقافية أكاديمية في هذه الناحية الجغرافية الهامة[٢].

---

(١) والوضع نفسه وجدته في مناطق عسير وجازان ونجران والطائف، ونأمل أن نرى جامعات أخرى جديدة في أماكن التجمعات السكانية الكبيرة مثل: بلاد القنفذة، ومحائل، وشرورة، وبيشة وغيرها.

(٢) حبذا أن نرى دراسة علمية موثقة تصور الحراك الحضاري الذي تعيشه منطقة الباحة قبيل وبعد افتتاح جامعة الباحة إلى وقتنا الحاضر، ونأمل من مراكز الجامعة البحثية أن تتولى مثل هذا الموضوع بالبحث والدراسة، كما نأمل من الجامعة أيضاً أن تنشئ مراكز بحثية متخصصة تقوم على دارسة ما تتميز به منطقة الباحة، أو بعض الظواهر الطبيعية أو السكانية أو الاجتماعية أو الاقتصادية في البلاد الزهرانية والغامدية (بادية وسراة وتهامة).

ج. التعليم الأهلي العام والعالي :

قبل التعليم النظامي كان هناك بعض الفقهاء ورجال العلم الذين يقومون على تعليم الناس أمور دينهم ويؤمونهم في صلواتهم، ويقضون بينهم في خصوماتهم وتقسيم مواريثهم، وعقود أنكحتهم[1]، ثم جاء التعليم الحكومي وتطور، كما ذكرنا سابقاً، كما شهدت المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض المدارس الأهلية التي قام على تأسيسها بعض الوجهاء والمشايخ والعلماء والدعاة، وبالتالي أسهمت بدور رائد في الحركة العلمية والثقافية، واستفاد منها طلاب عديدون في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، ومن تلك المدارس :

١. المدرسة السلفية ببلجرشي :

أنشئت هذه المدرسة عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) على يد مؤسسها الشيخ محمد بن علي بن جماح الغامدي[2]، فكان صاحب فكرتها وتأسيسها ومن ثم بقي مديراً لها وقائماً على شؤونها عدة عقود، وقد دون عنها كتاباً يقع في (٢٧٠) صفحة من القطع المتوسط سماه: **رحلتي مع الإيمان والمدرسة السلفية والدعوة والقرآن من جبال السروات لجميع الإخوة والأخوات (مواعظ وعبر)**[3]، شرح في هذا الكتاب بداية حياته، ثم رحلاته في طلب العلم، وأخيراً رجوعه إلى موطنه من أجل تأسيس مدرسته (المدرسة السلفية)، مع ذكر الرواد الأوائل الذين ساندوه أثناء البناء والتأسيس حتى وجد الدعم والمؤازرة من ملوك آل سعود (عبد العزيز وأبنائه: سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله، وسلطان وغيرهم[4]، وفي الكتاب تفصيلات عن تحديد مكان المدرسة في بلدة بلجرشي، ثم جمع التبرعات من بعض المحسنين لبنائها، وتوافد الطلاب للانضمام إليها، ثم دعمها مالياً ومعنوياً من الملك سعود أثناء زيارة منطقة الباحة عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)،

---

(١) تاريخ تعليم المساجد والكتاتيب والأسر العلمية في منطقة الباحة قبل خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون عنواناً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بإحدى الجامعات السعودية.

(٢) محمد بن جماح : أحد رجالات حاضرة بلجرشي، رحل في طلب العلم داخل وخارج المملكة العربية السعودية، ومن الدعاة الفضلاء الذين لهم جهود تذكر فتشكر عاش معظم حياته في خدمة الدين والعلم والدعوة في منطقة الباحة (بلجرشي)، ويستحق أن يصدر عنه كتاب علمي موثق، أو يخصص له رسالة دكتوراه في أحد الأقسام الأكاديمية بإحدى جامعاتنا السعودية، ونأمل من أبنائه وأحفاده أن يسعوا إلى جمع وثائقه ومراسلاته ومدوناته وكتبه وتوفيرها لباحث نزيه يقوم برصد مآثره وجهوده في ميادين الدعوة والإصلاح والتعليم فهو جدير إلى أن يكتب عنه كتب وبحوث علمية عديدة .

(٣) كتاب مجلد طبعة : المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢ وما بعدها .

ثم دعم الملك فيصل لها أيضاً[١]، وكانت علوم الشريعة والعربية جل المواد التي تُدرس فيها، وفي عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) طبقت فيها مناهج وزارة المعارف، ثم افتتحت فيها المرحلة الثانوية بقسميها (العلمي والأدبي)، [٢]. وبقي الشيخ ابن جماح وبعض أقربائه وطلابه قائمين على سير هذه المدرسة أكثر من أربعين عاماً، كما قابل العديد من العقبات أثناء رعايته وإشرافه على هذه المؤسسة الأهلية المباركة. وفي أوائل القرن (١٥هـ/٢٠م) أسندت السلفية الأهلية إلى مديرين تعينهم وزارة المعارف، وقد تم تحويل اسم مرحلتي المتوسطة والثانوية إلى مسمى (مدرسة بدر) وبقيت المرحلة الابتدائية باسم: المدرسة السلفية الابتدائية [٣].

وعند الاطلاع على لفيف من المذكرات والوثائق والأوراق التي تم جمعها عن هذه المدرسة من عام (١٤٢٤-١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١٢م) اتضح لنا نقاط عديدة نذكر أهمها في السطور التالية:

أ- هذه المدرسة نشرت الوعي الثقافي والمعرفي والديني بين سكان منطقة الباحة، فتخرج فيها طلاب ترقوا في درجات المعرفة حتى صار منهم المعلمون والقضاة والدعاة وغيرهم.

ب- جهود فردية من الشيخ ابن جماح جعلت أهل الخير والصالحين ينضمون إليه فيؤازرونه بالمال والفكر والجسد، بل وقفوا معه في كثير من العقبات والمحن التي واجهها أثناء الرعاية والإشراف على هذه المؤسسة التعليمية الخيرية. وقد عثرنا على عشرات الوثائق والرسائل التي أرسلت إلى الشيخ صاحب المدرسة وهي صادرة من علماء ومشايخ ودعاة ووجهاء وشيوخ قبائل ومدراء وموظفين في الدولة داخل منطقة الباحة وخارجها، وجميعهم يثنون على جهود الشيخ وعلى جهود مدرسته المباركة في ميادين الدعوة والثقافة والتعليم[٤].

ج- حسب ما علمت من بعض أعيان ووجهاء بلجرشي أثناء تجوالي في بلادهم في (١-٢/ ١٢/ ١٤٣٣هـ)، أن موقع المدرسة السلفية القديم أصبح مهجوراً، ونرجو

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠-٩١، ١١٠-١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢ وما بعدها. هناك بعض الأعلام والرموز الذين درَّسوا وساهموا في بناء هذه المدرسة، وكل واحد منهم يستحق بحثاً مستقلاً أو ترجمة مطولة، ونأمل أن نرى أحد أبناء غامد وزهران المثقفين فيتولى هذا الموضوع بالبحث والتدوين. ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على صور ثقافية وعلمية لأولئك الرعيل النقي الوفي.

(٣) تم فصل المرحلة الابتدائية عن المرحلتين المتوسطة والثانوية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ثم تغير اسم المدرسة السلفية الابتدائية إلى بدر أيضاً في عام (١٤٢١-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٤) حبذا أن تجمع هذه الرسائل المتبادلة مع الشيخ، وقد يكون معظمها عند أبنائه وطلابه وأقاربه وأحفاده ومريديه ومحبيه ثم تدرس دراسة علمية تاريخية ثقافية لغوية أكاديمية، وهذا أقل واجب على أهالي منطقة الباحة وبخاصة سكان محافظة بلجرشي.

من أبناء الشيخ ابن جماح وطلابه ومحبيه أن يسعوا إلى صيانة وترميم هذا المعلم التاريخي الحضاري، ثم جعله مكتبة عامة يستفيد منها الناس، وتذكير أجيال اليوم والمستقبل بما بذله الشيخ ورفاقه وطلابه من جهود مباركة في نشر العلم والفضيلة والقول الحسن.

د- كون المدرسة السلفية بقيت تحت إشراف الشيخ وطلابه وزملائه لعقود عديدة، فلابد أن يكون هناك كم هائل من المذكرات والوثائق التاريخية والحضارية الخاصة بالجهود المبذولة من وإلى هذه المؤسسة التعليمية، ونأمل أن يجمع هذا التراث الثقافي الذي يصور حقبة من الزمان كان الجهل والفقر والجوع هي الآفات المدمرة والخانقة لإنسان ذلك العصر.

٢. المدرسة الريحانية ببني ظبيان :

هذه المدرسة نسبة إلى قرية الريحان ببني ظبيان في سراة غامد، ومؤسسها الأستاذ سعد ابن عبد الله المليص، صاحب القول الثالث في القسم الرابع من كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب الجزء الخامس[١]، وكان إنشاؤها في عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)[٢]، ومراحل الدراسة بها المتوسطة والثانوية على منهج نظام دار التوحيد بالطائف، وقد تفرع عن هذه المدرسة فرعان، أحدهما بمدينة الباحة، والآخر بمدينة بلجرشي، وكانت الدراسة بالمجان على نفقة مؤسسها وأهل بيته وقرابته بالإضافة إلى بعض التبرعات والمعونات اليسيرة من وزارة المعارف وبعض الجهات الحكومية والأهلية الأخرى. وقد توقفت الدراسة بهذه المدارس عام (١٤١٠-١٤١١هـ/ ١٩٨٩-١٩٩٠م)[٣]، تخرج فيها عدد كبير من الطلاب، ومنهم من ترقى في سلم الوظيفة والتعليم حتى وصل إلى مناصب عالية في الدولة[٤].

---

(١) انظر تفصيلات أكثر عن الأستاذ المليص وعن تعليم البنين في منطقة الباحة خلال العقود الماضية المتأخرة، في هذا الكتاب، وفي القسم الرابع تحديداً.

(٢) للمزيد انظر: سعد عبد الله المليص. " تاريخ التعليم النظامي للبنين بمنطقة الباحة " مجلة المنتدى، نادي الباحة الأدبي، عدد(٧) (الباحة، ١٤٢٥هـ)، ص٣٤ وما بعدها.

(٣) مقابلات مع الشيخ سعد المليص مرات عديدة من (١٤٢٤-١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١٢م)، ولازال الشيخ حتى تدوين هذه السطور يؤدي رسالته العلمية والثقافية والحضارية، ونسأل الله له الصحة والثبات والتوفيق. كما أن الشيخ سعد المليص يستحق أن تكون حياته عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية، ونأمل من طلابه وأحبابه وأبنائه أن يسعوا إلى جمع أوراقه ووثائقه ومذكراتها ودفعها إلى باحث نزيه يدرسها ويخرجها في كتاب علمي أكاديمي موثق.

(٤) المدرسة الريحانية استمرت تؤدي رسالة علمية سامية عقوداً عديدة، والواجب على مثقفي منطقة الباحة وبخاصة ممن استفاد من هذه المدرسة أن يقوموا على صيانة مكانها وترميمه ليكون متحفاً أو مكتبة عامة يستفيد منها أجيال اليوم، كما يجب أن يجمع في هذا المكان جميع ما يتعلق بالمدرسة من سجلات ووثائق ومذكرات وأدوات أثرية، وهذا في نظري أقل واجب يجب عمله تجاه هذه المدرسة، والمدرسة نفسها تستحق أن يفرد لها رسالة أو كتاب علمي يرصد فيه الجهود التاريخية التي حققتها هذه المؤسسات الأهلية على مدار ثلاثة عقود.

٣ـ مدارس القرعاوي، ومدرسة زهران السلفية:

الشيخ عبد الله القرعاوي أحد رجالات عنيزة في القصيم، ولد بها عام (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) وتعلم بها في بداية حياته ثم سافر إلى بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من أجل طلب العلم[١]، وفي بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) قرر الخروج إلى جنوبي البلاد السعودية من أجل الدعوة ونشر العلم والثقافة. وفي عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) وصل منطقة جازان واستوطن ببلدة صامطة وفتح بها عدداً من المدارس وزودها بجميع مستلزمات الطلبة[٢]، ثم وسع نشاطاته التعليمية وانتشرت مدارسه في تهامة والسراة حتى وصلت مناطق القنفذة والباحة وعسير ونجران[٣].

وكان للشيخ القرعاوي جهود في نشر مدارسه في بعض قرى غامد وزهران، وهناك بعض الأعلام الزهرانية والغامدية التي تعاونت معه وعملوا في مدارسه[٤]، وقد اطلعت على بعض الوثائق في منطقة الباحة وفيها ذكر لبعض المدرسين الذين درّسوا في مدارسه بسروات المنطقة، وأسماء بعض الطلاب الذين تعلموا في تلك المدارس، كما وقفنا على بعض القرى والبيوت التي عملت فيها بعض مدارس هذا الشيخ المحتسب (رحمه الله)[٥].

أما مدرسة زهران السلفية فمؤسسها الشيخ عبد الله بن مسفر الزهراني في بلدة جافان بسراة زهران[٦]، وفي عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦٥م) سميت بالمدرسة السلفية على غرار المدرسة السلفية ببلجرشي، ومناهجها الرئيسية اللغة العربية وعلوم الشريعة، ولم

---

(١) للمزيد عن الشيخ القرعاوي انظر موسى بن حاسر السهلي. الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ودعوته في جنوبي المملكة العربية السعودية (معلومات النشر غير مذكورة، ١٤١٣هـ)، ص١٠ وما بعدها، غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ـ١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٢٦٠ـ ٢٦١.

(٢) انظر أحمد بن إبراهيم السلوم. تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية. (أمريكا: واشنطن، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ج٢، ص٦٤٧. ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ٢٦٠.

(٣) وعندما عجز الشيخ من متابعة مدارسه ضمت جميعها إلى وزارة المعارف والكليات والمعاهد العلمية الدينية، وجهود القرعاوي العلمية والتعليمية والثقافية في جنوب المملكة لازالت بحاجة إلى بحوث علمية أكاديمية موثقة، والجامعات المحلية في هذه البلدان الجنوبية عليها مسؤوليات كبيرة فتعمل على جمع تراث أعلام هذه الأوطان ومن كان له جهود تذكر فتشكر مثل الشيخ عبد الله القرعاوي وغيره (رحمهم الله جميعاً). كما يوجد عند الباحث بعض المذكرات المدونة من الأستاذين القديرين محمد أحمد أنور وسعد بن عبد الله المليص وفيها ذكر لجهود الشيخ القرعاوي في منطقتي عسير والباحة.

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات غامد أثناء جمع مادة هذه الرحلة في (٢٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٥) من خلال تجوالنا في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية وسؤالنا عن جهود الشيخ القرعاوي، وجدنا ذكره في كل مكان، بل قابلنا أفراداً عديدين في القنفذة وعسير ونجران والباحة وجميعهم شاهدوا الشيخ والتقوا به وأغلبهم درسوا في مدارسه المتواضعة في الإمكانات والإعداد والترتيب، إلا أنها مع بساطتها كانت منتشرة في جميع البلدات والقرى والأرياف والبوادي بالمناطق السعودية الجنوبية.

(٦) من مواليد عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، تنقل في طلب العلم بين اليمن والحجاز، وعاصر عدداً من علماء وأعلام منطقة غامد وزهران، درس على يديه كثير من الطلاب. للمزيد انظر: سعدي بن عيد الحريتي، ص ٥٦، علي السلوك، غامد وزهران، السكان والمكان، ص ١٩٦.

تستمر طويلاً وإنما تحولت إلى مدرسة حكومية، وقد تخرج فيها عدد من الطلاب الذين عملوا في مجال الدعوة والتعليم بالمنطقة[١].

٤. مدرستا زهرة بنت سعيد الأعمى ببلجرشي :

لم يكن إنشاء المدارس الأهلية مقصوراً على الرجال، وإنما كان للنساء دور رائد في ذلك، وتذكر بعض الروايات إلى أن الأستاذة زهرة بنت سعيد الأعمى من قرية المكارمة ببلجرشي أنشأت مدرستين في عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) [٢]، واحدة للبنين وأخرى للبنات، وقد ضمت مدرسة البنين إلى المدرسة السلفية للذكور في بلجرشي عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، أما مدرسة البنات فقد استمرت تحت مسمى : **المدرسة السلفية للبنات بالمكارمة**، وكانت تحت إشراف المدرسة السلفية الرئيسية للرجال في بلجرشي، وعند وفاة المعلمة زهرة قامت الأستاذة عزة بنت عبد الرحمن نسيلة بالإشراف على المدرسة حتى ضمت إلى مدارس التعليم النظامي للبنات في المنطقة في أوائل التسعينيات [٣].

٥. مدارس وكليات التعليم الأهلي الحديث:

من خلال تجوالنا في المنطقة اتضح لنا أن جميع مدارس التعليم العام فيها حكومية، وهناك عدد محدود جداً من المدارس الأهلية في المنطقة وهي خاصة لبعض المستثمرين من أهل البلاد الزهرانية والغامدية[٤]، أما التعليم العالي فقد افتتحت كلية الباحة الأهلية العالمية للعلوم عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، وهي كلية متخصصة في الجانب العلمي، وقد أنشئت لتكون نواة لجامعة أهلية تضم العديد من الكليات العلمية في الطب والهندسة

---

(١) المرجعان نفسهما .

(٢) حبذا أن نرى أحد طلاب العلم الجادين فيجمع كل ما يتعلق بالتعليم النسائي في بلاد غامد وزهران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ويخرج عن ذلك بحث أو دراسات علمية أكاديمية في هذا الباب الهام والجدير بالاهتمام .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في محافظة بلجرشي في الفترة التي زار فيها المنطقة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣). وما تم الإشارة إليه في ميدان التعليم الأهلي في المنطقة، ليس إلا شذرات يسيرة من جهود كثير من المحتسبين والمحتسبات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م)، بل إن هناك رواداً في مجال هذا الصنف من هذا التعليم، ولازالت جهودهم مغمورة، وآثارهم الإيجابية غير مدونة . ونأمل أن نرى أحد طلاب البحث العلمي في منطقة الباحة، أو أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية . وهو موضوع جدير أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٤) من تلك المدارس الأهلية : مدارس جيل المستقبل، ومدارس الباحة وغيرها، والفرق بين التعليم الأهلي قديماً وحديثاً أن مؤسسي التعليم الأهلي في القرون الماضية المتأخرة كانوا يقومون على إنشاء الكتاتيب والمدارس من باب الاحتساب ونفع الناس ونشر الوعي والفكر والثقافة، ناهيك عن أنهم كانوا قدوة حسنة في أنفسهم ولكل من يتصل بهم، أما التعليم الأهلي اليوم فأصحابه يسعون إلى العمل التجاري الربحي من خلال فتحهم مدارس ومؤسسات تعليمية، وقد زرت العديد من المدارس الأهلية في المنطقة الجنوبية، (عسير، ونجران، وجازان، والقنفذة، والباحة) ودرست عن بعض الكتاتيب والمحتسبين القدماء في هذه البلاد فوجدت الفرق شاسعاً بين الفريقين، فالأوائل كانوا أفضل وأرقى في أهدافهم ومبادئهم وبحثهم عن الأجر والاحتساب من الله عز وجل.

والتقنية والإدارة، واعتمدت اللغة الإنجليزية كلغة رئيسية للتدريس، وتقدم برامجها للبنات والبنين، وتضم العديد من الأجهزة والمعامل والمختبرات العلمية المتخصصة[١].

٢. الفكر والثقافة :

إذا درسنا فكر سكان منطقة الباحة نجدهم أصحاب فكر سليم في معتقداتهم وتوجهاتهم العلمية والثقافية، والباحث عن تاريخ هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة يجدهم من أوائل من دخل حوزة الإسلام، ومنهم علماء وفقهاء ورجال فكر وثقافة كثيرون ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها[٢]، وكان المذهب الشافعي هو السائد في بلادهم منذ القرون الإسلامية الأولى حتى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، ثم بدأ المذهب الحنبلي ينتشر حتى صار الأكثر أتباعاً في المنطقة حتى يومنا الحاضر[٣].

والمتأمل لتاريخ منطقة الباحة الحديث والمعاصر يجده خالياً من التيارات والأفكار العقدية والسياسية المنحرفة، وربما وجد بعض الأفراد أو الأشخاص المحدودين والمدافعين أو المقتنعين بآراء وفتاوى أو توجهات ثقافية وعلمية وفكرية سلبية، لكن وضع مثل هؤلاء لم يصل إلى نسبة الظاهرة أو الرأي العام[٤].

---

(١) زار الباحث الكلية في عام (١٤٣٠هـ، و١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠، ٢٠١٢م) وهي لازالت على وضعها عند التأسيس مكونة من كلية واحدة تضم العديد من التخصصات، وربما تتطور إلى جامعة أهلية في المستقبل، إلا أن إنشاء جامعة الباحة الحكومية سد حاجة أبناء المنطقة في كثير من العلوم والتخصصات الأكاديمية .

(٢) كتب التراث الإسلامي مليئة بالأقوال والروايات والنصوص والأشعار التي تؤكد على إسهامات الغامديين والزهرانيين الحضارية على مر القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وأوائل الحديثة . وهذا الموضوع يستحق أن يصدر عنه كتب ورسائل وبحوث عديدة، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الأكاديميين المنصفين أن يدرسوا جهود سكان هذه البلاد، بل نأمل من أبناء منطقة الباحة أن يظهر منهم من يهتم بهذا الجانب العلمي الهام.

(٣) كان المذهب الشافعي هو السائد في عموم الجزيرة العربية، والمذاهب الثلاثة الأخرى (المالكي، والحنبلي، والحنفي) كانت هي أيضاً متواجدة لكن بنسب أقل، أما المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي فكان لهما وجود في اليمن، ومنذ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد وقيام الدولة السعودية الأولى صار المذهب الحنبلي ينتشر في كل المناطق التي سيطرت عليها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية وجميع سكان المملكة العربية السعودية اليوم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو المذهب الذي تتبعه الحكومة السعودية الحديثة. ودراسة الحياة العلمية والثقافية والفكرية والأدبية في جنوب الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المختلفة، منذ فجر الإسلام حتى يومنا الحاضر مهم وجدير بالدراسة والتدوين، ويستحق أن يصدر عنه العديد من الدراسات والبحوث والكتب العلمية . ونأمل من جامعات اليمن وجنوبي البلاد السعودية أن تهتم بهذا الجانب العلمي الجدير بالاهتمام.

(٤) الناظر في الأحداث السياسية التي حدثت في العالم العربي والإسلامي خلال الأربعين سنة الماضية يلحظ أنه خرج العديد من المجاهدين المتحمسين الذين شاركوا في أفغانستان والبوسنة والصومال والعراق والشيشان وغيرها، بل ظهر هناك بعض الإرهابيين التكفيريين والمفجرين وغيرهم، وسمعنا وشاهدنا دعوات وفئات أخرى منحرفة، وكل هذه الإرهاصات الفكرية وصل شرها إلى المجتمع السعودي وانخرط فيها الكثير من شباب البلاد، وعانت ولازالت تعاني الدولة والمجتمع من هذه الأفكار والتوجهات الهدامة، وجنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، والقنفذة) نالها بعضاً من هذه الشرور والمعتقدات الخاطئة، وإذا فحصنا مجتمع منطقة الباحة، وفتشنا في وثائقه وأراشيفه وجدناه من أقل المجتمعات السعودية التي شارك بعض أفرادها في مثل هذه الانتكاسات والمعتقدات والأفكار المعوجة والخاطئة . ودراسة الأفكار الهدامة التي عاصرها المجتمع السعودي منذ

أما الحياة الثقافية التي عاشتها منطقة الباحة ولازالت تعيشها إلى اليوم فقد مرت بمراحل عديدة هي :

أ. مرحلة ما قبل التعليم النظامي :

حياة الناس الثقافية كانت بسيطة ومتواضعة، فلا مدارس ولا مؤسسات ولا مراكز علمية وثقافية، وإنما الناس يتبادلون ثقافاتهم في أسواقهم الأسبوعية، أو يحصلون على بعض الأخبار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية من بعض المسافرين من أبناء المنطقة إلى خارجها، وعند عودتهم يروون ما شاهدوه في البلدان التي زاروها سواءً كانت داخل الجزيرة العربية أو خارجها، وكان للأسر والقرى والحواضر مجالس سمر محدودة وخاصة يتبادلون فيها الأخبار أو ما سمعه بعضهم من قصص أو أمثال أو حكم أو أشعار بالفصحى والعامية، وفي صلوات الجمع والجماعات خطب ودروس ومواعظ يتلوها بعض الفقهاء أو العارفون ببعض العلوم الشرعية والعربية، ونجد بعض الشعراء الشعبيين أو الحفاظ أو الرواة الذين يلقون بعض القصائد أو الأهازيج أو الأناشيد أو الحكم أو القصص الشعبية في بعض المناسبات الاجتماعية مثل: الأعياد، والزواج، والختان، واستقبال المسافرين أو توديعهم، وللمزارعين، والرعاة، والتجار، والحرفيين، والحجاج وغيرهم لهم أيضاً نشاطات معرفية وثقافية يمارسونها أثناء ممارسة أعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية[(١)].

ب. مرحلة ما بعد التعليم النظامي :

ما سبق الإشارة إليه في المرحلة السابقة استمر هو صلب الحياة الثقافية للمجتمع الغامدي والزهراني، وبعد إنشاء المدارس النظامية واستقدام مدرسين من بلدان عربية عديدة، واقتناء الكتب والمواد الدراسية المختلفة، وتحديد مواعيد وأنظمة ولوائح للدراسة، بالإضافة إلى وجود بعض الفقهاء والمتعلمين القلائل في المنطقة وبخاصة من ورثوا كتب أو مكتبات من آبائهم أو أجدادهم، أو من سافروا لطلب العلم في القرن (١٣هـ/٢٠م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتزايد بعض وسائل النقل والإعلام مثل: السيارات والراديو، وسهولة بعض الطرق مثل: الدروب الواصلة بين الباحة والحجاز

أربعة عقود إلى اليوم موضوع مهم وجدير بالدراسة . ويجب على مراكز البحوث الإنسانية والاجتماعية والتاريخية والعقدية في جامعاتنا السعودية أن تولي مثل هذا الجانب اهتماماً كبيراً في بحوثها ودراساتها العلمية الأكاديمية.

(١) تاريخ الحياة الثقافية العامة عند عامة الناس في منطقة الباحة، وبخاصة طبقات المجتمع الوسطى والدنيا موضوع جديد وجيد وجدير بالدراسة والاهتمام، حبذا أن نر أحد طلابنا فيدرسه كرسالة دكتوراه وبخاصة منذ النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

وعسير وبيشة، كل هذا رفع من شأن المستوى الثقافي والمعرفي عند بعض الناس[(١)].

ج. مرحلة الطفرة التنموية:

هذه المرحلة بدأت مع نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستمرت حتى اليوم، وكانت المرحلتان السابقتان قد أسستا القواعد الرئيسية للحياة الثقافية في المنطقة، وعند توفر الأموال في أيدي الناس، وتحسن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وتزايد أعداد المدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية والأكاديمية، وازدياد أعداد الطلاب والمعلمين والمتعلمين في المنطقة، ومضاعفة الدولة جهودها من خلال الخطط الخمسية على تطوير الأرض والسكان، وكذلك وعي المواطن وحرصه على تطوير نفسه وأفراد أسرته، كل هذا زاد من مستوى الحياة الثقافية والعلمية في المنطقة حتى أصبحت قريبة من المناطق الرئيسية في المملكة العربية السعودية[(٢)].

وهناك مؤسسات وروافد رئيسية أسهمت في تطوير الحياة الثقافية في المنطقة، ومنها ما يلي:

١. المكتبات أحد الشرايين الرئيسية لنمو وتطور الحركة الثقافية في المنطقة. فمنذ عام (١٤٢٧-١٤٣٤هـ/٢٠٠٦-٢٠١٣م) وأنا أتردد على منطقة الباحة وقد سمعت ورأيت عشرات المكتبات الخاصة والعامة مثل: مكتبات بعض البيوتات العلمية في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)[(٣)]، والمكتبات الحكومية العامة في المنطقة، كالمكتبات العامة في الباحة، وبلجرشي، والمخواة، وقلوة، والمكتبات المدرسية[(٤)]، ومكتبة الجامعة العامة

---

(١) تاريخ الحياة الثقافية العامة في منطقة الباحة من عام (١٣٥٠-١٤٠٠هـ/١٩٣٠-١٩٨٠م)، موضوع هام وجديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل من إحدى طالباتنا أو طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يكون موضوعاً لأطروحتها، أو أطروحته العلمية، وسوف يجد وينشر جديداً عن مثل هذا الموضوع.

(٢) دراسة تاريخ التنمية التي شهدتها منطقة الباحة منذ (١٤٠٠-١٤٣٤هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٣م)، والتركيز على دور التنمية في تطوير الحياة الثقافية بالمنطقة موضوع مهم يستحق إلى أن يكون عنواناً لكتب من عدة مجلدات. ونأمل من جامعة الباحة وبخاصة من الأقسام ومراكز البحوث المتخصصة أن تولي مثل هذا الباب اهتماماً كبيراً لأهميته وفائدته العلمية الحضارية.

(٣) سمعت من بعض الرواة عن عدد من المكتبات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) مثل: مكتبات عبد الرحمن الغامدي، وآل منصور، وزهرة سعيد الأعمى، وساعد الغامدي، والبركي، وعلي المدني، والسلفية الريحانية وجميعها في سراة غامد. ومكتبات أخرى في تهامة وسراة زهران مثل: مكتبة عائلة السلولي في بلدة المخواة، ومكتبات أحمد وعبد الله ومحمد في قرى آل موسى وخيرة والقوارير في سروا ت زهران. نرجو أن نرى أحد الباحثين الجادين فيخرج لنا دراسة علمية مطولة عن هذه المكتبات وأصحابها وما قاموا به من إسهامات في نشر الثقافة في بلاد غامد وزهران.

(٤) لقد شاهدت وتجولت في أرجاء بعض المكتبات العامة في المنطقة وبعض المكتبات المدرسية مثل: مكتبة المعهد العلمي في الباحة وبعض الثانويات والمتوسطات في سروات غامد وزهران فوجدتها تحوي مئات وبعضها آلافاً من المصادر والمراجع في علوم ومعارف عديدة. .

ومكتبات الكليات النسـائية والرجالية، ومكتبات نادي الباحة الأدبي والنوادي الرياضـية وفـرع جمعيـة الثقافة والفنـون في الباحـة، ومكتبات أخـرى عديدة في بعض المؤسسـات الإداريـة مثـل: الإمـارة، والمحافظـات، وفروع بعض الـوزارات في المنطقة مثـل: العدل، والشـؤون الإسـلامية، والبلديات، والداخلية، والثقافة والإعلام وغيرها[١].وإذا نظرنا في بعض المكتبات الخاصـة منذ أوائل هـذا القرن(١٥هـ/٢٠م) حتى يومنـا الحالي فهناك مئات المكتبـات الفردية والمتنوعة في محتوياتها، وأحجامها وأماكنها، ومصـادرها وطرق تصنيفها ومدى الاستفادة منها [٢].

٢.الكثـير من المؤسسـات الإداريـة والتربويـة والعلمية والاجتماعيـة والثقافية في المنطقـة لديها نشـاطات ثقافيـة متنوعة تمارسـها في حدود نطاقها الجغرافي، وأحياناً على مستوى المنطقة، أو المملكة، أو العالم العربي أو الإسلامي أو العالمي. ومن الأمثلة على ذلك إدارات التربية والتعليم أو الجامعة، أو النادي الأدبي، أو فرع جمعية الثقافة والفنون بالمنطقة لها نشاطات مختلفة تتدرج من داخل المدرسة أو الكلية أو مقر النادي الأدبي إلى خارج المنطقة وإلى خارج المملكة[٣].

٣.من خلال تجوالنا في المنطقة في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) شـاهدنا بعض المناشـط والروافـد الثقافيـة في المنطقـة مثـل: إنشـاء مركـز الملك عبـد العزيز الحضـاري الذي تم إنشاؤه في مدينة الباحة، وهدفه نشر التنمية الثقافية والحضارية بين سـكان المنطقة، وكذلك الغرفة التجارية الصناعية وفروعها في المنطقة فهي الأخرى ذات نشاط حضاري ثقافي اقتصادي اجتماعي هام، ومركز تلفزيون وإذاعة الباحة، وما يصل

---

(١) منـذ عـام (١٤٢٧-١٤٣٤هـ/٢٠٠٦-٢٠١٣م) زرت بعضاً من هذه المكتبات مثـل: مكتبة الجامعـة العامة، والنادي الأدبي، وبعض النوادي الرياضـية مثل: نادي السـراة فوجدتها تضـم آلاف الكتب العربية، والأجنبية وبخاصـة في مكتبة الجامعة العامة، وعشرات المعاجم والموسوعات والدوريات .

(٢) خلال السـنوات الماضـية زرت عشرات الأساتذة والأسر في منطقة الباحة (تهامة وسـراة) ومنهم من يعود نسبه في غامـد وزهـران، وآخرون من خارج المنطقة الغامديـة والزهرانية وأحياناً من خارج المملكة العربية السـعودية، وأولئك الأسـاتذة وبعض أفراد الأسر التي زرنا جميعهم أصحاب شهادات عليا تتراوح بين درجة البكالوريوس إلى درجة الدكتوراه في تخصصـات عديدة . وبعضـاً من حملة الدكتوراه كانوا على درجات مختلفة من أستاذ مساعد إلى درجـة أسـتاذ ، وجميعهم يمتلكون مكتبات كل في مجال تخصصـه، فالطبيب مثلاً تجـد جل مكتبته في الطب، والمؤرخ، أو اللغوي أو القاضـي وغيرهم كل في مجال تخصصـه، وأستطيع القول أن معظم الأسر في منطقة الباحة اليوم يقتنون مكتبات تتراوح محتوياتها كل حسب طاقته واهتمامه من كتب عديدة إلى مئات وربما آلاف العناوين.

(٣) عندمـا زرت منطقـة الباحـة في عامـي (١٤٣٠، ١٤٣٣هـ/٢٠١٠، ٢٠١٢م) واطلعـت علـى نشـاطاتها وندواتهـا ومؤتمراتها العلمية والثقافية وجدتها بالعشـرات خلال العشـر سـنوات الماضـية، ووجدت منهـا المحلي والإقليمي والعالمي، وهذا يدل على الحراك الثقافي الجيد الذي تعيشـه المنطقة، وإذا نظرنا إلى نشـاطات أي منطقة أخرى في البلاد السعودية وجدناها تعيش الوضع نفسه، وهذا مما يدل على ازدياد الحراك العلمي والثقافي الذي تعيشه البلاد السـعودية خلال الثلاثين سـنة الماضية . ودراسـة الحياة الثقافية والعلمية والفكرية في البلاد السعودية في العصر الحديث والمعاصر موضوع هام وكبير ويحتاج عشرات بل مئات الدراسات العلمية الأكاديمية .

إلى هذه البلاد من وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة كلها بدون شك أسهمت في نشر الوعي الثقافي وتطويره عند الأفراد والأسر والمجتمعات في المنطقة، كذلك التقنية الحديثة أسهمت في توسيع دائرة الفكر والثقافة في الديار الزهرانية والغامدية فهناك مواقع ومنتديات وصحف إليكترونية عديدة، بل إن وسائل التقنية الحديثة أصبحت في متناول جميع شرائح المجتمع وهي تحمل كماً هائلا من الفكر والعلم والثقافة المحلية والإقليمية والعالمية(١).

٤. التآليف والطباعة تعد من أهم روافد الحياة الفكرية والثقافية في أي زمان ومكان. وإذا بحثنا عن هذا الجانب في المجتمع الغامدي والزهراني وجدنا له ذكر وتطور ففي القرون الماضية المتأخرة عثرنا على بعض الوثائق والمدونات والمخطوطات التي تم تدوينها وحفظها عند بعض الفقهاء أو البيوتات العلمية في المنطقة(٢). ومنذ نشأة التعليم النظامي في هذه البلاد، وقدوم بعض المعلمين الوافدين من بلدان عربية أخرى ظهر بعض الرسائل والمذكرات والنصوص المكتوبة عن المنطقة، وغالبيتها كانت من نتاج بعض أولئك المعلمين المتعاقدين(٣). أيضاً إنشاء المؤسسات الإدارية في المنطقة، ثم عمل بعض المتعلمين القادمين من خارج المنطقة بها(٤)، وكذلك ظهور بعض الرواد في العلم والتعليم الحديث من أهل المنطقة كل هذا أسهم في تدوين العديد من المدونات أو الكتب والمطبوعات، وقد اطلعنا على فهارس مكتبات جامعات الباحة، وأم القرى، والملك عبد العزيز، والملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة نادي الباحة الأدبي، ومكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة من أجل معرفة ما

---

(١) هذه التقنية الحديثة سلاح ذو حدين فقد وصلنا عن طريقها ثقافات متنوعة في المحتوى والأهداف، ومنها السلبي والإيجابي، وشريحة كبيرة من الناس اليوم يقضون أوقاتاً طويلة في الاطلاع على ما تنقل وتبث، ونسأل الله عز وجل أن يهدينا ويهدي جميع المسلمين إلى خيرها ويصرف عنا شرورها، آمين يارب العالمين.

(٢) لقد عثر الباحث على عدد من هذه المصادر العلمية والثقافية وجميعها تدور في الجوانب المعرفية الإنسانية والأدبية، ونأمل أن تقوم إمارة أو جامعة الباحة بإنشاء مركز علمي ثقافي يجمع فيه جميع الوثائق والمخطوطات والمذكرات التي تتعلق بمنطقة الباحة منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر. وهذا مشروع علمي ثقافي حضاري يخدم هذه البلاد في الحاضر والمستقبل.

(٣) لقد عثر الباحث على بعض القصائد الشعرية والرسائل والمذكرات التي دونها بعض المدرسين عن منطقة الباحة منذ الخمسينيات إلى تسعينيات القرن الهجري الماضي ونأمل نتشر بعضها في كتب أو بحوث قادمة (بإذن الله تعالى).

(٤) إفراد دراسة عن الوافدين من خارج المنطقة للتدريس أو العمل في مجالات حضارية عديدة منذ الأربعينيات إلى تسعينيات القرن الهجري الماضي، مع الحرص على دراسة التأثير والتأثر بين أولئك الوافدين وأهل المنطقة موضوع هام وجدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد الأساتذة الأكاديميين في جامعة الباحة فيتولاه بالبحث والدراسة والتحليل.

تم تدوينه عن منطقة الباحة في شتى المعارف والعلوم، وكذلك معرفة إسهامات أهل المنطقة وبخاصة المتعلمين والمثقفين والأكاديميين منهم فوجدت مئات البحوث والدراسات والكتب في اللغة والأدب، والتاريخ والجغرافيا والرحلات، والنبات، والبيئة، والأنساب والقبائل والمعاجم والأعلام والتراجم، كما وجدت العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية في بعض العلوم العلمية البحتة مثل: الأحياء، والكيمياء، والطب، والفيزياء وغيرها[١]، وهذا يدل على أن منطقة الباحة حظيت بجهود لا بأس بها في التدوين والتأليف من أبنائها وبخاصة في العلوم التاريخية والأدبية، ومن بعض الأكاديميين الزهرانيين والغامديين وغيرهم في ميادين العلوم العلمية[٢]. ومن وسائل الثقافة في المنطقة صدور العديد من المجلات الورقية خلال الثلاثين سنة الماضية مثل: مجلة الباحة، وهي مجلة شائعة تصدرها الغرفة التجارية في الباحة، وكان أول عدد صدر منها في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) . ومجلة صحة الباحة التي تصدر من المديرية العامة للشؤون الصحية بالباحة، وصدور العدد الأول منها كان في عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وجميع موادها المنشورة تصب في خدمة الارتقاء بمستوى الثقافة الصحية في المنطقة . ومجلة المنتدى التي يصدرها النادي الأدبي وتهتم بشؤون الأدب والثقافة والفكر في المملكة العربية السعودية، وفي منطقة الباحة، وفي العالم العربي، وصدر أول عدد منها في عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). ومجلات ومنشورات أخرى عديدة تصدر من إدارات التربية والتعليم ومن بعض المدارس، ومن الجامعة، ومن بعض المؤسسات الإدارية في المنطقة

وإذا نظرنا إلى النشر الإليكتروني فهناك بعض الصحف التي تصدر من أو عن المنطقة، وهناك مواقع فردية وجماعية لبعض أبناء غامد وزهران، وليس هناك صحيفة يومية ورقية تصدر من هذه المنطقة، ونأمل أن نرى مثل هذه الوسيلة قريباً تصدر في هذه المنطقة العريقة بأرضها وسكانها.

---

(١) عثرنا على العديد من الرسائل العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه ومنها المكتوب باللغة العربية وأخرى باللغة الإنجليزية، وكثير منها تناقش موضوعاً أو موضوعات أدبية أو علمية في منطقة الباحة . حبذا أن يخرج من أبناء منطقة الباحة من يقوم بإخراج كتاب علمي في هيئة فهرس (بيليوجرافي) عن كل ما كتب عن منطقة الباحة في شتى العلوم باللغتين العربية والإنجليزية. ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسدي إلى كل باحث وإلى أبناء المنطقة عمل رائد ورائع في محتواه وفي بابه .

(٢) كثير من هذه البحوث طبعت في مطابع محلية وعربية، وبعضها طبع في كتب أو مجلات إقليمية وعالمية، وعند سؤالنا عن المطابع في منطقة الباحة وجدنا مطابع محدودة في إمكاناتها وإنتاجها مثل: مطبعة دار المنار، ومطبعة دار الغامدي للطباعة، والمطابع الريحانية، وهناك بعض الزهرانيين والغامديين الذين يمتلكون مطابع خاصة في بعض مدن المملكة الكبرى مثل: جدة والرياض وغيرها . وجميع المطابع الآنفة الذكر تجارية، وطباعة الكتب اليوم أصبحت يسيرة وسهلة لتوفر مطابع كثيرة داخل وخارج المنطقة، وكذلك الطبع والنشر الإليكتروني الذي بدأ ينافس بقوة الكتب التقليدية .

٣. اللهجات :

إن تجوالنا في منطقة الباحة ومعرفتنا بسكان وأرض هذه البلاد منذ زمن طويل[١]، لفت أنظارنا إلى بعض الأمور الخاصة بلهجات هذه البلاد ونورد أهمها في النقاط التالية :

أ. إن لهجة بلاد الباحة من أقرب لهجات العرب إلى العربية الفصيحة، بل هي ضمن مناطق معقل الضاد في الجزيرة العربية [٢].

ب. تكاد تكون لهجة المنطقة واحدة في أنحاء المحافظات والمراكز والقرى والأرياف مع تباين طفيف بسبب تنوع بيئات البلاد [٣]، وفي الوقت نفسه ينفرد سكان هذه البلاد ببعض الألفاظ والمصطلحات التي لا تستخدم إلا بين أفرادها[٤].

ج. بسبب السفر واختلاط أبناء المنطقة مع غيرهم، ووسائل الاتصال الحديثة كل هذا أثر على لهجات منطقة غامد وزهران، فتجد بعض اللهجات أو المفردات النجدية، بالإضافة إلى مفردات أجنبية مثل الإنجليزية وغيرها، ووجود عمالة كبيرة من الشرق مثل: الهند وباكستان وبنجلاديش والفلبين وإندونيسيا وسرلنكا وغيرها جعلت أبناء المنطقة (نساءً ورجالاً) يسيئون للغتهم بتكسيرها والتلاعب في حروفها ومفرداتها من أجل إيصال ما يرغبون قوله إلى هذه العمالة الأعجمية[٥].

---

(١) الباحث هو من سكان محافظة النماص التي تبعد عن الباحة إلى الجنوب حوالي (١٥٠-١٨٠كم)، ومجاورة منطقة الباحة لمنطقة عسير جعل سكان المنطقتين على اتصال حضاري دائم منذ عصر ما قبل الإسلام إلى يومنا الحالي، بل إن عموم سكان المنطقتين هم من أزد السراة . حبذا أن تجرى دراسات معمقة عن أرض وسكان هاتين المنطقتين منذ العهد الجاهلي إلى وقتنا الحاضر. وهذا العمل مسؤولية الباحثين والمؤرخين المنتمين لهاتين الناحيتين .

(٢) دراسة اللهجات في جنوبي البلاد السعودية، أو في المنطقة التي أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) من الموضوعات الهامة والغنية في مادتها العلمية، والجميل أنه يوجد فيها عدد من الجامعات السعودية الحديثة وكل جامعة يوجد بها كلية لغات وترجمة، وأقسام للغة العربية، وهذه الكليات والأقسام عليها مسؤولية كبرى تجاه لهجات المنطقة فتدرسها دراسات علمية أكاديمية موثقة، وهذا أقل واجب على هذه المؤسسات الأكاديمية، فنرجو أن تقوم بواجباتها تجاه أهل هذه المناطق (الباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والقنفذة). (والله من وراء القصد).

(٣) الذاهب في أرجاء سراة وبوادي وتهامة المنطقة لا يجد صعوبة في الحديث مع الناس والأخذ والعطاء معهم لغوياً، إلا أن هناك بعض الاختلافات في مخارج الأصوات، ومعاني بعض المفردات، وأحياناً تغير الحركات أو بعض الحروف لبعض الكلمات في نواح دون أخرى . انظر أمثلة أكثر في صفحات قادمة .

(٤) نعم هناك كلمات أو عبارات يتميّز بها أبناء منطقة الباحة، بل إن العارف بالمنطقة وأهلها يستطيع أن يميز أي فرد غامدي أو زهراني عندما يتكلم من خلال لهجته ومفردات لغته انظر أمثلة في صفحات تالية .

(٥) هذه ظاهرة عند عموم سكان الجزيرة العربية بل عند جميع سكان العالم العربي الذين يتعاملون مع هذه العمالة الآسيوية الأعجمية، وهذه التعاملات الاجتماعية أثرت كثيراً وسوف تكون تأثيراتها أسوأ وأعمق مع الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا، مع أن جيل الشباب اليوم يعيش مشكلة أخرى أدهى وأمر، وهي دخول وسائل التقنية وما تحمله من لهجات وعبارات سيئة وحسنة، وهذا الجانب التقني وإفراط الشباب في استخدامه دون تعقل ودون معرفة الغث من السمين سوف يكون له عواقب وخيمة على الفكر واللهجة واللغة والقيم وغيرها. ويجب على الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية المتخصصة أن تدرس هذه الظواهر وتعمل جادة على إيجاد حلول جيدة تصب في خدمة الدين والأخلاق واللغة والمبادئ والقيم السامية .

د. المتأمل في لهجات المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وبخاصة ما كان مستعملاً في الأسواق المحلية الأسبوعية وفي مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية، وفي بعض النشاطات الاجتماعية مثل: الاحتفالات، والأعياد، وصور التعاون والتكافل والتآزر نجد الكثير من المفردات أو اللهجات المستخدمة في هذه الميادين المختلفة قد تلاشت وكثير منها ضاع واختفى، وهذا مما سوف يسبب فجوة كبيرة بين الأجيال السابقة واللاحقة، بل إن أجيال المستقبل سوف تكون جاهلة تماماً بالإرث اللغوي الذي عاشه آباؤهم وأجدادهم[١].

هـ. مما شاهدناه وسمعناه بعض الفوارق البسيطة بين لهجات المنطقة، فلهجة البادية في الشرق أشبه بلهجة البدو عامة وخاصة قبائل سبيع والبقوم وأكلب وبالحارث وغيرها[٢]. أما لهجة تهامة والأصدار في الغرب فهي أشبه بلهجات باقي تهامة وبخاصة ما حولها من قبائل العرضيتين الشمالية والجنوبية وزبيد والأشراف بمنطقة القنفذة [٣]. ولهجة جنوب سروات المنطقة مثل: قبائل بالشهم وبني ميمون في وادي شرى فهي أقرب إلى لهجات خثعم وعليان وشمران وبلقرن[٤]، أما لهجة باقي سروات المنطقة من مدينة بلجرشي جنوباً إلى محافظة القرى في زهران شمالاً فتكاد تكون متشابهة مع فروق طفيفة بين لهجة سكان الأشعاف، ولهجات أهل الأودية والأسواق والحواضر الكبيرة[٥].

(١) وإذا اختفى الموروث اللغوي الذي عرفه الآباء والأجداد فهذا سوف يؤثر على أدب وثقافة وقيم ومبادئ الأجيال القادمة. وننادي من على صفحات هذا الكتاب ونحث الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية، والجهات والمؤسسات المختصة أن تجمع وترصد موروث الأوائل اللغوي والثقافي والحضاري وتحفظه وتدونه للأجيال القادمة. كما ننادي بإنشاء نوادي ومتاحف ومراكز حضارية تحافظ على تراث الأوائل في شتى الجوانب، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لأهله وبلاده كنوز ثقافية وحضارية جيدة، بل سوف يحفظها من الخراب والاندثار (والله من وراء القصد).

(٢) قبائل سبيع والبقوم وأكلب وبالحارث مجاورة لمنطقة غامد وزهران من الشرق والشمال الشرقي. وهذه القبائل تميل لهجاتها إلى لهجة البدو في الألفاظ ومخارج الأصوات وغيرها، وهذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة وهي مسؤولية أقسام اللغة العربية في جامعتي الطائف والباحة، ونأمل أن نرى في هذه الأقسام بحوث علمية لغوية عن هذه الأوطان الجديرة بالبحث والدراسة.

(٣) منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى القنفذة وجازان جديرة بدراسة تراثها اللغوي والحضاري. للمزيد انظر ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٥٩ وما بعدها، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) ج٢، ص٣٣١ وما بعدها، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان والقنفذة)، ج٤، ص٢٦ وما بعدها.

(٤) هذه القبائل هي في الأجزاء الشمالية من منطقة عسير، ولها خصوصية في بعض الأصوات والمفردات ومخارج الأصوات، وهي الأخرى جديرة بالبحث والدراسة. ونأمل من أقسام اللغة العربية أو كليات اللغات في جامعتي الملك خالد والباحة أن تتضافر جهودها في دراسة لهجات منطقتي الباحة وعسير وهذا ميدان جدير بالاهتمام من أصحاب الاختصاص.

(٥) سروات منطقة الباحة جديرة بدراسة لهجاتها ولغاتها وسوف نورد في سطور قادمة بعض الأمثلة القليلة لبعض المفردات ومعانيها في هذه البلاد.

من خلال تنقلنا في جنوب سروات المنطقة وبخاصة عند قبائل بني ميمون وبالشهم وجدنا من يقلب أل التعريف إلى ميم فيقال = الرجال : أم رجال، والجمل = أم جمل وهكذا[١]، وهناك من يقلب الكاف إلى جيم مشربة بشين فيقال: بيتك = بيتج، وعمك = عمج، وفي بعض النواحي من محافظة بلجرشي يحدث لبعض المفردات تقديم وتأخير في حروفها، وهذا يسمى القلب المكاني فمثلاً كلمة سروال تقلب إلى رسوال، وحبذا تنطق وحذب[٢]، وقد سمعنا أن نون الأفعال الخمسة في كل حالاتها ترفع وتنصب وتجزم عند غالبية سكان المنطقة، أما جنوب بلجرشي، وفي قبائل بالشهم تحديداً، فتجدهم يحذفون النون من هذه الأفعال فمثلاً كلمة تقومون، أو لا تقومون يلفظونها تقوموا أولا تقوموا وهكذا، وفي عموم المنطقة ينطق السكان (أبو، أخو) بالألف والهمزة مثل: أبو سعيد، أبو محمد، أبوعلي. أما في بلاد بالشهم من محافظة بلجرشي فيحذفون الألف والهمزة مثل: بو سعيد، بومحمد، بوعلي، وقد حصرنا بعض المفردات في محافظة بلجرشي فوجدناها تختلف من مكان لآخر في النطق والمعنى ونذكر أمثلة من ذلك في الجدول التالي:

م	بلجرشي وما جاورها شمالاً	جنوب بلجرشي (بالشهم)	المعنى
١-	نحو، ندر	دعب، ديح	نزل
٢-	سُفَان	بثور	أولاد
٣-	ألَمّح - تلَّمح	تخيَّل	انظر
٤-	الثُمالة	الحِّدة	الجدار الصغير
٥-	شَمْطة	شَنْطه	حقيبة
٦-	مُصَاق	بُصَاق	بصاق
٧-	رسوال	سروال	السروال
٨-	غَمَص	صَمَغ	اللبان أو العلك
٩-	حَقيْنَه	لَبَنة	لبن
١٠-	ويْ ذَابك	ماذا بك، وراك	ماذا دهاك
١١-	وش معك	وش بك	مابك
١٢-	دُرْوَيْها	مَدْرَيْها	مرجيحا(أرجوحة)
١٣-	حَجَر	حَيْد	حَجَر
١٤-	ذيّايَهْ	ذَيْه	هذا
١٥-	تروحون	تروحوا	تروحون

(١) هذه لهجة قديمة في اليمن وعند بعض سكان منطقة تهامة والسراة، ولازالت مستخدمة حتى اليوم . مشاهدات الباحث في نجران وعسير وجازان والقنفذة والباحة خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٢) هذا ما سمعه الباحث أثناء تجواله في محافظة بلجرشي في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

م	بلجرشي وما جاورها شمالاً	جنوب بلجرشي (بالشهم)	المعنى
١٦.	عرفتوك	عرفتك	عرفتك
١٧.	هِنَّيابه، وَهَنَّا، وهِنهْ	هِنِيًّا وهَنِيه	هاهنا
١٨.	ذِبّ تجون	بتاجوا	سوف تأتون
١٩.	مُحُمَّد	مَحَمدَّ	مُحَمدَّ
٢٠.	الحَيْلَهْ	المَلَّهْ	الأرض

وللمنطقة بعض الخصوصية في بعض المفردات والعبارات، فعلى سبيل المثال كلمة ذب أي سوف، فمثلاً ذب نمشي = سوف نمشي . جاء غويره بمعنى جاء يسعى . وفي سروات المنطقة من يقلب الجيم ياءً فيقول للجمل = اليمل، بلجرشي = بليرشي، الرجال = الريال وهكذا . وفي بعض نواحي المنطقة من بقلب الجيم قافاً كاللهجة المصرية فيقول جرب = قرب، وهناك من يقلب الواو ألفاً فيقال عوضه = عاضه، وهي إمالة إلى الفتح، وقد تقلب التاء كافاً فيقال: أنت = إنك وهذه من لهجة حمير[١] . وعرف عند سكان المنطقة ما يمسى بالإشباع في العربية مثل: أنا عرفتوها بمعنى أنا عرفتُها، إشباع الضمة إلى الواو، أنت عرفتاها بمعنى أنت عَرفتَها، إشباع الفتحة إلى الألف، وعلى هذا قس: أخذتوها = أخذتُها، أخذناها . سمعتوك= سمعتُك، سمعناك... وهكذا[٢] .

وفي سراة غامد وزهران عندهم ضم آخر الكلمة في حالة الرفع عند التوقف، وعندما تنطق الكلمة كان في آخرها واواً . مثلاً بيت = تسمع من ينطقها بيتو . رز= رزو وهكذا، وفي بوادي غامد يقلب أحياناً الكاف سيناً مثل: بيتك = بيتس . جيدك = جيدس . وفي بعض نواحي المنطقة تحذف أل التعريف مثل: البيت = آبيت. السيارة = آسيارة. أو اس= آس[٣] .

سادساً : الخاتمة . نتائج وتوصيات :

في الأيام العشرة التي قضيناها في التجوال في ربوع منطقة الباحة، استطعنا أن نخرج بعدد من الرؤى والنتائج والتوصيات التي ندرجها في النقاط التالية :

أ ـ عراقة أنساب وتاريخ وحضارة هذه البلاد، وقد شاهدنا ذلك في تقاسيم وجوه أهلها وفي طباعهم وأعرافهم وكرمهم وحبهم لمؤانسة الأجنبي والغريب، كما لمسنا ذلك

---

(١) لهجات منطقة السراة خليط من لهجات الأزد وحمير ومذحج وبعض قبائل الحجاز مثل: هذيل وهوازن وثقيف وغيرها . ودراسة لهجات هذه المنطقة تحتاج إلى جهود جبارة من الباحثين والمؤسسات الأكاديمية في المنطقة وبخاصة كليات وأقسام اللغة العربية . ونأمل أن نرى بحوثاً عملية رصينة في هذا الميدان .

(٢) هذا ما شاهده وسمعه الباحث أثناء تجواله في المنطقة في الفترة من (٢٩/١١/ - ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) ما تم الإشارة إليه في هذه الجزئية الخاصة باللهجات فقط أمثلة ونماذج، مع أن منطقة الباحة غنية بمفرداتها ولهجتها وتحتاج إلى دراسات عديدة منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، ومن يقم بخدمة مثل هذا الموضوع علمياً وأكاديمياً فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين وسكان منطقة الباحة معروفاً كبيراً، ولن يحرمه الله عز وجل من الأجر والمثوبة (بإذنه تعالى) .

في قراهم ومنازلهم وأسواقهم الأسبوعية وطرقهم القديمة، وإذا انتقلنا إلى صور التمدن الذي تعيشه المنطقة حديثاً فمنها الإيجابي مثل: تطور التعليم، والاقتصاد، وأحوال الناس المعيشية، واتصال أهل البلاد بغيرهم من سكان المملكة وغيرهم من خارج البلاد، أما السلبية فهي الأخرى عديدة مثل: ضعف الروابط الاجتماعية في التكافل والتعاون، واتساع نظام الحياة على الفرد والأسرة والمجتمع، والتفاوت في أحوال الناس الاقتصادية وغيرها.

ب- إذا نظرنا إلى نظام التربية والتعليم والثقافة والفكر والتنمية بشكل عام، وجدنا المنطقة تعيش في طفرة حضارية لا بأس بها من حيث تزايد عدد السكان، وتزايد عدد المراكز الحضارية الإدارية والتجارية والتنموية، بل إن إنسان اليوم أصبح في وضع حضاري متمدن أحسن مما كان عليه جيلٍ الآباءِ والأجداد، لكن مبادئ وقيم وأخلاقيات الأوائل كانت أكثر متانة ورسوخاً وصدقاً وثباتاً من جيل يومنا الحاضر[١]، وهناك بعض النتائج والتوصيات التي نذكرها على النحو التالي:

١. المنطقة إلى عهد قريب كانت ذات منتوجات وصادرات عديدة مثل: اللوز، والعسل، والحبوب، والمواشي، والعنب، والرمان وغيرها. وقد انقرضت اليوم وتلاشت جميع هذه الصادرات، وأصبحت البلاد معتمدة على الاستيراد من داخل وخارج المملكة العربية السعودية[٢]. والواجب على المؤسسات الإدارية المعنية وأعيان ووجهاء وأغنياء المنطقة أن يبحثوا عن بدائل اقتصادية استثمارية مثل: فتح بعض المشاريع الاقتصادية التي تخدم الفرد والمجتمع على حد سواء، كما يجب أن تكون هناك دراسات ومشاريع سياحية جيدة تعود على المنطقة بعوائد مادية واقتصادية جيدة[٣].

٢. تغص المنطقة بعشرات المواقع التراثية الأثرية مثل: القرى القديمة، والأسواق الأسبوعية، والحصون والقصور الأثرية، والطرق، والمدرجات الزراعية، والأودية والجبال التاريخية، والرسومات والنقوش والآثار، والآبار، والمقابر وغيرها، وجميع هذه المصادر التراثية لازال الكثير منها ماثلاً للعيان، لكنها في طريقها إلى الخراب والدمار، والواجب على الإمارة والمحافظات، والجامعة، ومؤسسات التربية والتعليم،

---

(١) من يجري دراسةٍ مقارنة عن مبادئ وأخلاقيات وقيم وصفات الفرد والمجتمع قديماً وحديثاً فإنه سوف يجد بوناً شاسعاً وفروقاً جلية بين الماضي والحاضر. فالحياة المادية اليوم طغت بشكل كبير على سلوكيات الناس، ومن ثم تراجعت الصفات الأخلاقية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة. وجامعات جنوبي البلاد السعودية عليها مسؤولية عظمى تجاه دراسة الماضي والحاضر واستخلاص الفوائد والعبر والدروس، وهذا لن يتوفر إلا بفتح مراكز بحوث علمية تخدم مثل هذا الجانب، وجلب كوادر علمية مدربة صادقة ونزيهة تتولى مثل هذه المشاريع الهامة والمفيدة.

(٢) هذا ما شاهدناه وسمعناه وقرأنا عنه في بعض الكتب والوثائق والمذكرات، وتاريخ منطقة الباحة الاقتصادي خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٣) تجولت في بعض الأماكن السياحية في البوادي والسراة وتهامة فوجدت مواقع جغرافية مؤهلة للسياحة مثل: الغابات، والجبال، والطرق، والأسواق، والقرى الأثرية وغيرها، لكن الخدمات والعوامل المساعدة للسائح والسياحة مثل: الفنادق والشقق المفروشة، ودورات المياه، والأسواق والحدائق والملاهي في الأماكن السياحية، ومراكز للإرشاد السياحي وغيرها تكاد تكون معدومة، وإن وجد بعضها في المدن الكبرى مثل: الباحة وبلجرشي وغيرها فتجد أسعارها عالية، بل إنها لاتصل إلى مرتبة الجيد في الجودة والخدمة. مشاهدات الباحث في الفترة من (١١/٢٩- ١٢/٩/١٤٣٣هـ).

والهيئة العليا للسياحة والوجهاء والأغنياء من أهل المنطقة أن يقوموا بمسؤولياتهم تجاه هذا التاريخ المشرق فيحافظوا على هذا الموروث الحضاري، وإن فعلوا ذلك فهو من باب الواجب عليهم، ثم إنهم سوف يحفظون لأبنائهم وأحفادهم تاريخ آبائهم وأجدادهم خلال القرون والعقود الماضية[١].

٣. أما التنمية العمرانية، فالواقع أن المنطقة تعيش مرحلة تطور جيد، لكن لازال هناك العديد من الجوانب التي تحتاج إلى تطوير أفضل، مثل: زيادة الطرق المعبدة بين المحافظات والمراكز الرئيسية، وحبذا أن تكون طرقاً مزدوجة، كما أن بعض القرى والبوادي والأرياف لازالت بحاجة إلى طرق جديدة. أما مطار الباحة فطاقته محدودة، ويحتاج إلى توسيع في مدرجاته وأبنيته وخدماته، كما أن الجزء التهامي مع منطقة القنفذة يحتاج إلى مطار آخر كي يخدم مئات الآلاف من السكان[٢]. والمدن والحواضر الرئيسية في المنطقة (تهامة وسراة) تحتاج إلى تخطيط أفضل في شوارعها وأسواقها وخدماتها ومؤسساتها الإدارية، وبعض الطرق الرئيسية التي تربط أطراف المنطقة مع بعضها البعض، بل تربط المنطقة مع مناطق أخرى تحتاج إلى زيادة خدمات في محطاتها واستراحاتها وغيرها[٣].

٤. منطقة الباحة داخلية بالنسبة لمناطق مكة المكرمة وجازان وعسير، وهذه المناطق الثلاث الأخيرة لها منافذ طبيعية على البحر الأحمر، ومنطقة الباحة حسب مساحتها الجغرافية الكبيرة وعدد سكانها الكبير فإنها هي الأخرى تحتاج إلى منفذ بحري، وهذا مما سيعود على أهلها بفوائد اجتماعية واقتصادية عديدة، حبذا أن يدرس هذا الموضوع من قبل المسؤولين في الدولة، وحبذا أن يطالب سكان منطقة الباحة بهذه الخدمة، ونأمل أن يتحقق كل ما فيه خير وصلاح للبلاد والعباد [٤].

٥. لازالت منطقة الباحة بحاجة إلى العديد من المحاضن والمؤسسات الثقافية والتعليمية، فالجامعة عليها دور أكبر بزيادة فروعها وفتح كليات ومؤسسات أكاديمية في جميع محافظات المنطقة، والنادي الأدبي وجمعية الثقافة والفنون عليهما أيضاً مسؤوليات أعظم فتضاعف مناشط هاتين المؤسستين وتزيد فروعها بالمحافظات الكبرى في

---

(١) شاهدنا عشرات النقوش والرسومات الصخرية التي يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل الإسلام، وهناك قرى وحصون وطرق ومدرجات يعود تاريخها إلى مئات السنين. كما أن هناك بعض المخطوطات والوثائق الموجودة عند بعض الأسر وبيوتات العلم القديمة. وكل هذا التراث يحتاج إلى حفظ ورعاية وتوثيق وتدوين، وهذه مسؤوليات المؤسسات الأكاديمية، لكن لابد من توفر دعم معنوي ومادي من الجهات المسؤولة ومن الأغنياء وأصحاب الثراء في المنطقة.

(٢) منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى جازان تحتاج إلى أكثر من مطار للكثافة السكانية العالية في هذه المنطقة، وللحاجة الشديدة والملحة إلى مثل هذه المشاريع التنموية الحضارية. هذا ماشاهده الباحث ولمسه أثناء تجواله في هذه البلاد منذ عدة سنوات.

(٣) هذا ما لمسه الباحث أثناء تجواله في المنطقة في الفترة من (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٤) منذ عقود عديدة وأنا أتجول في أرجاء المنطقة الجنوبية، وهذا ما لمسته أثناء المشاهدة والخبرة والسير في مناكب تهامة والسراة، ونقول إن منطقة الباحة بحاجة إلى البحر، ولو ضمت منطقة القنفذة مع منطقة الباحة حتى تصبح منطقة واحدة، فهذا قد يرفع ويزيد من تنمية وتطوير المنطقتين.

المنطقة، ويكون الباب والتشجيع مفتوحاً وميسراً لكل مثقفي ومثقفات المنطقة، ولا تكون خدمات مثل هذه المراكز محصورة في ناحية أو مدينة أو شريحة محدودة[١].

٦. على صفوة أهل العلم والأدب والفكر والثقافة من بلاد غامد وزهران وخاصة المقيمين خارج منطقة الباحة أن تكون لهم إسهامات مباشرة على أرضهم وأهلها فيكونوا على اتصال دائم بحراكها الثقافي والعلمي والفكري، بل عليهم أن يسهموا من خلال تخصصاتهم وعلومهم وخبراتهم بما يخدم أوطانهم معرفياً وحضارياً. كما أن صناع القرار وطبقة الفكر والثقافة والعلم داخل المنطقة عليهم أيضا مسؤوليات كبيرة فيكونون على اتصال دائم بإخوانهم وبني جلدتهم من أهل العلم والفكر والأدب خارج المنطقة، ويتعاون الفريقان في كل ما يعود بالخير والفائدة على ديارهم وأهلها، وعلى الجميع أن يبذلوا قصارى جهودهم لاستجلاب بعض المناشط العلمية والفكرية والثقافية إلى بلادهم مثل: معارض الكتاب الإقليمية والدولية، والندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية، وبعض المناشط الدعوية والاجتماعية والاقتصادية والتطوعية وغيرها[٢].

٧. هناك العديد من القضايا التي يجب على أهل الرأي والقرار والوعي السليم في المنطقة الانتباه إليها مثل: تشجيع الهجرة العكسية لأبناء المنطقة من المدن الكبرى إلى مدنهم وحواضرهم في منطقة الباحة، مع الحرص على توفير الخدمات الهامة والضرورية لهم ولغيرهم من سكان البلاد[٣]، حبذا أن يشجع فتح المجالس والمنتديات (الصوالين) الأدبية والثقافية في المنطقة، وهذا سوف يساعد على تنمية الوعي والثقافة والفكر عند الناس، كما يجب فتح مراكز اجتماعية رياضية ثقافية وينشر من خلالها الوعي الثقافي في البناء مثل: الحفاظ على مقدرات البلاد وتراثها وموروثها الحضاري، ومحاربة السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الهدامة، ونشر الثقافة والأدب العفيف للفرد والأسرة والمجتمع[٤].

---

(١) زرت منطقة الباحة عدة مرات، وحضرت عدداً من المناسبات الثقافية والفكرية، وجميعها تقام في مدينة الباحة، وعند ذهابنا إلى مدن ومحافظات أخرى قابلنا العديد من المثقفين وأرباب القلم، لكنهم في عزلة عما يحدث من حراك ثقافي في مدينة الباحة، ويجب على المراكز والمؤسسات نفسها أن تبادر وتشرك الجميع في مناشط الحياة الثقافية والأدبية والفكرية والتعليمية، وهذا العمل من أهم مسؤولياتها .

(٢) هناك عشرات المناشط المتنوعة في أطروحاتها وأهدافها على مستوى المملكة أو العالم العربي، وقد يستضاف بعضها على أراضي الباحة، واستجلاب مثل هذه النشاطات يعود بفوائد حضارية عديدة على البلاد وأهلها.

(٣) تطوير القرى والأرياف والمناطق النائية، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية وغيرها تعد من الأسباب التي تخلق هجرة عكسية من المدن الكبرى إلى المناطق والبلدان الصغيرة، وهذا ما تحتاجه منطقة الباحة ومثيلاتها من مناطق المملكة العربية السعودية.

(٤) في المجتمع كثير من المشاكل الاجتماعية والثقافية والحضارية، وإنشاء مراكز ونوادي تعالج مثل هذه القضايا يعد من الضروريات التي يجب على الدولة والمجتمع أن يعمل من أجل تأسيسها ورعايتها .

الدراســـة التاسعـــة

صور من التعليم النظامي للبنين . بمنطقة الباحة خلال العقود الماضية المتأخرة .

بقلم :أ . سعد بن عبد الله بن أحمد المليص (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ونجران) ، ط١
(١٤٣٤هـ ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ٣٠١ - ٣١٥

الدراسة التاسعة: صور من التعليم النظامي للبنين. بمنطقة الباحة خلال العقود الماضية المتأخرة. بقلم أ. سعد بن عبد الله بن أحمد المليص[(١)].

(*) مدخل[(٢)]:

كان لي الشرف أن ألتقي بالشيخ سعد المليص في بلاده مدينة الباحة عام (١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م)، فوجدت ذلك الرجل الطاعن في السن، على قدر كبير جداً من الأدب واللطف وحسن الخلق[(٣)]. ومن الصدف أثناء الحديث مع هذا الشيخ الكريم أن أخبرني أنه كان صديقاً حميماً وزميلاً للأستاذ محمد أحمد أنور عسيري[(٤)].

وفي إحدى الليالي، أثناء زيارته في مكتبه بنادي الباحة الأدبي[(٥)]، تحدثنا عن تاريخ حضارة بلاد الباحة، وطلبت منه أن يزودني ببعض المدونات عن هذه البلاد الكريمة، وقدمت له خطاباً يشتمل على عدد من المحاور[(٦)]، ووعدني بعد ذلك خيراً، ومع الاتصالات

---

(١) الشيخ سعد بن عبد الله بن أحمد المليص من مواليد مكة المكرمة عام (١٣٤٦هـ). تعلم في مدارس ومعاهد مكة وتخرج منها عام (٦٨/١٣٦٩هـ). بدأ حياته الوظيفية موظفاً إدارياً بمالية منطقة الباحة عام (١٣٦٨هـ)، ثم مديراً للأحوال المدنية بمنطقة الباحة عام (١٣٦٩هـ)، وفي نفس العام صار مديراً لمدارس بني ظبيان، ثم استمر في مهنة التدريس والإدارة والإشراف التربوي حتى أحيل للتقاعد المبكر عام (١٤٠٥هـ). ومن يتابع إنجازاته وجهوده التربوية والتعليمية في منطقة الباحة يجد أنه قضى حياته في خدمة بلاده وأهله، بل هو جدير أن يصدر عنه دراسات ترصد ما قدم من جهود تذكر فتشكر في ميادين عديدة وبخاصة في ميدان التربية والتعليم. وله جهود أخرى في خدمة منطقة الباحة فتجده عضواً في العديد من اللجان والمؤسسات الأهلية، كما أنه يعمل في مجالات البر والدعوة، بالإضافة إلى رئاسته عرافة جماعته أهالي قرى المقاضية بمنطقة الباحة. تولى رئاسة نادي الباحة سنوات عديدة، وهو عضو في العديد من الجمعيات والمؤسسات الحكومية والأهلية. حصل على العديد من الجوائز والتكريمات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وله العديد من المؤلفات مثل: (١) كتاب تبسيط المعاملات المالية في الشريعة الإسلامية. (٢) كتاب حوار تربوي قصير. (٣) كتاب رحلتي مع التعليم. ولديه العديد من الكتب والدراسات التي لازالت مسودة وقد تطبع وتنشر في المستقبل. والشيخ سعد المليص رجل على قدر كبير من اللطف وحسن الخلق، فهو يمتاز بالهدوء في تصرفاته، وأليف أثناء تعاملاته مع الآخرين، بالإضافة إلى ورعه ودماثة أخلاقه. وقد التقيت به مرات عديدة فوجدته قامة اجتماعية وثقافية تستحق أن يكتب عنها، فلديه من الأخبار والتجارب والروايات ما يفيد أجيالنا المعاصرة والمستقبلية. وإني آمل أن يقوم أحد أبناء بلاد غامد وزهران الكرام بتأليف كتاب عن هذه الشخصية الغامدية السروية الأزدية، وهو جدير بذلك ويستحقه. (والله من وراء القصد).

(٢) هذا المدخل من عمل صاحب الكتاب (ابن جريس).

(٣) الشيخ المليص وأعلام آخرون كثيرون قبله وبعده من أهالي منطقة الباحة يستحقون أن يدون عنهم تراجم مطولة ترصد جهودهم وإنجازاتهم لدينهم وبلادهم وبني جلدتهم. (ابن جريس).

(٤) محمد أنور، كما ذكرنا أكثر من مرة في مؤلفاتنا، لم نقابله نره، مع العلم أننا أخرجنا العديد من الدراسات والمدونات عن هذا الرائد في مجال التربية والتعليم. انظر ابن جريس، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور (الرياض: مطابع الحميض) ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ١٢ وما بعدها. (ابن جريس).

(٥) تولى المليص رئاسة نادي الباحة الأدبي سنوات عديدة، انظر ترجمته في حاشية سابقة.

(٦) هذا الخطاب عام في صيغته فقد يقدم لأي رائد أو من يستطيع أن يقدم لنا معلومات تاريخية جديدة بالنشر عن جنوبي البلاد السعودية، وقد نشرنا نماذج من هذا الخطاب في بعض مؤلفاتنا. للمزيد انظر، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص٦٠١-٦٠٧. ج٤، ص٥٢٩-٥٣٧.

والإصـرار عليـه، وفقـه الله تعالى، أرسـل لنا بعض لمحـات عن تاريخ التعليـم في منطقة الباحة، والجميل في هذه الأقوال التي أوردها شـيخنا أنها صـدرت من علم عاصـر وعمل في التربية والتعليم منذ سـبعينيات القرن الهجري الماضـي . ولهذا أوردناها كما وصلتني مع وضـع عنوان لها هو: **صـور من التعليم النظامي للبنين بمنطقة الباحة خلال العقود الماضية المتأخرة**[١] .

١ـ التعليم والتعلم:

شـهدت منطقة الباحة قفزة في نشـر الأدب والثقافة والتعلـم والتعليم في هذا العهد السعودي المبارك، الذي يمسي ويصبح تحت مظلته الشعب السعودي الوفي قرير العين آمناً في سـربه معافى في عقيدته، يتزاحم مع أقرانـه تحت لواء العز والكرامة والوفاء والرخاء والإخاء للتنمية الشاملة منذ توحدت المملكة العربية السعودية في عهد المؤسس الأول الملك العظيم السـلفي عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصـل آل سـعود وأبنائه الملوك: سـعود، وفيصل، وخالد، وفهد (رحمهم الله) وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وسمو ولي عهده وإخوتهم وأبنائهم وأحفادهم. والأسرة الكريمة السعودية قيادة وشعباً حفظهم الله جميعاً .

٢ـ آلية التعليم سابقاً :

أسست المدرسة الأميرية بالمنطقة. تحت مسمى : مدرسة تحضيرية تارة، ومدرسة قروية تارة أخرى، وكان نظام التدريس بهذه المدارس أشـبه بنظام الكتاتيب لا يتعدى التحصـيل الدراسي فيها عن: حفظ كتاب الله نظراً، وحفظ التوحيد والفقه والتاريخ والجغرافيا حفظاً آليـاً، كمـا لا كيفاً، إلا أن القائمين عليها يهتمون بغرس العقيدة السـلفية في نفوس الناشـئة بلفت أنظارهم إلى الآيات الكونية التي تقع تحت حواسهم، ويطبقون هيئة الوضوء والصلاة تطبيقـاً عمليـاً : ويطبقون بعض قواعـد اللغة العربيـة حفظاً، ويهتمون بتحسـين الخطوط والإمـلاء والإنشـاء، وقواعد الحسـاب الأربـع: الجمع والطرح والضـرب والقسـمة لحاجة المجتمع الإداري آنذاك إلى كتاب يتقنون القراءة والكتابة ومبادئ الرياضيات البحتة[٢] .

٣ـ تفوق بعض المدارس في قواعد الحساب الأربع وتحسين الخط والإملاء والإنشاء:

حقاً إن بعض طلبة هذه المدارس كمدرسـة الظفير، ومدرسـة بلجرشـي، ومدرسـة بني

---

(١) هذا العنوان من عمل صاحب الكتاب، كما أوردنا في الحواشي بعض التعليقات والتوضيحات، وحتى نميز ما ذكرنا مع ما دون شيخنا المليص، نورد كلمة ابن جريس بين قوسين .

(٢) التعليم النظامي في بداياته كان بسـيطاً في إمكاناته وكوادره البشـرية . وأصبح التعليم العام والعالي اليوم منتشراً في كل صقع من أصقاع المملكة العربية السعودية(ابن جريس).

ظبيان، ومدرسة رغدان، وبعض المدارس بالمنطقة تفوقوا في إتقان الخط وقواعد الحساب الأربع والإنشاء مما جعل الدوائر الحكومية تستفيد من هؤلاء الطلبة في الأعمال الإدارية والمحاكم الشرعية مثل: الأساتذة عبد الرحمن السعدي، وسعيد محمد حامد، وحمدان عطية، ومحمد أحمد الزهراني، وعبد الله بن علي بن صالح الجيلاني، وعلي محمد الجيلاني، وأحمد الأفندي، وعلي بن سعيد بن عزه، وعبد الخالق مديس، ومحمد سعد فيضي، وعوضة بن يماني، وعلي بن مقبول بن حسن، وصقر سعيد، وصالح بن ناجي، ومشرف عدنان، وأحمد محمد الزهراني، وحسين عبد الله موجان. الذي كان له ولسلفه من مديري مدرسة بني ظبيان سبق العطاء التربوي الجاد المخلص، وعبد الرحمن رمزي، وسالم بن صالح الحمري، وجابر بن عبد الرحيم بن جابر وغيرهم في دنيا التعلم والتعليم الأولي الجاد آنذاك، وهؤلاء الرعيل كانوا مبدعين جادين مجتهدين، وكان لكل واحد منهم ومن طلبتنا ببني ظبيان وبالمنطقة تاريخ مشرف في خدمة الوطن والمواطنين قيادة وتربية وتوجيهاً وإدارة رحم الله من توفي منهم وحفظ من بقي منهم على قيد الحياة وبارك الله في أبنائهم وأحفادهم[١].

٤. تخريج الشهادة الابتدائية:

إلا أن هذه المدارس لم تخرج الشهادة الابتدائية حتى بداية عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) عدا مدرسة بني ظبيان التي بدأت تخرج الشهادة الابتدائية عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وتلتها عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) مدرسة بني محمد ببني ظبيان بقيادة الأستاذ سعيد أبو راس وزملائه رحمه الله، ومدرسة الجبل والرمادة بقيادة بعض أبنائنا الطلبة كعلي محمد أحمد الكردي، والدكتور سعيد محمد المليص وغيرهم من أبنائنا الطلبة، ومدارس أخرى بالمنطقة كمدرسة الظفير ومدارس الرهوة ورغدان وبلجرشي بقيادة الشيخ الفقيه محمد بن سعد البركي وبالرقوش وغيرها من مدارس المنطقة سهلاً وجبلاً، وتهامة وبادية، وذلك بعد أن تم لنا نحن منسوبي مديرية المعارف آنذاك خلال الأعوام من (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) حتى عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) كالأستاذ حسن صالح فقيها، والأستاذ حسن علي غسال، والأستاذ عبد المنعم عبد الملك قاضي، والأستاذ محمد علي الشالي وغيرهم من رجال التربية والتعليم فرصة مسح المنطقة سراة وتهامة وبادية إبان زيارتهم للمنطقة بتكليف من وزارة الداخلية التي كانت مديرية المعارف آنذاك ترتبط بها قبل تكوين الوزارة برئاسة الأمير فهد بن عبد العزيز في عهد الملك سعود بن عبد العزيز (رحمه الله)[٢].

---

(١) حبذا أن نرى من أبناء بلاد غامد وزهران، أو من أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية من يقوم بدراسة تاريخ التعليم في منطقة الباحة خلال العصر الحديث والمعاصر، ومن يفعل ذلك فسوف يضيف إلى المكتبة العربية الإسلامية دراسة علمية جيدة ومفيدة (ابن جريس).

(٢) تاريخ بلاد غامد وزهران السياسي والحضاري خلال عصور ملوك آل سعود (عبد العزيز، وسعود، وفيصل، وفهد، وعبد الله) جدير بالبحث والدراسة. وجامعة الباحة عليها مسؤولية عظمى تجاه هذه المنطقة فتشجع الباحثين على دراسة هذه المنطقة الجديرة بالبحث والدراسة والاهتمام. (ابن جريس).

أخذت البلاد تشق طريقها علماً وعملاً إلى الهدف المنشود الذي رسمه لها مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (رحمه الله) تحت قيادة أبناء وأحفاد هذه العائلة السعودية المباركة فأصبحت المملكة المترامية الأطراف نموذجاً للتمدن والحضارة والتنمية الشاملة ومضرب الأمثال بين الأمم المتحضرة : رخاءً وأمناً واستقراراً وعلماً وثقافة وصناعة وشوكة وإخاءً بفضل من الله تعالى .

٥. النهضة القيادية التربوية ببني ظبيان:

للنهضة القيادية التربوية ببني ظبيان فصول زمنية ومكانية تضيق هذه المساحة بذكرها إلا أن الذي لا يدرك كله لا يترك جله وكان لزاماً علينا أن ننوه عن بعض منجزات هذه النهضة باختصار:

أ. نشأة النهضة التربوية والثقافية ببني ظبيان:

نشأت النهضة التربوية والثقافية ببني ظبيان عام (٦٩.١٣٧٠هـ / ٤٩.١٩٥٠م) امتداداً لجذورها مع أسلافنا السابقين بها عندما استثمرنا مديرية المعارف عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) نحن وبعض الزملاء وضمتنا وزملاءنا إلى ركب التربية والتعليم بالمنطقة ومنا العائدون من المدن الحضارية مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وأسندت إلى هذه الكوكبة قيادة مدرسة بني ظبيان فتم جمع فلول الطلبة المبدعين وذوي الطموح فكونوا بهم قيادة النهضة الثقافية والتربوية بالمنطقة فكانت الانطلاقة التربوية .

ب. تأسيس معهد ليلي تحت مسمى مدرسة ليلية بني ظبيان:

١. تأسيس معهد ليلي: لتعليم الذين فاتهم التوسع في التعليم في الصغر ببني ظبيان وتهيئتهم للعمل التربوي والإداري وتم ذلك بعون الله بجهود ذاتية واشترك معنا في هذا المعهد الذي كان يسمى آنذاك : المدرسة الليلية بني ظبيان أصحاب الفضيلة الشيخ محمد بن حمود بن صلاح، والشيخ صالح بن حسين العشماوي وغيرهما من الأساتذة الذين زاروا المدرسة من مديرية المعارف كالأستاذ حسن بن صالح فقيها زميل الدراسة الذي سلم إلى هذه الكوكبة قيادة المدرسة الابتدائية ببني ظبيان وقال: (في بني جلدتك قدم رسالة الدكتوراه) عندما سألناه هل تحصلت على رسالة الدكتوراه التي كنا نمني أنفسنا وإياك على استحصالها من كلية دار العلوم. بجامعة القاهرة رغم أنني لا أدرك كنهها آنذاك [ولهذا قصة تاريخية في نفوسنا] لا تسع هذه الصفحة سردها. والأستاذ علي حسن غسال، والأستاذ عبد المنعم قاضي وغيرهم. كما تحدثنا آنفاً. وجميعهم من منسوبي المعارف

وتخرج من هذا المعهد أي المدرسة الليلية المذكورة [١] [رجال صدقوا ما عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً] كأصحاب الفضيلة والأساتذة يحيى بن علي بن حمود، وعلي سعد أبو عالي، وراشد بن أحمد بن خضر، وحسن بن سعيد المبعوث، وعطية بن محمد أبو رياح، وأحمد المنصوري، وصالح الزبير، وصقر بن سعيد الذي كان له اليد المساعدة الصادقة لهذا المعهد والمدرسة الابتدائية ببني ظبيان إدارة وتطويراً، وحمود بن يحيى المهدي، وعلي بن يحيى بن حمود، وعلي بن يحيى بن سعيد، ومحمد ابن يحيى بن سعيد، وعبد الله بن سعيد، وهاجس بن مسفر، وسعد بن أحمد بن عبد الرحمن، ومحمد الشملاني، وعبد الرحمن بن عيسى، وعلي بن أحمد دماس، وعلي بن مسفر دماس، وأحمد بن صالح اليماني الذي عاصر التحصيل الدراسي لهذه المؤسسات، واشترك في تنمية الثقافة الشعبية ومحو الأمية بتعليم الباحة مع زملائه الموجهين السعوديين والسوريين كالأستاذين جمال العس، ومحمد عبد السلام حافظ، والرجل المهاجر المخضرم صالح بن عبد الله الزبير، وأحمد عبد الله بن ضيف الله، وعلي بن سعيد بن قسقس، وأحمد بن مسفر، وعبد الله بن سعيد بن خضر، ويحيى بن مهدي، وسعيد بن دماس بن محمد، ومحمد وأحمد وخضر أبناء ريح الله، وعلي بن هاجس، وعبد الخالق بن غرم الله، وعدد كبير لا تسمح مساحتنا هذه لذكرهم، وقد اشترك معنا في تهيئتهم للعلوم العصرية عدد من الزملاء أبناء الدول العربية الذين تم استقدامهم للتدريس بالمدارس الحكومية الابتدائية النهارية آنذاك حتى تم لهذه النخبة الموفقة التأهيل للتدريس والقيادة والاقتصاد، ففتح الله لهم الطريق السوي للاشتراك معنا في التربية والتعليم، وانخراط بعضهم في الأعمال القيادية كهيئة الأمر بالمعروف ومنهم فضيلة الشيخ محمد بن يحيى بن علي ابن سعيد، ويحيى بن مهدي، وأحمد المنصوري وغيرهم.[٢] ومنهم من نال الدرجات العلمية الأكاديمية رحم الله من قضى نحبه وحفظ الله من هو منتظر ومد الله في أعمار أبنائهم وأحفادهم ليحذوا حذو أسلافهم.

ج- تصنيف الفصول الدراسية بداخل المدرسة:

تصنيف الطلبة المتفوقين بداخل مدرسة بني ظبيان: إلى فصول دراسية حسب مستوياتهم العلمية: بداية من الصف الأول إلى الصف السادس ومتابعة تحصيلهم الدراسي ليل نهار حتى تمكنت المدرسة من تخريج الدفعة الأولى للشهادة الابتدائية عام

---

(١) إيجاد دراسة وتراجم لأعلام بلاد غامد وزهران خلال القرنين (١٣. ١٤هـ / ١٩. ٢٠م) موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة. حبذا أن نرى من أبنائنا الباحثين من يتولى هنا الموضوع بالبحث والدراسة (ابن جريس).

(٢) شكر الله لك يا شيخنا سعد المليص فقد حفظت أسماء رجال كرام كان لهم اليد البيضاء على بلاد وسكان غامد وزهران وبخاصة في مجالي التنوير والتعليم. ونأمل أن نرى من أحد المؤرخين الجادين من يتولى هؤلاء الرجال بالبحوث والدراسات العلمية الأكاديمية الرصينة (ابن جريس).

(١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) وهيأتهم للعمل التربوي والقيادي، وبهم بعد الله الذين تمت النهضة التربوية ببني ظبيان وبالمنطقة ومنهم :

(*) الدفعة الأولى عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) : (١) د. سعيد محمد المليص تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وقد اشترك في تأسيس المدارس الريحانية والمدارس الليلية، وامتطى صهوة المناصب القيادية مثل: وكيل وزارة المعارف وعضو مجلس الشورى إلى مدير مكتب التربية العربي لدول الخليج . (٢) محمد عبد الله غنام تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وشارك في المدارس الليلية. (٣) سعد علي الكردي تخرج عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) وقد اشترك في تأسيس المدارس الريحانية والمدارس الليلية.(٤) عبد الله صنقور تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وقد اشترك في عمل المدارس الريحانية والمدارس الليلية. (٥) محمد العبد الله تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) اشترك في تأسيس المدارس الليلية. (٦) أحمد بن محمد عيده تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م). (٧) عبد الله سعد الدربي تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) . (٨) أحمد التابعي تخرج عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م). (٩) سعيد بن عوضة دماس تخرج عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) واشترك مع زملائه في التنمية التعليمية . وجميعهم اشتركوا معنا في نشر العلم والثقافة بالمنطقة بجهود مشكورة [(١)] .

(*) الدفعة الثانية عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) : (١) أحمد المليص. (٢) علي بن محمد الكردي (٣) د. سعيد بن عطية أبو عالٍ وقد اشتركوا معنا في تأسيس المدارس الريحانية والمدارس الليلية بالمنطقة مالياً وعملياً واجتماعياً.(٤) مساعد أحمد العباسي (٥) فيصل بن سعيد واشترك في المدارس الليلية . (٦) حمود بن يحيى (٧) عبد الله جعري. (٨) عبد العزيز إبراهيم الفقيه. (٩) عبد الله بدران. (١٠) أحمد سعيد أبو راس وغيرهم مثل: أحمد أبوراس، وأحمد العسيس، وسعيد صالح الخضر وإخوانه وبنو عمهم وأحمد بن مسفر دماس وإخوانه ولهم جميعاً اشتراك في النهضة التعليمية وعدد آخر تخرجوا في عام (٧٥-١٣٧٦هـ /٥٥-١٩٥٦م) لم نذكرهم هنا لضيق المساحة.

د ـ استمرارية التخرج من المدرسة حتى يومنا هذا :

اشتركت مدارس المنطقة في تخريج الشهادة الابتدائية ابتداءً من عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) وكان عدد طلاب الشهادة الابتدائية بمدرسة بني ظبيان في العام نفسه ينوف عن الستين طالباً من أنحاء المنطقة، لولا بعض الظروف الطارئة لرفعنا بهم

---

(١) هؤلاء الكوكبة من المعلمين منذ سبعينيات القرن الهجري الماضي جديرة بأن يخرج عنها بعض التراجم والدراسات التاريخية والتربوية وهذا دور جامعة الباحة (ابن جريس) .

تغذية للمعهد الابتدائي الذي تم تأسيسه ببني ظبيان عام (١٣٧٧.٧٦هـ/٥٦.١٩٥٧م) كأول معهد بالمنطقة لمدرس الضرورة تحت مسمى معهد المعلمين الابتدائي كنواة لشمولية التعليم العام علمياً وأدبياً حكومياً آنذاك. الذي كان التعليم فيه يقتصر على الكتاتيب والمرحلة الابتدائية كما تحدثنا آنفاً.

٦. الخطوة الثالثة للتنمية الفكرية والتعليمية ببني ظبيان ومنطقة الباحة:

قامت هذه النهضة التربوية المباركة ببني ظبيان التي تمثلت في الدفعة الأولى والثانية للشهادة الابتدائية بتأسيس مدرسة متوسطة عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) وثانوية عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) والقسم العالي عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ببلدة الريحان / تحت مسمى المدارس الريحانية ببني ظبيان امتداداً لصندوق البر الذي أسسه زملاؤنا وأبناؤنا في بداية عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) ببني ظبيان بجهد المقل. والذي تحدثنا عنهم آنفاً في بداية ملخصنا هذا وسنفرد بحثاً مستقلاً عن تأسيس صندوق البر ومؤسسيه ونشاطاتهم بداخل المنطقة إن شاء الله واشترك معنا في التأسيس واستمرارية العمل في هذا المجهود التربوي، كل من معالي وزير المعارف السابق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ، ومدير التعليم بالمنطقة الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن آل الشيخ، ومساعده مدير التعليم الشيخ محمد أحمد أنور عسيري[1] ومجموعة كبيرة من رجال التعليم بالمنطقة من أبناء البلاد السعودية والدول العربية المجاورة، وقد تخرج عدد كبير من هذه المدارس المسماة (المدارس الريحانية) من طلبة مدرسة بني ظبيان ومدارس المنطقة الذين فاتهم التعليم الثانوي والجامعي في سن الصغر حيث اشتغلوا في الوظائف التربوية والإدارية .

وتم فتح فروع لها بكل من الباحة برئاسة مجموعة من أبنائنا الشباب ومنهم سعد وعبد الله ابني محمد أحمد المليص، وعبد الله علي الشبرقي، وعلي بن عوضة دماس وغيرهم، ومن زملائنا : الدكتور ناصر علي بشيه، وبعض المدرسين المتعاقدين للتدريس بالمنطقة، وكذلك بلجرشي برئاسة الأستاذ محمد علي المطوع رحمه الله، وأشرف على هذه الكوكبة المباركة فيما بعد رعاية وتوجيهاً وروحاً لهذه المؤسسة التعليمية مديرو التعليم السابقين منهم الشيخ علي سليمان المقوشي، والشيخ علي بن سعد معجل، والشيخ الدكتور فهد بن جابر الحارثي ونائبه سعد سعيد الحارثي، والشيخ عبد العزيز البطين، والشيخ عبد الرحمن الدهري الذي لازم المؤسسة دعماً وتأييداً ميدانياً مع إخوته رؤساء أقسام إدارة التعليم بالباحة كالأساتذة: تركي ملة، وعبد الخالق مديس، ورجال التوجيه التربوي على اختلاف تخصصاتهم ومنهم: الأستاذ إبراهيم سعيد الزهراني، ومحمد سعيد أبو راس، وعبد الله صنقور، وسعد الكردي، وشرف الزهراني، وعبد الله عطية قران، وعبد

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن الأستاذ أنور انظر : غيثان بن جريس، من رواد التربية والتعليم في المملكة، محمد أحمد أنور، ص١٨ وما بعدها . (ابن جريس) .

الله جار الله، وصقر بن سعيد، ومشهور بن محمد درويش بن غرم الله، وحمود بن يحيى، وإبراهيم عباس، وحسين عبدان، ومحمد سعد يحيى وغيرهم [١] .

٧ـ استمرارية التنمية التعلمية والتعليمية بالمدارس الريحانية :

شقت هذه المدارس وفروعها طريقها في التنمية التعليمية في الوقت الذي كان فيه التعليم بالمنطقة يقتصر على المرحلة الابتدائية وتخرج من هذه النهضة المباركة جمع كبير من رجال الفكر والأدب والتعليم والتعلم منهم على سبيل المثال لا الحصر: د سعيد محمد المليص طالباً ومعلماً وإدارياً، د عبد الله أبو راس، وسعيد غرم الله، مشخص عبد الله، وفيصل الخربطي، ودرويش غرم الله، وعلي صالح السلوك، وسعد علي الكردي طالباً ومعلماً وإدارياً، وعلي محمد الكردي طالباً ومعلماً وإدارياً، وأحمد المليص طالباً ومعلماً وإدارياً، وعبد الله عطية قران وأخيه د. سعد عطية قران، وسعيد عوضة، وعلي مسفر، وأحمد مسفر، وعلي عوضه، ومحمد العبد الله، وسالم قحوش، ومحمد غنام، وعبد الله صقور طالباً وإدارياً، وصالح الزبير، وأعداد كبيرة من قطاع بلجرشي والأطاولة في المراحل الثلاث، (متوسط، وثانوي، ودار التوحيد) ، فشقوا طريقهم لإكمال دراساتهم العليا، ومنهم من تخرج بالبكالوريوس والليسانس ومنهم من نال درجتي الماجستير والدكتوراه، وتم اشتراكهم بعون الله في إعداد آلية النهضة التربوية والثقافية بالمنطقة خاصة وبالمملكة عامة، وملفات إدارة تعليم منطقة الباحة تزخر بالمعلومات الثبوتية لهذه الأعمال التربوية وبخاصة أقسام الامتحانات، ومكافحة الأمية، والتوجيه التربوي، إضافة إلى التوثيق التربوي بالتعليم الأهلي والتعليم العام والامتحانات بوزارة التربية والتعليم، وبجهودهم الذاتية بعون الله نشطت الحركة التربوية بمنطقة الباحة وبمناطق المملكة التي عملوا بها بعد التخرج من الدراسات العليا، وكانوا وما زالوا مع أقرانهم من أبناء المنطقة رموزاً للتمدن والحضارة على اختلاف تخصصاتهم بحمد الله تعالى[٢] .

٨ـ طموح الشباب إلى تأسيس التعليم الأكاديمي بالمنطقة :

الخطوة الرابعة كنا نحن والمبدعين من أبنائنا الطلبة وزملائنا في التنمية الشاملة نعقد العزم بأن نقوم بتأسيس أكاديمية تعليمية نواة لجامعة ترنو إلى تأسيسها بالمنطقة آنذاك لاحتضان القسم العالي بهذه المدارس، وقد تعثر علينا العطاء المالي والاجتماعي

---

(١) إن منطقة الباحة لازالت بلاد منسية في باب البحوث والدراسات التاريخية . والتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتربوي والتعليمي من أهم الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها بحوثاً علمية أكاديمية ونأمل من الأكاديميين في جامعة الباحة وغيرها أن يولوا هذه الأوطان اهتماماً جاداً في بحوثهم وأعمالهم ورسائلهم العلمية والأكاديمية (ابن جريس) .

(٢) جزى الله الشيخ المليص خير الجزاء فقد أورد لنا في هذه الأقوال محاور رئيسية تساعد من يرغب من الباحثين التوسع في تاريخ التربية والتعليم في منطقة الباحة . والمسؤولية كبيرة على الأساتذة الأكاديميين والمتخصصين في مجالات التاريخ والتعليم والتربية وبخاصة من أهالي غامد وزهران فيدرسوا تاريخ التعليم والحضارة والتنمية التي مرت بها بلادهم منذ سبعين عاماً حتى يومنا الحاضر (ابن جريس) .

والإبداعـي في تلك الفترة، ففازا مؤخراً بهذه المهمـة التاريخية التعليمية كل من الأميرين صـاحب السـمو الملكي الأمير محمد بن سـعود أمير منطقة الباحة وسـمو الأمير الدكتور فيصـل بن محمـد بن سـعود نائب أمـير منطقة الباحة فأسسـا مشـكورين هـذه الكلية تحـت مسـمى (كليـة الباحة الأهليـة للعلوم) وأسـندت إدارتهـا إلى أحد أبنائنـا الأبرار الذين اشـتركوا معنا في تأسـيس آلية التنمية التعلمية والتعليمية بالمنطقة في السبعينيات والثمانينيات الأسـتاذ الدكتور سعيد بن عطية أبو عالي، الأستاذ بجامعة أم القرى سابقاً ومديـر عام التربية والتعليم بالمنطقة الشـرقية سـابقاً، ورئيس جائـزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي حالياً، فكان لمنسـوبي النهضـة التربوية ببني ظبيان نصـيب الوفاء مع أصـحاب الفضل والكرم والوطنية الصـادقة والعطاء حكامنا وأمرائنا، فجزاهم الله عنا وعن هذه المنطقة وطلبة العلم والمعرفة خير الجزاء[(١)] .

٩ـ مشاركة المدرسة السلفية ببلجرشي في التنمية التعليمية والتعلمية:

تأسـس في جنوب المنطقة ببلدة الشـعبة من قطاع محافظة بلجرشي في التسعينيات الهجرية مدرسة : أشبه ما تكون أكاديمية تحت إشراف ذوي الطول من علمائنا ومشائخنا ومنهم: أصحاب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتيا المملكة العربية السعودية رحمهما الله، حيث تم في أروقتها شبه مناهج التعليم العام (ابتدائي ـ متوسط ـ ثانوي) ومحاذاة التعليم العالي لما فوق مراحل التعليم فقهاً وتفسيراً ولغة وتاريخاً وعلوم الآلة، إضـافة إلى دراسـة علوم القرآن الكريم وحفظه بأسلوب روحي أقرب منه تطبيقياً عملياً، وكان لمؤسسـي هذه المؤسسـة التعليمية التي سـميت بالمدرسـة السـلفية[(٢)] نظرية علمية سـلفية تشخصت في أصحاب الفضـيلة آنذاك الشيخ ناصر بن مغرم (رحمه الله) رئيس هيئات الأمر بالمعروف بمنطقة بلجرشـي، والشـيخ محمد علي جماح رئيسـها بعد ذلك وزملائهما الذين أنكروا ذاتهم في سـبيل تحقيق مصلحة تعليمية عالية بالمنطقة بعد العقد السـادس من القرن الرابع عشر الهجري، وكنا والإخوان المربين ببني ظبيان في الساقة مع هذه النخبة الطيبة الأعراق بقطاع بلجرشي، ومن ثم ضُمت هذه المؤسسـة التعليمية إلى ركب التعليم بوزارة المعارف مؤخراً، وكان لموسـري بلادنا المقدسة تجاه هذه المؤسسـة جهود تذكر فتشكر فجزاهم الله خير الجزاء، إضافة إلى تبني الدولة بسخاء تكاليف برامجها .

---

(١) تاريـخ التعليـم العام والعـالي في منطقة الباحة جدير بالبحث والدراسـة، ونأمـل أن نرى أحد أبنـاء منطقة الباحة وبخاصة الباحثين الأكاديميين من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية الجادة (ابن جريس) .

(٢) هذه المدرسـة تسـتحق إلى أن يفـرد لها كتاب علمياً أكاديميـاً ونأمل من أبناء منطقة الباحـة المؤرخين والباحثين الجادين أن يتولوا هذا الموضـوع بالبحث والدراسـة الأكاديمية العلمية الرصـينة. ومن يفعل ذلك فإنه سوف يطلع أجيال الحاضر والمستقبل على الدور الهام الذي لعبته تلك المؤسسة التعليمية .(ابن جريس) .

١٠. جهود رجال هذا الصرح المعرفي بالمنطقة في هذا العهد السعودي المبارك:

لم تكن هذه النهضة المباركة للتنمية الفكرية والأدبية والتعليمية أتت بالصدفة بل إن هذا الصرح المعرفي منبثق عن نهضة بلادنا التنموية التي أسس أطرها موحد الجزيرة العربية جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ورعاها أبناؤه وأحفاده والخلص من أبناء المملكة ونماها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمين وإخوانهم وأبنائهم وأحفادهم وأبناء هذه البلاد المقدسة، ولقد تزاحم رجال التربية والتعليم والفكر والقيادة مديرو التعليم بمنطقة الباحة الآتية أسماؤهم : تحت لواء التطوير والتوجيه والمتابعة والعطاء العلمي تحقيقاً لما تصبو إليه قيادتنا الوطنية السلفية فنهضوا بإخلاص واستجابة لطموحات المواطنين. وهذه النخبة العاملة ذات القيم التي حملت شعلة الرسالة التربوية بمنطقة الباحة بكفاءة ووطنية صادقة ومن مديري التعليم ووكلائهم الذين تولوا مسؤولية الإدارة التربوية منذ إنشائها حتى الآن وهم: (١) الشيخ خليل كتب خانة معتمد المعارف بالطائف ومنطقة الظفير حتى عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م). وقد توزعت المسؤولية الإشرافية على بعض مدارس المنطقة منها مدرستي بني ظبيان والظفير. (٢) الشيخ حسن حكيم معتمد المعارف ببلجرشي من آخر عام (١٣٧٣هـ /١٩٥٣م) (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).(٣) د علي ابن محمد التويجري (١٣٧٥ـ ١٣٧٧هـ / ١٩٥٥ـ ١٩٥٧م).(٤) الشيخ عبد العزيز عبد المحسن آل الشيخ (١٣٧٧ـ ١٣٨٥هـ/ ١٩٥٧ـ ١٩٦٥م). (٥) الشيخ محمد أحمد أنور عسيري وكيلاً ومديراً. (٦) الشيخ علي بن سليمان المقوشي (١٣٨٥ـ ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥ـ ١٩٦٦م).(٧) الشيخ علي بن معجل ابن سعد (١٣٨٦ـ ١٣٩١هـ /١٩٦٦ـ ١٩٧١م) . (٨) الأستاذ عمر الصيني وكيلاً ومديراً. (٩) الأستاذ محمد بن وصل الله الثبيتي (١٣٩١/١٩٧١م). (١٠) الأستاذ صبحي بن يحيى الحارثي (١٣٩١هـ/١٩٧١م) . (١١) الأستاذ فهد بن جابر الحارثي (١٣٩٢ـ ١٤٠٥هـ/١٩٧٢ـ ١٩٨٥م) . (١٢) الأستاذ سعد سعيد الحارثي وكيلاً ومديراً . (١٣) الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن البطين(١٤٠٥ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٥ـ ١٩٨٧م) . (١٤) الشيخ عبد الرحمن أحمد الدهري (١٤٠٧ـ ١٤١٩هـ / ١٩٨٧ـ ١٩٩٩م) . (١٥) د هجاد عمر الغامدي (١٤١٩ـ ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٩ـ ٢٠٠٣م) . (١٦) الأستاذ إبراهيم سعيد الزهراني وكيلاً فنياً. (١٧) الأستاذ محمد سعيد أبو راس وكيلاً إدارياً ثم فنياً . (١٨) الأستاذ إبراهيم سعيد حمدان وكيلاً إدارياً . (١٩) الأستاذ مطر أحمد رزق الله مديراً للتعليم من عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).[١] ثم المدير الحالي الأستاذ سعيد مخايش الزهراني ومازال قائماً على الإدارة أعانه الله ولمنسوبي التعليم بالمنطقة من مدرسين ومديري مدارس وموجهين داخل الهيئة وخارجها المؤازرة الميدانية لمديري

---

(١) هذه المذكرة وصلتنا من الشيخ المليص في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) . مع أن هناك مدراء ومسؤولي تعليم جاءوا بعد ذلك العام . ونأمل أن نرى دراسات مطولة عن تاريخ التعليم في منطقة الباحة في العصر الحديث والمعاصر .(ابن جريس) .

التعليم وزملائهم اليد الطولى في توجيه الناشئين لما فيه صقل عقيدتهم السلفية وتهيئتهم للخدمة الوطنية علماً وثقافة وتنمية شاملة [(١)] .

(*) رأي وتعليق[(٢)]:

بعد الاطلاع على هذه الخلاصة التي زودنا بها أحد رواد التربية والتعليم في منطقة الباحة خلال العقود المتأخرة من القرن الهجري الماضي، وأوائل القرن الخامس عشر الهجري، خرجنا بالعديد من الآراء والتعليقات التي نوردها في النقاط التالية:

١. منطقة الباحة بلاد شاسعة متنوعة التضاريس متعددة العشائر والقرى والبوادي، ومن ثم فهي بلاد لها تاريخ قديم ووسيط وحديث . بل يوجد بها من الآثار والنقوش والرسومات الصخرية ما يؤكد عراقة تاريخ هذه الديار الغامدية الزهرانية التي تعود إلى عصور ما قبل الإسلام . ونأمل أن نرى هناك دراسات تاريخية أثرية جيدة عن هذه البلاد الباحوية، والأمل معقود في أصحاب الأموال والأكاديميين الجادين فتتضافر جهودهم في خدمة تاريخ وحضارة هذه البلاد العريقة بساكنيها منذ القدم.

٢. وإذا عرجنا على تاريخ هذه البلاد في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة فهي امتداد لحضارة وتاريخ الأوائل من سكان هذه البلاد . ونأمل أن نرى من يخدمها في ميادين البحوث العلمية التاريخية الرصينة.

٣. كون هذه المشاركة من شيخنا المليص تدور في فلك التاريخ الحديث وفي مجال التربية والتعليم تحديداً فذلك مساهمة مباركه من هذا الرائد الغامدي، ولكن الأهم أن منطقة الباحة اليوم تشتمل على مئات بل آلاف المتعلمين والأكاديميين في مجالات علمية عديدة (نظرية إنسانية وعلمية بحتة) وهؤلاء عليهم مسؤولية كبيرة تجاه بلادهم فيقوموا ويعملوا ما في وسعهم لخدمة بلادهم وأهليهم، كل في مجال تخصصه واهتماماته، والمؤرخون والأثريون والتربويون على رأس القائمة الذين يجب عليهم العكوف على دراسات أكاديمية تعود بالنفع على أوطانهم وبني جلدتهم.

٤. إمارة منطقة الباحة، والجامعة، وإدارات التربية والتعليم في المنطقة عليها هي الأخرى مسؤوليات في ميدان الدعم في دعم وتشجيع البحوث العلمية الإنسانية والتربوية التاريخية والحضارية التي تعود على بلاد وسكان منطقة الباحة بالنفع والفائدة. وفي اعتقادنا أن هذا الجانب العلمي والمعرفي يجب أن تسخر له الأموال وتشجع الكوادر البشرية العلمية من أجل الإسهام في كل ما له دور في التنمية والبناء والحضارة . والله من وراء القصد.

---

(١) هؤلاء المسؤولون التربويون يستحقون إفراد دراسة علمية مستقلة عن جهودهم وإنجازاتهم العلمية . وبعضهم وخاصة الأوائل منهم يجب على جامعة الباحة أن تشجع الباحثين بها على دراسة تراجم أولئك الرجال. أما المتأخرون وبخاصة الذين لازالوا على قيد الحياة فالواجب عليهم تدوين مذكراتهم وما عرفوا وعاصروا في ميدان التربية والتعليم . ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسدي لأهالي الباحة فائدة كبيرة تحفظ جزء من تاريخ بلادهم الحضاري .(ابن جريس) .

(٢) هذا الرأي إضافة من صاحب الكتاب. (ابن جريس) .

الدراســـة العاشــرة

وقفات مع آثار منطقة الباحة

بقلم :د . جمعان بن عبد الكريم الغامدي (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ٩٦ - ١١٧

الدراسة العاشرة : وقفات مع آثار منطقة الباحة[١] : بقلم الدكتور جمعان بن عبد الكريم الغامدي .

(*) مواقع أثرية مكتشفة :[٢]

سأعرِّف في هذا البحث ببعض المواقع الأثرية المكتشفة في منطقة الباحة، وقد أردت أن أضرب صفحاً عن التعريف بها لولا ما رأيت من تقصير واضح من الجهة المسؤولة في الاهتمام بالآثار، وإسنادها إلى غير المختصين، فعلى سبيل المثال لا يذكرون نقوشاً في روضة بني سيد إلا في تل الرحيِّ، وفي جبل القهب، بينما يوجد في غربي الروضة كثيراً من النقوش التي قمت بتصويرها. كما أنهم أهملوا آثار الباهر وهي في وسط مدينة الباحة حتى قامت البلدية بالاعتداء عليها ضمن مخططها في الباهر، بل إن البلدية جعلت آثار المفارجة في حيز المخطط، وشقت الآثار لإقامة طريق من وسطها، والاعتداء نفسه تم في آثار صفح الكتاب، أما هضبة أبي الحصين فقد ذقت الأمرين للوصول إليها فلم أجد شيئاً ذا بال وإنما هي خربشات حديثة لبعض الرعاة وهم يعدونها في جملة الآثار المكتشفة. وجهودي المتواضعة على مدار أكثر من خمس سنوات جعلتني أعرِّف بأهم الآثار المكتشفة في المنطقة، عساها تحظى باهتام أكبر.[٣]

١. قملي :

لقد سمعت عن هذا المكان كثيراً وقد شدني إلى تحديد موقعه ما روي من أن الأزد قد اجتمعوا في هجرتهم الكبيرة عند هذا الجبل وفي أبيدة يقول سلمة بن مسلم الصحاري : " وافترقت الأزد من أبيدة فرقاً ثلاثاً ..." (٢/٢٠٠) الأنساب .

وقد جهدت كثيراً حتى عرفت موقعه بعد أن مررت على رجل بدوي من سكان وادي بهر فدلني على جبل قملي المشمخر ذي القمم الخمس الذي يقع شرقي وادي بهر وشمال شرقي مدينة الباحة ويبعد عنها عشرة أكيال تقريباً، وقد وجدت في الجبل كثيراً من

---

(١) هذا العنوان من إعداد صاحب الكتاب، مع أن جميع الأوراق التي وصلتنا من الدكتور جمعان تحت عنوان : مدخل إلى آثار منطقة الباحة . الجزء الأول . ويوجد صورة من جميع هذه الأوراق ضمن مكتبة . د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات).

(٢) هذا العنوان من عمل الدكتور جمعان الغامدي، انظر الأوراق الرئيسية في مكتب د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات).

(٣) للمزيد عن آثار منطقة الباحة انظر تفصيلات أوردها جمعان عبد الكريم الغامدي في بحثه الموسوم بـ : تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة، والمنشور في كتابنا : دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢ ص ١٩٨ - ٢١٠ .

المخربشات والرسوم المتفرقة التي يغلب عليها رسوم الأوعال، ويلحظ أن رسوم الوعول ليست بطريقة واحدة فهناك أكثر من طريقة لرسم الوعول . ثم إني وجدت حجائر على شكل حذوة حصان يقول البدو إنها مرابط للخيل، ويبدو أنها آثار مساكن بشرية غاية في القدم، ويرجح أن الأزد قد وجدوا آثاراً قديمة عندما سكنوا في الجبل وحوله، وهناك آثار بناء قرية في وسط وادي عرق الكراء أسفل المركز الرياضي بالباحة، وهي تبعد عن جبل قملي ما يقارب عشرة أكيال غربا، وربما لها علاقة بالأزد أيضاً، ولكني لم أجد آثاراً كتابية بالمسند أو بغيره من الخطوط مما يدل على أن الأزد كانوا قوماً بُداة على الأغلب، أو أنهم أقاموا في هذا المكان مؤقتاً وإن كانت بقاياهم ما تزال ساكنة حول هذا الجبل حتى الآن . وقد قمت بثلاث رحلات أخرى إلى جبل قملي وصورت فيها كثيراً من الرسومات، أما هذه الرحلة فقد كانت في (١٤١٩/٢/٨هـ).[١]

٢ـ آثار الباهر:

آثار الباهر هي أقرب الآثار إلى مدينة الباحة، بل هي في مدينة الباحة نفسها، وبالتحديد في جبل غيب من الباهر ،وهي آثار مخربشات على هيئة دوائر ومربعات وأشكال أخرى متعددة، وقد قمت بالذهاب إليه في (١٤١٨/٤/٢٧هـ) ورأيت في أحد التحقيقات الصحفية رسوماً مماثلة للرسوم في جبل غيب، وذلك في جبال بني مالك بالقرب من الطريق السياحي الطائف ـ الباحة . ويدعي بعض الناس أن تلك المخربشات والرسوم هي من فعل الرعاة في هذه الأزمنة المتأخرة ولكن طبيعة تلك الرسوم توحي بإيغالها في القدم، وإن كان بعض الرعاة رسم بعض الرسومات فهي مختلفة عن الرسومات القديمة كما يرى بالنظر، والذي يدمي الفؤاد أن المخطط الذي قامت البلدية بتوزيعه في الباهر أدى إلى تدمير كبير للموقع ونقل لكثير من الصخور من أماكنها.[٢] ، ولربما كان لموقع الباهر علاقة قوية بموقعي صفح الكتاب والحنجور الأثريين، إذ تمثل تلك المواقع فترة قديمة من الاستيطان البشري.[٣]

---

(١) أكد لنا الدكتور جمعان عند مقابلته في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) أن لديه عشرات الصور عن آثار منطقة الباحة، وذكر أنه يمتلك أيضاً معلومات وتفصيلات مدونة عن تراث وآثار المنطقة، حبذا أن يبذل بعض الجهود لإخراجها للقراء .(ابن جريس) .

(٢) عدم الاهتمام بالآثار لم يكن محصوراً على منطقة الباحة وإنما شاهدت ذلك في مناطق ونواحي عديدة من جنوبي البلاد السعودية خلال تجوالنا ورحلاتنا في هذه الأوطان منذ ثلاثين عاماً . ونأمل أن ينتشر الوعي بين الناس فيدركوا أهمية هذه المصادر التاريخية الحضارية الهامة (ابن جريس).

(٣) بلاد تهامة والسراة، وليس بلاد الباحة فقط، من المواطن البشرية القديمة، ويوجد في جبالها ووهادها وأوديتها الكثير من الرسومات الصخرية والنقوش والآثار القديمة . ونأمل أن تضاعف الجامعات السعودية الجنوبية جهودها فتنشئ مراكز علمية بحثية تدرس مثل هذا التراث الحضاري المهم (ابن جريس) .

٣.روضة بني سيد :

تقع روضة بني سيد شمالي مدينة العقيق بحوالي عشرة أكيال، وتقع إجمالاً في السفوح الشرقية لمنطقة الباحة، وهي سهل واسع من الأرض تحدها الجبال من الشرق ومن الغرب، وبها مجار للماء، كما أن بها مبانٍ قديمة جداً، وهذه الروضة ترتبط بشيء من التاريخ القبلي لهجرة بعض قبائل المنطقة إلى رؤوس قمم الجبال كما تحكي الروايات الشفهية، أما رحلتي إلى الروضة فقد كانت في عصر يوم الاثنين (١٤٢٠/٢/١٦هـ)، وبعد عشرة أكيال تقريباً من المشي في الطريق الترابي وصلت إلى وسط الروضة، وسألت بعض البدو من رفاعة فدلوني على جبل القهب ويسمى قهب عليا، ووجدت بأسفل الجبل مخربشات قمت بتصويرها، ويظهر أن الروضة كانت مخصبة في الزمن القديم لأن المخربشات تشير كما يتضح لأول وهلة إلى مرحلة زمنية موغلة في القدم، وبعض تلك المخربشات تكاد تندثر، غير بعيد من جبل القهب يقع تل صغير اسمه تل الرُّحِّي وبأسفله أيضاً بعض المخربشات، كما يلفت النظر أيضاً وجود آثار قبور أو رجوم مرتفعة حول الجبلين ويبدو أنها قبوراً قديمة جداً . كما أن هناك جبلاً آخر يدعى جبل الشظو به آثار ورسومات واضحة لغزلان ووعول، ولم أستطع تصويرها لتأخر الوقت ودنو الشمس للمغيب . إلا أنني وجدت تلاً في غربي الروضة به الكثير من المخربشات فقمت بتصويرها جميعاً، ويغلب على هذا التل المخربشات التي على شكل مربعات مقسمة.[1]

٤. خرائب معشوقة :

وهي مبانٍ أثرية قديمة لا يعرف من بناها وإن كانت تحاك الأساطير حولها، ووقوع هذه الآثار أسفل الوادي (أبيدة المشهور)، يدل على أن هذه المباني مرتبطة بتجمعات بشرية كثيرة وكبيرة لعل أهمها استيطان قبائل الأزد لها فترة من الزمن، بل إن الأزد قد اجتمعت بقضها وقضيضها كما تقول إحدى الروايات في أبيدة، ثم تفرقت مرة أخرى من هذا المكان، ويبدو أن كارثة بيئية كالجفاف مثلاً أو الازدحام السكاني ربما أدى إلى هجرة سكان معشوقة منها، وتحاك أساطير كثيرة حول العقاب الذي نزل بأهل هذه الخرائب لترفهم الزائد وبطرهم بنعمة الله، كما تذكر بعض الروايات أن عناصر يهودية قد سكنت هذه الخرائب . وقد قمت بتفتيش بعض تلك الخرائب في فترات مختلفة فلم أجد أي أثر كتابي يمكن أن يشير إلى أهلها، ولكن الراجح أن أهلها من الأزد، وربما هاجر معهم أثناء هجرتهم بعض يهود اليمن، فاليهود كانوا في اليمن حينما كانت أثرى وأسعد بلاد الله، وهجروها كما يبدو مع الأزد، ونزل بعضهم بهذا المكان والتحق آخرون بأقوام في المدينة.

---

(١) لقد زرت هذه الناحية في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) وشاهدت العديد من الرسومات الصخرية والنقوش التي يبدو أنها قديمة جداً . ومثل تلك الآثار تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية من متخصصين آثاريين في علم النقوش والرسوم .(ابن جريس) .

ويبدو أن خرائب معشوقة كانت مزدهرة بقبائل شتى من العرب بعد الإسلام وليس من الأزد فقط كما تذكر كتب النسب وخاصة من قبائل قيس . كما أن للآثار الواقعة في عرق الكراء، وهي منازل مهدمة، علاقة بخرائب معشوقة، إذ أنها تقع ما بين جبل قملي ووادي أبيدة المشهور الذي فيه خرائب معشوقة . كما أن أسماء للأزد في هذه المواضع ورد ما يماثلها في المدينة كوادي بطحان، وهو موضع في أبيدة أيضاً، ووادي العقيق في المدينة، وماء وادي أبيدة يصل إلى وادي العقيق في منطقة الباحة أيضاً، وهذا يؤكد سكنى الأزد جميعاً لهذه البلاد بما فيهم الأوس والخزرج الذين رحلوا إلى يثرب.

ومن المعالم التاريخية في أبيدة، الناصف من أبيدة، وهو مكان مرتفع بين قرى أبيدة وقرى معشوقة في منتصف المسافة بينهما تقريباً، وربما سمي الناصف لأنه ينصف الماء إلى قسمين، والناصف ناصفان، وبهذا الموقع قتل الشنفرى كما ورد في كتاب الأغاني .[(١)]

٥. ذو الخلصة :[(٢)]

٦. مدينة عشم :

هي من أهم المواقع الأثرية في جنوبي المملكة على الرغم من أنه لم تقم دراسة أثرية مكتملة لمسح آثار هذه المدينة .[(٣)]، ومع أن القائمين عن الآثار قد أقاموا سياجاً حول مدينة عشم، إلا أن آثار السيول الجارفة قد تفعل فعلها في الذهاب ببعض آثارها المطمورة إذا لم يسرع المسؤولون في إرسال بعثة تنقيبية محترفة للقيام بأعمال حفر ومسح

(١) لم أجد آثاراً واضحة في الموقع أو بئراً كما تشير بعض الروايات التاريخية . والمكان في حاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب للعثور على ما عساه يؤكد أو ينفي الأهمية التاريخية الأثرية لهذه البلاد . كما أن خرائب معشوقة ووادي أبيدة لازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية وحضارية، وهناك شذرات عديدة عن هذه المواضع في كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقوم بجمع هذا الموروث التاريخي، وذلك ربما يساعد في تقديم صورة أوضح وأدق عن هذه الديار السروية . مشاهدات وانطباعات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ /٢٠١٢م) . (ابن جريس) .

(٢) صنم ذو الخلصة من الأصنام المشهورة في بلادة السراة، وهناك من قال إنه في بلاد دوس وآخرون ذكروا أنه في بلاد تبالة من ديار خثعم، والرأي الأخير هو الصحيح . ونجد جمعان الغامدي يزودنا بأربع صفحات عن صنم ذو الخلصة ضمن الأوراق التي قدم لنا عن آثار الباحة، وقد استبعدنا ما وصلنا في هذه الجزئية لأنه سبق وأن لخص لنا هذا الموضوع في بحثه الموسوم بـ: تنبيهات حول تاريخ منطقة الباحة، والمنشورة في كتابنا: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الثاني، ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ . وللمزيد من التفصيلات عن ذو الخلصة والصنم المشهور بها، انظر الكتاب نفسه، ج٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٣ كما انظر، غيثان بن جريس. " تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى" نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين في الفترة من (١٠-٧ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٧ أبريل /٢٠٠٧م)، ص ١٧٩ ـ ٢١٥ .

(٣) يُعد أحمد بن عمر الزيلعي أول من قام بدراسة لهذه المدينة في رسالتيه للماجستير والدكتوراه ولكن مسحه لآثار مدينة عشم لم يكن كاملاً ثم أتى الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه فأصدر في عام (١٩٩٢م) كتاباً عنوانه : مخلاف عشم، وهو أيضا دراسة أثرية سطحية غير مكتملة إلا أنه لم يشر إلى جهود د. أحمد بن عمر الزيلعي الذي كان قد أنجز رسالته للدكتوراه عام (١٩٨٣م) وفيها جهود رائدة و التنبه إلى أهمية المدينة ومسحها.

أثري علمي رصين قد يلقي بأضواء كاشفة على حقائق تاريخية قد لا تخطر على بال، إذ في المظنون أن هذه المدينة لها أهمية تاريخية موغلة في القدم، وليست مدينة إسلامية فحسب كما يذهب جُلَّ من أشار إليها، ويدل ذلك ارتباطها بعفير أم (أوفير)، وكذلك ارتباطها برحلات التجارة الدولية من اليمن إلى الشام.[١] وتقع مدينة عشم في تهامة منطقة الباحة وهي قريبة جداً من مدينة ناوان إذ تبعد عنها حوالي عشرة أكيال شمالاً، وتكشف الآثار السطحية لهذه المدينة عن وجود مسجد جامع كبير، بالإضافة إلى سوق المدينة والكثير من المنازل ومقابر المدينة التي تحتوي على كثير من الشواهد التي كتبت بخطوط كوفية جميلة. وقد لفت نظري في تحديد القبور بأحجار تحيط بها، بما هو موجود من قبور عند خربة السباع ببني حسن شمالي مدينة الباحة بحوالي عشرين كيلاً. أما المخلفات الأثرية الأخرى المتناثرة فهي تحتوي على كميات من الرُحيِّ التي كانت تطحن بها الأحجار لاستخراج الذهب، وكذلك بعض قطع الفخار والزجاج الملون، وقد جهدت للعثور على بعض القطع النقدية فلم يتيسر لي ذلك، وأرجو أن تكشف البحوث القادمة عن كثير من الغموض الذي مازال يحيط بهذه المدينة.[٢]

٧ـ الخُلُفُ والخَلْيف:

هما قريتان أثريتان تقعان بالقرب من مدينة قلوة في القطاع التهامي في منطقة الباحة، وتبعدان عن مدينة قلوة بمسافة (١٤) كيلاً تقريباً، كما تبعد عن مدينة الباحة بأكثر من مائة كيل. وقد تعرضّ د. أحمد بن عمر الزيلعي لدراسة آثار هذا الموقع في بحث علمي رصين عنوانه: الخُلُف والخَليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية. كما عثر بالإضافة إلى المظاهر العمرانية من الحي السكني والمقابر ومسجد الخُلُف على بعض النقوش وعددها ثمانية وعشرون نقشاً تغطي فترة زمنية تمتد من النصف الأول للقرن الثالث الهجري حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ماعدا نقشاً واحداً يعود تقريباً إلى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين، وهي جميعاً منقوشة بالخط الكوفي، ويتراوح أسلوب خطها وزخرفتها بين الكوفي البسيط، فالكوفي المورق إلى الكوفي المشجر أو المزهر.[٣].. وقد زرت الموقع ووجدت الكتابات في جدران المنازل، وهي آيات قرآنية لم أجد لها درساً بين الشواهد التي قام بدراستها الدكتور الزيلعي. ويحمد للزيلعي عدم إغفاله للمكانة العلمية التي كانت تتمتع بها الخُلُفُ والخليف. وفي المعتقد أن

---

(١) في رأيي أن طريق التجارة إلى اليمن كان ذا مسارين. أحدهما: طريق للذهاب من السفوح الشرقية للسراة، والآخر للإياب يمر بتهامة. (جمعان الغامدي). وهاتان الطريقان خرج عنهما بعض الدراسات والرسائل العلمية ولازالتا تحتاجان إلى مزيد من البحوث والدراسات العلمية والأكاديمية. (ابن جريس).

(٢) هذه المدينة تحتاج إلى حفريات أثرية رئيسية، وإن تم ذلك فسوف يتم العثور على مادة تاريخية حضارية هامة تصور جزءاً من تاريخ تهامة في العصور القديمة والإسلامية (ابن جريس).

(٣) انظر: الزيلعي، الخلف والخليف، ص ٤.

بعضـاً من سـلالة الأسـر العلمية فيها تملك مخطوطات ربما ألقت بضوء آخر على الموقع وساكنيها وقد تفرقت هذه السلالة في بعض أرجاء منطقة الباحة. وعموماً فإن آثار الخُلف والخليف، وآثار عشـم، وكذلك الآثار الإسـلامية في حمدانة بوادي عليـب، كل هذه الآثار تؤكـد الأهمية التاريخية والأثرية لتهامة منطقة الباحة، بل إن منطقة الباحة بأكملها تكاد أن تكون كنزاً أثرياً مازال بحاجة إلى كثير من البحث لإخراج روائعه.[١]

٨. مواقع أخرى مكتشفة :

هناك بعض المواقع الأثرية المهمة المكتشفة من أهمها :

١. نقوش ثمودية ومدافن من دورين في وادي المنزَّل أسـفل عيسـان شـمال شـرقي مدينة الباحة بحوالي (٣٠) كم، وقد قام باكتشافها الأستاذ عوض السبالي وهو يبحث فيها الآن.
٢. طريـق الفيـل أو درب الفيل وهـذا الدرب الممتد من اليمن قد تهـدم أكثره إلا أن الجزء الواقع في منطقة الباحة يعد من أفضل أجزائه وهو يقرب من (٦٠) كيلاً
٣. وفي المنطقـة عدد مـن القبور الأثريـة التي كان ربمـا لها أهميـة تاريخية كقبور الزينات أو الزينة على بعد (١٣) كم من بني كبير بسروات غامد .[٢]

(*) مواقع أثرية غير مكتشفة :

١. الرحلة إلى جحوشة :

كانت الرحلة في يوم الأحد الموافق (١٤١٩/٢/٢٧هـ) بعد أن أعددت لها مع الأسـتاذ محمـد بـن دخيخ، أحـد أفراد أسـرة ابن دخيخ شـيوخ قبيلـة الرهوة من غامد سـابقاً . كان هدف الرحلة الوصـول إلى هضـبة (الحِصـن) التي أشـار إليها الحسيل[٣]، وذكر

---

(١) لقـد وقفـت علـى الكثير من معالم عشـم، والخلـف والخليف، ووادي عليـب وتأكد لنـا عراقة تاريخ هـذه البلاد، فهناك الكثير من المعالم الأثرية، وقدم الاسـتيطان البشـري، وثراء الطبيعة. أما منطقة الباحة بشكل عام (بادية وسـراة وتهامة) فهي فعلاً تحتفظ بكنوز تاريخية وأثرية، وهي بحاجة إلى تضـافر جهود أهلها وبخاصـة المثقفين والأكاديميـين والأغنيـاء منهم فيبذلوا الغـالي والنفيس من أجل خدمـة أهليهم وبلادهم علمياً وفكريـاً وثقافياً، وتنموياً. (ابن جريس) .

(٢) في الأيـام العشـرة التي قضـيناها في منطقة الباحة مـن (٢٩/١١-١٤٣٣/١٢/٩هـ) شـاهدنا الكثير من النقوش والرسومات الصخرية في نواح عديدة من المنطقة، كما شاهدنا مقابر، وأحمية، وآباراً، ومدرجات، وقرى وحصوناً أثرية تتفاوت أعمارها بين عشـرات و مئات السـنين . وإذا أمد الله في العمر فسـوف نقوم بجولة ودراسـة أخرى في المنطقة ونخصصـها للموروث والتراث والآثار القديمة . والمنطقة فعلاً تسـتحق عشـرات بل مئات الدراسـات التاريخيـة الحضـارية، ونأمل من مؤرخي غامد وزهران أن يضـاعفوا جهودهم لدراسـة تاريخ وأحوال وحضـارة أوطانهم دراسة علمية أكاديمية موثقة . (ابن جريس) .

(٣) إبراهيم الحسيل، صاحب كتاب: (غامد وزهران وافتراق الأزد في البلدان) . (ابن جريس) .

أنه يوجد بها بعض النقوش التي حاول رسمها في كتابه. انطلقت السيارة قبل العصر وأديت صلاة العصر بوادي فيق ثم توجهت إلى قرية العسلة وبالتحديد بلدة القرى منها، وكان في استقبالي الأستاذ محمد بن دخيخ في استراحته في أحد الجبال القريبة، ثم نزلنا إلى وادي العسلة وهو واد جميل منبسط واسع، وأخذت السيارة طريقها في مجرى الماء المفروش بالبطحاء حتى وصلنا إلى ملتقى وادي العسلة بوادٍ (جَحْوشة)، وهنا بدأت المياه تظهر في وادي جَحوشة تجري على وجه الأرض غيلاً على الرغم من أننا في شهر (يوليو) من شهور الصيف. وكلما تقدمنا في الوادي زادت غزارة الماء الجاري، وللأسف فقد (غرّزت) السيارة في الماء وحاولنا تحريكها أو دفعها أو الحفر لها ولكن دون جدوى، فتركناها وذهبنا إلى حيث موقع هضبة الحصن مشياً على الأقدام، وأشار إلى موضع الصخرة ولكنه لم يعرف موقع النقش بدقة، وكانت مفاجأتي كبيرة إذ كنت أظن أن هذه الصخرة بعيدة جداً، ولقد بحثنا عن النقش دون جدوى إذ دُمرت الصخور بواسطة (الديناميت) وغطت على جزء كبير من هضبة الحصن، أكد لي الأستاذ محمد بن دخيخ أن الصخرة المنقوش عليها تحت تلك الصخور المتفجرة المنهارة فأسفت أسفاً كبيراً، علماً أنه توجد على الهضبة آثار عمران، لكن الأستاذ محمد أراد أن يريني مكاناً يدعى غلّة جَحوشة، والغلة بمعنى الكنز هنا. وفي براح من الأرض أخذ يضرب بقدمه بقوة مدعياً أن هذا نوع من الصوت الغريب تحت هذه الأرض أشبه بصوت الطرق على القدر ولكنا قرعنا دون جدوى، ويبدو على الأرض آثار إصلاح بالآلات الحديثة وعلى مقربة من غلة جَحْوشة صخور عليها آثار عمران .

يبدو أن غلة (جَحْوشة) والنقشان والصخور المتناثرة حوله وآثار البنيان بقايا لقرية إسلامية قديمة جداً ولابد من الإسراع في الحفر والتنقيب فيها ومن حولها فمن المؤكد أنها ممتلئة بشواهد ونقوش أخرى . وبعد أن مالت الشمس إلى المغيب قررنا العودة عبر وادي العسلة ووادي العذبة الجميل، وهناك رأينا قرية العسلة المتناثرة حول ضفاف الوادي وتأكدت من قرية (آل سلامة) التي ادعى د. صالح عون، ومن قبله السلوك وجود عقبة لها. وبالله أنها في براح من الأرض بعيدة عن كل وعورة وارتفاع فمن أين أتت العقبة وإن كان صدق قول د. صالح عون أن العقبة كل طريق وعر في الجبال سواءً اتجه إلى ناحية تهامة أو إلى جهة أخرى، فإن من المتعارف عليه منذ القدم أن العقاب ما كان جهة تهامة، ثم إن موقع آل سلامة لا يساعد على تأييد رأيه لعدم الوعورة والارتفاع بها ثم إنه لا عقبة بهذه القرية البتة هناك. ولما عدنا إلى السيارة قمنا بإخراجها بمساعدة بعض الشباب وتبعت الدليل إلى غار يُسمى بغار السد تروى فيه قصة الرجل المغربي الذي أتى قبل أكثر من خمسين عاماً وأخذ الكنز المدفون بجانبه عند أحد الصخور. رجعنا إلى

السيارة وطلعنا من مجرى السيل إلى الطريق الرئيسي والشمس ترسم في الأفق ألوان الضياء الخالدة التي توشح بردائها الذهبي أسلافنا، وها نحن بعد آلاف السنين نتوشح بردائها الذهبي مرة أخرى.[١]

٢. آثار صخوان :

علمت أن في ناحية بني كبير آثاراً كثيرة وكان لي أكثر من رحلة إلى جهة بني كبير، ولكنني سأقصّ نبأ آخر رحلاتي ألا وهي رحلتي إلى (صخوان)، فلقد علمت بوجود آثار مخربشات في صخور متناثرة حول صخوان في الحمراء وفي أم الطلحة وفي الشعب الحمر وفي ريع الكحل، وكانت الرحلة في يوم (١٤٢١/١/١١هـ) حيث كانت المفاجأة الكبرى إذ تم اكتشاف ما يوحي بأنه آثار موقع كبير جداً لمدينة موغلة في القدم ويبدو أنها (إسلامية)، وهذه المدينة في مكان يدعى ذات الثودة وبها رسومات وخربشات قديمة، إضافة إلى أنني وجدت بها نقشاً واحداً بخط كوفي واضح، كما أن أمام المدينة موقع حصن مراقبة أو قرية صغيرة بها رسومات متقنة، ووجدت حول صخوان آثار رجوم على شكل قبور في أماكن متفرقة . ويبدو أن مدينة ذات الثودة تدل على أنها أكبر وأقدم . وهناك آثاراً في جبل العصفارة في طرفه الأيمن، وهذا المكان قريب من ذات الثودة، لذا فإن من المرجح أن يكون لتلك الآثار علاقة بآثار ذات الثودة.[٢]

٣. آثار يبوس :

وهو وادي مشهور ورد ذكره في قصيدة لعبد الله بن سلمة الغامدي في قوله : (**لمن الديار بتالع فيبوس**). وهذا الوادي يقع في بادية بني كبير وكانت رحلتي إليه في يوم الخميس (١٤٢٠/٢/١٨هـ) حيث مررت بجرب ثم الجاوة ثم جرد، وفي جرد وقعت على نقش هضبة أبي الحصين، وقد صورت ذلك النقش، وهو ليس نقشاً في الحقيقة وإنما خربشات تحت صخرة كبيرة ويبدو أنها من عمل الرعاة، وكان هناك آثار في مجلس الوادي عند لقائه بثراد، ووجدنا آثار قرية قديمة إضافة إلى قبور قديمة، وهناك آثار كثير من الرجوم في الغريس، وقيل لي أن البدو باعوا بعض الأحجار المنقوشة لجامعة الملك عبد العزيز قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، كما باعوا بعضها لبعض الأجانب الذين جابوا هذه النواحي . وما يستلفت النظر بالقرب من جرب هو آثار طريق الفيل التي نظن ظناً أنها لم

---

(١) ويشير الدكتور جمعان إلى أن النقوش التي شاهدها في موقع جَحْوشة لها صلة كبيرة بالنقوش التي في وادي مقمور، إذ أن جَحْوشة في أسفل الوادي ولا تبعد ديار جَحْوشة عن هذه النقوش إلا نحو ثلاثة أكيال . (ابن جريس) .

(٢) ويضيف جمعان الغامدي قوله أن آثار ذات الثودة تدل على مدينة موغلة في القدم تعاقب عليها العديد من الأقوام . كما أن آثار جحوشة ذات علاقة بآثر ذات الثودة . (جمعان) . حبذا أن نرى باحثين آثاريين جادين فيدرسون آثار هذه البلاد الغامدية وغيرها من آثار بلاد تهامة والسراة. (ابن جريس) .

تكن للفيل بل كانت طريق التجارة من اليمن إلى الشام في الشتاء، وهو طريق الذهاب، أما طريق الإياب فهو الطريق التهامي الذي لم يُكتشف إلى الآن، وكان يمر بحباشة فعشم، فهما طريقان سروي للذهاب، وتهامي للإياب تفاديا لقساوة المناخ الجبلي وطلباً لاعتدال المناخ التهامي.[١]

٤. الحنجور :

في يوم الأربعاء الموافق (١٤٢٠/٢/١٧هـ) قمت برحلة إلى الحنجور وهي قرية جميلة في أصدار دار الجيل. القطاع التهامي. تصطبغ بلون المحبة وتتوج بالاخضرار الليموني وتنتشر في جنباتها مزارع البن والموز والكاذي وبعض النخلات الطويلة، كما تفوح القرية بعطر النباتات الجبلية راسمة لوحة بصرية مشمومة، فتبارك الله أحسن الخالقين . إن تناثر أشجار القفل الشوكية التي قال عنها معقّر بن حمار البارقي في الجاهلية لابنته اقصدي بي قفلة فإنها تنبت بمنجاة من السيل، إن تناثر هذه الشجرة الرائعة بين حشائش الحداب ليوحي إلى النفس بجمال خالص لا يمكن أن يشاهده إلا في الحنجور، وفي طريق الولوج إلى قرية الحنجور قمت بتصوير حجر الظاهر، وهو صخرة كبيرة جداً تقع في حوش بيت من بيوت أهالي الحنجور وبحجر الظاهر صورة منقوشة لوعول كما أن بها آثاراً لنقوش كتابية في طريقها إلى الزوال، كما أفادني الدليل حسن الجراد بوجود كثير من الرسومات والمخربشات في الدخن والهيالة وهي قمم شاهقة في الجنوب الغربي من الحنجور في ناحيتها الشرقية .

٥. آثار صفح الكتاب :

سبق وأن ذكر عبد القدوس الأنصاري عند زيارته للغمدة من بني ظبيان قبل حوالي (٢٥) عاماً أنه رأى حجراً فيه نقش أو مخربشات حديثة، وقد دفعني ذلك للسؤال والبحث حتى وجدت موقعاً أثرياً يبدو أنه ليس المكان الذي عناه الأنصاري، والموقع الجديد يقع في أعلى وادي الحريقة يحوي الكثير من النقوش، ولم أجد فيه إلا رسمين لوعلين فقط ومعظم النقوش مربعات، وبها نقاط في وسطها المقسمة لأربعة أقسام، ويبدو أن صفح الكتاب سمي بهذا الاسم لما فيه من النقوش والكتابات، وقد أفادني الدليل بأن كثيراً من الأحجار نقلت للبناء بها في القرية منذ وقت طويل حيث بنى بها أحد أفراد قرية الغمدة لأنها صالحة للبناء، ويلحظ في الموقع أحجار كثيرة متفرقة وطريق شق موقع الأحجار وقد أحدث فيها دماراً ظاهراً، وربما في الموقع آثار معادن.[٢]

---

(١) هاتان الطريقان لازالتا تحتاجان إلى مزيد من الدراسات العلمية الأكاديمية التاريخية والأثرية . (ابن جريس) .

(٢) للأسف أن الوعي عند الناس مفقود بشأن الآثار وأهميتها التاريخية والحضارية . وقد وجدنا خلال الثلاثين عاماً الماضية أماكن أثرية كثيرة واختفت من الوجود . ودُمر أغلبها بحجة تنمية وتطوير البلاد ، وهذا في اعتقادي أعلى مراتب الجهل والتخلف . (ابن جريس) .

٦. قبر كليب ربيعة وآثار حرب البسوس:

وتوجد بقايا هذا القبر في وادي الخيطان بتهامة، وتوجد آثار قبور كثيرة بالقرب منه، ويقال أن أول معركة في حرب البسوس المشهورة جرت في وادي الخيطان الذي كان حمى لكليب، وقد كتبت في ذلك مقالين في صحيفتي البلاد والرياض السعوديتين وهذا هو نصهما :

(*) حرب البسوس بدأت في تهامة الباحة :

سمعت قبل حين من الزمن أن هناك من يقول : " إن حرب البسوس في تهامة، وأعرضت عن الخبر لعلمي أن وقائع الحرب التي عركت العرب بثفالها أربعين عاماً إنما هي في نجد وأثناء انشغالي بالأنساب والآثار في الباحة قابلت في مهلّ شعبان لهذا العام (١٤٢١هـ) بعض أهل حوالة (قرية في جنوبي الباحة) وهم يؤكدون أن قبر كليب في تهامة أسفل شفا حوالة في وادي (الخيطان) وأن هناك مسيل ماء يسمى البسوس، فأردت زيارة المكان، ولكن لأحوالٍ مرت بشيخ حوالة (ابن شائق) تأجلت الزيارة أكثر من مرة . وعندما ذكرت الأمر لأخيٍ الأستاذ جمعان الكرت مندوب جريدة الوطن في الباحة اتفقنا على الذهاب إلى مكان قبر كليب، ولقينا أحد الإخوة من حوالة ويُدعى علي بن فاضل وأرانا موضع القبر من أعالي الجبال ووعدنا أن نذهب معاً لرؤية القبر في موعدٍ آخر، وزودَّنا بمخطط دقيق لموضع القبر قبر كليب وقبر ابنته اليمامة ومسيل البسوس، وموقع معركة جساس مع المهلهل، وأعلمنا بكيفية إخفاء المهلهل للسلاح في بطحاء وادي البسوس كما هو متواتر عن أهالي حوالة، وفي المساء اتصلت بالأستاذ جمعان الكرت وزودته ببعض المعلومات وألححت عليه أن يسرع في نشر الموضوع. ونشر الموضوع ولكنه كان على هيئة كتابة صحفية خلواً من البحث والتدقيق والمنهجية العلمية، ولذا قررت أن أزور الموقع مرة أخرى بنفسي وأن أبدأ بتجميع الأدلة التي ترجح أن كليب وائلٍ كان يعيش هو وقبيلته في هذا الموضع من تهامة الباحة.

وفي ظهر يوم الجمعة الموافق(١٦/١٠/١٤٢١هـ) توجهت إلى الموضع ووصلت إلى مكان قبر كليب، وهو يقع بالضبط أسفل محطة العربات الكهربائية المعلقة في جبل أثرب. وهناك وجدت حارس مشروع العربات وهو من الذين سكنوا قديماً في هذا الموضع وأراني المقبرة، وقد قام مشروع العربات بتدمير معظمها، ولدى سؤالي للحارس (ابن سعَّيد) عن المقبرة قال : " إنها قسمان قسم مقبرة آبائنا وأجدادنا، وقسم لقبور قديمة تبدو على هيئة وشكل غريبين فهي دائرية وكبيرة الحجم، ولم يصدق أصحاب المشروع أنها قبور حتى اطلعنا على بقايا عظام إحدى القبور . ولما سألته عن قبر كليب بالذات أنكر أن يكون أحد يعرف قبراً بعينه لكليب لكن الموضع كله يسمى (حدبة كليب)، والحدبة هي المكان

المرتفع قليلاً عما حوله . ويبدو من هيئة قبرين في الموضع وكبر حجمهما وارتفاعهما عن غيرهما أنهما اللذان عيَّنهما الأخ علي بن فاضل على أنهما قبرا كليب وابنته اليمامة، وهو المشهور عند أهالي حوالة كلهم، أما حارس المشروع فلم يكن أصلاً من ساكني هذا الموضع، وقد اتفق حارس المشروع وعلي بن فاضل على اختفاء نُصب على القبر كان به نقش منذ أكثر من عشر سنوات، وبعد ذلك أرشدني حارس المشروع (ابن سعيِّد) إلى وادي البسوس فذهبت إليه وقمت بتصويره، ولفت انتباهي حصن في أعلى أحد الجبال المقابلة للوادي، وعرفت اسم الحصن في جولتي الثالثة إلى المكان يوم الأربعاء الموافق (١٨/ ١١/ ١٤١٥هـ) إذ عزاه مرافقي علي بن فاضل من أهل حوالة إلى جسّاس كما يقول كبار السن، وقد وجدت أمام الحصن آثار صهر معادن وإن كان صغر حجم الحصن جعلني أشك في نسبته إلى جساس بن مرة ومما يلفت النظر خصب وادي البسوس وروعته وكثرة أشجار السدر العملاقة في الوادي ومن حوله.

وبعد هذه الرحلات الميدانية قمت برحلات أخرى في بطون الكتب لاستجلاء الأدلة التي قد تؤيد أو تنفي أن حرب البسوس بدأت هنا، ووجدت أهم الأدلة تؤيد أو تشير إلى ترجيح كون الحرب قد بدأت في هذا الموضع، ومن تلك الأدلة:

أ- ما ورد في العقد الفريد : " وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج جليلة ... إلخ " بل إن معظم القبائل العربية المعدية وغيرها كانت تعيش في تهامة ثم تفرقت في أرجاء الجزيرة العربية (انظر سيرة ابن هشام ٤٣/١) .

ب- وردت أبيات من شعر المهلهل تؤكد أن ديارهم كانت بتهامة، فقد ورد في العقد الفريد (ج ٦/ ٧٢-٧٣) . وقال المهلهل يرثي كليباً :

بتُّ ليلي بالأنعمين طويلاً ... أرقب النجم ساهراً أن يزولا
كيف أهدأ ولا يزال قتيلاً ... من بني وائل ينسي قتيلاً
غيِّبت دارنَا تهامة في الدهر ... وفيها بنو مَعدٍّ حلولاً

ج- إن ياقوتا الحموي أشار إلي ما سماه سوق الذنائب قائلاً : " وسوق الذنائب قرية دون زبيد من أرض اليمن، وبه قبر كليب، وقال مهلهل يرثي أخاه كليباً:

أليلتنا بذي حسُمُ أنيري ... إذا أنت انقضيت لا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أي زير

(معجم البلدان ٩٨/٣)

وبهذا الموضـع بالذات من تهامة الباحة موضـع يقال لـه : الذنبة وهي قريبة من قبر كليب، ويحكى أنه كان بقربه أيضـاً سـوق قديم يسمى سوق المدارات، وكان يتجر إليه كبار السن من أهالي حواله . فلعله من بقايا سوق الذنائب القديم . أما قول ياقوت (دون زبيد) أي قبـل مدينـة زبيد فهذه العادة تكثر عنـده وعند غيره في تحديـد الأماكن فلا يحددها بدقة وبخاصـة المواضـع الواقعة بين مكة واليمن. وقد أتى ياقوت بعد ذلك بقول أبي زياد: " الذنائـب مـن الحمي حمي ضـرية من غربي الحمي وأردف ياقـوت قائلاً : والله أعلم . معجـم البلـدان (٩٨/٣) . وذلـك دليل على عدم تأكده من موضـع قبر كليـب، وإن كان قـد ورد في الأغـاني القول بأن:" مقتل كليب بالذنائب عن يسـار فلجة مصـعداً إلى مكة" الأغـاني (٤٤/٥)، ولعل ذلك من تخليـط الرواة أو لعل من الممكن أن تكون الذنائب لأكثر من موضع، ومن هنا تأتي أهمية التحديد المكاني لبداية حرب البسوس التاريخية.

د ـ تذكر المصادر التاريخية أن من أوائل معارك المهلهل معركة بماءٍ يقال له النَّهي. وهنـاك واد يجـزع قرية حوالة في السـراة يُسـمى النهيين تثنية (نهـي) وهو يمر بحوالة متجهاً شـرقاً إلى نجد وربما سـمي النهيين لأنه ينقسم قسمين في بدايته يلتقيان في أسفل قرية حوالة وكل منهما نهي، وحتى لو ثبت أن النهي هو الماء المعروف بوسط نجد فإن الوقعة قد حدثت فيه بعد خروج قبائل بكر وتغلب وارتحالهم عن تهامة إلى نجد، أما استبعاد كون قبيلة تغلب قد سـكنت في هذا الموضـع والمعروف أنها قبيلة عاشت في وسط نجد ثم انتقل معظمها فيما بعد إلى شمال العراق أو الشام، فذلك غير صحيح على إطلاقه فمازال جزء من قبيلة تغلب يعيش بالقرب من هذا الموضـع ولا يبعدون عنه سـوى (١٥٠) كيلاً ويدعون أكلـب وهم في الحقيقة مـن بني ربيعة بن نزار" انظر:كتاب **تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر**ص٥٠ـ٥١ ـ٥٢.

هـ ـ لم تفسر الروايات التاريخية سبب رحيل المهلهل إلى قبيلة جنب من مذحج وإجبارهم إياه على تزويج ابنته في جنب، ولكن اكتشـاف هذا الموضـوع وفي هذا المكان بالذات من الجزيرة العربية قد يفسـر لنا السبب الحقيقي لعودة المهلهل من أواسط نجد إلى نواحـي اليمـن، وذلك السـبب يتمثل في إيثاره العـودة إلى قبر أخيه لقضـاء ما تبقى مـن عمره عنـده، وقد عادت معه ابنتـه اليمامة، ولكنه لما عاد إلى القبر بعد أربعين سـنة وجد قوماً من مذحج يسـكنون عنده فجلس بينهم ولربمـا امتهن دباغة الجلود ليعيش هو وابنته، إذ أسـاطير أهل حوالة تشـير إلى أنه كان يعمل بدباغة الجلود، وهنـاك زوج ابنته (لشـمران) وهـو الفرع الوحيد من مذحج الذي نزل بالقرب مـن هذا المكان حتى الآن، أو أنه زوج ابنته لبعض جنب فأولدت شـمران فشـمران نسـب إلى عبيدة كما تقول بعض كتب النسب، وشمران هو الفرع الوحيد من قبائل مذحج الذي نزل بالقرب من هذا المكان وفارق

بقية إخوته من مذحج الذين مازالت مساكنهم تمتد من شمالي اليمن وسراة عبيدة حتى أواسط نجد بالقرب من مدينة الرياض، وقد كان تزويج ابنة المهلهل على صداق من أدم وحينذاك أنشد المهلهل بكائيته في تزويج ابنته بهذا المهر وهو السيد المطاع في قومه ولطالما هابته العرب جمعاء، ولكنه آثر تزويج ابنته والبقاء بهذا المكان حتى توفته المنية بجانب قبر أخيه، لا كما تذهب بعض الروايات التاريخية التي تحدثت عن أسره ثم قتله، وبعد فإن من المرجح وأقول المرجح أن حرب البسوس قد بدأت في تهامة الباحة، ولعل الدراسات الأثرية القائمة على تحديد عمر بعض آثار صهر المعادن أو بعض العظام عن طريق الإشعاع الكربوني قد تلقي مزيداً من الضوء على هذا الأمر، وما مقالي إلا خطوة أرجو أن تليها خطوات كثيرة، والله الموفق، وكتبه جمعان بن عبد الكريم الغامدي (الباحة).

٧. مسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

لقد جعلت الإدارة العامة للآثار من مسجد يُنسب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الجوف شعاراً، وللأسف فإن مسجداً آخر ينسب إلى علي بن أبي طالب هدم في عام (١٤٠٢هـ) وأقيم مكانه مسجد حديث على نمط المساجد التي شيدتها وزارة الأوقاف، وذلك في قرية دار المسيد في بالحكم من قبيلة بني كنانة بالقرب من مدينة المندق، حتى أن أهل القرية أرادوا تسمية المسجد باسمه السابق أو على الأقل حلقة تحفيظ القرآن في المسجد فرفضت إدارة الأوقاف في المنطقة، وطلبت أهالي القرية بإثبات يدل على صحة التسمية، وهذا قول غير سليم، فلقد بعث الرسول (ﷺ) علياً إلى اليمن واحتمال مروره بهذه الأنحاء احتمال كبير.[1] وقد عاد إلى الرسول (ﷺ) في العام العاشر، ووافاه بمكة في حجة الوداع، وهناك دلائل أخرى تؤيد احتمال إثبات نسبة هذا المسجد إلى علي أبي طالب (رضي الله عنه) ومنها ما يلي:

١. تسمية القرية باسم (دار المسيد) أي المسجد والمسيد لهجة عربية قديمة ما تزال مستعملة في بعض مناطق الباحة، ونسبت إلى (المسجد) كما يبدو لشهرته. بل إن كثيراً من أهل القرى في غامد وزهران كانوا يصلون الجمعة في هذا المسجد قبل أكثر من خمسين سنة حتى الآن.

٢. تواتر الروايات الشفهية بين الناس أن المسجد منسوب لعلي بن أبي طالب لأنه صلى في موضعه، والتواتر الشفهي من الأدلة المعتبرة شرعاً التي يعوّل عليها حتى وإن لم

(١) ليس لدينا روايات مؤكدة تثبت مرور علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من سروات غامد وزهران. مع أن الروايات التاريخية المبكرة تؤكد على ذهابه من الحجاز إلى اليمن عدة مرات في عهد الرسول (ﷺ). (ابن جريس).

توجد نقوش ومعالم ظاهرة،[١] وهناك بعض آثار مصلى في أعلى الجبل المشرف على القرية والمسمى جبل الأنصب، وبالموضع قبر لأحد الصالحين كان عليه قبة أزيلت في بداية العهد السعودي وكان الجبل أحياناً يسمى بجبل القبة .

٣. قيل إن هناك عند أهالي القرية ومخطوطات تثبت صحة نسبة هذا المسجد ولم أستطع الحصول عليها ، وقد حصلت على بعض التفصيلات في وصف المسجد المهدوم وفي قصة تسميته من أحد كبار القرية، وهو أحد المعمرين فيها وهو (عقيل بن عطية الزهراني) الذي كان إماماً ومعلماً وفقيهاً في القرية، وإفادته جاءت على النحو التالي: " إن هذا المسجد كان مبنياً منذ القدم، وكان مبنياً من الحجارة والأخشاب والطين حيث كان سقفه معموراً بخشب أشجار العرعر فكانت تطرح الأخشاب ويوضع عليها نوع من الأحجار التي تشبه الصفيح وتسمى (الصلاة) ومن ثم يوضع التراب والطين وكانت له أيضاً منارة مرتفعة نسبياً، وكان بالمسجد ما يشبه دورات المياه، وفي إحدى زوايا المسجد توجد تقسيمات بسيطة تستخدم فيها بعض الأواني القديمة، أما بقية جدران المسجد فهي من الأحجار والطين، ومساحة المسجد كبيرة، فهو يستوعب حوالي (١٥٠-٢٠٠) مصلًّ .أما نسبة وتسمية المسجد باسم مسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقصة متوارثة من آبائنا وأجدادنا حيث أنهم كانوا يحدثوننا بهذه القصة حينما كنا نسألهم بها" ، وعندما سئل عن قصة المسجد الآخر الواقع في رأس جبل الأنصب أجاب: " إن هذا المسجد مسجد أثري وقديم جداً وكان يقصد من قبل آبائنا وأجدادنا لأداء صلاة الاستسقاء فقط أومن أدركته الصلاة وهو بالجبل، أما القبر الذي كان بالقرب من هذا المسجد فيقال إنه لرجل صالح اهتم به بعض الناس وقاموا ببناء قبة عليه " .

هذا ما استطعت الحصول عليه من معلومات حول مسجد علي بن أبي طالب والمسجد المبني على الجبل المشرف على القرية، وأشكر كل من ساعدني في إمدادي بمعلومات عن هذا المكان الأثري المهم وبخاصة الأخ ناصر بن صغير بن ناصر الزهراني، وأرجو أن أكون قد أشرت مجرد إشارة إلى موقع أثري من المواقع التي تزخر بها منطقة الباحة (والله من وراء القصد) .[٢]

---

(١) انظر بحث : الآثار الإسلامية بقرية البطالية لفهد بن علي الحسين (ط١ /١٤٢٢هـ) إصدارات وكالة الآثار والمتاحف في وزارة المعارف، وهو في أصله رسالة ماجستير، وقد عول كثيراً على الروايات الشفهية يقول في ص(١٣) قرية البطالية إحدى قرى محافظة الإحساء وأهم المواقع الأثرية الظاهرة بالقرية مسجد جامع ... وهذه الآثار على الرغم من أهميتها لا تحمل نقوشاً تحدد تاريخها بينما تفيد روايات محلية متواترة بين سكان القرية أن هذه الآثار تعود إلى فترات إسلامية مبكرة .(جمعان الغامدي) .

(٢) وتأكيداً على ما ذكر الدكتور جمعان، فالمنطقة فعلاً تزخر بمئات الرسومات الصخرية، ناهيك عن المواقع الأثرية فهي الأخرى كثيرة ومتناثرة في أنحاء المنطقة . ونأمل أن نرى أقسام وكليات الآثار، وكذلك الآثاريين في المملكة فيتجهوا في دراساتهم الأكاديمية إلى بلاد تهامة والسراة الغنية بتاريخها وحضارتها . (ابن جريس) .

٨. صفا الطهيان :

هو موقع قديم ورد ذكره في الشعر الأموي، ونجد اللص الأزدي يعلى بن الأحول، الذي كان في سجن مكة المكرمة خلال العصر الأموي، يتمنى أنه ساكناً في جبل حزنة وفي صِفا الطهيان وغيرهما من بلاد غامد.[١] وتوجد أسفل صفا الطهيان قرى مهجورة، وربما لو أُجريت دراسة أثرية لهذه القرى وما جاورها فقد يحدد العمر الزمني لسكن هذه البلاد.[٢] والواضح أن هذه المواطن لم تذكر في الشعر الجاهلي، مع أن شعراء الجاهليين كانوا مغرمين ومولعين بذكر المواضع في أشعارهم،[٣] ورغم جمال طبيعة صفا الطهيان وجبل حزنة وعموم منطقة الأصدار من بلاد تهامة والسراة، فربما أنها لم تسكن إلا منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وتحديداً منذ العصر الأموي،[٤] ومن المحتمل أن كثيراً من قبائل المنطقة كانوا بدواً في سفوح بلاد السراة الشرقية والتي ورد ذكر كثير من مواضعها في الشعر وغيره من كتب التراث الإسلامي، كما تكثر النقوش والآثار بها، وربما اضطر الجفاف أهلها فنزحوا إلى قمم الجبال بعد أن كانت غابات وأحراشاً.[٥]

٩. آثار اللجيحة :

في يوم الخميس الموافق (١٨/٢/١٤٢٣هـ) كانت الرحلة إلى وادي غينة الذي يصب في وادي جرب، ومن وادي غينة اتجهت قصداً نحو الشمال إلى شعب اللجيحة الواقع عند سفوح جبل العُمدان، وهي ثلاثة جبال شامخات كأنها براكين خامدة ويقع

---

(١) جبل حزنة وصفا الطهيان ضمن منطقة أصدار محافظة بلجرشي، وهذه الأوطان تتصف بالجمال الطبيعي، ووعورة التضاريس الشديدة. مشاهدات الباحث أثناء زيارة منطقة الباحة في الفترة من (٢٩/١١- ٢٩/١٢/١٤٣٣هـ). (ابن جريس).

(٢) بالقرب من صفا الطهيان في حزنة توجد آثار لقبر يدعى أنه قبر لقمان، ويظن البعض، وهذا غير صحيح، أنه قبر لقمان الحكيم. وتذكر بعض الروايات. أن هذا القبر كان يزوره بعض الهنود. كما يوجد نقش في الصخور القريبة من القبر وهذه النقوش والقبر لازالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة. (ابن جريس).

(٣) القارئ في كتب التراث وفي الأشعار القديمة يجد ذكر مواقع كثيرة في صحارى الجزيرة العربية وفي سرواتها وبواديها. للمزيد انظر الدواوين الشعرية القديمة، وانظر مصادر اللغة والأدب العربي فهي مليئة بأسماء مواقع في بلاد السراة الممتدة من اليمن إلى الحجاز. (ابن جريس).

(٤) منطقة الأصدار كانت ترتاد من قبل أهل السراة منذ القدم لكن صعوبة أرضها ووعورة طرقها وخطورة سباعها وزواحفها ربما جعلت الناس لا يرتادونها إلا بهدف رعي مواشيهم، أو جلب الحطب أو الصيد من جبالها وأوديتها، ومن ثم فإقامتهم بها كانت محدودة. ومنذ أربعين عاماً كنا نشاهد آباءنا وأجدادنا يذهبون إلى هذه النواحي من أجل الرعي أو جمع الحطب، وقد يمكثون بها بعض الوقت، لكنهم يعودون إلى أماكن استقرارهم الرئيسية في أعالي السروات أو في سهول تهامة وعند سفوح السروات الغربية. مشاهدات الباحث منذ أربعة عقود مضت. (ابن جريس).

(٥) هذه آراء وأقوال يتخللها عدم الصحة، فبلاد السراة وبخاصة قممها كانت مسكونة منذ عصور قديمة قبل الإسلام، والصلات بين سكان الجبال السروية وسفوحها البدوية الشرقية وساكني سفوح السروات الغربية، بل إن العشائر والبطون القاطنة في هذه النواحي الثلاث يعودون في الأساس إلى أعراق وأنساب واحدة. مشاهدات الباحث وقراءته عن تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية. (ابن جريس).

أعلى شعب اللجيحة، وعند أواسط الجبال الثلاثة آثار إسلامية مكتوبة بالخط الكوفي استطعت الحصول على ثلاثة منها وتصويرها، وهناك ما يشير إلى بقايا قرية إسلامية في هذه النواحي من آثار رجوم وامتدادات حجرية بشكل طولي، أما الجبل الأوسط من جبال العمدان والتي تقع عند سفحه قرية اللجيحة الأثرية أو ما تبقى منها ففي بعض صخوره رسوم لأوعال ومخربشات قمت بتصويرها، الأمر الذي يشير إلى قِدَم سُكنى هذه الجبال، كما أن كثيراً من البدو يؤكدون أن رسوم الأوعال والمخربشات وبعض النقوش منتشرة بكثرة في سلسلة جبال شعير المنقادة إلى أعالي جرب، وكذلك في سفوح وصخور وادي ليف القريب من جرب وفي وادي تالع وثراد.[١]

١٠. آثار جبل عيسان، وخربة السباع :

تقع عيسان في شمالي قرية بني سار، وهو حمى مشترك بين بني سار من زهران، والزَّهران من غامد وقد وجدت فيه رسماً لوعل في العرش، كما وجدت بعض المخربشات القديمة التي تبدو كخط من الخطوط السامية، ورسماً لوعل وجمل عليه راكبه مع بعض الكتابات الحديثة.[٢]

أما خربة السباع فتقع وسط ديار بني حسن من زهران، وهي إلى الغرب من الطريق القديم بين الطائف والباحة غرب الفرعة بعد النزول من قرية القحف إلى الشولة ثم إلى خربة السباع في مرتفع من الأرض، وهي أشبه بقلعة كبيرة، ووجدنا بها نقشاً إسلامياً كتب بالخط الكوفي، ويبدو أنه شاهد لقبر استخدم في بناء القلعة، وهناك ما يشبه الخطوط الثمودية، أما النقش فلم يتضح في الصورة لعلوه في جدار القلعة، وهو يبدأ بكلمة (اللهم ... إلخ) .[٣]

(*) مواقع أخرى غير مكتشفة :

الباحة غنية جداً بما فيها من آثار ولعل الأيام القادمة تكشف مزيداً من كنوزها الأثرية، ومن المواقع الأثرية غير المكتشفة التي أعرفها ما يلي :

---

(١) لقد شاهدنا الكثير من الآثار والنقوش والرسومات الصخرية في الأجزاء الشرقية من بلاد غامد . وتلك الآثار بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) جبل عيسان من الجبال المشهورة في منطقة الباحة وله ذكر عند كثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين . مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/١٢/٥هـ/٢٠١٢م) . (ابن جريس) .

(٣) هناك بعض الروايات الشفهية التي تذكر أن بني حسن كانوا في هذه القلعة، ويبدو أنها من أوائل الأماكن القديمة التي سكنتها عشائر الأزد في قمم السراة . وتاريخ الأرض والسكان في بلاد السراة لازال بحاجة إلى بذل جهود كبيرة من قبل الجامعات والباحثين والأكاديميين النزيهين المنصفين . (ابن جريس) .

(١) كهوف الجنية خلف قرية السكران بتهامة . (٢) ما يسمى بآثار رجل أبي زيد الهلالي في أعلى قرية العقشان ببني ظبيان. (٣) ما يسمى بسوق بني هلال ومسدح خاتمة في أعلى جبل أفعان بالطويلة ولم أجد فيهما آثاراً واضحة، إلا أنني وجدت رسومات قيل لي أنها حديثة وذلك في هضبة الخربات شرقي جبل أفعان.(٤) آثار منازل في عرق الكراء أسفل المركز الرياضي في الباحة . (٥) آثار قرية الفرش شرقي بني مشهور. (٦) الدخن والهيالة بالقرب من قرية الحنجور في تهامة .(٧) جبل العصفرة ببني كبير يحوي رسوماً ونقوشاً قديمة . والأماكن السابقة ربما كان فيها المهم وغير المهم إلا أنه لابد من إجراء دراسة علمية لتقويم أهميتها وقد زرت أكثرها ما بين عامي (١٤١٨ـ ١٤٢٠هـ) .

(*) المخلفات البشرية :

مما لاشك فيه أن في أيدي بعض أهل المنطقة بعض المخلفات الأثرية المهمة لنقود وأسلحة قديمة جداً لم تحظ بدراسة، أما المخلفات البشرية التي حظيت بدراسة غير مكتملة فهي تلك البقايا التي وجدت قريبة من السطح في مدينة عشم إذ تتناثر قطع الفخار والزجاج الملونة بكثرة، ويبدو أن ذلك الفخار والزجاج يعود لفترة مبكرة تسبق ظهور الإسلام إذ هو قريب الشبه للموجود في مدينة الفاو. ومدينة عشم تنتظر أعمال تنقيب علمية تظهر الكثير من دفائنها التي ربما تغير مسار النظريات الأثرية .

ومن المخلفات البشرية التي وجدت بالقرب من مدينة عشم بقايا الرحي المستعملة في طحن الصخور لاستخراج الذهب، كما يوجد في المنطقة كثير من المواضع التعدينية وأهمها: (١) منجم لغبة شمال بلدة العقيق .(٢) منجم الوقرة شمال شرق بلدة العقيق.(٣) منجم بغبغ. (٤) منجم العملة شمال شرق قرية منحل.(٥) منجم منحل شرق الأطاولة بـ (١٥) كم.(٦) منجم العشمة . (٧) منجم حلحال. (٨) منجم بوبير. (٩) منجم بني دكة ـ بوادي بالشهم. (١٠) منجم العنق في بادية بني كبير. (١١) منجم الصفر قرب العصداء. (١٢) معملة محوية .

(*) الرسومات :

تُعد منطقة الباحة من المناطق الغنية بهذه الرسومات وهذه الرسومات تتنوع ما بين رسومات لأوعال وهي أكثر الرسوم وقد وُجدت هذه الأوعال في : قملي، وذات الثودة، وأم السدرة، واللجيحة، والمفارجة . وتلك الرسومات تختلف في طريقة رسمها وفي حجمها من موضع إلى آخره كما وجد رسم للأبقار في شدا، ووجد كذلك رسم الجمل في قملي، وذات الثودة، وأم السدرة، وأفضل رسم للجمل وأكبره حجماً ما وجد بذات الثودة . أما الرسومات الآدمية فهي في جبل غيب في الباهر وفي روضة بني سيد وفي غربي الروضة

كما وجد في الروضة رسم آدمي بشكل مميز، كما توجد بعض الرسومات الآدمية في صفح الكتاب ويوجد في ذات الثودة رسم لرجل يصيد بالسهام . كما أن هناك صورة لرجل يركب الجمل في عيسان.[١]

(*) الكتابات والنقوش :

والمخربشات غير المفهومة هي أكثر النقوش انتشاراً في منطقة الباحة، وتكثر المخربشات التي على شكل مربعات غير منتظمة في أكثر من موقع، وتوجد هذه المخربشات في ذات الثودة أو أم السدرة وصفح الكتاب، وعيسان، وقملى في جبل غيب بالباهر، وفي روضة بني سيد، وفي صخرة دوس . أما الخطوط القديمة للكتابات الثمودية والسبيئة فقد بحثت كثيراً عن مثل هذه النقوش فلم أجد شيئاً ذا بال، وإن كان قد نمى إلى علمي عثور الدكتور عوض السَّبالي على نقوش ثمودية في وادي المنَّزل بعيسان . أما النقوش القصيرة التي وجدتها فيبدو أنها نقوش ثمودية، ومنها نقش وجد بحجر في بئر بقرية رباع، وللأسف فإن الحجر رمي في البئر التي تحتوي على كوة تؤدي إلى سرداب.[٢]

وخلاصة القول :

منطقة الباحة غنية بآثارها السطحية والمدفونة ، وجبالها ووهادها مليئة بالنقوش والرسومات الصخرية ، وهذه المصادر التاريخية جديرة بالاهتمام والدراسة والتحليل ، ونأمل من أبناء هذه البلاد ، ومن المؤرخين والأثاريين أن يولوا هذه الأوطان اهتماماً في بحوثهم ورسائلهم العلمية .

---

(١) نأمل أن تنشئ جامعة الباحة قسماً للآثار والسياحة كي تدرس منطقة الباحة تاريخياً وأثرياً وسياحياً. (ابن جريس) .

(٢) جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، والقنفذة) مليئة بالنقوش والكتابات والآثار والرسومات الصخرية والأبنية، والكهوف، والمقابر، والآبار، والمدرجات الزراعية، والقرى،والأسواق وغيرها، وهي تحتاج إلى عشرات الدراسات الأكاديمية لجمع وتدوين تاريخ هذه الأوطان العريقة بأهلها وتراثها وحضارتها، ونأمل من الجامعات المحلية في هذه النواحي وكذلك من الباحثين الأكاديميين الجادين أن يولوا هذه البلاد اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم العلمية . (ابن جريس)

الدراسة الحادية عشرة

إيضاحات، وإضافات، وانتقادات، وتعليقات على جزئيات منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الجزءان (الثالث، والخامس)

بقلم :أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير، ونجران)، ط١
(١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م) - (الجزء السابع)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ١٩٠ - ٢٤١

الدراسة الحادية عشرة : إيضاحات، وإضافات، وانتقادات، وتعليقات على جزئيات منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الجزءان (الثالث، والخامس) ، بقلم . أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني [1]

أولاً : مدخل :

علي بن سدران الزهراني أحد أعلام منطقة الباحة، ومن الباحثين البارعين في تاريخ وأنساب وحضارة بلاد زهران[٢]، وحتى هذه الساعة لم أقابله، لكنني على اتصال معه ثقافياً وعلمياً، بل أكرمنا - جزاه الله كل خير- ببعض التصويبات القيمة على كتابنا : **دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الثاني**[٣]، ثم استمرت الاتصالات بيننا حتى الآن، وفي كل مرة يذكر لنا بعض الملحوظات القيمة في مجال التاريخ والأنساب والحضارة، وأنا أطلبه وأرجوه أن يدون ما يراه من الصواب علمياً وفكرياً . وأخيراً اتصل بنا يوم الخميس (١٤/٣/١٤٣٥هـ) وأرسل لنا هذه الإيضاحات والتصويبات على بعض التفصيلات والمدونات التاريخية المنشورة في سلسلة كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزءان الثالث**[٤]، **والخامس** [٥]، كما تطرق في مدونته إلى بعض المؤلفين والكتب التي درست تاريخ

(١) للمزيد عن ترجمة الأستاذ / علي بن محمد بن سدران الزهراني، انظر: غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، الجزء الخامس، ص ٢٦٩

(٢) في بلاد غامد وزهران أعلام يستحقون البحث والكتابة عنهم وما قدموه من خدمات لدينهم وبلادهم وأهلهم، وابن سدران أحد أولئك الرجال، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يخرج لنا دراسة تراجم عن أعلام منطقة الباحة خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٣) انظر هذه التصويبات منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير)، ج٥، ص ٢٦٩- ٢٨٦ .

(٤) عنوان هذا الجزء : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (عسير ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠-٢٠١١م). الجزء الثالث (٦٢٥صفحة) .

(٥) هذا الجزء هو : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الباحة وعسير) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤- ٢٠١٣م). الجزء الخامس (٦٠٥صفحة) .

منطقة عسير أو بلاد السراة، وأشارت أحياناً إلى بلاد غامد وزهران وصلاتها ببلاد عسير[١] . ومن ثم دونا عنواناً رئيساً لهذه المشاركة، وهي على النحو التالي : **إيضاحات، وإضافات، وانتقادات، وتعليقات على جزئيات منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الجزءان (الثالث والخامس) .**

١ـ إيضاحات، وانتقادات، على كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الجزء الثالث):

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد: فقد اطلعت على الملاحظات المنشورة في كتابَي الدكتور : غيثان بن جريس الشهري المسمى بـ (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) في الجزء الثالث الخاص بعسير ونجران، والجزء الخامس المتعلق بالباحة وعسير، بقلم العميد المتقاعد إبراهيم بن علي بن موسى الألمعي، واتضح لي صحة بعض تلك الملاحظات الواردة فيما يتعلق بإقليم عسير الحالي، غير أن العميد ـ هداني الله وإياه ـ خرج في بعض الأحيان عن روح الحوار الأدبي المتعارف عليه بين الأدباء والنقاد، مع أن مركزه الاجتماعي والثقافي وما بلغ من رتبة عسكرية، تفرض عليه تخفيف لهجة الكتابة الموصلة إلى ما يريد دون تجريح، لكن هذا أمر يخصه وحده، فقد يكون وراء الأكمة ما وراءها، فأنا في الحقيقة لم أتشرف بمعرفة العميد ولا الدكتور، ولكن ينبغي كما هو المتعارف عليه أن يسود الود بين الناقد والكاتب، في أي موضوع تتم معالجته يراه الناقد من وجهة نظره يخالف رأيه، وذلك من خلال الاحتكام إلى المصادر التي تناولته أو أشارت إليه، ومناقشة الكاتب في ضوء ما ورد فيها بإسلوب هادئ ورصين، أمَّا أن يكون النقد بصفة (عامة) محمولاً على رؤية الناقد الشخصية وبمثل تلك الحِدَّة التي قرأتها في ملاحظات العميد، ويخلو من الاستناد إلى كتب الأقدمين في حين أن الكاتب يمتلك الأدوات التي توثق بحثه، فهذا في نظري لا يخدم مسار البحث أيًّا كان نوعه، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: في سورة النحل، من الآية الكريمة ١٢٥ " وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ولا سيما في المجال الأدبي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على تقديم الأدلة والبراهين المدعِّمة للبحث، فلا يقدم أحد على نقض حجة الخصم إلا بدليل مقنع، حتى في مجال الحديث النبوي الشريف، فمن أورد حديثاً يرى صحة نسبته إلى الرسول (ﷺ) ، فهو مطالب بالسند الموصل إلى الرسول(ﷺ) ،

---

(١) نرجو من الأستاذ علي بن سدران أن يحسن الظن في كل الباحثين العسيريين الذي أشار إليهم في هذا المبحث وغيرهم، والذين أشاروا إلى شذرات من تاريخ غامد وزهران وعلاقتهم بجيرانهم في عسير وغيرها عبر التاريخ، ولو كان ما ذكروه غير صحيح، أو فسره الأستاذ علي بطريقة مغايرة لما قصدوه. والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، ونحن على يقين (إن شاء الله) أن معظم من ذكر ابن سدران يبحثون عن الحقيقة (والله من وراء القصد).

وإلاّ اعتبر قوله لا فائدة منه، ولو كان يزعم أن الحديث صادر عن المصطفى (ﷺ)، وقد وضع العلماء قاعدة مفادها أن من يخلو بحثه من المراجع فلا يعتد به، وكلا الطرفين الكاتب والناقد يعلمان هذا جيدًا، ولذا ينبغي للناقد أن يقرأ البحث جيدًا ليفهم مناحيه وغوامضه، ويستخدم عقله فيما يرمي إليه الكاتب، إذا خلا من الدليل، فالناقد يرى في البحث مالا يراه الكاتب، ولا يصدر الحكم عليه إلا بعد دراسة مصادر الكاتب للتأكد من صحتها، وملاءمتها للحدث الذي عناه الكاتب ومن ثم يصوّب رأي الكاتب أو يخطِّئَه، وما يهمني من هذه الملاحظات التي أوردها العميد، بصفتي أحد أبناء السراة، هو تعميمه إقليم (عسير) جغرافيًّا وإداريًّا وحتى قبليًّا، على جميع قبائل السراة وتهامة من نجران إلى زهران دون مصدر قديم يتكئ عليه . سوى أقوال بعض المؤرخين حديثي العهد، إضافة إلى بعض ملاحظات أخرى أوردها عن الأزد وغيرها مما سأوضحه في هذه العجالة .

ولا أدري لماذا يحلو لبعض أدباء وكتاب عسير الإصرار على ضم قبيلتي زهران وغامد إلى إقليم عسير، دون مصدر تاريخي صريح، وليتهم بهذا الضم أنصفونا وجعلونا ندًّا لقبائل عسير فيما يكتبونه عنها من موروثات ومعلومات، لكننا نرى مع الأسف باستثناء الدكتور غيثان بن جريس **(مؤرخ تهامة والسراة)**، يَتَكَثَّرون بنا ثم لا يوردون عنا في كتبهم إلا ما تفتقر إليه قبائلهم من معلومات أو أعراف، وأحيانا يكتبون عنا للتندر لا غير، فيأتون بتلك المعلومة أو ذلك الخبر الساذج مغلوطا أو غير موثق، وينسبونه لهاتين القبيلتين المظلومتين، فعلى سبيل المثال عندما كتب الدكتور (عبد الله أبو داهش) كتابه المسمى : "أهل السراة"، ظننت أن الدكتور أتى على ذكر قبائل السراة عمومًا بحجم المعلومات التي أوردها عن بعض قبائل عسير، لكون عنوانه كما يفهم منه يشمل أهل السراة جميعهم، وإذا بي أجده يكتب عن واقعة سوق الخميس الخرافية التي تذكر أماكن متباعدة جدًّا عن ذلك السوق الوهمي الواردة بأسلوب ركيك متناقض، وتصف قبيلة زهران دون غيرهم بحرمان البنت من ميراثها الشرعي، ولم أره يعلق عليها بما يفيد شذوذها وعدم صحة ما ورد فيها، وفي مجال الحياة الأدبية يورد رسالة ذلك الغامدي، الذي ربما ذهب للتزود من العلم في مدينة الدرعية، ويستشهد بها على تفشي العامية بين أفراد تلك القبيلة، وكأنه يحصر التخلف الأدبي والجهل بلغة العرب على سكان هذه البلاد دون غيرها من بلدان السراة، ويقول لقراء كتابه بطريقة غير مباشرة : انظروا إلى جهل أبناء هذه القبيلة باللغة العربية تحدثًا وكتابة، في حين أن الهمداني قبل عدة قرون ذكر غامدا من قبائل السروات الفصيحة .

ومثل تلك الوثيقة ورد كثير منها في كتاب الدكتور، كتلك التي اعتنى بتصويبها صفحة: (١٥١ - ١٥٣) . وأغفل تصويب (ممتثلين ١٥٣) وما قلته يا دكتور عن صاحب

هذه الرسالة (الغامدي) ينطبق على أصحاب تلك الوثيقة آنفة الذكر، ولعل جُرْم الغامدي في أمِّيته - إن اعتبرته جرما ثقافيًّا - أخف بكثير من جرم قحطان في عُريهم من المسلمين كما قالت الوثيقة. فلتكن كتابتك (يا دكتور) في مجملها عادلة متوازنة ومنصفة في الوقت نفسه بحيث لا تجرح قبيلة معينة لأن جل القبائل لا تخلو من عيوب في بعض الجوانب، وأنت تعلم يقينًا أنه لا يقاس أدب أمة من الأمم بمثل هؤلاء الأميين.

ولا أرى في كتابه في مجال الآثار ذكرًا لما تزخر به هاتان القبيلتان منها، حتى إنه ذكر في وادي (عياء) من بلاد بللحمر - على سبيل المثال - خمسة عشر حصنًا بعضها ليس بذي أهمية، وتناسى أن يتكرم على (زهران أو غامد) بذكر حصن واحد من حصونهما التاريخية الهامة المنتشرة في قسميها السروي والتهامي.

وجاء من بعده الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن عائض بكتاب عن العادات والتقاليد في إقليم عسير فضم قبيلتي (زهران وغامد) كمن سبقه ضمن إقليم عسير وكأننا أيتام على يديه، وليته حين ضمنا أورد شيئًا يستحق الذكر من موروثنا العريق، لكنه جعلنا وبقية قبائل السراة الأخرى قلَّة فيما دَوَّنَه عنها، فلم يذكرنا وإياهم إلا بعد عجزه عن إيجاد شاهد من قبيلته لحادثة معينة، والأدهى من ذلك أنْ جعل من قبيلته "عَلْكَم" هي النموذج المحتذَى، فلا يذكر في الكتاب شيخًا على كثرة شيوخ السراة وتهامتها، إلا من عَلْكَم، ولا يورد وثيقة أو اتفاقية قبلية أو قبيلية إلا من علكم، ولا يدون قصيدة شعبية أو فصيحة إلا لشاعر من قبيلة علكم، ولا يأتي بحادثة إلا من قبيلة علكم، ومن يطالع كتابه يجده لا يأخذ من القبائل الأخرى إلا لترضيتها فقط، حتى الناظر في تلك الصور التي أوردها في نهاية الكتاب لا يجد لزهران أو غامد صورة رجل مرموق، أو حصن من حصونهما التاريخية، أو صورة لأثر من آثارهما المنتشرة في عرض البلاد وطولها، مما يدل على أن الكتاب مخصص لقبيلة (علكم) النائبة نيابة قسرية عن قبائل عسير والباحة ونجران وجازان، وقد أثار هذا الكتاب عند صدوره سخط قبائل المنطقة الجنوبية، لما فيه من تحيز واضح لقبيلة علكم، ولإيراده بعض العادات المنافية للشريعة الإسلامية والأخلاق العربية الأصيلة التي تمنيت ألاَّ يضمنها كتابه، وقد قال الأجداد (رحمهم الله)، والحكمة فيما قالوا: (ما كُلُّ ما يُقال يُكتب) لكن لأسباب أعلم بعضها خمدت تلك العاصفة، وكان من المفروض أن يخصص هذا البحث بقبيلة علكم وحدها كما قلت سابقًا، لأن أغلب الحديث عنها، ولنا على الكتاب ملاحظات كثيرة، لعلي أدونها إن شاء الله تعالى في أحد كتبي القادمة، أو أنشرها على أحد مواقع شبكة المعلومات ليطلع مقتني الكتاب على بعض تلك الأخطاء.

إذن بعض إخواننا الكتّاب في عسير لا أدري بالضبط ما هدفهم من ضَمِّنَا إليهم، وهم يعلمون أنَّ ديار زهران وغامد لا تتبع ديار عسير جغرافيًّا، بالإضافة إلى أنَّ قبائل

السراة قاطبة تنفر من حكم الأجنبي، ولا ترضى بحكومة إلا من بين أفرادها، أما إذا كان هناك تنظيم حكومي في مكة أو أبها، تدعمه القوة الغاشمة، وفرض نفسه على تلك القبائل العاجزة عسكريًّا عن مقاومة جيشها المسلح، فإنها ترضخ له إلى حين، ثم تثور عليه وتطرده من بلادها . وأنا وغيري من الكتّاب لا ننكر احتلال حكومة أبها أو مكة المكرمة أو حتى الإدريسي ـ قبل العهد السعودي الزاهر ـ قبائل (زهران وغامد) كسائر قبائل المنطقة الجنوبية، من أجل استغلال خيراتها دون مردود، والزج بأبنائها في أتون الحروب التي تشعلها مع قبائل أخرى من أجل السيطرة عليها، فإذا ما انتهت الحرب سرحتهم إلى بلدانهم، ومن أجل ذلك بدأ صراع الإمارتين (الأشراف وآل عائض) على ديار قبيلتي زهران وغامد لهذين الغرضين، وحين زوال ذلك الحكم تعود القبائل إلى وضعها السابق، فالاسم الإداري العام المطلق في ظل هيمنة تلك الحكومات المتعاقبة، إنما هو اسم وقتي فرضته الحكومة المحتلة لا يأخذ صفة الديمومة . أما أخونا العميد فيعتقد بل يجزم أن مسمى(عسير) لا يزال يهيمن بصفة دائمة على تلك القبائل السروية والتهامية الممتدة من بجيلة (بني مالك) شمالا إلى نجران جنوبًا، وعلى كل ما هو أزدي متناسيًا أننا جميعًا في هذا الوقت الزاهر تحت ظل حكم دولة وحدت تلك القبائل في كيان واحد باسم (المملكة العربية السعودية)، وأطلقت على كل منطقة اسمًا تتميز به عن الأخريات . وتنحصر ملاحظات العميد في نقطتين رئيستين هما :

١. تعميم لفظة عسير جغرافيًّا وحتى قبليًّا، على القبائل المنتشرة في جبال السروات من بجيلة شمالا إلى نجران جنوبًا، وفي تهامة من الليث شمالا إلى جازان جنوبًا.
٢. الإصرار على أزدية قبائل عسير : (علكم، ومغيد، ورفيدة وربيعة، وبنومالك) .

وفي هاتين النقطتين تدور ملاحظات سعادة العميد إبراهيم الألمعي .ومما قاله العميد في ملاحظاته : قال في الجزء الثالث من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب . عسير ونجران) ص (١١٤) : (الباحة (بتحفظ) - وهو يعنيها كمنطقة تضم قبيلتي (زهران وغامد) - (لما يروج أنها كانت إداريًّا تابعة للحجاز، أما جغرافيًّا فلا تحفظ) .

قلت : بيننا وبين العميد أقوال من سبقنا من المؤرخين، وما كتبوه في هذا المجال ولقد حسم هذا الأمر حكيم العرب : حممة بن عمرو الدوسي الزهراني، قبل حوالى ألفي سنة حين قال للمرأة التي سألته عن منزله، فقال لها كما ورد في كتاب : روضة المحبين: ٣٠٩ ومختصر تاريخ دمشق : ١١/١٨٧ : " أنا امرؤ من الأزد من دوس منزلي بثروق" . فلو كانت زهران آنذاك تتبع عسير جغرافيًّا ـ كما زعم العميد إبراهيم ـ لقال لها : " أنا امرؤ من عسير منزلي بثروق ". وللهمداني قول ينفي أن تكون بلاد (زهران وغامد) تتبع جغرافيًّا لعسير لأنها من أعمال الحجاز، فقد ورد في كتابه الشهير : (صفة جزيرة

العرب) تحديدًا لإقليم (الحجاز) التي تقع زهران وغامد ضمن حدوده الجغرافية فقال صفحة (٣٣٩) : (وكتنة أول حد الحجاز) .

ذكر الناقد أن لفظة (جازان) تكتب هكذا (جيزان) . قلت : الصواب في كتابتها هكذا "جازان" كما وردت في كتب اللغة ومنها (القاموس المحيط) للفيروز أبادي (ص ١١٨٦) فقال : (جازانُ : واد باليَمَن) . وقال الزبيدي في كتابه : (تاج العروس (٣٤/٣٥٤) : (جازانُ) : وَهُوَ (واد باليمن)، سُمِّيَت به القَرْيَةُ المَوْجودَةُ الآنَ على البَحْرِ الملح، وَهي إحْدى الثُّغورِ اليَمنيّة) .وكما قال به الهمداني في أكثر من موضع من كتابه : "صَفة جزيرة العرب" وهو أحد مراجع الناقد .

وفي ص : (١١٥) ذكر الناقد عن إقليم عسير ما يلي : (إن لهذا الجزء من شبه الجزيرة العربية اسمًا مستقلاً بارزًا على مر العصور وهو إقليم عسير، تكرر هذا الاسم مرارًا في ثنايا هذا الكتاب وغيره، فلماذا نورده بهذ الطريقة ولدينا اسم معلوم في عصرنا الحديث لهذا في بعض الكتب ليس اسما جغرافيًّا فقط، وإنما كان اسمًا اجتماعيًّا يرتفع إليه نسبًا جميع قبائل المنطقة أي عسير الجغرافية) . وفي ص : (٣٩٤) من الجزء الخامس يقول : (والاسم الجغرافي والسياسي والإداري هو عسير) كما يقول في ص (٤١٨) (تبتدئ بلاد عسير شمالاً ضلعها الشمالي من الليث فزهران فشمران إلى حدود وادي رنية) .

قلت : هذا كلام يفتقر إلى الدقة التاريخية، فعسير (الجغرافيا) لم تذكر قديمًا في كتب المؤرخين حتى تعمم اسمها على قبائل المنطقة دون مستند تاريخي، وإنما عرفت بهذا الاسم أي : (عسير) كجهة إدارية في العهد العثماني حين احتلتها وسمتها "متصرفية عسير" وفرض العثمانيون اسمها (الإداري) على القبائل الخاضعة لسلطانهم ولما أحدثت الحكومة العثمانية آنذاك في نواحي السراة المحتلة عددًا من المتصرفيات، لم نر في أواخر أسماء تلك المتصرفيات كلمة : (بعسير) مما يدل على استقلال كل متصرفية عن الأخرى، وأن كلاًّ منها مرتبطة عسكريًّا بالمركز (عسير) . ولنا قول هاشم النعمي، في كتابه "تاريخ عسير في الماضي والحاضر / ١٣) إذْ يقول عن عسير الجغرافية: (يطلق اسم عسير على مجموعة جبال شاهقة الذرى .. يحدها شمالا بلاد بللحمر ومحائل، وجنوبًا بلاد قحطان ودرب بني شعبة، وشرقا بلاد شهران، وغربا ساحل البحر الأحمر) . ويقول عن القبائل التابعة لها قديما وحديثا: (ويتبعها إداريًّا قديمًا وحديثًا القبائل الآتية : قحطان وشهران وبللحمروبللسمر وبنو شهر وبنو عمرو وبارق ومحائل وقنا والبحر، وتشكل مجموعة هذه القبائل في حدودها الجغرافية مسافة تمتد من الشمال من بلاد بني عمرو وبني شهر حتى ظهران فنجران جنوبًا، ومن الغرب إلى الشرق ما بين تهامة كنانة المحاذية للبحر الأحمر، فسواحل القحمة حتى تثليث فرمال الربع الخالي المعروفة قديما برمال حقا) . فهل نجد

لعسير الجغرافيا امتدادا إلى قبيلة زهران، أو نجد لها نفوذًا إداريًا في هذا النص الوارد عن أحد كتاب عسير ؟؟ .

ص ١١٥ ذكر الناقد بعض ولاة المنطقة من بعد الطائف في العصر النبوي فقال : (وقد نجد في ثنايا كتب التاريخ ذكر بعض الولاة من قبل الخلفاء الراشدين على أجزاء من بلاد السراة كجرش أو دوس وغيرها .. وهل وجد أمثالهم في بلاد بني شهر وبني عمرو أو أن نفوذ والي بلاد دوس أو جرش كان يشمل جميع بلاد السراة بما فيها قبيلتا بني شهر وبني عمرو) . ثم قال : (فهذا يعني التبعية إما لجرش أو دوس أما عن التولية فقد قرأت في بعض الكتب ! أن الولاية على جرش سبقت عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، إلى عهده (صلوات الله عليه وسلم) .

قلت : إن قبائل السراة وغيرها من قبائل الجزيرة العربية عرفت التنظيم القبلي في شخص ما يسمى بشيخ القبيلة الذي كان يطلق عليه قديمًا قبل شيوع لفظ (الشيخ) : الأمير أو الرئيس . فكل قبيلة لا تخلو من شيخ تختاره من أبنائها يدير شؤونها ويقدمها في المحافل القبلية أو الدفاع عنها، أو يقودها في حربها لغيرها . ولا يخضع هو وقبيلته لحكم قبيلة أخرى، ودوس يا سعادة العميد عرفت التنظيم القبلي في العصر الجاهلي، ربما قبل عسير بزمن، فقد كان مالك بن فهم الدوسي في العصر الجاهلي، أميرًا على دوس قبل رحيله إلى عُمَان، ومن بعده كان عمرو بن حممة الدوسي، وولده حكيم العرب حممة بن عمرو، أميرين على دوس، جاء في كلمة لعمرو بن حممة، أوردها صاحب كتاب : لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار : ٤٥ . بعد تنصبه على دوس ما يلي : " يا معشر دوس؛ لقد كلَّفتوني ثقلاً ، إنَّ القلب يخلق كما يخلق البدن، ومَن لكم بأخيكم إنْ كنتم سوَّدتموني فإني ألنتُ لكمَ جانبي، وخففْتُ عليكم مئونتي وتحمَّلت مئونتكم .. " .

ومن بعدهما كان لدوس قبيل الإسلام سيدان لا تحيد عن رأيهما، وهما : أبو أزيهر الدوسي، ذكره ابن حبيب ؛ في كتابه (المنمق في أخبار قريش : ٢٠٠) . وبسبب مقتله قامت الحرب بين دوس وقريش، والثاني هو : طريف بن العاص، ذكره القالي في أماليه : ٧٢/١، وصاحب كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ٣/ ١٧٧ ، ثم من بعده أتى أميران هما الطفيل بن عمرو الدوسي، وسعد بن أبي ذباب، وقيل ذئاب الدوسي رضي الله عنهما، والطفيل رضي الله عنه هو الذي قال للرسول (ﷺ)، لما أسلم على يديه قبل الهجرة والرسول (ﷺ) بمكة، ورأى بعض ما يعانيه من كفار قريش، كما ورد في كتاب الأنساب ٢٣٢ يدعوه ليحميه من أذى قريش قائلا له : " هلم إلى حصن حصين، وعدد وعدة "ولو لم يكن رضي الله عنه، صادقًا في قوله، وواثقًا من قومه في الوقوف إلى جانبه، وعدم خوفهم من قريش لما طلب استضافة الرسول ﷺ لحمايته ونصرته، ولمّا أسلم

سعد رضي الله عنه، على يد النبي (ﷺ)، قال له كما ورد في الكتب التالية : الطبقات : ٦٤/٤/ ق٢، مصنف ابن أبي شيبة : ١٤٢/٣، التاريخ الكبير: ٤٥/٤/ق٢ ج٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٢٦/٢، ٦٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤٣١/٢، الإصابة في تمييز الصحابة : ١٢٤/٢، وفي غيرها : " يا رسول الله : اجعل لقومي ما أسلموا عليه من أموالهم قال : ففعل رسول الله (ﷺ)، واستعملني عليهم ثم استعملني أبو بكر، ثم استعملني عمر رضي الله عنهما " . أما عن عسير وتبعيتها لمن تكون لجرش أو لدوس، فأقول لك أمَّا في أول الإسلام فكان على دوس أمير، وعلى جرش أمير، وبعد انتهاء العهد الراشدي كانت ولايتهما غالبًا تتبعان لحكام مكة،وفي فترات أخرى تتبع جرش لليمن، ودوس لمن يتولى حكم الطائف .

كما ذكر الناقد في نهاية هذه الصفحة قوله : (فكان أول من ولِّي على جُرش الصحابي صرد بن عبدالله، ثم استخلفه بالصحابي : سعيد بن القشب (رضي الله عنهما) . قلت ولى الرسول (ﷺ)، الصحابي الجليل صرد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه، على (جُرش) بعد إسلامه، ثم مات الرسول (ﷺ)، وصرد يليها لما رواه ابن سعد في طبقاته (٥٢٧/٥) : (عَنْ مُوسَى بْن عِمْرَانَ بْن مَنَّاحٍ، قَالَ : تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وسلم)، وَعَامِلُهُ عَلَى جُرَشَ صُرَدُ بْنُ عَبْدَ اللَّهِ الأَزْدِيُّ) . فكيف يستبدلهَ الرسول (ﷺ)، بالصحابي سعيد بن القشب – وليس (القشيب) كما ذكره الناقد– وقد مات عليه الصلاة والسلام، وصرد على ولايتها ! وقد ذكرتَ في الجزء الخامس من كتاب " القول المكتوب" صفحة ٤٣٥ ما يفيد أن صرداً كان على جُرَش، إلى أن توفي رسول الله (ﷺ)! والصواب أن الرسول ﷺ ولّى سعيد بن القشب رضي الله عنه، على (جَرَش) التي في بلاد الشام، ومات الرسول (ﷺ) وهو على ولايتها، لقول المقريزي في رسالته : (ص ٤٨) : فمات رسول الله (ﷺ) وهو عليها) .

وذكر محققا كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" (٩٦/٣) : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. نقلا عن كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي ١٢٧/٢، أن مدينة (جَرَش بالتحريك : وهو اسم مدينة عظيمة كانت، وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق) . وهي من أعمال الأردن في هذا الزمان .

وأرى سعادة العميد خلط بين جُرَش العسيرية وجَرَش الشامية تبعًا لقول محمود شاكر عن جَرَش الشامية وهو يظن أنه يتحدث عن جُرش التي في إقليم عسير فأورد من قول الحموي: (وفتحت جرش في حياة النبيّ (ﷺ)، في سنة عشر للهجرة ..) مكتفيًا بهذا القول، ليوهم القراء أن القول عن جُرش العسيرية، ولم يلحظ سعادة العميد هذا الالتباس، وها هو بقية قول الحموي بعد قوله (للهجرة) : (.. صلحًا على الفيء وأن

يتقاسموا العشر ونصف العشر) ومن المعلوم أن جُرش التي في ناحية عسير فتحت عنوة بواسطة الصحابي صرد بن عبد الله رضي الله عنه، بينما جَرش الشامية كما ورد في هذا الخبر فتحت صلحًا! ويبدو أنها نقضت العهد بعد وفاة الرسول ﷺ، لقول الحموي ١٤٨/١: (افتتح شرحبيل بن حسنة، الأردنّ عنوة ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وكان فتحه طبرية بعد أن حاصر أهلها أياما، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم الا ما جلوا عنه وخلّوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعا، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر، رضي الله عنه، أيضا واجتمع إليهم قوم من سواد الروم وغيرهم، فسيّر إليهم أبو عبيدة عمرو بن العاص، في أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل، وكذلك جميع مدن الأردن وحصونها على هذا الصلح فتحًا يسيرا بغير قتال، ففتح بيسان وأفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية، وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها).

ص: ١١٦ أقول إن الحكم اليزيدي الذي كرره الناقد في أكثر من موضع من ملاحظاته قد ذكره شعيب الدوسري في كتاب: "إمتاع السامر"، وهو على ما يبدو تكملة لكتاب والده (متعة الناظر). ولكن يبقى الحكم بالاعتراف بكتاب "امتاع السامر" والتصديق بما ورد فيه من معلومات تتعلق بأمراء تلك الحكومة وأحوال بلادهم، مرهون بالعثور على كتاب والده. لكونه الأصل لهذا الكتاب، لأن أغلبية كتاب هذا العصر لا يعترفون بصحة ما ورد فيه لتناقض بعض أقواله.

ص: ١٢٢ يقول الناقد: عن شيوع اسم عسير قبل عهد الهمداني: (لأن هذا الاسم والمسمى قبل عهد الهمداني وبعده ..) وقد خَطَّأ الهمداني في حصر هذا الاسم على أجزاء بسيطة من الأراضي التي تحتلها قبائل عسير حول أبها ..) وذكر بأن على الباحث أن "يذكر توحد قبائل الأزد" تحت مسمى (الأزد) إلى أن قال: (وهذا هو الاسم الاجتماعي قبل عسير لجميع قبائل منطقة ما بين الحجاز واليمن). وضرب لذلك التوحد مدينة (جرش)، حيث ذكر أنها كانت "قاعدة الأزد وإلى الأزد تنتمي جميع قبائل منطقة عسير"، وفي ص: (٤١٣) من الكتاب الخامس يقول: (.. ومن هنا برز اسم عسير سياسيًّا ليحل محل جرش واجتماعيًّا محل الأزد).

قلت: ورد هذا الاسم: "عسير" في كتاب: "جمهرة النسب" لابن الكلبي" في سياق نسب بني تغلب ٣١٩/٢ حيث قال" ولد عَنْز بن وائل رفيدة وإراشة فولد إراشة قنانًا وعُسيرا وجندلة، فولد عسير مالكا وتيما فولد مالك غنْما وولد تيم سلمة وزهيرا وعمرا، وولد رفيدة بن عنز عبدالله وعامرا وربيعة ومعاوية وعمرا وحمارا، فولد عمرو شقيقا وسلمة وتيما وعبد الله، وولد ربيعة بن رفيدة مالكا، فولد مالك جَذِيمة وسلامان وتولبا

فولد سلامان حجرا وولد عامر بن ربيعة عبد الله وإياسا ووهبا) . ثم جاء من بعده الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" (ص: ٢٥٦) مؤكِّدًا عدنانيتها فقال : (ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز، ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز). ثم أخذ يعدد ديارها .

ويقول صفحة : (٢٥٧) وهو يعدد ديار (عَنْز) في إقليم عسير : (والدّارة، وأبها والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فأتانه والمغوث فجرشة فالإيداع أوطان عسير من عنز، وتسمى هذه أرض طود) .ويقول محمود شاكر في كتابه (عسير ٥٤) : (وعسير أربع قبائل كبرى هم : مغيد وعلكم ويقال لهما ولد أسلم وربيعة ورفيدة، وبنو مالك) .

وإذا كان الناقد يرى صحة قوله، فنتمنى عليه أن يذكر لنا مَن تطرَّق إلى ذكر "عسير" من المؤرخين السابقين، كقوة عسكرية هيمنت على أزد السراة . وفي أي عصر توحدت قبائل الأزد تحت مسمى "الأزد"، إلاَّ ما كان منها في الحروب الإسلامية، حيث كانت الأزد منحازة (للعصبية) عن القيسيين لا تخضع لرايتهم ولا تحارب في صفوفهم . ولا بد لذلك الاتحاد الذي ذكره العميد من مصدر كأنّ تعقد بينها وثيقة تنظم كيفيته، وهل هو اتحاد (فدرالي)، أو أنها ارتضت بموجبه تفويض قبيلة عسير على قيادتها أبد الدهر ؟ فمن الطبيعي أن يكون آنذاك بين قبائل السراة وثيقة مكتوبة لذلك الحلف أو الاتحاد، كتلك المبرمة بين (ربيعة وقحطان) أوردت بعض المصادر التاريخية صيغتها، فحبذا لو يطلعنا العميد على صورتها، ومَن ذكرها من المؤرخين الأقدمين ؟ وأما تخطئة الهمداني في قصره اسم عسير على أجزاء من المنطقة العسيرية، فالهمداني لم يذكر سوى أوطان القبيلة العسيرية، دون أن يتعرض لذكر سيادتها المزعومة على أرض السراة لعدم شعوره بوجود أثر تلك السيادة في أوساط القبائل الأزدية التي زارها، ولو علم شمول سيادة عسير العسكرية أو الجغرافية في عهده على جميع قبائل أزد السراة لما تردد في ذكرها، وقد دون في كتابه أيسر من هذا أفلا يدون هذا الحدث المهم . وأما أن تكون جرش قاعدة الأزد جميعًا كما زعم، فيصعب على الناقد إثباته لوجود إمارة إسلامية في دوس قبل وجودها في جُرَش بزمن طويل كما بينا ذلك في موضعه . وعليه فلا معنى لقوله : (.. ومن هنا برز اسم عسير سياسيًّا ليحل محل جرش واجتماعيًّا محل الأزد) إلا فيما يتعلق بإقليم عسير الحالي، وما لم يأت بالدليل فلا يلتفت إلى قوله . أما نحن فلا نرجم بالغيب ونَدّعي سيادة دوس أو جُرش على جميع قبائل أزد السراة، لما نظن أنَّ كل إمارة من هاتين الإمارتين تحكم ما يليها من القبائل والله أعلم .

ص: ١٢٣ أورد الناقد من كلام الهمداني للدلالة على شمول مسمى (الأزد) جميع قبائل عسير ما يلي : " قال فيما يتصل بإطلاق اسم الأزد على منطقة عسير الحالية : (ثم

سراة بجيلة والأزد بن سلامان وألمع وبارق ودوس وغامد والحجر إلى جرش ..) إلى أن قال : (وفي هذا دلالة قطعية أن هذا الاسم "الأزد" قديمًا، كان هو اللقب الاجتماعي وأصبح (عسير!). وتأكيدًا لقوله هذا فيما زعم أورد قول الأستاذ محمود شاكر في كتابه "عسير" صفحة (١٢) بعد أن نسب كل سراة إلى قبيلة جعل من ضمنها سراة الأزد فيقول:(وعسير جزء من هذه السروات تمتد شمال اليمن حتى سراة الحجاز..) .

قلت : الهمداني عربي صريح، ونحن أيضًا عرب صرحاء نفهم ما يقوله الهمداني ويرمي إليه، فالهمداني رحمه الله، إنما سَمَّى سروات الأزد بأسماء قاطنيها في هذا الطور، وليس في قوله دلالة قطعية كما زعم على اسم الأزد وإن كانوا يعرفون به من قبل مجيء الهمداني، وليس فيه أيضا أن الهمداني ذكر اسم عسير حل مكان الأزد، فهذا كتاب الهمداني بين أيدينا، ولا نجد فيه ما يوحي بإطلاق لقب عسير على قبائل السراة . كما أنّ قول محمود شاكر يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الهمداني يقصد تسمية السروات بأسماء قاطنيها من الأزد وغيرهم من شمال اليمن حتى سراة الحجاز، ولا يقصد الأزدتحديدًا، فقوله بأنها (تمتد شمال اليمن حتى سراة الحجاز) يخالف ما ذهب إليه العميد من أنه يقصد امتداد عسير من شمال اليمن حتى سراة الحجاز إذ الامتداد المذكور في قول محمود شاكر، إنما هو للسروات وليس لعسير، ومن يقرأ كتاب محمود شاكر يلحظ أنه لم يأت في كتابه بخبر عن (زهران وغامد) ولا ذكر تبعيتهما لعسير ولم يورد في خرائطه التوضيحية لقبائل عسير وأوديتها المعروفة لدينا خارطة واحدة لقبيلتي زهران وغامد تشعر بذلك الانتماء المزعوم، كما أنه لم يورد اسم (زهران أو غامد) في تلك الخرائط، وكل ما ذكره هي تلك الغارات التي كانت تشنها إمارة عسير في عهد آل عائض، على ديار القبيلتين (زهران وغامد) بقصد الاستيلاء عليها، فكتابه من أوله إلى آخره لقبائل منطقة عسير الحالية . وأخونا العميد، بمجرد ما تقع عينه على اسم (عسير) في أي كتاب يسارع إلى نقله دون أن يعلم أن بعض ما ينقله حجة عليه لا له، كمثل نقله كلام محمود شاكر بعاليه، وقول العميد (فيما يتصل بإطلاق اسم الأزد على منطقة عسير الحالية) فهو لم يتنبه على قوله : (منطقة عسير الحالية) باعتبار ما نعرفه نحن في هذا الوقت عنها، فهو في هذا القول يعترف بعسير (المنطقة الحالية) بحدودها المعروفة لدينا حاليًّا، وبحدودها المعروفة لديه أيضًا . ولا يُفَسَّر قوله إلا هكذا .

ص: ١٢٤ قال الناقد تحت مسمى : (عسير الجغرافية الاجتماعية) استنادًا إلى قول ورد عند عبدالله بن علي بن مسفر، في كتابه "السراج المنير" عن حدود عسير أنها (من زهران إلى ظهران) وقال الناقد عقب هذا : (فكانت هي المنطقة الجغرافية الرابعة مع نجد والأحساء والحجاز..) . ثم قال أيضا ص (١٥٧) عن عسير الجغرافية : (هي

المنطقة الواقعة بين الحجاز شمالا، واليمن جنوبًا، والبحر الأحمر غربًا، ومنطقة نجد والبحر العربي شرقًا) . ونقل قول (من زهران إلى ظهران) من الكتاب الخامس ص (٤١٣) لأحد كبار السن من العسيريين . كما ذكر ابن مسفر في كتابه السالف ذكره أنّ عسيرا (تمتد من حضن وقبائل البقوم وزهران وغامد وبالقرن شمالا إلى ظهران الجنوب ونجران وقبائل قحطان ووادعة جنوبًا بتخوم اليمن) . وهو كقوله في كتابه الآخر (أخبار عسير) صفحة (١١) وصفحة (١٣).

قلت : وصف الدكتور عبد الله أبو داهش في كتابه (أهل السراة ص٢٦) ذلك القول الصادر عن ابن مسفر، في كتابيه : (السراج المنير، وأخبار عسير) في تحديد بلاد عسير بالمبالغة، وزيادة على ذلك تضارب أقواله حول هذا التحديد حيث ذكر مرة أخرى في كتابيه: (أخبار عسير ص ٢٢، وفي السراج المنير ص ٢٠) : (وتنتهي حدود عسير الجغرافية بحدود قبيلة غامد)، وعندما أورد الدكتور تحديد عسير السياسي (٢٧) في كتابه آنف الذكر وقف بها أيضًا على حدود بلاد غامد . كما أن قول ابن مسفر، لا دليل عليه من كتب السابقين، ولأن أغلب معلومات كتابيه لم يرجعها إلى مصادر معروفة، وأخذه أيضًا عن رجل مجهول، والرجل إذا كان مجهولاً فلا يقبل له قول عند عامة العلماء وعلى فرض أنّ ذلك الرجل معلوم ونتوخى فيه الصدق إن شاء الله، فعَمَّن نقل تلك المعلومة ؟ ومعلومات كتاب ابن مسفر، أو كتابيه بالأحرى : (السراج المنير، وأخبار عسير)، وهما نسخة لكتاب واحد، لا أدري ما السابق منهما لخلو الكتابين اللذين أقتنيهما من تاريخ الطبع غير أنه ورد فيهما صفحة (٥) من أنه عرض عمله هذا على حمد الجاسر يرحمه الله عام: (١٣٧١هـ) ومن المرجح أن النسخة الموسومة بـ (السراج المنير) هي النسخة الأخيرة للكتاب، لوجود تعليقات عليها، لكن أغلب معلومات النسختين تفتقر إلى التوثيق الذي هو شرط أساس في صحة المعلومة، وإن كان أتى في نهاية الكتاب الأول بجملة من المراجع، فكيف نصدق بصحة ما ورد فيهما وأغلب معلوماتهما غير دقيقة ؟ وعلى الكتابين ملاحظات كثيرة، ونحن لا ننكر أن حكومة آل عائض في فترة من فترات حكمها بسطت هيمنتها على تلك الأماكن المذكورة، أما تحديده الواسع الذي أورده لعسير الجغرافية فيذكرني بتحديد أرض (فَدَك) من قبل موسى بن جعفر، للخليفة العباسي هارون الرشيد، فقد ذكر المجلسي الرافضي في كتابه:(بحار الأنوار: ٢٩/٢٠٠) حدودها الخيالية فقال : (إن هارون الرشيد،كان يقول لموسى بن جعفر حُدَّ فدكا حتى أردها إليك، فيأبى حتى ألح عليه، فقال موسى بن جعفر : لا آخذها إلا بحدودها، قال وما حدودها؟ قال : إن حددتها لم تردها . قال : بحق جدك إلاّ فعلت . قال: أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد، وقال: إيها ! قال : والحد الثاني سمرقند، فأربد وجهه قال :والحد الثالث

أفريقية، فاسـود وجهه، وقال: هيه! قال: والرابع: سيف البحر ما يلي الخزر، وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء) . إذًا نحن الآن وبموجب ما نقله سعادة العميد وغيره أمام ثلاثة أقول تحدد امتداد عسير القبيلة جغرافيًّا:

القول الأول: (تبتدئ بلاد عسير شمالاً، ضلعها الشمالي من الليث فزهران فشمران إلى حـدود وادي رنية) .**القـول الثاني:** (هي المنطقة الواقعة بين الحجاز شـمالا، واليمن جنوبًا، والبحر الأحمر غربًا ومنطقة نجد والبحر العربي شرقًا) .**القول الثالث:** (تمتد من حضـن وقبائل البقوم وزهران وغامد وبالقرن شمالا إلى ظهران الجنوب ونجران وقبائل قحطان ووادعة جنوبًا بتخوم اليمن) . هذه القارة العسـيرية ابتلعت قبائل شـتى من ديار السـراة، وخصوصـا جهة نجد والبحر العربي، واقتطعت أجزاء من ديار الحجاز، فكيف تقلّصـت في هذا الوقت !! وكون العميد يعتبر عسـيرا (هي المنطقة الجغرافية الرابعة مع نجد والأحساء والحجاز) من جزيرة العرب، فيرد عليه بما كتبه المؤرخون الأوائل ومن أتى من بعدهم، ونكتفي بذكر أحد كتاب هذا العصر، وهو مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ) وما أورده في كتابه " رجال المعلقات العشـر " الصـفحة الأولى، حيث يقول عن أقسـام الجزيرة في هذا العصـر: (وهي اليوم تقسم إلى ثمانية أقسام: **القسم الأول:** الحجاز، **القسم الثاني:** اليمن، **القسم الثالث:** حضرموت، في شرق (اليمن)، **القسـم الرابع:** إقليم مهرة في شـرق (حضـرموت)، **القسـم الخامس:** عُمان، **القسم السـادس:** الحسـا، **القسـم السـابع:** نجد، **القسـم الثامن:** إقليـم الأحقاف) . وذكر تقسـيماتها لدى بعض الجغرافيين السـابقين فقال: (أما في القديم فكانت تقسم إلى ستة أقسـام: الحجـاز، واليمـن، ونجـد، وتهامة، والإحسـاء، واليمامة) . وجـاء في كتاب: (معجم البلدان. لياقوت الحموي (٢/ ١٣٧) أن الجزيرة تنقسـم (خمسـة أقسـام عند العرب) هي: (تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن) .ويقول المسعودي، في كتابه (التنبيه والإشراف (١/ ٦٩) : (وبلاد العرب اليوم وبرها ومدرها اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشـحر وحضرموت وعمان، وبرها الّذي يلي العراق وبرها الّذي يلي الشـأم) .فهل ترى سـعادة العميد في تقسـيمات الجزيرة العربية القديمة منها والحديثة من ذكر عسيرا من ضمن أقسامها ؟؟

ص: ١٢٤ اسـتدل الناقد على أن: (عسـير الجهة) باستثناء اليمن (الدولة الحالية) مـن جنوب البيت الحرام إلى البحر العربي هي المقصـودة بقول عمر بن الخطاب رضـي الله عنـه، عندما سـأل أهل اليمن عن أويـس القرني، قائلاً: " يا أهـل اليمن دلوني على أويس القرني " .

قلت: أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يعرف اليمن تمامًا، لأنه عاصر تجـارة قومه في العهد الجاهلي إليها، ويعرف عسـير الجهة أيضًـا بأنهـا جزء من اليمن،

والعـرب منـذ الجاهلية إلى هـذا الوقت تطلق على مـا بعد الركن اليمـاني للبيت الحرام (يمـن)، ولهـذا كان نداؤه رضـي الله عنه، باعتبار الجهة التي تضـم عسـيراً وغيرها في مفهـوم اليمـن . وليس في قـول الفاروق رضـي الله عنه، ما يدل على تخصـيص عسـير بالنداء، لدخول عسـير في اليمن وليس العكس، وأرى سـعادة العميد يسأل الدكتور غيثان صـفحة: (٤٥٨) مـن كتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنـوب. الجزء الخامس) قائلاً : (فقـل لي بربـك من هي بالقرن غير هذه التـي ينتمي إليها أويس القـرني ..) . قلت : إنَّ أويسـاً القرني رحمه الله ليس من قبيلة بالقرن الأزدية التي أشرتَ إليها التي هي بمنطقة عسير الحالية، بل هو من قبيلة مراد المذحجية لقول ابن سعد في طبقاته : (٢٠٤/٦) عن أويس القرني: إنه (من مراد وهو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سـعد بن عصـوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. وهو يحابر بن مالك بن أدد من مذحج). وفي (تاريخ دمشـق لابن عسـاكر (٩/ ٤١٤) (أما قَرَن بفتح القاف والراء ففي مراد قرن ابـن ردمـان بن ناجية بن مراد، منهم أويس بن عمرو القـرني الزاهد) . ومن الكتب التي ذكرته في قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد (نسـب معد واليمن الكبير (٣٢٨/١) وتاريخ الإسـلام (٣١٣/٢) وسير أعلام النبلاء (٥١٩/٤) ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (صـ : ٣٩٧)، والإنبـاء على قبائل الـرواة (ص: ١٢٩) وغيرها من الكتب. ولِمَذْحج سـراة باسم : (سراة مَذْحِج) ذكرها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب ص ٣٧٨) .

أمـا نسـب قبيلة بالقَرْن الأزدية فقد أورده الجاسـر رحمه الله، في مشـجره صـفحة (٢٢٧) علـى النحـو التالي : (قـرن بن إحجن بن مالك بن كعب بـن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصـر بـن الأزد بن الغوث) . وهناك من يختلف مع الجاسـر في زيادة بعض الأسـماء إلا أنهم يتفقون على أزدية هذه القبيلة. وقد ناقض العميد بين قوليه عن (عسير الجهـة) في هـذا الخبر الوارد عـن أويس القرني رحمـه الله، فبينما هـو يقول في الجزء الثالث من كتاب (القول المكتوب ص ١٢٤) : (.. فالشـاهد هنا إطلاق لفظ (أهل اليمن) على قبيلة من قبائل عسـير ..) إذْ به يعترف بيمانية الجهة التي عناها الفاروق رضي الله عنـه، وذلـك في الجـزء الخامس من الكتاب المذكـور ص ٤٥٨ : فيقـول : (.. يقول يا أهل اليمن جهة، والحالية يمنية الجهة عن الركن اليماني) .

ص: ١٢٦ يقول الناقد بما معناه أنه بعد انتهاء أبناء المنطقة من الانتماء (إلى الأزدي في صدر الإسلام وما قبله، ثم حل العسيري بعده ..) . ويخلص في النهاية إلى (أن كل ما ورد في كتب التاريخ والسير عن عسير فهو يعني المنطقة والقبيلة جزء منها)!.

قلـت: يا سـعادة العميد جميع مَن كتب عن عسـير المنطقة هم مؤرخون معاصـرون، استقوا معلوماتهم من بعضهم البعض، وأغلب أولئك الكتاب عاصروا حكومتي (آل عائض

وأشـراف مكة) حين كانتا تسـيطران بالْغَلَبَة على بعض أجزاء السـراة (زهران وغامد) سيطرة إسمية، فمن الطبيعي أن يكتبوا ما شاهدوه آنذك، ونقل عنهم مَن جاء بعدهم، أما أن يكون اسم عسير حل محل الأزد، بمعنى أن الزهراني والغامدي والحجري أو الجازاني والنجراني يقول أنا عسـيري، فهذا يحتاج منك إلى دليـل تاريخي يثبت أولا ذكر من أورد اسـم عسـير كقبيلة من قبائل السـراة كانت تهيمن على قبائل الأزد، ثم شيوعه إداريًّا في الزمن السـابق للحكومتين السابقتين : (الأشـراف وآل عائض) . وللعلم فإنّ كتب التاريخ والسير القديمة، لم تذكر عسيرا وإنما ذكرت بلدة جُرش .

وأراك شـديد التحمس على تعميم (عسـير) على جميع قبائل السـراة، فإذا كان في قولك بعضاً من الصحة، فلماذا لا تبادر يا صـاحب هذه الدعوة الاتحادية بشطب كلمة : "الألمعي" من انتمائك القبلي وتستبدلها في هويتك الوطنية بكلمة (العسيري) فلعل أفراد قبيلتك يتبعونك ثم تقتدي بكم قبائل عسـير الأخرى . فإن الرسول الأعظم ﷺ لما منعته قريش من دخول البيت الحرام عام الحديبية، وبعد أن تم الصـلح بينه وبينها أمر الناس بأمر فلم يأتمروا به حتى يروه يفعل ما أمر به، فقام ﷺ، بمشورة من أم سلمة رضي الله عنها بفعل ما أمر به عند ذلك تسـابق الصـحابة على الاقتداء به (ﷺ)، فقد روت كتب الأحاديث ومنها مسـند الإمام أحمد رحمه الله برقم : (١٨٩١٠) عَنِ الْمِسْـوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، ومروان بن الحكم، من حديث طويل نأتي بالشاهد منه بعد كتابة الصلح بينه وبين قريش ألا وهـو : ".. قَالَ فَقَامَ رَسُـولُ اللَّه (ﷺ) فَقَالَ : "يَا أَيُّهَـا النَّاسُ، انْحَرُوا وَاحْلِقُوا" قَالَ فَمَـا قَـامَ أَحَدٌ، قَالَ : ثُمَّ عَادَ بِمِثْلِهَا، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، حَتَّـى عَادَ بِمِثْلِهَا، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ : "يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا شَأْنُ النَّاسِ؟" قَالَتْ : يَا رَسُـولَ اللَّه قَدْ دَخَلَهُمْ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَلا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَـانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَدْيِكَ حَيْثُ كَانَ فَانْحَـرْهُ وَاحْلِـقْ، فَلَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِـكَ فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ . فَخَرَجَ رَسُـولُ اللَّه (ﷺ)، لا يُكَلِّمُ أَحَـدًا حَتَّى أَتَـى هَدْيَهُ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ" . الحديث بتحقيق شعيب الأرناؤوط .

ص:١٥٤ خَطَّـأ الناقد الهمداني رحمه الله، في حصـر اسـم : (عسـير) على أربعة بطـون من البطون القاطنة في السـراة وهذه البطون هـي: (مغيد ،وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبنومالك) وذكر بأنه "أغفل بطون تهامة .." .قلت الهمداني لم يغفل بطون تهامة عسـير بالكلِّية، وإن كان اقتصـر في ذلك على بعضـها كقوله عن بني جابرة : (وأما أغوارها إلى ناحية أم جحدم فالذيبة والسّاقة لبني جابرة من شيبة).

ص: ١٥٥ ذكر الناقد ان اسم (عسير) ورد عند الهمداني بالدلالة القطعية في صفحة (٢٧٩) حيث أورد من كلام الأستاذ آل فائع : (إلا أنه من المؤكد أن هذا الاسم "الحديث

عن اسم عسير) ، لم يطلق فجأة بعد وصول أخبار الدعوة السلفية وانضمامها للدولة السعودية الأولى، بل إن من الواضح أن الاسم قد أطلق في فترات متقدمة .." .

قلت نحن لا ننكر ورود اسم عسير عند ابن الكلبي والهمداني، ومَن جاء بعدهما يأخذ عنهما، لكن ابن الكلبي والهمداني، أورداه اسمًا لقبيلة حددا ديارها، فقال الهمداني في صفة جزيرة العرب، صفحة (٢٥٦) : (ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزّرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيّة وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمئة من تاريخ الهجرة ..) . ثم أخذ يعدد أوطان عسير دون أن يذكر امتدادها إلى زهران شمالا ونجران جنوبا .

أما قول الناقد : (إن اسم عسير ورد عند الهمداني بالدلالة القطعية في صفحة : (٢٧٩) فلم يرد في تلك الصفحة ذكر لقبيلة عسير وإنما ورد الذكر لقبيلة (عنز) العدنانية وبعض القبائل الأزدية والعدنانية الأخرى، في سياق تعداده أرباب الفصاحة من القبائل التي تقطن السروات . وأما قوله : (إن الاسم (أي عسير) قد أطلق في فترات متقدمة) . فقوله صحيح حيث أطلقته الدولة التركية حين وجودها في عسير كقاعدة لهذه القبائل المحتلة . ثم الدولة السعودية كمقر لحكم قبائل عسير .

ص: ١٥٥ عمن أخذ هؤلاء الكتاب الذين ذكرتهم ؟ هل أخذوا عن مؤرخين قدامى ذكروا عسيرا بالاسم؟؟ ص: ١٥٦ ذكر الناقد أن مَن أسماه عبد الرحمن (بن محمد) كان أميرا على جرش في عهد عمر بن عبد العزيز، وقال : (وقد استقر في المنطقة من عام : (١٣٢) وقتل عام : (١٦٩) والصواب أن هذا الاستقرار وهذين التاريخين لمن اسمه: علي بن محمد، كما ورد عند شعيب الدوسري، وهو أول أمير ذكره شعيب، وصواب تاريخ دخوله عسير عند الحفظي في تاريخه هو (١٣٣) وليس كما ذكر الناقد.

ص: ١٨٠ قال عن الغَرْب وحبليه : (اسم الغليظ "مرسب" والآخر اسمه (السعن) يوثق طرفاهما بالغرب، والطرفان الآخران مرتبطان برحل الثور صعودًا ونزولاً لرفع الماء) . قلت : هذه تسميات محلية، وأنت تكتب في كتاب تاريخي واسع الانتشار، ولا أحد يعرف هذه المصطلحات المحلية من خارج ديار عسير . فلو قلت عن (المرسب!) إنه (الرشاء) وهي فصيحة، وعن السعن - وهذه الكلمة غريبة جدًّا لأن السعن قربة صغيرة، وتسمى أيضًا سقاء - إنه (المقاط) ، جاء في كتاب جمهرة اللغة: (٩٢٤/٢) لابن دريد : (وَرُبمَا سُمِّيَ رِشَاءُ الدَّلْوِ مِقَاطًا) ، ويسمى في بعض مناطق المملكة وبعض البلاد العربية (السَّريح) ، ثم أَوضحت في الحاشية التسمية المحلية لكل منهما، لعرفهما القاصي والداني من الناطقين

بالعربيـة . وللعلم فإن الرشـاء يُربـط في (العراقي) أعلى الغـرب، بينما المقاط يربط في أسفل الغرب حيث مصب الماء منه فيما يسمى بـ (الكُم)، أما قولك (والطرفان الآخران مرتبطـان برحـل الثور)، فالغالب على تسمية ذلك الرحـل : (القَتَب) . لقـول ابن دريد في كتـاب (جمهرة اللغة ٢٥٥/١) : (القتب قتب صَغير يَجْعَل على ظهر السـانية) . وقال الأزهري في كتاب (تهذيب اللغة ٦٩/٩) (وَيُقَال لَهُ القَتب، وإنَّما يكون للسّانية).

وهـذا بعض مـا ورد في كتاب "القـول المكتوب في تاريخ الجنـوب" . الجزء الخامس. القسم الخامس . ص: ٣٩٦/٥ طلب الناقد من الباحث ذكر القبائل التي لا تنتمي إلى الأزد من قبائل إقليم عسير، كما طلب أيضًا بيان من ينتسب إلى قحطان إذا كانت لا تنتمي إلى الأزد) . حيث قال في ص (٤١٨) من الجزء الخامس : (فتذكر لنا من هم المنتسـبين إلى قحطان وليسوا من الأزد، ومن هم المنتسبين إلى الأزد وليسوا من قحطان) .قلت : إن كنت تقصد جد العرب (العاربة)، فهو كما ذكرته المصادر : قحطان بن الهميسع بن تيمن بن قيس بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم) .وإن كنت تقصد قحطان القبيلة الحالية القاطنة في جنوب المملكة العربية السـعودية وشـرقها فيرجعهم الشـيخ : سعيد بن عوض آل رداد الأسـمري، في كتابـه " تاريخ رجال الحجـر ص ٤٠" إلى همدان وخـولان . وإن كنت تعني القبائل (الأزدية والعدنانية) الأخرى فستجد الإجابة ضمن هذه الإيضاحات .

يقول الناقد عن قبائل السـراة : (فما الضـير أن ينتسبوا إلى عسير بعد التجافي عن الانتساب إلى الأزد) .قلت لكل قبيلة من قبائل الأزد وقبائل العرب عمومًا أب ينتهي نسبها إليه، فلو انتسـبت إلى غير أبيها لتعرضـت للعن الوارد عن الرسـول (ﷺ)، فقد ورد في صحيح الإمام مسلم برقم (١٣٧٠) من حديث طويل عن إبراهيم التيمي عن أبيه، أنّ علي بن أبي طالب رضـي الله عنه، قال قال رسـول الله (ﷺ) : ".. وَمَن ادَّعَى إِلَى غَيْر أبيه، أو انْتَمَى إِلَى غَيْر مَوَاليه، فَعَلَيْه لَعْنَةُ الله، وَالْمَلَائكَة، وَالنَّاس أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ الله منْهُ يَوْمَ الْقيَامَة صَرْفًا، وَلا عَدْلا" . فقل لي بربكَ يا سـعادَة العميد ؛ من يرضـى أن يعرِّض نفسه للعَنة اللّه وملائكته والناس أجمعين . على أن عسـيرًا كما تعلم ليس أبًا لعموم قبائل الأزد القاطنة في أرض السراة حتى تنتمي إليه، إضافة إلى كونه عدناني النسب كما ذكر هاشم النعمي، وغيره من مؤرخي عسير.

ص: ٣٩٧ ذكـر النـاقـد أن الرسـول (ﷺ)، ولى أمـر المنطقة بصـلاحيات مطلقة الصـحابي الجليل صـرد بـن عبـد الله الأزدي، ويقول بعـد وفاة الرسـول ﷺ وفي عهد الصـديق رضـي الله عنه (يولي على نفسـ الإقليم عبد الله بن ثـور ..) .قلت : ما دليلك على أن صـرد بن عبد الله رضـي الله عنه، ولاه الرسول (ﷺ)، أمر المنطقة بصلاحيات مطلقة، كما يفهم من قولك، وهو لم يتول سـوى جرش وما حولها، ولم يسـلم إلا في السـنة

العاشـرة من الهجرة، فهل كانت قبائل الأزد المسـلمة منذ السنة السابعة على سبيل المثال بدون قائد حتى أسلم صرد رضي الله عنه، وولي أمرها، وقد رأيت في قول سابق أن الطفيل بن عمرو، وسعد بن أبي ذباب رضي الله عنهما، أسلما قبله بثلاث سنين، وتولى سعد إمرة دوس بأمر من الرسول (ﷺ)، واستمر أميرًا على دوس إلى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضـي الله عنه، وسؤالي لسـعادة العميد هل نزع الرسول (ﷺ) إمرة دوس من هذا الصـحابي وسلمها صـرد بن عبد الله، وكُتُب التاريخ تحدث باستمراره فيها إلى عهد الفاروق، وهل لديك ما يثبت تأمُّر صـرد رضـي الله عنه، على كافة قبائل الأزد من بجيلة إلى نجران ؟ فنحن أمام ثلاثة خيارات : أما أن يكون الرسـول (ﷺ)، عزل سعد بن أبي ذباب، بعد ثلاث سـنوات من تأمُّره على دوس، وألحق إمرة دوس بإمرة جرش وولى عليها صرد بن عبدالله، وأما أنه أبقى سعد بن أبي ذباب على دوس، وأمَّر عليه وعلى بقية قبائل السراة صرد بن عبد الله، وأما أنه ﷺ، جعل كل أمير يستقل بناحية من نواحي السراة . فأي هذه الخيارات ثبت عندك من خلال أقوال المؤرخين السابقين ؟؟

صـ: ٤٠٥ يقـول الناقد عن أحوال المنطقة الواقعة بين الحجاز واليمن قبل الإسـلام : (لأن حكومـة جرش قد فرضـت إتاوة على عير قريشـ الذاهبة إلى اليمن ..) . قلت : لم يذكـر ابن حبيب في كتابـه : (المنمق في أخبـار قريش) (ص: ٢٠٥) حكومة باسـم جرش فرضـت إتاوة على عـير قريش.. كما زعمت أيهـا العميد، وإنما ذكر بعد إيراده قصِـيدة حسـان بن ثابت رضـي الله عنه، التي حرض فيها قبيلة دوس على الأخذ بثأر أبي أزيهر، فقـال: (فلـم ترض الأزد بذلـك حتى غارت قريشـا، فقتلوا منهم مقتلـة عظيمة، وجعلوا يضعون الرصد في العير فيقتلون من قدروا عليه حتى رضوا منهم)، ويبدو من بقية القول أن الأزد فرضت على قريش إتاوة دينارًا في كل قتب كما يفهم من قصيدة سراقة البارقي . فابن حبيب يتحدث عن الأزد وليس عن حكومة جرش التي هي من عَنْز وعَنْز، كما ذكر النسابون الأوائل عدنانية النسب . وإنْ كان لدى العميد من المصادر التاريخية القديمة ما يفيد بمشاركة جرش في هذه الحرب فليتحفنا به.

كما يقول في الصـفحة نفسـها عن ولاة اليمن والأزد : وقد ولّى عليه الصلاة والسلام على كل منها أميرًا : باذان على اليمن وصـرد على جرش) . قلت : عندما يسـلم قوم فإن الرسـول ﷺ، يولي عليهم أميرا منهم، وأراك تناسيت أمير دوس الصحابي سعد بن أبي ذباب رضي الله عنه، الذي ولاه الرسول (ﷺ)، على دوس قبل أن يولي صرد على جُرش . وهذا يدل على عدم ارتباط دوس (زهران) جغرافيًّا بعسير، وإلاَّ لكان لواليها ذكر عندك ضمن ولاة السراة واليمن .

صـ: ٤١٠ يقـول الناقد نقلا عن فؤاد حمزة في كتابه "في بلاد عسـير" (واشـتهرت البلاد باسـم عسـير) لم يحدد متـى تحولت التسـمية في عسـير) . (وفي العهد العثماني

جعلت بلاد عسير متصرفية باسم "متصرفية عسير) ثم يواصل القول عن فؤاد حمزة في مقدمة كتابه : (الأصل في الاصطلاح الجغرافي هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها فهي سراة الأزد، وهي بهذا الاسم، وكذلك عندما تحولت إلى عسير القبيلة أو الإقليم .. ولم يرد ذكرها - أي عسير- في تقاسيم بلاد العرب المعلومة وهي : (الحجاز واليمن ونجد والعروض) ولم يذكر المراجع التي استند إليها في قوله هذا)!.

قلت هذا هو الصواب الوارد في كتاب فؤاد حمزة، الذي أكثرت من النقل عنه، فقوله : (واشتهرت البلاد باسم عسير) ، يقصد به ديار القبائل الأربع المنتسبة لعسير وهم : (بنو مغيد، وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبنو مالك) . وكذلك قوله : (وكذلك عندما تحولت إلى عسير القبيلة أو الإقليم) . أي بعد تحالف قبائلها الأربع المار ذكرها إنْ ثبت هذا الحلف، وقوله الأخير ينفي زعمه السابق وهو : (فكانت هي المنطقة الجغرافية الرابعة مع نجد والأحساء والحجاز..) لأن فؤاد حمزة تبع في ذلك أقوال المؤرخين السابقين الذين قسموا جزيرة العرب ولم يأتوا على ذكر (عسير) ضمن أقسام الجزيرة العربية، وقد أتينا على تقاسيم الجزيرة فيما سبق، وأراك تعيب على فؤاد حمزة عدم ذكر المرجع الذي نفى فيه عدم وجود ذكر لعسير في تقاسيم جزيرة العرب ! فمن أين يأتي بالمرجع ولم يقل به أحد من المؤرخين ؟؟ وكان من باب أولى أن توجه استغرابك لنفسك، فأنت في ملاحظاتك النقدية لم تأتنا بمن تكلم عن عسير ودورها القيادي المزعوم لقبائل السراة قبل إمارة آل عائض من أمثال الطبري وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون والرحالة وغيرهم، أو حتى اليعقوبي رغم تشيعه . وكان الأحرى بك يا سعادة العميد أن توجه بالنصح والإرشاد إذا رأيت معلومة تستحق التصحيح، وأن تلتفت إلى ما كتب هذا المؤلف فؤاد حمزة - وقد أكثرت النقل عنه - عن قبيلة عسيرية عربية أصيلة فتفند قوله، وتبين للناس عدم صحة ما دونه عنها، وهذا في نظري أجمل مما لو أخطأ الدكتور غيثان بن جريس، في معلومة عن غير قصد ودخلتما في عراك أدبي بالإمكان تصحيحه بمكالمة هاتفية .

ص: ٤١٣ أورد الناقد من قول المؤلف الدكتور غيثان، القول المكتوب،الجزء الخامس) (ثم لما قويت شوكة القبيلة وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها، غطى اسمها على اسم تلك القبائل، وأصبحت تعرف باسمها) .قلت الدكتور غيثان حيٌّ يرزق، ويقصد بقوله "المجاورة لها" أي التي من حولها وزهران وغامد ليستا من قبائل الجوار، إذْ أن بين تلك القبيلة العسيرية ذات الشوكة وبينهما مسيرة أيام وليال، ولم تخضعا لإقليم عسير إلاّ في عهد حكومة آل عائض .

ص: ٤١٦ يقول الناقد عن القبائل مختلطة الأنساب في عسير : (أجمع رأيهم على التسمية بعسير، وهو أي عسير أحد بطون الأزد العشرين الذين مكثوا في المنطقة) . قلت

في أي مصدر يا سعادة العميد قرأت فيه هذا الإجماع المزعوم فهلا ذكرت لنا ذلك المصدر ! ومن أورده من المؤرخين القدماء لنتيقن صدق الخبر، أم كنت شاهدا معهم حين أجمع رأيهم على تلك التسمية ؟ صحيح أن هنالك تحالفا وقع بين قبائلها الأربع نسمع عنه - لا أدري أمكتوبا أم غير مكتوب - فتقوّت من بعده وأصبحت سيدة القبائل من حولها دون أن يصل نفوذها القبلي إلى قبيلتي زهران وغامد إلا في عهد صراع الحكومتين الأشراف بمكة وآل عائض بأبها، فما إن تستولي عليهما حكومة الأشراف حتى تنهض حكومة آل عائض لاستعادتهما، وهكذا حتى جاء الحكم السعودي .

وفي الحقيقة فإن شعيب الدوسري في كتابه "إمتاع السامر" - على عدم قناعتنا بصحة معلوماته ما لم يعضده مؤَلِّف آخر - ذكر ذلك التحالف بين القبائل العسيرية الأربع (٢/٢٢٤)، ولم يتعد بهذا الحلف إلى قبائل سروية أخرى، ولم يوضح متى تم ذلك الحلف وعَمَّن أخذ هذه المعلومة، إلا أنه ذكر أنّ: علي بن محمد، جدده عام : (١٦٣) دون مستند تاريخي .أما قولك من أن (عسير أحد بطون الأزد العشرين الذين مكثوا في المنطقة) . فلم يثبت لدى المؤرخين أو النسابين (قديمهم وحديثهم) أن اعتبروا عسيرا من قبائل الأزد، وأنا أسوق لك أقوال المؤرخين ومن بينهم بعض مؤرخي عسير فأقول :

١. يقول هاشم النعمي في كتابه "تاريخ عسير في الماضي والحاضر ص ٢٢٨ : (وأحسن ما يقال في هذا المعنى أن عسيرًا من عنز بن وائل من العدنانية، وذلك استئناسًا بما جاء في الجزء الأول من الإكليل للنسابة الهمداني ..) .

٢. ويقول محمد بن مسلط الوصال البشري، محقق كتاب (تاريخ عسير) لإبراهيم الحفظي)، والبشري كما ذكر في هذا الكتاب (هو أحد بني بشر بن حرب بن ربيعة بن عنز بن وائل) أي أنه من أصل عسيري، ذكر في صفحة (١١) أن قبيلته كانت تقيم في الجنوب الغربي من مدينة جُرش، ولما هاجر غالبيتها في القرن الأول والثاني من الهجرة إلى الشام تخلف من بطونهم في (عسير) (آل الوصال، وجارمة، وبنو مالك، وشيبة، وعاصم، وبنو حديد، وقد دخلت هذه البطون بالحلف في قبائل شهران وفي قبيلة رفيدة قحطان وفي قبائل أولاد أسلم وبني مالك عسير) . والغريب هو ما صدر عن إبراهيم الحفظي، في هذا الكتاب (٣١-٣٣) من (أنّ جدهم موسى بن جغثم، أول داع إلى الإسلام في بلاد عسير) . لاغيًا دور صرد بن عبدالله رضي الله عنه، في نشر الإسلام سنة عشر من الهجرة النبوية الشريفة، فهل تأخر إسلام عسير، أو ارتدوا بعد إسلامهم والعياذ بالله، بموجب هذا القول إلى أنْ أتى إبراهيم الحفظي عفا الله عنه، في القرن الثالث عشر الهجري، فأسلموا على يديه، أو أعادهم بعد ردّتهم إليه ؟ وقد ورد إسلامهم ومساهمتهم في الفتوحات الإسلامية مع الرسول (ﷺ)، ومن بعده من خلفاء المسلمين ! فمثل هذه الفرية أولى بالنقاش .

٣. ويقول الدكتور عبد الله أبو داهش، في كتابه (أهل السراة ص ٢١) : (إنّ اسم عسير يومئذ يطلق على أربع قبائل من مجموعة القبائل العربية القديمة التي ظهر عليها الإسلام وهي في مواقعها على سطح منطقة عسير المعروفة قديما بمخلاف جرش، وتلك القبائل الأربع هي : "ولد أسلم وهم ما يطلق عليهم اسم بني مغيد، وعلكم وهم أبناء أسلم بن عليان بن عسير بن عبس بن شحارة بن غالب بن عبد الله بن عك بن عدنان، ورفيدة وهم أبناء رفيدة بن سبيعة بن عليان بن عسير بن عبس بن شحارة بن غالب بن عبد الله بن عك بن عدنان، وبنو مالك وهم أبناء مالك بن عبس بن شحارة بن غالب بن عبد الله بن عك بن عدنان ..) إلى أن يقول عن هذا النسب : (..ولم يلق هذا القول قبولا كثيرا عند كثير من المهتمين بالأنساب، مما يجعل البحث في ميدانه مستمرًّا حتى تتبين حقيقته) .

قلت فهذا هو الدكتور أبو داهش، يستأنس بقول من نسب هذه القبائل العسيرية الأربع إلى عدنان، إلا أنه لم يعطنا القول الفصل أهي عدنانية أم أزدية؟، بل إنه ترك الأمر لبيان حقيقة ذلك لجهود النسابين، فانهض يا رعاك الله وأظهر لنا بالأدلة القاطعة نسب قبائل عسير إلى الأرومة الأزدية .

٤. ويقول الأستاذ الباحث منصور بن أحمد العسيري، في استدراكاته على مقال للأستاذ عبدالله ابن علي بن عفتان، نشر في صحيفة : "الوطن" العدد (٤٤٦٦) (الموافق ٨ صفر : ١٤٣٤هـ)، بعنوان : (مراجعات في كتاب "الجهوة" للدكتور علي العواجي)، (..إن الحديث عن توارث النسب الشنوئي في عسير غير دقيق، فلو كان هنالك استفاضة حول نسب عسير الأزدي لما ذكر عبد الرحمن الحفظي، قبل حوالي مائة وثمانين عامًا إن عسيراً قبيلة عدنانية، ولما اتجه عاكش قبل مائة وخمسين عامًا إلى ربطها بعك بن عدنان، ولما ذكر علي عسيري أنّ قبيلة بني مغيد هي قبيلة عدنانية، ولما ذكر أعيان بني رزام، أنّ قبيلتهم تنتمي إلى "رزام بن مالك" ، ولما أوردوا الشاعر "هلال بن الأسعر" الرزامي التميمي كأحد شعراء قبيلتهم، ولما قال النعمي بأنها عكية، ونلاحظ أن كل هؤلاء هم من أبناء عسير، ما عدا عاكش الضمدي) .

٥. ويقول الأستاذ العمروي، في كتابه "قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام" (.. فقد تفرقت بطون بنو عنز بن وائل في الجزيرة العربية وخارجها، وسكن الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية في منطقة الهلال الخصيب من غرب الفرات إلى حوران وحلب وفلسطين، أما الباقون فقد دخلوا في قبائل المنطقة المعاصرة ومنهم: (١) كود وهم في عداد شهران. (٢) بنو مالك في تمنية في عداد شهران .(٣) جارمة في رفيدة قحطان (٤) شيبة في شهران. (٥) بنو غنم في مغيد. (٦) بنو أسد في رجال

الحجر. (٧) بنوعاصم . (٨) بنو حديد في بني مالك عسير. (٩) بنو العراص، وأفاد الأخ علي بن سعيد التمني، أن بني مالك من عنز بن وائل يقال لهم البدار ومنهم : آل ينفع في قرية آل ينفع بالسراة، وبنو علي بن حاوي وهم المبرة في تهامة) .

هذه بعض الأقوال الصادرة عن مؤرخي عسير الحاليين حول النسب العسيري، أما من سبقهم في إثبات عدنانية نسب قبائل عسير، من غير مؤرخي قبيلة عسير بخلاف ابن الكلبي والهمداني فهم : ابن حزم في كتابه "جمهرة أنساب العرب" (١/ ٣٠٣) حيث يقول : (وبنو عنز بن وائل بجهة الجند من اليمن، ذوو عدد عظيم، يبلغون عشرات الألوف). وقوله صفحة (١/٤٨٤): (وبنو عنز بن وائل، وأخبرنى أبو سالم الشيباني الأنباري الشاعر : أنه رأى دارهم باليمن، وأنّهم أزيد من ثلاثين ألف مقاتل). وورد عن عمر رضا كحالة، في كتابه "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة" (٢/٤٤٠) (رُفَيْدة الشام : قسم من قبيلة ربيعة ورفيدة، التي تمتد بلادها من مسافة بضعة أميال، إلى الشمال الغربي من أبها، إلى مسافة ١٥ ميلا عن محايل).ويقول عن رفيدة اليمن (٢/٤٤١) : (رفيدة اليمن : قسم من قبيلة ربيعة)، ويؤكد عدنانيتهما بقوله ص (٢/٤٤٠) : (رُفَيْدة بن عَنْز : بطن من عنز بن وائل من أسد بن ربيعة، من العدنانية، وهم : بنو رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة) .

ويقول ابن سعيد الأندلسي في كتابه "نشوة الطرب" ٦٠٣/٢ : (ودخلت جزيرة العرب فسألت هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة ؟ فقالوا : لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحل وترحال غير عنزة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين (بـ) قطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنز بجهة تبالة وغير ذلك لا نعلمه في الشرق ولا في الغرب) . كما يقول (ص : ٦٥٠/٢) : (وأما عنز ابن بكر بن وائل، فالباقية الآن لهم، وقد غلبوا على تبالة وجهاتها من اليمن).

وعن جرش، يقول عاتق بن غيث البلادي، في : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٨٢) : (وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ هُنَاكَ كَانَ طَرِيقُ الْحَاجِّ الْيَمَنِيِّ السَّرَوِيِّ وَالْحَضْرَمِيِّ يَمُرُّ بِجُرَشَ وَكَانَ الطَّرِيقُ الَّذِي يَمُرُّ بِهَا يُسَمَّى "دَرْبُ الْبَخُورِ" . وَكَانَتْ مِنْ بِلَادِ مَذْحِجَ، ثُمَّ نَزَلَتْهَا عَنْزُ بْنُ وَائِلٍ وَهِيَ الْيَوْمَ مِنْ بِلَادِ شَهْرَانَ مِنْ خَثْعَمٍ) .والدليل على أن مدينة جُرش من بلاد عنز قول الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب : ٢٥٥ (جرش هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز) .

ويقول الزركلي في كتابه "الأعلام" (٢٤١/٣) (عائض بن مرعي المغيدي : أول من تولى بلاد عسير من عشيرته . وهو من آل يزيد، من بني مغيد ويرتفع نسبهم إلى عنز

ابن وائل) .ويقول الأشعري في كتاب "التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب" (ص : ٣١) : (وإنما سمى عسيرا لأن أمه تمخضت به ثلاثة أيام وتعسرت ولادته فسمى عسيرا فأولد عسير الحرث وعليان وعبيدا، إلى أن يقول : (.. وأما عليان وثوبان بنو شهر بن عسير فأولد سبيعة والباري وأسلم وزيدا، فمن ولد أسلم سهم والمغير وثوبان بنو سهم بن أسلم بن عليان بن عسير..) .وأما إراشة الوارد في قول ابن الكلبي ٣١٩/٢ والذي من ولده (عسير)، فهو عنده عدناني النسب كما رأينا . وقال به ابن دريد الأزدي في كتابه : (الاشتقاق ١٠٧/١) : (فمن بني عَنْز : إراشَة، ورُفَيْدَةُ) . وهو أيضًا قول صاحب كتاب (عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النَّسب (ص : ١٠) إذْ يقول : (الإرَاشي منسوب إلى إراشة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصَى بن دُعْميّ بن جديلَة بَن أسد بن ربيعة بَن نزار أخي رفيدة وهما داخلان في خثعم) .

ويقول النويري، في كتابه "نهاية الأرب ١٠٢/٣ : (فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان وهما: رفيدة بن عنز، وأراشة بن عنز، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر) . وفي كتاب "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي (٢/ ٥٨) : "وأما وائل بن قاسط، فولد بكر بن وائل، وتغلب بن وائل، وعنز بن وائل ، أمهم هند بنت تميم بن مر . فأما عنز بن وائل، فأولد أراشة، ورفيدة ، فمن أراشة : أشجع وعضاضة) .

ويقول النويري في كتابه نهاية الأرب ٨٣/٣ وهو يعدد قبائل نزار : (وأما نزار ابن معدّ بن عدنان، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر : كبني ربيعة الفرس، وضبيعة أضجم، وأكلب، وأسلم، ويقدم، وأجلان، وهميم، وعبد القيس، ودهن، والنَّمر، وتغلب، ووائل، وبكر، وصعب، وعلي، وحبيب، وعنزة، وعنز، ورفيدة، وإراشة، ويشكر، وعكابة، وعجل، ولجيم، وحنيفة، وزمَّان، والدول، وشيبان، وذُهل، ومازن، وسدوس، وبليّ، وعوف، وبدر، ومعن، ودُعميّ، وزهرة، وحُذاقة . فأما أنمار بن نزار، فانقلب في يمن كما انقلبت قضاعة في غير ذلك من الأفخاذ والعشائر) .

ويقول حمد الجاسر في كتابه: (في سراة غامد وزهران ٤٧٨) : (عَنْز : سراة عنز، تقع بين سراة جنب جنوبًا وسراة الْحَجْر شمالاً، نجدها خثعم وغورها بارق، وهي المعروفة الآن بسراة عسير، نسبة إلى أحد أجداد القبيلة، وهو عسير بن إراشة بن عنز بن وائل . من ربيعة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان..) وأحال على كتابَي (جمهرة النسب، والنسب الكبير، لابن الكلبي، وكتاب الإكليل، للهمداني .وهناك موضع في عسير إلى الجنوب من مدينة أبها يعرف باسم (شعف أراشة) حتى هذه الساعة نسبة إلى أراشة بن عنز بن وائل .

وكثير من كتاب هذا العصر من أدباء وباحثين يقرون بانتساب عسير إلى عنز بن وائل اعترافًا منهم بعدنانيتها، فقد كتب الباحث الأستاذ : حمد بن عبد الله بن حمد الخميس، في أحد مواقع شبكة المعلومات فقال : "عنز بن وائل : (وهي قبيلة سكنت جنوب غرب الجزيرة العربية (منطقة عسير الحالية) منذ العصر الجاهلي وحالف قبائل قحطان قديما . وذهب بعض المستشرقين إلى أن القبيلة قضى عليها الطاعون سنة : (١٢٠٠م)، وبقي منها اليوم قبيلتان هما : (ربيعة مقاطرة) التي كانت تسمى قديما "ربيعة الشام" و (ربيعة الطحاحين) التي كانت تسمى "ربيعة اليمن" و(محاليل) هذه القبائل اليوم في تهامة عسير، إذا تمتد منازل ربيعة المقاطرة "ربيعة الشام" ما بين واديين كبيرين بتهامة هما وادي يبة شمالا وحلي جنوبا، بينما تمتد منازل "ربيعة الطحاحين" من وادي حلي شمالا وحتى وادي عتود ومربة جنوبا وهاتان القبيلتان هما البقية المتبقية من قبائل ربيعة في المنطقة التي لم تزل تحتفظ بالنسبة القديمة إلى ربيعة الفرس، فأسماؤهم تنتهي بـ"الرَّبَعي" بالراء المشددة المفتوحة والباء المفتوحة، المذكورة في كتب الأنساب القديمة، وإنما قل استخدامها لكثرة بطون ربيعة قبائلها).

ويقول الباحث الأستاذ : منصور بن أحمد العسيري، مؤكدًا عدنانية بعض البطون التي ذكرت في كتب الأقدمين ممن عد عسيرا عدنانية النسب : (وجدنا بطونا من عسير لا زالت تحمل نفس الأسماء التي ذكرت في كتب التاريخ قبل مئات السنين في السراة مثل : عضاضة، ومالك وغنم . وفي تهامة مثل : شديدة، وزيد، وهازم، وأسلم، وثوبان، والمنجحة، والمغلبة).

وفي عدة مواقع من شبكة المعلومات مجموعة كتاب من قبائل عسير يرجعون نسب عسير إلى عدنان، أما غيرهم من الكتاب المعاصرين المتعصبين إلى النسب الأزدي فلا حجة معهم في ذلك إلا الأخذ من بعضهم واعتبار ذلك حجة في توثيق الأنساب ونحن نسألهم ما مصادرهم التاريخية المعتمدة، لأننا والحق يقال نجدهم يرمون بالنسب العدناني لهذه القبيلة العريقة عرض الحائط، ويأخذون عن أناس من مثل شعيب الدوسري، وتركي بن ماضي، وغيرهما ممن عاشوا في العصر الحديث دون إسناد إلى أحد من المتقدمين، وإنما تؤخذ الأنساب من المؤرخين السابقين . وقد قال ابن المبارك رحمه الله، فيما نقله عنه صاحب كتاب : "فتح المغيث في علوم الحديث ص ٣٢" : "والإسناد من الدين ؛ لولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء" .

ولدلالة التزوير الواضح في نسب عسير إلى الأزد ولم يتنبه له المعاصرون، ما نقله محمود شاكر، في كتابه : "عسير" صفحة (٤٧) المشجر الذي صنعه حمد الجاسر يرحمه الله، لقبائل أزد السراة في كتابه : (في سراة غامد وزهران) صفحة (٢٢٧) ولمَّا لم يجد

الأستاذ محمود شاكر لقبيلة (عسير) اسمًا في ذلك المشجر، كتب بتصرف شخصي تحت (إحجن بن مالك): (أسلم) وقال: (ومنه قبائل عسير) ليوهم القراء بأن الجاسر - وهو بريء من إضافة محمود هذه - هو الذي كتبه، مع أن الجاسر رحمه الله وقف بمشجره عند (ثمالة) وجعل (أسلم) أبًا لثمالة فقال في نسب ثمالة: (ثمالة بن أسلم بن إحجن بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث). ولم يذكر ابنًا أو أخًا لثمالة في هذا المشجر، وأضاف محمود لهذا المشجر قبل (ثمالة): (قرن) ثم: (أسلم) فوقه وهو الذي زعم أنّ منه قبائل عسير، وبعد ثمالة أضاف: (عمرو) وتحته: (أسلم) فأما عمرو فصحيح في النسب لأنه أحد أولاد ثمالة وإن كان الجاسر لم يدونه في مشجره لاقتصاره على ثمالة وهو الأشهر، وأما بقية إضافات الأستاذ محمود، فلا أعلم من أين أتى بها وأسندها زورًا إلى حمد الجاسر، وهذه جرأة وافتراء على الجاسر يرحمه الله، سيسأل عنها يوم القيامة. فعسير قبيلة عريقة من أصلٍ عدناني ينتمي إليه رسول البشرية محمد ﷺ، نسب لا يرقى إليه نسب، لقَولِ رَسُولِ اللّه ﷺ كما وردِ في "شعب الإيمان (٣/ ١٥٨) بتحقيق الدكتور عبد العلي عَبد الحميدَ حامَد: "إنَّ اللّه عز وجل، خَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ.. " الحديث .فكيفَ يتنصلُ الأواخر مِن هذا النَسبَ الذي ينتمي إليه محمد سيدَ الخلق ﷺ! وقد ذكره المؤرخون والنسابون الأقدمون، ونحن نسأل هؤلاء الكتبة المعاصرين: عَمَّن أخذ شعيب الدوسري، ومحمود شاكر، وتركي بن ماضي، وغيرهم من كتاب العصر الحالي هذا النسب الأزدي لقبائل عسير؟

ص:٤١٩ أورد الناقد تقسيمات الأزد البالغة "ستًّا وعشرين قبيلة" ثم قال بعدها نقلا عن عبد الله بن مسفر من كتابه: "السراج المنير": (إن غامد من بجيلة ونرجح أن قبائل عسير وبجيلة ينتمون إلى جدٍّ واحد). يا سعادة العميد التقسيم المذكور بعاليه ليس على إطلاقه فهو أقل من ذلك بكثير ومن ذكره بذلك العدد فقد جهل قبائل الأزد وإن كان هذا المفهوم يُتداول منذ القدم، ولعلك تعلم أن من بين أسماء تلك (القبائل) الواردة في ذلك التقسيم بطونًا تنتسب إلى قبيلة (زهران بن كعب)، كما سنوضحه بعد قليل، فكيف يعدونها من تقسيمات قبائل الأزد وهي معدودة في قبيلة زهران. والقبائل الأزدية التي قال بها المؤرخون وذكروا أنها ست وعشرون قبيلة هي: (جفنة، وغسان، والأوس، والخزرج، وخزاعة، ومازن، وبارق، وألمع، والحجر، والعتيك (العتيق)، وراسب، وغامد، ووالبة، وثمالة، ولهب، وزهران ودهمان، والحدان، وشكر، وعك، ودوس، وفهم، والجهاضم، والأشاقر، والقسامل، والفراهيد).

هـذا مـا قاله الأوائل عن عـدد قبائل الأزد، ويلاحظ على هـذا العدد عدم وجود قبيلة باسـم "عسـير" من بين هذه القبائل الأزدية، ولا حتى لواحدة مـن قبائلها الأربع – التـي يَدّعِي سـعادة العميد نسـبها الأزدي، وامتدادها الجغـرافي إلى قبيلة زهران –رغم شـمول التقسـيم قبائل : (بـارق، وألمع، والحجـر) ، الواقعة في إقليم عسـير الحالي فهلاّ ذكـرت لنا السـبب في عـدم ذكرها مع القبائل الأزديـة المذكورة في هـذه المعلومة؟ وإليك أسـماء ما يتبع قبيلة زهران من تلك القبائل التي ذكرها النسـابون : (دهمان، والحدان، ودوس، وفهم، والجهاضم، والأشاقر، والقسامل، والفراهيد، بالإضافة إلى زهران) . وها هي أنسابها : دهمان : هو دهمان بن نصر بن زهران .الفراهيد : هم فرهود بن شبابة بن مالـك بـن فهم ابن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بـن زهران . منهم العالم اللغوي ومخـترع علـم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي . الجهاضـم هم : مـن أبناء جذيمة الأبرش بن مالـك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران .القسـامل هـم: بنـو معاوية بن عمـرو ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بـن عدثان بن عبدالله بن زهران . الحدان نسبة إلى حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران .الأشاقر نسبة إلى أسعد بن مالك بن عَمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بـن عدثان بن عبدالله بن زهران . دوس بـن عدثان بن عبد الله بن زهران .فهم بن غنم بن دوس ابن عدثان بن عبد الله بن زهران .انظر أنساب هذه القبائل وغيرها من أنساب قبائل زهران الأخرى في: (شجرة نسب قبائل زهران القديمة) في كتابي : التبيان في تاريخ أنساب زهران : ١٠٣/١.

وأما قول عبد الله بن مسـفر : (إن غامد من بجيلة، ونرجح أن قبائل عسـير وبجيلة ينتمون إلى جدٍّ واحد) . فقد وهم لأن لغامد ـ وأنت تعلم ذلك جيدًا ـ نسبًا غير نسب بجيلة، فغامد صريحة في الأزد، أما بجيلة فقد اختلف النسابون في نسبها، وإن كان أغلبهم عدها في قبائـل اليمن، ولـو جعل التقارب بين (بجيلة وخثعم) لأصـاب كبد الحقيقة لأنهما من ولد أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث .. ويرتفع نسبهما إلى كهلان . وأما إذا كان يقصد التقارب بين بجيلة عدنان وبعض قبائل عسير العدنانية فقوله صواب .

ص: ٤١٩ ذكر الناقد الوفود التي وفدت من قبائل الأزد على الرسول ﷺ، بعد الهجرة النبوية الشريفة .قلت هل في هذه الوفود الأزدية وفد باسم قبيلة (عسير) حتى نطمئن إلى وجودها زمن البعثة النبوية الشريفة ضمن قبائل الأزد ؟؟. ص: ٤٢١ أورد الناقد من قول الأسـتاذ عمر غرامة: (إن عسـيرًا هو لقب عدد من قبائل الأزد واسـمه عمرو مزيقياء بن عامر ..) . قلت في هذا نظر، لأننا لم نر عسـيرا ضـمن قبائل الأزد فيما سبق ذكره بعاليه ويجـب عليه ذكر المصـدر الـذي أورد ذلك . ص: ٤٣٤ ذكر الناقد وفد الصـحابي الجليل

صرد بن عبد الله الأزدي، وأنه كان (على رأس وفد من قومه، إلى المدينة المنورة في السنة العاشرة الهجرية، فلما أسلموا أمره عليه الصلاة والسلام على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك..) .

عزيزي سعادة العميد: لقد ظهر الحق في هذه المعلومة، فأنت تقول أن صرداً وقومه أسلموا سنة عشر من الهجرة بينما دوس أسلمت سنة سبع، وليس من عادة الرسول (ﷺ)، أن يبقي ولاية كافر على مؤمن بعد إسلامه، وبناء على أقوالك السابقة من أن عسيرا لها من الامتداد العسكري والجغرافي إلى ما بعد زهران شمالاً، فكيف إذا كان لقولك حقيقة وهي إسلام قبيلة زهران في السنة السابعة من الهجرة النبوية ويرضى، الرسول (ﷺ)، بتبعيتها لعسير وهي لم تسلم بعد إلا في السنة العاشرة ؟ معنى هذا نفيٌّ لتأمير الرسول (ﷺ)، الصحابي سعد بن أبي ذباب على دوس، كما ورد في الخبر أيضًا أن صرداً بن عبدالله رضي الله عنه، رحل في السنة العاشرة بوفد من قومه إلى المدينة النبوية، ولما أسلموا أمره الرسول (ﷺ)، أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك.. أي ممن كان مشركًا في جُرش وما حولها، فعاد بهم إلى جرش كما ذكرتَ، وجرش بعيدة عن زهران بمئات الكيلومترات، إذًا أرسله الرسول (ﷺ)، إلى أهل جرش ومَن حولها من ديار عسير، فكيف تزعم امتداد عسير الجغرافي والعسكري إلى قبيلة زهران والرسول (ﷺ)، إنما أمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك وزهران لا تليه، وقد خلُصت آنذاك من الشرك ؟ .

ص ٤٣٧ يقول الناقد (إن اسم عسير الحلف ظهر في عهد الخلافة الراشدة، أو بداية الحكم الأموي على وجه التقدير) .قلت: هذا ما نتوق إلى معرفته فأين نجد صيغة ذلك الحلف بغض النظر عن زمن صدوره، لأن ما ذكره شعيب الدوسري، هو تحالف تلك القبائل العسيرية الأربع مع بعضها دون دخول سواها فيه من قبائل المنطقة، ولعل ذلك الحلف يرشدنا إلى معلومات أكثر مما نعرفه عن ذلك الحلف، فلو تكرمت عجِّل لنا بإظهار صورته وجزاك الله عن مؤرخي المنطقة وكتابها وقرائها خير الجزاء .

ص: ٤٣٨ سؤالي للأخ الناقد، وللدكتور الكاتب : مَن كتب عن الإمارة اليزيدية التي قامت في عسير قبل شعيب الدوسري ؟ ص ٤٤٢ عبد الرحمن بن عبد الله، لم يكن غامديًّا بل هو دوسيٌّ من زهران، عينه المهدي في خلافته على السراة، وقد ورد هذا الخطأ في كتاب "امتاع السامر" لشعيب الدوسري ص (٩)، وإليك ما ورد عند ابن حزم في جمهرته ٣٨٢/٢ : وهو يعدد رجال زهران : "وعبد الله بن النعمان بن عبد الله بن وهب بن سعد بن عوف بن عامر بن عبد غنم بن غنام بن أسامة بن مالك بن عامر بن حرب بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم . وهو الذي قتل الحازوق الحنفي قائد نجدة ؛ بعثه نجدة إلى

السراة فأوغل فيهم، ولهم شعاب منكرة فأخذ عليه في شعب منها، فرضخ هو ومن معه بالحجارة حتى ماتوا ؛ ومن ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحر بن عبد الله بن النعمان، ولاه المهدي السراة " .

ص: ٤٥٤ نقل الناقد بعد الحديث عن قوة عسير في عصر إمارة مكة وما قبله، قول محمود شاكر: (أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز، جيرانهم في الشمال وبخاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة..) .قلت : إذا كانوا أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز، وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة فكيف يستولون على قبائل أزد السراة ؟؟ص ٤٤٧ يقول الناقد من قول محمود شاكر، وهو يتحدث عن مبايعة بعض قبائل الأزد سعيد بن مسلط:(وبايعته بالإمارة قبائل عسير السراة وتهامة، وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران) . قلت: جميل منك إيراد هذه المعلومة التي يُفهم منها عدم دخول قبائل (زهران وغامد) في عسير، وهي تؤكد أنهما ليستا من قبائل عسير أصلا . لأن المبايعة إنما تنبع من داخل القبيلة التي منها الحاكم وتكون طواعية، وهي تختلف عن إخضاع قبيلة أخرى بالقوة العسكرية ثم انتزاع المبايعة من أفرادها بطريقة قهرية، كما أن هذه المعلومة الهامة أفادت أن قبائل رجال الحجر، وقحطان، وشهران، لم يشملها آنذاك اسم (عسير) كما زعم هذا العميد سابقًا . ولو كانت هذه القبائل في ولاية عسير (القبيلة) سابقًا لاكتفى الكاتب بسردها تحت مسمى عسير .ص ٤٤٧ الأمير حسن بن علي، لم يقتل ولكنه مات في الرياض . لقول محمود شاكر ص ٢٦٧ : (بقي الأمير حسن في الرياض حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧ هـ) .

أما ما ورد في ملاحظات العميد إبراهيم من أخطاء لغوية ونحوية فقراء كتاب الدكتور غيثان كفيلون بإصلاحها . هذا ما تيسر لنا بيانه وأرجو أن يتسع صدر سعادة العميد لتقبل ما ورد، ويعلم الله في عُلاه أنني لم أرد بتوضيحي هذا الانتقاص من قدر وعلم العميد إبراهيم الألمعي بقدر ما أريد تبيان الحقيقة التي جميعًا نكتب من أجلها من خلال كتب المؤرخين والنسابين الأقدمين، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل . (تحريرا في : ١٤٣٥/٣/١٢)من هجرة المصطفى (ﷺ). منطقة الباحة. بلاد زهران . محافظة القَرَى. مدينة الأَطَاوِلة. علي بن محمد بن سدران الزهراني.

ثالثاً : تعليقات وإضافات على كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير). الجزء الخامس :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد وصلني بتاريخ التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ألف وأربعمائة وخمس وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ،

المجموعة الثانية من مؤلفات الأستاذ الدكتور: غيثان بن علي بن جريس الشهري. أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد بأبها، ومن ضمنها كتابه الموسوم بـ "القول المكتوب في تاريخ الجنوب" في جزئه الخامس، ضمن منظومته التاريخية القيمة عن بلاد السراة، وهذا الكتاب يبحث في تاريخ: بلاد (الباحة وعسير) على وجه الخصوص، ولقد تصفحت الكتاب فوجدت غالب ما ورد فيه إذا استثنينا مشاركة القراء ومضات سريعة عن بلاد (غامد وزهران) تنقل الدكتور خلالها من علم إلى علم، فأورد فيه ولا سيما ما يتعلق بمنطقة (الباحة) من كل علم قطرة، وكأنه يستحث القارئ لهذا الكتاب على البحث بين كتب التراث لإتمام بقية المعلومة.

ولذا يصعب على القارئ التقاط أية ملاحظة، لأنه وثَّق بحثه في هذا الكتاب بوثاقين الأول: اعتماده على حقائق من قبل جهات حكومية مدعَّمة بأرقام وتواريخ لا مجال فيما نظن للشك فيها، والثاني إثبات معظم مادة كتابه بوقف قدمه وما رأته عيناه، فلم ينقل عن "قيل وقال" يتوج ذينك الوثاقين غزارة علمه وسعة اطلاعه وصبره الدؤوب، وتنقله في أرجاء البلاد (السروية والتهامية) للبحث عن الحقيقة وتقديمها للقارئ بصورة صحيحه، إلى جانب بعده عن التحيز الذي ابتُلِي به بعض المؤلفين الساعين للشهرة في هذا العصر، ممن استغل منصبه الاجتماعي فكتب بحثًا مطولا أوهم فيه القراء بأنه عنى به سكان السراة جميعهم، وإذا به يحصره في قبيلته، فلا شيخ يُذكر إلا منها، ولا وثيقة تعالج موضوعًا من الموضوعات إلا من وثائقها، حتى لو كانت حديثة نسبيًّا، ولا قصيدة وردت في كتابه إلا لشاعر من تلك القبيلة، ولا شاردة أو واردة تحكي تراث وعادات أهل السراة بمجموع قبائلها إلا من تلك القبيلة. فأنا في الحقيقة أنزهك "أبا المثنى" عن مثل هذا الرجل الذي حصر قبائل (السراة وتهامة) في قبيلة واحدة، ومؤلفاتك تشهد بشمولية أبحاثك قبل شهادتي. أما مشاركتي فستكون على شكل إيضاحات موجزة مكمِّلة لما طلبه الدكتور –ضمنًا– من قرائه الكرام.

وللعلم فلم أتشرف بمقابلة الدكتور غيثان أطال الله عمره في طاعة الله، ولم أعرفه إلا بواسطة الهاتف، وأكرم بها من معرفة وطَّدت العلاقة بيننا على أحسن حال حتى كأنني جالسته أعوامًا عديدة جمعنا الله به والقراء في جنة الفردوس. وقبل أن أدلي بدلوي في مواضيع الكتاب استوقفني قول الأخ الدكتور في الحاشية رقم (٢) من صفحة (٢٨٢) الآتي: " .. أنا لست ضد أي مؤرخ أو أي أحد .. ". ولم أذكر – على حد علمي– في قراءتي السابقة أنني اتهمت الدكتور بتحيزه لمؤرخ قديم أو حديث، فحاشاه من ذلك، وليس ذلك من طبعي أبدًا. وإنما كان استفساري عن بعض المؤرخين المجهولين في عصور سابقة، كالعصر العباسي على سبيل المثال فقد أوردوا معلومات وثِقْنَا بها رغم جهلنا

بهم ونقلناها عنهم، بينما هناك مؤرخ وأديب معلوم النسب عاش في القرن الماضي، أورد معلومات أغلبها موثقة في كتب المؤرخين السابقين واللاحقين، إلا أن من بين مؤرخي هذا العصر مَن لم يعترف بمعلوماته تلك، فلماذا لا يُعامل معاملة أولئك المجهولين ويؤخذ من أقواله ما ثبتت صحته عند غيره ؟ هذا مجرد رأي شخصي أوردته عن ذلك الكاتب، لكون بعض المؤلفين لا يرى غضاضة من الأخذ عن أمثاله والتنبيه على أوهامه .

وفي الجزء الخاص بمنطقة الباحة من هذا الكتاب : (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**) أحببت الإشارة إلى عدة تنبيهات منها : في حاشية صفحة (٦٠) رقم (٦) لم تنتقل الإمارة إلى بلدة "رغدان" كما جاء في المعلومة فهي كانت في الظفير ثم انتقلت إلى بالجرشي فالباحة . ورد في رقم : (١) من حاشية صفحة : (١١٩) اسم أمير منطقة الباحة الحالي بأنه (صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود . بينما الصواب أنه صاحب السمو الملكي الأمير مشاري بن سعود) .

في متن صفحة (٢١٥) فقرة (د) ذكرتَ : مساعد بن راشد بن رقوش، بأنه أحد شيوخ مشايخ زهران، والصواب أنه من بيت (آل الرقوش) بيت المشيخة، ولكنه لم يكن أحد شيوخها، وإنما كان نائبًا عن أبيه : راشد بن جمعان بن رقوش، على القسم التهامي من زهران . وكان له بيت ومزرعة في وسط تلك العقبة . ولذا سُمِّيت العقبة باسمه، وكانت من قبل تُسمّى : "عقبة مَزْحَك" . وتَدَرَّج اسمها من عقبة مزحك، إلى مساعد، إلى الملك خالد، إلى قِلْوَة، ثم عاد اسمها حاليًّا إلى الملك خالد .

في صفحة (٢٢٧) لم يُستخدم "القدح" في بلاد زهران كوحدة كيل، وإنما كانوا يستخدمون على الترتيب "الصاع، الْخَليفي، الْمُد، النَّصَيْف، الرُّبيع، الشُّطْرة، الرَّابعَة، الثَّامنَة" . وهي أجزاء بعضها من بعض . في صفحة (٢٢٨) في موضوع المقاييس، نسيتَ ذكْر : " الْبَوْع والْقَامَة والْمَدَّة والشِّبْر والْفِتْر، والإصبع، والْقَدَم . وإلى الرُّكْبَة، وإلى الْمَحْتَزَم" . كل هذه كانت تستخدم ولها تفصيلات .ورد في السطر السادس من صفحة (٢٧٨) "مفرح" بالحاء المهملة. والصواب : "مفرج" بالجيم المعجمة . ورد في السطر العاشر من صفحة (٢٨١) كلمة : "الحوف" بالحاء المهملة . والصواب أنها "الجوف" بالجيم المعجمة . في صفحة (٢٢٦) السطر العاشر، الذي أعرفة أن الأقّة تعادل أربعين أوقية، لا اثنتين وثلاثين . وأراك نسيت ذكر الوحدة الوزنية التي كانت مستخدمة في المنطقة وغيرها إلى عهدٍ قريب، وهي "الْفَرَاسِلَة" .

والآن نبدأ بعد الاتكال على الله سبحانه في إيراد الإيضاحات المقتضبة على بعض ما ورد في الجزء الخاص بقبيلتي (زهران وغامد) فنقول :أنا أوافق الدكتور أبا المثنى على

ما أورده ابن المجاور (الفارسي) من شطحات في حق أبناء السراة مما دونه في كتابه، فقد تجاوز فيها حدود الأدب، وقذف أناسًا بما ليس فيهم، لكننا لا نلومه يا دكتور غيثان فهو فارسي متعصب بغيض، لا ننتظر منه محبة المسلمين، ومع الأسف لم يجد في زمانه من يتصدى له ويفند سقطاته القبيحة، ولكننا نلوم من جاء بعده بعدة قرون وتوخينا الصحة والمصداقية فيما يكتب عن بني دينه، والبعد عن الأخذ عن (قالوا) وإذا به أردأ حالاً من ابن المجاور، وذلك الكاتب الذي أعنيه كان في منصب رفيع في دولة الإسلام، فكان من الواجب الذي يفرضه عليه دينه وخلقه ومركزه، عدم الخوض في مثل ما خاض فيه ابن المجاور، والنأي بنفسه عن إثبات أمور قبيحة زعم أنها قيلت له، وذلك الكاتب لمن لم يعرفه هو: (فؤاد حمزة)، حيث وصم قبيلة عربية إسلامية شهيرة بوصمة عار، سوف يُسأل عنها يوم القيامة، حين اتهم بنات تلك القبيلة بالزنا والعياذ بالله، وأن من يريد منهن التزوج سريعًا فعليها أن تأتي بمولود من سفاح !! ولا أدري كيف صَدَّق هذا القول الشنيع في أعرق قبيلة دينها الإسلام ودستورها القرآن، وتجرأ بتدوينه في كتاب سَيَّار ؟ وقد سبقه ابن بطوطة، بقوله الشنيع في مجلس أحد سلاطين عُمَان، والله سبحانه يقول لمثل هؤلاء في سورة النور: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)". فكان ينبغي إتلاف كتب هؤلاء المشوِّهين لسمعة الأبرياء، لا كتاب ذلك المؤرخ الأديب الذي أشرت إليه سابقًا.

وإنني أنادي أساتذة الجامعات في المملكة العربية السعودية، وفي العالمين العربي والإسلامي، حذف تلك الأقوال المسيئة "لبعض الأشخاص أو القبائل" المبثوثة في كتب الأقدمين أو المعاصرين، وإن أرادت كل جامعة ومؤسسة تعليمية الاحتفاظ بنسخة من الأصل للرجوع إليها فلا بأس، وتخرج للناس طبعة منقحة خالية من السباب وفحش القول. وقد وقع يا أبا المثنى بعض كَتَبَة هذا العصر في مثل ما وقع فيه أولئك الأقدمون، فهناك كاتب ذو شهرة اجتماعية، له كتاب يربو على ألف صفحة، ذكر فيه بعض العادات المنافية للأخلاق والدين، شَوَّه بها سمعة بعض القبائل التي حواها كتابه، ومع ذلك فقد حاز ذلك الكتاب على جائزة بعض أندية المملكة الأدبية، دون أن يتنبه المجيزون له على بعض ما كَتب. وليتني أعرف من أجازه لأرسل لهم بعض ما لاحظته عليه، فلعلهم بعد مطالعة تلك الملاحظات يطالبونه برد الجائزة.

ورد في السطر العاشر من صفحة (٩٩): "بل إن الأزد قد اجتمعت بقضها وقضيضها كما تقول إحدى الروايات في أبيدة ثم تفرقت مرة أخرى من هذا المكان" قلت: هذا القول مجانب للصواب فالأزد إنما افترقت من تهامة في قول المؤرخين الموثوق بعلمهم، أما من

تجمع من الأزد في "أبيدة" فإنما هم بعض قوم مالك بن فهم الدوسي حينما أراد مغادرة ديار دوس بعد حادثة الكلبة الشهيرة، فتلاحق قومه في أبيدةومعهم مهرة بن حيدان، وبعض أفراد قضاعة ثم سار بهم إلى عُمَان.

وهذا القول المغلوط الذي اعتمد عليه الكاتب أورد ما يشبهه "الصحاري العماني" في كتاب "الأنساب ص ٢٣٣" فقال : "ثم سار الباقون من الأزد حتى نزلوا الناصف من أبيدة، وهو واد فيما بين نجد والسروات في سند جبل السراة، وهو أحد مجامع شنوءة اليوم، الذي يجمعهم فيه المصدق . وافترقت الأزد من أبيدة، فرقا ثلاثا : فسارت فرقة منهم، ومعهم مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف، وقضاعة بن مالك بن حمير، ومالك وعمرو ابنا فهم تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة، في قبائل قضاعة ومن استجمع معهم من اليمن، وقد ملكوا عليهم مالك بن فهم الأزدي، فسار بهم مالك بن فهم على اليمانية . ثم سار بهم على برهوت وهو واد بحضرموت، ثم جنب الخيل وامتطى الإبل، وجعل على مقدمته ابنه هناءة بن مالك في ألفي فارس من صناديد الأزد وفرسانهم، وجعل يجد السير حتى انصب على عمان في طريق الشحر.. " .

وقال في موضع آخر " قال: فخرج مالك بن فهم من أرض السراة، يريد عمان، فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد، ومن اتبعه من أحياء قضاعة. وسار متوجها نحو عمان.. ".وهو القول نفسه الذي أورده عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي العماني، صاحب كتاب "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان".فهل ورد في الخبرين اجتماع الأزد بقضها وقضيضها في أبيدة وتفرقهم من هناك ؟ أو أن ما ورد فيه هو اجتماع قوم مالك بن فهم ومن تبعه من أحياء قضاعة ومهرة، ومرافقته إلى عُمَان بعد أن كره البقاء في سراة (دوس) .وممن ذكر افتراق الأزد في البلدان في غير الموضع أعلاه صاحب كتاب: "التيجان" والأزرقي في كتابه : "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وغيرهما .

وفي ص: (٩٩) أيضًا، والحديث عن خرائب (معشوقة) "ولكن الراجح أن أهلها من الأزد.. " .قلت : نقل الجاسر يرحمه الله، أن "أبيدة" كانت موطنًا لثلاث قبائل فقال : " أعلاه لعدوان وفهم، وأسفله لبني هلال" . وهو ما قال به الهمداني في كتابه : "صفة جزيرة العرب" . يؤيد ذلك أن قبيلة بني سلامان من زهران، سكنت بهذا الوادي في منتصفه، وكان حاجز بن عوف السلاماني يوزع غاراته على بني عدوان في أعلى الوادي، وعلى بني هلال في أسفله، فلعل أهله سابقًا كانوا من بني هلال، لما ثبت من شعر هذا الشاعر، ولقول البكري : من أنّ أبيدة "من منازل أزد السراة" . والله أعلم. في صفحة (١٠٠) "وماء وادي أبيدة يصل إلى وادي العقيق في منطقة الباحة أيضًا" .قلت وهذا أيضًا من أوهام الباحث، فأبيدة رافد من روافد وادي تربة، والماء لا يصعد في الأودية بل ينحدر عبرها .

ولفت نظري في هذه الصفحة قول الباحث " ومن المعالم التاريخية في أبيدة " الناصف" .. وبهذا الموقع قتل الشنفرى .. " قلت : كان هذه المعلم من الآثار التاريخية بمنطقة الباحة أما اليوم فقد أصبح أثرًا بعد عين، بعد أن قامت بلدية القَرَى بتخطيطه وتوزيعه على السكان ولم يبق مع الأسف إلا مساحة دائرية يبلغ قطرها مائة وخمسين مترا، محاطة بسور حجري قديم تسمى "زَرْبَة الخيل" والزربة عندنا تعني "الساحة" كانت قديمًا معدَّة فيما يبدو لترويض الخيل قبل أن تنطلق في مضمار لا تزال آثاره قائمة في جزء من الناصف، إلى الشرق من مدرسة البنات المقامة حاليًّا في الوادي، يبدأ من قعر الجبل الغربي المطل على الناصف، وينتهي إلى قمة جبل شرقي الناصف بطول ثلاثمائة وخمسين مترا تقريبًا، وإجمالي مسافة الصعود في الجبل الشرقي من هذا المضمار حوالى مائة وخمسين مترًا، وعلى مسافات متقاربة من جانبي هذا المضمار أحجار مركومة، ربما كانت أبراجا صغيرة لمراقبة خيول السباق عند التسابق، أمَّا عند نهاية السباق في قمة الجبل الشرقي، فتوجد حجارة كأنها مهيأة لجلوس كبار المسؤولين الذين يحضرون السباق، فهناك حجر أملس مستطيل ذو عرض مناسب، يتسع لجلوس شخصين، وإلى جانبيه حجران يتسع كل منهما لجلوس شخص واحد، وأمام هذه الأحجار حجارة أخرى أخفض من الأولى، والغريب في هذا المضمار أنه يبدأ من غربي الوادي إلى شرقية، مما يدل على أن السباق كان يجري صباحًا وليس مساء كما هي عليه الحال هذه الأيام، وقد عَدَت العوادي أيضًا على هذا المضمار بحيث أزيلت معالمه من بطن الوادي بواسطة الجرافات التي نقلت أتربته لغرض الدفن في مواضع البناء وأصبح الجزء العلوي من المضمار معلَّقًا . وكم من المعالم الأثرية أصابها ما أصاب الناصف نتيجة التوسع العمراني . فهناك حصون هُدِّمت، وبيوت أثرية دُمِّرت، وآثار طمرت أو سُرقت . وهيئة آثار المنطقة لا تملك إلا وضع بِتَرٍ من الإسمنت تشعر الزائر على أنها منطقة آثار، وليتها لم تفعل فقد لفتت انتباه اللصوص وذوي النفوس المريضة إلى سرقتها أو تخريبها .

في صفحة : (١٠١) وهو يتحدث عن آثار مدينة "عَشَم" التاريخية الواقعة في القسم التهامي . يقول الباحث: " ومقابر المدينة التي تحتوي على كثير من الشواهد التي كتبت بخطوط كوفية جميلة .. " . قلت: لقد أسعد الحظ هذا الأخ الباحث حيث زار تلك المدينة الأثرية فوجدها تخبر الأحياء بأماكن وأسماء الأموات من خلال تلك الشواهد على قبورهم، أما أنا فقد زرت هذه المدينة المنهوبة في صيف عام (١٤٢٩) من الهجرة بدافع الاستطلاع على ماكتبه عنها الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي، وبعد سماعي محاضرة له ألقاها في النادي الأدبي بالدمام، وبعد قراءة كتاب الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه : "مخلاف عَشَم" وعند وقوفي على أطلالها لم أر شيئًا من تلك الشواهد التي تحدث عنها

الكاتبـان، فظننـت أن هذا المكان ليس هو المقصـود، فما كان مني إلاَّ أن اتصلت هاتفيًّا بالأخ الدكتور : عوض السبالي، فرد علي قائلاً : لو سألتني وأنت في السراة لأخبرتك بخلو المقبرة من أي شاهد . فتساءلت أين ذهبت تلك الشواهد الأثرية، التي سمعتُ بها وقرأت عنهـا ؟ وما الفائـدة من أخذها من مكانِها ونصـبها في مكان آخـر لا علاقة له بوجودها فيه، ولاسـيما أن هيئة الآثار في القنفذة أجْهَدَتْ نفسـها فأحاطتها بسياج حديدي، وبنت منـزلا ربما كان معدًّا لحراسـتها في ربوة تشـرف علـى المقبرة وما حولها، فلمـا رأيت ما صـنعت هذه الهيئة، ورأيت المقبرة بدون شـواهد، ذَكَّرَني هذا الموقف بقصـة سمعتها من الأجداد مفادها : أن رجلاً جاء له ولد بعد يأسـه ودخولَه في سـن الشيخوخة، ففرح به هو وزوجته فرحًا شـديدًا، وكانا يسـكنان في الطبقة الثانية من المبنى، وكان لذلك المنزل باب بشُـرْفَة تشرف على الحديقة، يسـمى في لهجتنا "الْخَلَف"، ولما صار الولد يحبو ويتنقل في البيت من مكانٍ إلى مكان، قالت الزوجة لزوجها " يا أبا فلان ولدنا صار يحبو وأنا خائفة عليه، فَسَـيِّجْ شُرْفَة الخلف بسـياج متين حتى لا يسقط منه. فأخذ يتمهّلها حتى جاء اليوم الموعود لذلك الطفل، فعبر باب الخلف على حين غفلة من أمه، وسقط إلى الأسفل ومات، فقام ذلك الرجل على الفور وسَـيَّجَ تلك الشُّـرْفة .ولو كان النـاس لا يزالون يبنون بيوتهم بالحجارة، لسُرقت تلك الحجارة المركومة التي لا تزال ماثلة للزائر تشهد بحضارة سادت في ذلك المكان ثم بادت . فعسى أن تكون هيئة آثار القنفذة قد نقلتها من أماكنها لحمايتها من السرقة، أمَّا إذا سُرقت من على القبور فهي المسئولة عن ذلك .

في صفحة (١٠٧) ذِكْرٌ لقبر كليب وائل وبداية حرب البسوس .!! قلت : اسْتُهْتِر الناس وبخاصـة كتاب هذا العصـر بإيراد روايات عن كليب وائل والزير سـالم وأبي زيد الهلالي والشـنفرى ونعمان الحكيم وو.. وكلٌّ يَدَّعِي أن هـؤلاء أو أحدًا منهم مدفون في ديار قبيلته . ولا لوم على أحد منهم لوجود أسـماء تتشـابه مع أسـماء مواقع تلك الأحداث الماضـية، فيعتقدون بل يجزم بعضهم أن هذا المكان هو قبر ذلك الرجل، أو أن الموقعة الفلانية كانت بهـذا المكان، لكن يبقى التحقيق العلمي والمسـح الكربوني هو الذي يثبـت ما يَدَّعيه بعض هـؤلاء الكتـاب، ولئن قال أخونا في هذا البحث بوجود قبر كليـب في وادي الخيطان بغامد الزنـاد بتهامة منطقة الباحة، فقد قال لي أحـد المهتمين بآثار المنطقة، بأن قبر كليب يقع في قبيلة أولاد سعدي الزهرانية بتهامة في القرية المسماة "ذنائب"، وكانت في هذه القرية سوق تسمَّى سوق "ذَنَائب" .

وقصـة ذلك القول أنني زرت ديار دوس التي في السـراة، لتصـوير بعض حصـونها القديمـة فوقفت أمام حصـن في بلدة "الْقَـرْن" بوادي ثُروق التاريخي، يرتفع في السـماء حوالي خمسـة عشر متراً بطبقاتٍ سِـتٍّ، وهو مبني بحجارة ضخمة جدًّا ولا سيما حجارة

الطبقة الأولى، فصادفت عنده شيخًا يبلغ من العمر قرابة السبعين، فأخذنا في الحديث عن أهمية هذه الحصون قديمًا فقال لي: هل تعرف اسم هذا الحصن؟ فقلت له: لا. فقال: اسمه حصن "خيبر" أما اسمه القديم فهو حصن "كليب". فقلت: مَن كليب؟ فقال: كليب وائل هل سمعت به، وانظر إلى الشرق من هذا الحصن هل ترى سفح ذلك الجبل - وإذا هو يشير إلى جبل "قدوم ضان" التاريخي الوارد ذكره في خبر أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، قلت: نعم أراه فما شأنه؟ قال: ذلك جزء من حمَى كليب، فقلت له بدافع الفضول: إذا كان هذا حصن كليب وهذا حمَاه فأين موقع ذنائب التي بها قبره؟ فقال لي إذا أشرفت من هذا المكان فسوف ترى موقع قبر كليب وائل. وإذا به يشير إلى قرية ذنائب بتهامة، وكنا على مقربة من الشفا المطل على تهامة. وقد أكد أحد أفراد قبيلة أولاد سعدي، ويدعَى علي بن جمعان الزهراني، كان يعمل معلما بالمنطقة الشرقية، بأن السوق "سوق ذنائب" كانت قائمة وخربت وأرادت القبيلة إقامتها ثانية، وتشاوروا في ذلك، فرأوا قرب أسواق الشَّعْرَاء والْحَجْرَة منهم فعدلوا عن ذلك.

ومن المعلوم أن العرب كانوا يسكنون تهامة، قبل تفرقهم في البلاد لقول البكري في معجمه: "... فلم يبق بتهامة وغورها من ولد عدنان إلاَّ مُضَر وربيعة ومن كان معهم أو دخيلاً فيهم أو مجاورًا لهم، وإلاَّ قَسيُّ بن مُنَبِّه بن النبيت .. فكثروا وتضايقوا في منازلهم، فانتشرت ربيعةُ فيما يليهم من بلاد نجد وتهامة..."[1] ويقول في موضع آخر وأقامت سائر قبائل ربيعة، من بكر وتغلب وغفيلة وعَنَزَة وضُبَيعة في بلادهم من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة، حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كليب بن ربيعة، وانضمَّت النَّمِرُ وغُفيلة إلى بني تغلب، فصاروا معهم، ولحقت عَنَزَةُ وضُبَيعةُ ببكر بن وائل، فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد وتنفيهم من أرض إلى أرض، وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر، حتَّى التقوا يوم قَضَة، وقضة عقبة في عارض اليمامة، وعارض: جبل، وقضة من اليمامة على ثلاث ليال، وذلك يوم التَّحالق فكانت الدَّبْرة على بني تغلب فتفرَّقوا على ذلك اليوم وتلك الوقيعة، وتبدَّدوا في البلاد، أعني بني تغلب[2]

ويذكر صاحب كتاب: "العقد الفريد" بأن كليب وائل كان من سكان تهامة إذ يقول في كتاب الجمانة الثانية، مايلي: "وكانت بنوجُشم وبنوشَيبان في دار واحدة بتهامة وكان كُليب بن وائل قد تزوّج جَليلة بنت مُرة بن ذُهل بن شَيبان..". ويقول الحموي في معجمه: ٨/٣ عن سوق ذنائب: "وسوق الذنائب قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل. قال مهلهل يرثي أخاه كليبًا:

---

(١) البكري، معجم ما استعجم: ١/ ٧٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ١/٨٥ وما بعدها.

فإن يك بالذنائب طال ليلي — فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليبٍ — لخبَّر بالذنائب أي زير

فمن هذه النصوص يظهر لنا أن كليب وائل كان يتخذ من أرض تهامة وطنًا له وأنه عاش بها إلى أن قُتل، وبسبب الحروب اضطر قومه إلى مغادرة أرض تهامة إلى نجد لقول البكري " فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد وتنفيهم من أرض إلى أرض " . ففي هذه الجزئية من الخبر نعلم أن الحرب أبعدتهم عن ديار تهامة، وليس من المعقول أنهم ظلوا يتنقلون في تهامة طوال مدة الحرب إلاّ بدليل يحتاج إلى مزيد من البحث والتحري، وهذان أمران متعذّران في الوقت الحالي، لعدم وجود امكانات تتيح لنا التحقق من ذلك .. ولذا فلا نجزم بوجود القبر في مكانٍ نحدده ما لم تدعمه الشواهد .

أمَّا بخصوص الآثار والرسومات في نواحي المنطقة، فهي من الكثرة بحيث يصعب على الباحث حصرها، ففي شمال قبيلة قريش على سبيل المثال، وفي منطقة شاسعة شمالي قرية "القسَمَة" تسمى : "أمّ الجنادل"، وإلى الشرق منها شمال قريتي "مَنَضَحة ومَنْحَل" توجد آثار كثيرة من الرسوم والكتابات جاهلية وإسلامية، ولقد عثرت في منطقة أم الجنادل على ثلاث لوحات نادرة جدًّا، الأولى لفارس يمتطي صهوة مهر بدون سرج لترويضه، والثانية لمجموعة من الفرسان راكبة وراجلة وهم يتحاربون، والثالثة لصياد على فرس، وقد أمسك برمح طويل وهو يسدده على غزال أمامه، وامرأته فيما يبدو إلى جانبه تحمل شيئًا لعلها حزمة حطب أعدتها لشواء ما سيصيده زوجها . وإليكها مع هذه الإيضاحات .

أما ما وجدته في شمال قرية "منضحة"، فهناك بئر محفورة في الصخر الصلد في بطن الوادي، لعلها بفعل نيزك سقط في ذلك المكان، وذلك لعدم استطاعة أحد في الزمان المتقدم حفر مثل تلك البئر في صخر كهذا إلاّ مع وجود معدات حفر متطورة كالتي نشاهدها في هذا الزمان . بالإضافة إلى أنها في مجرى السيل، ومما يلفت النظر وجود نقش بديع بالخط الكوفي أعلى هذه البئر، في الجبل الذي هي في أسفله يقدَّر ارتفاعه عن البئر بحوالى خمسة عشر مترا، وقد كتب على صخرة ملساء هذه العبارة "الله ولي محمد بن الطفيل، لا ولي له غيره، ولا رب له سواه" . وبعد التدقيق في الكتابات التي أوردها الأستاذ : حسن الفقيه في كتابه سالف الذكر، على شواهد قبور "عَشَم" ومقارنتها بهذا الخط، وبعد قراءة أسماء الخطاطين لتلك الشواهد، تبين لنا أنّ كاتب تلك العبارة المكتوبة شمال قرية "منضحة" . هو أحد كتاب بعض عبارات الشواهد على بعض قبور "عشم" . فعرفنا من خلال ذلك أن هذا الكاتب من قبيلة "قريش" التي في زهران، وأنه يكون في مكة المكرمة فيكتب على شواهد قبور "عشم" لمن يأتيه من أهلها، ويذهب إلى قريته التي رأينا

آثارهـا شـاهدة للعيان إلى هذا الوقت قريبة جدًّا من النقش المكتوب بهذا الوادي . وهذه النقوش منتشـرة في منطقة الباحة بشكل واسـع، وهي متشابهة في الكتابة بعضها منقوط وبعضها من غير نقط، ولقد عثرت على نقش في وادي ثراد قرب سد العقيق (عقيق غامد) مؤرخ بسنة (١٦١) من الهجرة .

وفي صفحة (١٩٠) عن الألبسـة والزينة بالنسـبة للرجال فقد كانوا يلبسـون ثلاثة أنـواع من الثياب أولها : (المُفَـرَّج)، وهو ثوب عريض البدن، وأكمامه طويلة عريضـة من الأعلى وتنتهي بطرف مدبب يسمى: "ذَالُوق" . وجمعه ذَوَاليق. ويصل الذالوق إلى الأرض يعقدهمـا اللابس لهذا الثـوب خلف عنقه . وثانيها : الثوب (المُزَنَّد)، وهو غالب لباسـهم يشـبه ثيابنا العادية غير أن كُمَّيْه يضيقان عند الكف، وليس له ياقة، ولا كفَّة له من أسفله إلا كفة صـغيرة أقل من عرض الإصـبع، تحفـظ خيوط الثوب من أن تَنْسُـل، وذلك لغلاء القماش، وقلة النقد في أيدي الناس، أو لأنه السـائد للخدمة اليومية كما يحكيه واقع ذلك الحال، وهو إلى منتصـف السـاقين . وثالثها : الثوب (المَقْطُوع) ويُلبس في المناسـبات وهو كاسـمه يتكون مـن قطعتين : القطعـة العليا كثيابنـا العادية لكنه منقوش بخيوط زاهية الألوان، والقطعة السفلى تخاط في القطعة العليا من عند منطقة الحزام، وتتميز بالاتساع وكـثرة الجنـوب المخاطة بخيوط ملونة، حتى إن بعض الثيـاب يبلغ جنبها الواحد أكثر من عشـر قطع من القماش، وهي طولية تبدأ من الأعلى بعرض خمسـة سـنتيمترات أو أقل، وتنتهي عند أسـفله بعشـرين سنتيمترًا، وهكذا إلى حدود عشـرة جنوب في الثوب الواحد وربما أكثر، بحيث إذا دار المرء حول نفسه دورات سريعة انتشرت تلك الجنوب فكانت مثل المظلة، كالثياب التي نراها هذه الأيام فيما يعرضـه الرَّائي من رقصـات شـعبية في بعض نواحي المملكة .

أما ألبسـة النسـاء، فلإيضـاح ما ذكره الباحث فإن للنسـوة في بـلاد زهران ثوبان، أحدهمـا للزينة، ويسـمى الثوب : "المُكَلَّـف" . أي المُطَرَّز بخيوط القصـب والحرير . وهو قماش أسـود من السَّـتَان أو غيره، يُطَرَّز بشـكل هندسـي على الصـدر إلى قرب السرة، ويُبَطَّنُ من داخله من خلف الظهر بقماش أحمر يُطَرَّز من الخارج بخيوط تشـبه تلك التي يطـرز بها الصـدر، لكنهـا بعرض واحد إلى اثنين سـم طولية تبدأ مـن أعلى الكتف حتى أسـفل الثوب، والهدف من وضـع تلك البطانة هو تثقيل الثوب فيصبح منسدلا على جسم المرأة بحيث لا تلعب به الرياح فتكشـف عن سـاقيها، ولتثبيت الخياطة على قماش الثوب الـذي ربمـا يكون خفيفًـا . وكذلك تطرز أكمام هذا الثوب بشـكل دائري مـن بدايته عند الكفين حتى منتصـف السـاعدين، ويوصـلان خياطةً إلى أعلى الكتفين بخطين عريضين مـن الخيـوط الملونة، وتُثبـت أعلى الكتفين مما يلـي العنق قطعتان من قماش منقوشـتان

بخيوط ملونة، يتدلى من على جوانبهما خيوط دقيقة ملونة أيضًا مرصوصة بإتقان وتلك القطعتان تسمى : "الْكَفَايت" . وهما على شكل تلك التي نراها على أكتاف ضباط البحرية . والثوب الثاني للمرأة هو ثوب المهنة الذي تتخذه للعمل في البيت والمزرعة وغير ذلك، وهو يشبه الأول إلاّ أن تطريزه أقل ولا بطانة له .

وتلبس المرأة فوق الشيلة شالاً أصفر في الغالب، يسمى "صُمَادَة"، وفي بعض جهات زهران يسمى (بشْكيرًا)، الهدف منه الزينة وتثبيت الشيلة، كما أنها تتخذ تحت الشيلة خريطة طويلة نسبيًّا، محشوة بأنواع المشمومات الموجودة في المنطقة (كالكادي والريحان والورد والبعيثران والشيح والفُلَ)، تضعها فوق رأسها بحيث تتدلى من جانبيه تُسَمَّى "العكَافَة" . ولزيادة احتشام المرأة، نراها تتخذ من القماش الأبيض قطعة مربعة الشكل بعرَض متر ونصف المتر، تُسمى : "الْحَوْكَة" . تُمَرِّرُ إحدى طرفيها من تحت إبطها الأيمن على هيئة الإحرام، ثم تعقد طرفيها فوق كتفها الأيسر، والهدف من ذلك هو الزيادة في التستر لا غير، فإذا ما أقبلت على الرجال أدارتها أمامها فسترت بها ثدييها، وما تخفي من زينة، وإذا أدبرت عنهم أدارتها خلفها، فأخفت عجيزتها عن الأنظار، وفي حال عدم وجود الرجال في طريقها، فإن تلك القطعة تبقى منسدلة خلفها . فهل من نسائنا من يفعل ذلك هذه الأيام!! وكما أن للرجال جبة طويلة من الصوف، فللنساء جبة أيضًا ولكنها قصيرة . أما حلِية المرأة فيحتاج بيانها وتسمية قطعها وأماكن لبسها إلى بحث مستقل.

في صفحة (١٦١) مَنْجَم "مَنْحَل"، لا يقع شرق الأطاولة، وإنما يقع شمال الأطاولة والمسافة المقدرة صحيحة، ويوجد بموضع المنجم مكانان لصهر الحجارة لاستخراج المعادن منها دون حملها إلى مكان آخر، وفي بقعة المنجم عدة بيوت لعلها كانت معدّة لسكن عمال المنجم، وفي صفحة (١٧٩) يقول الباحث عن مساجد منطقة الباحة في السابق دون استثناء (ولا يوجد لها خدمات مثل: أماكن للوضوء وحمامات، كما أن فرشها بسيط، وأحيانًا تكون دون فرش ..) . هذا القول ينطبق على المساجد الصغيرة التي تكون بين الأحياء، أما الجوامع التي يؤمها عدد كبير من المصلين وتقام فيها الجمعة فالخدمات فيها بموجب إمكانات ذلك العصر متوفرة، ومفروشة ببسط مصنوعة من الخوص، وأعطيك مثالاً على ذالك : المسجد الجامع بالأطاولة، ففيه بركة أرضها وجدرانها معمولة بالجص، من صنع محلي – أقوى من الإسمنت – وماء سطحها وسطح المسجد ينزل إليها وقت نزول المطر من خلال ثقب في سطحها، ويكاد الموجود فيها من الماء يسد حاجة المتوضئين إلى أن تأتي أمطار السنة المقبلة، وهناك عدة أحواض صغيرة دائرية على استقامة واحدة، تسمى (المطاهر)، يربطها فلج من عند باب البركة إلى آخر حوض، وعلى فم البركة دلو يُنزع بواسطته الماء من البركة، ويُصب في حوض عميق نسبيًّا في أول هذه الأحواض، ويجري به

الفلج إلى الأحواض الأخرى، وأمام هذه الأحواض يجلس المتوضئون على مرتفع مناسب بطول هذه الأحواض، وأمامهم مجرى لتصريف ماء وضوئهم، وفي نهاية تلك المطاهر عملوا حوضين مستطيلين أخفض من مستوى أحواض الوضوء، تتسع لمن يريد الاستنجاء ولها فلج مستقل عن الأول، ولم يغفل الأجداد حمام التَّرْوِيْش (الاستحمام)، فقد بنوا حَمّامًا (مَرْوَشًا) في نهاية هذه الأحواض وجعلوا مجراه أعلى من مجرى ماء المطاهر يتجمع ماءه بعد صبه من البركة على سطح هذا المروش، وفي وسط سطحه ثقب دائري صغير يسده المتروِّش بخرقة، فإذا ما ملأ سطح الحمام بالماء أو مُلئ له دخل الحمام ونزع تلك الخرقة واستمتع بانهمار الماء على جسده، وكلما احتاج نادى بالزيادة فيصب له من كان بالقرب من البركة وهكذا، وقد شاهدتُ مثل هذا النظام في مساجد عديدة، منها على سبيل المثال: مسجد بيوت شيوخ زهران سابقًا آل الرقوش، بقرية بني سار بقبيلة بني عامر، وفي المسجد الجامع بقرية آل نعمة بدوس، وفي المسجد الجامع بقرية بني محمد بقبيلة قريش. ولا تخلو قرية بها مسجد جامع من هذا.

في صفحة (١٨٥) تكملة لمعلومة السدود فإن في سراة زهران سدودًا لم أر المؤلف ذكرها مع أنني متأكد أنه رأى بعضها وهو يتجول في أنحاء البلاد لقربها من طريقه الذي سلكه، ومن تلك السدود المهمة: سد وادي بيدة، سد وادي الصَّدر: سد مِدْهَاس، سد حُضْوَة، وسدود إسمنتية وترابية عديدة.

في صفحة (١٩١) السطر الثاني: أخي أبا المثنى؛ ليس للجبة (الصوفية) التي يلبسها الرجال في الشتاء أكمام طويلة، ولا تلك التي تلبسها النساء فأكمام الجبتين قصيرة جدًّا كأكمام البشت. تعقيب على ما ذكر المؤلف في صفحة (١٩٤) وما بعدها: الأستاذ: عليٍ بن صالح السلوك الزهراني رحمه الله، علم من أعلام البلاد، وقد خلف وراءه موروثًا ينهل منه أصحاب الرسائل الجامعية والدرجات العلمية العالية، وقد تكفَّل النادي الأدبي بالباحة بطباعة كتبه، وتعهدتُ حينها أمام الحشد الحاضر لتأبينه رحمه الله، بتنقيح كتبه والإشراف عليها إن رغب أولاده في نشرها.

وفي صفحة (١٩٤) أيضًا يُستدرك على الأستاذ: علي بن صالح السلوك رحمه الله لون آخر من ألوان الموروثات الشعبية ألا وهو (المَجَالسي)، وعادة ما يكون في المجالس في أثناء السمر أو المناسبة وهم جلوس، وطريقته أن ينشَدَ الشاعر القصيدة كاملة، وفي أثناء ذلك يقوم بتفسير بعض ما يغمض من مفرداتها، وما إن يأتي على آخر شطر فيها حتى يعرف الجالسون نهايتها، وذلك من تغير نبرات صوته، فيقومون بإنشاد آخر شطر فيها بصوت هادئ ولمرة واحدة فقط، ثم يبدأ في الرد عليها أو يتولى ذلك شاعر غيره، وهكذا. وليس لهذا اللون وقت معين فهو يؤدى في كل الأوقات وقد يستحسن أحد الجالسين قصيدة

سمعها لأحد الشعراء الموجودين بالمجلس قالها فى مناسبة سابقة، فيطلب منه إيضاح مناسبتها للحاضرين، وإنشادها أمامهم، وتدور في هذه المجالس الأحاديث والقصص المقترنة ببعض الأشعار والأمثال الدراجة في المنطقة، وكثيرًا ما توجه فيها الأسئلة والانتقادات الموجهة إلى الشعراء .وقد يبدي بعض الشعراء إعجابه بقصيدة لشاعر ما، فلا يتردد في ذكر مناسبتها وإتحاف الجالسين بها .

في صفحة (٢٠١) استنبط الباحث من خلال ما حصل عليه من وثائق عدد الرجال الذين يذهبون مع العروس . (العروس كما وردت به المعاجم للرجل والمرأة) هذا التحديد يا أبا المثنى يعتمد على موافقة والد العروس بدفع ما يُسمَّى (المُكَسَر) وهو مبلغ من المال يدفعه لعريف القرية التي منها العروس لوضعه في صندوق الجماعة لصرفه فيما ينوبهم، إذا كانت العروس أجنبية – ومعنى أجنبية في مفهوم القوم أي تزوجت في غير قبيلتها لأن الرجال من غير القبيلة يسمون الأجانب – يتقي به زيادة عدد الذاهبين مع العروس، أما إذا رفض دفع المكسر، أو كانت العروس ستتزوج في قرية من قرى قبيلتها فلا تحديد لعدد الذاهبين .

في صفحة (٢١٧) الأسواق التي شاهدها المؤلف أو سمع عنها : السطر الرابع : سوق قرية "الرومي" كانت تعقد يوم الاثنين وليس يوم السبت، وسوق اثنين دوس بني علي في وادي "ثُروق" وليس : "تروق" ، أمّا سوق بني عَدوان، وسوق أيل نعمة، وكل هذه الأسواق لم يعد لها وجود هذه الأيام . وسوق قرية الصفح اسمه "ربوع الصفح" كانت تعقد في قرية الصَّفْح . أما بالخزمر التي حدَّدَتَ عقد السوق بها، فهو اسم القبيلة التي تتبعها قرية الصفح صاحبة السوق .

وأخيرًا ورد في صفحة : (٢٨٧) ذِكْرٌ للداعية عبد الله بن سعدي الغامدي يرحمه الله، فأذكر عندما كنت صغيرا قول الناس : سوف يأتي ابن سعدي ليلقي موعظة في "الأطاولة" وذلك في يوم (نسيت اليوم والتاريخ)، فتجمع الناس في قطعة زراعية كبيرة (غَابِرة) . وذهبنا نحن الصغار معهم، ولما تجمهر الناس في وقت الضحى، انطلقنا نحن الصغار للعب وبعد صلاة الظهر بحين، عدنا مع آبائنا وهم ما بين مثن على الرجل وساخط، لطول الموعظة التي امتدت إلى قرب صلاة العصر، المهم أننا عرفنا أنه من طرف الهيئة المسمَّين عندنا بـ"المُدَيِّنَة" ، وأنّ هؤلاء المدينة مختصون بالوعظ والإرشاد في المنطقة، ثم نسيت الرجل غفر الله له، ولم أذكره إلا في عام : (١٤١٨هـ) على ما أذكر، حينما رأيت في يد أحد الزملاء كتابًا بعنوان : "الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية" . للشيخ المجاهد عبدالله بن سعدي الغامدي العبدلي، غفر الله له وهداه، ووفقه والمسلمين لما يحبه ويرضاه" . الطبعة الثانية : مطبعة الأمل للأوفست بالطائف عام : (١٤١٢هـ) وتولت "مكتبة الطرفين" بالطائف نشره . فلما لمحته في يد ذلك الصديق استهواني عنوانه،

وطلبت منه إعارته لي لقراءته فاعتذر بحجة أن الكتاب ليس له، وبعد عدة أيام وكل يوم وأنا أكرر الطلب وافق على إعارتي إيَّاه، المهم أنني قرأت الكتاب، وكان في الكتاب بعض ما أشار إليه الشيخ غفر الله له، من أمور تخالف العقيدة الصحيحة وذلك لقلة الدعاة وعدم انتشار العلم في ذلك الزمن الغابر، لكنني وجدت الشيخ غفر الله له يذكر المخالفين وبعض المشعوذين بالاسم، بل إنه يُعَرِّف بالقُرَى التي هم منها، ولم يبخل بوصم سكان المنطقة دون استثناء بالشرك المخرج من الملة، وقد عَرَّاهم غفر الله له من كل فضيلة، وكأنهم في العصر الجاهلي، مما أثار سخط الناس عليه، لأن هذا الفعل منه بخلاف ما كان يفعله الرسول (ﷺ)، عندما يرى منكرًا من أحد فإنه يقول "ما بال أقوام" أو كلمة نحوها، فلا يذكر إنسانًا بعينه، ولكنه يعمم القول، فيستر المخالف الذي يعلم أن الكلام موجه إليه فيقلع عن فعله القبيح، ولا يعلم الناس من هو المقصود بذلك القول الصادر منه (ﷺ)، وما كان ينبغي نشر ذلك الكتاب في تلك الفترة السابقة أي في عام : (١٣٧١هـ) في عهد الشيخ ابن سعدي، فهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آنذاك، لا زالت في بدايتها، وكان عليها تكثيف الجهود لتبصير جهلة الناس وتعريفهم بأمور دينهم بالحسنى، فقد مكث رسول الله (ﷺ)، يدعو الناس للدين ثلاث عشرة سنة، وتحمل في سبيل ذلك أذى كثيرًا . لكن الشيخ رحمه الله تعجّل الهداية، فنال عداوة الناس وبغضهم، ومضى الشيخ رحمه الله لسبيله، وتناسى الناس ذلك الكتاب، ومات بعد أن اهتدى، أو لم يهتد مَن ذكرهم في ذلك الكتاب، وكل مجزيٌّ بعمله، وانصلح حال المسلمين بعد ذلك، حيث انتشر التعليم فقضى على تلك المعتقدات الفاسدة التي لم تختص بها منطقة الباحة وحدها، بل عمت أنحاء الجزيرة العربية في ذلك الوقت المظلم بظلام الجهل، وأصبح الناس بحمد الله لا يذكرون ما كان سائدًا في بعض المجتمعات من بدع وخرافات إلا ليحمدوا الله على نعمة الإسلام، في ظل الأمن السائد في هذا العهد الزاهر . إلاَّ أنَّ المفاجأة التي أذهلتني وأذهلت معظم الناس في المنطقة، هو إعادة نشر ذلك الكتاب بما فيه في هذا الوقت الذي دخلت فيه الصحوة الدينية كل بيت .والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا أعاد الإخوان نشر ذلك الكتاب سنة : (١٤١٢هـ) وقد زالت تلك الخرافات بحمد الله من سائر أنحاء الجزيرة العربية ؟ ثم ألا يوجد في كتب الشيخ العديدة التي خلّفها وراءه كتابًا واحدًا يستحق النشر بدل هذا الذي لا فائدة من نشره في هذا الوقت الذي عم فيه العلم، واندثر الجهل إلى غير رجعة، وهل خدموا مؤلفه رحمه الله، بنشره ؟؟ إنني أطلب من ابنه الدكتور يحيى، وإن كنت لا أعرفه إلا من خلال التعريف به من قبل الأخ الدكتور غيثان بن جريس في كتابه : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الخامس، صفحة (٢٨٧)، جزاه الله خيرا، أن يعتذر لأهالي المنطقة عن إحياء هذا الكتاب بعد ما طواه الزمن ونسيه الناس، وأن يطلب منهم الدعاء لوالده بالرحمة والمغفرة . وهذا ما أتمنّاه .

وكنت قد ذكرت في ملاحظاتي للدكتور المنشورة في هذا الكتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الجزء الخامس)، أنني لم أجد حتى تاريخه من المراجع التي اطلعت عليها مرجعًا واحدًا يرجع قبائل (بني عُمَر) بسراة زهران، إلى زهران بن كعب، فنسب قبائل (دوس وقبائل بني أوس وسلامان)، كما هو معروف يرتفع إلى جدهم الأعلى : زهران بن كعب، بينما قبائل بني عُمر لم أجد من النسابين الأقدمين من نسبهم إلى زهران، وإن كان ورد ذكرهم في قصيدة للشاعر الشعبي محمد بن ثامرة رحمه الله، قبل أكثر من قرن، كأحد أبناء زهران الأربعة : (دوس، بني أوس، بني سُليم، بني عُمر)، ولمّا لم أجد الدليل من كتب الأقدمين حتى تاريخه، أرجعتهم إلى زهران بالحلف أو الجوار، لا سيما أن هناك إشارات صريحة وردت عن بعض المؤرخين تفيد بانتساب بعض تلك القبائل العُمَرية إلى قريش مكة، وقيس عيلان، ولديّ بحث لم يكتمل عن هذه القبائل، وقبل عدة أيام وصلتني رسالة من الأخ الكاتب : أحمد بن علي بن أحمد الزهراني، صاحب كتاب: (العنوان في أنساب زهران) يستغرب فيها كيف لم يكونوا من زهران وقد حقق نسبهم بزعمه في الكتاب المذكور ! والأخ أحمد، لجأ في إثبات نسبهم إلى إجراء معادلة تاريخية من تلقاء نفسه شبيهة بتلك التي كنا نجريها في مسائل الجبر والهندسة أيام الدراسة، ومنحنا من عنده لربط نسبهم بزهران شخصًا أدخله في النسب، لا أدري من أين أتى به إذْ لم يورده النسابون من قبل، ولا يوجد في نسب شجرة زهران، حتى حمد الجاسر، وعلي السّلّوك رحمهما الله، لم يقدما على مثل ما أقدم عليه الأخ أحمد الزهراني، وما ينبغي التنبيه عليه في هذا الوقت الذي كثر فيه المؤلفون أن الأخذ عن المعاصرين في موضوع الأنساب، لا يمكننا الركون إليهم دون أن نجد لأقوالهم أساسًا في كتب التاريخ والأنساب القديمة التي هي مرجعنا في ذلك، فأقول : اتق الله يا أستاذ أحمد ومن يدور في فلكه، ولا تعّرض معلومة إلاّ بدليل صحيح وصريح تتكئ عليه من كتب الأوائل، أما أن تقول بغير علم وتدّعي نسبهم الزهراني بذلك الأسلوب الذي لم يقل به أحد غيرك، وقد ناقشتُك في هذا الموضوع عند صدور كتابك، فأنت تُعَرِّض نفسك لما قاله الرسول (ﷺ)، في مسألة الأنساب، فكن على حذر، ولو كان لهم أصل في زهران لقال به الأوائل من قبلنا من الذين يؤخذ التاريخ والنسب عنهم، ولما سبقتنا إلى تدوينه، فالأنساب لا تخضع لمثل تلك المعادلات والاستنتاجات الشخصية، وما ذا سيكون موقفك غدًا عندما يأتي أحد الباحثين ويكشف عن نسبهم المغاير لما أثبته ؟ هذا ما تيسر لنا إيضاحه على عجالة، لأن كل موضوع طرقه سعادة الدكتور غيثان يستحق منا صفحات، لكننا نأمل من دكتورنا التوسع في هذه الموضوعات لاحقًا وإصدار كتاب خاصٍّ بها، ولنا إن شاء الله، عودة لمناقشة بعض قضايا وردت في القسم الخامس من هذا الكتاب القيم مما

يتعلق بمنطقة الباحة. وأشكر الدكتور غيثان بن علي ابن جريس الجبيري الشهري، على ما يقوم به من توثيق لعموم قبائل السراة وتهامة، جعل الله ذلك في ميزان حسناته، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. حرر في (١٤٣٥/٢/١٥ هـ). علي بن محمد بن سدران الزهراني . الباحة، محافظة القرى، مدينة الأَطَاوِلَة .

الدراسة الثانية عشرة

الرد المكتوب على بعض ما ورد عن زهران في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الباحة وعسير) (الجزء الخامس)

بقلم :أ. أحمد بن علي بن أحمد الحسني الزهراني(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير، ونجران) ، ط١
(١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م) - (الجزء السابع)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٩

الدراسة الثانية عشرة : الرد المكتوب على بعض ما ورد عن زهران في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب [الباحة وعسير] . (الجزء الخامس) . بقلم أ . أحمد بن علي بن أحمد الحسني الزهراني. (١)

إلى الغـالي والعلم العالي الأسـتاذ غيثان بن جريس . أسـتاذ التاريـخ بجامعة الملك خالد بأبها حفظه الله .

سـلام مـن صـبا زهـران أرق	وحب لغيثان الجريس لا يشق
أقـل مـثل هـذا الـقـول صـدقاً	وهـو يـجـري في عـروقـي ويـدق

يا رسالتي اذهبي على جناح السرعة إليه، وقبلي نيابة عني يديه، فهو السراج المنير، والبحر الغزير للتاريخ، أخي أنا لست شاعراً إلا بك، ولم أقل الشعر بل النظم فما ناسبك فخذه وما لم فأبعده.

أنـا ابـن سبعين لا زادت ولا نقصت	إن ابن سبعين من موت على خطر .

أخـي كنـت أود المشـاركة معـك ومع قرائك سـابقاً، لكن حـال دون ذلـك أهوال من الأمراض و (الغرغرينـا) وعندمـا قرأت كتابـك: (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) (الباحـة وعسـير) (الجـزء الخامس) شـجعتني أخلاقـك العالية، وصـفاتك النبيلة، وصـبرك الجميل على تجشـم العنـاء والغوص مع مـن غاص في بحر التاريـخ المتلاطم، وهمهـم أن يجدوا الأصـداف التي تحمـل اللؤلؤ والمرجـان، وبذلك قدمت رجـلاً وأخرت أخرى، فبضاعتي مزجاة وعلمي قطرة أمام أعلام شاركوك الرأي وغرفوا من بحر غزير، وأنت المحيط الهادي، فيك الأمواج الهادرة في الداخل، وفي السطح هـادي حتى يتمكن مثلي ومثلهم من السـباحة دون خوف أو وجل، فلله درك يا ابن جريس، وهذا ما شـجعني على

---

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد الحسـني الزهراني من مواليد قرية وادي الصـدر بزهران عام (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) . بدأ حياته الدراسـية في موطنه الرئيس، ثم ذهب إلى الطائف لاسـتكمال دراسته هناك فدرس في معهد المعلمين وتخرج فيه عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ثم كلية المعلمين المتوسـطة وتخرج فيها عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ثم الدبلوم التكميلـي وتخـرج فيه عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) عمل في مجـال التربية والتعليم حوالي (٣٢) سـنة، ثم تقاعد من عمله عام (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) . لم يسـبق أن قابلته، وإنما الاتصـالات بيني وبينه عن طريق الهاتف أو المكاتبة، وقد قابلت عدداً كثيراً من الذين يعرفونه، وهم يثنون على خلقه ولطفه وحسـن معشـره، وقد أخبرني هاتفياً أنه يعاني بعض الأمراض، فأسـأل الله العلي القدير أن يلبسـه ثوب الصـحة والعافية، وألا يحرمه أجر ما أصابه، وله اهتمامات علمية وبحثية عديدة ومن أهم كتبه، كتاب: العنوان في أنسـاب زهران من الحجاز إلى عمان وغيرهما، وهو كتاب علمي قيم لا يستغني عنه أي باحث يكتب عن تاريخ وأنساب وحضارة قبائل زهران عبر عصور التاريخ، صدر منه حتى الآن خمس طبعات، آخرها الطبعة الخامسة عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . (ابن جريس) .

السباحة، وقالت لي نفسي تقدم فقد أفنيت نفسك في القراءة والتعلم منذ سن العاشرة عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ، فإن رأيتني أغرق فأرسل لي طوق النجاة وردني إلى أهلي سالماً غانماً فمثلك يفعل .

أخي قمت بتأليف كتاب (العنوان في أنساب زهران من الحجاز إلى عُمان وغيرهما من البلدان) فيما يزيد ربع قرن من الزمن من البحث حتى نقارن بين المراجع ونحصل على الجديد القديم، والسفر إلى عمان كان مفيداً حقاً للحصول على بعض المراجع والتحقق من وجود قبائل زهران المهاجرة على أرض الواقع، وليس في المراجع فقط والسؤال لماذا؟ والجواب أن مؤرخين قبلي ألفوا عن زهران، وهم كُثر، وإذا لم آت مع القديم بجديد فلا داعي للعناء، ولكن ولله الحمد حصلت على المراد، وأصبح لديّ الكثير من الأصدقاء والعلماء الأفاضل الذين يعملون في الدولة والجامعات، وقد زارني وفود منهم مرات عديدة وأعجبوا بما كتبت .

أخي الدكتور غيثان بن جريس إن ما دفعني أكثر للكتابة والمشاركة هو بعض الكتابات التي كتبها البعض عن زهران بحسن نية كقولهم إن زهران لا تقدر على قريش لوحدها، وأن بعض قبائل زهران قد يجد المرء صعوبة في رفعها إلى أبيها زهران، وغير ذلك، وهذا غير صحيح، ومع هذا أقدر لهم اجتهادهم فلكل مجتهد نصيب، والبحث عن الحقيقة غاية كل باحث، لكن بشرط الالتزام بالموضوعية، وعدم إدخال التعصب والذاتية في الموضوعات ذات البحث[١] ، وأنا مقدر للجميع، وقبائل الجنوب وغير الجنوب عندي محل تقدير واحترام، لا أتعصب لقبيلتي زهران، ولا أقلل من حق الآخرين، فكما يقول المثل في كل قبيلة حقها من رجالها، وما أطرحه هنا للتاريخ فقط، فلا يظن أحد أن ما أقوله تعصب لا وألف لا . أخي سأكتب لكم من خلال كتابي[٢] ، وفيه الرد على بعض الأقوال.

---

(١) هذا كلام جيد، والسعي للبحث عن الحقيقة هدف سام ويجب على كل دارس أو باحث أن يتصف بالدقة والإنصاف والحيادية والنزاهة، ومن يفعل ذلك فهو على خير (بإذن الله) (ابن جريس) .

(٢) في المذكرة التي وصلتنا من الأستاذ أحمد بن علي بن أحمد الزهراني حوالي (١٦) صفحة مقتبسة من كتابه (العنوان في أنساب زهران من الحجاز إلى عُمان وغيرهما من البلدان) ، وهذه المادة المقتبسة تم حذفها، فلم نوردها في هذا السفر لأنها مكررة، ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد الذي يقع في حوالي (٧٠٠) صفحة، وهو كتاب جدير بالقراءة . أما المحاور التي أشار إليها في مذكرته التي وصلتنا منه، وقمنا بحذفها، فذكر خلاصة مختصرة لمحتويات الكتاب، ثم ذكر (١) قبائل زهران المعاصرة وكيف تكونت . (٢) التوضيح الصحيح عن قبائل زهران في الحجاز . (٣) له رأي عن قبائل بني عمر وأصولها وعلاقتها بزهران . (٤) ديار بني سلامان، ثم تعرض لذكر بعض البطون والعشائر الزهرانية مثل: ديار بني نصر بن زهران، وهم يعرفون حالياً باسم بني موسى (أوس) ، وقبيلة بيضان ، وقبائل الأحلاف في تهامة زهران في قلوة وناوان، وبني حسن، وأحلاف زهران في أجزاء من تهامة والسراة . (٥) زهران في عمان فروعها وبعض أمجادها التاريخية. (ابن جريس) .

(*) مرئيات[(١)]:

١. كنت أخي الدكتور غيثان قلت بأن زهران وغامد من الجنوب، وهذا غير صحيح فهي من قبائل الحجاز، وإن كانت تتبع في بعض الفترات منطقة عسير[(٢)] . قال شاعر عمان في العصور القديمة : ألا هل أتى عنا حجازي قومنا إلى آخر ص (٣٨٢) الطبعة الرابعة[(٣)]، وتكتب قبائل الباحة (غامد وزهران) وليست كلها في الباحة، فحبذا أن تكتب قبيلة غامد وزهران وعاصمة منطقتهم الباحة[(٤)] .

٢. **عسير:** كثيراً ما تكتب قبائل عسير، والصحيح أنها ليست من عسير، فبني الحجر لهم نسبهم الخاص، والقبائل الأخرى ليست من عسير، قبيلة عسير، والتي يطلق عليها عسيري، لا يمكن أن تكون ممثلة لكل قبائل المنطقة [(٥)].إن عسير أخي كما قلت أنت ليست إقليمياً من أقاليم الجزيرة، ونحن نقول إن هذا الاسم لم يكن معروفاً في العصر الجاهلي والإسلامي الأول، وإننا نفخر بعسير وقبائل الجنوب كلها ولا نفضل أحداً على أحد، وحبذا لو كتبت بدل قبائل الجنوب (قبائل الحجاز الجنوبي) . ليشمل زهران وغامد إلى عسير لأن الجنوب يمتد إلى عدن[(٦)] .

---

(١) هذا العنوان، كما ورد في مذكرات الأستاذ أحمد الزهراني . (ابن جريس) .

(٢) أستاذ أحمد إنها فعلاً من أرض الجنوب، وقد عرفت في كثير من كتب التراث الإسلامي باسم بلاد السراة (أرض السروات) ، أو (بلاد اليمن) ، أما اسم (الحجاز) فهناك مئات الدراسات باللغة العربية وغير العربية، ومنها من قال إن أرض الحجاز من بلاد الشام إلى اليمن، والاختلافات كثيرة في هذا الباب، وحتى تتضح لك الصورة ارجع إلى كتاب: الجغرافيا والتراث الإسلامي المبكر، وسوف تجد شروحات كثيرة حول الحجاز، وجبال الحجاز وحدودها ومسمياتها . أما بلاد غامد وزهران تاريخياً وسياسياً فهي من بلاد الجنوب، حتى وإن كانت على صلات قوية وجيدة مع حواضر الحجاز الكبرى (ابن جريس) .

(٣) ( )) لمزيد من التفصيلات انظر كتاب : أحمد علي أحمد الزهراني . العنوان في أنساب زهران من الحجاز إلى عُمان وغيرهما من البلدان (معلومات النشر بدون، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) (الطبعة الرابعة) ، ص ٣٨٢ . (ابن جريس) .

(٤) المقصود بـ (الباحة) هنا، أي منطقة الباحة، وللأسف أننا نجد هذه الحساسية المفرطة عند بعض العشائر والقبائل في جنوبي البلاد السعودية مثل (الباحة) أو (عسير) أو (جازان) ، فهذه المصطلحات أصبحت عامة على عموم المنطقة، ويجب أن نعترف بذلك، أما إذا عدنا إلى دراسة الأنساب وما يتعلق بها فهذا باب آخر، وكل ناحية أو قبيلة معروفة بنسبها وأصولها (ابن جريس) .

(٥) يا أستاذ أحمد هذا فعلاً صحيح، لكنها اليوم إدارياً وسياسياً ومنذ زمن أصبحت منطقة عسير، بل اسم عسير أطلق على جميع عشائر وقبائل منطقة عسير . وهناك من يعارضني وينتقدني من قبائل رجال الحجر، وقحطان، وشهران و غيرهم في تهامة وجازان ويقولون مثل قولك على زهران والباحة، أو عسير ورجال الحجر وغيرها . ونكرر القول إن هذه القبائل معروفة بأصولها وأمجادها التاريخية، لكنها اليوم ومنذ زمن أصبحت تحت مظلة إدارية عامة مثل: منطقة الباحة، أو منطقة عسير، أو منطقة جازان وهكذا . (ابن جريس) .

(٦) أنت تناقض نفسك يا أستاذ أحمد فتقول وتكتب أحياناً (قبائل الجنوب) ، وإذا اعتبرنا الحجاز أو جبال الحجاز من الشام إلى اليمن، (وكما ورد في كثير من الدراسات فلا بأس أن نطلق على جميع بلاد الباحة وعسير اسم الحجاز نسبة إلى جبال الحجاز، لكن هذا ليس المتبع والمسلوك في كثير من البحوث والدراسات العلمية الأكاديمية التي صدرت خلال المئة سنة الماضية (ابن جريس) .

(*) تحية وإكبار وإعجاب [(١)] :

١. التقدير والاحترام لأخي العميد متقاعد إبراهيم الألمعي [(٢)]، لما يملكه من معلومات غزيرة وعلم نافع، لكن يغلب عليه الطابع العسكري والتعصب، قال في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الجزء الخامس)، ص(٤٣٣)، والحديث عن قصة مقتل أبي أزيهر الدوسي، وهو ليس من دوس، لكنه من بني الحارث الغطريف، وهو ابن عم ضماد بن مسرح قائد الغطاريف في معركة حضوة التي جرت بين دوس والغطاريف، ويلتقيان في سعد بن الحارث الغطريف، وكانت زهران معروفة باسمها وقبائلها، لكنها خارج القبيلة لا تعرف إلا بدوس لشهرة دوس وخاصة عند أهل مكة، ثم تخلت قبائل زهران عن اسم دوس، وبقي هذا الاسم يطلق على ناحية من نواحي زهران حتى وقتنا الحاضر . وقد أراد الشاعر عتبة بن مرداس أن يهجو عبد الله بن عباس، لكن الحسين بن علي (رضي الله عنهم أجمعين) استرضاه فقال معاتباً:(انظر: العنوان في أنساب زهران ص ١٣٩ الطبعة الرابعة)،

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ... ولكنني مولى جميل بن معمر

وهو يعاتبه لأنه لا ينظر إلا لزوجته شميلة بنت أبي حناءة بن أبي أزيهر، وأبو أزيهر من الغطاريف من زهران، فهو يقول لو كنت من زهران أرحام عبد الله بن عباس لنظر إليّ، وقد قال أخي العميد الألمعي لم ترض دوس بقتل أبي أزيهر، والحقيقة أنه ليس من دوس بل من الغطاريف من فروع دهمان من نصر من زهران، وتجد نسبه كاملاً في قصة مقتلة في الكتاب . أخي يقصد بدوس زهران كاملة، وما أورده من شعر صحيح، لكن فاته قول أبي سفيان لما قال لعمري ما بدوس، (ويقصد زهران كافة) عجز عن طلب ثأرهم، إننا نقدر كل الأزد والجنوب وقبائل العرب، لكن زهران ما بهم عجز عن طلب ثأرهم وقد تحقق ذلك .

٢. طلب الطفيل بن عمرو الدوسي من رسول الله (ﷺ) الهجرة إلى بلاد زهران حينما قال تعال إلى حصن حصين وعدد وعدة وهو يتحدث باسم زهران، لأن زهران في تلك الفترة يتسمون بدوس .

٣. من فرض الإتاوة على قريش ؟ إنهم زهران وليست قبائل الأزد كلها، لأن قريشاً كانت تمر ببلاد زهران إلى سوق حباشة بوادي قنونا، وقبائل الأزد الأخرى ليست في طريق قافلة قريش .

---

(١) هذا العنوان أورده صاحب المذكرة، الأستاذ أحمد الزهراني . (ابن جريس) .

(٢) المقصود بالعميد متقاعد إبراهيم الألمعي هو إبراهيم بن علي بن موسى الألمعي له ثلاث مشاركات مختلفة في سلسلة كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثاني، ص (٣٠١-٣٠٨، الجزء الثالث، ص ١٠٩-١٨٠، الجزء الخامس، ص ٣٨٩-٤٦٠ . للمزيد انظر ترجمته، القول المكتوب، ج٢، ص ٣٠١، (ابن جريس) .

٤. إنني هنا لا أتعصب ولا أقلل من قدر أي قبيلة، لكن هذه حقائق تاريخية، وغير العميد من كتب عن الطفيل، وقال إنه تحدث باسم غامد وزهران، وأرى أننا يجب أن ننظر بموضوعية للبحوث.

٥. هناك مصادر تحدثت عن الغطاريف، وهم من زهران من فرع دهمان بن نصر، وهم حالياً قبيلة بني حسن، كانوا من عهد الحارث الغطريف اسمهم الأسياد، وكانوا يأخذون من الأزد المرباع، وهو ربع الغنيمة، وفروع دهمان من نصر كثيرة، وكانوا يتسمون ببني صعب بن دهمان، ثم ببني يشكر بن مبشر بن صعب، وأخيراً ببني الحارث إلى عهد قريب، ثم ببني حسن وهو لقب الحارث.

٦. أرى لأخي الدكتور غيثان بن جريس ألا يعمم اسم عسير على كل القبائل في منطقة عسير إذ لكل نسبه الخاص، وأن يستبدل ـ كما قلت سابقاً ـ اسم (قبائل الحجاز الجنوبي) ولا أريد الإسهاب فهذا يحسب من أقاليم الحجاز وليس من أقاليم اليمن[1].

٧. كتب الأنساب كثيرة ومتعددة الأقوال في أنساب عسير، بعضها قال يمانية تنزرت، وبعضها نسبها إلى عنز مباشرة، وأرى أن مالك التي قال عنها الهمداني أنها من عنز، وأنها دخلت في تمنية في شهران .

٨. بنو مالك التي في أبها أرى أنها أزدية مؤيداً لمن قال ذلك .

٩. من أي الأزد هي؟ أرى أنها من بني جعثمة وأحياناً يكتب خثعمة . وجعثمة : هو جعثمة بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر ابن زهران، فهم من الغطاريف في نسب واحد، وكيف نفسر ذلك؟ نفسره أن بعض بطون بني يشكر إخوة عامر الغطريف وبعض أبنائه لم يواصلوا المسير إلى سراة زهران، ومنهم : (١) الحارث بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران دخلوا في زبيد منهم ضماد الشاعر. (٢) بني جعثمة، والنسب تقدم أولاً، حالفوا بني نفاثة ابن الديل من بني كنانة، وبعضهم نزل قريباً من مكة ومنهم عامر الجادر الذي من حفدته سعد بن سيل الذي زوج ابنته فاطمة لكلاب بن مرة فولدت له قصي أحد أجداد الرسول (ﷺ)، ومن المعروف أن قبائل بني كنانة منتشرة في كل مناطق تهامة، من أجل ذلك أؤيد من قال إن قبائل عسير من بني جعثمة . (٣) إن في جبال عسير جبل شنوءة، وبه تسمت قبائل شنوءة، وهو نصر بن الأزد، ولا يصح على غير أبناء نصر بن الأزد . (٤)من أبناء عبد الله بن عامر (الغطريف) الأكبر الحويرث

---

(١) لقد كررت هذا القول، وقلت إنني غير متفق معك، ووضحت لك وجهة نظري، وإذا كنت مقتنع برأيك فنحن نحترمه، لكن ينقصه الدليل والبرهان العلمي . (ابن جريس) .

الذي دخل مراد .(٥) هناك من قال عن بني سلامان الذين في بني شهر أنهم من سلامان بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران، إلا أنني لست متأكداً من ذلك، لكن حسب معرفتي ببعض أبناء يشكر الداخلين في قبائل أخرى، ومنهم من قال أنهم من سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران، لكن هذا غير صحيح فهم في ديارهم إلى الآن، لكن سلامان الاسم تحول إلى بسير اللقب، والديار هي في أبيدة والقرى ودحيس .

١٠. أخي الدكتور غيثان آسف فقد أكثرت عليك، وهو غيضٌ من فيض، ووقتك غالٍ عندي، وما شجعني هو سعة حلمك وعلمك، ولقد كتبتها سريعاً ولمرة واحدة ولم أراجعها، فإن رأيت خيراً وإلا أستره وشكراً . أخوكم ومحبكم مؤلف كتاب: العنوان في أنساب زهران . أحمد علي أحمد الزهراني. وكل ما أوردته لا يغني عن قراءة الكتاب[١]. (حرر في ١٤٣٥/٢/٢٠هـ) .(جوال : ٠٥٠١٠٢٣٩٩٩) . (المندق ص . ب ٤٩٦ : بلاد زهران).

(*) رأي وتعليق[٢] :

الجميل في مثل هذه الملاحظات هو تصويب بعضنا بعضا، والشيء الذي لا نريد ويجب أن نترفع عنه هو نبذ العصبية والعنصرية فهي أمر مقيت، وضررها أكثر من نفعها، وهذا الجنوب السعودي الحبيب الممتد من الطائف ومكة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً بحاجة إلى باحثين جادين حريصين على توثيق مروياتهم وأقوالهم ومدوناتهم من مصادر صادقة وموثوقة، وإذا اتبعنا هذا المنهج فإننا، بإذن الله، سوف نحصل على دراسات عليمة أكاديمية جيدة، ومن ثم سوف نبني بلادنا وأهلنا على أسس علمية متينة.

وما نراه من تصويبات أو إضافات أو انتقادات، أو تعليقات في هذه الدراسة ، ودراسة الأستاذ علي بن سدران السابقة[٣] تعد ظاهرة جيدة، مع الحرص على النقد البناء الهادف، كما أن على المنقود عليه أن يستفيد من آراء، وتصويبات وتعليقات الآخرين، فالإنسان قوي بإخوانه، وألا يزهو بعلمه، أو يرى توجيه الآخرين له عيباً، وبخاصة إذا صدرت الانتقادات والإيضاحات عن أناس متخصصين يحرصون على البناء لا الهدم، وكل عمل بني آدم ينتابه النقص والعيب، ونأمل من كل الباحثين الجادين في بلاد تهامة

(١) الكتاب قرأته عندما كان مسودة قبل طباعته، الطبعة الأولى، وهو كما ذكرت من الكتب العلمية الجيدة التي يجب الرجوع عليها، وعلى طلاب البحث العلمي، وبخاصة طالبات وطلاب مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وكذلك المؤرخين والباحثين الرجوع إلى هذا السفر العلمي الجيد، والله من وراء القصد . (ابن جريس) .

(٢) هذا الرأي من قول صاحب هذا السفر (ابن جريس)

(٣) أي الدراسة رقم (١١) في هذا الكتاب ، ونطلب الله الرحمة لأخينا الأستاذ أحمد بن علي بن أحمد الحسني الزهراني ، فقد انتقل إلى جوار ربه قبل أن يصدر هذا الكتاب ، ونسأل الله التوفيق والصحة والعافية لأخينا الفاضل الأستاذ علي بن سدران ، ونطمع أن ينشر مالديه من بحوث علمية جاهزة للطبع والنشر . (ابن جريس) .

والسراة أن يعمل كل في مجاله، ولا ينسى أهله وبلاده من فوائد علمه . ونأمل من الله عز وجل أن يوفق كل باحث نزيه على العمل والاجتهاد في خدمة دينه وأهله وبلاده. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الدراسة الثالثة عشرة

قراءة وتصويبات في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ١٠هـ/ق٧-١٦م).الجزء الثاني (تحديدا منطقة الباحة)

بقلم :أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ٢٦٩ - ٢٨٦

الدراسة الثالثة عشرة : قراءة وتصويبات في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-١٠هـ/ق٧-١٦م). الجزء الثاني[١] (تحديدا منطقة الباحة)[٢] بقلم : علي بن محمد بن سدران الزهراني[٣]

١- مدخل :[٤]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته وصحابته ومن والاه وبعد: فقد اطلعت في مكتبة نادي الباحة الأدبي قبل عدة أيام على مؤلف باسم: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة) المسمى: (تاريخ الجنوب). الجزء الثاني للأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشهري، أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد بأبها، في طبعته الأولى (١٤٣٢هـ)، فألفيته كتاباً جامعاً

(١) هذا الكتاب من تأليف غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مطابع الحميضي، ٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) الطبعة الأولى (٦١٩ صفحة قطع متوسط) . (ابن جريس) .

(٢) عبارة (تحديداً منطقة الباحة) إضافة من صاحب الكتاب، لأن جل الآراء والتصويبات الواردة في هذا القول تدور حول المادة المنشورة في الكتاب الخاصة بمنطقة الباحة (غامد وزهران) . (ابن جريس) .

(٣) هو علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني، من مواليد عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٠م) ببلدة الأطاولة بسراة زهران. وفي عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م) التحق بمدرسة القرعاوي في بيت الفقيه حسن بن أحمد بن معجب الزهراني بقرية الأطاولة . ومنذ عام (١٣٨١-١٤٠٥هـ/١٩٦١-١٩٨٥م) تدرج في سلك التعليم من المرحلة الابتدائية، إلى معهد المعلمين الابتدائي، إلى الثانوية العامة، إلى أن حصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالإحساء عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) . عمل معلماً في منطقة الباحة حتى عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ثم انتقل إلى المنطقة الشرقية وعمل مدرساً ثم وكيلاً ثم مديراً لعدد من المدارس حتى منتصف عام (١٤١٩هـ / ١٩٨٨م)، ثم أحيل للتقاعد المبكر . له عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة مثل: (١) التبيان في تاريخ أنساب زهران (١٤١٥هـ) .(٢) من أعلام غامد (١٤١٨هـ). (٣) القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران (١٤١٩هـ) . (٤) البيان في لسان زهران (١٤٢٥هـ) . (٥) بطون قبيلة زهران / قسم السراة (١٤٢٨هـ).(٦) ديوان ابن عقّار (شعر شعبي) (١٤٣١هـ). (٧) من قضاة زهران (١٤٣٣هـ) . ولديه كتب عديدة تحت الطبع والدراسة . وله أيضاً جهود اجتماعية وثقافية وفكرية في محافظته (محافظة القرى) ، وفي عموم منطقة الباحة. زاده الله من فضله وجوده وإحسانه، ونفع بعلمه، وألبسه ثوب الصحة والعافية، ورزقنا الله وإياه الثبات على دينه، وأصلح لنا جميعاً الظاهر والباطن، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم . (ابن جريس).

(٤) هذا العنوان الجانبي وغيره من العناوين الفرعية من إعدادنا حتى يسهل على القارئ متابعة ما ورد في هذه التصويبات بسهولة ويسر (ابن جريس) .

تطرق فيه إلى حقبة من التاريخ لهذه السروات لم يرد أغلبها في كتب المؤرخين السابقين إلا لماماً، فأوضح ما جهلناه من تاريخها العريق، وأبان لنا ما ألم بها من أحداث لم يذكرها من كان قبله، والكتاب بحق يُعد وثيقة لمن أراد أن يكتب عن سكان هذه السروات، فله مني ومن قراء التاريخ الشكر والتقدير على الجهد الذي بذله في البحث والتقصي، حتى ظهر الكتاب وفيه هذه المعلومات الثرية، وهذه الصياغة الأدبية الرصينة، ولقد قرأته قراءة القارئ الشغوف بما يُكتب عن هذه الديار الأزدية، واستفدت مما جاء فيه من معلومات قيمة في ميدان الجغرافيا والتاريخ غير أنه اعترضني بعض الهنات الهينة التي لا تجرح في شخصية الباحث ولا تقلل من معلومات الكتاب القيمة، ولمَّا كنت من أهل هذه السروات، فإن من واجب الدكتور عليَّ وعلى مثقفي هذه البلاد الأزدية موافاة الأخ الدكتور غيثان بما ورد من أخطاء عامة غير مقصودة في أثناء هذا الكتاب، غير مستغَلَّة في النقد أو التجريح لمعرفتنا بالقصد الأساسي من التأليف، ولم أتعرض للحواشي والتعليقات في ملاحظاتي هذه، وإنما نظرت في المتن فقط، فكتبت هذه الملحوظات اليسيرة التي أرجو أن يأخذ بما صح منها عنده في الطبعة الثانية، ومن المؤكد أنه ظهر للأخ الدكتور معظمها بعد الطبع، وما إرسالي لها إلا لمقارنتها بما عنده من ملاحظات عثر عليها، وليعلم أنها ليست نقداً موجهاً لمؤرخ بلغ القمة في الكتابة عن تاريخ السروات وغيرها في مجموعة كتب وأبحاث فاقت ما كتبه غيره بعشرات المرات، وإنما هي من قارئ يود له ولأمثاله الاقتراب من درجة الكمال فيما يُنشر عن هذا الجزء من بلادنا الغالية، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل[(١)]

ثانياً : نصوص التصويبات :

نبدأ الاتكال على الله سبحانه، إيراد بعض الملاحظات على الكتاب المذكور أعلاه :

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	١٤	وسراة دوس أو غامد وزهران	وسراة دوس وغامد وزهران
٣٢	١٦	بنو عمر بنو شهر	وحبذا لو كتبنا (بني عمرو) وبني شهر تبعاً للقاعدة النحوية

ص (٤٤) سطر (٩) تقول : (ولكن عموم سكان هذه البلاد جاءوا إلى المدينة زرافات ووحداناً بعد السنة الثامنة للهجرة) . ولو قلت (أغلب سكان هذه البلاد هاجروا في

---

(١) الأستاذ ابن سدران لم يسبق أن قابلته حتى تدوين هذه السطور، ولكن إحساسه بالمسؤولية وصدق الكلمة جعلته يكتب لنا هذه الملحوظات القيمة، ونقول جزاه الله عنا كل خير، ونأمل منه ومن أبناء منطقة الباحة الفضلاء الكرام المهتمين بتاريخ وتراث وحضارة بلادهم أن يضاعفوا الجهود في خدمة هذه البلاد علمياً وثقافياً وفكرياً وتعليمياً، فهي فعلاً بكر إن صح التعبير، ومن يبذل جهوداً صادقة مخلصة في دراسة سكانها وأرضها عبر عصور التاريخ فإنه سوف يطلعنا على تاريخ وحضارة جديرة بالاهتمام والدراسة . (ابن جريس) .

السنة السابعة للهجرة) لأدخلت زهران وغيرهم ممن هاجر قبل الثامنة . لأن دوساً شاركت في فتح خيبر كما نعلم .و ص(٤٩) سطر (٩) كلمة ثمانون تكتب ثمانين . ذكرت في آخر سطر صفحة (٤٩) وأول صفحة (٥٠) أن دوساً قدموا على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا إسلامهم، والصحيح أنهم لم يجدوه ﷺ في المدينة، وقد أخبروا بأنه يقاتل يهود خيبر، فشدوا الرحال إليه، وهناك جَدَّدوا إسلامهم على يديه وشاركوا المسلمين في الفتح والغنائم .

كما تقول في صفحة (٥٠) من السطر الثالث ما يلي: أرسل الرسول ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه المسلمين بعد معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد وزهران ودوس) . قلت: لم نسمع بمثل هذا الخبر، وما ورد هذا الخبر في المرجعين اللذين رجعت أنت إليهما، فأما ما ذكر في كتاب: **الصفوة** من كلام الطفيل (رضي الله عنه)، فهاهو ..(فلم أزل مع النبي ﷺ حتى فتح مكة فقلت ابعثني يا رسول الله إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة أحرقه فبعثه إليه فحرقه، فلما أحرقه بان لمن تمسك به أنه ليس على شيء فأسلموا جميعاً ورجع الطفيل فكان مع النبي ﷺ حتى مات . وأما ما ورد في هذا الخصوص في كتاب: **سيرة ابن هشام** فهو على النحو التالي : (ثم لحقنا برسول الله - ﷺ - بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين، ثم لم أزل مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال : قلت: يارسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن إسحاق: فخرج إليه فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله - ﷺ - فكان معه بالمدينة، حتى قبض الله رسوله ﷺ) . فها نحن لم نر في الخبرين جيشاً كان مع الطفيل رضي الله عنه حين ذهب لحرق صنم ذي الكفين[1] وفي صفحة (٥٢) سطر(٢) وردت كلمة حباً والصحيح حبًّا، وص(٥٥) سطر (٤) يدينوا والصحيح يدينون، وص (٥٦) سطر(٥) ليس في قول جرير رضي الله عنه : (لقد هدمته) . وكذلك في السطر الأخير من صفحة (٤٣٦) [2] . وتعدل لفظة : (هوي) إلى (يهوى) . وقد راجعت مصادرك الثلاثة فلم أجد هذه الألفاظ فيما دار بين رسول الله ﷺ، وجرير البجلي رضي الله عنه . وفي صفحة (٥٧) سطر(١٦) كلمة سمع والصحيح سمعا، وفي ص (٥٧) سطر(٢٠) هذا الشعار هو شعار الأزد في ميادين الجهاد كما ذكرت والرسول (ﷺ) قاله للطفيل بن عمرو الدوسي وقومه في معركة خيبر سنة

---

(١) كل النصوص في الواقدي وابن هشام وابن الجوزي ذكرت إرسال الرسول (ﷺ) الطفيل بن عمرو الدوسي لمواجهة المشركين وهدم بعض أصنامهم. نعم إنه لم يرسل معه جيشاً لكنه أرسله ومن المؤكد لم يكن بمفرده . (ابن جريس).

(٢) أشكر الأستاذ ابن سدران على هذه الملحوظات الدقيقة والهامة في بناء وتصحيح ما سبق أن نشرناه، وسوف نأخذ بجميع هذه الملاحظات عند إعادة الطبعة الثانية للكتاب المعني في هذا القول. (ابن جريس).

سبع من الهجرة، وهو ما قلت أنت به في صفحة (١٤٩) فحبذا لو ذكرت لهم هذا الفضل الذي منحهم الرسول الأعظم (ﷺ)، وقد قاتلوا به نحو ثلاث سنوات قبل إسلام غالبية أهل جُرش فتشاركهم فيه، لاسيما وأنت تقول عن إسلام دوس في صفحة (٦٦) (وقد أسلموا مع زعيمهم الطفيل بن عمرو الدوسي منذ السنة السابعة للهجرة) ومَن ثم فلك تعميمه على جميع قبائل الأزد كما فعلت .

صفحة (٦٣) سطر(١٤) كلمة أحد هي أحداً، وص(٦٤) سطر(١) كلمة المسلمين تعدل إلى المسلمون، وص(٦٧، ١٥١) سطر(١، ١) بنِ أزيهر والصحيح بن أبي أزيهر، و ص ((٦٧، ١٥١) سطر (١) سلطة والصحيح سِطة، هكذا وردت في المراجع ومعناها : القبول والمحبة، وفي صفحة (٦٧) سطر(١١) وفود وكتب، والصحيح وفوداً وكتباً، وص(٦٩) سطر (١٤، ١٧) فَرَّاضَاً، نَاصرَاً والصحيح فراضاً، ناصِراً، وص (٧٠) سطر (١١) مَهْدِيَّاً والصحيح مَهْدِيًّا

وصفحة (٧٠) سطر (١٧) حَيَّاً ومَيِّتَاً، مَهْدِيَّاً والصحيح حَيًّا ومَيِّتًا، مَهْدِيًّا ، وص (٧٢) سطر(١٥) كِلمة محمد والصحيح محمداً، وص (٧٢) لم تذكر مِن وفود زهران وغامد الفردية أحداً رغم كثرتهم، وأراك اكتفيت بإيراد جنادة الأزدي الزهراني (رضي الله عنه). في صفحة (٧٣) سطر (١٥، ١٦) دنو، محمد والصحيح دنوا، محمداً، وص(٧٣) سطر (١٨) (الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك) هذا القول ذكره الألباني رحمه الله في الأحاديث الضعيفة برقم (٣٣٦٩) فليتك نبهت عليه .

صواب الألفاظ التي وردت في ص: (١٠٥) السطر(٩) وما بعده : (نجدهم .. وغورهم لهب ... وبنو عمرو)[١] .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٧٦	٣	يكف	يكفي
١٠٧	٧، ٩	المسقي، وعلي	المسقى، وعلى
١٠٩	١	الخبز	خبز الملة
١٠٩	١٨	مراعي	مراعٍ
١١١	١٧	يغفعل	يغفلٌ

في صفحة (١١٤) سطر(٩) المفردة التي في نهاية صدر بيت ابن الدمينة الأولى هي: (سنة) لا (بيشة) فهلا ذكرت لنا المصدر الذي يقول عنها بأنها (بيشة)[٢] ؟ .

(١) أكرر شكري للأخ الكريم الأستاذ علي بن سدران على هذه الملحوظات القيمة، ونسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم . (ابن جريس).

(٢) المفردة الصحيحة هي بيشة، انظر: ديوان ابن الدمينة، تحقيق أحمد راتب النفاخ (القاهرة : مكتبة دار العروبة، ومطبعة المدني بالقاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) ص٧٨ . (ابن جريس).

وفي صفحة (١١٩) سطر(٣) ابن جرة والصحيح ابن حرة ، وص(١٣٥) سطر(٨) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في أوله، وإنما وجدته في سنن الترمذي من حديثين الأول (من أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن . والثاني : (وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) . وجمعهما ابن حبان على هذا النحو (فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) . وبلفظ (من اراد بحبوحة ...) وبلفظ (من أراد منكم) . واتفق معهم الإمام أحمد في مسنده فأورد: (فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) . وكذلك ابن حبان في زوائده : (فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) . وصحح الألباني منها قول الرسول ﷺ : (فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة) وأورد من حديث آخر : (فمن سره بحبوحة الجنة فليزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد) . وبلفظ (من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة، فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد..) . وقال عنه : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك . ولذا فرواية الحديث بلفظ (من سره) في أوله فيه مقال. والله أعلم .

في صفحة (١٣٦) سطر(٤) كبشاً والصحيح أكْبُشاً، وص(١٣٧) سطر(١١) قولك: (في بلاد الباحة) يُسقط بلاد زهران، والقول الذي تعارف عليه الكتاب هو (بلاد غامد وزهران) وإن كان الأولى بهم تقديم زهران على غامد لأنه عمه . وقد رأيتك كررت هذا القول في صفحات عدة فحبذا لو أصلحته في الطبعة الثانية . أو قلت (منطقة الباحة) لارتفع الحرج [١] . وفي صفحة (١٣٩) سطر(٣، ٥، ١٤) ويراوح، نخرة والصحيح ويتراوح، رِخْزَة، وص(١٤٠) سطر(٣) الأزديتين هي الأزديتان، وص(١٤١) سطر(٧) (غامد) لم يرد في المصادر القديمة بأنه شقيق زهران، وفي صفحة (١٤٧) سطر(١) (دوس) ليست في أرض (غامد وزهران) كما ذكرت، وإنما هي في أرض زهران [٢] .

ص(١٤٧) لمَ لَمْ تذكر إسلام أبي هريرة على يد الطفيل (رضي الله عنهما) زمن البعثة الشريفةَ، بل إنك لم تأت على ذكره البتة [٣] وص(١٤٨) سطر(٥) الذي ورد في صحيحي البخاري ومسلم قول الرسول ﷺ : (اللَّهُمَّ اهْد دَوْسًا وَأت بِهِمْ) . وفي رواية الإمام أحمد (وأت بها) لا كما قلت أنت : (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وارفَق بهم) فإن قوله

---

(١) يا أستاذ علي أعتقد أن مفردة (بلاد) بمفهومها الواسع هي أوسع وأشمل من كلمة (منطقة) (ابن جريس).

(٢) هذا قول صحيح ونشكر صاحب التصويبات على هذه الملحوظات القيمة . (ابن جريس).

(٣) هذا قول سليم وكان يجب علينا الإشارة إلى إسلام الصحابي الجليل أبو هريرة (رضي الله عنه) . (ابن جريس).

ﷺ : (وارفق بهم) من حديث آخر[١] . وص (١٤٨) سطر(٨) يقول الدكتور غيثان عفا الله عنه عن قبيلة دوس (زهران) (فضلاً عن أن ميراثهم من العادات والتقاليد كان فاسداً) . أنا لا أنكر ما كانت عليه العرب قاطبة قبل الإسلام ومنهم قبيلة (زهران) من ممارسة بعض العادات الفاسدة التي نبذها الإسلام ، وفي مقابل هذه العادات الفاسدة كانت لهم أيضاً بعض العادات الحسنة أقرها الإسلام ، ولذا فينبغي أن يقول دكتورنا العزيز : (فضلاً عن أن ميراثهم من بعض العادات والتقاليد كان فاسداً) . حتى لا تشمل عبارته تقبيح كل عادة حسنة أتتها العرب وأقرها الإسلام . ومما يؤسف له أنني اطلعت على هذا البحث وفيه هذه العبارة في كتاب: موسوعة المملكة العربية السعودية . وفي صفحة (١٥٠) سطر(٨) لم تذكر الروايات على حد علمي (وقد أكون مخطئاً) أن الرسول ﷺ، بعث الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه لمحاربة من بقي على الوثنية في (بلاد زهران وغامد) إنما بعثه بمفرده لمهمة محددة وهي حرق صنم ذي الكفين . وهو ما صرح به الواقدي (مصدرك) حيث يقول: (لما افْتَتَحَ رسول الله حُنَيْنًا وأراد المسيرَ إلى الطائف، بَعثَ الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين ـ صنم عمرو بن حُمَمَة ـ يهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف)[٢] . وفي صفحة (١٥٢) سطر(٦) لم يذكر ابن سعد في طبقاته أن وفد: (سلامان) هو وفد (سلامان: زهران) كما ذكرت يا دكتور، والصواب أن هذا الوفد من قُضاعة وليس من زهران، وهاهو الخبر الوارد في طبقات (ابن سعد) (مصدر الباحث) أنقله بطوله[٣] : (وفد سلامان قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال حدثني محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة قال، وجدت في كتب أبي، أن حبيب بن عمرو السلاماني، كان يحدث قال: قدمنا وفد سلامان على رسول الله ﷺ، ونحن سبعة فصادفنا رسول الله ﷺ، خارجاً عن المسجد إلى جنازة دعي إليها، فقلنا : السلام عليك يا رسول الله، فقال: " وعليكم من أنتم "؟ قلنا نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام ونحن على من ورائنا من قومنا ، فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال: " أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد " . فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته فتقدمنا إليه فسألناه عن أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرقى وأسلمنا، وأعطى كل رجل منا خمس أواق، ورجعنا إلى بلادنا وذلك في شوال سنة عشر)[٤] . هذا ما ورد في

(١) (وارفق بهم) وردت في حديث عن الرسول (ﷺ) . (ابن جريس).

(٢) وردت هذه الملحوظة في صفحة سابقة وقولك فيه نسبة من الصحة، لكن الطفيل (رضي الله عنه) كان يصطحب معه بعض قومه المسلمين أثناء ذهابه وإيابه ما بين مدن الحجاز الرئيسية وبلاد زهران، وأكبر دليل على ذلك ما أوردته في بعض نصائحك عندما قلت (وأمره ـ ﷺ ـ أن يستمد قومه) . وهذه العبارة تدل على أن الطفيل كان على صلات جيدة مع قومه وبني جلدته وبخاصة الصالحين المسلمين منهم . (ابن جريس) .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٣٢/١ . (ابن سدران) .

(٤) المصدر نفسه . (ابن سدران) .

كتاب الطبقات، ولم يرد فيه ذكر سلامان زهران، ومن المعلوم أن رئيس هذا الوفد هو: (حبيب بن عمرو السلاماني) ذكره أهل السير في قضاعة، فقالوا في ترجمته: (حبيب بن عمرو السلاماني من بني سلامان بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة)، وقصته والوفد عند ابن حجر في كتابه : الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٦/١)، وعند ابن الأثير في كتابه : أسد الغابة في معرفة الصحابة : (١/ ٣٧١)، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣٢/١) وفي غيرها من الكتب . فثبت بذلك أن هذا الصحابي وهو: حبيب بن عمرو السلاماني رضي الله عنه، قضاعي لا زهراني، وأن الوفد هو وفد سلامان قضاعة لا وفد سلامان زهران[1] .

في صفحة (١٦٨) سطر(٩) كلمة السلمي والصحيح السليمي، وجاءت اللفظة صحيحة في صفحة (٤٤٠) السطر الثاني . وص(١٧٠) سطر(٥) ما اسم المصدر الذي يذكر التقاء ابن عطية، وليس (أبي عطية) بعبد الله الكندي، في نواحي الطائف ؟ وقد قلت في صفحة (٤٤٠) : (وكان الأخير (أي عبد الله الكندي) قد تمركز مع حوالي (٣٠٠٠) من رجاله في بلدة كتنة بأرض جُرش ونزل ابن عطية في تبالة ..) إلى آخر الخبر الذي يثبت التقائهما في جُرش[2] .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	١٦	المقبرة	الجبانة . كما وردت عنه
١٨٨	١	المؤرخين	المؤرخون
١٨٩	١٤	ووجهائها	ووجهاؤها

في صفحة (١٩٥) سطر(١٢) قال الباحث عن إمارة الباحة الحالية: (وكادت تنقل إلى بالجرشي) والذي لاريب فيه أنها انتقلت بالفعل إلى بالجرشي قبل انتقالها إلى مدينة الباحة .، وص (١٩٦) سطر(٢) التأرخية تصحح إلى التأريخية، وص (١٩٨) سطر(٩) مركز تمويني والصحيح مركزاً تموينيًّا، وص (٢٠٢) سطر(٣) قول الباحث عن وادي بيدة (أبيدة) : (ومما يلفت النظر أن أسفل الوادي يسمى بطحان) . قلت: (الوادي من أعلاه إلى أسفله يطلق عليه بطحان) وأهل مكة أدرى بشعابها[3] . وفي صفحة (٢١١) سطر(٢، ٦، ١٩) لهذة، شنؤة، نير والصحيح لهذه، شنوءة، نيرا .

---

(١) أشكر صاحب التصويبات على هذه المعلومات الموثقة والقيمة . (ابن جريس).

(٢) المزيد من التفصيلات عن الصراعات التي وقعت بين ابن عطية والكندي انظر: مصادر التاريخ الحولية مثل: كتب الطبري وابن الأثير وابن كثير . وانظر بعض مصادر تاريخ اليمن المحلية والمبكرة . (ابن جريس).

(٣) نشكرك يا أستاذ علي على هذا التوضيح القيم، ونحن على يقين أنك أدرى ببلادك منا وأمثالنا . (ابن جريس).

ذكر الباحث من صفحة (٢١٢) السطر: (٥) إلى صفحة (٢١٤) السطر(٨) نسب الشنفرى، وأراه يميل إلى تأييد من يقول بأنه من زهران، وقد قالت أغلب المصادر القديمة أنه من رجال الْحَجْر الأزدية، كذلك قال بهذا القول أغلب كتاب هذا العصر، والذي يجعل القائلون بأنه زهراني النسب ورود اسم قبيلتين في زهران باسم الأوس وليستا الإواس هو الذي أوجد هذا اللبس عند من عده في زهران، غير أن تلكما القبيلتين الزهرانيتين لا ترجعان إلى سلامان بن مفرح ابن مالك ونسبها إليه هكذا : الأوس بن عامر بن جفين بن النمير بن عثمان بن نصر بن زهران، والأخرى ترجع إلى دهمان بن نصر بن زهران، أما هو فإواسي حجري لقوله :

أليس أبي خير الإواس وغيرها وأمي ابنة الأحرار لو تعلمينها

وكون قبره في قرية سلامان الدوسية هو قول مجانب للصواب ذلك لأن ذلك (الحي) فخذ من قرية عويرة، وعويرة ترجع في نسبها إلى دوس بالطفيل (بنو الطفيل) إلى جانب كونها قرية، والتي كان يهاجمها الشنفرى قبيلة تعود في أصلها إلى مفرح بن مالك بن زهران . وقول الباحث : (ومن المعلوم أن قبيلة غامد هزمت خيلاً لأبرهة الحبشي إبان مروره عليهم لهدم الكعبة المشرفة) ، قلت: ما علاقة ورود هذا الخبر بقصة نسب الشنفرى[1] ؟

في صفحة (٢١٤) سطر(١٩) شنؤة والصحيح شنوءة، وص(٢١٩) سطر(٩ ، ١١) الأقليم، شنؤة يصحح إلى الإقليم، شنوءة، وص(٢٢٣) ذكر الباحث اسم أسرة آل عويد حيث كان لهم إمارة في تهامة (عشم وما حولها) وتناسى ذكر أسرة من بني سليم زهران، كانت لهم أيضاً إمارة في تلك النواحي وكان الأمير منهم يتقدم اسمه عبارة (السلطان ابن السلطان) ذكرتُ هذا التنبيه ليس إلا . وفي صفحة (٢٢٨) سطر(٧، ٨) يقول الباحث الدكتور الغامدي : (وبمناسبة التسميات ينبغي الإشارة إلى أن الهمداني لم يذكر مسمى زهران حينما مر بهذه السروات..) . قلت: في هذا القول إنه غير دقيق على الهمداني رحمه الله، أو تجاهل من الباحث الغامدي، أو أنه لم يقرأ كتاب الهمداني قراءة الباحث المدقق، فالهمداني رحمه الله، ذكر سراة زهران في معرض حديثه عن السروات فقال وهو يعدد سروات القبائل التي مر عليها، ولاسيما ما ورد في صفحة (١٣١): (ثم سراة الخال لشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران، ثم سراة زهران من الأزد ودوس وغامد والحر..) . وأرى دكتورنا العزيز المتخصص في تاريخ الأزد الأخ

---

(١) نشكر كل من الأخوين الكريمين الدكتور جمعان الغامدي، صاحب المادة المنشورة في الكتاب المعني في هذا القول، والأستاذ علي بن سدران الزهراني على ما ذكر من تفصيلات عن تاريخ الشنفرى . ونقول أن بلاد غامد وزهران لازالت تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين الجيدين الذين يستطيعون أن يكشفوا لنا جديداً أو يصححوا لنا معلومات ناقصة أو مغلوطة . (ابن جريس).

غيثـان بـن علي، وهو المدقق لما رأيناه في غير هذا البحـث (بحث الغامدي) لم يعلق على هذه المعلومة الخاطئة الواردة في هذا البحث . مع العلم بأن الدكتور غيثان أتى على ذكرها عند الهمداني في صفحة (١٠٥) . فما معنى سكوته هاهنا[١] !

في صـفحة (٢٣٠) سـطر (١٤) يقول الباحث الدكتور الغامدي : (ويمكن وصل دوس وفروعها المتعددة الآن بسـهولة إلى مشـجرة نسـب زهران القديمة أما بقية القبائل (وهو يقصـد بقية قبائل زهـران) فربما وجد المرء صـعوبة في ذلك..) . قلـت والخطاب موجه للدكتـور غيثـان : ما تـرى في هذا القول ! وقد ورد في كتب الأنسـاب مسـمى (كنانة) جد القبيلة الزهرانية الحالية من ولد : (كنَانة بن عامر بن جفين بن النمر ابن عثمان بن نصر بن زهران) . ثم إن قبائل (بني كنانةَ وبني حسـن وبيضـان وبني عامر وبالخزمر) تسمى بنـي أوس والعامة تنطقها (بني يوس) نسـبة إلى أخي كنانة المذكور: (أوس بن عامر بن جفين بن النَّمر بن عثمان بن نصر بن زهران) . وقد صدق الغامدي في قوله عن قبائل بني عمـر، إذْ أنـه حتى تاريخه لم نجد من يرفع نسـبهم إلى جدهم الأعلى (زهران بن كعب) مما يدل إذا لم يرد الدليل الذي يلحقهم بزهران على حلفهم أو جوارهم في زهران .

في صـفحة (٢٣٣) سـطر(١٣، ١٨) يقول الباحث الغامدي في بحثـه المثبت بهذا الكتاب (ووجـود مسـمى قريش في زهران التـي هي قريش الحسـن..) . ثم يقول:(أمـا قبيلة قريش الحسن ..) . يا دكتور غيثان ؛ لا يوجد قبيلة في سراة زهران وتهامتها باسم (قريش الحسن) وهذا الاسـم (قريش الحسـن) مسـمى به مدرسة في قرية (الحسـن) التابعة لقبيلة قريش بسراة زهران، فالقبيلة اسمها (قبيلة قريش) فقط. أما (قريش الحسن) فهو اسم المدرسة الابتدائية بقرية (الحسن) ، ويجب على الباحث أي باحث التأكد من معلوماته قبل نشرها[٢] .

في صـفحة (٢٤٠) سـطر(٨) الجلان والصـحيح العجلان، وص(٢٤١) سطر (٤) القصـيدة المشـهورة التي ورد ذكرها في هذا الخبر هي للشـاعر الفارس المشارك في هذه

---

(١) يـا أسـتاذ علي نلتمس العـذر لأخينا الدكتور الغامـدي، وفي اعتقادنا أنه ليس تجاهلاً منه عـدم ذكر زهران التي أوردها الهمداني، وربما أنه لم يدقق النظر في التفصيلات التي ذكرها الهمداني (ابن الحائك) ، أو أنها سقطت منه سهواً ,ونشكرك على هذه التنبيهات والملحوظات القيمة . أما سكوتنا على ما ذكر ابن عمك الدكتور الغامدي فليس عمداً وإنما عدم الانتباه والتأمل فيما أشرت إليه والله من وراء القصد. (ابن جريس).

(٢) آمـل منـك يا أسـتاذ علـي أن تقول: يجب على كل باحث جاد منصـف أن يدقـق معلوماته ويتثبت من مصـادرها الصـحيحة الرئيسـية . أما مـا ذكرت عن (قريش الحسـن) أو (قبيلة الحسـن) فأنت أعـرف الناس ببلادك وقراك، وربما الدكتور جمعان وقع في هذا الخطأ بدون قصد . وعند زيارتي بلاد زهران السراة وبخاصة الأوطان الواقعة أو القريبة من خط الباحة الطائف السياحي تعجبت من عشرات القرى المتناثرة في تلك النواحي، بل تأكد لنا أن هذه البلاد أرض تاريخ وحضارة يعود إلى الوراء آلاف السنين . والواجب عليكم أرباب الثقافة والقلم في تلك النواحي أن تبذلوا قصـارى جهودكم في دراسـة هذه البلاد من شتى النواحي وبخاصة التاريخية والأثرية واللغوية والحضارية وغيرها. (ابن جريس).

المعركة (محمد بن غرم الله بن ثامرة) . وقد أكد لي حفيده علي بن عبد لله بن محمد بن ثامرة، أنها لجده . وفي صفحة (٢٤١) سطر(١٥) قال الباحث الغامدي : (وأن ابن قرحان من الأزاهرة كان مع جمال تؤدي للأتراك فأسر مع الجمال عند شبرقة، وكان لونه يميل إلى السواد...) . قلت ما ذكره الباحث من وقعة كادت تحدث بين زهران وغامد بسبب ابن قرحان على ما أسماه فإننا لا نجد في الخبر بوادر وقعة كما قال، وفي الخبر أن الفتى كان لدى بدو غامد فكيف تكون المواجهة إن كان الفتى المزعوم عند بدو غامد ؟ ولعل الخبر الذي ورد فيه تكريم رجال زهران في السكران مقتطعاً من قصة أخرى، أما المواجهة التي كادت تحدث بين زهران وغامد فقد ذكرها على السلوك (رحمه الله) ، في كتابه الثاني من الموروثات الشعبية (٢/ ٥٠) [١] .

أما حقيقة (ابن قرحان) فلم يكن فتى من غامد كما قال هذا الباحث[٢]، وإنما هو جمل من جمال غامد (ومن أسماء الجمل في زهران (القرحان) يقول أحدهم: عندي قُرحان جيد . وقصته: أن الجمل وهو في الأصل لرجل من الأزاهرة من غامد من جهة بالجرشي اغتنمه أحد رجال زهران من الأتراك في إحدى المعارك، فعرفه صاحبه الغامدي في سوق رغدان وأراد أخذه من الزهراني وتحزب أهل السوق حزبين أحد الحزبين يقول الجمل جمل الغامدي فينبغي للزهراني تسليمه له، والحزب الثاني يقول: الجمل من غنائم الأتراك ولا للغامدي فيه حق بعد أن سلب من الأتراك ولم يُسلب من الغامدي الذي كما تقول الرواية أعطاه الجيش التركي كي يحملوا فوقه العتاد لقتال زهران، وكادت تحدث فتنة، وكان الشاعر ابن ثامرة حاضراً فقال قصيدة أثبت فيها أن الجمل من حق الزهراني، لأنه أخذه من الترك في معركة حربية، وليس من الغامدي، ويجب على الغامدي مطالبة الأتراك وليس الزهراني ومن ضمن قصيدته التي حلَّت المشكلة قوله :

ياقبيلِي لا يفارق بيننا قُرحان الأزهري
لاشْتَهَي يعطَيه حيدرْ يسْتَقِلّ الْجُنْبَخَانَة فوقَهْ

---

(١) الروايات الشعبية، والأحاجي، والحكم، والألغاز، والأشعار والقصص الشعبية من المصادر المهمة في تدوين التاريخ والمتأمل في تاريخ بلاد غامد وزهران، وبخاصة في القرون الماضية المتأخرة، يجده مليئاً بهذا الموروث الثقافي، ولازال الكثير منه يقال شفاهاً في مجالس الغامديين والزهرانيين. وإذا كان الأستاذ السلوك (رحمه الله) قد جمع نماذج من هذه الفنون، إلا أنه لازال هناك الشيء الكثير الكثير غير المدون، ونأمل أن نرى من أبناء منطقة الباحة بعض الجادين المجتهدين المنصفين الذين يقومون على جمع هذه المصادر القيمة والهامة . (ابن جريس).

(٢) أعلام منطقة الباحة (غامد وزهران) خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة . نأمل أن نرى من أبناء زهران وغامد من يدون لنا كتاباً علمياً يرصد فيه الأعلام المشاهير الذين عرفتهم بلاد الباحة خلال القرنين أو القرون الماضية المتأخرة . وبحث مثل هذا الموضوع يعد سهلاً وبخاصة أن هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تساعد في إخراج مثل هذه الدراسة . كما أن هناك أسراً وأعلاماً لازالوا على قيد الحياة وقد يساعدون في ذكر ما عرفوه عن آبائهم وأجدادهم الذين كانوا ذا شأن تاريخي وحضاري في المنطقة . (ابن جريس).

ويـعـذّرْ بـهْ ويَصْخَـى لا صَـخِيْنَـا دَمْ رجَـالـنـا
ما غَديْتَ اغْزيه في وادِي الْقِمعْ والْحَوف وانْهزْ ماه

إلى آخر هذه القصيدة التي أصلحت بين القبيلتين في سوق رغدان بسبب هذا الجمل[1].

في صفحة (٢٥٣) سطر (١٨) في والصحيح على، وص (٢٥٦) سطر (٢) كلمة وبني عمر تصحح إلى وبني عمرو، وص (٢٦٧) سطر (١٢) قولك: (وبعد معركة حنين وحصار الطائف، قدم وفد من ثقيف على رسول الله ﷺ، في المدينة المنورة بعد فتح مكة..). أخي العزيز في هذا القول تقديم وتأخير، فحصار الطائف جاء بعد فتح مكة والأصوب في نظري تقديم فتح مكة على حصار الطائف، كما قلت بذلك في صفحة (٢٦٨) السطر الثامن. وفي صفحة (٢٧١) سطر (١٠) منافع والصحيح مناخ، وص (٢٧٢) سطر (٢) كلمة باسم الله تصحح إلى باسمك اللهم، وص (٢٧٢) سطر (١٢، ١٣)، لا تجز، ولا ترعى، أو من مر والصحيح لا تجد، وأن لا ترعى، ومن مر. وصفحة (٢٧٥) سطر (١٤) أبو سفيان والصحيح أبي سفيان، وص (٢٨٤) سطر (١) صدرايد[2] ؟؟ وص (٢٨٤، ٢٨٥) سطر (١١، ١) قولك: (من بني أثلة رؤوس بني نصر بن ربيعة بن شهر بن الحجر) ليس هذا من قول الهمداني، فيرجى فصله عن قول الهمداني. وفي صفحة (٢٩١) سطر (٨) شئ والصحيح شيء، وص (٢٩٦) سطر (٦،٨) قوله، وما شابه تعدل إلى قوله، وما يشبه، وفي صفحة (٣٠١) سطر (١٠) وصيت والصحيح صبِبْتُ، وص (٣٠٣) سطر (١١) قولك: (والمقصود بالرتاج، أي الإغلاق). ليس هذا تفسيراً لمعنى الرتاج، إذ أن الرتاج في اللغة كما ورد عند ابن منظور هو: (الباب العظيم؛ وقيل: هو الباب المُغلَق). والبيت الذي أوردته يوضح ما أوردناه.

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
(٣٢١)	(٩، ١٠)	نبياً، ألف	قوم نبياً، إلف
(٣٢٨)	(٨)	عدة	في عدةٍ
(٣٣٩)	(٥)	بسر	بسراً
(٣٤٢)	(١٠)	معتدي	معنوف، هكذا وردت في المصدر فأين وجدت لفظة (معتدي)
(٣٥٩)	(١٢)	وجهك	وجهه
(٣٦١)	(١٢)	وادي	واد
(٣٧٢)	(١٥)	كانت	كانتَا

---

(١) نستفيد من هذا القول إلى أن منطقة الباحة تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية تصور أوضاع هذه البلاد أثناء امتداد النفوذ العثماني إليها. وإذا كان العثمانيون لهم علاقة جيدة مع الأشراف في مكة وكان (الأشراف والعثمانيون) يتعاونون في مد نفوذهم إلى بلاد غامد وزهران، فدراسة المنطقة وعلاقتها بأشراف مكة موضوع هو الآخر يستحق البحث والتقصي. أما الشعراء والشعر العامي فهو أيضاً موضوع جدير بالبحث والدراسة. ونأمل من المؤرخين والأكاديميين الزهرانيين والغامديين إلى أن يلتفتوا إلى مثل هذه الموضوعات الجديدة والهامة. (ابن جريس).

(٢) صدريد: والصحيح صدر أيد، وهي اسم قرية في قبيلة كعب ببلاد بني عمرو الحجرية، وهي مجاورة لقرية آل مقبول التي ولدنا فيها عام (١٣٧٩هـ)، وتبعد عن مدينة النماص شمالاً بحوالي (٣-٥) أكيال. (ابن جريس).

في صفحة (٣٧٤) سطر (١٧) يا دكتورنا العزيز، عرفت ما ترمي إليه تماماً، وإنني أسأل دكتورنا العزيز كيف نأخذ بعض تاريخنا عن مؤلفين مجهولين ذُكروا في العصر العباسي وغيره كما تعلم، ولا نأخذ عن بعض أولئك ومنهم من نعرف نسبه وحسبه، وفي بعض أقواله التاريخية حوادث وردت في بعض كتب التاريخ والأنساب المعاصرة[1] . وفي صفحة (٣٨٠) سطر (٥) قولك : (والثريد) . هو مما يعمله الإنسان، وليس مما يُزرع في الأرض أو ينتج من الحيوان حتى تورده مع تلك المنتجات .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
(٣٨٧)	٩	رطل	رطلاً
(٣٨٧)	١٢	المحشوم	المحشوما
(٣٨٨)	١٩	الحص، مادم	الحصى، مادام
(٣٨٩)	٥	جفزت وأزيلها	حُفزت وزيلها
(٣٨٩)	٧	وتلابت	واتلأبت
(٣٨٩)	٩	عنتني، ييمبما	غنتني ، يبنبما
(٣٨٩)	(١٠، ١٥)	الأبار، الحص	الآبار، الحصى

صفحة (٣٨٩) سطر (١٥) هذا البيت للسمهري، ورد في نهاية الصفحة السابقة فيحذف من هنا، ويحل محله بيت الأحوص المثبت في الصفحة رقم (٣٩٠)، وص(٣٩٠) سطر (٨) الهيجاء، كأسد، بغاب والصحيح الهياج : أسد، بغاف، وص(٤٣١) سطر (٦) وتهتدي تعدل إلى وتهدي، وصفحة (٤٣٩) أما الجاسر رحمه الله فيذكر أن نجدة الحنفي بعث الحازوق يصدق الأزد فقتلته دوس، وأما مصدرك الثاني فليس فيه ذكر استيلاء نجدة على السراة، وهاهو الخبر كما ورد عند الزركلي صفحة (١٠) ج(٨) : (خرج مستقلاً باليمامة (سنة٦٦هـ) أيام عبد الله ابن الزبير، في جماعة كبيرة . فأتي البحرين واستقر بها، وتسمى بأمير المؤمنين . ووجه إليه مصعب بن الزبير خيلاً بعد خيل، وجيشاً بعد جيش، فهزموهم، وأقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين وعمان وهجر وبعض أرض العرض) . لا أرض العرض جميعها.

---

(١) يا ابن سدران أنا لست ضد أي مؤرخ أو أي أحد، وإنما أبحث عن مصادر متواترة وموثوقة . والمؤرخون الأوائل أمثال الطبري وغيره أفضل في مدوناتهم من المتأخرين وبخاصة إذا كانت بعض الأخبار والأحداث تعود إلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . للمزيد انظر القسم الثاني في كتابنا الموسوم بـ : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢.٣٢هـ / ٢٠١٠.٢٠١١م) . الجزء الثالث، ص ١٠٩ ـ ١٨٠ . (ابن جريس).

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٤٤٦	٦	الورود	الوراد
٣٤٦	١٢	ولم يكن	ومنكمُ
٤٤٧	٧، ٨	غير، حي	غيث، حيي، قبل أن (يتفرقوا)
٤٤٧	١٢	فقريحاؤها فقد سأل	فقريحاؤها فرنية قد سأل
٤٤٧	١٥	تروي	تردي
٤٤٧	١٧	البردان	للبردان
٤٥١	٤	أثار	آثار
٤٧٤	٦	قادرا	قادر
٤٧٧	١٥	وفرضت	وفرضة
٤٧٨	٥، ٦، ٧، ١٢	حلى، واضحاً، أيضاَ، حالياَ، مطابقاَ	حلي، واضحًا، أيضًا، حاليًّا، مطابق
٤٨٣	٢	بني زياد	بنو زياد
٤٨٦	١٨	صَلحاً	صَالحًا
٤٨٧	٥	الْكتب	الْكتَّاب
٤٨٩	٨، ١٤، ١٨	يُسئ، إيمَنُهُم، الْقيمَة	يُسيء، إيمَانَهم، الْقيامَة
٤٩٠	١٥	لَا تُقَتلُونَ	ألا تُقاتلُونَ
٤٩٤	١١	إخونًا	إخْوَانًا
٤٩٦	١٣	والدَاخلين	والدَاخلون
٤٩٩	١٨	الراشدين	الراشدون
٥٠٧	٩	تأثير	تأثيراً
٥١٢	١٩	ألا تقتلون، أيمنهم	ألا تقاتلون، أيمانهم
٥١٣	١١	بنريل	بنزيل
٥١٥	١٠	هاربًا	هاربًا
٥٤٠	١١	آمان	آمن
٥٤٤	١٨	ابتدا	ابتداءً

ص (٥٤٨) سطر (١١) أرى دكتورنا العزيز يغض طرفه عن طائفة الزيدية في تقديمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث لم يعلق على هذه الفقرة التي هي بخلاف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة، ولا على تلك التي تقول بأن القرآن محدث! ولا على ما قاله ذلك الرجل (المرافق) في حق من اجتهد طاقته في ضيافتهم، فخانه الزمان المجدب، فبدلا من أن يشكره على كرم الضيافة وقد جاد بما لديه في زمن اعترف هذا الرجل بأنه زمن أغبر، وأن الرجل بالغ في الترحيب بهم،

إذا بـه ينتقـد تلك الذبيحة التي قدمها لهم ويصـفها بالهزيلة، وقد قيل في المثل: (الجود من الموجود) وغيرها من انتقادات في العقيدة قيلت في الحرم المكي . فما هو رأي دكتورنا وقد صدر الكتاب دون تعليق[1] .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥٥١	١١	وأبدي، فأظهر	وأبدى، فأظهرا
٥٦٣	١٣	فسألناه	فسألنه
٥٧٣	٤	وأطهرا	وأظهرا
٥٧٥	٢، ١٢	غريبا ـ السرويين	غريبًا ـ السرويون

هذا ما تيسر ضبطه، والله من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . علي ابن محمد بن سـدران الزهراني . في:٢٧/ ١٠/ ١٤٣٣هـ . منطقة الباحة. محافظة القرى. مدينـة الأطاولة . ص.ب:١١١. هاتـف: (٠٥٠٥٨٧٩٠٩١) . كما أهدي دكتورنا العزيز آخر مؤلف أصـدرته بعد شهر رمضـان المبارك، وهو بعنوان: **من قضاة زهران** .أرجو أن تحوز مادتـه العلمية على رضـاه، ومعه نسـخة أخرى أرجو وضـعها في مكتبـة الجامعة وله مني الشكر والتقدير.

ثالثاً : آراء وتعليقات:

١. نحـن لا ندعـي الكمال في أعمالنـا العلمية، وإنما نرحب ونحبـذ كل نقد بناء من أجل الوصـول إلى الحقيقة، وهذا الديدن الذي سرنا عليه منذ ثلاثة عقود، وسوف نواصل السـير في هذا المنهج . وما وصـلنا في هذه الورقات يعد إضـافة علمية جيدة، ونشكر صـاحب هذه التصـويبات على ما قدم وبذل من جهد يذكر فيشكر، ونسأل الله العلي القدير أن لا يحرمنا جميعًا أجر ما نقوم به، كما نسـأله أن يدلنا دائمًا إلى الصـواب وقول الحق والحقيقة .

٢. ذكـر صـاحب التصـويبات كثـيراً مـن التصـحيحات القيمـة، ونأمـل أن نأخـذ بأغلبهـا إن شـاء الله ، عندمـا نعيـد طباعـة الكتـاب، وهـذا أمـر سـوف نعمـل عليـه في الزمـن القريـب القـادم، وهـو إعـادة طباعـة الجزءيـن الأول والثـاني بالإضـافة إلى جـزء ثالـث جديـد في طبعته الأولى وتحـت العنوان نفسـه، **دراسـات في تاريـخ تهامـة والسـراة خـلال القـرون الإسـلامية المبكـرة والوسـيطة (ق١٠.١ هـ / ١٦.٧م)** .

(١) يا أسـتاذ علي اتصـال الزيدية ببلاد السراة موضوع كبير ويسـتحق إلى أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية وبخاصة في القرون الإسـلامية الوسـيطة . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في درجة الماجستير أو الدكتوراه . (ابن جريس).

٣. أنادي من على صفحات هذا الكتاب العلمي كل أبناء غامد وزهران الجادين المجدين أمثال ابن سدران وأشباهه أن يضاعفوا الجهود في دراسة تاريخ وتراث وحضارة بلادهم، وهم في الحقيقة أولى وأجدر أن يتولوا ذلك، وكما قال صاحب التصويبات في ثنايا ملحوظاته (**أهل مكة أدرى بشعابها**) وهذا قول صحيح وحقيقي فأهل بلاد غامد وزهران أدرى وأعرف بتاريخ أوطانهم وموروثها الثقافي والحضاري.

٤. أرجو أن تتحرك شجون وهمم أرباب القلم من الغامديين والزهرانيين عندما يقرؤون ما تم طرحه في هذا السفر، ومن ثم يكملون ما لم نستطع الإتيان به، أو يصححون ما وقعنا فيه من أخطاء غير مقصودة، أو يقدمون دراسات علمية أكاديمية منهجية في موضوعات تاريخية حضارية جديدة . وكما ذكرنا في أكثر من مكان من هذا الكتاب أن منطقة الباحة تستحق الشيء الكثير من أهلها وأبنائها وهم مؤهلون لذلك (بعون الله تعالى) .

٥. أكرر شكري وتقديري وامتناني للأستاذ علي بن سدران الذي أهدى إلى عيوبي وأخطائي في الكتاب المذكور عنوانه في أول هذا القول . ونرجو من كل باحث وطالب علم نزيه أن لا يبخل علينا بما يكتشف من أخطاء في بحوثنا ودراساتنا المنشورة، ونعد كل من يدون لنا أخطاءنا أن ننشرها كما وصلتنا تحت اسم صاحبها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٦. ما تم إيراده من تعليقات في الحواشي نذكر في آخر كل حاشية كلمة (ابن جريس) . وإذا كان هناك حواش من إعداد صاحب التصويبات نورد كلمة (ابن سدران) . وذلك للتمييز بين أقوالنا وأقوال صاحب هذه الأقوال .

٧. نشر مثل هذه التعليقات والتصويبات العلمية تثري الساحة الثقافية والفكرية والعلمية، ويجب أن يصحح بعضنا لبعض من أجل الوصول إلى الحقيقة والعمل الأكاديمي الجيد (والله من وراء القصد) .

الدراسة الرابعة عشرة

منطقة الباحة في عين أحد أبنائها

بقلم

د . / يحيى بن عبد الله السعدي العبدلي الغامدي(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) ، ط١
(١٤٣٤هـ ، ٢٠١٣م) - (الجزء الخامس)
الرياض : مطابع الحميضي ، ص ص ٢٨٧ - ٣٠٠

الدراسة الرابعة عشرة : منطقة الباحة في عين أحد أبنائها . بقلم الدكتور / يحيى بن عبد الله السعدي العبدلي الغامدي[1]

م	الموضوع	الصفحة
أولا	: مدخل	٤٨٨
ثانياً	انطباعات ومشاهدات	٤٨٩
ثالثاً	خلاصة القول	٤٩٨

أولاً : مدخل :

إلى أخي الغالي، الأستاذ الدكتور / غيثان بن جريس سلمه الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: أخي الكريم، إن الحديث عن منطقة ثرة كمنطقة الباحة في ورقات معدودات، ليعُد ضرباً من الخيال، ودخولاً في مجال المحال، وقد ترددت كثيراً، وقَدَّمت وأخّرت، وأبرمت ونقضت، وبدأت وأعدت، ولكن لم أجد عن تلبية رغبتك مصداً ولا من إنفاذ مطلبك بدّاً، فلم يمكنني إلا إسعافك فيما طلبت وإجابتك فيما إليه ندبت، فإنك متفضل والمتفضل المحسن لا يقصى، ولا ينسى، أو يُعصى، وأراك قد هونت عليّ الخطب ويسرت عليّ الأمر، بإشارة لطيفة، وعبارة شريفة ؛ بأن مرادك بالاستكتاب عن هذه المنطقة، ليس الغوص في أعماق التأريخ وسوقه في سطور ملاحم السرد والتوثيق، والتحليل والتعليق والتكميل والتدقيق، وفق المنهجية العلمية المعتبرة، والطريقة التأريخية المشتهرة، وإنما الغاية والمرام، إعطاء ملامح عابرة، وومضات سائرة، مما استقر في النفس والخلد، وتنامى مع الأيام عن ذيّاك البلد . ولذا فإنني دونتُ بعض الانطباعات عن بعض الجوانب المتعلقة بالمكان والسكان استوحيت بعض ملامحها من أول رؤية لي لهذه المنطقة، وقد كان ذاك في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف عندما دخلنا إليها من الجنوب متجهين لمدينة الباحة لصلة بعض الأقارب ومن ثمّ إلى مدينة الطائف . فكانت هذه الزيارة

---

(١) يحيى عبد الله السعدي العبدلي الغامدي من مواليد مدينة أبها عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) قضى معظم حياته في مدينة أبها وتعلم في مدارسها وكلياتها . عمل في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ثم في جامعة الملك خالد، أما والده عبد الله السعدي فقد ولد في بلده ومسقط رأسه "مسب" وهي أحد أحياء حاضرة الباحة اليوم، عمل في الدعوة في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية وشمالها، وذهب إلى اليمن للاستزادة في طلب العلم . ثم استقر به القرار في مدينة الطائف حتى وافاه الأجل عام (١٤٢٥/٧/١٢هـ) . ونأمل من أولاده الكرام أن يجمعوا تراثه ووثائقه ومروياته ومدوناته ودراستها ونشرها، وتصحيح عدد من الأقوال والروايات التي نسمع ذكرها في العديد من مجالس المناطق الجنوبية فيما يتعلق بحزمه وشدته وقسوته على الناس أثناء عمله في الدعوة بهذه الأجزاء الجنوبية . للمزيد من التفصيلات عن الشيخ عبد الله السعدي الغامدي وابنه الدكتور يحيى انظر، غيثان بن علي بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) . (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٧٧م) (الطبعة الأولى) ص ٣٣٦-٣٣٨ . (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) الصفحات نفسها (٣٣٦-٣٣٨) . للمؤلف نفسه . من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية: محمد أحمد أنور (دراسات، وشهادات ووثائق) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٣٠٧ وما بعدها .

في إحدى منازل الربيع لعلها منزلة " الرشا " والأرض مخيرة والسماء مطيرة، فعلقت تلك الرؤى بالذاكرة واستمرت على مرِّ السنين بصحبتي مسافرة، فاستمطرت بعضاً مما علق بالذهن وبعض ما استقر في الذاكرة من مجموع القراءات عن تأريخها وما سمعته من والدي رحمه الله عنها، أو من أكابرٍ من عرفته من أهلها، فسبكت ذلك في عدد من الجمل والكلمات وأعلم أنني قد طويت كثيراً مما كان ينبغي التوقف عنده، وذكر القبائل والأعلام والمواقع والبلدان غير أن أدنى ذكر نشأ من ذلك ينتهب الوقت ويستغرق الأسفار مما لا أطيق معه التوفيق بين تدوينه وبين التزاماتي الأخرى فاستميحك العذر وأستميح كل من قرأ ما كتبت بأن ما دونته هنا لا أعطيه أكثر من اسم انطباعات عن مشاهدات وقراءات .

ثانياً : انطباعات ومشاهدات :

أخي الكريم ؛ إن منطقة الباحة ذات عمق تأريخي وبعد حضاري، يضرب في أعماق الزمن، ويحتل منه المقام والعطنْ، وفيها التاريخ آهل، وبندى راحها تفيض المناهل، فثمارها البدور الأماثل، والسيوف الصواقل، من الأواخر والأوائل.

أرض بها فلك المعالي دائر — والشمس تشرق والبدور تحوم
وبها من الزَّهر المنضّد أنجم — ولها على أفق السماء نجوم

أخي، إن رمت السؤال عن المكان ؛ ففي أعلى مكان فوق ذُرىً تبني الصقور بها أوكارها، وتحمي الأسود بها أشبالها وتهوى ظبي القاع كهفها وكناسها، شواهد وقنن، وسهول ودمن، ونجود وحزون، وغيوم ومزون . دقت في تخوم القاع أوتادها، ورفعت في العلياء أعلامها، وقبابها، وعلى الأمجاد لفت أطنابها، فعلى ثراها تعاقبت الأجيال وعلى رُباها أثمرت الآمال، فمرابعها للهدى مأوى ومعاهدها للوفا مرفى، قد حل الندى بها وهمى، وأثمر النجح بها وسما، تقع بين منطقة عسير ومنطقة مكة المكرمة فهي من أحوازٍ أرض الحجاز، وتمهد إليه المجاز، نالت من بركات دعوات المصطفى ﷺ . فكانت أرضاً طيبة، وأصوابها صيبة، فيها السحب جوامع، والغيوث هوامع.

بلادٌ بها الحصباء در وتربها عبيُرُ — وأنفاس الشمال شمول

لقد عشت بعيداً عن تلك الديار غير أنني لا أنسى أول ما رأيتها وقد كانت في أيام ربيع رائع، قد بلّ ثراها الطل والندى، وواكف السحب عليها جرى، وكل وادٍ وساح بها قد ارتوى

أحيى على رسم السحاب وقد سرى — نفس الربيع بلطفه ميت الثرى
وتلفعت بالزهر حتى .. خلتها — فُرشت بألوان الحرير مجوهرا
فترى جناناً والرياض ظلالها — بلطافة والنهر فيها كوثرا
أيام لا برد يضر بأهله — أبداً ولا حر يجور على الورى

كلٌ يتوقُ إلى النسيم ولينه لما جرى فوق النبات معنبرا

رأيت وادي الطرية طرياً أبيا، وماؤه صافيا ونقياً، قد تلوى به جدول رقراق، وتحنت عليه الغصون والأوراق، وتمايلت في لقاء وعناق، يدُ الصبا وترنح دوحها، والورق يطرب شدوها، والبلبل الصداح ينشر عرفها، فسرحت الأحداق، وساح الفكر وتاق، وهتف اللسان سبحانك يا جليل يا خلاق.

أشجاك النسيم حين يهب أم سنا البرق إذ يخب ويخبو؟
أم هتوف على الأراكة تشدو أم هتون من السحابة سكب
كل هذاك للصبابة داع أي صب دموعه لا تصب

وكلما غدوت السير، فإن في كل شبر روعة وكمال، وبهاء وجمال ونسيم واعتدال، وأنس واعتلال.

كلما هبت النسيم يفوح المسك من طي زهرها النضيد

أينما تلفتت العين فإنها لا ترى إلا الأزاهر والأنداء، والأشاول والأنواء. فأينما تمد طرفاً تجد ظرفاً جبال كساها إللّه بالحسن بُرداً منمنما.

أجد لشوق البشر والروح موسماً ربيع أتاها زائراً ومسلما
كسا عرصات الأرض برداً مفوفاً فقلدها منه وشاحاً منظما
أزاهيرها تحكي الأنجم الزهر نضرة وأنهارها الأفلاك والخضرة السما
إذا ما بكت عين السحاب رياضها ترى النور في أرجائها متبسما
ترى زهراً سبطاً وماءً مجعدا تظن على الألواح خطاً منمنما
إذا ماس عطف اللوز يشدو حمامها كأن له باللوز قلباً متيما
ينوح فلا أدري أخوف تفرق أم ارتاح، أو نال المنى فترنما

وماذا تحدث الكلمات عن رُبى قذانه وقد جللها العرعر الأخضر، أو عن سفوح حوالة وأثربها وقد اشتمل الرداء وتعطر شعاب ووهاد لا يمل سائرها، ولا يندمُ قاصدها، كل روض سمير أخيه، وكل طود مع تلة كأبيه، ترى على سفوحها وبقمم أجبالها القصور المشيدة بالحَجر والمطرزة بالمرو في نسق متلائم مع تلك الطبيعة الخلابة، وبهندسة بديعة أملتها الفطرة الوثابة.

فكأنما تلك القصور كواكب وكأنما تلك البقاع سماءُ
وبكل قطر جدول في جنة ولعت بها الأفياء والأنداءُ

تقرأ من خلالها مسيرة عزائم أهلها، وتصميم ذويها وتنبئك عن متانة أصلها ومحتدها، ودور الأجيال فيها

فلنا بتلك الجبال بيوت نحتتها أسلافنا لن تبيدا

كأنها بطريقة رصفها ونظمها قد أُعدت لتهلي وترحب، وتروي وتكتب، في قرى متصلات، ومنازل سامقات، تتعالى بها الشرفات، وترتفع بينها المنارات مهللات ومكبرات.

فتحارُ العيونُ في كل قصر نسجت متنه يدُ الآباء

ولا يكاد يخلو سفح أسيل، من قصر جميل، وظل ظليل، ونبع عليل لا تجوز من متنزّه إلا وحللت بآخر فتلقى الحمران ويلقاك وادي الحال، وأين منك وادي السكران (الشكران) ففيه :

تصفق أوراقٌ وتشدُ حمائم وترقصُ أغصان وتفتر غدران
وقد فرشت أقطارها لك سندساً له من فنون الزهر والنور ألوان
توافيك منه أينما كنت روضة ويلقاك أنى سرت روح وريحان

وتفيء إلى فيء بلجرشي وسايليها وعذباتها وقراها وجناتها الخضراء، ومساحاتها الغناء فترى جنباتها تفيض بالخيرات وتهدي المكرمات، وحزنة على شفير أصدارها ذات أطلال تحكي بتاريخها عن أجيال وأجيال، وقرى بني كبير وواديها وسفوحها ووهادها تكتنز الجمال وتفوق الخيال ومن لي :

بأرض كأن الروض في جنباتها تجر ذيول الهضب من فوق آكام
إذا صافحت غدرانه الريح خلتها تدرج أثراً في غرار حسام
ونام حوالها العرار كأنها تدير على النوار كأس مدام

وعلى مقربة من ردهاتها ترى وادي فيق بالبهاء يفيق وادٍ كساه الله من الحسن ما كسا.

كأن وجوه الأرض حسناً وبهجة منمق وشي حاكه يد صادق
صنائع رب العرش جل جلاله تبارك من ربٍ لما شاء خالق

يتهادى بك المسير فترى العين ما يروقها، وتسمع الأذن ما يشوقها حتى تحل بوادي الملد وشلالات المياه به تتحدر، وغديرها يترقرق وزهرها يتفتق، وشث وسذاب، وعررُ وعناب، تذهب غيمة وتجئ ديمة .

وقف السحاب على الربا متحيراً ومشى النسيم على الرياض مقيّدا
ويشوقني وجه النهار مُلثماً ويروقني خد الأصيل موردا

ولو نَهَدَتْ خطى السير قليلاً لحلَّت بالظفير، ولرأت الباحة وكأنها الأمل المومق، والصباح المشرق، تهللاً وبهاءً، وروعة ونقاء، فمقطنُها السماء، ومتكأها الأنجم الغراء، وعقودها من وضئ الكواكبُ ونصيفها وخمارها من داكن السحائب، وأسيل خديّها من لمع

البوارق، ولمى شفتيها من رضاب الغوادق، امتياحها من ركايا الغمام ومستقاها من صوب الضباب سحابها صدوق، وسيلها عذوق

ذات ارتجاز بحنين الرعد	مجرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الخدِّ لغير وجدَ	لها نسيم كنسيم الوردَ
جاءت بها ريح الصبا من بعدَ	فانتشرت مثلَ انتشار الوردَ
فراحت القاع بعيش رَغدَ	من وشي أنوار الرُّبى في بردَ
كأنّما غدرانها في الوهدِ	يَلْعَبْنَ من حَبابها بالنردِ

تبدو باهرة بباهرها، غيداء برغدانها، شادية بشداها . كم يحار الحديث في وصف حسنها، وكم تكبو الجمل عند بابها ودلالها . توسطت عقد الجمان بين غامدٍ وزهران .

هي باحة رقصت معاطفُ دوحها	وأتت بلابلها بحسن لحونها
غناء قبلها النسيم بمرّة	لما تزيَّن وجهها بعيونها
شفّت غرامي والغرامُ سواجعُ	جاءت على أفنائها بفنونها

ويبقى للجمال معنى ومغنىً في بني سار حيثُ الشهامة واليسار، وعج ببقاع بني حسن، وبها فارجحن، ففيها المواهب والفطن والفكر سرى والوجد همى بوادي القرى، وكن باللوى من بيدة لترى مأواها ومغناها وثمارها ومجتناها، وامتد في شواسع الرحاب لأرض الكرم والترحاب تجد المندق وبرحرح وتلك القرى والمنازل والجبال الشم ببرودها وبرانسها وعمائمها نسجُ لحمتها ووشي سداها من العرعر والزيتون المتضوع بعبير الشيح والريحان، وعبق العشرق والبعيثران .

وببهجة الزهر الأنيق إذا سرت	أنفاسه مسكية الأردان
وبصفرة المنثور منه وحمرة الورد	الجني وخضرة الريحان
وترنم الأطيار تحسبُ أنها	أصوات شاد مطربُ الألحان
وترقرق الماء القراح على حصىً	كالدَّر كالياقوت كالمرجان

لو تمهل المتمهل في رباها، وتملى المتملي في ذراها وعلاها وتجاسر الجسور لأصدارها، فرأى الأطوار والأغوار، لحفل العقل منه بمعانٍ تستلهم الفكرا، وتستنطق الحجرا، وتستعطف الشجرا لتصوغ عبارات تحمل العبرا، تتمازجً منها الأضداد، وتتعاند فيها الأنداد، فضحك البروق، في بكاء الغيوم، وسلوى النسيم في نشيج الرعود، وجحفل الريح وهديره، مع تراسل الغدير وخريره، ودموع السحائب في عطوف الحدائق تبسم منه الشقائق.

تبسم ثغر البرق، وانتحب الحيا	وهبّت عيونُ النور فيه من الغمض
كأن دنانيرا خلال دراهم	حكت ما حكت من أصفر بين مبيض
سقى الله تلك السحب ما سقت الثرى	لقد خلعت ثوب السماء على الأرض

صور متداخلة، وغصون متمايلة، وزهور متناسقة، وبلابل متناغمة،

فالروض مبتهج والماء مطرد   والورد مفتر وسط الميادين

إن سلوان النفس لا تنتهي مهما تطوف من تلك الديار وتحوم من تلك المرابع والأصدار، ترى الجديد يبوح بالقديم فطريف ماجد من تليد تالد .

أخي ؛ هذه نماذج من سرواتها، ومعان من فلواتها، ولكن لو هبطت التهائم وجلت فيها، لرأيت الحسن ينبع منها يتبدى يميناً وشمالاً وجنوباً وشمالاً، فنيراً، وناوان والزناد والأبناء ووادي خيطان وضيان، والمخواة والشدوان والأحسبة ووواديها، وعد لذي عين لتستنشق الكاذي والعشرق والأقحوان، واقرأ من الآثار ما شئت في عشمة أو في خلف والخليف، وطف بقلوة والشعراء والحجرة وما شئت من تلك القرى والوهاد لتلق المنائر والمنابر والآثار، مع ما أودع الله فيها، من البهجة والسرور والإناسة والحبور

هواها دواء للكئيب وربعها   سلوٌ لقلب المستهام المتيم
شذاها حياة للقلوب هنيئة   يحاكي عبيراً في أريج التنسم
فعطر قطاف الورد من ريح تربها   وأنعم بها في أرغد العيش وأنعم

أيها الشادي المغردّ، لا تلوم الخواطر، عندما تترامى بين قمم الجبال والسهول والتلال من سراة وتهامة إن توارى عن ذاكرتها قطر أو واد أو تل أو جبل، أو قرية أو مقام أو مكان فإنها جبال نايفات وسهول فسيحات وتلال واجماتٍ وقرى آهلات ومهما يكن فللخاطر نحو الشرقٍ في منطقة الباحة حضور وسياحة حيثٍ مغناه ظريف، ومعناه لطيف، يسكب التأريخ سكباً، ويحكي عن الحياة بألوانها مداً وجذباً، فبريق سهلها من تبالة إلى بيشة إلى تلك القيعان من واحتي جرب والعقيق، إلى المغنى الخصيب في مصب وادي نخال، وأودية تتحدر من طورها الغربي تسمو على المقال فتسيح في فسيح الرمال، فتزرى بالأقوال والأفعال . إنها تضاريس تزخرُ بشتى الأنواع من المعاني والأسجاع، من سهول وواحات تحكي عن رحابة الصدور وجبال شامخات تروي عن عزة الأجيال، وهضاب صليبات تَنُمُّ عن صلابة القلوب أمام المخاطر والأحداث، وشماريخ صامدات توازي صمود الرجال أمام تحديات الزمان .

إن مرت بها السنون الجائرة فهي معلمة الصبر للنفوس الحائرة وإن جللها القطر، وساح بسيحها فيض النعائم والإنعام فهي معلمة اليد السحاء، والروضة الغناء .

فأنهارها تجري، وأزهارها تضي   وأشجارها زينت بتين وأعناب
وسدر وطلح قد تدلت غصونه   وفيها نخيل مثمرات بأرطاب

وسعت أهلها وزائريها، وأنالت قاصيها ودانيها . أخي، من يلملم جنبات شاسعات، وأطواد شامخات، وأغوار غائرات في جمل منصفات وكلمات جامعات. ذاك شيء محال

ولكن خذها إشارات دلالات وومضات عابرات، ويكفي من القول بأنها منطقة تتنوع أرضها من نجود وسهول، وضراب وهضاب، وقمم شم وأصدار وتهم، وأنها تحتل من جبال السروات النصيب الأوفر من الحسن والدّل بجمال السهل والتل رافعة الجناب، عتيقة الأحساب.

هذه نفاثةُ بوح، عن أرضها وخطور خطرة عن حوزها تفيدك دلالة، وتمنحك إيماءة، وإن رمت المناخ فمناخها يتنوع كتنوع أرضها فقمم الجبال معتدلة الجو صيفاً يؤمها المصطافون وينعم فيها السائحون، ويهنأ فيها السائرون، وفي التهائم يميل إلى الحرارة غالباً برطوبة أحياناً فيكثر الراحلون إلى حجازها مصطافاً ومرتبعاً، وفي سهولها الشرقية دفء يميل إلى النشوفة أحياناً عندما تهب الرياح النجدية. أما الربيع ففي قمم الجبال يميل أوله إلى البرودة ومن بعد منتصفه يميل إلى الاعتدال مع اكتساء أنواع من الزهور والنبات وتكثر فيه الأمطار والجداول.

مجاميع من الوديان تسقي	**سقيط الطل أو درّ العهاد**
ملابسهن خضر مشبعات	**ضربن بلونهن إلى السواد**
إذا ذَرّتْ عليه المسك ريح	**رخاء تقتضيه يد الغوادي**
تخللتها الرياح فسرّ حتها	**صنيع المشط باللمم المعادِ**
وجرت وهنا بها وسرت عليها	**وطاب نسيمها في كل وادي**

ويتبع الاعتدال في قمم هذه الجبال اعتدال السهول الشرقية للمنطقة ويكون فيها المناخ ألطف آنذاك. وكذلك تخف حرارة تهامة ولاتزال نسائمها ترقرق الأنفاس وتلامس الإحساس.

أما شتاؤها ففي أوله يميل إلى البرودة ثم يشتد البرد فيه بعد مضي ستة وعشرين يوماً ويستمر مائلاً إلى البرودة، وكثيراً ما تنعم فيه تلك الجبال بنعيم الأمطار المدرارة والسيول الجرارة ولكن البرودة مع ذلك محتملة وبردها فيه ليونة وتدفعه الأصواف ووسائل التدفئة المتوسطة. أما السهول الشرقية فبردها أخف وطأة ولكنه قد يكون جافاً عند هبوب الشمال أو الشرق وأمّا أجواء تهامة، فلا حرٍ ولا قر ولا سآمة يهنأ فيه الشاتون ويؤمه الخلق الكثير من سكان السروات والفلوات بحثاً عن الأجواء الحالمة، تزدان فيها البقاع بأنواع النباتات وأشكال من الزهور المغريات وأوشال نديات غذيات رقيقات ناعمات.

نسيم كأنفاس الحبيب أتى به	**إلى حبّه صبّ يذوب من الوجد**
تدب إلى الروح اللطيفة روحه	**كما دب لطف الماء في قضب الرند**

أما فصل الخريف ففي قمم الجبال أوله لطيف ثم يبدأ ميله إلى البرودة ليلاً وتساقط فيه كثير من أشجار الفاكهة أوراقها وتهب فيه هبوب الشرق ويكون فيه أواخر الفواكه الموسمية من العنب والرمان وغيرها.

أما في السهول الشرقية فلا يزال فيه معتدلاً إلا أنها تكثر فيه الزوابع والأعاصير الرملية وشمسه في النهار حارة وليله يميل إلى البرودة وتتعاوره الريحان من صبا وشمالي. أما في تهامة فخريفها يؤذن برحيل الغبار وتقلص الأتربة ومبشر بحلول الشتاء ونسائم الجنوب والغرب ويعتدل فيها الجو ليلا وأما نهاره فلا يزال حاراً . هكذا يتنوع فيها المناخ تبعاً لتنوع تلك التضاريس بما يحقق في الغالب معنى تكامل الأجواء وتبادل المحاسن فإن كدر البرد أطوار الجبال رقت نسائم الأغوار وإن فاح حر التهائم عللت القمم النسائم .

وأغدو فتلقاني الرياح بطيبها فأحيا بريّها ويهتاج ذكرها
كأن فتيت المسك ينضح بعدها بكل طريق كأن فيه ممرها

وقد تقسو الجبال فترق السهول بمرأى الأغادير وأصوات البلابل والعصافير . وترسل النسمات رياح صباها والجنوب .

صبى نسيم الصبا إذ نفح وأرقه لمع برق لمح
وأذكره عيشه بالحمى وعهداً لقادم سرب سنح
فحن إلى السفح سفح العقيق فساح له دمعه وانسفح
وكان كتوماً لسرِّ الهوى ولكن جرى دمعهُ فافتضح

وإن زعزعت الريح رمال الشرق فتلقى سفوح القمم تمدُّ ذراعيها لزائريها وتحنو بوجد ريح الجنوب وأنفاس الشمال فتقول قلوب الكلمى :

تحملت الشمال سلام ليلى وكان جوابها مني الجنوبُ
فبحت من الجنوب بسر نفسي كما خص الشمال به الحبيبُ
فصرت إذا تنفسنا جميعاً أحن لما تولده القلوبُ

وخذ بإثر تلك المناخات المتنوعة والمواسم المتضوعة أصنافاً من النواتج المتعددة من الفواكه الموسمية فالسراة لها أنواع من الفاكهة كالتفاح واللوز والخوخ والمشمش والزيتون والعنب والرمان والتين والكمثرى، وكلها في مواسم الصيف والخريف، ولها أنواع من الحبوب كالبر بأنواعه والعدس والذرة البيضاء بأنواعها والدجر والشعير، ويمتاز السهل الشرقي فيها بإنتاج التمور وجودة العنب والرمان، وأما تهامة ففيها الموز والليمون وأنواع الذرة الحمراء والسيال والدخن ويكثر فيها شجر السدر والسلم وتشترك السراة وتهامة بإنتاج أجود أنواع العسل . بالإضافة إلى كل ذلك فيها من أنواع الحيوانات البرية والبلدية فتشتهر سراتها وسهولها الشرقية وتهامتها بالثروة الحيوانية المتنوعة في الشرق الإبل وفي السراة قليل من الإبل والأغنام والأبقار وفي تهامة الإبل وأنواع الأغنام من الضأن والماعز، وفيها من المعادن الثمينة وغيرها وبالجملة فهي منطقة ثرة غنية معطاءة بما وهبها الله تعالى وأودعه فيها وسخره لأهلها.

ومن رام الحديث بعد المكان عن السكان فسكانها هم الأماثل من أرومة الأزد الأوائل ينتمون إليه في أصلب عرق، وينحدرون من أماجد الأجداد وهم من رواد الهجرة السبئية الأولى قبل البعثة النبوية بعشرات من القرون فقر منهم القرار، وصار نصيبهم من البقاع هذه الديار وأفرعت منهم الأغصان وتحنت بالثمار لتثمر الحي من بني ماء السماء بطيبة الطيبة وتكون منهم جهينة وخزاعه وبنو ثمالة لتدركهم العناية الربانية فيكونوا لرسول الهدى ﷺ أنصاراً وأصهاراً، فيحيا ما اندرس من صلات أنساب ببني إسماعيل من قصي وكلاب، وما برحت تلك العلائق تترى جيلاً بعد جيل فمنطقة الباحة سكانها من بني الأزد جذمان عظيمان بقيا على مرِّ الزمان الاسم هو الاسم والرسم هو الرسم والمكان هو المكان، أصل ثابت وفرع سما في السماء بفروع باسقة وثمار يانعة وقبائل لامعة هما قبيلتا غامد وزهران، عم وابن أخيه نثرت نثائرهم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً صفوات تربعت على عروش من المجد وغدوا ذوي شأو وشأن حضور ذهني، ومثول واقعي في جاهلية وإسلام فهم قبل مبعث الرسول ﷺ في هذا الحي من العرب ذوو حظوة بين القبائل والعشائر، لهم مع المجد بذل وفي الواقع سيف ونصل كان منهم حكماء وحكام ساد منهم من ساد في عُمان وبقيت أنسابهم بها إلى الآن، بل إنه مر حقبٌ من الزمان عندما يطلق لفظ الأزدي أو الأزد فإنما ينصرف المعنى إلى هاتين القبيلتين وما تفرع منهما، ومنهم من قطن أرض العراق والحيرة وكان لهم بها الصولات والجولات جنود وقواد وحكام ودويلات هنا وهناك. وكذا فلهم ترحل بالجناح الغربي وبالقطر الشمالي من الجزيرة في الأردن وفلسطين وسوريا وشمال إفريقية وحل منهم من حل بأرض الأندلس وتحدرت منهم سلالات عربية وأعراق نقية . وتبقى ديارهم حافلة بأخبارهم وبها قرار العظيم من أجدادهم وأحفادهم ونبع محتدهم . وهاتان القبيلتان وما تفرع منهما من القبائل والعشائر تحف بها قبائل عربية صرفة تربطهم بهم أواصر النسب والمجاورة والأصل والمصاهرة فلهم بهم روابط عظيمة ومناسب كريمة وأواصر وصيلة، فتحفهم قبائل بلقرن وهي من أرومة الأزد وقبائل خثعم وشمران وقبائل أكلب وشهران وسبيع والبقوم الشلاوي وبني مالك من بني بجيلة والعوامر وبني زبيد. وسكان منطقة الباحة يحسنون المجاورة، ويحمدون المتاجرة ولهم رحلات أبيات لكسب العيش أو لنماء الأموال أو لطلب العلم في البلدان شأنهم في ذلك شأن قبائل العرب، وجاءهم الإسلام فكانوا من الطلائع الأولى فوفودهم بفهودهم إليه سباقة وللخير مشتاقة كان عدد وافر منهم من الصحابة الأبرار والعلماء الأخيار فمنهم الطفيل وأبو هريرة وأبو صخر وظبيان وأبو نعيم وآخرون. شاركوا في بناء لبنات طود الإسلام. فكان منهم القادة والجنود والعلماء والتجار، وقد فتحت بهم أقاليم من أرض الأعاجم وأرض الهند والسند .

يشيدون مجداً شأوه غير مدرك وطابت فروع منهم وأصول

رسموا للعبقرية مناراً، وللتأرخ أخباراً وآثاراً . وكان من التابعين ومن تابعهيم من اشتغل بالعلم فكانوا من أوعيته المتينة بأذهان فطينة وعقول رزينة، فحفظوا الأخبار والآثار.

لهم مع كمال المجد والعلم والتقى عقول على جيد الزمان عقودها
وكم لهم من همة تبلغ المدى وتخفق ما بين العوالي بُنودها

إن قرأت كتب الصحاح ألفيت منهم أفذاذاً أفصاح فلهم مشيخة في العلم للبخاري ومسلم وغيرهم وفي الفقه والتفسير وأصناف العلوم الدينية لهم باع طويل وعمق أثيل وإن تصفحت صحائف التأريخ وجدت لهم عقائل ومعاقل وأخلاقاً وشمائل .

يتنفس التأريخ عطر زهورها وعلى رؤاها كل قلب يخفق
لم يرحل التأريخ عن ساحاتها إلا بما يذكي النفوس ويغدق

وإن طاف خيال الأديب في روضة الخصيب، لملم من زهر آدابهم نواره العجيب فكم فيهم من أديب أريب، وحكيم مصيب وقوّال خطيب تجلى حَبْرَه في حبره، ويفضح زهر الأفق روضه بزهره وتتحقق النواظر حسن صنائعه، وما يدبجه القلم منه بأثره حتى كأنما ألقت فيه المحاسن ودائعها، وأجرت فيه اللطائف ينابعها،

حوو من بديع النظم والنثر ما رقى إلى درجات لا يُرام علاها

وكم فيهم من شاعر يحوي المشاعر فيسوق من معاني البلاغة أحسن الأنواع، بما يشرف الأبصار ويشنف الأسماع، ويسلب النفوس، ويسبي الألباب.

وناظم إن قال شعراً فقد أزرت قوافيه بدرّ العقود

كم خلف شعراؤهم من الأبيات الأبيِّات، الصادرة عن السجيات السخيات ما شئت من بدائع إبداع، وروائع يراع، تقف الفصاحة عندها وتستظل بظلها وتقفوا البلاغة حدَّها ورسمها، بمعان حيّرت المعاني، حاك الربيع وشيها، وامتثلت الأقلام أمرها ونهيها، كانت فصارت جامعة للحسن والإحسان، بارعة الفنون يانعة الأفنان . ولهم في العربية قطوف سوية وثمار شهية ولو لم يذكر من دعائمهم الأولى غير الخليل بن أحمد الفراهيدي لكفى به شاهداً ومشهوداً. وإن رمت مجال الكرام فلهم بين أيديهم الباع الطولى، والرتبة الأولى، فكم منهم كريم سخي .

كالبحر يقذف للقريب جواهراً كرماً ويبعث للبعيد سحائباً

وبين الفوارس هم بنو بجدتها وحماة بيضتها هم جنود أوفياء وقادة أكفياء لا يحبون الاعتداء ولا يقبلون الضيم ولا تزعزعهم العواصف أو تثنيهم القواصف .

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِّما

دأبهم البُنا في صفوف البناة والتفاني في إسداء الأسهام والبذل في مجتمعهم صحبوا القرون الأولى وساروا في ميادين قرون تترى سائرون بثبات ونجاح ساعدتهم رحلاتهم التجارية والعلمية على اكتساب الخبرات ومعرفة المجتمعات وأنماط التصرفات فأفادوا من ذلك .

وأن البنـان لتشـير إلى أعلامهـم ، وتزف الصـحائف أخبارهم، وتـرق الأوراق إلى أقلامهم فيبكي لهم اليراع وتحن لهم الأوراق يبني أواخرهم على بُني أوائلهم .

نـبـنـي كـمـا كـانـت أوائـلـنـا تـبـنـي ونـفـعـل فـوق مـا فـعـلـوا

وفي عصـرنا الحاضـر لهم الإسـهام في المجتمع الكبير بعلماء أصـفياء في فنون من العلم أبانوا الشـرع وحملوا لواء الدين وجددوا معالم اليقين وأسهموا مع صفوف السابقين الصحوة الحق وفق الشرع الصافي القويم وكان منهم المفكرون والأعلام والأدباء والشعراء الذين أثروا مكتبات الثقافة ودور العلم والنشر والصحافة ووسائل الإعلام بأصنافها وكان منهم القادة العسكريون والجنود المنتظمون المخلصون . وكان منهم المخترعون والبارعون والموهوبـون وكان منهم الأطبـاء الباذلون الماهرون ومنهم أعـلام التجار وخبراء التجارة والاقتصاد ومنهم المهندسون وأساتذة الجامعات لقد طرقوا جميع مجالات الحياة يعملون مع بني مجتمعهم في رأب الصـدع ولم الشـمل فسـاهموا في دفع عجلة النهضـة المعاصرة والعمـل بجـد وإخلاص في بناء هذا الصـرح العالي وموطننا والحمـد للّه يبني من أرومة عريقة ويضم قبائل عريقة في شرقه وشماله ووسطه وجنوبه وغربه أنى توجهت تجد العز والفخار كل منهم يفتخر بأنه مادة الإسلام وصلب العربية.

ثالثاً : خلاصة القول :

وختامـاً أقـول إن مجتمعنـا الكبير قـد بني على عُمد صـلبة وركائز فـذة، وتحقق له مـن مقومات النجـاح والثبات ما يكـون به في أعلـى المقامات فعقيدة راسـخة نقية، تحل في قلوب رضـية، وتفكر بها عقول سـوية، وتمضـي بها رجال أبية، تربط بينهم الصـداقة القوية، وموطن متوسـط فسـيح، يحمل الدين الصـحيح، أودع اللّه فيـه خزائن الخيرات المتنوعة، وأكرمه بأشـرف المقدسـات وجعله قبلة لأهل الطاعات، وأرشـد ذويه إلى سبيل النجاة وأصـفى المعتقدات، ووعدهم بالتمكين إن هم أقاموا على دينه، وساروا على سبيله فيما وهبهم، وشـكروا واهبها ومسديها (لئن شكرتم لأزيدنكم)، فعزّنا وفخارنا ومجدنا وتالدنا وطريقنا هو الإسلام أولاً وآخراً فلا عزة إلا فيه ولا منعة إلا به، ولا اعتماد إلا عليه، فنحـن أحوج ما نكون إليه فيـه عزتنا ومنعتنا وبقاؤنا . اللهم فأعـز دينك وارزقنا الثبات عليه واجعلنا ممن ينميه في النفوس ويزرعه في القلوب ويتمثله في السـلوك والتصـرفات، ويذبُّ عنه ويحميه ويعلي شـأنه ويبنيه ويدعو إليه وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصـحبه وسـلم أجمعين . محبكم/ يحيى بن عبد اللّه السـعدي العبـدلي الغامدي في (٢/١/١٤٣٤هـ / ١٦/١١/٢٠١٢م) .

الدراسة الخامسة عشرة

رحلتي من بارق عسير إلى المخواة وقلوة
(مشاهدات وقراءات) (تهامة غامد وزهران تحديداً)

بقلم: أ. د. غيثان بن علي بن جريس(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة)، ط١
(١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م) - (الجزء الثاني عشر)
الرياض: مطابع الحميضي، ص ص ٢٤٩ - ٣١١

الدراسة الخامسة عشرة : رحلتي من بارق عسير إلى المخواة وقلوة (مشاهدات، وقراءات) (تهامة غامد وزهران تحديدا)[1] .

أولاً : مدخل :

يشتمل هذا البحث على صور من تاريخ بلدان تهامة الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة زهران، ويتكون من محورين رئيسيين هما : (١) ذكر شيء من تاريخ هذه البلاد من خلال مشاهداتي وانطباعاتي أثناء رحلتي في مناكبها . (٢) تدوين صفحات من تاريخها في العصور الإسلامية المختلفة المدونة في بعض المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة[2] .

ثانيا : رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات، وانطباعات) .

خرجت من مدينة أبها، في رحلة علمية، لمدة خمسة أيام، من صباح يوم الخميس إلى مساء الاثنين (٧-١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق ٥-٩/١/٢٠١٧م)، وكانت وجهتي إلى محافظة محايل عسير[3]،

---

(١) شملت رحلتنا البلاد الممتدة من بارق إلى قلوة، ونشرت تلك الرحلة في الجزء الثاني عشر من كتابنا (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٢٤٩ – ٣١١، وفي هذا الكتاب أقتصرنا على نشر ما يختص بتهامة غامد وزهران وبخاصة محافظتي المخواة وقلوة وما حولهما .

(٢) المزيد من التفصيلات عن بلاد تهامة الممتدة من شمال محايل إلى مدينة قلوة الزهرانية، انظر كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٢٤٩ – ٣١١، وفي هذا السفر الخاصة بمنطقة الباحة حاولنا جاهدين حذف المادة العلمية الخارجة عن تهامة غامد وزهران، وأحيانا أبقينا بعض المعلومات المتعلقة بالبلاط الممتدة من بارق إلى المخواة وذلك لترابط الموضوع وتداخله .

(٣) محافظة محايل عسير، من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير، ولها تاريخ قديم وحديث ومعاصر، وحتى هذه الساعة لا نجد أي عمل علمي يصدر عنها، وسوف أكتب عنها كتابة موسعة في أحد أعمالي المستقبلية، ونأمل أن نرى أحد من أبنائها يصدر عنها كتابا أو دراسة علمية موثقة . للمزيد انظر : غيثان بن جريس "محايل عسير في العصر الحديث (دراسة تاريخية حضارية مختصرة " . بحث منشور في الجزء السادس من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ج٦، ص ٢٠٧-٢٣٧ .

ومنها اتجهت إلى محافظة بارق[١] ، وقضيت هذه الأيام الخمسة في مدن وقرى وجبال وأودية الأراضي الممتدة من مدينة بارق في تهامة منطقة عسير إلى مدينتي المخواة مدينة قلوة في تهامة منطقة الباحة[٢] .

١ـ المخواة وقلوة :

خرجت من العرضية الشمالية حوالي الساعة العاشرة صباح الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) ، وقضيت بقية ذلك اليوم ويوم الاثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ) في محافظتي المخواة وقلوة التابعتين لإمارة منطقة الباحة[٣]. وكانت المسافة بين طرف العرضيات الشمالي ومدينة المخواة حوالي (٢٠-٢٥) كيلومتر، وأثناء سيري في تلك الطريق ، ذات السير الواحد ، ما عدا كيلوات محدودة في الجزء القريب من حاضرة المخواة ، وهناك بعض القرى الصغيرة والقريبة من هذه الطريق ، كما لا تخلو تلك الطريق من محطات للوقود ومحلات تجارية صغيرة ، وبناشر وإصلاح عجلات للسيارات وبعض الخدمات الأخرى المحدودة . وعند وصول مثلث المخواة القنفذة تظهر لوحة إرشادية عليها سهم نحو اليمين ويذكر تحته أسماء (المخواة ، وقلوة ، وقرية ذات عين ، ثم الباحة) . وسهم آخر نحو اليسار ويذكر تحته (المظيلف والقنفذة) الواقعة على الطريق الدولي الذي يخرج من اليمين إلى مكة وجد ة . ويقابل مثلث المخواة من الشمال جبل أجرد متوسط الارتفاع ، فاتجهت نحو اليمين ذاهباً إلى حاضرتي المخواة وقلوة [٤].

---

(١) ورد اسم بارق في كثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة ، والبارقيون انتشروا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وبارق المعنية في هذه الدراسة تستوطن موقعها في تهامة منذ زمن قديم ، وأشارت المصادر والوثائق إلى شيء من تاريخها في العصر الحديث ، وكانت إحدى المراكز الرئيسية لمحافظة المجاردة ، وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فُصلت من محافظة المجاردة، وأصبحت محافظة مستقلة من فئات (ب) . وأقول إن بلاد بارق أحسن حظاً من غيرها في تهامة الباحة وعسير، فقد صدر عنها بعض الدراسات والبحوث المنشورة في هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث في مجلات ثقافية أو أكاديمية ، ومازالت أيضاً بحاجة إلى دراسات وبحوث نوعية في كثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية واللغوية والاجتماعية والثقافية .

(٢) تفصيلات رحلتي من بارق حتى دخول الأطراف الجنوبية لمحافظة المخواه تم حذفها في هذا الكتاب ، وهي مطبوعة ومنشورة في كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض ، مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) ، ج١٢ ، ص٢٤٩ وما بعدها .

(٣) في الماضي قمت برحلة ميدانية في منطقة الباحة لمدة عشرة أيام في (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ الموافق ١٥-٢٥/١٠/٢٠١٢م)، وزرت مناطق عديدة في تهامة وسروات هذه البلاد ، ومن النواحي التي زرتها محافظتي المخواة وقلوة وبعض الأجزاء التابعة لهاتين المحافظتين ، وللمزيد انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس) ، ص١٥٩- ٢٦٤. ومحافظتا المخواة وقلوة لم تخدما بحثياً ، ويوجد في منطقة الباحة عشرات الباحثين والدراسين وبعض المؤرخين إلا أنهم لم يخدموا بلادهم في ميدان الدراسة والبحوث التاريخية والحضارية والعلمية، وبلاد قلوة والمخواة من أكثر النواحي المنسية في ميدان الدراسات ، ونأمل من جامعة الباحة أن تدعم وتشجع من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان وغيرها من بلدان منطقة الباحة ، وهذا أمر ضروري وواجب على الجامعة .

(٤) المصدر : مشاهدات الباحث . في الساعات الأولى من يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٧هـ) .

أ ـ المخواة :

المخواة اسم لمحافظة واسعة الأرجاء في تهامة منطقة الباحة ، وتعد من المحافظات الرئيسية بعد محافظتي بلجرشي والمندق في السراة [١]. ويذكر أن المخواة سميت بهذا الاسم ، وسميت أيضاً بـ (رزقة) و (الصيادة) [٢] ، والمخواة هو الاسم الذي اشتهرت به منذ مئات السنين [٣].

وعند ذهابي من المثلث تجاه مدينة المخواة سرت في طريق مزدوج ، وشاهدت عليه العديد من المؤسسات الحكومية مثل : المستشفى العام ، وإدارة الضمان الاجتماعي، والإدارة النسائية التابعة لإدارة تعليم المخواة ، وبعد عدة كيلومترات وجدت سوق الثلاثاء الشعبي بالمخواة ، وفيه عدد من السيارات الكبيرة والصغيرة التي تبيع بعض الحبوب والأعلاف ، وذكر لي بعض التجار الذين قابلتهم في السوق أنه ينشط من عصر يوم الاثنين ويشتد نشاطه إلى مغرب يوم الثلاثاء. ويوجد في أطراف السوق بعض (الهناجر) الحديدية التي يستخدمها الباعة أثناء عرض بضائعهم ، كما يوجد على محيطه بعض الدكاكين المسلحة التي تعرض فيها تجارات عديدة خلال أيام الأسبوع. وواصلت سيري إلى وسط مدينة المخواة الحديثة فوجدتها تعج بالدكاكين التجارية المتنوعة في معروضاتها ، والعاملون في هذه المحلات من العمال الوافدين وأغلبهم من اليمن وبلاد الشرق مثل: الهند ، والباكستان ، وبنجلاديش ، وهناك عدد من المطاعم (والبوفيهات) ، وفيها عدد من السعوديين والعمال الوافدين الذين يتناولون بعض الأطعمة والأشربة . والملاحظ أن بعض السعوديين يجلسون مع بعض العمال ، وجلست قريباً من بعضهم لتناول بعض المشروبات ، فوجدتهم يتفاوضون ويتناقشون في بعض الأعمال التجارية والحرف المهنية[٤]. وقضيت ساعات عديدة أتجول في أرجاء المدينة ، والتقيت ببعض الإخوان

---

(١) للمزيد انظر تفصيلات عن منطقة الباحة في كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الأجزاء (الخامس ، والسابع ، والثامن ، والعاشر ، والثاني عشر) .

(٢) يذكر أنها سميت المخواة لأن أهل وادي ضيان وراش في بلدة المخواة تصاحبوا و(تخاووا) فسميت بهذا الاسم . أما رزقة : فهي ذات موقع استراتيجي لأنها تتوسط عدداً من النواحي ، والرزق والخير فيها كثيراً ، ومن يقصدها فإنه يسترزق من تجاراتها وخيراتها. واسم (صيادة) ، إذا كان إنسان له غريم أو ثأر عند أحد أقاربه فإنه يذهب إلى المخواة كي يصيد غريمه ، ويأخذ من ثأره . وتعرف أيضاً باسم (السر) ، لأنها مثل السر وسط الإنسان وذلك لتوسطها بين القرى والأودية . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان المخواة في ليلة الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) سوف يكون لنا حديث عن تاريخها وذكرها في بعض المصادر والوثائق في نهاية هذا المبحث . ونأمل من إحدى بناتنا أو أحد أبنائنا في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية ، والدارسين في برامج الدراسات العليا ، أن يدرس تاريخ حاضرة المخواة السياسي والحضاري خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة .

(٤) يكثر العمال الوافدون في كل مكان من البلدان التي مررت عليها في هذه الرحلة من بارق والمجاردة إلى المخواة ، إلا أنني شاهدتهم بكثرة في كل من المخواة والمجاردة ، وتراهم يتولون جميع الأنشطة التجارية والحرفية في أسواق هذه المدينة. وهذه ظاهرة تراها في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . وأقول إنهم يربحون ويجنون أموالاً كثيرة من هذه الأعمال ، والأولى أن يعمل الشباب الوطني في هذه المهن الجيدة ، وللأسف نسمع عن البطالة العالية بينهم ، وهناك فرص عمل مربحة لكنهم لا يرغبون العمل فيها .

الذين قاموا بالسير معي إلى ربوع هذه الحاضرة ، ثم ذهب معي بعضهم إلى حاضرة قلوة التي تبعد عن المخواة (٣٥) كيلومتراً نحو الشمال ، ثم العودة في مساء الأحد إلى المخواة[١]. ومما سمعته وشاهدته في المخواة ما يأتي :

١. تقع مدينة المخواة على ضفاف وادي ضيان وراش ، ومناخها حار في الصيف معتدل في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها بين الجبال والهضاب والأودية. ومن أهم جبالها شدا الأعلى وشدا الأسفل[٢] ، وجبل شعران في الناحية الشرقية ، وجبل الجرف الذي تقع عليه بلدة المخواة القديمة ، وجبل القيد في الشمال الشرقي من المدينة ، وجبل نبايع في الجنوب الشرقي[٣] . ومن الأودية : وادي راش الذي يمتد من أعالي عقبة الباحة نحو الجنوب، ووادي ضيان يمتد من الشرق إلى الغرب ، وتأتي منابعه من بلاد حزنة في سروات غامد ، ووادي بطاط ويمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال ، ووادي سقامة بين المخواة وقلوة ، وهو إلى المخواة أقرب، وأودية : ممنا ، ومنجل، وهوران ، ومليل ، والملح . وبعض الأودية السابقة مثل: راش ، وضيان وغيرهما تلتقي جنوب المخواة عند قرية المشايعة ، ومن هناك يبدأ وادي الأحسبة الذي يصب في البحر شمال القنفذة[٤] .

٢. يستوطن حاضرة المخواة عشائر بني عُمر بفرعيها الرئيسين العلي والأشاعيب[٥] ، وهم سكانها منذ عصور قديمة[٦] ، وفي العقود الماضية المتأخرة تغيرت التركيبة السكانية في هذه الناحية فاستوطنتها عناصر عربية أخرى من غامد وزهران وبعض العشائر في بلاد تهامة والسراة ، وهناك أفراد وأسر جاءت للعمل فيها من بعض بلدان المملكة العربية السعودية ، أو من دول عربية أخرى . كما يعيش في هذه الحاضرة اليوم أعداد غير قليلة من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الأتراك ، والهنود ، والباكستانيون ، والبنجاليون وغيرهم [٧] .

---

(١) هناك عدد من الإخوان الكرام الذين استقبلوني في المخواة وساروا معي في أرجائها ، ثم ذهبوا معي إلى مدينة قلوة ، وهم: الدكتور عبد الرحمن الشعشاع ، والأساتذة موسى بن داود العُمري، وعبد العزيز محمد العُمري، وعبد الرحمن حمياني، وعلي محمد عبد الهادي . وقابلنا في قلوة الأستاذ علي بن أحمد الهيمطي . فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا وقدموا .

(٢) انظر تفصيلات عن هذين الجبلين في صفحات تالية من هذه الدراسة .

(٣) يوجد في حاضرة المخواة عدد من الجبال التي تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة تفصل تضاريسها ، ومواقعها وما يوجد فيها من النباتات والطيور والزواحف وغيرها .

(٤) لم تدرس هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً واقتصادياً وآثارياً ، ونأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية تهتم بهذه الأوطان في شتى الميادين ، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٥) يقول بعض الرواة إن سكان بلدة المخواة قديماً من بني عُمر آل علي ، وفرع الأشاعيب هم الأكثرية في بني عمر ويستوطنون أماكن عديدة خارج قرية المخواة القديمة . هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء حاضرة المخواة في (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن قبائل منطقة الباحة في تهامة والسراة (زهران ، وغامد ، وبني عمر) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران ، للأستاذ علي بن صالح السلوك (الطبعة الثانية) (الرياض : منشورات دار اليمامة،١٤٠١هـ/١٩٨١م) (٣١٢صفحة) ، انظر أيضاً ، "فروع قبائل وقرى غامد وزهران وبني عمر" مجلة العرب ، السنة الخامسة ، ربيع الأول (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، الجزء التاسع ، ص ٨٧٤ـ ٨٧٩ .

(٧) غالبية هؤلاء السكان من الذكور ، وهناك عناصر نسائية محدودة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية يعملن في الخدمات المنزلية ، والقطاعات الصحية وبعض المهن التجارية والحرفية مثل: المشاغل النسائية ، والمدارس الأهلية وغيرها .

٣. تتمتع مدينة المخواة اليوم بالكثير من الخدمات الحديثة ، فجميع أبنيتها العامة والخاصة السكنية والتجارية مسلحة بالحديد والبلك ، وتتراوح عمائرها من طابق واحد إلى خمسة وأحياناً إلى ستة وسبعة طوابق ، والشارع العام الذي يخرج من مثلث المخواة المظيلف إلى قرية ذات عين في عقبة الباحة [١] ، أو قلوة، وهو الطريق الأكثر نشاطاً في الحركة الاقتصادية [٢] . وهناك قرى قديمة في هذه الحاضرة ، بعضها مازالت آثارها باقية ، والبعض الآخر تم إزالتها وحل بدلاً منها أحياء جديدة. ومن هذه القرى القديمة . قرية الجرف ، وهي بلدة المخواة القديمة[٣] . وقرى الحواجر ، والقزة ، والطناطنة جنوب وجنوب غرب المدينة . وقرى المدق، والمشايعة ، والحوى في الجنوب الغربي ، وقرى الأشاعيب في الشمال الشرقي[٤] . ومن أحياء مدينة المخواة الحديثة : حي الفيصلية غرب الطريق الرئيسي في المدينة، ويوجد فيه عمائر كبيرة ، ويحتوي على عدد لابأس به من المدارس وبعض الإدارات الحكومية. وحي الحدب غرب الطريق الذاهب من المثلث إلى عقبة الباحة ، وفيه بعض المؤسسات الإدارية مثل: المحافظة ، والبلدية ، والشرطة ، والمحكمة . وأحياء الخالدية ، والقفيل ، وسيال ، والأخير يوجد به بعض أبنية فروع جامعة الباحة في المخواة[٥] .

٤. شاهدت بعض المساجد القديمة المندثرة في بلدة المخواة القديمة ، وأصبحت غير صالحة للصلاة ، وهناك عدد من الجوامع الكبيرة المجهزة بجميع الأدوات والخدمات ، ومنها: مسجد الردحة وسط المدينة ، وهو من أقدم المساجد ، وحل محله جامع السوق ، ومسجد الحدبة في وسط المدينة ، غرب المستشفى القديم، ويعرف اليوم بجامع عمر بن الخطاب ، وهو من أكبر الجوامع ويُصلى فيه على الجنائز ، ومسجد الزربة في السوق القديم وحل محله جامع خالد بن الوليد ، ومسجد القزة وحل محله جامع القزة ، وهو من أقدم الجوامع في المخواة ، وجامع البخاري في حي الحواجر وهو أكبر وأحدث جوامع المخواة ، وجامع حي الفيصلية، وجامع إمام الدعوة ، وجامع أبو بكر الصديق [٦] .

---

(١) قرية ذات عين من الأمكنة الأثرية الهامة في المملكة العربية السعودية ، وهي غير مخدومة ، ومسؤولياتها على إمارة الباحة، والهيئة العليا للسياحة، فالواجب على هاتين الجهتين أن تبذلا قصارى جهودهما تجاه هذا المعلم التاريخي والأثري، وهو جدير بذلك . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥ ، ١٨٥ .

(٢) العمارة والطرق في محافظة المخواة جديرة بالدراسة ، وتستحق أن تكون عناوين لبعض البحوث والرسائل العلمية.

(٣) سوف نذكر عنها بعض التفصيلات في نهاية هذا البحث .

(٤) قرى بني عمر الأشاعبة في المخواة ، وجميع القرى التاريخية القديمة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٥) التاريخ الإداري والمالي لمحافظة المخواة من الموضوعات التي لم تُدرس إطلاقاً ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهلها ، أو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الباحة يدرس هذا العنوان دراسة علمية .

(٦) هذا ما سمعه الباحث من بعض الخطباء والدعاة ، وما تم حصره ، ومن المؤكد أن هناك مساجد وجوامع أخرى في مدينة المخواة وفي القرى التابعة للمحافظة . وأقول إن تاريخ الدعوة وتاريخ المساجد في عموم المدن والمحافظات التي مررت بها في هذه الرحلة من بارق إلى قلوة تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والدراسات . ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة وأصول الدين في جامعتي الملك خالد والباحة أن تفتح عدداً من مراكز البحوث التي تهتم بمثل هذه الموضوعات ، وهذا من واجبات هذه المؤسسات العلمية والتعليمية .

٥. ترتبط حاضـرة المخواة بطرق عديدة قديمة تتصـل بأجزاء عديدة في تهامة والسراة مثـل: قلـوة ، وسـروات الباحـة في غامد وزهـران ، والحجـرة ، ونـاوان، والقنفذة ، والمظيلف[١] . واليوم هناك طرق حديثة تربط أجزاء المحافظة بعضها ببعض ، وطرق داخلية مسفلتة تصل بين جميع الأحياء في المدينة.

أما الطرق الرئيسـية التي تربط المخواة مع غيرها من البلدان ، فهي (١) طريق جازان عسـير ثم العرضيات إلى المخواة . (٢) طريق بلجرشي المخواة عبر وادي حزنة ، وهناك عقبتان من المخواة إلى بلجرشي في السراة ، الأولى عقبة حزنة عبر وادي ضيان ، والثانية : من بلجرشـي إلى بني دحيم ثم وادي ضـيان . (٣) طريق من المخواة إلى قلوة والحجرة والشـعراء . (٤) طريـق من المخـواة إلى ناوان ثم المظيلف ، ويتفرع جنوبا إلى القنفذة ، وشمالا إلى مكة وجدة . (٥) طريق (عقبة) من المخواة مرورا بوادي راش إلى الباحة.

كما عرفت المخواة بعض الأسواق الأسبوعية ، وأهمها سوقها الشعبي القديم يوم الخميس[٢] ، وكان من أنشـط الأسـواق ، ويعرف اليوم بسـوق الثلاثاء ، ومازال قائما حتى الآن . وتكتظ المخواة اليوم بالعديد من السلع والأسواق الكبيرة والصغيرة الحديثة ، ومن يذهب على طول الطريق الرئيسـي في هذه المدينة فإنه سوف يجد جميع البضائع المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السـعودية وخارجها، ومن أكبر هذه الأسـواق الحديثة . سـوق الراية ، وسوق الحازمي ، ومركز الحياة التجاري ، وأسواق بن زرعة ، والأسواق الحرة [٣] .

٦. لا تخلو حاضـرة المخواة وما حولها من المناطق السـياحية الطبيعية مثل: وادي سـقامة شـمال مدينة المخواة ، وضـفاف واديي ضـيان وراشـ ، وقرية ذات عين، وجبلي شـدا الأسـفل والأعلى المطلان على المخواة وقلوة من الناحية الغربية. ولا يوجد داخل المخواة متنزهات أو حدائق من أعمال البلديات ، وإنما هناك متنزهان كبيران بين قلوة والمخواة ، وهما يقعان على مساحة كبيرة ، ومخدومان بالعديد من الخدمات مثل: دورات المياه ، وبعض الألعاب ، وممرات للمشي والرياضة ، والأشجار ومسطحات خضراء[٤] .

---

(١) تعد المخواة من البلدان الغنية بالزراعة ، والأسواق التجارية ، فكانت حلقة وصل بين الأجزاء السروية والتهامية الساحلية، وبعض البلدان المجاورة في تهامة زهران والعرضيات وعسير وغيرها . ودراسة التاريخ الاقتصادي للمخواة من الموضوعات الجديدة ويسـتحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسـالة علمية أكاديمية، وتاريخ الطرق القديمة والحديثة في محافظتي المخواة وقلوة من الموضوعات الجديدة في أبوابها ، ونأمل أن نرى باحثا جادا يدرسها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات المخواة ، ويوجد ذكر لهذا السوق في بعض الوثائق والمصادر التي يعود تاريخها إلى القرنين الماضـيين . ومن أهم السـلع التي كانت تصـدر من القنفذة إلى سـوق الخميس بالمخواة : الملح ، والتمور ، والأقمشة ، وسلع أخرى عديدة تصدر من الحجاز واليمن إلى القنفذة . كما يصدر إلى هذا السوق بعض سلع السروات مثل: اللوز ، والعسـل ، والسـمن ، وبعض الحبوب والمحاصيل السـروية . ودراسة تاريخ الأسواق الأسبوعية في محافظتي المخواة وقلوة من العناوين الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

(٣) ذهبت إلى بعض هذه الأسواق فوجدتها تشتمل على أنواع وأشكال عديدة من الألبسة ، والأطعمة ، والأثاث ، وأدوات أخـرى متنوعـة . كما وجدت العاملين فيها من الوافدين وبعض السـعوديين والسـعوديات . ومدينة المخواة تعد من المدن الكبيرة والرئيسية في تهامة الباحة وما جاروها .

(٤) مازالت مدينة المخواة غير منظمة في أحيائها وشوارعها ، فهناك عقبات في مداخل ووسط المدينة ، وهي بحاجة إلى شـبكة طرق أوسـع وأفضـل . كما تحتاج إلى فتح طرق كبيرة تدخل وتخرج وتحيط بالمدينة . وقد ذكرت ذلك لبعض رجالات المخواة من معلمين ومثقفين ، وكذلك أوصلت هذا الاقتراح إلى محافظ المحافظة وبعض وجهاء البلد .

٧. عرفت المخواة بعض الكتاتيب المحدودة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذا ما سمعناه من بعض الرواة في مدينة المخواة وما حولها ، وكذلك العثور على بعض الوثائق التي تشير إلى بعض الأعلام اليمنيين الذين كانوا يجتازون هذه البلاد أثناء خروجهم من اليمن لأداء مناسك الحج ، ومنهم من يتوقف في بعض المحطات لتعليم الناس القراءة والكتابة ، وشيء من القرآن الكريم (١) . بدأ التعليم النظامي في المخواة في بداية السبعينيات ، وأول مدرسة فتحت في عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م). ثم تزايدت عدد المدارس حتى أصبح عددها اليوم (٣٥٤) مدرسة ابتدائية / ومتوسطة/ وثانوية للجنسين (بنين وبنات) ، وعدد من رياض الأطفال، وإجمالي عدد الفصول (١٧٨٥) فصلاً ، يدرس فيها حوالي (٢٧٥٧٧) طالباً وطالبة، موزعون على أربعة قطاعات: المخواة ، وقلوة ، وغامد الزناد، والحجرة، ويشرف عليها إدارة تعليم المخواة (٢) . وافتتحت جامعة الباحة كلية العلوم والآداب في المخواة، وفيها بعض التخصصات العلمية والأدبية . وقد زرت تلك الكلية فوجدتها متواضعة في إمكاناتها وموقعها وخدماتها الإدارية والتعليمية (٣) .

أما النشاطات الثقافية والفكرية والدعوية فتمارس في المدارس ضمن برامج الأنشطة الطلابية ، وفي المساجد وبعض المراكز الدعوية المؤقتة التي تقام أثناء فصل الشتاء ، ويأتي من داخل منطقة الباحة وخارجها من يقدم المواعظ والدروس الدينية والثقافية في هذه التجمعات أو في جوامع المحافظة ، ومكتب الدعوة والإرشاد في المخواة يقوم بالدعوة والتنظيم لمثل هذه الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية . وذكر لي أثناء وجودي في المخواة أن نادي الباحة الأدبي اعتمد إنشاء لجنة ثقافية في مدينة المخواة، ومن مهام هذه اللجنة عقد الأمسيات الشعرية ، وإلقاء بعض المحاضرات الثقافية ، وقراءة بعض الروايات والقصص الأدبية (٤) .

---

(١) بعض المعلمين اليمنيين كانوا يتوقفون في بلدات وقرى من تهامة والسراة أثناء ذهابهم للحج ، ويقومون على تعليم بعض العلوم اللغوية والشرعية ، ويحصلون على أجور قليلة مثل الحبوب وبعض الألبسة أو النقود . وأيضا قرب المخواة من القنفذة وبعض حواضر السراة مثل بلجرشي وغيرها فجعل بعض الدعاة أو المعلمين يفدون إلى المخواة لتدريس أبنائهم وبناتهم وإمامتهم في الصلاة وقضاء حوائجهم الدينية مثل: تقسيم المواريث ، وعقد الأنكحة ، وخطب الجمعة وغيرها .

(٢) لم نجد تعليم أهلياً واسع ما عدا روضتين ومدرستين ابتدائيتين للبنات . وأقول إن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظات المخواة ، وقلوة ، والحجرة من الموضوعات الجديرة التي لم تدرس ، ويستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظات يتخذ من هذا الموضوع عنوانا لكتاب أو رسالة علمية . المصدر: أوراق وإحصائيات عديدة وصلتني من الأستاذ عبد الله عبد الهادي العُمري ، رئيس التخطيط المدرسي في إدارة تعليم المخواة ، وهذه الأوراق توجد ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.

(٣) تجولت في أمكنة عديدة من تهامة والسراة خلال الخمس سنوات الماضية ، وشاهدت بعض النواحي تعاني من عدم وجود أقسام أو كليات جامعية ، وأحياناً توجد فيها كلية أو كليتان فيها بعض الأقسام الأكاديمية المحدود ة والجودة فيها ضعيفة لنقص الإمكانات الضرورية ، وتدني مستوى المكتبات والمختبرات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة في إنجاز أعمالهم . وأستطيع القول بأن هذا النوع من التعليم العالي لا يختلف كثيراً في المستوى عن التعليم العام .

(٤) نأمل من أحد أبناء محافظة المخواة أن يدرس النشاطات الثقافية والفكرية في هذه الناحية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر ، ويحرص على جمع وتدوين النشاطات التي قدمها المعلمون الوافدون من بلدان عربية أثناء عملهم في مهنة التدريس في أنحاء المحافظة . والمؤكد أن هناك أساتذة وأعلاماً كان لهم إسهامات

ب ـ قلوة :

اسم قلوة جاء من القلي ، وهو شوي الشيء ، فيقال : قليت الحب أو اللحمٍ أي أنضجته، وربما سميت بهذا الاسم لشدة حرها أثناء فصل الصيف . ويقال أيضاً أن القلا : أي البغض والكراهية ، فارتفاع حرارة الجو في الصيف جعل الناس يكرهون الإقامة فيها . وربما نسبتها إلى مكان اسمه قلوة ، أوٍ إلى شخص يدعى قلوي أو القلوي ، أو القالي[(١)] . وتبعد مدينة قلوة عن المخواة شمالاً نحو (٣٠-٤٠) كيلومتر ، وتقع بين ثلاثة جبال رئيسية: شد الأعلى في الجنوب ، وجبل نيس في الشمال ، وجبل ربا في الناحية الشمالية الغربية ، ومساحتها تقريباً (٣×٥) كيلومترات ، ويعبرها شارع مزدوج من الشمال إلى الجنوب ، ويقدر عرضه بـ (٤٠) متراً ، ويطلق عليه شارع الملك فهد ، وشوارع أخرى صغيرة تتفرع من هذا الشارع الكبيرة ، وبعضها مزدوجة وأخرى ذات اتجاه واحد[(٢)] . ومعظم سكانها الرئيسيين من قبائل زهران ، ومن العشائر التي تستوطنها ، عشيرة قلوة ، وعشير ة الأحلاف ، وفي أجزاء من محافظة قلوة عشائر تتبع بعض القبائل الزهرانية في السراة[(٣)] . كما يوجد في مدينة قلوة العديد من الأجناس العربية وغير العربية الذين يعملون في مهن وحرف اجتماعية واقتصادية وسياحية عديدة[(٤)] . ويعيش فيها أفراد وأسر عربية سعودية جاءوا من أمكنة عديدة في جنوب البلاد السعودية وغيرها للعمل والإقامة ، وأكثر من يستوطنها من هذه الشريحة قبائل غامد وزهران وبني عمر ، وذلك لقربهم من هذه البلدة ، ولصلاتهم النسبية والعرقية مع سكانها الأصليين[(٥)] .

ويبدو أن مدينة قلوة أفضل من مدينة المخواة في تنظيمها وتخطيطها ، فيوجد فيها وعلى مقربة منها بعض الحدائق والمتنزهات الجميلة ، ومنازلها وشوارعها ومرافقها في

علمية وثقافية وأدبية وفكرية ، وجمع مادة هذا المحور من الرواة والطلاب والرجال الذين عاصروا تلك الحقبة الممتدة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن.

(١) هذه اجتهادات من الباحث ، وقد سألت في محافظة قلوة عن سبب التسمية فلم يفدني أحد بالسبب الصحيح لهذه التسمية، وقد يكون عند بعض رجالها تعريف دقيق وصحيح ، وآمل أن نرى باحثين جادين من أهل قلوة يقومون على دراسة تاريخها وأنساب سكانها وحضارتها . ولمزيد من التفصيلات عن كلمة القلى أو القلوي انظر فعل (قلا) في معجم لسان العرب لابن منظور.

(٢) مشاهدات الباحث مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) محافظة قلوة كبيرة المساحة ، وزيارتنا اقتصرت على مدينة قلوة التي هي مركز المحافظة ، وقد زرت هذه المحافظة وكتبت عن شيء من جغرافيتها وتاريخها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، انظر كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٤) العناصر العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية يوجدون في جميع مدن وقرى البلاد ، وهم مقيمون مؤقتون في وظائفهم وأعمالهم ، وعند الانتهاء يعودون إلى أوطانهم .

(٥) قبائل زهران ، وغامد ، وبني عمر في تهامة والسراة متداخلون في البلاد ، وفي الأنساب وفي الصلات الثقافية والاجتماعية والجغرافية . وهذه القبائل الثلاث تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب والدراسات التاريخية والحضارية والاجتماعية واللغوية والثقافية وجامعة الباحة عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات والبحوث العلمية.

وضع أحسن مما رأيت في مدينة المخواة، والواضح أن بلدية قلوة لديها رؤيا وحسن تدبير في تخطيط المدينة ونظافتها وتنظيمها. والمنازل العامة والخاصة في المدينة تتراوح من دور واحد إلى أربعة أو خمسة أدوار، ومدينة قلوة أصغر مساحة من مدينة المخواة، وذكر لي أنها أقدم الإدارات الحكومية في تهامة غامد وزهران في العصر الحديث، ويوجد فيها اليوم معظم المؤسسات الحكومية وبعض الإدارات الأهلية مثل: البنوك التجارية، وبعض المستوصفات الخاصة[١]. ورأيت فيها عدداً من المساجد والجوامع الكبيرة مثل: جامع الملك خالد، وجامع ابن عثيمين، وجامع المنح، وجامع الخليف، وتقع جميعها شمال المدينة، وجامعي الملك فهد، والسوق الشعبي وسط المدينة، وجامعي بن باز، وضبيعة في جنوب المدينة[٢].

ويذكر لنا علي أحمد الهيمطي[٣] أن أول سيارة دخلت إلى قلوة كانت في بداية السبعينيات[٤]، ثم تسير إلى بلدتي المخواة والحجرة. والطرق الرئيسية التي تربط قلوة مع غيرها من البلدان المجاورة. (١) طريق قلوة المخواة. (٢) طريق قلوة حفار، وحفار مركز إداري على الساحل بين القنفذة والليث. (٣) طريق قلوة الحجرة ثم يسير إلى الشعراء وإلى الشاقة الجنوبية التابعة لمحافظة الليث. (٤) طريق من قلوة إلى الباحة في السراة عبر عقبة الملك خالد[٥].

ومن الأسواق الأسبوعية في مدينة قلوة وما جاورها من المراكز والنواحي. (١) سوق الثلاثاء في بلدة قلوة، ويعمل يوم الاثنين ويعرف بالثلاثاء، والسبب أن سوق المخواة يعمل الثلاثاء، وكان يقام يوم الخميس، لهذا رأى أهل قلوة أن يعقد سوقهم يوم الاثنين حتى لا يتضارب زمنياً مع سوق الثلاثاء في المخواة. (٢) سوق خميس الشعراء في مدينة الشعراء، ومازال قائماً حتى الآن. (٣) سوق الأحد في مدينة الحجرة، ويعمل حتى اليوم[٦]، (٤) سوق السبت في الرميضة ويتبع لمحافظة قلوة، وهو حديث النشأة. أما الأسواق الحديثة في مدينة

---

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي أحمد الهيمطي في منزله بمدينة قلوة مساء الأحد (١٤٣٨/٤/١٠هـ).

(٢) مشاهدات الباحث عصر الأحد (١٤٣٨/٤/١٠هـ).

(٣) أحد أعيان ووجهاء مدينة قلوة ومن المعلمين الأوائل في هذه المحافظة، وله سيرة ذاتية من تدوينه نشرها في كتاب بعنوان: هذه سيرتي، ولا يوجد عليه معلومات للنشر، ويقع في (١٤٥) صفحة من القطع الصغير، ونسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث.

(٤) المصدر نفسه، كما أجريت مع الهيمطي مقابلة بمنزله في مدينة قلوة يوم الأحد (١٤٣٨/٤/١٠هـ).

(٥) اسم هذا الطريق سابقاً، عقبة مساعد، نسبة إلى مساعد بن رقوش، أحد شيوخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتسير من ديار عشائر بيضان في السراة حتى تصل إلى أعالي وداي دوقة، ومنه إلى مدينة قلوة، وهي غير مستخدمة في الوقت الحاضر. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ٢١٥. وأقول إن الطرق والعقبات في بلاد غامد وزهران وبني عمر تهامة وسراة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، ونأمل من بعض أساتذة جامعة الباحة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الجيدة والجديدة في بابها.

(٦) زرت هذا السوق وكتبت عنه أثناء زيارتي لمنطقة الباحة في (١٤٣٣/١٢/٩-١١/٢٩هـ)، وهو من الأسواق التاريخية القديمة، للمزيد انظر، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص١٨٢.

قلوة فهي منتشرة في أنحاء المدينة وتتفاوت في الأحجام والسلع ، ومن أكبرها: مركز العائلة ومعظم سلعه مواد غذائية وسلع أخرى ضرورية، وسوق (مول) الرواد ، ومجمعات ابن مستور، والهيمطي، وسيتي مول ، ومعظم المعروضات في هذه الأسواق ألبسة وأدوات للزينة [١] .

يتحدث بعض الراوة عن التعليم في قلوة ، ويذكرون أسماء بعض المعلمين القدماء الذين مارسوا القراءة والكتابة قبل السبعينيات ، وكانوا على قدر بسيط من المعرفة، وأحياناً يخلطون بين ممارسة الشعوذة والتعليم [٢] ، ثم افتتحت أول مدرسة في بلدة قلوة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وفي تلك المدرسة معلم واحد ، يدعى حسين بن محمد بن خماش العمري ، يقوم على تدريس الطلاب صباحاً ومساءً ، واستمرت هذه المدرسة إلى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) ، وتخرج فيها خمسة طلاب ، وعُيّن منهم ثلاثة معلمين، اثنان في المدرسة نفسها ، وهما: عبد الخالق بن مستور ، ومستور بن أحمد. والثالث يحيى بلقرون الذي صار معلماً في دوقة الأحلاف[٣] . وفي السبعينيات أيضاً وصلت إلى المنطقة جهود الشيخ القرعاوي الذي نشر الكثير من كتاتيبه ومدارسه في بلدان عديدة من تهامة والسراة[٤] . وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) توقفت مدرسة قلوة حتى عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ثم افتتحت المدرسة مرة أخرى ، وتلاها فتح مدارس عديدة للبنين والبنات ، حتى أصبح التعليم العام منتشراً في جميع قرى محافظة قلوة . وافتتحت أيضاً بعض الأقسام العلمية الجامعية في كلية العلوم والآداب في قلوة ، ويوجد موقع جديد لكلية التقنية ، ومدرسة واحدة محدودة للتعليم الأهلي[٥] .

٢ـ الشدوان الأسفل والأعلى:

جبلا شدا الأسفل والأعلى من أطول جبال المملكة العربية السعودية، ويقعان في محيط محافظتي المخواة وقلوة [٦] ، وهما إلى الأولى أقرب. وفي يوم الاثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق

---

(١) تاريخ التجارة والأسواق في محافظة قلوة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة .

(٢) ممارسة الكهانة والشعوذة منتشرة في بعض بلدان وقرى تهامة والسراة ، سمعت ذلك وقرأت عنه أثناء تجوالي في أوطان هذه البلاد منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الميدان يستحق البحث والدراسة ، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين في البلاد السروية والتهامية أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الشائك والمهم للبحث .

(٣) تاريخ التعليم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي.

(٤) للمزيد عن جهود الشيخ عبد الله القرعاوي في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) ، انظر: غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ـ١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) . (الجزء الأول) ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٥) قلوة مدينة تهامية قديمة حديثة ، ولها تاريخ إداري وحضاري واجتماعي واقتصادي وتستحق أن يفرد لها عدد من الدراسات التاريخية والآثارية والحضارية . ونأمل من أبنائها ، وبخاصة الباحثين وأساتذة الجامعات ، أن يدرسوا يلادهم ويخدموا أهلهم ، وهذا من الواجب عليهم تجاه أوطانهم وذويهم .

(٦) ارتفاع جبل شد الأسفل (١٧٠٠م) ، وجبل شدا الأعلى (٢٢٠٠م) فوق سطح البحر. هذا ما سمعه الباحث من بعض الدارسين والباحثين في محافظة المخواة .

٩/يناير/٢٠١٧م) رافقني الصديق الدكتور/ عبد الرحمن الشعشاع [١]، وبعض الإخوان من مدينة المخواة في رحلة إل جبلي شدا [٢]، وقضينا ذلك اليوم نتأمل التركيبة الجغرافية السكانية لهذين الجبلين. فالجبلان ذوا حزون وصخور ومسالك صعبة، وهما مأهولان بالسكان منذ القدم [٣]، وسكان شدا الأسفل يعودون في نسبهم وولائهم إلى عشيرة بني عبد الله الغامدية السروية، وكذلك الجزء الجنوبي من شدا الأعلى، أما الجزء الشمالي من شدا الأعلى فأهله من زهران. ومناخهما بارد في الشتاء، معتدل صيفاً، وفيهما عشرات الأنواع من النباتات، وأنواع عديدة من الطيور والحيوانات [٤]. ويشرفان على قرى ومدن من الأراضي التهامية، فمن الشرق يطلان على وادي سقامة وأجزاء من حاضرة المخواة، ومن الغرب على بلدان نيرا وناوان، ومن الجنوب على بعض أودية ونواح من المخواة، ومن الشمال على وادي يحر وأجزاء أخرى من محافظة قلوة [٥]. وأثناء جولتي القصيرة في هذين الجبلين [٦]، خرجت ببعض الصور التاريخية الحضارية التي شاهدتها وسمعتها، واذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. مررت من حول هذين العلمين مرات عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية، ولم أتمكن من صعودهما، وسمعت أنهما يحتويان على الكثير من الرسومات الصخرية، وعندما ذهبت إليهما شاهدت نقوشاً عديدة على بعض الصخور، ورسومات آدمية وحيوانية يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام، وسألت بعض من رافقني عن هذه الآثار، هل اكتشفت ودرست؟ فقالوا لقد زارها عدد من الباحثين العرب والأجانب، وخرج عنها بعض الدراسات المحدودة. وأقول إن طبيعة هذين المكانين وما يحتويان عليه من مصادر تاريخية منقوشة على صخورها تستحق أن يسخر لها المال والعلماء الجادون والمنصفون حتى يدرسوا ما تشتمل عليه من موروث حضاري.

٢. سرنا في طريق مسفلت في أجزاء من الجبلين، وأخبرني أحد الرفاق أن المسافة من المخواة إلى أعلى قرية في شدا الأعلى حوالي (٢٤) كيلومتراً، وصعدنا بعد انتهاء

---

(١) ابن الشعشاع من أهل بيشة، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية العلوم والآداب في محافظة المخواة، عرفته منذ أكثر من عشر سنوات عندما كان يدرس لدرجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة. وهو شخص لطيف المعشر، على قدر كبير من الأخلاق والأدب.

(٢) من أولئك الأصحاب، الأساتذة علي محمد عبد الهادي الغامدي، وناصر الشدوي، كما التقينا في أعلى شدا الأسفل بإخوان آخرين وكان معهم العم حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي، الذي استضافنا لوجبة الغداء، وأفادنا بمعلومات كثيرة، وعمره يتجاوز (٧٥) عاماً.

(٣) الشدوان مذكوران في بعض المصادر التاريخية والحضارية المبكرة، قال فيها بعض الأدباء قديماً وحديثاً شعراً ونثراً. وتتبع تاريخ وحضارة هذين الجبلين من العهد القديم إلى اليوم من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين يكتب عن تاريخهما وذكرهما في النقوش والآثار والمصادر التقليدية.

(٤) يذكر أن في هذين الجبلين الكثير من النباتات والحيوانات النادرة، وبعضها انقرض في العقود الماضية.

(٥) هذا ما شاهدناه من أعالي الجبلين في (١١/٤/١٤٣٨هـ).

(٦) استغرقت رحلتنا في هذين الجبلين حوالي عشر ساعات وهي غير كافية لدراسة تراثهما وجمع موروثهما العلمي والحضاري.

الأسفلت في طريق صعبة ، ولا يسير فيها إلا سيارات قوية ذات دفع رباعي. وصعود شدا الأسفل أسهل من شدا الأعلى الذي يتكون من قمتين، إحدهما في الناحية الشرقية وهي وعرة ويصعب تسلقها ، والقمة الأخرى غرباً، وهي أكثر ارتفاعاً لكن الصعود إليها أسهل . ويطلق على القمة الشرقية (القارة) ، والقمة الثانية (مصلى إبراهيم) [(١)].

وقال أحد الرواة إن تمهيد الطريق من أسفل هذين الجبلين ، حتى أصبحت صالحة للاستخدام بالدواب، بدأ عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) [(٢)] ، وفي حوزتنا بعض الوثائق التي تؤكد هذه الرواية ، وتشير إلى أسماء بعض العمال الذين شاركوا في فتح تلك الطريق في عامي (١٣٨٦هـ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦، ١٩٦٨م) [(٣)] . وواصل المواطنون الشدويون فتح طرق ترابية على حسابهم الخاص من ثلاث جهات للجبلين ، وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) استلمت وزارة المواصلات هذه الطرق للإشراف عليها وصيانتها ، ومنذ بداية العشرينيات من القرن (١٥هـ/ ٢٠م) تم سفلتة الجزء الشمالي من شدا الأعلى ، وسفلتة حوالي عشرة كيلومترات من شدا الأسفل ، وبقي الجزء الجنوبي من شدا الأسفل غير مسفلت ، ومازالت المطالبات في سفلتته جارية حتى الآن[(٤)] .

٣. هذان الجبلان مأهولان بالسكان [(٥)] ، وفيهما أنماط معمارية عديدة . ففي شدا الأعلى عدد من القرى مثل: قرية الكبسة وفيها مواقع سياحية جميلة يرتادها السياح للتنزه والتسلق، وقرية السلاطين وتتكون من ثلاثة أقسام : فرعة السلاطين ، والغُمار، وبجاد . وفي الغمار فتحت أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ، ومدرسة بنات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . وقرية الملاليح وتشتمل على ثلاث قرى صغيرة هي : فرعة الملاليح ، واللحن ، وقرن. وهذه القرى ملاصقة لمصلى إبراهيم ، وجبل القارة ، وتشتهر بزراعة البن والموز. وقرية المساعدة ، وكان يوجد فيها الطبيب الشعبي لعموم

---

(١) مساحة هذا المصلى حوالي (٢×٣م٢) ، ويتداول الناس رواية أن المقصود بـ(إبراهيم) ، هو إبراهيم بن أدهم، وهو قول غير دقيق ، ومن المحتمل أن نسبة هذا المصلى إلى رجل صالح يدعى إبراهيم ، وربما يكون من أهل البلاد ، أو من الحجاج الذين كانوا يأتون من جنوب شبه الجزيرة العربية عابرين بلاد تهامة إلى مكة والمدينة المنورة.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رفاقه وأكد ذلك علي بن عبد الله الشدوي الغامدي من أهل شدا الأعلى في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) بعض هذه الوثائق في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ١١٠- ١١١. وقد حصل على عدد من الوثائق غير المنشورة من مدينتي المخواة وقلوة وبعض رجالات جبلي شدا ، وسوف ندرسها مستقبلاً ونخرجها في دراسة مستقلة .

(٤) المصادر نفسها . طرق شدا المسفلتة محدودة على الأجزاء السفلى من هذين الجبلين ، ومازالت الأجزاء العلوية غير مسفلتة، والواجب على وزارة المواصلات ، والهيئة العليا للسياحة ، أن تضاعف الجهود لتسهيل طرق هذين الجبلين وسفلتتها ، حتى تكون من المعالم السياحية المشهورة والمرتادة من سياح الداخل والخارج .

(٥) كانت هذه الجبال مأهولة بسكانها قديماً ، واليوم هجرها أكثرهم ونزلوا إلى المخواة وإلى مدن ونواحي عديدة في المملكة العربية السعودية . ومازال بعضهم يسكنها حتى الآن ، ومنهم من يستوطن المخواة أو قلوة إلا أنهم يترددون عليها في الإجازات وبعض أيام الأسبوع . كما يوجد فيها الآن بعض العمال الوافدين من اليمن أو الهند والبنجلاديش الذين يعملون في خدمة بعض سكانها مقابل أجور شهرية .

جبل شدا الأعلى ويدعي (أحمد الفقيه) [١] . وقرية لهن ، وهي من أفضل قرى الجبل انبساطاً ، ويوجد فيها بعض المزروعات، وقرى أخرى في أسفل الجبل مثل: مليل، والأحد بالقفرة . وتتراوح أسر هذه القرى قديماً من (٣٠-٤٠) أسرة، وحالياً من (٥-١٥) أسرة ، وسبب هذا التناقص هجرة معظم الأسر من الجبل إلى مدينتي قلوة والمخواة وإلى حواضر أخرى في المملكة ، لقلة مظاهر التطور والتنمية في هذا الجبل، ولتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية . ومن قرى شدا الأسفل الطرف ، وآل ساحة ، والنَمرة ، والروس ، والفرع وهي أكبرها ويوجد فيها بعض المؤسسات الإدارية ، وبها حوالي (٤٠-٥٠) أسرة ، وقرية الحلوق وهي أصغرها فلا يوجد بها إلا حوالي خمسة منازل[٢] . ومنازل أهل شدا القديمة مشيدة بالحجارة والطين ، وتتراوح مساحاتها من غرفة إلى أربع أو خمس غرف ، حسب إمكانات أهلها ، واليوم قام بعض السكان بإنشاء منازل مسلحة تتكون من طابق أوطابقين ، وكل طابق يتكون من عدة غرف. وتوجد الكهوف في جبلي شدا وبخاصة شدا الأسفل ، وصار بعضهم يشيد الكهوف ويوسعها ويزوقها ، ويخدمها بالماء والكهرباء حتى أصبحت مجالس صخرية جميلة ، وقد استقبلنا العم حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي في كهف بشدا الأسفل تزيد مساحته عن (١٠٠م٢) ، وأخبرني أن هناك من يمتلك كهوفاً أصغر وأكبر من هذه المساحة ، وهذه من المعالم السياحية التي يتميز بها جبلا شدا . ويتبع قرى شدا قديماً وحديثاً بعض المرافق المعمارية المهمة مثل: الآبار ، والمقابر، وفي بعض القرى مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، وأسواق أسبوعية [٣] .

٤. يذكر أن أهالي شدا كانوا يمارسون عبادتهم في منازلهم ومساجدهم ، ويأتيهم أحياناً من يعلمهم أمور دينهم في المخواة أو في قراهم الرئيسية في الجبل. ومن أولئك المعلمين والدعاة في القرن (١٤هـ/٢٠م) الشيخان علي بن مغرم الغامدي، وإبراهيم بن مسلم

---

(١) عاش أحمد الفقيه في هذه الناحية ، ومارس بعض النشاطات الدعوية مثل : إمامة الناس في الصلاة ، ومعالجتهم بالقرآن ، وتوفي في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) .مقابلة مع علي بن عبد الله الشدوي الغامدي في إدارة تعليم المخواة في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وعلي الغامدي من مواليد قرية السلاطين في جبل شدا الأعلى عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) . درس مراحل التعليم الأولى بالمخواة وحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الملك عبد العزيز ، ويعمل حاليا رئيساً لقسم النشاط الطلابي بتعليم المخواة ، وأيضاً أميناً عاما للجنة الخطة الاستراتيجية لتطوير محافظة المخواة .

(٢) مقابلة مع حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وهو من أهل شدا الأسفل ، ومازال يقضي معظم أوقاته في قريته ومسقط رأسه في شدا .

(٣) جبلا شدا ذوا تاريخ وحضارة إنسانية ، ففي الماضي البعيد والقريب يتضح لنا الكثير من البراهين والشواهد التي تؤكد صحة الحياة البشرية النشطة فيهما . أما في عصر التطور والتنمية الحضارية التي تعيشها البلاد السعودية اليوم فالحياة في هذين الجبلين شاقة جداً حتى وإن كان مازال فيها أناس يستوطنونهما ، وعندهم بعض الخدمات الإدارية والتعليم والصحية . وأكبر مشكلة تعاني منها هذه الجبال وأهلها هو وعورة تضاريسها التي لا تساعد على العيش فيها بسهولة ويسر . وتحويل هذين الجبلين إلى مناطق سياحية اقتصادية قد يكون مجديا إلى حد ما لو وجدت خدمات صادقة توفر الراحة والاستجمام للزوار والسياح.

من سكان حزنة غرب سروات بلجرشي ، وأحمد وسعيد أبناء فرحة من أهل شدا ، اللذان تعلما على يد هذين الشيخين السابقين، ثم قاما بنشر المعرفة والعلم الشرعي بين أهلهم من سكان شدا الأسفل . وفي الثمانينيات من القرن الهجري الماضي افتتحت مدارس نظامية في الشدوين ، وكان كثير من طلاب تلك المدارس متفوقين على مستوى منطقة القنفذة ، بل إن بعضهم كانوا من الأوائل على مستوى المملكة العربية السعودية(١) .

ومن الأشخاص الذين عملوا في مهنة التعليم قبل وبعد نشأة المدارس النظامية الأساتذة : أحمد بن عيفان الغامدي ووالده من قبله ، وعبد الله بن أحمد الغامدي(٢) ، وأحمد بن معيض الغامدي، ومحمد أحمد الغامدي ، وعلي الغامدي من فرعة غامد ، وسعيد بن محمد صمان من المخواة ، وبعض المعلمين من نيرا مثل: سعيد بن محمد بن صالح ، وسعيد أحمد غرابان ، ومحمد حسن ربيع(٣) . ويذكر أن بعض سكان الشدوين ترقوا في التعليم حتى صار منهم اليوم أساتذة في تخصصات عديدة ، ومن بناتهم وأبنائهم من يحمل درجات عالية كالبكالوريوس ، والماجستير ، والدكتوراه ، ومنهم من تدرج في سلم الوظائف الإدارية والمالية والعسكرية والمدنية (٤) .

٣. مشاهدات عامة :

في ختام هذه الرحلة ، لا أدعي أني سجلت كل ما يستحق الدراسة والتدوين في هذه البلاد الواسعة من بارق إلى قلوة ، ولكني إخال أنني أشرت إلى نقاط علمية رئيسية تستحق البحث والدراسة المستفيضة من بناتها وأبنائها المتعلمين الحريصين على حفظ تراث وتاريخ وموروث هذه الأوطان التهامية. ومازال لدينا فقرات نرغب الإشارة إليها، وهي على النحو التالي :

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في المخواة يوم الاثنين (١٤٣٨/٤/١١هـ) . بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من الأستاذ ناصر الشدوي أثناء رحلتنا في بلاد قلوة والمخواة ، وصورتها موجودة ضمن أوراق مكتبتنا .

(٢) عبدالله الغامدي من مواليد شدا الأعلى عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، تعلم في شبابه مبادئ القراءة والكتابة ، وعمل في مهنة التجارة في بعض حواضر الحجاز الكبرى مثل: مكة وجدة والطائف ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، وبذل جهوداً عديدة في خدمة أهالي شدا ، فطالب بفتح مدارس نظامية للبنين والبنات ، وفتح طريقاً تسلكه السيارة ويصل إلى أجزاء من جبلي شدا، كما ساهم في عمارة بعض المساجد المحلية في الشدوين ، وغيرها من الخدمات الإنسانية والخيرية المدونة في بعض الوثائق التي وصلتني من ابنه علي بن عبد الله . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠- ١٢٥ .

(٣) المصادر نفسها . نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم والثقافة في الشدوين والمخواة وقلوة خلال المئة سنة الماضية. وذكر الأستاذ علي عبد الله الغامدي في إدارة تعليم المخواة أن والده عبد الله بن أحمد الغامدي كان يسعى إلى نشر الفكر والتعليم والثقافة في المخواة وشدا الأعلى ، فأنشأ عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) أول مكتبة تجارية في بلدة المخواة ، وجلب الراديو والكهرباء إلى سكان شدا الأعلى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) أهالي جبل شدا أذكياء في أقوالهم وأفعالهم ، ومنهم من عُرف بالرزانة والحكمة والشعر النبطي قديماً ، وفيهم اليوم الكثير من المثقفين والمتعلمين ، وأمل أن يخرج من تلك الفئات من يدرس لغة وتاريخ وحضارة واقتصاد وتعليم وثقافة أهل شدا الأسفل والأعلى ، ومن يفعل ذلك من أبنائها أو بناتها فإنه سوف يسدي إلى أرضه وأهله معروفاً كبيراً ، كما أنه سيرد شيء من المعروف والفضل الذي قدمته هذه البلاد العربية الأصيلة .

أ - عدم وعي الناس بأهمية البيئة، فترى الكثير منهم يسعون إلى إتلاف الغطاء النباتي، والقضاء على الطيور وبعض الكائنات الحية، وتلويث الأرض برمي القمائم والمخلفات الآدمية وغيرها في الأودية والجبال أو في الطرقات والقرى والمدن، وكل هذه السلوكيات تؤثر سلباً على حياة الأرض والسكان (١) .

ب - هذه البلاد تنعم بالأمن والاستقرار، ويمارس أهلها عباداتهم بكل سهولة ويسر، وهذا ما شاهدته في الطرقات، والأسواق، والمدارس، والمساجد والجوامع والتجمعات العامة والخاصة الصغيرة والكبيرة. ومن يدرس تاريخ هذه الأوطان خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها فإنه سوف يتضح له الخوف والجهل والفقر الذي كان سائداً في أنحاء هذه الأوطان، وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية، واليوم تغير الحال من سيء إلى حسن، ومن رعب وفوضى إلى أمن واستقرار (٢) .

ج - لا يخلو المجتمع من مشاكل وسلبيات مثل: نبرة العنصرية والتعصب فهي موجودة عند بعض الأفراد، والأسر، أو القرى، أو العشائر، وهذا مرض اجتماعي عرفه العرب من قبل الإسلام، ومازال يُمارس في بلادنا وبين أهلنا وإخواننا. كما أن هذه البلاد المعنية في هذه الدراسة يوجد في أرضها الكثير من النقوش والرسومات الصخرية والآثار، ولا أحد يدرك أهميتها، بل إن أكثرها ناله دمار وخراب الإنسان. وكذلك الأمكنة التراثية والتاريخية مثل: القرى القديمة، والأسواق، والطرقات، والآبار، والمقابر، وبعض المهن والحرف الاقتصادية القديمة: كالصيد، والرعي، والزراعة، وكثيراً من الصناعات التقليدية، أصبحت من الماضي ولا نرى رعاية فردية أو جماعية، أهلية أو حكومية تفعل شيئاً لحفظ هذا التاريخ الذي عرفه الأوائل، وعانوا كثيراً في بنائه وصيانته.

د - البلاد مليئة بالتاريخ الفكري، والثقافي، والأدبي، والعلمي. فهناك لغة ولهجات، وفنون شعرية وأدبية وثقافية، وأهازيج، وطرفة وفكاهة، وأقوال وأغاني، وحكم، وقصص، وروايات، وأمثال محلية. وهناك أيضاً أعلام نسائية ورجالية، وعبر ودروس وحروب أسرية أو عشائرية أو قبلية، وصلات داخلية وخارجية، ونشاطات دينية، واجتماعية، واقتصادية، ومعرفية. كل هذه الصور التاريخية والحضارية عرفها ومارسها إنسان هذه البلاد التهامية، وتستحق من ينقب عنها ويجمعها ويدرسها ثم ينشرها لأبنائنا في هذه العصور الحديثة والمعاصرة. والفاحص للعلم والتعليم في هذه المنطقة يجد المدارس النظامية منتشرة في أرجائها، لكن مستوى

---

(١) هذه الجوانب جديرة بالبحث، فتدرس الأسباب والأخطار التي تنتج عن تدمير البيئة وإتلاف مكوناتها الطبيعية، ونرجو أن نرى الجامعات المحلية تهتم بهذا الجانب في خططها وبحوثها واهتماماتها.

(٢) قرأت آلاف الوثائق والكتب والمراجع والمقالات التي أرخت للأرض والسكان في الجزيرة العربية منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر، ووجدت أن الرخاء والأمن والراحة التي يعيشها سكان المملكة العربية السعودية اليوم لم يسبقه عهد مشرق مثلما يعيشون في عصرنا الحاضر، وهذا فضل من الله عز وجل، ونسأل الله أن يديم أمنه ونعمته علينا وعلى جميع المسلمين..

التعليـم ونوعيتـه هزيلة وركيكـة ، والكم يغلب على الكيف، وهذه مشـكلة عامة تعاني منها جميع مراحل التعليم في أرجاء البلاد السعودية[١] .

هـ ـ شـاهدت وعرفت وسمعت عن كثير من أهل هذه البلاد ، ففيهم خطباء في الجوامع ، أو معلمون وموجهون ومربون في المدارس ، أو موظفون كبار ، أو أساتذة في الجامعات ، أو أعيان ، أو وجهاء ، أو شـيوخ قبائل ، أو أصـحاب مال أوصـناع قرار في أوطانهم ، أو حكماء وعقلاء. وكل هذه الفئات من النساء والرجال عليهم مسؤوليات كبيرة تجاه أنفسهم ، وأهلهم ، وأوطانهم، فهم الذين فيهم الأمل، وعليهم يُعتمد في عمارة الأرض ، وبنـاء أوطان صـالحة تؤمن بربهـا ، وتعمل لخير دينها وأوطانهـم . وإذا لم يتحمل هؤلاء المسـؤوليات المنوطة بهم ، ويقومون بها على خير وجه للصالح العام والخاص ، وإلا فإن المجتمعات سوف تغرق ، وينالها الوهن والضعف والتفكك والانهيار[٢] .

ثالثاً: صور من تاريخ بعض بلدان تهامة (المخواة وقلوة وما جاورهما) :

١ـ من تاريخها في بعض المصادر والمراجع:

هـذه البلاد المذكورة مـن أقل بلدان تهامة والسـراة ذكراً في كتب التراث الإسـلامي المبكرة والوسـيطة، لكننا نجد أحياناً إشـارات قليلة عن بعض أجزائها وسكانها. ففي كتب التاريـخ الحولية مثـل الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابـن خلدون معلومات عن بعض التهاميين الذين دخلوا الإسـلام في عهد الرسـول (ﷺ) ، والذين ارتدوا في عهد الخليفة الراشـد أبي بكر الصـديق (رضي الله عنه) ، ولا تخلو كتب السـير والمغازي من روايات أيضـاً . وفي هذه المصـادر العامة ورد أسماء بعض الأعلام الذين شاركوا في الصراعات السياسية والعسكرية في القرون الإسلامية الأولى داخل الجزيرة العربية وخارجها[٣] .

وكتـب التاريـخ الموضـوعية التي تـؤرخ لزمان ومـكان محدودين مثل كتـب الأزرقي ، والفاكهي ، والفاسـي ، وبعض أسـرة آل فهد المكية ، وتاريخ اليمن لعمارة الحكمي اليمني وغيرها ، يوجد فيها صفحات من تاريخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمة ، وأجزاء من اليمن، لا تخلـو مـن معلومات تتعلـق بالبلاد الممتدة من مكـة إلى قلوة والمخواه ، فهناك إشـارات

---

(١) من يقارن التعليم الحديث مع التعليم القديم فإنه يجد جودة التعليم في الماضـي أفضـل من عصـرنا الحالي، نعم هناك إمكانات كبيرة اليوم ، وأموال كثيرة تصـرف ، لكن مسـتوى الطالبة والطالب أضـعف من السـابق تفكيراً ، واجتهاداً ، وكتابة ، ورغبة في التعليم . قد يقول قائل هذا كلام غير صـحيح ، فها نحن نشـاهد أصحاب الشهادات العليا ، وبعض المبدعين والجادين ، وأقول كلام صـحيح ، فهناك نماذج جيدة ومتفوقة ، لكن النمط العام الغالب على مستوى التعليم اليوم وأثره المعرفي ، والأخلاقي ، والاجتماعي الإيجابي أضعف بكثير من السابق .

(٢) خلق الإنسان لعمارة الأرض ، والواجب على الفرد المسلم المؤمن أن يعمل لتحقيق هذا الهدف ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف ينال رضا ربه (عز وجل) ، وخدمة الدين والنفس والأهل والوطن .

(٣) ركـزت كتـب التاريـخ العامة مثـل: الطبري وغيره علـى التاريخ السياسـي والعسـكري ، لكنها لا تخلـو من بعض الشـذرات. ومن يفحص هذه الكتب الحولية فإنه يجد صـوراً تاريخية عديدة ومحدودة عن تاريخ وحضـارة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز .

لبعض الأمكنة، وشذرات أخرى قليلة عن بعض الأحداث التاريخية في هذه البلاد[(١)] .

وفي كتب الطبقات والتراجم والأعلام معلومات عن تهامة بشكل عام، وعن الأوطان التي ندرسها بشكل خاص. ومن تلك المصادر كتب الطبقات لابن سعد، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. وهذه المصادر أشارت أيضاً إلى أسماء تهامية عاصرت ظهور الإسلام في الحجاز، وبعضها خرجت مع جيوش المسلمين للجهاد في سبيله في الشام وفارس ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الهند والسند[(٢)] .

أما كتب الجغرافيا والرحلات فهي الأفضل في حفظ الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية عن تهامة من قلوة والمخواة إلى بارق، ومن أعم وأشمل هذه المصادر كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، ففي هذا السفر تفصيلات كثيرة عن مواضع وسكان عاشوا في هذه البلاد، ولا تخلو معلومات هذا العالم اليمني من بعض الأخطاء غير المقصودة، ومازال كتابه من المصادر الرئيسية عن بلاد تهامة والسراة خلال القرون الأولى من عصر الإسلام [(٣)] . ومصادر أخرى مثل: المسالك والممالك، ومعجم ما استعجم للبكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وهذه الكتب تأتي في المرتبة الثانية بعد كتب الهمداني[(٤)] ، وفيها معلومات كثيرة عن تهامة، والبلاد الممتدة من بارق إلى نهامة غامد وزهران، ورد لها ذكر لا بأس به، فهناك مواضع عديدة تم الإشارة إلى شيء من جغرافيتها وتاريخها. ومصادر أخرى لا تخلو من اشارات طفيفة وأحياناً مبهمة عن بعض الأوطان التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان، ومن تلك الكتب: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وسفرنامة لناصر خسرو، ورحلة ابن جبير، وتاريخ المستبصر لابن المجاور، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، ورحلة

---

(١) ركزت هذه المؤلفات على تواريخ الحجاز واليمن، ولقرب بلاد تهامة من هذه النواحي، ثم للصلات التاريخية والحضارية للتهاميين مع الحرمين جعلت مؤلفي هذه المصادر يلتقون بأهل السراة وتهامة، ويسمعون بعض الأخبار عنهم وعن بلادهم وما يدور فيها من أحداث سياسية سلبية وإيجابية.

(٢) من يفحص هذه المصادر فإنه يجد أسماء تهامية هاجرت إلى المدينة المنورة، وأخرى خرجت أثناء الفتوحات الإسلامية إلى بلدان عديدة خارج الجزيرة العربية.

(٣) الهمداني: هو الحسن بن أحمد بن يعقوب، يكنى بأبي يعقوب، ويعرف بالنسابة، أو ابن الحائك، ويسمي نفسه بـ (لسان اليمن)، ويكني نفسه أيضاً بأبي محمد، وهو من بلاد همدان في اليمن، ومن علماء المسلمين الكبار، وله كتب عديدة في الأنساب، واللغة، والجغرافيا، والمعادن وغيرها. وكتبه من أفضل المصادر التي وصلتنا عن الجزيرة العربية خلال عصور الإسلام الأولى، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية. للمزيد انظر: ، غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" . بحث منشور في مجلة الدارة، عدد (٣) النسة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان / ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٧٦-١١١. والبحث نفسه أعيد نشره في كتابنا: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق ١-ق ١٠هـ/ق ٧-ق ١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص ١٢٧-١٦٤.

(٤) تستحق كتب البكري وياقوت الحموي دراسة وتحليلاً، وبخاصة ما جاء فيها عن بلاد تهامة والسراة، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه.

السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة ، ورحلة ابن بطوطة وغيرها [(١)] .

وكتب الأنساب والموسوعات من المصادر الأولية التي فيها لمحات تاريخية عن تهامة. فابن الكلبي في كتابه: النسب الكبير، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وفي كتب الأنساب للسمعاني والقلقشندي تفصيلات عن أصول القبائل الأزدية التي استوطنت السراة وتهامة ، ومعظم العشائر القاطنة في تهامة تنتسب في قبائل اليمن وبخاصة قبيلة الأزد ، ومازالت هذه العشائر تعيش في هذه الأوطان حتى وقتنا الحاضر [(٢)] ، والمصادر الموسوعية مثل: نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي ، هذه الكتب موسوعية في معلوماتها، وتحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية (اجتماعية، واقتصادية، وجغرافية، وسكانية) عن بلاد تهامة والسراة ، ولا تخلو من إشارات عن البلدان المعنية في مبحثنا [(٣)] .

ومصادر أخرى متنوعة في أطروحاتها ، وتحتوي على فقرات من تاريخ تهامة الممتدة من قلوة والمخواة إلى بارق والمجاردة وما جاورها . ومن أهمها : كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ويقع في عشرة مجلدات ، لكن لم يصلنا منها إلا ثلاثة فقط . وهذا المصدر يشتمل على معلومات كثيرة عن نباتات تهامة والسراة وكثير من الأشجار والنباتات التي درسها تتواجد في منطقتنا المدروسة في هذا البحث ، وفي أنحاء تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وجازان [(٤)] . وهذا كتاب الأنواء لابن قتيبة من أهل القرن الثالث الهجري أيضاً ، وهذا المصدر فصّل الحديث عن مواسم العرب ، ومعرفتهم الكبيرة بفصول السنة ، وما يتخللها من تغيرات، ومواسم الزراعة والحصاد، وكل ما يتعلق بالجو وتأثيراته على حياة الناس في جميع مهنهم الاقتصادية والاجتماعية [(٥)] .

---

(١) كتب الجغرافيا والرحلات المبكرة والمتأخرة تشتمل على تفصيلات كثيرة وجيدة عن بلدان تهامة والسراة ، ونأمل أن تدرس في موضوعات علمية موثقة . للمزيد انظر ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ـ ق٨هـ) " مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢) ، المجلد الأول (مارس/ ١٩٩٤م) ، ص٧٣ـ١٠٠ . وأعيد نشر هذه الدراسة في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م) ، ج١، ص ١٦٥ـ١٩٦ . انظر مجلدات عديدة من موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣، ص ٣٢١ـ ٣٩٤ . ج٤، ص ٢١ـ٨٦. ج٥،ص٢١ـ٩١ . ج٩، ص١٣١ـ ١٩٤ . للمؤلف نفسه ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـق١٥م) ، ص١٥٩ـ٢٣٠ .

(٢) تاريخ أنساب بلاد تهامة من بارق إلى قلوة جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

(٣) هذه الموسوعات تجمع لفيفاً من المعارف المتنوعة في أبوابها ، والسروات وتهامة ورد لها ذكر في صفحات وفصول عديدة من هذه المصادر .

(٤) السائر في بلاد تهامة وبخاصة المناطق الواقعة عند سفوح السروات الغربية من جازان إلى مكة المكرمة سوف يشاهد آلاف الأنواع من النباتات والأشجار التي ذكرها الدينوري في كتابه، ومن يسأل أهل الخبرة بهذه النباتات ثم يقرأ ما كتبه هذا العالم المسلم فإنه يجد معظم مادته العلمية صحيحة متطابقة مع أقوال أهل الدراية والخبرة من أهل البلاد .

(٥) إن القارئ لكتاب الأنواء، ثم السير في بلاد تهامة والسراة ويسمع لأقوال وروايات الأوائل عن الأنواء ، وكيف كانوا يراقبونها ويتعاملون مع تغيراتها في زراعاتهم ورعيهم وحصادهم وتجارتهم ، فإنه فعلاً سيجد هذا العالم قد أبدع في تدوينه لكثير من الصور التاريخية

ونقول إن المادة المتوفرة عن تهامة في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة قليلة جدا، وإن أشرنا إلى بعض المصادر الأولية التي ذكرت شذرات من تاريخها ، لكنها لا تعطينا صورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد . وأكثر القرون غموضاً الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (الثامن إلى الثامن عشر الميلاديين) ، فهذه الحقب لا نجد عنها الشيء الكثير ، وإن ذكرت مواضيع محدودة، أو أحداث، أو أعلام ، فمازال النقص الكبير واضحاً [١] . وفي المصادر المكية الوسيطة وأوائل العصر الحديث إشارات تستحق الجمع والدراسة عن البلدان الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى الليث والقنفذة والمخواة وبارق والبرك ودرب بني شعبة وصبيا وجازان[٢] . وهناك مصادر ومراجع حديثة تصب في خدمة هذه البلاد ، ومنها: كتاب : **منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** . لتاج الدين بن تقي الدين السنجاري المكي من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ، فقد ذكر معلومات قيمة عن أجزاء من تهامة وخص بلدة المخواة ببعض التفصيلات[٣] ، وسوف نذكر شيئاً من هذه المعلومات في نهاية هذه الدراسة [٤] .

وأصبحت القنفذة منذ القرن (١٢هـ/١٨م) ، من المدن والموانئ الرئيسية التي تؤثر وتتأثر بما يحدث في عموم بلاد تهامة والسراة ، وصارت بوابة البحر الأحمر الرئيسية على البلاد الممتدة من الطائف والليث إلى أبها ورجال ألمع ودرب بني شعبة [٥] ، كما أن وصول القوات العثمانية في العصر الحديث إلى مكة المكرمة والطائف والباحة وعسير وجازان

(١) هذا ما اتضح لي من خلال الاطلاع على مصادر حجازية ويمنية عديدة ، وأحياناً مصادر عامة . والبلاد التهامية والسروية الواقعة بين اليمن والحجاز مأهولة بالسكان، وغنية بمواردها الاقتصادية ، ولأهلها صلات حضارية مع حواضر اليمن والحجاز، لكن للأسف لا نجد تاريخاً واضحاً أو حتى صوراً تاريخية محدودة لبعض هذه البلدان وسكانها، ما عدا المخلاف السليماني (منطقة جازان) ، ونجران ، والطائف فهناك بعض الكتابات والروايات عنها وهي متناثرة في مصادر ومؤلفات يمنية وحجازية .

(٢) أسير في أرجاء هذا الأوطان منذ أربعين عاماً ، والتقى ببعض أعيانها ووجهائها ، وجمعت شيئاً من وثائق وتراث أهلها. وهي بلدان ذات تاريخ وحضارة ، والواجب على الجامعات الموجودة في هذه الأجزاء أن تضاعف الجهود ، وتفتح مراكز علمية بحثية متخصصة ، وتجلب لها أساتذة مميزين حتى يدرسوا تاريخ وموروث وآثار وحضارة هذه الديار ، وهي فعلاً تستحق الرعاية والدعم . ومنذ ثلاث عقود وأنا أنادي أصحاب القرار ، والباحثين الغيورين ، والمؤسسات العلمية والثقافية في هذه البلاد ليعملوا ويجتهدوا في جمع تاريخ وموروث هذه الأوطان العريقة ، لكن حتى الآن لا نرى أي حراك أو اهتمام يصب في خدمة البلاد .

(٣) هذا الكتاب يقع في عدة مجلدات ، وفيه معلومات جيدة عن أهل تهامة والسراة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يجمع ما دون وغيره من معاصريه عن هذه الأوطان التهامية والسروية ، ومن يفعل ذلك فإنه سيطلعنا على تفصيلات قيمة وجديدة في بابها .

(٤) الأستاذ عبد الرحمن حمياني العُمري من أهل المخواة أصدر مقالة عن المخواة القديمة ، وأشار إلى أهمية هذا المصدر ، للمزيد انظر: هذه المقالة منشورة في نهاية هذا المحور .

(٥) إن الصلات التاريخية خلال العصر الحديث والمعاصر بين القنفذة والأجزاء التهامية الداخلية ، وأيضاً السروات من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة . وهناك مئات الوثائق غير المنشورة وعشرات الكتب والبحوث والرسائل التي تشتمل على تفصيلات عن هذه الفترة ، ونأمل أن نرى باحثين جادين ، من طلاب درجات الماجستير والدكتوراه ، يدرسونها في عدد من البحوث العلمية ، وهي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة .

جعل المؤرخين ورجال الحرب والسياسة يذكرون بلاد السراة وتهامة في مراسلاتهم ووثائقهم وتقاريرهم ، ومن ثم صار هناك من يدون ويكتب شيئاً من تاريخ البلاد الممتدة من محايل وبارق إلى المخواة وقلوة وما جاورها. وظهر في القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) دراسات فصلت الحديث عن بعض الصور التاريخية التي عاصرها وشارك فيها السرويون والتهاميون . ومن تلك البحوث رحلات بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، مثل: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، للعباس بن علي الموسوي ، الذي زار أجزاء من تهامة زهران والقنفذة في عام (١١٤١هـ/١٧٢٨م) ، وكتاب: بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام ، ليحيى بن المطهر . ورحلة محسن بن عبد الكريم بن إسحاق. وكتاب: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور (ﷺ) ، لإسماعيل جغمان. وهؤلاء الرحالة الثلاثة الآخرون يمنيون ، ومن أهل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) ، اجتازوا تهامة عند ذهابهم إلى أرض الحرمين، وذكروا شيئاً من تاريخها[١]. والرحالة السويسري جون لويس بركهارت (ت١٢٣٣هـ/١٨١٧م) في كتابه: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، دون بعض التفصيلات عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة إلى سروات وتهامة غامد وزهران ، وهناك رحالة أجانب زاروا تهامة وكتبوا عنها في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل: السير كيناهات كورنواليس ، وسانت جون فلبي ، وتوتيشل ، وولفرد تسيجر ، وجميعهم ذكروا حاضرة القنفذة وأجزاء من تهامة منطقتي الباحة (غامد وزهران) وعسير ، وفصل بعضهم الحديث عن الحياة السياسية والحضارية في بارق ، والعرضيات ، وقلوة والمخواة[٢]. ومن الرحالة العرب الذين أشاروا إلى هذه البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم في القرن(١٥هـ/٢٠م) الشريف البركاتي ، والشريف عبد الله بن الحسين ، وعاتق بن غيث البلادي[٣]. وهناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ مناطق جازان ، وعسير، والحجاز، وموانئ البحر الأحمر، وبعضها باللغة العربية، وأخرى بلغات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية أو الإيطالية، أو العثمانية، أو التركية الحديثة[٤]. ومعظمها تعرضت لتاريخ أرض وسكان تهامة غامد وزهران وما جاورها من الأوطان التهامية.

٢. من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية :

من بارق إلى المخواة وقلوة جزء من تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وأثناء

(١) للمزيد عن هؤلاء الرحالة ، انظر: غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ) ، ص ١٦٩-١٨٠.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨١-١٩٢-٢١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦-١٩١، ٢١٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث خلال العشرين سنة الماضية أثناء زيارته بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعودية ، ومصر، وتركيا، وبريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وإيطاليا . وكذلك حضوره بعض المؤتمرات والندوات أو مناقشة بعض الرسائل العلمية في جامعات عربية وغير عربية، وأيضا اطلاعه على بحوث علمية محكمة ومنشورة عربية وغير عربية .

دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم بريطانيا ، ثم زياراتي إلى مصر ، وتركيا، وسياحتي في مناكب السراة وتهامة ، ومقابلة الكثير من أعيانها وشيوخها ورموزها ، وتدريسي آلاف الطالبات والطلاب خلال الأربعين عاماً الماضية ، وإشرافي على بحوثهم ورسائلهم العلمية ، تكون عندي خلفية لا بأس بها عن أوطان تهامة والسراة ، ووجدت مصادرها التاريخية متنوعة مثل: المخطوطات ، والمصادر المبكرة أو النادرة ، والآثار والنقوش والرسومات الصخرية ، والمقابلات ، والروايات الشفهية ، والمتاحف ، والصور الفوتوغرافية ، والوثائق المحلية والإقليمية والعالمية ، وقد توقفت مع هذا المصدر الأخير (الوثائق) فوجدت أماكنها متعددة ، ومعلوماتها متنوعة ، **وخرجت ببعض الرؤى عن هذا المصدر المهم ، وأذكرها في النقاط الآتية :**

أ- أهل هذه البلاد لهم عادات وأعراف وتقاليد ، وعندهم أملاك عقارية، ولهم أحداث وصراعات حربية وسياسية داخلية وخارجية ، وهذه الأنشطة تُروى وبعضها تدون في أوراق ووثائق محلية ، وفي المنطقة أيضاً إدارات ومؤسسات إدارية تشرف وتضبط سير الحياة العامة والخاصة . كل هذا وجدته في كثير من الوثائق التي استطعت جمعها خلال العقود الأربعة الماضية ، ومعظم هذه المصادر حصلت عليها من الأفراد والجماعات وأحياناً من بعض البيوتات العلمية في الأوطان التهامية والسروية ، أو من بعض الإدارات الحكومية في القنفذة أو جازان أو أبها أو غيرها من البلدان الجنوبية السعودية[1] . وهذه الوثائق توجد في ملكيتنا ، وقد نشرت العشرات منها في كتب وبحوث مختلفة[2] ، ومادتها متنوعة مثل: الوثائق الاقتصادية كالبيع والشراء ، أو أسعار السلع ، أو حركة الأسواق الأسبوعية ، أو امتلاك بعض العقارات كالمنازل والمزارع ، أو التبادلات التجارية ، أو أسماء بعض التجارات أو التجار في القرى أو الأسواق ، أو المدن ، أو الموانئ، أو ذكر بعض الصناعات والحرف التقليدية ، وممارسة شراء موادها الأولية، وبيع مصنوعاتها الجلدية ، أو الخشبية ، أو المعدنية، أو الحديدية ، أو النباتية ، أو الحجرية والفخارية . أو وسائل التعاملات مثل: البيع بالمقايضة ، أو النقود ، أو الدفع بالأجل ، وما يقابل هذه المعاملات من صعوبات[3] .

---

(١) كثير من الوثائق التي استطعت جمعها من الأوطان المحلية مثل: محائل ، وبارق ، والعرضيات ، وقلوة ، والمخواة ، وباقي بلدان تهامة والسراة ، ومعظمها في التاريخ الحديث من القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجريين ، وهناك وثائق قليلة قبل هذا التاريخ ، ومازالت في حوزتنا ، وهي غير منشورة ، وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث.

(٢) انظر بعض كتبنا المطبوعة والمنشورة وهي تحتوي على عشرات الوثائق الجديدة والمتنوعة في مادتها العلمية ، وجميعها مازالت وثائق خام تحتاج إلى دراسة وتحليل ونأمل أن يأتي من طلابنا في الدراسات العليا ، أو من باحثين مجتهدين يصنفونها ويدرسونها .

(٣) عثرنا على آلاف الوثائق الاقتصادية المحلية ، وهي جديدة وغير منشورة ، وتوضح كثير من الجوانب التاريخية الحديثة في مدن وموانئ وقرى وأسواق الأراضي التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان. وما في حوزتنا من هذا النوع من الوثائق كاف لخروج عشرات البحوث . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتعاون معنا حتى نصدرها في بحوث علمية سَهلة التداول .

وهناك وثائق أخرى اجتماعية أو تعليمية وثقافية ، أو سياسية أو عسكرية ، أو صلات إخوانية ، أو علاقات دبلوماسية[١] .

ب - من الوثائق الموجودة في مكتبتنا ما تم الحصول عليه من دور الأراشيف الوثائقية في مصر، وتركيا ، وبريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى . ومنها أيضاً ما وجدناه في دارة الملك عبد العزيز العامة ، أو مكتبة الملك فهد الوطنية ، أو مكتبة الملك عبد العزيز العامة [٢] . وعدد هذا الصنف من الوثائق عندنا محدوداً ، فلا تتجاوز الآلاف، وقد رأيت أعداداً كثيرة من هذه الوثائق في الأرشيف العثماني في اسطنبول وتاريخها من القرن (١٢- ١٤هـ/ق١٨- ٢٠م) ، وبعضها يناقش تواريخ عديدة في تهامة عسير والباحة، ومن المواضع المذكورة: بارق ، والمجاردة ، والمخواة ، وقلوة ، والأجزاء الشرقية من منطقة القنفذة مثل: القوز ، وسبت الجارة ، وثربان ، ونمرة[٣] .

ج - صدر عدد من الكتب العربية والأجنبية ، وبحوث محكمة ورسائل علمية في بعض المجلات والجامعات السعودية والعربية والغربية . وكثير من هذه الأعمال تحتوي على وثائق تاريخية تخص الديار التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى صبيا وجازان[٤]. ويغلب على أكثرها أنها مصادر جديدة ، ومدروسة بطرق علمية[٥] .

٣- من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة ، وغير المنشورة :

البلاد الممتدة من شمال محائل إلى المخواة وقلوة فقيرة في ميدان الدراسات العلمية، وغير متساوية فيما صدر عنها من بحوث ومقالات علمية منشورة وغير منشورة، وفي الصفحات التالية نذكر بعض أسماء البحوث والمقالات الحديثة عن بلدتي المخواة وقلوة في تهامة غامد وزهران والموجودة في مكتبتنا .

---

(١) يوجد في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية أكثر من (١٥٠) مجلداً من الوثائق العامة ، وكثير منها جمعت من أهل تهامة والسراة ، ومعظمها تعكس تاريخ المناطق الجنوبية السعودية خلال الثلاثة قرون الماضية ، وهي متنوعة وتشمل معظم جوانب التاريخ السياسي والحضاري في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها .

(٢) مازال في هذه المكتبات وثائق كثيرة تتعلق بتاريخ بلدان السراة وتهامة ، ونأمل من طالبات وطلاب درجات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعاتنا السعودية أن يطلعوا عليها ويستفيدوا منها في أطروحاتهم العلمية.

(٣) جميع هذه المواضع تستحق أن يصدر عنها بحوث ودراسات علمية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، والحصول على مواد علمية تؤرخ لهذه الفترة توجد في الأراشيف والمكتبات السابق ذكرها أعلاه .

(٤) لم نفصل الحديث عن الوثائق وموضوعاتها وما تحتوي عليه من مواد علمية، فهذا ميدان واسع يحتاج إلى مئات الصفحات ، وإنما اقتصرنا على الحديث على الأوعية والأماكن الرئيسية التي يوجد فيها وثائق علمية تخدم تاريخ تهامة وبخاصة البلاد الممتدة من الحجاز إلى جازان ، وتقع مناطق بارق والمجاردة والعرضيات والمخواة . والشدوان ضمنها. وهذا العرض المختصر قد يفتح الباب لطلاب الدراسات العليا، والمؤرخين ، والباحثين الذين يجمعون ويدرسون تاريخ هذه البلدان العربية السعودية .

(٥) رأيت خلال الأربعين عاماً الماضية كثيراً من هذه الدراسات المنشورة وغير المنشورة وفيها وثائق قيمة عن بلدان القنفذة، والبرك ، وبارق، والمخواة، ومحايل عسير، ورجال ألمع، والقحمة، ودرب بني شعبة ، والشقيق، وجازان وغيرها. وأرجو من أبنائنا الطلاب في أقسام التاريخ في برامج الدراسات العليا وكذلك الباحثين والمؤرخين من أهل تهامة أن يلتفتوا إلى هذه النواحي ، فيجمعوا وثائقها ومصادرها الأولية ويعكفوا على دراستها وتحليها .

قلت : تعيش هذه النواحي نفس مشكلة أهل العرضيات والمجاردة وبارق وغيرها من حيث قلة وأحياناً ندرة الدراسات والبحوث العلمية ، مع أن محافظة المخواة وما حولها أكثر تطوراً وتنمية من العرضيات [١] ، ويوجد فيها بعض الكليات وأقسام للتعليم الجامعي [٢] . ومما اطلعت عليه بحثان منشوران محدودان سطحيان . **الأول: مذكرات معلم في السعودية** ، في قرية حدب بني عاصم في المخواة ، لأستاذ فلسطيني ، عمل في التعليم في تلك الناحية في عام (١٣٨٥هـ) ، ودون شيئاً من مشاهداته وانطباعاته ، ونشرت هذه المذكرة في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة التعليم ، بتاريخ (١٤٣٢/٢/٦هـ) [٣] . **والدراسة الثانية بعنوان** : (شدا الأعلى هل هو جبل (ق) ، وهي منشورة في مجلة العرب ، الجزء (١١، ١٢) سنة (٤٩) ، الجماديان (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) [٤] ، للأستاذ ناصر الشدوي [٥] . كما اطلعت على كتيب بعنوان : **هذه سيرتي** ، للأستاذ علي بن أحمد اليهمطي ، أحد رواد التعليم في محافظة قلوة ، وإن كانت معظم مادة الكتاب عن سيرته الذاتية ، فإنه لا يخلو من معلومات حضارية تصب في خدمة تاريخ وتراث قلوة الحديث . ومن أفضل ما وصلني مذكر ة بعنوان : **المخواة القديمة ، التاريخ يطل من قمة جبل الجرف** [٦] ، للأستاذ عبد الرحمن بن علي حمياني العُمري [٧] . ولجودة هذه المذكرة العلمية فضلت نشرها كما وصلتني ، فيقول: (على قمة جبل "الجرف" تقع قرية المخواة القديمة غربي المخواة الحاضرة الآن [٨] ، مشرفة على واديين عظيمين من الناحية

(١) هذا ما شاهدناه أثناء سيرنا وتجوالنا في هذه البلدان ، خلال رحلتنا المدونة في هذا البحث.

(٢) زرت بعض هذه الأقسام والكليات في المخواة وقلوة فوجدتها متواضعة في إمكاناتها ، ولا أحد من أعضاء هيئة تدريسها عنده الهمة أو الرغبة في بحث أو دراسة أي مجال من مجالات الحياة في هذه الأوطان ، وربما تكون المشكلة نفسها في الجامعة الأم في الباحة ، التي يجب أن تدعم وتشجع إنشاء مراكز للبحوث العلمية التي تخدم البلاد وأهلها .

(٣) صورة من هذه الدراسة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص ١٢-١٧.

(٤) انظر المجلة ، ص ٨٥٩-٨٧٥ . وما طرحه الباحث في هذه الدراسة مجرد وجهة نظر، لكنها بعيدة عن الحقيقة والواقع .

(٥) ناصر الشدوي من أبناء جبل شدا الأسفل، وعنده اهتمامات بالنقوش والرسومات الصخرية في هذين الجبلين ، كما أنه يجتهد في التعريف بهما على مستوى المملكة العربية السعودية وخارجها . وقد زودني بمذكرة غير منشورة في (٩) صفحات عنوانها : النصوص والرسومات الآثارية في جبلي شدا الأسفل والأعلى . وهذه الورقات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص ٣٦-٤٤ .

(٦) صورة من هذه المذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص٧-١١.

(٧) عبد الرحمن حمياني من مواليد عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) بوادي ضيان في محافظة المخواة . درس مراحل تعليمه الأولى في مدينة المخواة ،وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الباحة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، والماجستير في تخصص القيادة التربوية من جامعة الباحة أيضاً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). بدأ عمله في التعليم في مدينة جدة عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم انتقل إلى المخواة ، وعمل في المكتبة العامة، ثم الإشراف التربوي، ويعمل الآن مديراً لقسم التجهيزات المدرسية في إدارة تعليم المخواة. شارك في عدد من اللقاءات، والاجتماعات، والندوات ، والمؤتمرات، المحلية. وهو عضو في بعض اللجان والمجالس التعليمية والتربوية والثقافية، والإدارية، والاجتماعية ، والدعوية. وله مشاركات في عدد من الصحف والمجلات العربية المحلية والإقليمية . ويمتاز الأستاذ عبد الرحمن بحسن الخلق ، ولطف المعشر، وسهولة التعامل .

(٨) هذه البلدة مازالت ماثلة للعيان ، وهي مندثرة ، والواجب صيانتها وترميمها، (ابن جريس) .

الشرقية والشمالية الشرقية ، وهما: وادي ضيان ، ووادي راش ، في القطاع التهامي لمنطقة الباحة ، بعيدة عن مساقط السيل على خلاف المخواة الموجودة حالياً التي تتربع الآن على نقطة التقاء الواديين الكبيرين مما يجعلها مهددة باستمرار للسيول الجارفة[1] . وبخاصة أحياء " الردحة" و "السوق" . وتمثل قرية المخواة القديمة تاريخياً لأجيال مضت ولم يبق إلا الآثار الشاهدة على حياة عامرة بالنشاط والحيوية والحكمة والعناء، فعندما تدخل تلك القرية فإن منازلها تشعرك بقوة أولئك الرجال، وإحكام سيطرتهم على القرية من حيث توزيع البيوت ووضع الممرات وتجميل الشرفات، بالرغم من تلاصقها التام في أغلب الأماكن ، مما يؤدي إلى الاختلافات والخصام بين سكان القرية، وحدوث المشاكل بكافة أنواعها، ولكني وجدت جواباً أزاح حيرتي حول تمكن السكان في هذه القرية العيش بسلام وسيطرتهم على كل مشكل يعكر صفوهم ، فأخبرني أحد المهتمين بالتراث أن القرية كان يسيطر عليها عشرة من الرجال، من أعيان القبيلة ، وكان لكل واحد دور يؤديه بكل إخلاص وأمانة ، بل لا يسطو أحد منهم على صلاحيات الآخر، فكانوا معنيين بنظام القرية، والبت في القضايا الحادثة سواءً فيما يتعلق بالنظام داخل القرية ، أو بالأحداث الخارجية فلابد فيها من رأي جماعي لأهل القرية[2] . أما من ناحية بناء المنازل فقد وجدت أن بعض البيوت مكونة من عدة طوابق، وتستخدم الدرج الحجري الداخلي للانتقال من طابق إلى آخر ، ولها غرف واسعة ومتعددة يفصل بينها جدران حجرية ، وهذا لا يعني تساوي كل المنازل من حيث الفخامة والجودة والاتساع ، فطول بعض المنازل يصل إلى (١٥) متراً وله غرف واسعة ، وفي المقابل هناك بعض الغرف تقدر مساحتها في حدود (٢×٣متر) [3] . أما القرية بشكل عام فتتخذ اتجاهاً طولياً على رأس الجبل من الشمال إلى الجنوب ، ويقع في الشمال الشرقي للقرية مساحة كبيرة ليس فيها أي بناء وتعتبر هذه المساحة مقر السوق كما أخبرني بعض كبار السن ، وهذا السوق مجاور للمسجد الكبير في القرية ، الذي تقدر مساحته بـ (١٠×١٨م) ، وهناك مسجد آخر صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للقرية ، وتقدر مساحته بـ (٥×١٠م) ، وهو مطل على الوادي من الجهة الشرقية ، أما الممرات فهناك ممر رئيسي طولي يمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو يقسم القرية إلى قسمين شرقي وغربي ، لكنه لا يقسم القرية بامتداد

---

(١) للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥، ص١٨٣-١٨٥ (ابن جريس) .

(٢) تاريخ القرى القديمة في بلدان تهامة والسراة ، وكيفية إدارتها والتعايش فيها وما يوجد عنها من اتفاقيات ووثائق جديرة بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية (ابن جريس) .

(٣) للمزيد عن تاريخ العمارة في بلاد تهامة والسراة ، انظر: غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) . (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٣٧-٥٨. للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) ". مجلة المنهل، عدد (٥٧١) .المجلد (٦١) . العام (٦٦) شوال ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ، ص ٢٦-٤٩ . (ابن جريس).

مستقيم إلى آخر القرية بسبب تهدم القرية في الوسط حيث يضطر الشخص إلى أن يسلك ممراً آخر من اليمين أو الشمال حتى يعبر إلى شمال القرية باتجاه مقر السوق ، وهذا الممر عندما يبدأ من الجهة الجنوبية ينتهي عند ساحة تقدر مساحتها بـ(١٥×٨م) ، ويتضح أن هذه المساحة كانت تؤدي دوراً اجتماعياً في القرية، مثل اجتماع أهل القرية فيها لحل مشكلة، أو الاحتفال بمناسبة سعيدة . أما الحجارة المستخدمة في البناء فيظهر أنها من الجبل نفسه ، وبعض هذه الحجارة يصل طولها إلى متر ونصف وأخرى صغيرة جداً ، ووجدت في القرية بعض المنازل كبيرة ومازال بنيانها متماسكاً وحجارتها كبيرة وشرفاتها مطعمة بحجارة (المروة) البيضاء رغبة في التزيين [1] ، وهذه المنازل في الجهة الغربية للقرية . كما وجدت منازل في الجهة الشمالية بعد موقع السوق تشكل خطاً مستقيماً ومنفصلة عن القرية بمسافة بسيطة خاصة في الجهة الشمالية الغربية ، وبضعة منازل في الجهة الشمالية الشرقية . والقرية تحتل موقعاً على رأس الجبال بطول (٢٥٠) متراً تقريباً ، وأكبر عرض للقرية (٧٠) متراً ، وأقل عرض في حدود (٣٠) متراً ، أما جبل (الجرف) الذي يمتد بمحاذاة الوادي الذي تتربع القرية على رأسه فيبلغ طوله من مدخل قرية "الخربان" شمالاً إلى مدخل " المخاوي" جنوباً (١كم) تقريباً. أما مقابر القرية فتقع في الجهة الجنوبية للقرية في منخفض يعتبر سهل الحفر مقارنة برأس الجبل ، وبعض آثار هذه المقابر مازال موجوداً ، وهناك بنايات صغيرة تبتعد عن المقبرة باتجاه الشمال وقريبة من المنازل الجنوبية ومرتفعة عن الأرض مستطيلة الشكل، وترتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ومساحتها تقدر (٢×٣م) وهي في حدود تسعة . وخلال زيارتي للقرية وجدت بعض الكتابات والتواريخ على جدران بعض المنازل منها تاريخ منقوش كالتالي: (١٨صفر سنة ١١٧٣هـ) ولكني لا أستطيع الجزم أنها كتبت في يوم بناء القرية أو بعده ، أو أنها كتبت فيما بعد عن طريق بعض الزائرين للقرية بعدما تهدمت ، حيث أن الكتابة على الحجارة باستخدام الحجارة وعن طريق النقر عليها أمر سهل ، ولكن أحد الزملاء أخبرني أنه يملك وثيقة تاريخية أقدم من هذا التاريخ ، ومما يرجح صحة هذا التاريخ أنها مكتوبة على حجر في مكان مرتفع جداً في أحد الجدران الخارجية . والشيخ عون يحيى شاكر العُمري أحد كبار السن الحاليين ذكر لي أن أهل القرية كانوا يجلبون الماء من بئر عند أسفل الجبل من الجهة الشرقية ومحاذ للوادي اسمها (بئر عمر) ، وبئر أخرى تقع في الجهة الغربية للجبل ، أما المؤن والبضائع فكانت تأتي بها القوافل من بلدة القنفذة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر، حيث أن البلدتين (المخواة والقنفذة) تحتلان مكانة تاريخية واقتصادية كبيرة ، وهاتان البلدتان مقصد لكثير من التجار ومورد للبضائع لجميع المناطق المحيطة بهما ، وأيضاً كانت المخواة همزة وصل بين السراة والساحل ، فكان أهل السراة يبيعون منتجاتهم

---

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ قرى تهامة وسراة منطقة الباحة ، بل إن بعض القرى في هذه الناحية تستحق أن يصدر عنها أكثر من دراسة . هذا ما عرفه الباحث في هذه الرحلة ، ورحلة أخرى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (ابن جريس).

في المخواة، ويأخذون منها المؤن الأخرى التي تُجلب من القنفذة والمناطق الأخرى[١] .

لاشك أن اهتمام المصادر التاريخية بوصف مكان ما يمثل كنزاً لا يستهان به، ويعطي دلالة عظيمة للمكانة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لذلك المكان ، وقد عثرت على مصدرين ورد فيهما ذكر المخواة في إشارات تاريخية مختلفة ، وبخاصة علاقتها بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية ، وأيضاً تعتبر محطة لعبور الحجاج، فأحد المصادر لمؤرخ مكي ، والثاني لرحالة أوربي. والكتاب الأول : **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** ، الجزء الخامس لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧- ١١٢٥هـ) دراسة وتحقيق الدكتورة ملك محمد خياط، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) من منشورات جامعة أم القرى ، والمؤلف يذكر أحداث كل سنة على حدة ، ففي الجزء الخامس بدأ من أحداث سنة (١٠٩٧هـ) إلى أحداث سنة (١١٢٤هـ)، فلما جاء إلى ذكر أحداث سنة (١١١٦هـ) ففي صفحة (٣٣٧) قال في السطر الرابع : " فدخل محمد بن عبد الكريم المخواة ، ونادى في بني علي وبني عمرو ، وبني زهران ، وغامد، والأحلاف " ثم استمر في ذكر الأحداث إلى صفحة (٤٠٦) ، ثم ذكر قصيدة للشيخ أحمد بن علان الصديقي قال: " وممن مدحه أيضاً صاحبنا الشيخ أحمد بن علان الصديقي وهنأه بقصيدة ، وهي هذه : أبا شاكر دُم قبلةً للمحامد موقي على رغم العدا والحواسد " ثم ذكر في البيت العاشر: " فإن نسألَ المخوَاة عن حال أهلها وعما دهاهم في الديار الأباعد" والقصيدة مكونة من (٤٩) بيتاً، ونجد اسم المخواة في ذلك المصدر قبل (٣١٥) سنة"[٢] .

أما الكتاب الثاني فهو : **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية** ، لمؤلفه جون لويس بوركهارت ترجمة هتاف عبد الله ، دار النشر : الانتشار العربي ، بيروت-لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م) ، والكتاب مكون من (٣٩٩) صفحة ، وذكر في صفحة (٣٧٩) ما يلي: " في زمن السلم ، يكثر ارتياد الطريق الأخرى من مكة إلى اليمن بمحاذاة السفح الغربي للجبال الكبيرة ، فتصل القوافل أسبوعياً ، خاصة من المخواة التي تبعد خمس عشرة ساعة عن دوقة ، ويوماً واحداً عن مقاطعة زهران ، في الجبال . والمخواة هي مدينة كبيرة تبعد عن مكة مسافة تسعة أيام حين تسير القوافل ببطء ، وفيها أبنية حجرية ، وهي السوق التي يبيع فيها تجار زهران والمناطق المجاورة إنتاج عملهم إلى تجار مخواة الذين يرسلونه إلى

---

(١) أشكرك يا أستاذ عبدالرحمن على هذا السرد التاريخي ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من أبناء المخواة فيدرس هذه المدينة أو المحافظة دراسة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن المدن الواقعة عند سفوح السروات من الغرب والممتدة من جبال جازان إلى قلوة والمخواة ذات تاريخ عريق وتستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية ، ونأمل من جامعات الجنوب السعودي أن تهتم بهذه البلدات والحواضر ، فتدرسها في أعمال علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) للمخواة تاريخ قديم ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ ، برنامج الدراسات العليا ، بجامعة الملك خالد يدرس التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلدة خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق الدراسة . (ابن جريس) .

مكة وجدة . والبلاد حول مخواة خصبة جداً وتسكنها قبائل بني سليم وبني سعيدان وبني علي الثلاثة ، وهناك أيضاً في مخواة العديد من قبيلة بني غامد ، إن التفاعل بين هذه المدينة ومكة كبير جداً في زمن السلم ، وربما تتزود مكة من هذا المكان بثلث مؤنها من الحبوب من مختلف الأنواع . وتقع الطريق بين هاتين المدينتين عبر الأودية بشكل أساسي، وتقطع القليل فقط من التلال . كما تقع عليها بعض القرى التي يسكن في أكواخها البدو والمزارعون "[١] . ويجدر بي هنا أن أكرر التشديد على عدم الخلط بين "مخواة ومخا" ، والمؤلف يذكر المخواة هنا بقوله (مخواة) وأيضاً زهران يذكرها بضم الزاى ، وهذا قد يرجع لطبيعته غير العربية بالرغم أنه كان يجيد العربية ودقيق في الوصف ، وحتى بعض الأماكن يذكرها هكذا (الليث يذكرها ليث) ، أما القنفذة ذكرت صحيحة ، فقد يرجع هذا للمترجم أو أن المؤلف ذكرها بهذا الشكل ، قال المؤلف: " والبلاد حول مخواة خصبة جداً وتسكنها قبائل بني سليم وبني سعيدان وبني علي الثلاثة " ولعله يقصد بـ (بني سعيدان) بني زيدان ، وهم القبائل المعروفة الحالية والتابعة للشيخ ابن موالا والتي تسكن شمال شرق المخواة . ولما وصف الكاتب المخواة قال: أبنية حجرية وهذا ينطبق تماماً على المخواة القديمة . أيضاً أشار إلى خصوبة الأرض حول المخواة ، وهذا مشاهد وبخاصة وادي الأحسبة وغيره من الأودية ، والأمر المهم هو : مكانة المخواة التجارية سواءً للمناطق حولها أو بالنسبة لمكة المكرمة، حيث كانت تزودها بالحبوب ، والمخواة مجمع التجارات سواءً من السراة أو من القنفذة "[٢] .

ولي تعليق بسيط على هذين المرجعين وهو : أنني لا أوافق المؤلفين في كل ما كتباه، وبخاصة الرحالة جون لويس بوركهارت الذي له تجاوزات لا أوافق عليها ، وقد عمد إلى التشويه في كثير من المواقع في كتابه [٣] . أما كتاب منائح الكرم فقد سجل أحداثاً في تلك الحقبة بحلوها ومرها وما يهمنا هو أخذ الفائدة منه ومن الكتاب الآخر بعيداً عن الملابسات الواردة في هذه المصادر ، وربما يكون هناك مصادر أقدم مما أشرنا إليه ، ولكن هذا ما حصلت عليه[٤] . والباب مفتوح للجميع للبحث والتقصي ، وهذه النقول

---

(١) من يطلع على كتب بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، والمصادر الحجازية والوثائق الموجودة في بعض دور الأرشيف في مصر وتركيا فإنه سوف يجد مادة علمية جيدة عن بلاد المخواة خلال الثلاثة قرون الماضية ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام جامعاتنا السعودية .(ابن جريس) .

(٢) المخواة ، وقلوة ، والمجاردة ، ومحائل ، ورجال ألمع ، والدرب ، والشقيق بلدان داخلية في تهامة ولها تاريخ ، لكنها لم تخدم من الباحثين في السابق واللاحق ، ونأمل من أبناء هذه البلاد وبخاصة الباحثين وأرباب القلم أن يجتهدوا في دراسة وتدوين تاريخها السياسي والحضاري. (ابن جريس) .

(٣) يقصد الحمياني عموم كتاب هذا الرحالة الأجنبي ، ليس ما كتب عن المخواة ، ومن يدرس كتب الرحالة الغربيين فإنه سوف يجد فيها بعض الأخطاء والمغالطات ، لكنها مازالت من المصادر المهمة التي تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية لا توجد في أي مصدر آخر ، وهي مهمة للقراءة والاطلاع . (ابن جريس) .

(٤) وأقول نعم إن هناك مصادر حجازية أخرى أشارت إلى المخواة ، كما أن هناك وثائق غير منشورة في داخل البلاد وخارجها وفيها لمحات من تاريخ المخواة وما حولها ، ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس هذه المدينة دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

هدفها بيان مدى المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المخواة عبر التاريخ بعيداً عن أي تفسيرات أو تأويلات أخرى، أو إثبات أمر أو نفيه. وهذا ما تيسر جمعه عن المخواة القديمة [١]، وقد أعرضت عن ذكر أسماء الأشخاص الذين كانوا يعيشون في القرية القديمة، وكذلك الفخوذ والعوائل التي كانت تسكن هناك، لحاجة هذا الموضوع لجهد أكبر. وقد لا يكون هذا المقام مناسباً لذكرها. وفي الختام أرجو أن تتحول تلك القرية الأثرية إلى مقصد للزائرين، وفتح طريق معبد للوصول إليها في يسر وسهولة، أو تحويلها إلى متحف بكل ما تعنيه هذه الكلمة " [٢].

وفي مكتبتنا بعض البحوث غير المنشورة عن المخواة وما حولها، وهي من الدراسات المنشورة في كتاب: دليل البحوث الجامعية، ومنها: (١) تهامة بلاد زهران: تاريخ وحضارة (١٢٥٥-١٣٥٥هـ/١٨٣٩-١٩٣٤م)، للباحث محمد بن سعيد بن عيسى المضحوي الزهراني، (٨٧) صفحة[٣]. (٢) محافظة المخواة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين محمد بن درويش الغشام الغامدي، وحمدي بن عامر بن موسى العماري، وعلي بن محمد بن علي الغامدي، (١٧٠) صفحة[٤]. (٣) محافظة المخواة: دراسة تاريخية حضارية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين حسين بن أحمد بن عبد الله العُمري، وخالد بن حسين بن مطر العمري (٩٠) صفحة [٥]. (٤) المخواة: دراسة تاريخية مختصرة عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين هاشم بن محمد بن حسن الناشري، وعبدالرحيم بن علي بن أحمد حمياني العُمري، وخالد بن حسن بن عبد الرحمن الشريف، وأحمد بن علي بن أحمد المرحبي[٦]. (٥) منطقة الباحة (بلاد بني عُمر وغامد وزهران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، للباحث عبدالله بن علي بن سالم، (٢٨٥) صفحة [٧].

---

(١) نشكرك يا عبد الرحمن على هذه النبذة، وقد يأتي في المستقبل من يتخذ مما كتبته دليلاً لدراسة أشمل وأوسع عن محافظة المخواة. (ابن جريس).

(٢) المثل الشعبي يقول "لايبني الأرض إلا حجارتها"، وأقول أن ما فعلت يا عبد الرحمن من جميل الصنع لأهلك وبلادك، ونأمل أن تتوسع في إنجاز دراسات تصب في خدمة محافظة المخواة، كما آمل أن نرى أمثالك يجمعون تاريخ وموروث بلادهم ومساقط رؤوسهم، ولو فعلنا جميعاً ذلك فإننا بدون شك سوف نساهم في حفظ بعض الشيء من تراث آبائنا وأجدادنا. (ابن جريس).

(٣) انظر محمد بن معبِّر، دليل البحوث الجامعية، ص ١٩٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩٠.

(٦) المرجع نفسه، ص٤٠٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.

رابعاً: نتائج وخلاصات:

اتضح لي عن هذه البلاد التهامية عدة أمور، أذكرها في النقاط الآتية:

١. سكانها الأصليون عرب يمنيون يعودون في أصولهم إلى قبائل الأزد اليشجبية اليعربية القحطانية. كما أنهم وإخوانهم رجال الحجر وغامد وزهران من جد واحد، ومازالت روابطهم النسبية سارية حتى وقتنا الحاضر.

٢. تشابه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والفكرية بين سكان هذه الأوطان التهامية، مع أن نسبة التطور تتفاوت من ناحية إلى أخرى.

٣. عموم هذه البلاد فقيرة في مجالات البحوث والدراسات العلمية، والتاريخ والآثار والحضارة من الموضوعات التي لم تُخدم، مع أنها مليئة بالموروث الحضاري الذي يستحق جمعه وبحثه وتحليله.

٤. على أرباب القلم في هذه الأجزاء، وعلى الجامعات والكليات والأقسام العلمية في جامعات الملك عبد العزيز، وأم القرى، والملك خالد، والباحة، وجازان مسؤوليات كبيرة تجاه جميع المناطق التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدن جازان، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة، فالواجب دراسة تاريخها وتراثها الحضاري. كما أن على صناع القرار في هذه البلاد، وعلى أصحاب رؤوس الأموال أن يبذلوا قصارى جهودهم لخدمة أرضهم وسكانها، وهذه من المسؤوليات الواجبة على هذه الفئات التي تستطيع المساهمة في بناء هذه الديار وتقدمها.

٥. من خلال جولاتي في هذه الرحلة، وأيضاً رحلات سابقة في منطقة القنفذة، وجازان، وأجزاء من تهامة غامد وزهران وعسير تأكد لي أن هذه البلاد تحتوي على الكثير من القصص والروايات الشفاهية، وبعض المخطوطات والوثائق والمدونات التي تمتلكها بعض الأسر والبيوتات العلمية، كما يوجد على أرضها الكثير من المصادر المادية متمثلة في النقوش، والآثار، والرسومات الصخرية، وكذلك القرى والحصون والأسواق والطرق القديمة. وكل هذه الموارد العلمية جديرة بالجمع والحفظ ثم الدراسة والتحليل، ولإنجاز هذه المهمة لابد من تضافر جهود الجميع، أهل البلاد أنفسهم، وجميع الإدارات الرسمية والأهلية في هذه النواحي، أو في أي ناحية أخرى في المناطق الجنوبية، أو حواضر المملكة العربية السعودية الرئيسية.



الخاتمة

النتائج والتوصيات

ثالثاً : الخاتمة : النتائج والتوصيات

تم نشر (١٤) دراسة في موضوعات تاريخية يشوبها بعض النقص ، لكنها فتحت أبواب للباحثين والمؤرخين الذين يرغبون التخصص في دراسة تاريخ وحضارة أوطان زهران وغامد وما حولها من البلدان منذ العصور التاريخية القديمة لإلى العصر الإسلامي البكر ، والوسيط ، والحديث والمعاصر . والقارئ في تاريخ وتراث هذه في تاريخ وتراث هذه الأجزاء التهامية والسروية (منطقة الباحة) فإنه يجد لها ذكراً قليلاً في المصادر التاريخية المبكرة ، كما يجد الكثير من وثائق العصر الحديث والمعاصر التي احتوت على صور من تاريخ هذه البلاد ، وهناك أيضاً بعض الكتب والدراسات الحديثة المحدودة التي اشتملت على بعض الجزئيات التاريخية والحضارية عن بلاد وسكان منطقة الباحة [١] . ومن خلال هذه الدراسات المنشورة في هذا المجلد ، خرجنا ببعض النتائج والتوصيات التي ندرجها في النقاط التالية :

١. بلاد الباحة (غامد وزهران) من الأوطان التهامية والسروية التي لم تنل حظاً كبيراً من البحوث التاريخية والحضارية الجيدة والرصينة . نعم هناك كتب ، وبحوث، ورسائل علمية صدرت عن هذه الأوطان خلال العقود الخمسة الماضية ، لكنها جميعها لاتصل إلى مرتبة الكمال والشمولية في ما احتوت عليه ، بل بعضها محدود في الزمان والمكان لما تعرضت له .

٢. سمعت أثناء تجوالي في منطقة الباحة بأن هناك أفراداً ، وأسراً وبيوتات علم قديمة يقتنون بعض المخطوطات والوثائق التاريخية التي لها صلة بتاريخ وحضارة بلاد غامد وزهران خلال العصر الإسلامي الوسيط والحديث ، وقد التقيت ببعض تلك الأسر ، أو الأفراد ، لكنهم لم يطلعوننا على شيء مما سمعنا عندهم ، وإذا كان ما يقال عنهم صحيح فهم على خطأ لأنهم يحجبون علوم ومعارف تخص الأرض والسكان في منطقة الباحة ، وعليهم أن يتقوا الله ويخرجونها للناس حتى يطلعوا على شيء من تاريخ آبائهم وأجدادهم [٢] .

٣. نلمس القصور الكبير عند مؤرخي منطقة الباحة الذين لا يعملون بروح الجماعة ، والنظر إلى تاريخ بلادهم بشكل كلي وشمولي . فهم يدرسون موضوعات محدودة

---

(١) من يزور بعض المكتبات الجامعية المركزية أو يطالع محتويات بعض المكتبات الأهلية الخاصة عن بعض الغامديين والزهرانيين فإنه سوف يجد أسماء الكثير من المصادر والمراجع والدراسات التي أشارت إلى تاريخ وحضارة بلاد غامد وزهران إلى وقتنا الحاضر .

(٢) من خلال تجوالي في عموم بلاد تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الماضية ، وجدت هناك بيوتات علم قديمة ، وقد جاء ورثتهم فحجبوا ما ورثوه من تلك البيوتات ، ومع مرور الزمن ضاع التراث التاريخي والحضاري والذي خلفه آبائهم وأجدادهم ، وهذه مشكلة نعاني منها نحن معاشر الباحثين ، ونأمل أن ينتشر الوعي عندنا جميعاً ، ونعمل على حفظ وتوثيق التاريخ المادي والمعنوي لأجيالنا السابقة .

تخص قرية ، أو عشيرة ، أو ناحية صغيرة في بلاد غامد ، أو زهران ، أو بني عمر ، وقد تحدثت مع بعض المؤرخين في هذه النقطة فنجدهم يدافعون عن أنفسهم ، ويدعون أن ما كتبوا عنه يمثل تاريخ منطقة الباحة واسعة الأرجاء ، ولكل ناحية منها تاريخ وحضارة والواجب أن نؤرخ للمنطقة بشكل عام حتى نؤسس قاعدة صلبة لدراسات جزئية على ناحية ، أو موضع ، او علم ، أو حادثة تاريخية وقعت في زمان ومكان محددين [١].

٤. تتحمل جامعة الباحة المسؤولية الكبرى في خدمة البحث التاريخي والحضاري لمنطقة الباحة ، وعليها أن تنشئ أقساماً ومراكزاً بحثية تتولى هذه المهمة، كما يجب عليها أن تجلب باحثين جيدين ، ثم توجههم وتدعمهم لدراسة تاريخ وآثار وموروث وحضارة المنطقة ، كما أن الباحثين ، والأعيان و والوجهاء وإمارة منطقة الباحة عليهم أيضاً مسؤولية خدمة تاريخهم ، وتراثهم ، فيبذلون قصارى جهودهم لحفظه وتوثيقه [٢].

وهناك بعض التوصيات التي نراها إيجابية ، وتصب في خدمة تاريخ وتراث وحضارة منطقة الباحة ، ونذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. منطقة الباحة مأهولة بالاستيطان البشري منذ آلاف السنوات ، وعبر عصور التاريخ القديم والإسلامي . وهذا التعايش السكاني خلف آثاراً سطحية ومدفونة، والواجب على الهيئة العليا للسياحة والآثار ، وأيضاً كليات الآثار في المملكة العربية السعودية أن تجمع ثم تدرس هذه المصادر المهمة ، التي ربما تطلعنا على تاريخ وحضارة لا نجدها في المصادر التاريخية التقليدية يجب أن تُدرس منطقة الباحة (غامد وزهران) تاريخياً وحضارياً خلال عصور الإسلام المختلفة ، منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر ، ولن يتحقق ذلك إلا بدعم وتشجيع ومتابعة الجامعات والمؤسسات الأكاديمية في بلادنا ، كما أن على الإمارة وجميع المحافظات في منطقة الباحة أن تسهم في تحقيق هذا النداء والتوصية، وإن فعلت ذلك فإنها سوف تحافظ على شيء من الموروث الحضاري لهذه الأوطان السروية والتهامية [٣].

---

(١) وجدت هذه المشكلة ، وهذا الإدعاء في مدن ، وحواضر ، ومناطق عديدة من شبة الجزيرة العربية وبخاصة في الجنوب السعودي ، ويجب على الباحث أن يتجرد من العنصرية والتعصب لناحية أو حادثة دون أخرى . وجميع مناطق وبلدان تهامة والسراة ما زالت بكر في ميادين البحوث العلمية والرصينة ، ونأمل أن نرى باحثين حادبين منصفين يتولون القيام بدراسة هذه الأوطان .

(٢) أصبحت جميع طبقات المجتمع اليوم مشغولة بالحياة المادية الهشة ، وهناك قلة قليلة مازالوا حريصين على حفظ التاريخ والموروث الحضاري ، والذي نتطلع إليه أن تقوم المؤسسات العلمية والإدارية ، وصناع القرار في المجتمعات بالتخطيط والتشجيع والدعم لجميع ميادين البحوث العلمية الهادفة والموثقة والرصينة .

(٣) دائماً اكرر ندائي وتوصياتي بالاجتهاد والحفاظ على التراث والموروث الحضاري ، وذلك لما سمعته وعرفته وشاهدته وأنا أتجول ف مناطق السروات وتهامة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وما حل من دمار وضياع وخراب بالكثير من المواد التاريخية المعنوية والمادية في عموم البلدان العربية الجنوبية .

٢. يوجد عند معظم سكان غامد وزهران وثائق وحجج وأوراق تاريخية تعكس صوراً من تاريخ حياة الناس العامة والخاصة . وهذه المصادر جديرة بالجمع والحفظ ، ثم الدراسة والتحليل إذا أمكن . ولن يستطيع فرداً أو أفراد قلائل أنٍ يقوم بذلك ، وإنما هي مسؤولية مؤسسات علمية بحثية أكاديمية ، ونأمل أن نرى شيئاً من هذه المؤسسات المرجوة والمقترحة [١].

٣. إن التاريخ الشفهي من الأخبار ، والروايات والقصص ، والأشعار ، والأهازيج ، والأحاجي ، والحكم ، والمفردات واللهجات والاصطلاحات اللغوية وغيرها من المعارف تعد من المصادر التاريخية والحضارية المهمة ، وهذا الميدان لا ينظر إليه ولم يستفاد منه ، ويجب على الباحثين ، والأقسام العلمية والأكاديمية ، وكذلك مراكز البحوث أن توليه اهتماماً كبيرا ، ويسخر في خدمة البحث العلمي [٢].

٤. تمر منطقة الباحة في تطور وتنمية حضارية حديثة منذ خمسين عاماً ، وهذه التنمية أثرت إيجاباً وسلباً على الأرض والسكان ، والواجب على الأقسام العلمية المتخصصة في جامعة الباحة وغيرها من الجامعات السعودية ، وكذلك الباحثين من المؤرخين ، وأساتذة علوم الاجتماع ، والاقتصاد ، والجغرافيا ، والتربية ، وعلم النفس ، والإدارة ، والسياحة ، والتخطيط وغيرهم أن يبذلوا قصارى جهودهم في دراسة هذا المجال الكبير والحيوي ثم يخرجون بالنتائج والتوصيات التي تخدم الدين ، والدولة ، والبلاد والعباد [٣].

---

(١) بدأت أجمع بعض الوثائق الحديثة في مناطق تهامة والسراة ، وتأكد لي أن هناك آلاف الوثائق المحلية عند عموم سكان هذه البلاد ، ومعظمهم لا يحبذون اطلاع أحد عليها ، لكن بالتوعية والتثقيف سوف يعرف ملاك هذه الوثائق أنها تعكس شيئاً من تاريخ بلادهم ، وإعطاء صوراً منها وسوف تؤدي الغرض المنشود ، ابتداء من الجمع والحفظ حتى الدراسة والطباعة والنشر .

(٢) يوجد كم هائل من هذا الموروث عند سكان تهامة والسراة ، وللأسف أن في هذه البلد حوالي ستة جامعات حكومية ، لكننا لا نرى لها أي جهود تذكر في الاستفادة من هذا الميدان التاريخي والحضاري . وقد أشرت إلى هذا الباب في عدد من محاضراتي ولقاءاتي العامة والخاصة في بعض الكليات والجامعات السعودية الجنوبية ، خلا العشرين عاماً الماضية .

(٣) توجد هذه المشكلة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية ، والجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية لا تقوم بواجبها كما ينبغي في هذا الميدان ، والواجب على صناع القرار والمسئولين في الجامعات وغيرها أن يستشعروا أهمية هذا الموضوع ، وما يجب عليهم فعله تجاه هذا الميدان المهم والواسع .

سيرة ذاتية مختصره



أولا : معلومات عامة

الاسم : غيثان بن علي بن عبدالله بن جـريس الجـبـيري الشـهـري



- مـن مواليـد محافظـة النمـاص بـلاد بنـي شهـر عـام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقـى تعليمه الابتدائي والمتوسـط والثانـوي في محافظـة النمـاص وتخرج في الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج بمرتبة الشرف الأولي في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهـب إلـى الولايات المتحـدة الأمريكيـة ودرس درجة الماجستير في جامعـة أوسـتن تكسـاس (Austin Texas)، ثم أنتقل إلـى جـامعـة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
- ذهـب إلى بريطانيا وحصـل على درجـة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عـاد إلى جامعتـه في أبها وعمل في العديد من الأعمـال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيـس تحريـر مجلة بيادر الصـادرة من نادي أبهـا الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .

تابع سيرة ذاتية مختصره

- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- قدم حوالي تسعين محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٩٠) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) وذلك بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والاعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في ارخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)

رابعاً: النتاج العلمي :

١. تم تأليف وطباعة ونشر أكثر من (٤٢) كتاباً .
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (٩٥) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

Al-Bahah Region

Studies, Additions and Comments

(1st-15th H./ 7th-21st G.)

Vol. 1

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

Professor of History - King Khalid University

Abha - Saudi Arabia's

(1440 H. - 2019 G.)